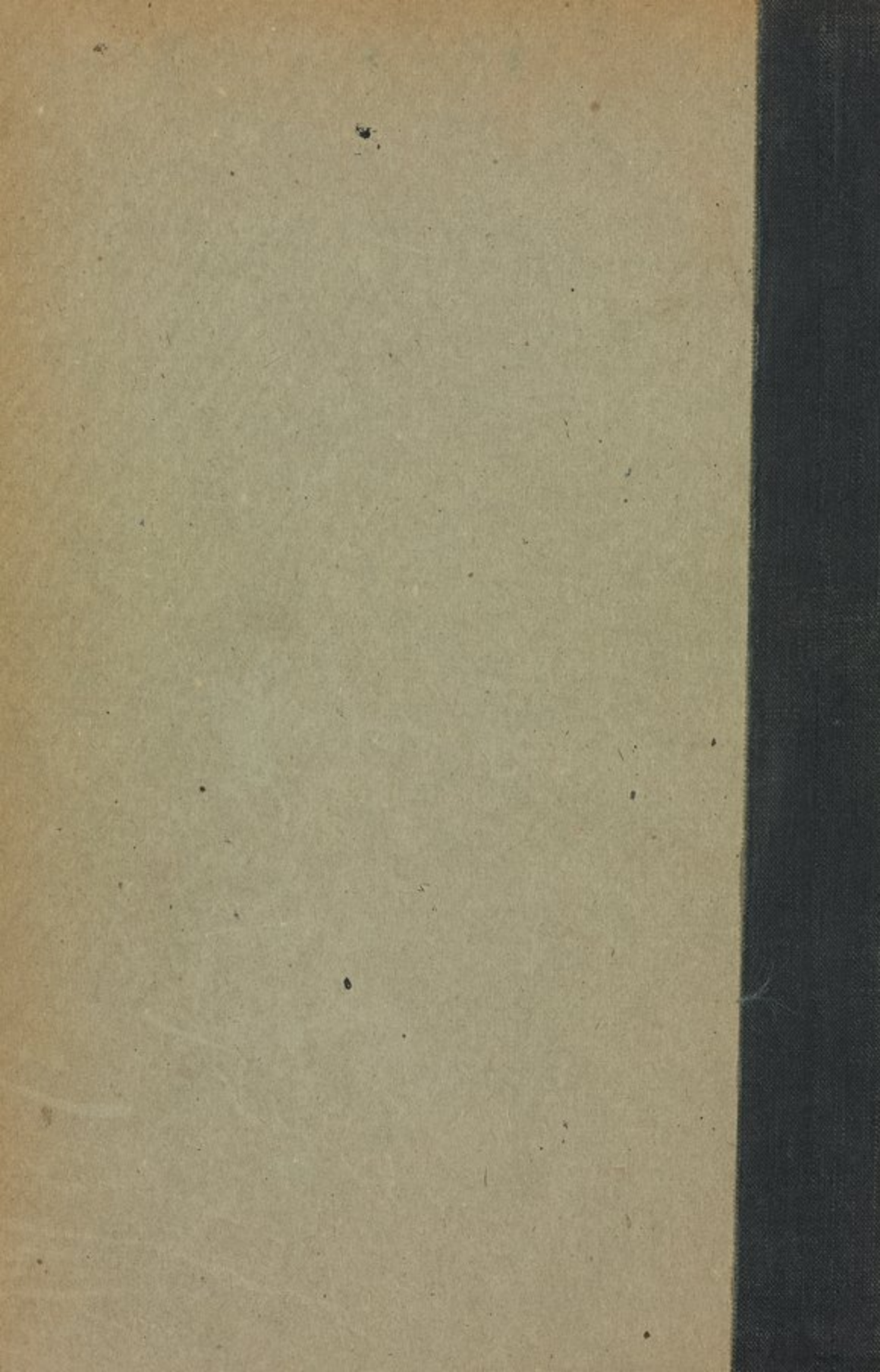




22
.701
.349
Y.5-7

الله أكبر



XXXXXXXXXX
DUE JUN 15 1992

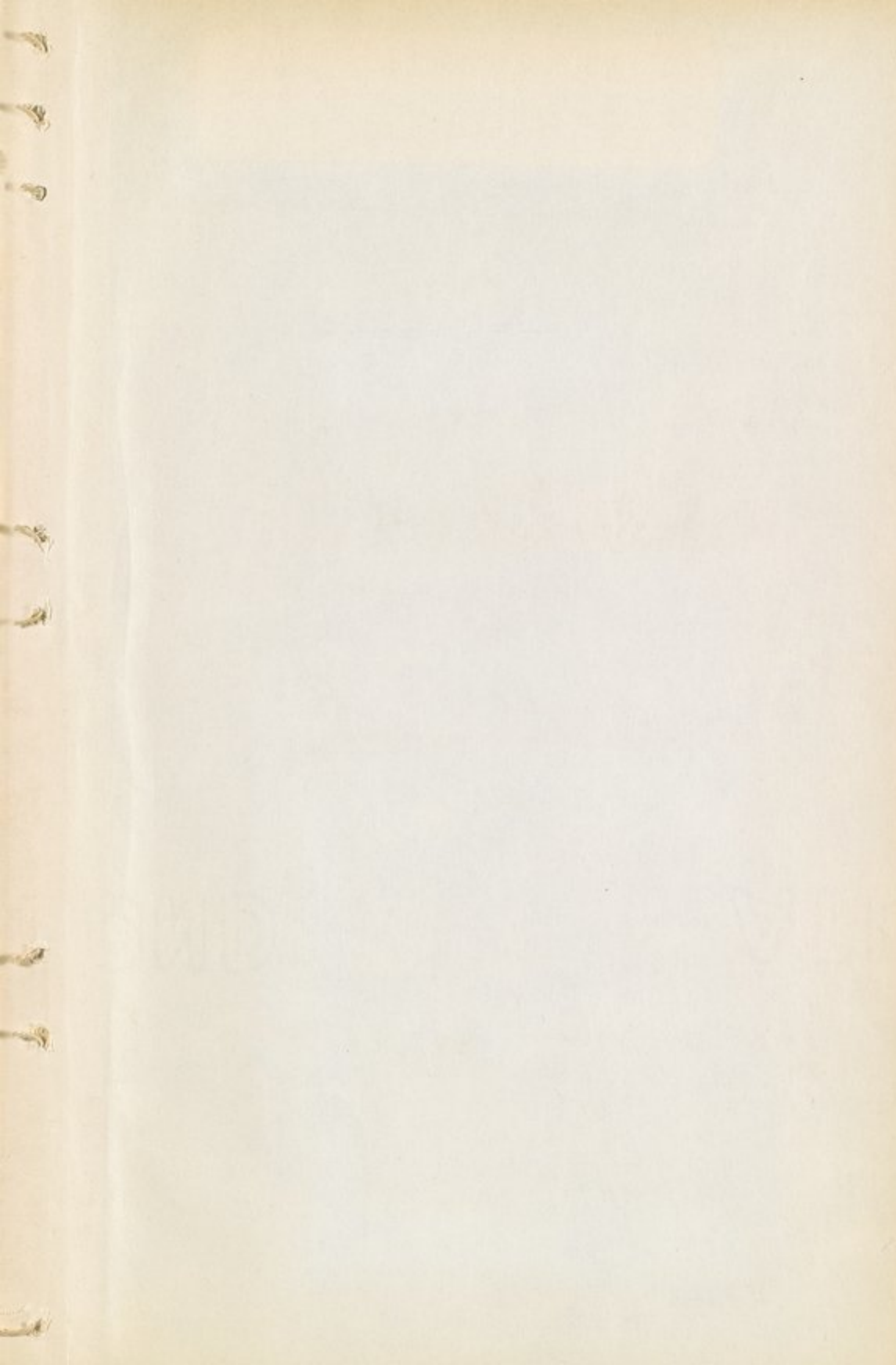
MAY 21 02
DUE JUN 15, 1994

DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE
DEC 5 1983	JAN 2 1988	8002 ST NPP
NOV 17 1986	DEC 15 1977	JUN 15 2000
XXXXXXXXXXXX DUE JUN 9 1986		
JUN 15 2009		
DUE JUN 15 1992		
		JUN 15 2000

PRINCETON UNIV



a32101 002092854b



الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الاقصى



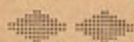
الدولة السعدية

الجزء الخامس



تمحيق وتعليق ولدى المؤلف :

الاستاذ جعفر الناصري — والاستاذ محمد الناصري



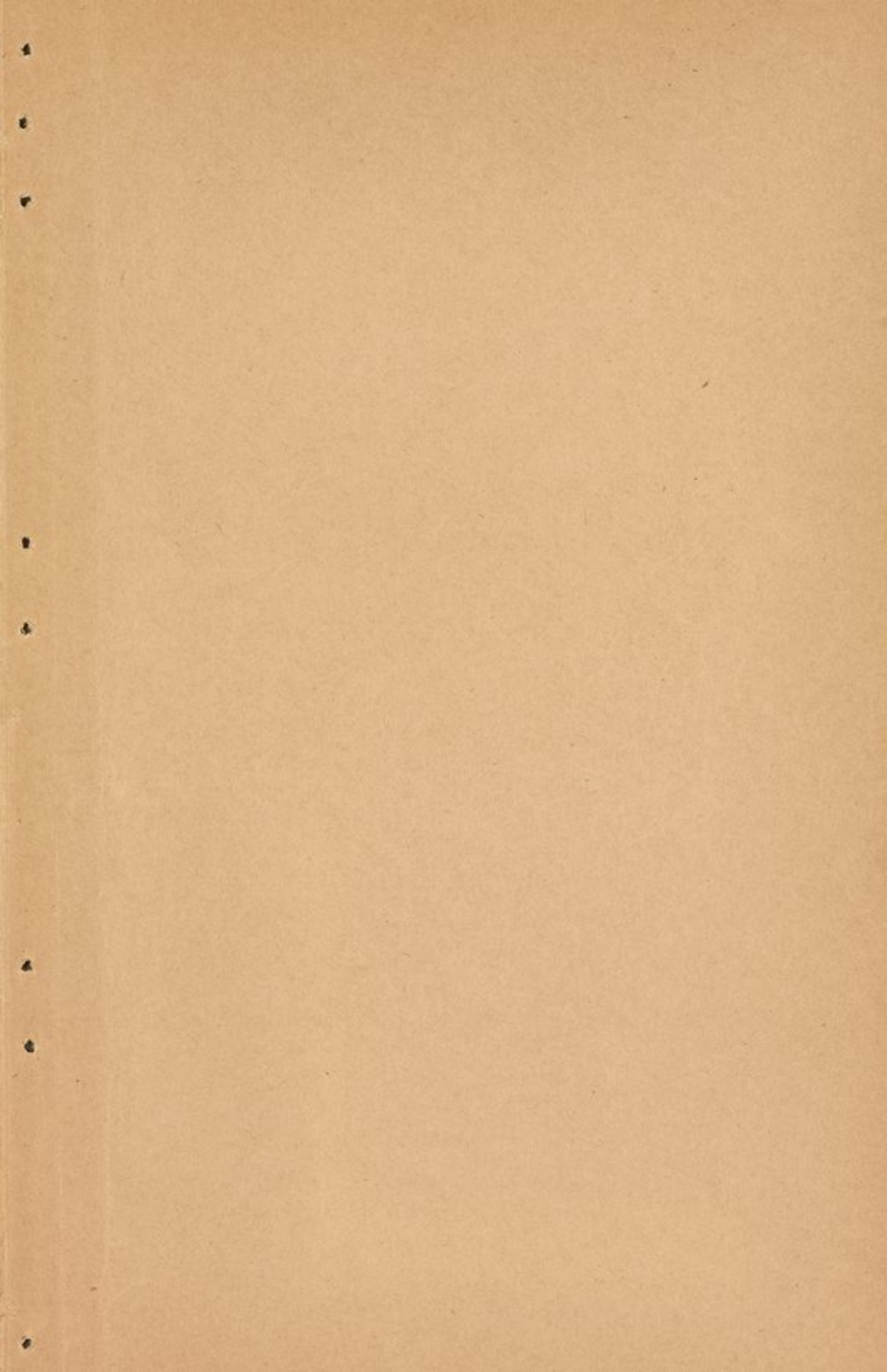
حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف



دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٥



الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري

al-Istiqṣā

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الأقصى



الدولة السعيدية

الجزء الخامس



تحقيق وتعليق ولدى المؤلف صاحب السادة :
الاستاذ جعفر الناصري — والاستاذ محمد الناصري



حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المفتي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الدولة السعدية

الخبر عن دولة الاشراف السعديين من آل زيدان
وذكر اوليتهم وتحقيق نسبهم

اعلم أن هؤلاء السعديين كانوا يقولون : ان أصل سلفهم من ينبع النخل ،
من أرض الحجاز ، وانهم أشراف من ولد محمد : النفس الزكية رضى الله
عنه ، واليه كانوا يرفعون نسبهم ويقولون فى أول ملوكهم القائم بأمر الله
مثلا : هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن على بن مخلوف بن زيدان بن
أحمد بن محمد بن أبى القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبى
محمد بن عرفة بن الحسن بن أبى بكر بن على بن حسن بن أحمد بن اسمعيل
ابن قاسم بن محمد النفس الزكية ابن عبد الله الكامل بن حسن المتنى
ابن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فهم بنوعم السادة
العلويين أشراف سبيلهم ، يجتمعون معهم فى محمد بن أبى القاسم المذكور
فى النسب .

قالوا : والسبب فى قدوم سلفهم من الحجاز الى المغرب ، أن أهل درعة
كانت لا تصلح ثمارهم وتعثرها العاهات كثيرا ، فقبل لهم : لو أتيتم بشريف
الى بلادكم كما أتى أهل سبيلهم لصلحت ثماركم كما صلحت ثمارهم ،
وقد كان أهل سبيلهم جاءوا بالمولى الحسن بن قاسم بن محمد بن أبى القاسم
من أرض ينبع فى قصة ظريفة تأتى فى محلها ان شاء الله ، قالوا : فأتى أهل
درعة بالمولى زيدان بن أحمد ، مضاهاة لأهل سبيلهم ، فعادت عليهم بركة .
واعلم أن هذا النسب الشريف المسرود آنفا فيه - كما قال اليفرنى - بتر بين

2272

7017

349

قاسم ومحمد النفس الزكية فانه لا يعرف في أولاد النفس الزكية من اسمه قاسم ، وانما هو قاسم بن محمد بن عبد الله الاشتر بن محمد النفس الزكية ، ولعله سقط عن ذهنه من النسخ . وقيل الصواب انه قاسم بن حسن بن محمد ابن عبد الله الاشتر بن محمد النفس الزكية .

واعلم أيضا أن ما زعمه هؤلاء السعديون من انتسابهم لهذا البيت الكريم هو المعروف عند الكافة وتلقاه فضلاء عصرهم بالقبول وأثبتوه في تقريرياتهم ومؤلفاتهم الموضوعية في أخبارهم . ومن الناس من يطعن في ذلك ، ونقله بعضهم عن الشيخ أبي العباس المقرئ صاحب « نفح الطيب » وانه صحح أنهم من بني سعد بن بكر بن هوازن الذين منهم حليلة السعدية ، ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا النقل ضعيف لان الشيخ المقرئ صرح في نفح الطيب بشرف هؤلاء السادة في غير موضع وهو من آخر ما ألف .

وممن طعن في نسبهم المولى محمد (فتح) بن الشريف السجلماسي أول ملوك السادة العلويين ، صرح بذلك في بعض الرسائل التي كانت تدور بينه وبين الشيخ ابن زيدان منهم قال فيها: « وقد اعتمدنا في ذلك ، يعني في عدم شرفهم ، على ما نقله الثقات المؤرخون لأخبار الناس من علماء مراكش وتلمسان وفاس ، ولقد أمعن الكل التأمل بالذكر والفكر فما وجدوكم الا من بني سعد بن بكر » اهـ .

ويحكى شائعا عن الفقيه الورع المولى أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر السجلماسي - وكان من أهلصلاح والدين - أنه كان ذات يوم جالسا مع المنصور السعدى في بعض قصوره من حضرة مراكش ، وهما مجتمعان على خوان طعام ، فقال المنصور للشيخ أبي محمد : « أين اجتمعنا يا فقيه؟ » يعنى في النسب ، فقال أبو محمد : « على هذا الخوان » ويروى : « في هذا المشور » فأسرها المنصور في نفسه ولم يدها له إلى أن احتال عليه بما كان السبب في اتلاف مهجته ، فكان المنصور بعد ذلك يدعو الشيخ أبا محمد فيجلسه على الرخام في زمان كلب البرد وهيجانه من غير حائل ، وقد اتخذ المنصور ، فيما زعموا ، لبد صوف داخل سراويله لا يحس معها بالبرد ، فاذا رآه أبو محمد

جالسا معه تجلد واستحيى أن يقوم عن السلطان ويتركه ، ويستمران على المذاكرة في مسائل العلم ، فعل ذلك به أياما حتى سكتته علة البرد فلم يزل أبو محمد يشتكى من ذلك الى أن قضت عليه .

وأنكر هذا صاحب « نشر المثنى » ورده بتأخر وفاة ابن طاهر عن وفاة المنصور بأكثر من ثلاثين سنة .

وجواب أبي محمد هذا من النوع البيانى المسمى : « بتلقى المخاطب بغير ما يترقب » على ما هو معروف فى كتب الفن ، وانما سأله المنصور لما مر من أن السعديين يزعمون أن جدهم قدم من ينبع أيضا كما قدم جد العلويين ، والعلويون ينكرون ذلك كل الانكار ويقولون: انهم لم يجتمعوا معهم فى قبيل ولا دير .

قال اليفرنى: « لكن صحح لنا غير واحد من أشياخنا أن الشيخ ابن طاهر رجع عن ذلك الانكار ، وان المنصور أطلعه بعد ذلك على ظهير فيه خط الامام ابن عرفة وشيخه ابن عبد السلام بثبوت نسبهم فاطمأنت نفس ابن طاهر لذلك فكان يصرح بصحة نسبهم بعد ذلك ويزجر من يظعن فيه اه .

قلت : وهذا هو الصواب إذ مستند من يظعن فى نسبهم عدم وضوحه ، ولا يلزم من عدم وضوحه عدم ثبوته فى نفس الامر ، والا فيبعد أن يكون هؤلاء المنكرون قد اطلعوا على احوال عمود نسبهم وما اشتمل عليه من الآباء والاجداد من لدن مبدئه الى منتهاه مع طول المدة وتناسخ الاجيال ، فالتقير عن ذلك عسير جدا ، ولذا وكل الشارع أمر الانساب الى أهلها ، وجعلهم مصدقين فيها ، اذ لا تعرف غالبا الا من قبلهم . فهؤلاء السادة الزيدانيون لو فرضا أنهم ما كانوا ملوكا ولا بلغوا من الشهرة الى حيث بلغوا ثم ادعوا هذا النسب الكريم فلا سبيل لاحد أن يدفعهم عنه الا بقاطع ، ولا قاطع كما علمت . نعم الحكاية المسوقة فى سبب دخولهم الى المغرب يظهر عليها أثر الصنعة والله أعلم بحقائق الامور .

وأما تسميتهم بالسعديين فقد قال اليفرنى : « ان هذه النسبة لم تكن لهم فى القديم ، ولا وقعت بها تحليلتهم فى ظواهرهم ولا فى سجلاتهم وصدور

رسائلهم بل كانوا لا يقبلون ذلك ولا يجترؤا أحد على مواجهتهم به ، لانه
انما يصفهم بذلك من يقدح في نسبهم ويطعن في شرفهم ويزعم أنهم من بني
سعد بن بكر كما قلنا ، وكثير من العامة واخوانهم من الطلبة يعتقدون أنهم
انما سمو بذلك لان الناس سعدوا بهم ونحو ذلك مما لا معنى له « اه .
قلت : وانما نصفهم نحن بذلك لانهم اشتهروا عند الخاصة والعامة به
فصار كالعلم الصرف المرتجل مع أنه لا محذور بعد تحقيق النسب وثبوت
الشرف ، والله تعالى يلهمنا الصواب بمنه وفضله .

الخبر عن دولة الامير ابي عبد الله محمد القائم بأمر الله وبيعته والسبب فيها



قال ابن القاضي في «درة السلوك» : « لم يزل أسلاف السعديين مقيمين
بدرعة الى أن نشأ منهم أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله فنشأ على عفاف
وصلاح ، وحج البيت الحرام ، وكان مجاب الدعوة ، ولقى جماعة من العلماء
الاعلام والصلحاء العظام في وفادته على الحرمين الشريقتين ، أخبرني بعض
الفضلاء أنه لقي رجلا صالحا بالمدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام
فأشار له بما يكون منه ومن ولديه ، وكان قد رأى رؤيا وهي : أن أسدين
خرجا من احليله فتبعهما الناس الى أن دخلا صومعة ووقف هو ببابها ،
فعبرت له رؤياه بأنه سيكون نولديه شأن ، وانهما يملكان الناس . ثم رجع الى
المغرب وهو معلن بالدعوة ، فيقول في كل محفل : ان ولديه سيملكان المغرب
وسكون لهما شأن من غير تردد منه ، ثقة بخبر الرجل الصالح وبرؤياه
المذكورة ، فما زال الى أن قام سنة خمس عشرة وتسعمائة « اه .

وقال صاحب «زهرة الشماريخ» ما صورته : «ان سبب قيام أبي عبد الله القائم
أن أهل السوس أحاط بهم العدو الكافر ونزل بجوانبهم من كل جهة حتى
أظلم الجوّ ، واستحكمت شوكة البرتقال ، وبقي المسلمون في أمر مريب

لعدم أميرتجتمع عليه كلمة الاسلام ، لان بنى وطاس فشلت ريحهم يومئذ
 فى بلاد السوس ، وانما كان لهم الملك فى حواضر المغرب ، ولم يكن لهم منه
 بالسوس الا الاسم ، مع ما كانوا فيه من قتال العدو بطنجة وآصيلا وحجر
 بادس وغيرها من ثغور بلاد الهبط ، فلما رأى قبائل السوس ما دهمهم من
 تفاقم الاحوال وكثرة الاهوال وطمع العدو فى بلادهم ذهبوا الى الشيخ
 الصالح أبى عبد الله محمد بن مبارك الاقاوى نسبة الى آفة من بلاد السوس ،
 فذكروا له ما هم فيه من افتراق الكلمة وانتشار الجماعة وكلب العدو على
 مباركتهم بالقتال ومراوحتهم ، وطلبوا منه أن يعقدوا له البيعة وتجتمع كلمتهم
 عليه فامتنع من ذلك ، وقال : « ان رجلا من الاشراف بتاجمدرت (*) من درعة يقول :
 انه سيكون له ولولديه شأن ، فلو بعثتم اليه وبايعتموه كان أنسب بكم وأليق
 بمقصودكم » فبعثوا اليه وكان من أمره ما كان .

وقال اليفرنى : « رأيت بخط الفقيه العلامة أبى زيد عبد الرحمن ابن شيخ
 الجماعة أبى محمد عبد القادر الفاسى ما صورته : ذكر لنا الوالد عن سيدى
 أحمد بن على السوسى البوسعيدى ان ابتداء دولة الشرفاء بالسوس أن بعض السادة
 وهو سيدى بركات توسط فى فداء بعض الاسارى ، وأراد أن يكون مع النصارى
 اتفاق على أن لا يجسوا أسيرا ، فكلهم فى ذلك ، فقالوا له حتى يكون لكم
 أمير ، فان ملككم قد ذهب واضمحل . قال : ثم ان بعض أهل السوس
 ساروا الى قبيلة جسيمة (*) يكتالون الطعام فأخذتهم جسيمة وأكلوا متاعهم
 وبضاعتهم ، فذهبوا الى شيخهم ، وكان ذا حزم وتدبير ، فرد عليهم كل ما
 ضاع لهم حتى لم يبق لهم شيء . فلما رجعوا الى بلادهم قالوا : ان هذا الشيخ
 الرئيس هو الذى يلىق أن نبايعه ، فاجتمعوا وأتوه وطلبوا منه أن يرأسهم
 فامتنع ، واحتاط لدينه واعتذر بتشويش هذا الامر للدين ، ودلهم على رجل
 شريف كان مؤذنا بدرعة فقال لهم : ان كان ولا بد ، فاقصدوا الشريف

(*) تاجمدرت من أعمال فزواطة بوادى درعة قاعدتها الان هى أمزرو وتحتوى

على زاكورا وزاوية البركة وسرت وغيرها اه

(*) قبيلة من ناحية اكادير من جهة الجنوب على شاطئ البحر

الفلاني فإنه يذكر أن ولديه يملكان المغرب « فقصده » وحملوه الى بلادهم
وباعوه وفرضوا له من المؤنة ما يكفيه وأولاده ، وبقي هنالك في نحر العدو
ويروى أنه لما بايعه أهل السوس ورأى قلة ما بيده مع أن الملك لا يقوم الا
بالمال ، احتال بان أمر أهل السوس أن يأتوه ببيضة لكل كانون ، فاجتمع له
من ذلك آلاف من البيض لاتحصى ، لان الناس استهونوا أمر البيضة . فلما
اجتمع عنده البيض أمر أن كل من أتى ببيضة يأتي بدلها بدرهم ففعلوا ،
فاجتمع له من ذلك مال وافر ، فأصلح به شأنه وقوى به جيشه ، وكانت تلك أول
ناتبة فرضت في دولة السعديين والله أعلم .

وقال ابن القاضي : « ان الامير أبا عبد الله القائم لما اجتمع بالشيخ ابن
مبارك ببلده آفة وذلك سنة خمس عشرة وتسعمائة على ما مر فإوضه في شأنه ،
ثم عاد الى مقره من درعة ، ثم في سنة ست عشرة بعدها بعث اليه فقههاء
المصامدة وشيوخ القبائل ، ودعوه الى توليته عليهم وتسليم الامر اليه ، فلبس
دعوتهم ، وجاء الى قرية يقال لها تيدسي (*) قرب تارودانت . فبايعه الناس بها ،
وأصبحوا معه بقلوب متفقة وأهواء على « الجهاد مجتمعة » اه .
وقد ساق منويل أولية هذه الدولة مساقا غربيا ، ولا يخلو عن فائدة ،
فلنذكر منه ما يقرب الى الصحة ، ويكون كالشرح لما مضى أو يأتي من أخبار
هذه الدولة ، قال :

« لما كان السلطان أبو عبد الله الوطاسي ، يعني البرتقالى ، أميرا بفاس
ظهر في درعة رجل شريف يعنى أبا عبد الله محمدا القائم بأمر الله ، قال :
وكان هذا الشريف من قراء القرآن ، ومن أهل العلم والدين والفقر والخمول
(*) اسم لموضعين أحدهما بدرعة قرب تاكمدارت المتقدمة الذكر التى منها اصل
السعديين ولعلها كانت مقرا لهم فيما سبق قبل الملك كما يفهم عن رسالت وجهها محمد
الشيخ بن زيدان الى مولاي محمد بن الشريف السجلماسى العلوى تضمنت ما نصه : « وانا
من تيدسى احد القصور بوادي درعة الخ » وقربها من تاكمدارت يؤكد ذلك وتيدسى
الآخرى توجد بالقطر السوسى قرب تارودانت ولا زال الموضعان يعرفان معا بهذا
الاسم الى يومنا هذا والله التوفيق هـ

ولم يكن من بيت الرئاسة ، وكان له اطلاع على توارىخ قطره وعوائد جيله وأخلاقهم وخطائهم ، ورأى ما وصل اليه ملك المغرب من الانحطاط والضعف وتيقن أنه لا يصعب عليه تناوله ، فأعمل في ذلك فكره ومكره ، وصار يحض الناس على القيام بأمور دينهم والامتناع لها ، وكان قد بعث ثلاثة من أولاده ، وهم : عبد الكبير ، وأحمد ، ومحمد الى الحجاز بقصد الحج ، وكانت لهم فصاحة ورجاحة ومعرفة بادارة الكلام ، فظهر لهم ناموس في تلك البلاد ، وأحبهم الناس لا سيما أحمد ومحمد ، ولما رجعا من مكة أقاما بفاس ، وهي يومئذ دار الملك ، وترتب أحمد في مجلس بالقرويين لتدريس العلم ، فاكسب بذلك جاها ، وتقرب محمد الى السلطان حتى صار مؤدبا لأولاده ، وبقي على ذلك مدة ، وهما في ذلك كله يتحبان الى الناس ويسعيان في مذاهب الشهرة ، والبرتقال في أثناء ذلك ملح على الثغور واستلابها من أهلها ، ولم تكن تقوم للمسلمين معه راية ، فدعا ذلك الاخوين أحمد ومحمد الى أن ندبا السلطان ، وهو أبو عبد الله البرتقالى ، الى المناداة في الناس بالجهاد اظهارا للنصح ، وهما يسران حسوا في ارتقاء ، وقصدهما تفرقة الكلمة على السلطان لا غير فاعتق السلطان بنصحهما وقال لهما : « لا أحد أولى منكما بالقيام بهذه الوظيفة » فأجاباه الى ذلك عن توفر داعية وكمال رغبة ، فأرسلهما يناديان ويستغفران الناس في نواحي المغرب الى الجهاد ويحضان الناس عليه ، ويخطبان بذلك في المحافل ، ويعظان وتتبع الحواضر والوادي ، وتقرب الاحياء والمداشر والقرى ، الى أن وصلا الى درعة حيث أبوهما وأخوهما عبد الكبير فاجتمعا بهما وذاكرهما في أمرهما ، وانهما قد أشرفا على المراد ، وكادا يلجان الملك من بابه ، لان أهل تلك البلاد كانوا سامعين لهم من قبل اليوم فكيف بهم اليوم ، فحينئذ أخذ الاب وأولاده في نشر معائب الدولة للعامة ، ويقررون ذلك بفصاحتهم ووجهاتهم ، وما أوتوه من القبول ، وعضدهم على ذلك شيوخ البلد وتبعهم الناس ، واجتمعوا عليهم من كل جهة ، وصار حالهم ينمو شيئا فشيئا الى أن استبدوا على السلطان ولم يرجعوا اليه بعد .

وقال في «نشر المثاني» : « كان السبب في قيام الشرفاء الزيدانيين واستبدادهم

بملك المغرب أن الحرب نشبت بين النصارى وأهل السوس ودامت ، وكان بنو وطاس يمدون أهل السوس بالمال والعدد . فاتفق أن خرج الشريفان محمد الشيخ وأخوه أحمد الأعرج للجهاد مع أهل السوس فظهر مكانهما في الجهاد ، فلما وفدا على الوطاسي تلقاهما بالرحب ، وأقبل عليهما لاجل قيامهما بالجهاد ، وأعطاهما عدة وخيولا كثيرة ، فرجعا إلى جهادهما ، ثم عادا إليه مرة أخرى فأعطاهما مثل ذلك وكانت لهما وقائع في النصارى ونكاية وظهور ، وصارا يكتبان إلى القبائل فيساعدونهما على ذلك حتى اجتمعت عليهم جموع عديدة ، فحينئذ خلعا طاعة الوطاسي ودعوا لأنفسهما ، اه .

قال منويل : وكان أكثر شهرة أمرهم بالسوس الأقصى ودرعنة وأعمالهما ، وصاروا يرفعون اليهم زكواتهم وأعشارهم ، ثم بايعوهم ونهض هؤلاء الاشراف إلى تارودانت فاستولوا عليها وحصنها ، ثم زحفوا إلى أكادير لحرب البرتقال فقاتلوه مدة ولم يفتح لهم ، وكانوا يشيعون انهم لا قصد لهم الا في الجهاد ومحاربة عدو الدين ، ومن هو سلم له من المسلمين اذ لم يأت بهم اذ ذاك التصريح بخلع السلطان .

وفي سنة اثنين وعشرين وتسعمائة تجاوزوا جبل درن إلى بلاد حاحة والشيظمة ، ثم دخلوا بسيط عبدة ، وكان بأسفى رجل متنصر أسماه يحيى ابن تافوت (*) ، احتفى بالبرتقال من السلطان ، وكان معروفا بالشجاعة واتصل خبره بطاغية البرتقال منويل فولاه على النصارى وعلى أتباعه من المسلمين تأليفا له .

ولما زحف الاشراف إلى بلاد عبدة كان بينهم وبين يحيى المذكور ونصاراهم معركتان شديدتان ، كان الظهور فيهما ليحيى ، لكن أبو العباس أحمد الأعرج تدارك أمره فورا وجمع عسكرا آخر وخطبهم ووعظهم وزحف إلى يحيى المذكور ففضه وفض نصراه إلى أن انجسروا بأسفى وأغلقوه عليهم وأتيح لأحمد عليهم ما لم يتقدم لغيره فيهم فبذلك تأنى له أن يتناول ملك المغرب . ولما اتصل خبر هذا الظهور له بالسلطان الوطاسي لم يعجبه ذلك ، وظهر

(*) صوابه تمففت كما رأيته مكتوبا في إحدى رسائله المطبوعة بأصول التاريخ المغربى .

له ان ما كان أحمد وأخوه يحاولانه من أمر الجهاد لم يكن ظاهره كباطنه ،
وحقق له ذلك ما فعلوه من تحصين تارودانت مع ما كان لابيهم من نفوذ الكلمة
بالسوس .

وكان في هذا التاريخ بمراكش وأعمالها عامل اسمه ناصر بوشوف
وكان مستبدا على الوطاسي وبذل له شيئا تافها يتقيه به ، ولما مر به هؤلاء
الاشراف في أول أمرهم داعين الى الجهاد أحسن اليهم غاية ، ولما أوقعوا
وقعة آسقى أبرموا أمرهم مع ناصر أبي شتوف وأظهروا له المخبة والموالة ،
وطلبوا منه أن يظهرهم على جهاد العدو وأن يكونوا يدا واحدة وجندا واحدا
عليه فأسعفهم ، وقدموا مراكش فدخلوها مرة ثانية وأحسن اليهم ، وبعد أيام
خرجوا به للصيد فسموه في خبز صغير يسمى : القرشلات فهلك للخن ،
وصفا للاشراف مراكش وأعمالها اذ كان أهلها قد أجوهم وشرهوا اليهم ،
ولما تم لهم أمر درعة والسوس ومراكش تسمى أحمد باسم الامير واستخلف
أخاه محمدا الشيخ .

ولما اتصل الخبر بالوطاسي وانهم استولوا على مراكش . أقلقهم ذلك ،
ومن مكر أحمد انه بعث اليه يقول : ما أنا الا واحد من عمالك ، وما كان
يعطيه أهل هذه البلاد أبذله لك مضاعفا ، ومع ذلك لم يطمئن اليه . ثم هلك
الوطاسي وولى مكانه ابنه أبو العباس أحمد وانقسمت مملكة المغرب ، فصارت
فاس للوطاسي ومراكش وأعمالها لابي العباس الاعرج ، وتارودانت والسوس
ودرعة لمحمد الشيخ ، وأما عبد الكبير فانه كان استشهد قبل هذا في حرب
البرتقال قرب آسفى .

ولما رأى أبو العباس الوطاسي استفحال أمر الاشراف وانهم أمسكوا
عنه ما وعدوا بأدائه لآبيه عزم على حربهم ، فجمع عسكرا عظيما وزحف الى
مراكش فتحصن أحمد الاعرج بها وقدم عليه أخوه فظاهره على عدوه ،
وفي أثناء حصار الوطاسي لمراكش اتصل به الخبر بأن أهل فاس قد قاموا
عليه وبايعوا بعض اخوته فرجع الى فاس وقبض على أخيه التائر عليه ثم كرا الى
مراكش بعسكر أعظم من الاول ، وفي هذه المرة برز اليه الاشراف خارج

ابلد ، ثم تقدموا اليه فكان اللقاء على أبى عقبة من تادلا ، ووقعت بينهم حرب هائلة ، لان الوطاسيين كانوا يرون أن هذه الحرب هي الفصيل بينهم وبين عدوهم والاشراف كذلك . وحضر هذا الحرب أبو عبد الله ابن الاحمر سلطان الاندلس المخلوع وأبلى بلاء حسنا حتى قتل ، وكان الظهور للاشراف : رجع انوطاسى مفلولا الى فاس وترك محله بما فيها من مدافع وغيرها بيد عدوه ، وبعد هذه الوقعة استولى الاشراف على تافيلالت ، وملكوا آكاديير وآسفى وآزمور ، لان البرتقال كانوا قد تخلوا عنها ، ثم عن قريب حدث بين الاخوين النفرة وحاول رجال دولتهما الوفاق بينهما فلم يتفقا ، وكانت الكرة على أحمد ، وفر ابنه زيدان الذى كان عضد أبيه فى الحروب الى تافيلالت فاستولى عليها ، واقطعها عن عمه محمد الشيخ . ثم زحف الشيخ الى فاس فحاصرها الى أن قبض على الوطاسيين وغربهم الى درعة ، اه كلام منويل . ثم نرجع الى سياقة الخبر عن هذه الدولة حسبما عند اليفرنى وغيره .



اخبار الامير ابى عبد الله القائم فى الجهاد وما هيا الله له من النصر فيه



لما استتب أمر الامير أبى عبد الله القائم واجتمعت كلمة القبائل السوسية عليه ندب الناس الى مقارعة البرتقال وجهاده ، ونفيه عن ثغور المغرب وبلاده ، وكانت معه يومئذ جموع حافلة من المسلمين فصمدوا معه الى النصرى وناوشوهم الحرب ، فأتاح الله للامير أبى عبد الله الفتح والنصر ، ونثر أشلاء الكفار بمخالب الظفر ، وأخرج حية الغى من جحرها ، وأعاد كلمة الاسلام الى مقرها ، فلما رأى المسلمون ذلك تيمنوا بطلعه وتفاءلوا بطائرهم الميمون ونقيته ، وزادهم ذلك محبة فى جانبه وتعظيما فى مكانته ، ولما فصل من جهاده عاد الى محله المذكور من تيدسى ، فوقع بينه وبين بعض الرؤساء هنالك منافرة أدت الى ارتحاله عنها وعوده الى درعة ، فلم يزل مقيما بها الى سنة ثمان عشرة وتسعمائة فرجع الى مكانه من تيدسى ، واطمأنت به دارها

وأزال الله عنه ما كان أزعجه عنها ، والله غالب على أمره .

عقد الامير أبى عبد الله القائم ولاية العهد لابنه أبى العباس الاعرج
رحمهم الله تعالى

قد تقدم لنا ما كان من أمر الرؤيا التى رآها الامير أبو عبد الله القائم فى شأن ولديه وانهما يملكان المغرب . وفى معنى ذلك أيضا ما يحكى شائعا أن ولدى أبى عبد الله المذكور ، وهما أبو العباس الاعرج وأبو عبد الله الشيخ كانا يقرآن فى مكتب ، وهما صبيان ، فدخل ديك فوثب على رأس كل منهما وصرخ ، فأول ذلك مؤديهما بانهما سيكون لهما شأن . فمن أجل هذا ونحوه كان والدهما يعلن بان أمر المغرب صائر اليهما ، فلما قضى الله ببيعته واجتماع الناس عليه واطمأنت به فى البلاد السوسية الدار ، وطاب له بها المقام والقرار ، ندب الناس الى بيعة أكبر ولديه وهو الامير أبو العباس أحمد المعروف بالاعرج فبايعوه ، وكان ذلك مبدأ ظهور أمره على ما تذكره ان شاء الله تعالى .

انتقال الامير ابى عبد الله القائم الى افعال من بلاد حاحة

وفاته بها رحمه الله

ثم ان أبا عبد الله القائم وفد عليه أشياخ حاحة والشياطمة لما بلغهم من حسن سيرته ونصرة لوائه فشكوا اليه أمر البرتقال ببلادهم وشدة شوكة واستطالته عليهم ، وطلبوا منه أن ينتقل اليهم هو وولده الى العهد المذكور ، فأجابهم الى ذلك ونهض معهم هو وابنه أبو العباس الى الموضع المعروف بأفعال من بلاد حاحة ، وترك ولده الأصغر أبا عبد الله الشيخ بالسوس يرتب الامور

ويمهد المملكة ، ويباكر العدو بالقتال . ويرأو حه واستمر الأمير أبو عبد الله القائم بمكانه من أفعال مسموع الكلمة متبوع العقب الى أن توفي به سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ، ودفن هناك بازاء ضريح الشيخ أبي عبد الله محمد ابن سليمان الجزولي رضى الله عنه الى أن نقل الى مراکش بنقل الشيخ المذكور على ما ياتى ان شاء الله .

الخبر عن دولة السلطان أبي العباس احمد الاعرج

ابن الأمير أبي عبد الله القائم رحمه الله

كانت ولادة السلطان أبي العباس الاعرج فيما حققه ابن القاضى سنة احدى وتسعين وثمانمائة وبويع بولاية العهد من أبيه سنة ثمان عشرة وتسعمائة كما مر . ولما توفي أبوه فى التاريخ المتقدم اجتمع الناس على بيعته من سائر الاتفاق وآتوه طاعتهم عن رضا منهم واسفاق ، فاستقام أمره وصرف عزمه الى تمهيد البلاد واقتناء الاجناد ، وتعبية الجيوش الى الثغور ، وشن الغارات على العدو فى الاصل والبكور ، فى أحواز تلمست وآسفى وغيرهما . وكان النصارى قد خيموا بشاطئ البحر وعانوا فى تلك السواحل ، فأجلاهم عنها وطهر تلك البقاع من رجسهم ، وأراج أهلها من شؤمهم ونحسهم وفى ذلك يقول البقاع مخلوف بن (*) صالح يمدحه :

فله هذا الهاشمى وفضله * فلولا صال الكفر أعظم صولة

(*) ابن على بن صالح كما فى « نيل الابتهاج » انظر ترجمته فيه وفى « الجدولة » .

دخول السلطان ابي العباس الاء ج مراکش واستيلاؤه عليها

لما كان من ايقاع السلطان أبي العباس بنصاري السوس وانتصاره عليهم ، ذكرناه ، بعد صيته وانتشر في البلاد ذكره ، وأهرع الناس اليه من كل جانب ودخلت في طاعته سائر البلاد السوسية ، فعند ذلك كاتبه أمراء هنتاة ملوك مراکش يخطبون أمره ويرومون الدخول في طاعته ، فاجاب داعيهم وانتقل الى مراکش ، فدخلها في حدود الثلاثين وتسعمائة واستولى عليها وكان من أمره ما نذكره .

نقل الشيخ الجزولي رضى الله عنه من مدفنه بأفغال الى مراکش والسبب في ذلك

قد تقدم لنا في أخبار عمرو السيف أنه كان في ابتداء أمره من أصحاب الشيخ الجزولي هذا وأنه لما توفي الشيخ المذكور جعل جثته في تابوت وصار يستنصر به في حروبه مدة من عشرين سنة أو نحوها ، ثم دفن بعد ذلك بأفغال وتقدم لنا أن الأمير أبا عبد الله القائم لما توفي دفنه ابنه أبو العباس بأزاء هذا الشيخ . ثم لما ملك أبو العباس المذكور مراکش نقل الشيخ الجزولي اليها ، ونقل أباه معه فدفنه بقربه أيضا .

واختلف في سبب ذلك قليل : ان السلطان المذكور خاف أن يثور عليه أحد بتلك البلاد فيستخرج الشيخ من ملجده وينتصر عليه به فنقله الى مراکش ليأمن من ذلك ، وقيل : ان الحامل له على نقله ، انه ذكر له ان تحته كنز فتعلل للنش عنه بانه قصد نقله الى الحضرة تبركا به والله أعلم ، وكان ذلك كله في حدود الثلاثين وتسعمائة .

مجيء السلطان ابي عبد الله الوطاسي (*) الى مراکش

وحصاره للسلطان الاعرج بها ثم اقلعه عنها

لما استولى السلطان أبو العباس الاعرج على مراکش وصفا له أمرها اتصل خبره بصاحب فاس أبي عبد الله الوطاسي ، المعروف بالبرتقالی ، فأقبل فسي جموع عديدة مع وزيره ابن عمه المسعود بن الناصر ، ويقال مع أخيه الناصر فلما رأى السلطان أبو العباس ما لا قبل له به تحصن بمراكش وشحن أسوارها بالرماة والمقاتلة ، وزحف الوطاسي الى الحضرة فنصب الانفاض عليها ووالى الرمي عليها أياما ، واشتد الامر على الناس فكان من ذهابهم الى الشيخ الغزواني وخروجه الى باب الخميس وقوله عند اصابة الرصاصة له انها خاتمة حربهم ما قدمناه في أخبار اللوطاسيين مستوفى . ثم كان اللقاء بعد ذلك بين الفريقين انما يكون في تادلا وأعمالها على ما مر . والله أعلم .

خبر آسفي والثغور

رأيت في تواريخ الفرنج أن البرتقال خرجوا من آسفي سنة ألف (*) وخسمائة وثلاثين مسيحية ، وهذا التاريخ يوافق من سنن الهجرة سنة

(*) الذي حاصر مراكش هو أبو العباس الوطاسي لان اباه ابا عبد الله مات قبل هذا التاريخ على ما عند المؤرخ كمور في تأليفه المعنون : « بتاريخ استيلاء الشرفاء على المغرب » .
(*) قرر البرتقال اخلاء آسفي في السنة التي ذكر المؤلف ووقع خلاف بينهم في ذلك وبقي الامر موقوفا الى سنة ١٥٤١ ميلادية الموافقة لعام ٩٤٨ هـ فتم اخلاؤها حينئذ نهائيا لما افتتح المسلمون حصن فونتي عنوة ولما اخلت امر السلطان ابو العباس الاعرج بحرستها وتحصينها راجع صفحة ٢٧٩ وصفحة ٢٨١ من كتاب تاريخ المغرب تأليف...
كواساك دوشافريير HISTOIRE DU MAROC PAR COISSAC DE CHAVREBIERE

ثلاث وثلاثين وتسعمائة، وهى وسط دولة السلطان أبى العباس . وزعم هذا المؤرخ أنهم خرجوا منها من قبل أنفسهم ، ونقلوا جميع ما كان فيها من عدة وأثاث الى الجديدة بعد ما خربوها وأفسدوها وأوقدوا فيها النار ، قال: وبقيت اثنى عشرة سنة وهى مخربة الى أن أصلحها السلطان محمد الشيخ يعنى السعدى الآتى ذكره .

وفى «النزهة» : ما يقرب من هذا فانه قال بعد ذكر ايقاع السلطان أبى العباس بنصارى السواحل ما نصه : ويقال ان انتصارى لما رأوا ما فعل بمن كان منهم بالسوس من القتل والسبى أخلوا ثغر آزموور ورباط آسفى وأصيلا من غير قتال . ثم نقل هذا الخبر فى محل آخر عن ابن القاضى منسوباً الى أبى عبد الله الشيخ وسيأتى ذكره فى محله . وأظن أن الاخلاء كان متكررا والله أعلم . وعلى كل حال ، فذكر أصيلا هنا غير مناسب اذ هى يومئذ فى جهة الوطاسيين وتخومهم فما بالنصاراها يخرجون فرارامنها خوفا من السعدين وليسوا مجاورين لهم ولا متوقعين هجومهم عليهم ؟ ثم كان بعد هذا بين أبى العباس السعدى ، وأبى العباس الوطاسى من الحرب والسلم ما تقدم بيانه ، كوقعة أنماى ، ووقعة أبى عقبة وغيرهما مما لا فائدة فى اعادته .



حدوث النفرة بين الاخوين السلطان ابى العباس الاعرج

وزير لا ابى عبد الله الشيخ وماثنا عن ذلك



كان السلطان أبو العباس رحمه الله من الشهامة والصرامة واستفحال الامر بالمحل الذى وصفناه قبل ، وكان أخوه أبو عبد الله الشيخ أصغر سنا منه وكان تحت طاعته وإقفا عند اشارته ، وكان السلطان أبو العباس يستشيرهم فى أموره ، ويفاوضه فى مهماته ، ويستعين بنجدته فى الزخوف والمعارك ، ويستضىء برأيه فى الحوادث الحوالك ، وكان الشيخ ثاقب الذهن نافذ البصيرة مصيب الرأى حازما شهما ، فكانت كلمتهما واحدة ، وأمرهما جميعا ، (الاستقصا . خامس - 2)

الى أن دخل الوشاة بينهما فافسدوا قلوبهما وأفضى الحال الى المصافة والمقاتلة، وانقسم الجند حزبين، وانصرفت كل طائفة الى متبوعها وصاحب أمرها، وتقاتلا مدة، وكانت جل القبائل السوسية صاغية الى الشيخ لما كان نشأ بين أظهرهم وسبروه من نجابته وكفايته منذ تركه أبوه عندهم عند انتقاله الى آفغال حسبما مر، فاستفحل أمره وغلب على أخيه أبي العباس فقبض عليه واستولى على ما بيده واجتمعت كلمة أهل السوس عليه، ثم أودع أخاه وأولاده السجن ووسع عليهم في الجرايات والنفقات، وأصبح ملكا مستقلا بعد أن كان وزيرا، وكان ذلك سنة ست وأربعين وتسعمائة.

وفي «نشر المثاني»: أن قبض الشيخ على أخيه أبي العباس الاعرج كان سنة احدى وخمسين وتسعمائة والاول أصبح. ولم يزل السلطان أبو العباس وأولاده في حكم التقاف الى أن قتل (*) يوم مقتل أخيه الشيخ بعد ثمان عشرة سنة أو نحوها حسبما يأتي ان شاء الله. وكانت دولته من يوم بوبع الى أن قبض عليه أخوه ثلاثا وعشرين سنة، وكان من حجابيه: محمد بن علي الانكراطي اليملاي، ومحمد بن أبي زيد المنزاري، ومن كتابه: سعيد بن علي الحامدي رحمهم الله.



امر زيدان ابن السلطان ابي العباس وما كان منه



قال صاحب «درة الحجال»: اختلف الناس هل بوبع لزيدان بن الاعرج بعد وفاة أبيه أم لا وقال شارح «زهرة الشماريخ»: كان زيدان بن أبي العباس بسجلماسة وبوبع له بها فلم يتم أمره وقى الى أن توفي سنة ستين وتسعمائة.



(*) بل بعد قتل أخيه بثلاثة ايام لما وصل الخبر بذلك لمراكش.

الخبر عن دولة السلطان ابي عبد الله محمد المهدي المعروف بالشيخ
ابن الامير ابي عبد الله القائم بامر الله

كانت ولادة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ سنة ست وتسعين
وثمانمائة، ويلقب بالشيخ وبآمغار، وهو الشيخ بالبربرية، ويلقب من الألقاب
السلطانية: بالمهدي. لقبه به غير واحد من أئمة عصره، ونشأ في عفاف وصيانة،
وعنى بالعلم في صغره، وتعلق بأهله، فاخذ عن جماعة من الشيوخ، وبلغ
فيه إلى درجة الرسوخ.

فتح حصن فوتي وآسفي وآزمور وما قيل في ذلك

لما استقل السلطان أبو عبد الله الشيخ بأمر السوس واجتمعت كلمته
عليه صرف عزمه إلى جهاد العدو الذي بشغوره وحصونه، وأرهف حده
لتطهيرها من بقايا شغبه وزبونه، فانتصر عليهم واستأصل شأفتهم وقطع من تلك
النواحي دابرهم وحسم آفتهم.

قال ابن القاضي: «كان الشيخ رحمه الله ماضى الغزيمة قوى الشكيمة
عظيم الهبة، كثير الغزوات ذا همّة عالية وشهامة غالية، فعد قواعد الملك وأسس
مبانيه، وأحيى مراسم الخلافة الدارسة ومعالمها الطامسة، وكان له سعد وبخت
عظيم في الجهاد ويد بيضاء في الإسلام، فتح حصن النصارى بالسوس يعني:
حصن فوتي، بعد أن أقاموا فيه اثنتين وسبعين سنة، وكان منصورا بالرعب حتى
تركوا له آسفي وآزمور وآصلا من غير قتال ولا إيجاف عليهم» اهـ. ونحوه
في تاريخ البرتقالين، زاد مؤرخهم أن ذلك كان باذن طاغيتهم صاحب أشبونة
وقد تقدم نحو هذا في أخبار الاعرج والجواب عنه، وكان فتح فوتي سنة
سبع وأربعين وتسعمائة كما في النزهة، وفتح آسفي سنة ثمان وأربعين

بعدها كما فى المرأة ، وعند البرتغاليين أن ذلك كان سنة ألف وخمسمائة واثنين وأربعين مسيحية وهو موافق لهذا التاريخ الهجرى .
وفى «الدوحة»(*) «لما أخلى النصارى آزمو ر تسارع إليها جماعة من الفقراء منهم الشيخ أبو محمد عبد الله الكوش دفين جبل العرض من فاس ، والشيخ أبو محمد عبد الله بن ساسى دفين تانسيفت قرب مراکش ، ففقدوا بها يحرسونها حتى يأتى مدد المسلمين ومن يعمرها منهم مخافة أن يرجع إليها العدو فإذا به قد رجع واقتحمها عليهم وأسرهم الى أن افكهم المسلمون .»
قال منويل : « كان فداؤهما بالفى ريال ومائتى ريال بالتبعية فيهما » ، ولما أفتدى الشيخ الكوش وعزم على الخروج ، وكان أسيرا عند امرأة نصرانية ، ناولته كبا للمسلمين وقالت له : « هذه كتب كانت عندي ولا حاجة لى بها فخذها اليك » ، فأخذها وخرج بها فى قفة على رأسه فكان من جملتها .
كتاب «تبيين الانام» الموضوع فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فكان ذلك أول دخوله لهذه البلاد على يد الشيخ المذكور ، اه .

بناء حصن آكادير

قال الشيخ أبو العباس ابن القاضى « فى كتابه : «المنتقى المقصور» : كانت للامير السلطان أبى عبد الله الشيخ مآثر حسنة منها أنه أول من اختط مرسى آكادير بالسوس الاقصى سنة سبع وأربعين وتسعمائة لما أجلى النصارى من الموضع المعروف بفوتتى على مقربة من آكادير المذكور وكان له فى اختطاطه رأى مصيب وفراصة تامة » اه .

استيلاء السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ على مراكش وتجديد البيعة له بها



كان السلطان أبو عبد الله الشيخ بعد القبض على أخيه واستقلاله بالامر قد أقام بالبلاد السوسية مثابرا على جهاد العدو الى أن قلع عروق مفسدته منها، وكانت مراكش في هذه المدة قد توقفت عن بيعته وتربصت عن الدخول في دعوته، اتقاء للوطاسيين وارتياء في أمره الى ماذا يأول، واستمر الحال الى سنة احدى وخمسين وتسعمائة فانقادت له حينئذ وبايعه أهلها فقدمها واستولى عليها وخلص له جميع ما كان بيد أخيه المخلوع من تادلا الى وادي نول. والله غالب على أمره.



نهوض السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ لحرب بنى وطاس واستيلاؤها على مكناسة وما اتفق له في ذلك



لما استولى السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ على مراكش وصفت له أعمالها طمحت نفسه للاستيلاء على بقية بلاد المغرب وأمصاره. وقطع جرنومة الوطاسيين من سائر أقطاره. فجمع الجموع وتقدم بها الى أعمال فاس فلم يزل يستفتحها بلدا بلدا ومصرامصر الى أن أتى عليها أجمع وكان أول ما ملك منها مكناسة الزيتون فانه افتتحها عقب سنة خمس وخمسين وتسعمائة بعد حصار وقتال كبير.



حصار السلطان ابي عبد الله الشيخ حضرة فاس

ومقتل الشيخ عبد الواحد الوائشريسي رحمه الله

كان السلطان أبو عبد الله الشيخ قد ألح على فاس بالقتال وحاصرها حصارا طويلا، ولما عسر عليه أمرها بحث عن ذلك ف قيل له: لا سبيل لك اليها ولا يبايعك أهلها الا اذا بايعك ابن الوائشريسي يعنون: الشيخ الفقيه أبا محمد عبد الواحد بن أحمد الوائشريسي رحمه الله، فبعث اليه السلطان المذكور سرا ووعدته ومناه، فقال له الشيخ عبد الواحد: «بيعة هذا السلطان، يعني أبا العباس الوطاسي، في رقبتي ولا يحل لي خلعها الا بموجب شرعي، وهو غير موجود» وزعم بعضهم أن السلطان المذكور كتب الى أهل فاس يقول لهم: «اني ان دخلت فاسا صلحا ملائمتها عدلا وان دخلتها عنوة ملائمتها قتلا» فأجابه ابن الوائشريسي بابيات أغلظ له فيها منها قوله:

كذبت وبيت الله ما تحسن العدلا ولا خصك المولى بفضل ولا أولى
كذا في «النزهة». قلت: وهذا البيت من أبيات قديمة والوائشريسي انما تمثل به لا غير. فقد ذكر العلامة (*) ابن خلدون في أخبار بني صالح بسن منصور الحميري أصحاب قلعة نكور لاول الفتح أن عبيد الله المهدي العبيدي صاحب افريقية لما تغلب على المغرب خاطب سعيد بن صالح منهم يدعوه الى أمره وكتب له في أسفل كتابه:

فان تستقيموا أستقم لصلاحكم وان تعدلوا عني أرى قتلكم عدلا

وأعلموا بسيفي قاهرا لسيوفكم وأدخلها عنوا وأملأها قتلا

فأجابه سعيد بن صالح بابيات من نظم شاعره الطليطلي نصها:

كذبت وبيت الله ما تحسن العدلا ولا علم الرحمن من قولك الفصلا

وما أنت الا جاهل ومنافق تمثل للجهال في السنة المثلى

(*) اصل ما ذكره ابن خلدون في «مسالك البكري» فقد ذكر القصة والشعر عند

كلامه على قلعة نكور.

وهمت العلياً بدين محمد وقد جعل الرحمن همتك السفلى
فلعل الشيخ كتب لاهل فاس باليتين الاولين والوانشريسي كان مطلعا على
القضية فأجابه بجوابهما .

ولما بلغ ذلك السلطان الشيخ حقد على الوانشريسي ودس الى جماعة من
المتلصصة بان يأخذوه ويأتوا به الى محله مجبوسا من غير قتل ، وكان الشيخ
عبد الواحد يقرأ صحيح البخارى بجامع القرويين بين العشاءين وينقل عليه
كلام ابن حجر فى «فتح البارى» ويستوفيه لانه شرط المحبس ، فقال له «بنه» «ياأبت
انى قد سمعت أن اللصوص أرادوا الفتك بك فى هذه الليلة فلو تأخرت عن
القراءة .» فقال له الشيخ : «أين وقفنا البارحة؟» «آل» «على كتاب القدر!» «قال فكيف
نفر من القدر؟» اذا اذهب بنا الى المجلس» فلما افرق المجلس خرج الشيخ عبد
الواحد من باب الشماعين ، أحد أبواب المسجد المذكور ، فثار به اللصوص
وأرادوا حمله فأخذ باحدى عضادتي الباب ف ضرب أحدهم يده فقطعها ، وأجهز
عليه الباقون فقتلوه باباب المسجد المذكور فى السابع والعشرين من ذى الحجة
سنة خمس وخمسين وتسعمائة .

قال الشيخ المنجور فى فهرسته : واشتهر عن الفقيه الصالح أبى عبد الله محمد
ابن ابراهيم المدعو بأبى شامة أنه رأى الشيخ عبد الواحد فى المنام بعد مقتله فسأله
عن حاله فأنشأ يقول :

لقد عمى رضوان ربي وفضله	ولم أر الا الخير فى وحشة القبر
وانى أسأل الاله بفضله	ليحفظنى يوم الخروج الى الحشر
وما بعد ذاك من أمور عسيرة	كشكر الكتاب والمروور على الجسر



استيلاء السلطان ابي عبد الله الشيخ على فاس

وقبضه على الوطاسيين وتغريبهم الى مراکش



ثم ان السلطان أبا عبد الله الشيخ جد في حصار فاس وألح عليها بالقتال الى أن ملكها واحتوى عليها .

قال في «الدوحة»: «لما ألح السلطان الشيخ بالحصار على فاس جاءه الشيخ أبو الرواين المحجوب وقال له : « اشتر مني فاسا بخمسمائة دينار » فقال له السلطان : « ما أنزل الله بهذا من سلطان هذا شيء » لم تأت به الشريعة » فقال: « والله لا دخلتها هذه السنة » فبقى أشهراً والامر لا يزداد الا شدة ، فقال ابن السلطان ، وهو الامير أبو محمد عبد القادر ابن الشيخ لايه : « يا أبت افعل ما قال لك الشيخ أبو الرواين ، فانه رجل مبارك من أولياء الله تعالى . » ولم يزل به حتى أذن له في الكلام معه ، فكلمه الامير عبد القادر ، فقال له : « ادفع المال » فدفعه اليه ، فقال له : « عند تمام السنة يقضى الله الحاجة وأمرى بامر سبجانه . » ثم ان الشيخ أبا الرواين فرق المال من يومه ولم يمسك منه لنفسه حبة ، ومن ذلك اليوم والسلطان المذكور في الظهور الى أن انقضت السنة فدخل فاسا كما قال « اه .

وقال صاحب «المتع» : والشيخ أبو الرواين هو كان أحد الاسباب في تمكن السلطان المذكور من الملك واخراج بني وطاس عنه ، فانه لما رأى اضطراب أمر الناس وهيجان النصارى على المسلمين جعل ينادى : « ياحران جيء . » فاني قد أعطيتك الغرب ! » وذلك قبل ظهور السعديين ، ولم يكن الناس يدرون ما يقول حتى ظهر الحران . وهو : أحد أولاد السلطان أبي عبد الله الشيخ ، وهو الذي كان يتقدم للحرب ولم يفتح والده من البلاد الا ما فتح له على يده .

وكان دخول السلطان الشيخ الى فاس سنة ست وخمسين وتسعمائة ، ولما دخلها تقبض على الوطاسيين أجمع وبعث بهم مصفدين الى مراکش عدا

أبا حسون منهم فانه فر الى الجزائر مستجيرا بتركها حسبما مر .
وقال اليفرنى : « لما دخل الشيخ حضرة فاس دخلها وعليه وعلى أصحابه
الدراعات الصفر وسمة البداوة لائحة عليهم ، فحملوا أنفسهم على التأدب
بأداب الحاضرة والتخلق بأخلاقهم يعنى حتى رسخ فيهم ذلك » والله أعلم .



نهوض السلطان ابي عبد الله الشيخ الى تلمسان واستيلاؤه عليها



قد قدمنا ما كان من استيلاء حسن بن خير الدين التركي على تلمسان ،
وانقراض دولة بنى زيان منها سنة اثنين وخمسين وتسعمائة ، فلما فتح أبو
عبد الله الشيخ حضرة فاس فى التاريخ المتقدم تأقت نفسه الى الاستيلاء على
المغرب الاوسط ، وكان يعز عليه استيلاء الترك عليه مع انهم أجانب من هذا
الاقليم ودخلاء فيه ، فيقبح بأهله وملوكه أن يتركهم يغلبون على بلادهم ، لا
سيما وقد فر اليهم عدو من أعدائه وعيص من أعياص أقتاله ، وهو أبو حسون
الوطاسى ، فرأى الشيخ من رأى واطهار القوة فى الحرب أن يبدأهم قبل أن يبدأوه
فنهض من فاس قاصدا تلمسان فى جموعه الى أن نزل عليها وحاصرها تسعة
أشهر ، وقتل فى محاصرتها ولده الحران ، وكان نابا من أنيابه وسيفا من
سيوفه ، ثم استولى الشيخ على تلمسان ودخلها يوم الاثنين الثالث والعشرين
من جمدى الاولى سنة سبع وخمسين وتسعمائة ، ونفى الترك عنها ، وانتشر
حكمه فى أعمالها الى وادى شلف ، واتسعت خطة مملكته بالمغرب ، ودانت له
البلاد ، ثم كرت عليه الاتراك وأخرجوه من تلمسان ، فعاد الى مقره من فاس ،
ثم عاود غزو تلمسان حين بلغه قيام رعاياها على الترك وانحصار الترك بقصبتها ،
فأقام مرابطا عليها أياما فامتعت عليه ، وأقلع عنها ولم يعاود غزوها بعد ذلك
وخلص أمرها الى الترك على ما ذكره .

امتحان السلطان ابي عبد الله الشيخ ارباب الزوايا والمنتسبين والسبب في ذلك



لما كانت سنة ثمان وخمسين وتسعمائة أمر السلطان أبو عبد الله الشيخ بامتحان أرباب الزوايا والمتصدرين للمشيخة خوفا على ملكه منهم لما كان العامة فيهم من الاعتقاد والمجبة والوقوف عند اشاراتهم، والتعبد بما يتأولونه من عباراتهم، ألا ترى أن بيعة والده أبي عبد الله القائم لم تتعقد الا بهم، ولا ولج بيت الملك الا من بابهم، فامتحان جماعة منهم كالشيخ أبي محمد الكوش، فاخلى زاويته بمراكش وأمر برحيله الى فاس .

وفى «الدوحة» : «لما امتحن السلطان أبو عبد الله الشيخ زوايا المغرب قيل لابي على الحسن بن عيسى المصباحي دفين الدعاع التي على وادي مضي . من عمل القصر : «ألا تخشى من هذا السلطان؟» ، فقال : «انما الخشية من الله ومع هذا فالملء والقبلة لا يقدر أحد على نزعهما ، والباقي متروك لمن طلبه .» . وكان السلطان المذكور يطالب أرباب الزوايا بودائع أمراء بني مريـن ويـتهمهم بها . وبعث خديمه يوما الى الشيخ أبي عثمان سعيد بن أبي بكر الشترائي دفين مكناسة يطالبه بشيء من ذلك فوجده جالسا بناحية زاويته يضفر الدوم واذا بطائر، لعله اللقلاق سلخ أمامه فما رفع أبو عثمان بصره حتى سقط الطائر ميتا متطاير الريش ، فلما رأى الخديم ذلك فزع وولى هاربا . قاله في «المتع» والله تعالى أعلم :



وفادة الامام ابى عبد الله الخروبى من جانب دولة الترك فى شأن قسم البلاد وتحديدها

لما كان من السلطان أبى عبد الله الشيخ ما كان من غزوه تلمسان مرتين وكان يحدث نفسه بمعاودة غزو تلك البلاد عينت دولة الترك من جانبها الفقيه الصالح أبا عبد الله محمد بن على الخروبى الطرابلسى نزىل الجزائر ودفنها للوفادة على السلطان المذكور فى شأن عقد المهادنة وتحديد البلاد ، فقدم عليه الفقيه المذكور وهو بمراكش سنة احدى (*) وستين وتسعمائة فى هذا الغرض ، فأكرم السلطان أبو عبد الله وفادته ، الا أنه لم تظهر ثمرة لمقدمه .

وفى «المرآة» : « أن أبا عبد الله الخروبى قدم المغرب الاقصى مرتين فى سبيل السفارة بين ملوك المغرب الاوسط والمغرب الاقصى ، فاخذ عنه كثير من أهل المغرب الاقصى ، وأخذ هو عن الشيخ زروق رحمه الله » وفى قدمة الخروبى هذه الى مراكش أنكر على الشيخ أبى عمرو القسطلى دفين رياض العروس من مراكش حلق شعر التائب الذى يريد الدخول فى طريق القوم ، وقال : « انه بدعة » (*) فقالوا له : « ان الشيخ الجزولى كان يفعله » فقال لهم : « لعله باذن ، والاذن له لا يعيكم ، فان الاذن للنبي يعم أتباعه ، والاذن للمولى لا يعم اتباعه » وأنكر عليه مسائل كثيرة ، وبعث اليه رسالة أقذع له فيها وقد وقفت عليها * رحم الله الجميع بمنه . وتوفى الخروبى هذا سنة ثلاث وستين وتسعمائة ودفن خارج الجزائر والله أعلم .

(*) الذى فى « النزهة » سنة تسع وخمسين وهو الصواب .

(*) انظر «ممتع الاسماع» فقد اشبع القول فى مسألة حلق شعر التائب .

* راجع فهرسة المرغيشى تجددها هناك . قال فى «الممتع» وقد اجاب ابو محلى الثائر الشهير الخروبى عن رسالته منتصرا لشيخه القسطلى اه .

قدوم ابي حسون الوطاسى بجيش الترك واستيلاؤه على فاس ونفيه الشيخ عندها

قد قدمنا ما كان من استيلاء السلطان أبى عبد الله الشيخ على فاس سنة ست وخمسين وتسعمائة وقبضه على بنى وطاس وفرار أبى حسون الى الجزائر فلم يزل أبو حسون عند تركها الى أن قدم بهم مع باشاهم صالح التركمانى ، فاستولى على فاس ثالث صفر سنة احدى وستين وتسعمائة ، ونفى أبى عبد الله الشيخ عنها حسبما مر الخبر عنه مستوفى .

عود السلطان ابي عبد الله الشيخ الى فاس واستيلاؤه عليها

لما فر السلطان أبو عبد الله الشيخ من وقعة اترك بفاس ووصل الى مراکش صرف عزمه لقتال أبى حسون ، فاستفر قبائل السوس ، وجمع الجموع ، وزحف الى فاس فدارت بينه وبين سلطانها أبى حسون حروب شديدة كان فى آخرها الظفر للشيخ ، فقتل أبى حسون واستولى على فاس ، وصفا له أمر المغرب ، وقد تقدمت هذه الاخبار مستوفاة فى محلها ، وكان استيلاء السلطان الشيخ على فاس يوم السبت الرابع والعشرين من شوال سنة احدى وستين وتسعمائة .

وفى «الدوحة» : أن دخول أبى حسون لفاس كان سنة ستين وتسعمائة ، وعود السلطان الشيخ اليها واستيلاؤه عليها كان فى ذى القعدة سنة ستين أيضا ، والله تعالى أعلم .

مقتل الفقيهين ابى محمد الزقاق وابى على حرزوز والسبب فى ذلك



لما استولى السلطان أبو عبد الله الشيخ على فاس فى هذه المرة أمر بقتل الفقيه الصالح قاضى الجماعة بفاس أبى محمد عبد الوهاب بن محمد بن على الزقاق لانه اتهمه بالميل الى أبى حسون .

ويحكى أنه لما مثل بين يديه قال له : « اختر بأى شىء تموت » فقال له الفقيه : « اختر أنت لنفسك » فان المرء مقتول بما قتل به « فقال لهم السلطان : « اقطعوا رأسه بشاقور » فكان من حكمة الله وعدله فى خلقه أن السلطان المذكور قتل به أيضا كما سيأتى .

وفى كتاب « خلاصة الاثر » : أن الشيخ الزقاق كان يقول : « من قتل سوسيا كان كمن قتل مجوسيا » فلما قبض عليه الشيخ قال له : « أنت زق الضلال » فقال له : « لا والله » بل أنا زق العلم والهداية » ثم قتله .

وأمر أيضا بقتل خطيب مكتاسة الزيتون الشيخ أبى على حرزوز المكناسى لكلام بلغه عنه ، وانه كان يذكره فى خطبه ويحذر الناس من اتباعه والانقياد اليه ، ويقول فى خطبته : « جاءكم أهل السوس الاقصى البعاد » ثم يذكر الشيخ ويقول : « واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد » واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالانتم فحسبه جهنم ، ولبس المهاد . « فى كلام غير هذا . وكان مقتل الفقيهين المذكورين فى ذى القعدة سنة احدى وستين وتسعمائة .



ترتيب السلطان ابي عبد الله الشيخ امر دولته وما قيل في ذلك

قال اليفرنى : « كان السلطان أبو عبد الله الشيخ مولعا بتدبير أمر الرعية مستيقظا في أموره حازما غير متوقف في سفك الدماء » قال : « ويحكى أنه لما دخل فاسا دخلها وعليه وعلى أصحابه سمة البداة فحملوا أنفسهم على التأدب بآداب أهل الحاضرة والتخلق باخلاقهم . » وذكر أن ملك السعديين انما تأثق على يد رجل وامرأة ، فاما الرجل : فقاسم الزرهوني ، فانه رتب للسلطان أبا عبد الله الشيخ هيئة السلاطين في ملابسهم ودخولهم وخروجهم وآداب أصحابهم ، وكيفية مثلهم بين أيديهم وأما المرأة : فالعريفة بنت خجو فانها علمته سيرة الملوك في منازلهم وحالاتهم في الطعام واللباس وعاداتهم مع النساء وغير ذلك ، فاكسى ملك الشيخ بذلك طلاوة ، وازداد في عيون العامة رونقا وحلاوة بسبب جريانه على العوائد الحضريّة ، لان أهل البادية مسترذلون في عيون أهل الحاضرة ، قالوا : ولم يزل السلطان أبو عبد الله الشيخ يدور على مدن المغرب وأمصاره ويطيل الإقامة بفاس .

قال في «المنتقى» : ومن مآثره : أنه بنى جسر وادى سبو، وجسر وادى أم الربيع . وتقدم بناؤه حصن آكادير . والله تعالى أعلم .

وضع الوظيف المسمى في لسان العامة بالنائبة

قد تقدم لنا في صدر هذا الكتاب اختلاف العلماء في أرض المغرب هل فتحت عنوة أو صلحا أو غير ذلك ، وعلى القول بأنها فتحت عنوة فهي خراجية كما هو مقرر في كتب الفقه ، وتقدم لنا أيضا أن أول من وظف الخراج على أرض المغرب عبد المؤمن بن علي ، وتبعه بنوه على ذلك . وفقا نهجهم بنو مرين وفي الظهير الذي كبه السلطان أبو زيان المريني لابن الخطيب أيام مقامه بسلا شاهد بذلك . ولما جاء السعديون من بعدهم سلكوا هذا السبيل أيضا .

وقول اليفرنى : ان أبا عبد الله الشيخ أول من أحدث النائبة بالمغرب يحمل على أنه أول من أحدثها على الوجه الآتى بيانه ، وذلك أنه لما صفا للسلطان أبى عبد الله الشيخ أمر المغرب واستأصل جرنومة بنى وطاس منه التفت الى ترتيب ملكه وتهذيب أعطافه وتأسيس أمور دولته كما قلنا ، فمن ذلك : أنه فرض على قبائل المغرب الضريبة المسماة فى لسان العامة بالنائبة ، ولم ينزه عنها شريفا ولا مشروفا ، حتى أرباب الزوايا و المتسبين ، ومنهم أولاد الشيخ أبى البقاء خالد المصمودى ، مع ما كان لابيهم من الشهرة بالولاية والصيت فى بلاده . وكان قدر هذه النائبة صحيفة من الشعر وعشرين مدا من القمح لكل نائبة . وصاعا من السمن وكبشا لكل أربع نواب ، وكانت تفرض فى زمان الشيخ على الكوانين ، وتوظف على حسب السكان ، وتدفع باعيانها ، وجرى على ذلك ولده الغالب بالله وأخوه المعتصم ، ولما جاء المنصور من بعدهم قوم تلك الاعيان بسعر الوقت وصارت تدفع دراهم ، ثم ازداد ذلك الى أن خرج الامر عن القياس واتسع الخرق على الراقع ، والله لا يظلم مثقال ذرة .

مر اسلة السلطان سليمان العثمانى للسلطان أبى عبد الله الشيخ
وما نشأ عن ذلك

قد قدمنا ما كان من غص السلطان أبى عبد الله الشيخ بمكان الترك من تلمسان والمغرب الاوسط ، وانه غزاها مرتين ، وقدم الامام أبو عبد الله الخروبى ساعيا فى الهدنة فلم يرجع بطائل . وكان السلطان الشيخ يقول فيما زعموا : «لابدلى أن أغزو مصر وأخرج الترك من أجحارها» وكان يطلق لسانه فى السلطان سليمان العثمانى ويسميه بسلطان الحواتة . يعنى لان الترك كانوا أصحاب أساطيل وسفر فى البحر ، فأنهى ذلك الى السلطان سليمان فبعث اليه رسلة فهذا سبب المراسلة على ما فى «الترجمة» .

وأشبه منه بالصواب ما حكاه بعضهم قال : لما بلغ خبر انقراض الدولة الوطاسية الى السلطان سليمان العثمانى واستيلاء السعديين على ملك المغرب

الاقصى كتب الى الشيخ يهنئه بالملك ، ويلتمس منه الدعاء له على منابر المغرب ، وبعث اليه بذلك رسولا في البحر ، فاتهى الى الجزائر ومنها قدم الى مراکش في البر . ولما وصل الى السلطان أبى عبد الله الشيخ أنزله على كبير الاتراك في محله صالح باى المعروف بالكاهية ، وكان هؤلاء الاتراك قد انحاشوا الى الشيخ من بقايا القادمين مع أبى حسون ، فضمهم اليه وجعلهم جندا على حدة ، وسماهم اليكشارية بالياء ثم الكاف ثم الشين ، وهو لفظ تركى معناه العسكر الجديد . ولما قرأ السلطان أبو عبد الله الشيخ كتاب السلطان سليمان ووجد فيه أنه يدعوه له على منابر المغرب ويكتب اسمه على سكتة كما كان بنو وطاس حمى أنفه وإبرق وأرعد . وأحضر الرسول وأزعجه ، فطلب منه الجواب ، فقال : « لا جواب لك عندي حتى أكون بمصر ان شاء الله وحينئذ أكتب لسلطان القوارب » فخرج الرسول من عنده مذعورا يلتفت وراءه الى أن وصل الى سلطانه وكان من أمره ما ذكره .



قدوم طائفة الترك من عند السلطان سليمان العثماني

واغتيالهم للسلطان أبى عبد الله الشيخ رحمه الله



لما خرج رسول السلطان سليمان العثماني من عند السلطان أبى عبد الله الشيخ ووصل الى الجزائر ركب البحر الى القسطنطينية فاتهى اليها ، واجتمع بالوزير المعروف عندهم بالصدر الاعظم ، وأخبره بما لقي من سلطان المغرب ، فانهى الوزير ذلك الى السلطان سليمان فأمره أن يهيء العمارة والعساكر لغزو المغرب فاجتمع أهل الديوان وكرهوا توجيهها ، واتفق رأيهم على أن عينوا اثني عشر رجلا من فلاك الترك وبذلوا لهم اثني عشر ألف دينار ، وكتبوا لهم كتابا الى صالح الكاهية كبير عسكر الشيخ ، ووعدوه بالمال والمنصب ان هو نصح في اغتيال الشيخ وتوجيه رأسه مع القادمين عليه .

وفى «النزهة» : « أن صالحا هذا كان من ترك الجزائر جاء فى جملة الطائفة الموجهين لاغتتيال الشيخ » والله أعلم . ثم دخل الوزير على السلطان سليمان واعتذر اليه عن توجيه العمارة ، وقال : « هذا أمر سهل لا يحتاج فيه الى تقويم عمارة ، وهذا المغربى الذى أساء الادب على السلطان يأتى رأسه الى بين يديك » فاستصوب رأيهم وشكر سعيهم وأمر بتوجيه الجماعة المعينة فى البحر الى الجزائر ، ومنها يتوجهون الى مراكش فى البر : ففعلوا ، ولما وصلوا الى الجزائر هياؤا أسبابا واشتروا بغالا وساروا الى فاس فى هيئة التجار ، فباعوا بها أسبابهم ، وتوجهوا الى مراكش ، ولما اجتمعوا بصالح الكاهية أنزلهم عنده ودبر الحيلة فى أمرهم الى أن توجهت له .

وفى «النزهة» : أن هؤلاء الاتراك خرجوا من الجزائر الى مراكش مظهرين أنهم فروا من سلطانهم ، ورغبوا فى خدمة الشيخ والاستيجار به . ثم ان صالحا الكاهية دخل على السلطان أبى عبد الله الشيخ وقال يامولاي : « ان جماعة من أعيان جند الجزائر سمعوا بمقامنا عندك ومنزلتنا منك فرغبوا فى جوارك والتشرف بخدمتك وليس فوقهم من جند الجزائر أحد وهم ان شاء الله السبب فى تملكها » فامر به بادخالهم عليه ولما مثلوا بين يديه رأى وجوها حسنا وأجساما عظاما فأكرمهم ، ثم ترجم له صالح كلامهم ، فافرغه فى قلب المحبة والنصح والاجتهاد فى الطاعة والخدمة ، حتى خيل الى الشيخ أنه قد حصل على ملك الجزائر ، فامر باكرامهم وان يعطيهم الخيل والسلاح ، ويكونوا يدخلون عليه مع الكاهية كلما دخل ، فكانوا يدخلون عليه كل صباح لتقبيل يده على عادة الترك فى ذلك .

وصار الشيخ يبعث بهم الى أشياخ السوس مناوبة فى الامور المهمة ليتبصروا فى البلاد ويعرفوا الناس . وكان يوصى الاشياخ باكرام من قدم عليهم منهم ، واستمر الحال الى أن أمكنتهم فيه الفرصة ، وهو فى بعض حر كاته بجبل درن بموضع يقال له : آلككال بظاهر تارودانت ، فولجوا عليه خباء ليلا على حين غفلة من العسس ، فضربوا عنقه بشاقور ضربة أبانوا بها رأسه ، واحتملوه فى مخلاة ملاؤها نخالة وملحا وخاضوا به أحشاء الظلماء وسلكوا طريق درعة

وسجل مائة كأنهم ارسل تلمسان لئلا يفتن بهم أحد من أهل تلك البلاد ، ثم أدرکوا بعض الطريق فقاتلت طائفة منهم حتى قتلوا ونجا الباقون بالرأس ، وقتل مع الشيخ تلك الليلة الفقيه مفتي مراكش أبو الحسن علي بن أبي بكر السكاني . والكاتب أبو عمران الوجاني .

ولما شاع الخبر بان الترك قتلوا السلطان واستراب الناس بجميع من بقى منهم بالمغرب أغلق اخوانهم الذين كانوا بتارودانت أبوابها واقتسموا الاموال واستعدوا للحصار ، ولما بويح ابنه الغالب بالله وقدم من فاس نهض في العساكر الى تارودانت للاخذ بنار أبيه من الترك الذين بها فحاصروهم مدة ، ولما لم يقدر منهم على شيء أعمل الحيلة بان أظهر الرحلة عنهم وأشاع أنه راجع الى فاس لئلا يثار قام بها . ولما أبعد عنهم مسيرة يوم خرجوا في اتباعه ليلا والعيون موضوعة عليهم بكل جهة الى ان شارفوا محلة السلطان الغالب بالله فعطف عليهم ، ولما لم يمكنهم الرجوع الى تارودانت تحيزوا الى الجبل وبنوا به قياظهم ، وجعلوا عليها المنارزات من الاحجار وتحصنوا بها وأحاطت بهم العساكر من كل جهة ، فقاتلوا الى أن فنوا عن آخرهم ولم يؤخذ منهم أسير ، وقتلوا من محلة الغالب بالله ألفا ومائتين . وأما الذين نجوا بالرأس فأتهموا الى الجزائر وركبوا البحر منها الى القسطنطينية ، فوصلوا الرأس الى الصدر الاعظم ، وأدخله على السلطان سليمان فأمر به أن يجعل في شبكة نحاس ، ويعلق على باب القلعة فبقى هنالك الى أن شفّع في انزاله ودفنه ابنه عبد الملك المعتصم ، وأحمد المنصور حين قدما القسطنطينية على السلطان سليم بن سليمان مستعدين له على ابن أخيهما المسلوخ كما يأتي . وكان مقتل الشيخ رحمه الله يوم الاربعاء التاسع والعشرين من ذى الحجة سنة أربع وستين وتسعمائة . ولما بلغ خبر مقتله الى خليفته بمراكش القائد أبي الحسن علي بن أبي بكر آزرناك بادر بقتل أبي العباس الاعرج المخلوع وأولاده ذكورا واناثا كبارا وصغارا خشية أن يخرجهم أهل مراكش فيأبوه . ولما قتلوا لم يتجرأ أحد على دفنهم فبقوا مصرعين حتى دفنهم الشيخ أبو عمرو القسطلي الولي الشهير بمقرية من خريخ الشيخ الجزولي وهي القبة التي قرب الضريح المذكور تسمى قبور

الإشراف ، وأما السلطان أبو عبد الله الشيخ فإنهم حملوا جثته إلى مراكش.
فدفنت بها قبلي جامع المنصور بروضة السعديين وقبره شهير بها إلى الآن
ومما نقش على رخامة قبره هذه الأبيات :

وطلعت لحدته منها غمامات	حتى ضريحا تغمدته رحمانات
هبت من الخلد لي منها نسيمات	واستشقن نفحة التقديس منه فقد
من أجلها السبعة الأرضين ظلمات	بحر به كورت شمس الهدى فكست
وأثبتت سهمها فيها المنيات	يا مهجة غالها غول الردى فنصا
وارتج من بعدك السبع السموات	ذكت لموتك أطواد العلا صعقا
من الملائك ألحان وأصوات	وشيعت نعشك المزجي إلى عدن
تدور منها عليه الدهر كاسات	يا رحمة الله عاطيه سلاف رضا
دار امام الهدى المهدي جنات	قضى فوافق في التاريخ منه حلى



بقية أخبار السلطان أبي عبد الله الشيخ وسيرته



كان السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ يلقب من الألقاب السلطانية
بالمهدي ونشأ في عفاف وصيانة وعنى بالعلم في صغره وتعلق بأهله ، فأخذ
عن جماعة من الشيوخ ، وبلغ فيه درجة الرسوخ ، حتى كان يخالف القضاة
في الأحكام ، ويرد عليهم فتاويهم فيجدون الصواب معه ، وقع ذلك منه مرارا ،
وله حواش على التفسير وذلك مما يدل على غزارة علمه .

وقال في «المنتقى» : « كان السلطان أبو عبد الله الشيخ رحمه الله أديبا
متفنا حافظا حدثي شيخنا أبو راشد أنه كان ممتع المجالسة والمذاكرة تقي
الشيبة عظيم الهية ما رأيت بعد شيخى أبي الحسن على بن هرون أحفظ منه
للمقطعات الشعرية وكثيرا ما ينشد :

الناس كالناس والايام واحدة والدهر كالدهر والدنيا لمن غلبا

وكان حافظا للقرآن فهما جدا ، حافظا لصحيح البخارى ، ويستحضر
 ما للناس عليه ، ويقول فى شرح ابن حجر : « ما صنف فى الاسلام مثله »
 عارفا بالتفسير وغيره ، وكان يحفظ ديوان المتنبى عن ظهر قلب ، وكان يحض
 على المشاورة ويقول : « لا سيما فى حق الملوك » وينشد قول المتنبى :
 ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

وكان يقول : « ينبغى للملك أن يكون طويل الامل فان طول الامل وان
 كان لا يحسن من غيره فهو منه صالح لان الرعية تصلح بطول أمله ، » وكان
 يقول : « من طول أمله أخذ تلمسان وسبته وغيرهما » انتهى .

وقوله انه كان يحفظ ديوان المتنبى ، سببه ما ذكره فى الدوحة قال :
 أخبرنى الوزير المعظم أبو عبد الله محمد بن الامير أبى محمد عبد القادر بن
 السلطان أبى عبد الله محمد الشيخ الشريف قال : « لما غدرت قبيلة المنابهة
 بجدة السلطان المذكور وأنجاه الله من غدرتهم عرف الشيخ أبامحمد عبد الله
 ابن عمر بذلك فكتب اليه يقول : « أين أنت من قول أبى الطيب المتنبى :
 غاض الوفاء فما تلقاه فى عدة وأعوز الصدق فى الاخبار والقسم »

قال : « فعكف السلطان المذكور على ديوان المتنبى حتى حفظه كله ولم
 يعزب عنه بيت واحد » اه . وابن عمر المذكور هو أحد أشياخ السلطان
 المذكور وهو أبو محمد عبد الله بن عمر المضرى الفقيه الفرضى الحاسب ،
 فقيه درعة وعالمها ، وكان قد وفد على السلطان المذكور أيام كونه بالسوس ،
 ولما عاد الى درعة سأل فقهائوها كيف وجدت أهل السوس ؟ فقال : « وجدت
 فقهائهم على ضعيف الفتاوى ، وفقراءهم على عظيم الدعاوى ، وعامتهم على كثير
 المساوى » .

ومن أشياخ السلطان المذكور : الامام الشهير شيخ الجماعة بالصقع
 السوسى أبو الحسن (*) على بن عثمان التاملى ذكره فى « المنتقى » وأثنى عليه ،
 ومن أشياخه : علامة فاس ومحققها أبو عبد الله محمد بن أحمد اليستنى ،
 أخذ عنه علوما منها التفسير . قال المنجور : « وكنت أنا قارئه بين يدى أمير

المؤمنين أبي عبد الله الشيخ المذكور وكان شديد المحبة له « قال : « ولما توفي الفقيه المذكور وذهبت مع ولده صبيحة تلك الليلة التي توفي بها لنخبر السلطان بوفاته وجدناه يقرأ ورده بحمام المريني ، فخرج السلطان إلينا وهو يبكي بصوت عال يفزع من سمعه ، حتى رأينا منه العجب وما سكت إلا بعد مدة ، لما كان يعلم منه من صحة الدين والنصح لخاصة المسلمين وعامةهم ، وحضر جنازته » ، وكانت وفاته رحمه الله سنة تسع وخمسين وتسعمائة ، وللسلطان المذكور عدة أشياخ غير هؤلاء .

ومن وزرائه : الرئيس أبو الحسن علي بن أبي بكر آصناك الحاحي ، وأبو عمران موسى بن أبي جمدى العمرى وغيرهم .
ومن قضاته بفاس : أبو الحسن علي بن أحمد الخصاصي ، وبمراكش : أبو الحسن علي بن أبي بكر السكتاني رحم الله الجميع .

وكان للسلطان أبي عبد الله الشيخ عدة أولاد نجباء ، ومن أنجبهم أبو عبد الله محمد المعروف بالحران القليل على تلمسان ، ومنهم أبو محمد عبد الله الغالب بالله ، وأبو مروان عبد الملك الغازي ، وأبو العباس أحمد المنصور وهؤلاء الثلاثة ولوا الأمر بعد أبيهم ، ومنهم : الوزير أبو محمد عبد القادر وتوفي في حياة أبيه سنة تسع وخمسين وتسعمائة .

وفي «نشر المثاني» : أنه قتل مخنوقاً بأمر أخيه، عبد الله الغالب بالله سنة خمس وسبعين وتسعمائة فالله أعلم . ومنهم عثمان وعبد المومن ، وعمر وغيرهم .
قال المنجور في فهرسته : « حضرت يوما مجلس أمير المؤمنين أبي عبد الله الشيخ ، وقد حضر عنده أولاده الصناديد الامراء : المولى محمد الحران ، والمولى عبد القادر ، والمولى عبد الله ، فدخل شيخنا الامام أبو عبد الله اليستي فلما نظر اليهم حول أبيهم أنشد بيت تلخيص المفتاح :

فقلت عسى أن تبصريني كأنما ينني حوالى الاسود الحوارد

فأعجب ذلك السلطان وأولاده رحمة الله عليهم .



الخبر عن دولة السلطان أبي محمد عبد الله الغالب بالله

ابن السلطان محمد الشيخ رحمه الله

كانت ولادة السلطان أبي محمد عبد الله الغالب بالله كما رأيته مرقوما على الرخامة التي على قبره في رمضان سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة ، وكان رحمه الله أدعج العينين ، مستدير الوجه عريضه ، أسيل الخدين ، مشرف الوجنتين ، ربعة للقصر ، ونشأ في عفاف وصيانة ، وحفظ القرآن ، وأخذ بعطرف صالح من العلم ، وكان ولي عهد أبيه ، وكان يلقب من الألقاب السلطانية: بالغالب بالله لقبه به غير واحد من الأئمة . ولما وافته الانباء بمقتل أبيه وهو بفاس بايعه أهلها ولم يتخلف عن بيعته منهم أحد .

وذكر صاحب «زهرة السماريخ» : أن الفقيه الميقاتي المعدل بمنار القرويين أبا عبد الله المزوار ، وكان بصيرا بعلم الأحكام والحدثان ، بينما هو ذات ليلة يرقب الطالع والغارب ، وقد ابهار الليل واسود ديجوره ، رأى طالع السلطان الشيخ قد سقط ، وكانت بينه وبين ابنه أبي محمد عبد الله صلة ، فأسرع في الذهاب إليه ليخبره بما رأى فلما بلغ باب فاس الجديد وجده مغلقا فاستأذن الموكلين به في فتحه فأبوا ، فقال لهم : « اني جئت الى الخليفة ، يعني خليفة السلطان ، في أمر مهم عنده ، وان لم تعلموه بمكاني الساعة لحقكم منه غدا ما تكرهون ، فاندروا الخليفة المذكور به فحمل اليه ، وسأله عن قضيته ، فآخبره بما رأى ونعى اليه أباه ، فلم يكذب في ذلك وتهيا واستعد ، فلم تمض الا أيام قلائل حتى وافته الانباء بمقتل أبيه في تلك الساعة التي قال له المعدل المذكور ، فصادفه الحال على أهبة واستعداد ولما بلغ أهل مراکش مبايعه أهل فاس له وافقوا عليها ، فاستوسق له الامر وتمهد له ملك أبيه . وكان ذلك كله في المحرم سنة خمس وستين وتسعمائة .

مجيء حسن بن خير الدين التركي الى فاس ورجوعه منهزما عنها

قال ابن القاضي : لما ولي السلطان أبو محمد عبد الله الغالب بالله الخلافة اشتغل بتأسيس ما بيده وتحصينه بالعدد والعدة ولم تطمح نفسه الى الزيادة على ما ملك أبوه من قبله .

وفي سنة خمس وستين وتسعمائة ، في جمدي الاولى منها ، غزاه حسن بن خير الدين باشا التركي صاحب تلمسان في جيش كثيف من الاتراك ، فخرج اليه السلطان الغالب بالله فالتقيا بسقربة من وادي اللبن من عمالة فاس ، فكانت الدبرة على حسن ، فرجع منهزما يطلب صياصي الجبال الى أن بلغ الى باديس ، وكانت يومئذ للترك ، ورجع الغالب بالله الى فاس لكنه لم يدخلها لوباء كان بها يومئذ ، ولما رجع من حركته هذه أمر بقتل أخيه عثمان لامر نقمه عليه فقتل في السنة المذكورة . والله تعالى أعلم .

بناء جامع المواسين بحضرة مراکش والبركة المتصلة به والمارستان

وغير ذلك

قال اليفرنى : « وفي عشرة السبعين وتسعمائة أنشأ السلطان الغالب بالله جامع الاشراف بحومة المواسين من مراکش ، والسقاية المتصلة به التي عليها مدار المدينة المذكور ، والمارستان الذي ظهر نفعه ووقف عليه أوقافا عظيمة » قلت : وهذا المارستان هو الذي بحومة الطالعة قرب السجن ، وقد اتخذ اليوم سجنا للنساء ، قال : وهذا السلطان هو الذي جدد أيضا بناء المدرسة التي بجوار جامع ابن يوسف اللمتوني ، وليس هو الذي أنشأها كما يعتقد كثير من الناس بل الذي أنشأها أولا هو السلطان أبو الحسن المريني رحمه الله حسبما ذكره ابن بطوطة في رحلته ، وشاع على اللسان أن السلطان الغالب بالله توصل الى بنائها بصناعة الكيمياء ، وان الشيخ أبا العباس أحمد بن موسى السملالي علمه

اياها حين تلمذله كما سيأتى .

قال اليفرنى : « وهو كذب ، فان المقول عن الشيخ المذكور انكارها ، وما كان ليفتح على مسلم بابا عظيما من أبواب الفتنة وسببا بليغا من أسباب المحنة ، لان هذه الحرفة من أعظم أبواب الفتن ، وقد أجمع أرباب البصائر على التحذير من تعاطيها لوجوه ثلاثة : أولها : انها من المستحيلات كما ذكره ابن سينا مستدلا عليه بقوله تعالى : « لا تبدل خلق الله » وكما انه ليس فى قدرة المخلوق أن يحول القرد انسانا والذئب غزالا كذلك ليس فى قدرته أن يصير الرصاص فضة ، والنحاس ذهباً يعنى ، لان ذلك من باب قلب الحقائق وهو محال . ولقد تناظر رجلان فيها فقال مجوزها : « أتكر ما تشاهده فى الصبغ وتصير الجسد الاحمر أصفر والابيض أسود؟ فقال مانعها : « لأنكر ذلك ، لان الصبغ ليس تغيير أصل ، وانما أنكر أن ثوب الصوف الابيض ترده صناعة الصبغ قطنا أو حريرا أحمر أو أخضر ، وأما الصبغ فلا شك أن النحاس يصير أبيض ولا يخرج ذلك عن أصله ولا يسلب عنه اسم النحاس بل يقال فيه نحاس أبيض كما لا يسلب صبغ الصوف عنه اسم الصوف . ثانيها : سلمنا أنها جائزة الوجود لكنها معدومة فى الخارج كما ذهب اليه أبو الفرج ابن الجوزى رحمه الله اذ قال : « ثلاث متفق على وجودها فى الغالب ، وقد اتفق على عدم رؤيتها أهل المشارق والمغارب : الكيمياء ، والعنقاء ، والغول . وأخبارها كلها على وجه السماع والاسنادات وحكايتها كالموضوعات عن العجماوات والعجمادات . ثالثها : سلمنا أنها موجودة فى الخارج لكنه يحرم تناولها والبيع والشراء بها .

وقد سئل عنها الشيخ أبو اسحق التونسى رحمه الله فقيل له : « أحلال هى اذا كانت خالصة؟ » فقال : « لو دبر النحاس أو غيره من الاجساد حتى صار ذهباً خالصا لاشك فيه فمتى لم يقل بائعه لمبتاعه هذا كان نحاسا أو جسدا من الاجساد فدبرته حتى صار ذهباً كما ترى لكان غاشا مدلسا . » قال : « ومتى ذكره لم يشتر أحد منه ذلك بفلس ، ويقول : فكما دبرته حتى صار ذهباً فكذلك يدبره غيرك حتى يرجع الى أصله . فمن لم يبين فيها فهو داخل فى قوله عليه

الصلاة والسلام : « من غشنا فليس منا » فتكون صناعتها حراما « وقيل لبعض الفضلاء : « لم لم تعمل بهذه الصناعة فانها تسلي الخاطر ؟ » فقال : « قيل للحمار « لم لم تجتر ؟ » فقال : « أكره مضغ الباطل » وانشد :

فقلت لأصحابي هي الشمس ضوءها قريب ولكن في تناولها بعد
اه ما نقله اليفرنى ملخصا مهذبا ، وهو الحق الذى لا عوج فيه ولا
أمت . ثم قال : وبالجمله فماشاع عن السلطان الغالب بالله من ذلك لأصل له ،
ولقد كان أهل الورع يجتنبون الصلاة فى جامع الاشراف بعد ما بنى مدة
ويقال : ان موضع ذلك الجامع كان مقبرة لليهود والله تعالى أعلم .

فتح مدينة شفشاون وانقراض أمر بني راشد منها

تقدم أن مدينة شفشاون حرسها الله بناها بنو راشد من شرفاء العلم ،
وكانوا أهل جهاد ومرا بطة على العدو ببلاد غمارة والهبط ، ولما توفي مختطها
الامير أبو الحسن على بن موسى بن راشد بقيت بيد أولاده يتولون رياستها .
قال فى « المرأة » : ولم يزلوا فيها بين سلم وحرب الى أن حاصرهم بها الوزير
أبو عبد الله محمد بن عبد القادر بن السلطان محمد الشيخ السعدى بجيوش
عمه السلطان أبى محمد عبد الله الغالب بالله ، وصاحب شفشاون يومئذ
الامير الفاضل أبو عبد الله محمد بن الامير أبى الحسن على بن موسى بن
راشد ، فلما اشتد عليه الحصار خرج فيمن اليه من أهله وولده وقرابته
وصعدوا الجبل المطل على شفشاون فى مسلك وعر صحبتهم فيه السلامة وذلك
ليلة الجمعة الثانى من صفر سنة تسع وستين وتسعمائة ، وساروا الى ترغمة
فركبوا منها البحر يوم الجمعة تاسع الشهر المذكور . واستقر الامير أبو عبد
الله بالمدينة المنورة الى أن مات بها رحمه الله .

حصار البريجة المسماة اليوم بالجديدة



قد قدمنا ما كان من بناء البرتقال لمدينة الجديدة وتحصينهم لها بما فيه كفاية ، وكانت غارات المسلمين المجاورين لهم لا تنقطع عنهم وكذلك هم سائر مقامهم بها ولما كانت سنة تسع وستين وتسعمائة جهز اليها السلطان الغالب بالله جيشا كشيئا ، واستنفر لها قبائل الحوز ، وعقد عليهم لابنه محمد المعروف بالسلوخ قتل وادى المخازن ، وكان يومئذ ابن عشرين سنة على ما قيل ، واستوزر له القائد المجاهد الشاعر الفاضل أبا زيد عبد الرحمن بن تودة العمراني ، وجعل اليه أمر الحرب ، وابن السلطان صورة ، فرحف اليها وحاصرها أربعة وستين يوما وملك بعض أسوارها ولم يقض الله بفتحها . وفي « النزهة » : « ذكر أن القائد ابن تودة دخل البريجة التي قرب آزموور وأخذ أسوارها وعزم على أن يستأصل في الغد بقيتها ولا يبقى للكفر بها أنرا فكتب اليه السلطان الغالب بالله ينهاء عنها ، فراجع النصارى اليها بعد أن ركبوا البحر عازمين على الجلاء عنها » اهـ .

وقد وقفت في التاريخ البرتقالى الموضوع في أخبار الجديدة ، واسم مؤلفه لويز مارية ، على أخبار هذا الحصار وقد استوعبها وبسطها ، وتبع الوقائع فضلا فضلا ويوما يوما ، وأتى من ذلك بما يزيد على الكراسة ، فكان من جملة ما قال : « انه لما عزم السلطان الغالب بالله على غزوهم وأخذ في تجهيز الجيوش اليهم أتاهم بعض المنتصرة » قال : « وهو عبد أسود فأخبرهم بأن السلطان مستعد لحربهم ، وكانوا عازمين على التوثق من هذا التجاسوس فالت منهم فعلموا ان اظهاره للتصر كان مكيدة ، ثم أخذوا في الاستعداد واشتروا من عند قائد آزموور ألفى سيف هكذا زعم » قال : « وفي اليوم الرابع من مارس سنة ألف وخمسمائة واثنين وستين مسيحية وصلت جموع المسلمين الى حوز الجديدة » وهذا التاريخ موافق للتاريخ العربى الذى قدمناه قال : « فكانت خيل المسلمين نحو ثلاثين ألفا والرماة ضعف ذلك وكان فيهم عسكر الترك المعروف

بالبلدروس وكانوا يومئذ جندا للسعديين ، وكان معهم عشرون مدفعا عشرة كبيرة ، وعشرة صغيرة ، وفيها واحد أعظم من الجميع يسمى ميمونا ، وكان معهم العلم الكبير الابيض ورايات أخر ملونة ، وتقدموا الى الجديدة فحاصروها حصارا شديدا وحاربوها حربا هائلة ، وصف هذا المؤرخ ذلك كله وصفا كاشفا . وكانت الجديدة يومئذ فى غاية الحصانة والمناعة فلم يتمكن المسلمون من التصارى على ما ينبغى وأرسل الترك عليهم أنواع الحراقيات ، وملكوا المتارزات التى كانت حول السور بعد أن هلكت عليها نفوس من الفريقين ، ثم صنع النصارى للمسلمين عندها مينا البارود مرتين ، ففى الاولى كانت المينا تسعة براميل نبط منهن سبعة فأهلكت خلقا من المسلمين والنصارى وفى الثانية كانت تسعة عشر برميلا أمام السور فنفطت بالمسلمين وأتلفت منهم عددا فبعضهم طار فى الهواء وبعضهم ارتطم تحت التراب .

وكان رماة المسلمين ينالون منهم نيلا عظيما واعترف النصارى لهم بجودة الرمى بحيث كانوا كلما ظهر منهم عسكرى على السور اختطفته رصاصة فى أخير موضع من بدنه من الرأس أو الصدر .

قال لويز المؤرخ : « ولقد قدم فى بعض الايام من أشبونة كبير من كبراء جندهم فقال لهم : أرونى كيف قتالكم لهؤلاء المسلمين وكيف مصافتكم لهم ، قال : فما ظهر برأسه على السور ليرى محلة المسلمين حتى أصابته رصاصة نثرت دماغه كان صاحبها كان ينتظره ، وكان ذلك بنفس نزوله من البحر قبل أن يذهب الى منزله ، فعوضه منه المسلمون القبر » قال : « فما كان النصارى بعدها يقدرون أن يظهروا على السور الا فى النادر ، ولما طال عليهم الحصار ندب كبيرهم جماعة منهم للخروج الى السواحل البعيدة عن محلة المسلمين لعلمهم يظفرون بأسير منهم يستكشفونه عن خبر الجيش المحاصر لهم هل هو مرتحل أو مقيم وما مدة الإقامة » قال : « فخرجوا فى فلك لهم ليلا وساروا حتى بلغوا ساحل طيط ، وهى يومئذ خالية ، وكان بقرىها محلة لقائد آسفى فلما طلع الفجر تقدموا الى البر وأرسوا فلكهم الى جانب بعض الاحجار هنالك بحيث يخفى على المارين بالساحل ثم كمنوا هنالك فلما كان وقت الاسفار اذا برجل

من محلة آسفى أتى على فرسه الى شاطئ البحر لبعض حاجاته فلم يرعه الا
النصارى قد أحرقوا به وأخذوا بلجام فرسه ، وجعل بعضهم فم مكحلته فى
صدره ، فلم يملك المسلم من نفسه شيئا ، ثم أنزلوه عن الفرس وساقوه الى الفلك
أسيرا ، ولججوا به فى البحر ، ولا بعدوا عن البر شيئا ما رمى أحدهم الفرس
برصاصة فقتله ، ثم أسرعوا الى الجديدة فدخلوها واجتمع النصارى على المسلم
وهو كالمبهوت بينهم ثم سألوه عن خبر الجيش المحاصر لهم فآخبرهم بانهم
يناجزونهم بعد هذا مرة أخرى أو مرتين فان لم يظفروا بهم ارتحلوا عنهم فكان
كذلك . قال : « وكان ارتحال المسلمين من الجديدة فى سابع ما به العجى من
السنة المذكورة فعمل النصارى لذلك عيدا وأحدثوا فى كنائسهم صلوات لم
تكن قبل وذلك بأشارة باباهم صاحب رومة » .

ومما حكاه هذا البرتقالى فيما كان يجرى بين أهل آزمور وبينهم من
الحرب ، وذلك بعد هذا الحصار بمدة سيرة : أنه كان بآزمور امرأة حسنة
وخطبها رجل من أهل البلد سماء لوزى الا أنه لم يحسن النطق به لعجمته
وأظنه اسمه الميلودى (*) لان الحروف التى ذكر تقرب منه ، قال : فامتنعت عليه
فراودها أياما واشتد كلفه بها فلم تزد عليه الا تمنعا فبعث اليها ذات يوم يرغبها
فى نفسه ، ويدلى عليها بما ثره التى من جملتها الشجاعة . حتى قال لها :
« وان شئت أن آتيك برأس أعظم نصرانى بالجديدة وأشجعه فعلت » ولعلها كانت
موتورة لهم فقالت له : « ان آتيتى به تزوجتك » فذهب الرجل المذكور الى قائد
آزمور ولم يسمه لوزى وعرض عليه أن يكتب الى كبير نصارى الجديدة
وصاحب رأيهم بان يعين من جانبه رجلا من شجعانهم ليأرزه ان شاء ، فاجابه

(*) الذى فى الترجمة الافرنسية مولاي حدو ولعل المترجم هنا رأى كلمتى مولاي ،
وحذو متصلتين خطأ فظنهما كلمة واحدة مستقلة وتوهم ان المؤرخ البرتقالى لم يحسن
النطق بها وأن أصل الكلمة الحقيقى ميلودى والعذر له فى ذلك لان الحروف التى فى
مجموع مولاي وحذو قريبة من لفظة ميلودى مع انها كلمتان مستقلتان فى الحقيقة احدهما
مولاي والثانية حدو هـ .

القائد الى مراده ، وذهب الرسول بالكتاب حتى وقف على نحو غلوة من المدينة ، وهذا الموضع هو الذى كانت تقف فيه رسل آرمور اذا قدمت لغرض ، فخرج اليه البريد من عند صاحب الجديدة وحاز الكتاب ورجع به الى صاحبه ، فلما قرأه أحضر جماعة من وجوه جنده وعرض عليهم ما فيه فقام رجل منهم وقال : « أنا صاحبه » وهذا الرجل سماه لوزير ، وقال « كان ابن ثلاثين سنة كامل القامة ممتلئ الاعضاء أسمر اللون كثير شعر البدن أسود اللحية وكان برأسه جرح لم يندمل من وقعة كانت بينهم وبين أهل آرمور قبل ذلك فكتب صاحب الجديدة الى قائد آرمور انا قد أجبتك الى ما دعوت ، وقد أعجبنا ذلك ، وها نحن قد عينا لصاحبك قرنه فلتعينوا لنا اليوم والساعة التى تكون فيها الملاقاة ، فاتفقا على يوم معلوم ، وفى ذلك اليوم سار قائد آرمور فى أصحابه ووجوه أهل بلده ومعهم الرجل المذكور الى الجديدة ، فأتوها الى الموضع الذى جرت العادة أن يقف فيه المسلمون ، وخرج قائد النصارى فى جماعته ، وشرطوا للمبارزة وكيفتها شروطا منها : أن تبعد كل جماعة من صاحبها بخمسين خطوة ولا يلتقى الا المتبارزان وحدهما برأى من الفريقين ، ومنها أن مساحة الموضع الذى يكون فيه مجالهما خمسون شبرا وسطا من الفريقين ، وان من خرج عن هذا المحل منهما ولو قيد شبر كان رقا للآخر ، وأعطوا خطوطهم بذلك . ولما حان وقت البراز خرج عدلان من جانب المسلمين حتى انتهىا الى النصرانى ففتشاه لينظرا ماعليه من السلاح وما معه ، لان من جملة الشروط أن لا يتبارزا الا بالسيف والرمح فقط فلم يجدا مع النصرانى سواهما » قال لوزير : « وكان صاحبهم المذكور يحسن الضرب بكلتايديه فشرط عليه العدلان أن لا يقاتل الا باليمين فرضى ، ثم خرج شاهدان من جانب النصارى حتى انتهىا الى المسلم ففتشاه فلم يجدا عنده سوى السيف والرمح أيضا غير أنه قد علق على ذراعه تماثم كثيرة مخروزة فى الجلد فقال له الشاهدان : « لا بد أن تتزع هذه التماثم لان صاحبنا ليس عنده شئ من هذا ، وأيضا فيمكن أن تتيك هذه التماثم بعض الوقاية » فقال لهم : « لا أنزعها لان مثل هذا لا يتقى به فى الحرب ، ولا يغنى فى الظاهر من السيف والرمح شيئا وانما فيها أسماء الله ولا يحسن بى أن

أطرحها في هذه الحالة التي أنا مشرف فيها على الموت فيكون ذلك سوء أدب مني مع اسم الله تعالى وربما يكون سببا في خذلاني « فرجع النصرانيان الى قائدهما وأخبراه بالقضية فقال: «لابد من نزعها» فعادا اليه، وزعم لويز أن المسلمين وافقوا على نزعها وقال له العدلان: « ان الحق مع النصارى لانا كشفنا صاحبهم .كشفا تاما ، وراوده القائد أيضا ، فاصر على الامتناع معتذرا بما سلف ، ولما لم يحصلوا على طائل رجع المسلمون الى بلدهم ولم يكن براز » قال لويز : « وعد النصارى ذلك غلبا وجعلوا يصيحون ويخرجون البارود » قال : « وكان سور الجديدة مكسوا بالنساء والصبيان واعتاظ قائد آرمور فسجن المسلم المذكور لكونه جر هذه المذلة على المسلمين » .

قلت : من تأمل وأنصف علم أن الفشل انما هو من جانب النصارى لان تلك التماث من حيث الظاهر لا تغني شيئا ، وكون بركتها تقيه من ضربات السيف وطعنات الرمح فهذا لا يعتقد النصارى ، بل ولا يسلمونه ، فلم يبق الا الفشل والتعلل بما لا اعتبار به عند العقلاء . ثم قال لويز : « وقد كانت بين المسلمين والنصارى بعد ذلك وقائع فأبلى فيها ذلك المسلم البلاء الحسن وعرف محله من الشجاعة » اه ، « والحق ما شهدت به الاعداء » وانما أثبت هذه الحكاية بطولها لغرابتها ، ولما اشتملت عليه من خلال الفتوة ومنازع النخوة الایمانیة فنسأله سبحانه وتعالى أن يعلى منار الدين ويكتب كيد الجاحدين والمعتدين آمين .

وفي سنة سبعين وتسعمائة ولى السلطان الغالب بالله الفقيه أبا مالك عبد الواحد بن أحمد الحميدى قضاء فاس فطالت مدته .



وفادة السلطان الغالب بالله على الشيخ أبي العباس أحمد بن موسى السملالى رضى عنه الله

حكى صاحب «المتع» : « أن السلطان أبا محمد عبد الله الغالب بالله قال للاستاذ أبي عبد الله الترغى(*) : « انى أجد فى نفسى ارادة وطلباً للشيخ فامض فاطلب لى شيخاً » فذهب يطوف على مشايخ المغرب ، وكانوا اذ ذاك متوافرين ، حتى أتى على الشيخ أبي العباس أحمد بن موسى الجزولى ، ثم السملالى ، فوجده شيخاً جليلاً سنيا متواضعاً زاهداً ناهراً الورع ، حسن الاخلاق ، باهر الكرامات ، واضح الطريقة ، جامعاً لمحاسن الخلال والافاضة ، فرجع اليه وجعل يصف له كل من رأى من المشايخ بما ظهر له فيه ، حتى أتى على الشيخ المذكور ، فقال : « وهو ولى ، ثم ولى ، ثم ولى ، ثم ولى » سبعا فقال له : « كأنك تدلنى عليه ، وانه مطلوبى ، وأنه المقدم على غيره » فقال له : « لا أدلك عليه ولا عندى ما أعرف به تقديمه ، غير أن هذا الذى ظهر لى » فازمع السلطان الغالب بالله الرحلة اليه ، فلما بلغ الشيخ المذكور مجىء السلطان اليه خرج يتلقاه ، وقد هيا له النزل وما يصلحه ، وأعد له ما يناسبه من الاطعمة الرفيعة النفيسة ، وقدم اليه الثمر الجيد واللبن الحليب ، ولما خرج للقائه أتاه بعضهم بفرس ، وكان من عادته أن لا يركب ، واذا أتاه أحد بمركوب لا يرده عليه ، بل يستصحبه معه ويعلقه له حتى يرجع ، ففعل ذلك . ولقى السلطان ورجع به معه وأنزله عنده فمكث فى ضيافته ثلاثة أيام ، ثم طلب منه أن يتخذ وسيلة الى الله تعالى ، وسأله مع ذلك تمهيد الملك ، واعتذر اليه بانه لا يمكنه العيش بدونه ، ولا يأمن على نفسه ولا تؤويه أرض اذا هو تخلى عنه ، فقال الشيخ : « يا عرب ، يا بربر ، يا سهل ، يا جبل ، أطيعوا السلطان مولاي عبد الله ، ولا تختلفوا عليه » . ثم بعد الثلاث انصرف السلطان الى محله ، فبقى مدة وهو مسكن ممهد الملك فى عافية .

(*) الترغى بالتاء المثناة ثم الراء والغين نسبة الى ترغمة مرسى قديمة على نحو اربعين كيلومترا من تطوان. انظر ترجمته فى «المتع» صفحة ١٣٠

ثم أتى الترك الى بوغاز طنجة وسبته فخافهم وتشوش منهم كثيرا ، ولم يهنا له عيش ، فجعلت حاشيته يهونون عليه أمرهم . فقال : « دعوني منكم حتى أستقي من رأس العين » ثم ابرد بريدا الى الشيخ . فلما انتهى اليه سمعه يقول : « ياترك ارجعوا الى بلادكم ، ويامولاي عبد الله هناك الله في بلادك بالعافية » فتقدم الرسول وسلم على الشيخ ، وبلغه سلام السلطان ، ثم انقلب من فوره بعد ما ورخ وقت سماع مقالته . فلما بلغ الى السلطان أخبره بما كان من الشيخ من تلك المقالة وما كان منه من التاريخ وأقاموا ينتظرون ما يكون فاذا الخبر قد ورد على السلطان بان الترك قد ارتحلوا وانصرفوا الى بلادهم ، واذا ارتحلهم كان وقت مقالة الشيخ المذكورة .

ثم ان الشيخ قدم مراکش في بعض الايام زائرا من كان بها من أهل الله تعالى فرغب اليه السلطان الغالب بالله أن يدخل داره هو وأصحابه ، ويصنع لهما طعاما وشرط على نفسه أن لا يطعمهم الا حلالا ، ولا يطعمهم ما فيه شبهة ، وحلف للشيخ على ذلك فأسغفه ، واما حضر الطعام وضع الشيخ يده عليه ولم يصب منه ، فلما خرج قيل له : « ما لك لا تتناول من طعام السلطان وقد خاف ان لا يطعمكم الا الحلال ؟ » فقال له : « من أكل طعام السلطان وهو حلال أظلم قلبه أربعين يوما ، ومن أكله وفيه شبهة مات قلبه أربعين سنة » اه .

ومما ينخرط في هذا السلك : أن السلطان المذكور كان له اعتقاد في الشيخ أبي عمرو القسطلي ، وكان يعظمه غاية ، وكانت عنده مظلة له من سقف النخل يتقى بها الحر تبركا بها ، ولما توفي الشيخ أبو عمرو المذكور ، وذلك يوم الجمعة منتصف شوال سنة أربع وسبعين وتسعمائة ، حضر السلطان المذكور جنازته وحا التراب على قبره بيده .

ومن أخبار السلطان المذكور : أن الشيخ أبا محمد عبد الله بن حسين المغاري كان ظهر بمراكش وكثرت الجموع عليه وقصده الناس من كل جهة فارسل اليه السلطان المذكور : « اما أن تخرج عني أو أخرج عنك » فقال الشيخ ابن حسين : « بل أنا أخرج » وخرج من فوره الى تامصلوحت فكان من أمره ما كان .

استيلاء النصارى على حجر باديس والسبب في ذلك



قد تقدم لنا في أخبار الوطاسيين أن النصارى بنوا حجر باديس واستولوا على وهران سنة أربع عشرة وتسعمائة ، واستمروا بهما إلى أن انتزعهما الترك من أيديهم . ولما كانت دولة السلطان الغالب بالله وطمع الترك في الاستيلاء على المغرب الأقصى أغرى السلطان المذكور النصارى بالاستيلاء على الثغور الهبطية وسد أنقابها دونه .

قال في «النزهة» : ذكر بعضهم أن السلطان الغالب بالله لما رأى عمارة ترك الجزائر وأساطيلهم لا يتقطع ترددها عن حجر باديس ومرسى طنجة ، يعنى البوغاز ، وتخوف منهم اتفق مع الطاغية أن يعطيه حجر باديس ، ويخليها لهم من المسلمين ، فتقطع بذلك مادة الترك عن المغرب ، ولا يجدوا سبيلا إليه ، فنزل النصارى على حجر باديس وأخرجوا المسلمين منها ، ونشوا قبور الاموات وحرقوها ، وأهانوا المسلمين كل الاهانة ، ولما بلغ خبر نزولهم عليها لولده محمد ، وكان خليفته على فاس خرج بجيوشه لاغاثة المسلمين ، فلما كان بوادى اللبن بلغه استيلاؤهم عليها فرجع وتركها لهم « اه . وذكر اليفرنى انه وجد هذه الاخبار فى أوراق مجهولة والله تعالى أعلم .



فتنة الفقيه أبى عبد الله الاندلسى ومقتله



كان الفقيه أبى عبد الله محمد الاندلسى ، نزىل مراكش ، متظاهرا بالزهد والصلاح حتى استهوى كثيرا من العامة فتبعوه ، وكانت تصدر عنه مقالات قبيحة من الطعن على أئمة المذاهب رضى الله عنهم ينحو فيها منحى ابن حزم الظاهرى ، ويتفوه بمقالات شنيعة فى الدين ، فأمر السلطان الغالب بالله بقتله : فاستغاث بالعامة من أتباعه واعصوبوا عليه ، ووقعت فتنة عظيمة بمراكش بسببه الى أن قتل وصلب على باب داره برياض الزيتون من المدينة المذكورة . وكان ذلك أواسط ذى الحجة من سنة ثمانين وتسعمائة (*) .



ظهور بدعة الشراقة من الطائفة اليوسفية وما قيل فيهم



قال فى «الدوحة» : « كان الشيخ أبى العباس أحمد بن يوسف الراشدى نزىل مليانة تظهر على يده الكرامات وأنواع الانفعالات فبعد صيته وكثرت أتباعه ففلوا فى محبته وأفرطوا فيها حتى نسبهم الى النبوة ، قال : « وفشا ذلك الغلو على يد رجل ممن صحب أصحابه يقال له : ابن عبد الله فأنه تزندق وذهب مذهب الاباضية على ما حكى عنه ، واعتقد هذا المذهب الخسيس كثير من الفوغاء وأجلاف العرب وأهل الاهواء من الحواضر ، وتعرف هذه الطائفة باليوسفية » قال : « ولم يكن اليوم بالمغرب من طوائف المبتدعة سوى هذه الطائفة ، وسمعت بعض الفضلاء يقول : انه قد ظهر ذلك فى حياة الشيخ

(*) الصواب ان ذلك وقع سنة ٩٨٤ انظر « درة الحجال » فى ترجمة أبى عبد الله الاندلسى ص ١٦٧ وفى « الدوحة » ص ٨١ : وكان قتله بأمر من السلطان محمد المتوكل بن الغالب لا من الغالب كما عند المؤلف .

أبى العباس المذكور فلما بلغه ذلك قال : « من قال عنا ما لم نقله يبتليه الله بالعلة والقلة ، والموت على غير ملة » .

قال صاحب «الدوحة» : «ولقد أشار الفقهاء على السلطان الغالب بالله بالاعتناء بحسم مادة فساد هذه الطائفة فسجن جماعة منهم وقتل آخرين ، وهؤلاء المبتدعة ليسوا من أحوال الشيخ فى شىء ، وإنما فعلوا كفعل الروافض والشيعة فى أئمتهم ، وإنما أصحاب الشيخ كأبى محمد الخياط ، والشيخ الشطيبى ، وأبى الحسن على بن عبد الله دفين تافلات وأنظارهم من أهل الفضل والدين ، والا فالائمة المقتدى بهم كلهم يعظم الشيخ ويعترف له بالولاية والعلم والمعرفة » اهـ .

وقال فى «المرآة» مانصه : والشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدى الملىانى من كبار المشايخ أهل العلم والولاية وعموم البركات والهداية ، وكان كثير التلقين ، فقال له الشيخ أبو عبد الله الخروبى : «أهنت الحكمة فى تلقينك الاسماء للعامة حتى النساء» فقال له : « قد دعونا الخلق الى الله فأبوا فقتلنا منهم بان تشغل جارحة من جوارحهم بالذكر» قال الشيخ الخروبى : «فوجدته أوسع منى دائرة » .

قال صاحب «المرآة» : « وانتسبت اليه الطائفة المعروفة بالشرافة بتشديد الراء وهو برىء من بدعتهم فما كان الا امام سنة وهدى مقتدى به فى العلم والدين قد نزهه الله وطهر جانبه ، وقد أظهروا شيئا من ذلك فى حياته فقبراً منهم ، وقتلهم وبلغ المجهود فى تشريدهم » قال : « وحدثنى شيخنا أبو عبد الله النيجى أن الشيخ أبا البقاء عبد الوارث الياصوتى لما ظهرت بدعة الشرافة وانتسابهم اليه وقع فى نفسه من ذلك شىء فقليل له : «ان الشيخ أبا محمد الخياط من أصحابه » فقال : «أنا تائب الى الله ، كفى فى طهارة جانبه أن يكون الخياط من أصحابه» وكانت وفاة الشيخ الملىانى سنة سبع وعشرين وتسعمائة لكن ما كان غفوان تلك البدعة المدسوسة عليه الا فى دولة السلطان الغالب بالله كما مر ، والله يضل من يشاء ويهدى من يشاء .

احتیال النصاری بمکیدة البارود بجامع المنصور من مراکش

وما وقى الله تعالى من شرها



كان بقصبة مراکش جماعة من أسارى النصارى من لدن أيام أبى العباس الاعرج وأخيه أبى عبد الله الشيخ فرأوا الجم الغفير من أعيان المسلمين وأهل الدولة يحضرون كل جمعة للصلاة مع السلطان بجامع المنصور من القصبة المذكورة ، فحدثهم أنفسهم الشيطانية بأن يصنعوا مكيدة يهلكون بها السلطان ومن معه ، فحضرُوا في خفية تحت الجامع المذكور حفرة ملاؤها من البارود ووضعوا فيها فتيلة تسرى فيه النار على مهل كي يتقلب الجامع باهله وقت الصلاة . فنفطت المينا وانهدت بها القبة الواسعة من الجامع المذكور ، وانشق مناره شقاكيراً ولازال ماثلاً به الى الآن ، وكان ذلك مبلغ ضررهم ، وكفى الله المسلمين شر تلك المكيدة ولم يتمكن لهم الحال على وفق ما أرادوا . وكان ذلك سنة احدى وثمانين وتسعمائة .



وفاة السلطان أبى محمد عبد الله الغالب بالله رحمه الله



قال الشيخ أبو العباس ابن القاضى فى شرح «درة السلوك» : «توفى السلطان أبو محمد عبد الله الغالب بالله يوم الجمعة الثامن والعشرين من رمضان سنة احدى وثمانين وتسعمائة بسبب غم كان يعتريه » اه . وهذا الغم هو الداء المسمى عند العامة بالضيق ، أعاذنا الله منه ، وذكر غيره أنه توفى فى شوال بسبب تكلفه للصيام فعدت عليه العلة المذكورة . وشاع على ألسنة الناس أنه بات يصلى ليلة سبع وعشرين من رمضان فوافته ميتته وهو ساجد ، وذلك كذب ، ودفن رحمه الله عند ضريح أبيه بقبور الاشراف وقبره معروف . ومما كتب بالنقش على رخامة قبره هذه الايات :

أيا زائري هب لي الدعاء ترحما فاني الى فضل الدعاء فقيـر
وقد كان أمر المؤمنين وملكهم الى وصيتي في البلاد شهير
فها أنا ذا قد صرت ملقى بحفرة ولم يغن عني قائد ووزير
تزودت حسن الظن بالله راحمي وزادى بحسن الظن فيه كبير
ومن كان مثلي عالما بحنانه فهو بئيل العفو منه جدير
وقد جاء ان الله قال ترحما ائى ما يظن العبد بى سيصير
وحكى أن ابنه ابا عبد الله المعروف بالسلوخ لما قرأ هذا الايات عاقب
ناظمها وقال له: «ان فى قولك : ملقى بحفرة دسيـة وتلويحا الى الحديث: «القبر
روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» فهلا قلت ببلقع أو نحوه » .



بقية اخبار السلطان الغالب بالله وسيرته

كان السلطان أبو محمد عبد الله الغالب بالله ذا سياسة وخبرة بأحوال
الملك وتأن فى الامور ، ولما ولى الخلافة ألان الجانب وخفض الجناح وسار
بسيرة حسنة حتى صلحت الرعية وازدانت الدنيا ، وانتعش الناس حتى كان
يقال: ثلاث عينات هم عيون الزمان: السلطان المولى عبد الله، والشيخ أبو محمد عبد
الله بن حسين المغارى ، والشيخ أبو السرور عياد السوسى .
قال اليفرنى : ورأيت من جملة سؤال كتب به الفقيه الصالح خطيب
الجامع الاعظم بتارودانت أبو زيد عبد الرحمن التلمسانى الى قاضى الجماعة
أبى مهدى عيسى بن عبد الرحمن السكتانى يقول فيه : « ولا شك أن مولاي
عبد الله مجمع على عدالته وبيعته » وقد أخبرنى الثقة من أصحاب الشيخ
النجام أبى العباس أحمد بن موسى السملالى أنه قال : « مولاي عبد الله
ياقوتة الاشراف هو صالح لا سلطان » وقد اشتهر بين الانام وعلى السنة الخاص
والعام أن السلطان الغالب بالله كان عدلا صالحا ووقع فى الرسالة التى كتب بها

ابن أخيه السلطان أبو المعالي زيدان بن منصور الى الفقيه أبي زكرياء يحيى ابن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الجاحي ما ظاهره يخالف ذلك ، ويؤذن بأنه كان كغيره من الملوك ، ونص المحتاج اليه من تلك الرسالة مخاطبا للفقيه المذكور يقول : « وقد تحققت وعلمت أن ولاية أحمد بن موسى السملالي كادت تكون قطعية واشتهر أمره عند الخاص والعام حتى أطبق أهل المغرب على ولايته ، وقد كان على عهد مولانا عبد الله برد الله ضريحه ، وكان المولى المذكور على ما كان عليه واشتهر عنه ، وما برح الشيخ المذكور يدعو له ولدولته بالبقاء ويظهر حبه ، وكان المولى المذكور يعزل ويولي ويقتل ، وكان شردمنه الى زاويته المرباط الاندلسي وولد آصناك وأمثالهم ، وكان الشيخ يقدم للشفاعة فيشفع ولا يتعقب ، ولا يبحث عما وراء ذلك باق على عهده ومودته . وكان المولى المذكور بعث لابن حسين بسد داره فما فتحها حتى أمره ، ولا استعظم أحد ذلك ولا أكثر فيه ولا جعله سببا لفتح الفتنة ، وكان قواد المذكور مثل وزيره ابن شقراء ، وعبد الكريم بن الشيخ ، وعبد الكريم بن مؤمن النعلج ، والهبطي ، والزرهوني ، وعبد الصادق بن ملوك ، وغيرهم ممن لا يحضرنى ذكرهم لبعد عصرهم قد انغمسوا في شرب الخمر واتخاذ القيان وبسط الحرير وغير ذلك من آلات الفضة والذهب ، وكان في عصره أحمد بن موسى المذكور وابن حسين ، والشرقي ، وأبو عمرو القسطلي ، وأبو محمد ابن ابراهيم التامارتي ، والشيظمي ، وغير هؤلاء من المشايخ وأهل الدين الذين لا يسع من يدعى هذه الطريقة التقدم عليهم ولا اكتساب الفضيلة دونهم ، فأحسنوا السيرة ولا تعرضوا للسلطنة ، ولا سمع منهم ما يقدح في ولاة الامر وقادة الاجناد ممن ذكر الذين كان الملك يدور عليهم ويرجع اليهم في تدبيره اه القدر المحتاج اليه من الرسالة المذكورة .

قال اليفرنى : « ومثل هذا ما ذكر بعضهم : أن السلطان الغالب بالله أعطى حجر باديس للطاغية لتقطع بذلك مادة الترك عنه ، ومثله ما ذكر عنه ايضا : أن قائده ابن تودة أخذ بعض أسوار الجديدة وعزم على فتحها من الغد فكتب اليه السلطان المذكور ينهائهم عن ذلك ، ونظيره أيضا قضيه مع أهل غرناطة

وأطال فيها هذا البعض المنقول عنه بما استكتفت من ذكره هنا ، قال : « وهذه أمور شنيعة ان صح أنه فعلها ولست أدخل في عهدها لانى انما رأيته فى أوراق مجهولة المؤلف اشتملت على ذم هذه الدولة السعدية وظنى انها من وضع بعض أعدائهم لحطه من قدرهم واخراجه اياهم من النسب الشريف ، ووصفه دولتهم بالدولة الخبيثة ، فلذا تجنبت منها كثيرا من الاخبار التى لاتظن بأولئك السادة رحمهم الله ، فقد قال الشيخ تاج الدين السبكي رحمه الله فى طبقاته : « ان المؤرخين على شفا جرف هار لانهم يتسلطون على أعراض الناس وربما وضعوا من الناس تعصبا أو جهلا أو اعتمادا على نقل من لا يوثق به » قال : « فعلى المؤرخ أن يتقى الله تعالى » . اه الا أن الملوك لا يستغرب فى حقهم أن يهدموا أساس الشريعة لينوا منار رياستهم ، ويستهنوا عظام الامور لتطيعهم الرعية ساعة ، كيف لا وشراع أفدنتهم تلعب به رياح الشهوات فتلقى سفينة قلوبهم على ساحل بحر القنوط من رحمة الله تعالى ، والله يسامح الجميع ويتجاوز عن كافة عصاة هذه الامة بمنه وفضله » . اه كلام اليفرنى رحمه الله .

ومن وزراء السلطان الغالب بالله : ابن أخيه الامير الاجل الاديب الاحفل أبو عبد الله محمد بن عبد القادر بن محمد الشيخ كان من أنبل الوزراء وألطفهم مسلكا وأخفهم روحا . وله عارضة فى النظم والنثر .

ذكر الاديب أبو محمد عبد الله بن محمد الفاسى فى كتابه : « الاعلام بمن مضى وغبر ، من أهل القرن الحادى عشر » ما صورته : « قدم الوزير أبو عبد الله محمد بن عبد القادر السعدى من مراکش الى فاس ، ومعه الفقيه قاضى الجماعة أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الحميدى ، والفقيه الامام أبو العباس أحمد المنجور ، فلما تبدت لهم معالم فاس الجديد ، « وتلفى للشوق فى جوانحهم أوار » ، « وأبرح ما يكون الشوق يوما ، اذا دنت الديار من الديار » وأنشد الوزير المذكور لنفسه ارتجالا :

أخلائى هذا المستقى وربوعه وهذى نواير البلاد تتسوح
وذاك المصلى مطرح الشوق والاسى وتلك منازل الديار تلـسوح

فقال القاضي الحميدى ارتجالا :

وتلك القباب الخضر شبه زبرجد بهن غوان طرفهن جمـ
يـمـنـن كأملود من الروض يانع شذهن من حول الديار يفوح
فقال الفقيه أبو العباس المنجور ارتجالا أيضا :

ويرفلن فى الحلات يخلن فى الحلـ وفيهن أنوع الجمال وضوح
يبادرن ترقيع الكوى بمحاجر لأقبال حب طال منه نزوح
ولما بلغت الايات الى الاستاذ أبى العباس أحمد الزمورى قال مذيلا :

تأمل سنا الحسناء تحت قبابها كشمس غدت تحت السحاب تلوح
تحلت ربوع المستقى بجمالها وأنت الى تلك القباب تسروح
وبعضهم جعل البيتين الاولين للمولى الاديب أبى محمد عبد الواحد بن
أحمد الشريف السجلماسى ، وكان كاتباً للوزير المذكور ، ويجعل موضع
أخلائى أمولاي ، والبيتين بعدهما للوزير والله تعالى أعلم ، والمستقى بصيغة اسم
المفعول اسم بستان معروف :

ونظير هذا ذكره الاديب المذكور فى اعلامه المذكور . قال : كان الوزير
المذكور مع كاتبه المولى عبد الواحد الشريف فى بعض الاسفار ، وأرسلت
السماء بنيتها المدرار ، فقال الوزير المذكور :

لله أشكو غداة السفح اذ ركضت أيدى المطايا وحادى الريح يحدونا
فأجابه الكاتب المذكور :

والغيم فى الأفق قد أرخى ذوائبه بأسهم الودق لا ينفك يرمىنا
فقال الوزير :

حتى استوى الماء والأكام واستترت معالم الرشد لآخرت يهدينا
فطلت الخيل فى الامواج سابحة سبح السلاحف نحو الدار يهونا
فقال الكاتب :

والنفس فى قلق ليلين مألها والشوق يحدونا والحال يقصينا
فقال الوزير :

كاننا لم نبت والوصل ثالثا حتى غدا الطير فوق السرح يفشنا

وأخبار هذا الوزير ونوادره كثيرة ، وهو الذى أخرج بنى راشد من مدينة شفشاون حسبما مر ، وكانت وفاته فى العشرين من جمادى الثانية سنة خمس وسبعين وتسعمائة .

ومن وزراء السلطان الغالب بالله أيضا : القائد عبد الكريم بن مؤمن بن يحيى العليج الجنوى ، وعبد الرحمن بن تودة ، وقاسم الزرهونى ، وأحمد الهبطى . ومن ولاية مظالمه : أبو عمران موسى بن مخلوف الكنسوسى ، وهو والى الشرطة وكان فقيها مشاركا .

وذكر بعضهم : أن الشيخ الصالح أبا العباس أحمد بن موسى السملالى كان فى بعض قدماته على السلطان الغالب بالله (*) قد انحسر الناس لزيارته بزاويته ، فوقف أبو عمران المذكور يزود الناس عنه ويقول : « رحمكم الله من زار خرج » فسمعه الشيخ فقال له : « لا تقل ذلك وقل : من جار خرج » ومن كتاب السلطان المذكور : محمد بن عبد الرحمن السجلماسى . ومحمد بن أحمد بن عيسى وغيرهما . ومن قضاته بمراكش : الفقيه قاضى الجماعة أبو القاسم بن على الشاطبى ، وبفاس أبو عبد الله العوفى ، وأبو مالك عبد الواحد الحميدى رحمهم الله .



الخبر عن دولة السلطان أبى عبد الله محمد المتوكل على الله

ابن السلطان عبد الله الغالب بالله رحمه الله



لما توفى السلطان الغالب بالله بحضرة مراكش كان ابنه محمد هذا بفاس ، وكان ولى عهد أبيه فاجتمع أهل العقد والحل بمراكش ، واستأنفوا له البيعة ،

(*) الذى فى « الفوائد ان الموفود عليه هو السلطان محمد الشيخ بتارودانت والذى كان يزود الناس هو صاحب شرطته الامير ابو زكرياء ابن الغازى انظر ذلك فى النصيحة التى وجهها المؤلف ابو زيد التنامرتى لابی حسون المعروف بابى دميعة لما قام بالسوس اهـ .

وكتبوا بها اليه ، فوصلت اليه وهو بفاس أوائل شوال سنة احدى وثمانين وتسعمائة فبايعه أهل فاس وتم أمره .

قال ابن القاضي : أمه : أم ولد ، وكنيته : أبو عبد الله ، ولقبه المتوكل على الله ويعرف عند العامة : بالملسلوخ لانه سلخ جلده وحشى تبنا كما سيأتى .

وكان مما وقع فى أيامه أنه كانت بين المسلمين وبين نصارى طنجة وقعة بالرملة المسماة بأبى غاص من فحص طنجة قرب قنطرة عصماء ، وذلك يوم الاربعاء متخف جمادى الاولى سنة اثنين وثمانين وتسعمائة ، وفى هذه الوقعة اسشهد الشيخ أبو مهدى عيسى بن الحسن المصباحى دفين الدعايع على وادى مضى من عمل القصر ، فانه حمل بعد استشهاده الى الموضع المذكور فدفن بازاء قبر أبيه فى الروضة التى هنالك .

ولاستمر أمر أبى عبد الله المتوكل منتظما الى أواخر سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة ، فقدم عليه عمه عبد الملك بن الشيخ بجيش الترك فشر سلكه وبدد ملكه على ما ذكره . ويقال : انه كان أضمر الفتن بعلمه أحمد وعبد الملك ففرا منه الى ناحية الترك على ما سيأتى . قالوا : وكان السلطان المذكور قفيها أديامشاركا مجيدا قوى العارضة فى النظم والشر ، وكان مع ذلك متكبرا تياها غير مبال بأحد ، ولا متوقفا فى الدماء عسوفيا على الرعية ، ومن شعره قوله :
فقم بنا نصطبيح صباه صافية فى وجهها عسجد فى وجهه نقط
وانهض اليها على رغم العدا قلقا فان تأخير أوقات الصبا غلط
ومن شعره أيضا قوله :

ساروا فسار فؤادى اثر ظعنهم وخلفونى نحيل الجسم حيرانا
لا افر ثغر الثرى من بعد بينهم ولا سقى هائل وردا وريحانا
وكان خليفته بمراكش : القائد ابن شقراء ، وحاجبه : أحمد بن حمو الدرعى ، وكتابه : يونس بن سليمان التاملى ، وعلى بن أبى بكر ، وغيرهما ، رحمهم الله تعالى .

الخبر عن دولة السلطان أبي مروان عبد الملك المعتصم بالله ابن محمد الشيخ وأولية أمره وماله

كان أبو مروان عبد الملك بن أبي عبد الله الشيخ السعدي ، وأخوه أبو العباس أحمد المدعو بعد : بالمنصور مقيمين بسجلماسة سائر أيام أبيهما ، فلما توفي وولي الأمر بعده ابنه الغالب بالله فر عبد الملك وأحمد الى تلمسان خوفا على أنفسهما منه ، فأقاما عند صاحبها حسن بن خير الدين مدة ، ولحق بهما أخوهما عبد المؤمن فصار ثلاثة الانافي ، ثم انتقلوا بعد ذلك الى الجزائر ، ومنها ركب عبد الملك البحر الى القسطنطينية متطارحا على صاحبها السلطان سليم بن سليمان العثماني رحمه الله ، فامده بالجند حتى ملك المغرب كما سيأتي .

ولنذكر هنا كيفية استيلاء العساكر العثمانية على تونس وانقراض أمر الحفصيين منها ثم نرجع الى بقية أخبار السلطان أبي مروان المعتصم بالله لانها تنبئ على ذلك فنقول : اعلم أن أمر بني أبي حفص أصحاب تونس كان قد مرج في هذه المدة وتداعى الى الاختلال ، وكان خير الدين باشا التركي المقدم ذكره في أخبار تلمسان قد استولى على تونس في حدود الاربعين وتسعمائة وغلب عليها صاحبها الحسن ابن محمد الحفصي ، ففر الحسن المذكور الى طاعة الاصبينول صاحب قشتالة فأعطاه العساكر وجاء بها الى تونس ، فنزل عسكر النصارى ببرج العيون قرب حلق الوادى ، وتقدموا الى تونس فملكوها ، وانهمزم خير الدين الى الجزائر ، وشارك النصارى الحسن بن محمد في امرة تونس ، واستباحوا أهلها قتلًا وأسرا ونهبًا ، يقال : انهم قتلوا من أهل تونس الثلث ، وأسروا الثلث ، وأبقوا الثلث ، وكل ثلث ستون ألفا هكذا عند صاحب « الخلاصة النقية » . ثم ملكوا الموضع المسمى : بحلق الوادى وليس هناك واد عذب وانما هو جون دخل من البحر فى البر وعليه مرسى تونس ، ثم بنى النصارى فى الحلق المذكور حصنا عاديا أقاموا فى بنائه نحو ثلاث وأربعين سنة ، بحيث عجز الترك عن هدمه لما ملكوه بعد .

ثم نار على الحسن ابنه أحمد المدعو : حميدة . وملك الحضرة مدة وقاتل

نصارى حلق الوادى فامتنعوا عليه ، ثم غزاه على باشا صاحب الجزائر واستولى على تونس سنة سبع وسبعين وتسعمائة وطرده أحمد عنها ، فذهب أحمد الى طاعية فنبأه مستغيثا به شأن أبيه من قبله ، هذا كله ونصارى الحلق لازالوا متمكنين منه أى تمكن ، فأمد الطاعية أحمد المذكور باسطول عظيم واشترط عليه أداء مال فالترمه .

ولما وصل الاسطول الى ظاهر تونس اطلع قائده السلطان أحمد على كتاب من الطاعية مضمنا المشاركة فى الحكم ، فأنكر أحمد ذلك وأنف منه ، وذهب الى صقلية فبقى بها الى أن مات وحمل الى تونس . وكان هنالك أخوه محمد بن الحسن فرضى بالمقاسمة ودخل بالنصارى الى تونس فاستولى عليها وملك قصبتها وجالسه شريكه النصرانى بها ، واتهبت المدينة وأهين الدين وعم الخراب وتكدر المشرب وتفرق الجمع ، وارتبطت خيل العدا بالجامع الاعظم والقيت مافيه من نفائس الكتب بالطرق ونش قبر الشيخ أبى محفوظ محرز بن خلف فلم يوجد فيه الا الرمل حماية من الله له ، وحاشا أن تعدوا الارض على جسد مثله ، وأرسل محمد بن الحسن الى الناس بالامان واستمالهم النصرانى بعد بكاذب الرفق ، فأقاموا بدار مذلة وهوان .

واتصل ذلك كله بالسلطان سليم بن سليمان العثمانى فأعظمه ، وجهاز العماراة للحين مع الوزير سنان باشا يقال : كانت أربعمائة وخمسين قطعة فخرج بها الوزير المذكور من القسطنطينية ، وهى اصطنبول ، غرة ربيع الاول سنة احدى وثمانين وتسعمائة ، ووصلوا الى حلق الوادى فى الرابع والعشرين منه ، وكان حيدر باشا صاحب القيروان ، ومصطفى باشا صاحب طرابلس محاصرين لتونس قبل ذلك حتى فتر عزمهم ، فلما قدم عليهم سنان باشا قويت نفوسهم واعصو صبا عليه ، وتقدموا الى الحصن الذى بحلق الوادى فحاصروه حتى اقتحموه عنوة سادس جمادى الاولى من السنة المذكورة ، أعنى سنة احدى وثمانين وتسعمائة ، واستلحموا من به وغنموا ما فيه ، والتجأ محمد بن الحسن الحفصى وأنصاره من النصارى الى البستيون ، وهو حصن آخر كانوا قد بنوه خارج باب تونس ، فحاصروهم سنان باشا به حتى اقتحمه عنوة . وقتلوا من به ، وامتلأت

أيديهم من المغنم ، وطهر الله بهم البلاد ، وكانت إحدى الوقائع الجليلة القدر ،
الباقية الذكر ، وظفر الوزير بمحمد بن الحسن فاحتمله معه إلى السلطان سليم
فاعتقله في يد قاة أحد حصونه حتى هلك ، وانقرضت بمهلكه دولة بني أبي
حفص التي هي بقية الموحدين .

إذا علمت هذا ، فاعلم أن استيلاء العساكر العثمانية على تونس كان قبل وفاة
السلطان الغالب بالله بنحو خمسة أشهر ، لأن وفاته كانت في آخر رمضان سنة
أحدى وثمانين وتسعمائة كما مر ، وفتح تونس كان في جمادى الأولى من
السنة المذكورة . ووقع في «النزهة» : أن فتح تونس كان سنة اثنين وثمانين
وتسعمائة ، وهو غير صواب ، والله تعالى أعلم .

❦

مجيء السلطان أبي مروان عبد الملك بن الشيخ السعدي بعسكر الترك واستيلائه على المغرب



اعلم أنه وقع في «النزهة» وغيرها أن عبد الملك بن الشيخ وأخاه أحمد
كانا في ابتداء أمرهما بسجلماسة فلما توفي أبوهما وولى أخوهما الغالب بالله
لحقا بتلمسان فأقاما بها مدة ثم انتقلا إلى الجزائر ، فلما اتصل بهما خبر وفاة
أخيها الغالب وولاية ابنه محمد المتوكل من بعده ركب عبد الملك البحر إلى
القسطنطينية وتطارح على ملكها العثماني في أن يمدد بجيش ليملك المغرب ، فتناقل عنه
العثماني إلى أن بعث بالعمارة لفتح تونس فشهد عبد الملك الفتح ، وعاد إليه
بالشارة فأسعفه ، وهذا غير صواب من جهة أن فتح تونس كان مقدما على
وفاة الغالب بالله كما مر ، اللهم إلا إذا كان عبد الملك وفد على العثماني مستعديا
على أخيه الغالب بالله ، وفي أثناء ذلك توفي وولى ابنه المتوكل فيكون الكلام
صحيحا ، وأما ما في «النزهة» مما يقتضي تأخر فتح تونس عن وفاة الغالب بالله
فغير صواب كما مر .

ولنذكر ما حكمه من ذلك فقول : لما بويع السلطان أبو عبد الله محمد

المتوكل على الله كان عبد الملك بن الشيخ وأخوه أحمد المدعو بعد بالمنصور بالجزائر ، فركبوا البحر الى القسطنطينية العظمى قاصدين السلطان سليم بن سليمان العثماني رحمه الله ، ومع عبد الملك أمه سحابة الرحمانية ، وزعم بعضهم أن التي كانت معهما مسعودة الوزكيتية ، وهي أم أحمد منهما ، فأتتها الى القسطنطينية وتعلقا بكبراء الدولة حتى أدخلوهما على السلطان سليم ، ودخلت أمهما داره ، وطلبوا منه أن يبعث معهم العساكر لتملك المغرب ، ويقوموا فيه بدعوته ، فتأقل عنهم مدة الى أن كان الغزو الى تونس فكسب السلطان سليم الى أهل الجزائر وأهل طرابلس أن يوجهوا قراصينهم لحصار تونس مع العمارة الموجهة من قبله ، فطلب عبد الملك وأخوه أحمد من الدولتين ، وهو صاحب الجزائر ، أن يجعل لهما رئاسة قرصان منها يتوجهان فيه للجهاد معه ، فأعطاهما غليوطة فيها ستة وثلاثون رجلا فركبها ولحقا بعمارة السلطان سليم في جملة مراكب الجزائر . هكذا وقع في سياقة هذا الخبر ، وهو يقتضي أنهما كانا يومئذ بالجزائر لا بالقسطنطينية ، فلعلهما عادا إليها من عند السلطان سليم الى أن سافرا في جملة عسكر الجزائر والله تعالى أعلم ، ولما فتحوا تونس واستأصلوا من بها من الكفار حسبما مر عين رئيس العمارة العثمانية مركبين يتوجهان بكتاب الفتح الى السلطان سليم ، فطلب منه عبد الملك وأحمد أن يأذن لهما في الذهاب معهما بالغليوطة ليأتيا بأمهما التي تركاها هنالك ، فلم يزلوا بالرئيس المذكور حتى أسعفهما . فكان من قدر الله تعالى ان هاج البحر عليهم ذات ليلة ففرق مراكبهم ، ولما أصبح عبد الملك وأحمد لم يجدا للمركبين أثرا فوافقهم السعد وساعدتهم الرياح فوصلوا الى القسطنطينية قبل المركبين بثلاث .

واتصل خبرهما بالصدر الاعظم فأحضرهما وسألهما عن العمارة وما كان منها فأخبراه بفتح تونس ، وقصا عليه الحديث من البدء الى التمام ، فأعلم السلطان سليما بهما فأدخلهما عليه وسألهما كذلك فأخبراه ، وسألهما عن كتاب الفتح فقالا : ان امير العمارة قد بعث به مع مركبين صحبناهما الى أن فرق بيننا البحر ولم ندر ما كان منهما بعد ذلك .

ولما رأيا من السلطان سليم تنزلا واهتزازا لكلامهما طلبا منه في بشارتهما أن يبعث معهم العساكر الى الغرب، وشفعا في انزال رأس والدهما ودفنه فقبل شفاعتهما، ثم أمر بهما الى بعض المنازل فأنزلهما به وأكرمهما، وبعث اليهما بالام التي كانت هناك وأرجأ أمرهما الى قدوم الخبر اليقين، وبعد ثلاث قدم المركبان ومعهما كتاب الفتح، وظهر صدق عبد الملك وأحمد، فحينئذ أقبل عليهما السلطان سليم وأعطاهما مالا وسلاحا وزادا وكتب لهما فرمانا للدولاتي صاحب الجزائر ليعت معهما خمسة آلاف من عسكر الترك تطأ معهما أرض المغرب الأقصى.

ولما قدما على الدولاتي بالفرمان وقرأه على أهل الديوان قالوا علينا الرجال وعليهما المال، وهذه عادتنا مع السلطان، ولما لم يكن عندهما مال يومئذ تطارحا على الخزنदार وعلى الاغا والوكيل وأهديا اليهم ورغبا منهم أن يسلفوهما ما ينفقانه في وجهتهما تلك الى أن يعثابه اليهم من المغرب، فسهلوا لهما وقوموا العسكر بما يحتاج اليه وفرضوا له المؤنة كل يوم بيومه الى أن يرجع، وأشهدوا عليهما بذلك في دفتر ققبلا وأعطوا خطوطهما به، ثم نهض عبد الملك وأخوه الى المغرب يجران عساكر الترك خلفهما، وكتب عبد الملك الى شيعته بالمغرب يعرفهم قدومه ويعدهم ويمنيهم الى أن كان من أمره ما كان. وساق اليفرنى هذا الخبر وفيه بعض مخالفة لما تقدم قال: «لما فتحت تونس كان عبد الملك أول من أرسل البشارة مع أصحابه الى السلطان العثماني فبلغت الرسالة أمه سحابة الرحمانية فاعطتها السلطان المذكور والتمست منه أن يعطيها في بشارتها أمر أهل الجزائر بالذهاب معها الى المغرب، فأعطاها ذلك، فجاء عبد الملك مع أمه بكتاب السلطان الى أهل الجزائر يأمرهم بالمسير معه لتملك ما كان بيد آبائه فطالبه أهل الجزائر بالراتب، فقال لهم: أسلفونسي وعلى القضاء فاتفق معهم أن يعطيهم عشرة آلاف لكل مرحلة، وكان عدد جيش الترك أربعة آلاف».

وقال في شرح «الدرة»: «ان عبد الملك طلب من رئيس الترك أن يعينه بحصة منهم توصله الى تخم بلاده ليدخلها اذ الجند كله جند أبيه لا يمكن

أن يقاتلوه ويضربوا في وجهه لتعظيمهم إياه فأسعفه على مراده ، وأرسل معه عصابة وحصة قليلة ، فاقبل بهم حتى انتهى الى الموضع المعروف بالركن من أحواز فاس ، فلما سمع بذلك ابن أخيه محمد المتوكل خرج للقائه بنفسه ، ولما التقى الجمعان نزع رئيس جند الاندلس سعيد الرغالي الى عبد الملك ، وكان عبد الملك يكتب حاشية المتوكل وبطاته ورؤوس أجناده ويعد طائعهم ، ويوعده عاصيهم ، فلما سمع المتوكل بما فعله جند الاندلس فت ذلك في عضده وفشلت ريحه وأيقن بالنكبة ظنا منه أن جنده كله سيفعل فعل الرغالي ، فكان ذلك سبب جزعه وفراره من المعركة وسبب خراب ملكه واقامة ملك عمه ، ويقال: ان بعض الجند لما سمع بان القائد جرمون وأولاد عمران نزعوا الى عبد الملك أيضا جاء الى المتوكل وقال له : « ان القائد ابن شقراء قد غدر وفر الى عبد الملك ، وكان ابن شقراء هذا من أكبر قواده وأصدقهم لديه ، فارتاع المتوكل لذلك وانقلب منهزما ، وانتهت خزائنه ، وأوقد فيها النار ، ونفط ما كان بها من البارود حتى رى من رؤوس الجبال .

ولما انهزم المتوكل بالركن عطف على فاس الجديد فاخذ منها ما يعز عليه من الذخيرة ثم خرج على وجهه الى مراكش لا يلوى على شيء فلحق به القائد ابن شقراء بوادى النجاة على مقربة من فاس وأغلظ له في القول ولامه على عدم الثبات والتثبت ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .



استيلاء السلطان ابي مروان عبد الملك المعتصم بالله على حضرة فاس وما يتبع ذلك



لما انهزم المتوكل بالركن وأجفل الى مراكش تقدم عمه أبو مروان الى فاس فدخلها واستولى عليها يوم الاحد سابع ذى الحجة سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة من باب الفتوح ، وبعد أن دخلها وبايعه أهلها أقام بها أياما ثم طمحت نفسه الى اتباع ابن أخيه الى مراكش ، ولما عزم على النهوض اليه طالبه الترك بان

يردهم الى بلادهم وأن يعطيهم المال الذى اتفق معهم عليه وهم يسمونه بلقتهم :
 البقشيش فبذل لكل واحد منهم أربعمائة أوقية ، واستسلف المال
 من تجار أهل فاس حتى يتسع حاله ، فكان جملة ما أعطى الترك خمسمائة
 ألف وأعطاهم عشرة من الانفاض ، منها النفض الكبير الذى له عشرة أفواه ،
 وزادهم من تحف المغرب وطرفه ما سلى به نفوسهم ، وركب لوداعهم بنفسه
 الى نهر سبو ، ثم رجع الى فاس .

وفى هذه المدة قبض على قاضيا الفقيه أبى مالك عبد الواحد بن أحمد
 الحميدى لامر نقمه عليه وأودعه السجن ، فبعث الفقيه المذكور أولاده الى
 الشيخ الصالح أبى النعيم رضوان بن عبد الله الجنوى يطلب منه أن يشفع له عند
 السلطان المعتمد بالله ، فكتب اليه الشيخ أبو النعيم يحضه على الاستشفاع
 بالنبى صلى الله عليه وسلم والاستمسك بحبله لانه باب الله الاعظم قبل القاضى
 اشارته ، وتوجه الى ربه بكلية ، فاتاه الفرج من حينه ، رحم الله الجميع بمنه .



نهوض السلطان ابى مروان الى مراکش واستيلاؤه عليها

وفرار ابن اخيه الى السوس وما نشأ عن ذلك



ثم ان السلطان أبا مروان نهض من فاس فى جنده الذى أقامه وكان غرس
 يده وفيما انضاف اليه من جند ابن أخيه وتقدم الى البلاد المراكشية قاصدا
 حربه وتشريده عنها ، ولما سمع ابن أخيه بخروجه اليه وقصده اياه تهيأ للملاقاة
 وسار الى منازلته فالتقى الجمعان بموضع يسمى خندق الريحان على مقربة من
 وادى شراط من أحواز سلا فكانت الهزيمة أيضا على المتوكل ، وفر برأس
 طمرة ولجام ، وأجفل كعاداته اجفالى النعام ، وتبعه أحمد المنصور خليفة أخيه
 أبى مروان يومئذ ، فلما سمع المتوكل باتباعه بعد بلوغه الى مراکش فر عنها
 الى جبل درن وأسلم له مراکش فدخلها أحمد نائبا عن أخيه ، وأخذ له
 البيعة على أهلها ثم لحق به السلطان أبو مروان فدخلها يوم الاثنين تاسع

عشر ربيع الثاني سنة أربع وثمانين وتسعمائة وأقام بها أياما ، ثم خرج في طلب ابن أخيه فعميت عليه أنبأؤه وسقط بين سمع الأرض وبصرها ، فعاد أبو مروان الى مراكش فاقام بها الى أن كان من أمره ما نذكره .



استخلاف السلطان أبي مروان لآخيه أبي العباس أحمد على فاس وأعمالها



لما استقر السلطان أبو مروان بمراكش وانقطع خبر المتوكل عنه بالسوس تقدم اليه أخوه أحمد وسأله أن يستخلفه على فاس ليكفيه أمرها ، فاجابه الى ذلك وولاه عليها فلما منه أن أمر المغرب قد صفا له ، وان المتوكل لا يعود اليه ، وكان الوزير أبو فارس عبد العزيز بن سعيد الوزكيتي حاضرا للطلبة والعطية ، فانكر ذلك ولم يره صوابا ، وقال : « لا ينبغي لكما أن تقعدا حتى يحكم الله بينكما وبين ابن أخيكما ، ففاظ ذلك أحمد وظن انه من سوء رأى عبد العزيز فيه وبغضه لجانبه ، فأعرض عن مقالة الوزير المذكور ، وذهب الى فاس خليفة عليها ، وبقي السلطان أبو مروان بمراكش .

وفي هذه المدة كتب السلطان أبو مروان لآخيه أحمد برسالة يقول فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ، من عبد الله المعتصم بالله ، المجاهد في سبيل الله أمير المؤمنين أبي مروان عبد الملك ابن أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسنى أيده الله وأعز نصره وأسعد زمانه المبارك وعصره وأبقى بمنه فخره من املائه أيده الله ونصره ، الى أخينا الاعز الاحظى بابا أحمد حفظه الله ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد فاعلم أنني لا أحب أحدا بعد نفسي كمحبتى لك ، ورغبتى في انتقال هذا الامر بعدى اليك لا لغيرك ، غير أنني أعتاد منك التراخي في الامور حتى أنك لا تبالي بعظيم الامر ولا تعتبره ، الى أن يتطرق الى ما لا يتلافى جبره ، من الامور التي تكاد لولا لطف الله تذهب بهذا الملك وتهلك أركانه ، ويبلغ العدو معها مناه

ومراد، من ذلك التراخي اهمالك أمر الجند الذى بالعرائش ، واغفالك له مع ما يترادف عليك فى كل ساعة من تلقائه من استدعاء ما دعت الحاجة اليه من المثونة والبارود والرصاص الذى لا يستقيم لهم أمر فى مقاومة العدو دون ذلك ، وجعلت تقابل خطابهم بالاهمال وعدم المبالاة ، والآن ساعة يرد عليك كتابنا هذا قبل وضعه من يدك ابعت اليهم مؤنة عشرة أيام بينما نصل ان شاء الله فيقع التدبير فيما يحتاجون اليه زائدا على ذلك مع ما عندكم هنالك من البارود والرصاص من غير عطللة ولا تراخ بحيث لا تقبل منك عذرا فى هذه المسألة التى لا تحتاج الى الاهمال ، ولا بد ولا بد ، فقد بلغنا أن صاحب النصارى يقرب آصيلا فى خمس عشرة مائة من النصارى ، وتمنيت أن لوحركك الهمة للاقتحام عليه فى مكانه بجيش يكسوه أردية الصغار ، ويرجع ساعة رؤيته الى عادته من الذل والفرار ، فاتبه من الغفلة وافتح عين الانتباه واليقظة ، فان الساعة لا تقضى الا الحزم ، والتشمير عن ساعد الاجتهاد والعزم ، والسلام ، اه .



ظهور ابى عبد الله المتوكل بالسوس ومجيئه الى مراکش

واستيلاؤا عليها



كان أبو عبد الله المتوكل بعد فراره عن مراکش يجول فى جبال السوس ويتنقل فى قبائلها وأحيائها الى أن اجتمعت عليه طائفة من الصعاليك وتأشب عليه ما يشبه ان يكون جيشا فاستهوتهم منه الاضاليل وقادهم قود الملك الضليل وجاء بهم الى مراکش . فسمع به السلطان ابومروان فخرج للقاءه فخالفه المتوكل وسلك طريقا غير طريقه ، وفجا غير فجّه ، وقصد مراکش فدخلها* باتفاق أهلها ونصروه وكتبوا له البيعة الا أنه لم يتمكن من القصة ، لان السلطان

(*) سنة ٨٤ وفى هذا السنة كانت فتنة أبى عبد الله الاندلسى ومقتله كما ذكره

المؤلف فيما سبق . انظر الدوحة صفحة ٨١ .

وستسمع في أخبار دولته من أنباء سعاداته ما تقف به على حقيقة الحال ان شاء الله . وأما أمر المتوكل فانه بعد توالى الهزائم عليه فر الى جبل درن وتوغل في قننه ثم فر منه الى باديس فاقام بها مدة ثم ذهب الى سبته ثم دخل طنجة مستصرخا بعظيم البرتقال ، والله تعالى لا يهمل من حقوق عباده وزن المثقال .



الغزوة الكبرى بوادى المخارن من بلاد الهبط والسبب فيها



كان من خبر هذه الغزوة أن السلطان المخلوع أبا عبد الله محمد بن عبد الله السعدى لما دخل طنجة قصد طاغية البرتقال ، واسمه سبستيان ، بكسر السين وفتح الباء والسين وسكون التاء القريبة من الطاء ، وهو طاغيتهن الأعظم ، وليس قائد الجيش فقط على ماهو المحقق في تواريخهم ، وتطارح عليه وشكا اليه ما ناله من عمه أبى مروان المعتصم بالله وطلب منه الاعانة عليه كى يسترجع ملكه . ويتنزع منه حقه ، فاشكاه الطاغية ولبى دعوته وصادف منه شرها الى تملك سواحل المغرب وأمصاره ، فشرط عليه أن يكون للنصارى سائر السواحل وله هو ما وراء ذلك فقبل أبو عبد الله ذلك والتزمه ، وللحين جمع الطاغية جموعه واستوعب كبراء جيشه ووجوه دولته وعزم على الخروج الى بلاد الاسلام .

ومن المتواتر في تواريخ الافرنج : ان كبار دولته حذروه عاقبة هذا الخروج ونهوه عن التفرير بيضة البرتقال وتوريطها في بلاد المغرب وقبائله ، فصم عن سماع قولهم ولج في رأيه ، وملك الطمع قلبه ، وأبى الا الخروج فأسغفوه وخرج من طنجة في جيش ، قال ابن القاضى في «المنتقى المقصور» : « عدده مائة ألف وخمسة وعشرون ألفا » ، وقال أبو عبد الله محمد العربى الفاسى في مرآة «المحاسن» يقال : ان مجموعهم كان مائة ألف وعشرين ألفا وأقل ما قيل في عددهم ثمانون ألف مقاتل . وكان مع محمد بن عبد الله نحو الثلاثمائة من أصحابه ، قال بعضهم : وكان عدد الانفاض التى يجرونها مائتين ،

وقصدوا هلاك المغرب وحصد المسلمين ، وادارة رحي الهوان على الدين ، فعظم ذلك على الناس وامتلاّت صدورهم رعباً وقلوبهم كرباً ، وبلغت القلوب الحناجر ، واتقدت بها نيران الهواجر ، وكان محمد بن عبد الله المذكور قد كتب عند خروجه بجيش البرتقال الى بلاد الاسلام رسالة بعث بها الى أعيان المغرب من علمائه وأشرافه وذوى رأيه يغمض عليهم بها فى نكت بيعته ونقضها ، ومبايعة عمه من غير موجب شرعى ، وقال لهم : « ما استصرخت بالنصارى حتى عدت النصر من المسلمين » وقد قال العلماء : انه يجوز للانسان أن يستعين على من غصبه حقه بكل ما أمكنه . وتهدهم فيها وأبرق وأرعد . وقال : « فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » وسمى النصارى : أهل العدو واستنكف من تسميتهم نصارى ، فأجابه علماء الاسلام رضوان الله عليهم عن رسالته تلك برسالة دامغة لجيش أباطيله وفاضحة لركيك تأويله ، وهذا نص جواب تلك الرسالة حرفاً حرفاً : « الحمد لله كما يجب لجلاله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير أنبيائه وارساله ، والرضى عن آله وأصحابه ، الذين هجروا دين الكفر فما نصروه ولا استنصروا به ، حتى أسس الله دين الاسلام بشروط صحته وكماله .

وبعد ، فهذا جواب من كافة الشرفاء والعلماء والصلحاء والاجناد من أهل المغرب وفقهم الله لمولانا محمد ابن مولانا عبد الله السعدى عن كتابه الذى استدعاهم فيه لحكم الكتاب والسنة ، واستدل بحججه الواهية المنكبة عن الصواب ، قائلين له عن أول حجة صدر بها الخطاب ، لو رجعت على نفسك اللوم والعتاب لعلمت أنك المحجوج والمصاب ، فقولك : خلعنا بيعتك التسي التزناها ، وطوقناها أعناقنا وعقدناها ، فلا والله ما كان ذلك منا عن هوى متبع ، ولا على سبيل خارج عن طريق الشرع مبتدع ، وانما ذلك منا على منهج الشرع وطريقه ، وعلى سبيل الحق وتحقيقه ، وسنشرح لك ذلك ونبينه ، ونسطره لك بالادلة الشرعية التى ترقيه وترينه ، نعم كنت سلطاناً بما عقد لك والدك من البيعة ، وترك لك من الاموال والعدد والحصون مما لم يتهياً مثله لآحد من أسلافكم الكرام رضوان الله عليهم ، فجاهدوا بما حصل لهم من ذلك فى

الله حق جهاده ، حتى استخلصوا من أيدي الكفار رقاب عباد الله وحصون بلاده ، وأسسوا لدين الله قواعد وأركاناً ، وملكوا من المغرب بلاداً معتبرة وأوطاناً ، فلما وصل ذلك اليك ألفت اليك العباد أعنتها ، وملكك أزمته ، غير مبدلين ولا مغيرين ، ولا باغين ولا منكرين ، الى أن قام عليك عمك بحجته التي لا يمكنك ججدها ، حسبما ثبت كما يجب عقدها ، فخرجت مبادراً له بدفعها ، ولقيته بها وأنت واسطة عقدها ، وحامل راية عهدها ، وعمك في فئة لا يخطر على بال عاقل أن يقابل جنداً من جنودك ، أو يدافع ما تحت لواء من ألويتك وبنودك ، فما هو الا أن جرى القتال ، وحضر النزال ، رجعت على عقبك هارباً هروب مطرود بقصاص ، وجنودك تناديك ولات حين مناص ، فتركت عدوك ومحلتك بكل ما فيها ، وخلقتها لعدوك ينهبها ويسبيها ، وهربت عن مدينة فاس المحروسة وسكانها ينادونك : لمن تركتنا والى من تكلنا ؟ فلم تلثف اليهم وأسلمت بلادهم على ما فيها من خزائن الاموال والعدد الوافرة والرجال والاسوار المرتفعة للمانة ، والمدينة المشهورة الجامعة ، فأصبح أهلها واليد العادية من المفسدين تريد أن تمتد الى الحريم والاولاد ، والطارف والتلاد ، ولادافع عن الضعفاء والمساكين الا الله تعالى الذي قال في مثلهم : «ومن أصدق من الله قيلاً» ، لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، فما أمكنهم بعد هروبك عنهم وأسلامك لهم فوضى مهملين الا النظر في أمرهم ، واعمال الفكر في التدبير على أنفسهم ، فبينما هم على ذلك اذا بعك بجنوده على باب مدينتهم قائماً بحجته ، سالكا في ذلك سبيل أبيه رحمه الله ومحجته ، حسبما تقرر ذلك عندكم وظهر ، ولم يخف عنكم منه عين ولا أثر ، اذ كان مولانا محمد الجد الاكبر عهد لاولاده مولانا أحمد ، ومولانا محمد الشيخ واخوانهم ، لا يتولى الخلافة منهم ولا من اولادهم الا الاكبر فلاكبر ، فالتزموا ذلك الى أن كبر اولادهم فطلب جدك من عمك الوفاء بذلك فامتنع ، فقاتله على ذلك حتى تم له الامر وانتظم ، فعهد لوالدك الذي كان أكبر اولاده ، فلم ينازعه أحد في ذلك الى أن القى والدك رحمه الله ذلك ، وعهد اليك فلم ينازعكم أحد ، فأبى الله الا الحق فاعطى ملكه لعمك الذي هو أكبركم بعد أبيك ، فان سلمت هذا فأبى

حجة تدلى بها وأى طريق تعتمد عليها؟ وان أنكرت هذا فلا أثر لخلافة أبيك من قبلك ولا لجذك من قبله لثبوتها لعمكم مولانا أحمد ، اذ لا حجة حينئذ لجذك فى القيام على عمك ، فخلافته صحيحة لبيعة جذك له ، فلم يسبق الا التغلب الذى تدلى به فى مسألة عمك وفى قيامه عليك ، فان كنت تريد أن تسقط حجته بالتغلب عليك فحجتك أبين فى السقوط لعدم ثبوت الخلافة لمن عقدها لك ، اذ المعلوم شرعا كالمعلوم حسا ، فلم يبق بينكم الا : « والملك بعد أبى لى لمن غلبا » فيلزمك على هذا أن تثبت ما عقده مولانا الجذ رحمه الله ، وعليه فالخلافة لعمك القائم عليك اذ هو أكبركم فى هذا التاريخ .

فان قلت : ان ما عقده الجذ غير صحيح ، قلنا : فقد ذكر الامام الماوردى رحمه الله ورضى عنه فى كتاب الاحكام السلطانية له فى باب عقد الخلافة : أن عبد الملك بن مروان رتبها فى الأكبر فالأكبر من بنيه فلم ينازعه أحد فى ذلك .

فان قلت : فعل عبد الملك ليس بحجة ، قلنا : سكوت العلماء على ذلك وهم ما هم فى زمانه هو الحجة ، اذ لا يمكن أن يسكتوا على باطل ، واقرار أهل العصر الواحد على مسألة من المسائل واتفاقهم عليها يقوم مقام الاجماع الذى هو حجة الله فى أرضه ، وكان أيضا من محفوظات علماء فاس المحروسة ما خرج به مسلم رضى الله عنه فى صحيحه فى كتاب الامارة ما نصه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة عند رأسه يقال هذه غدرة فلان بن فلان ، ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة » قال القاضى : أبو الفضل عياض رحمه الله فى كتاب « اكمال المعلم على شرح فوائد مسلم » : « يعنى لم يحطهم ولم ينصح لهم ولم يف بالعقد الذى تقلده من أمرهم » وفى الباب نفسه عنه عليه الصلاة والسلام ما نصه : « ما من أمير استرعاه الله رعية ثم لم ينصح لهم الا لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام » . وفى « الاكمال » نفسه قال القاضى : « والذى عليه الناس أن القوم اذا بقوا فوضى مهملين لا امام لهم فلهم أن يتفقوا على امام يبايعونه ، ويستخلفونه عليهم ينصف بعضهم من بعض . ويقيم لهم الحدود » . فلما أسلمتهم وأضحوا

بغير امام وعمك يدلى بحجته التى ذكرنا لك مع ما حفظوه من كلام النبى صلى الله عليه وسلم وكلام السلف الصالح ، وأيسوا من رجوعك اليهم ، وبقوا فوضى مهملين لم يسمعهم الا الرجوع الى ما عليه الناس رضوان الله عليهم فانفقوا على أن يبايعوا عمك لما ذكرنا لك من الحجج التى لا يسعك جحدها الا على وجه المكابرة ، فاطمأن الناس وسكنوا وانفتحت السبل وأقيمت الحدود وارتفعت اليد العادية .

فان قلت : كان يجب على أهل فاس أن يقاتلوا على البيعة التى التزموها لك قلنا : انما يلزمهم القتال أن لو أقيمت بين أظهرهم فيكون قتالهم على وجه شرعى لان القتال على الحدود الشرعية انما يكون بعد نصب امام يصدر الناس عن رأيه ولا يمكنك أيضا جحدها ايه . ثم وصلت الى مراکش الغراء التى تجبى اليها الاموال من البوادر والامصار ، وتشد اليها الرحال من سائر الاقطار ، فلقيت أهلها بالترحاب والسرور ، وأنواع الفرح والجور ، فوجدت خزائنها تدرج ملئا من كل شىء ، فأما أسوارها ورحابها فهى كما قيل : تربة الولى ، ومدرج الحلى ، وحضرة الملك الاولى ، والبرج النيرالجلى ، فحللتها وتمكنت من اموالها وخزائنها ، ووافقت أهلها فما نكثوا ولا غدروا ، ولا خرجوا عليك فى سلطانك ولا أنكروا ، فطلبت أيضا قتال عمك وجندت جنودا لايجمعها ديوان حافظ ، ولا يعهدا لسان لافظ ، فخرجت اليه تجر أعنة الخيل ورائك كالسيول ، والرماة قد ملأت الهضاب والتلول ، فما كان من حديثك الا أن وقع القتال وحضر النزال ، بادرت هاربا محكما للعادة ، تاركا للرؤساء من أجنادك والقادة ، فحلت بهم الخطوب والرزايا ، واختطفتهم أيدي المنايا ، فتركت أيضا محلثك بما فيها من حريمك وأموالك وعدتك ، ثم أسرعت هاربا الى مراکش فما صدك عنها أحد من أهلها ، ولا قال لك أحد لست بعلها فعملوا على القتال معك والتمنع بأسوارها الحصينة ، والحصار داخل المدينة ، فلما كان الليل غدرتهم وغادرت بناتك وأخواتك وعماتك ونساءك ، وخرجت عنهم من القصة وتركهم لا بواب عليهم ولا حارس ، ولا راجل ولا فارس ، فبالها من مصيبة ما أعظمها ، ومن داهية ما أعظمها . ولولا فضل الله ولطفه

ووعده بتطهير أهل البيت لامتدت اليهم أيدي السفلة من الفسقة فأى حجة تبقى لك بعد هذا؟ وأى كلام لك بين الرجال يا هذا؟ ثم جاءك عمك أيضا بما سلف من الحجج فوجد أهلها فى لطف الله سبحانه وهم يحرسون أولادهم وديارهم من اليد العادية، فأنقذهم الله به أيضا فباعوا عمك بما سلف من الحجج، واطمأنوا وسكنوا، ثم هربت للجبل عند صاحبه (*) فصرتما فى نهب أموال الرعية وسفك دمائهم، وأكثر ما صفا لك من ذلك أهل الذمة المصغرون بحكم القرآن، الداخلون تحت عهد سيد الثقلين فى الامن والامان فانت وهم فى استيلائك عليهم وظلمك اياهم كما قيل .

ان هو مستوليا على أحد الا على أضعف المجانين

ولم تبال بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « أنا خصيم من ظلم ذميا يوم القيامة » ثم خربت العامر، وأفسدت ما شيدت الاسلاف للاسلام من المآثر، فلما رأى أهل السوس الاقصى ذلك أيقنوا انك انما قصدت خراب الاسلام وأهله فنكب عنك أهل الدين والعلم منهم وبقيت، كما قيل، : « فى خلف كجلد الاجرب » .

فان قلت : ان أولئك الخلف لم يبيعوا عمك فتنقض بهم ما قرناه ، قلنا : لم يطلعن فى خلافة أمير المؤمنين أبى الحسن على بن أبى طالب رضى الله عنه من تخلف عنها من أهل الشام ، وفيهم من قد علمت من الناس ، والاجماع على صحة بيعته : وسمى من تخلف عنها : باغيا لقول النبى صلى الله عليه وسلم لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » فقتله أصحاب معاوية رضى الله عنه ، والحديث من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام ، والقاعدة أن ما اجتمع عليه من يعتبر من أهل العصر الواحد هو المعول عليه ، ولا يعد خلاف من خالفه خلافا وهذا كله بالنظر الى ما كان من حديثك قبل التحزب مع عدو الدين ، والاخذ

(*) المقصود به هو الشيخ ابو عبد الله بن محمد واسعدون الذى التجأ اليه المتوكل بعد فراره انظر «الدوحة» صفحة ٨٤ « وطبقات الحضيكي » فى حرف الميم « والممتع » والصفوة وقد ذكرت ترجمته فى هذا المؤلف الاخير استطرادا فى ترجمة تلميذ سيدى احمد المعروف بالشيخ وكانت وفاة ابن واسعدون هذا عام ٩٨٧ بعد غزوة وادى المخازن بسنة .

فى التخليط العظيم على المسلمين ، فانك اتفقت معهم على دخول آصيلا ، وأعطيتهم بلاد الاسلام ، فيالله وبالرسوله لهذه المصيبة التى أحدثتها ، وعلى المسلمين ففتقتها ، ولكن الله تعالى لك ولهم بالمرصاد ثم لم تتمالك أن ألقيت بنفسك اليهم ورضيت بجوارهم وموالاتهم كأنك ما طرق سمعك قول الله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منهم فانه منهم » . قال أبو حيان رحمه الله : أى لا تصروهم ولا تستصروا بهم وفى كتاب القضاء من نوازل الامام البرزلى رحمه الله : أن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتونى رحمه الله استفتى علماء زمانه رضى الله عنهم ، وهم ما هم ، فاستنصار ابن عباد الاندلسى بالكتابة الى الافرنج على أن يعينوه على المسلمين فأجابه جلهم رضى الله عنهم برده وكفره ، فتأمل هذا مع قضيتك تجدها أحروية مناسبة لقضية ابن عباد فى عقدها ابتداء ، وانه متى طرأ الكفر وجب الغزل ، وناهيك بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالسمع والطاعة » وبما أفتى العلماء رضوان الله عليهم برده من استنصر بالنصارى على المسلمين فهو نص جلى فى وجوب خلعتك ، وسقوط بيعتك ، فلم يبق لك الا منازعة الحق سبحانه فى حكمه ، « ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب » .

وأما قولك : فى النصارى فانك رجعت الى أهل العدو واستعظمت أن تسميهم بالنصارى ، فيه المقت الذى لا يخفى . وقولك : رجعت اليهم حين قامت النصره من المسلمين فيه محظوران يحضر عندهما غضب الرب جل جلاله أحدهما : كونك اعتقدت أن المسلمين كلهم على ضلال ، وان الحق لم يبق من يقوم به الا النصارى والعياذ بالله والثانى : انك استعنت بالكفار على المسلمين . وفى الحديث : أن رجلا من المشركين ممن عرف بالنجدة والشجاعة جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم . فوجده بحرة الوبرة « موضع على نحو اربعة اميال من المدينة » فقال له : « يا محمد ، جئت لانصرك » فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « ان كنت تؤمن بالله ورسوله » فقال : « لا أفعل » فقال له عليه الصلاة والسلام : « انسى لا

أستعين بمشرك » وما سمعته من قول العلماء رضى الله عنهم فى الاستعانة بهم
 انما هو على المشركين بان نجعلهم خدمة لا زبال الدواب لا مقاتلة ، فأما
 الاستعانة بهم على المسلمين فلا يخطر الا على بال من قلبه وراء لسانه ، وقد
 قيل قديما : « لسان العاقل من وراء قلبه » وفى قولك : يجوز للانسان ان يستعين
 على من غصبه حقه بكل ما أمكنه وجعلت قولك هذا قضية أنتجت لك دليلا على
 جواز الاستعانة بالكفار على المسلمين ، وفى ذلك مصادمة للقرآن والحديث
 وهو عين الكفر أيضا والعياذ بالله

وقولك : فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، ايه أنت مع الله
 ورسوله أو مع حزبه فتأمل ما قلت فى الحديث : « يتكلم أحدكم بالكلمة تهوى
 به فى النار سبعين خريفا

ولما سمعت جنود الله وأنصاره وحماة دينه من العرب والعجم قولك
 هذا، حملتهم الغيرة الاسلامية والحمية الايمانية ، وتجدد لهم نور الايمان .
 وأشرق عليهم شعاع الايقان ، فمن قائل يقول : « لا دين الا دين محمد صلى الله
 عليه وسلم » ومن قائل يقول : « سترون ما أصنع عند اللقاء » ، ومن قائل يقول :
 « وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين » ومن قائل يقول : « انما قصد
 التشفى بالمسلمين اذ لو كان يطلب الصلاح لما صدرت منه هذه الافعال
 القبيحة » الى غير ذلك فجزاهم الله عن الاسلام خيرا . ورضى عنهم وبارك
 فيهم ، فله درهم من رجال وفرسان وأبطال وشجعان ، فلو لم يكن منهم الا ما
 غير قلوبهم على الدين لكان كافيا فى صحة ايمانهم وعظيم ايقانهم فقد بلغ نور
 غضبهم لله سبحانه ساق العرش والحب فى الله والبغض فى الله من قواعد
 الايمان .

وقولك أيضا : متبرئا من حول الله وقوته ، فان لم تفعلوا فالسيف . فهو
 كلام هذيان يدل على حماقة قائله فقط . أنبا سيفك هذا وأنت مع المسلمين
 فى أربع وعشرين معركة لم تثبت لك فيها راية ، ثم زال نبوه الان بالكفار
 فهذه أضحوكة فتأملها .

وأما ما نسبته لامام دار الهجرة فكفاك عجزا ان لم تعين لنا نصاجليا

نعمد عليه فيما تحتاج به الا أنك كرت به سواد القرطاس مغربا بذكره لامعربا
بنصه .

وما نسبته للخفية من أكل الميتة عند الضرورة وتسويغ الفصة بخمر ،
فهو مما نص عليه المالكية في مختصراتهم التي ألفوها للصبيان ، فعدولك عن
ذلك الى الخفية اما قصور ، واما الغاء لمذهب مالك رضى الله عنه ، وهو
النجم الثاقب .

وأما قولك : أتم أهل بنى وعناد فلا نسلم لك ذلك الا لو أقمت بين
أظهرنا وقايلت معنا حتى ترى أنسلمك أم لا . فأما اذ هربت عنا وتركنا فالحجة
عليك لا علينا ، على انك فى كتابك تفسق الكل بذلك وتكفره ، وقد قال العلماء
رضى الله عنهم : « من يقول بتكفير العامة فهو أولى بالتكفير » وذلك معزولزعيم
العلماء القاضى أبى الوليد ابن رشد ، والقاضى أبى الفضل عياض ، وكيف لانتظر
لقضايا تلمسان وتونس وغيرهما من سائر البلدان ، وكيف وقع لامرائهم
المستنصرين بالكفار على المسلمين ، هل حصلوا على شيء مما قصدوه ، أو
بلغوا شيئا مما أملوه ؟ على أن أكثر العلماء حكموا بردهم ففاتتهم الدنيا والاخرة
والعياذ بالله .

وقد افتخرت فى كتابك بجموع الروم وقيامهم معك ، وعولت على بلوغ
الملك بحشودهم ، وأنى لك هذا مع قول الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ،
وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » « ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو
كره الكافرون » وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لن تغلب هذه
الامة ولو اجتمع عليها من الكفار ما بين لابات الدنيا » وعنه صلى الله عليه وسلم
أنه قال : « سيقايل آخر هذه الامة الدجال » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه
قال : « سألت ربى ثلاثا فأعطاني اثنين ومنعنى واحدة ، سألته الا يهلكهم بسنة
عامة فأعطانيها ، وسألته الا يغلبهم عدوهم الكافر فأعطانيها ، وسألته الا يجعل
بأسهم بينهم فمنعنيها » . والكل عليك وإياك نغنى .

وما ذكرته عن عمك : فاعلم أنه لما بلغه خبرك واستنصارك بالكفار عقد
ألويته المنصورة بالله فى وسط جامع المنصور بعد أن ختم عليها أهل الله من

حملة القرآن مائة ختمة، وصحيح البخارى، وضجوا عند ذلك بالتهليل والتكبير،
 والصلاة والسلام على البشير النذير، والدعاء له وللإسلام بالنصر والتمكين،
 والفتح الشامخ المبين، فلو سمعت ذلك لعلمت وتحققت أن أبواب السماء
 انفتحت لذلك، وقضى ما هنالك، وبلغه كتابك الذى كان هذا جوابا عنه وهو
 بوسط تامسنا معه من جنود الله وأنصاره وحماة دينه ما يجعل الله فيه البركة،
 ولولا أن الشرع العزيز أمر بتعظيم جنود الإسلام والمباهاة بها، والافتخار
 بكثرة ما قررنا لكم أمرها، إذ لا اعتماد له أيده الله عليها، وكذلك هم لا
 اعتماد لهم الا على حول الله وقوته ونصره وتأييده، والناس على دين الملك،
 وقد قاتلك وأنت فى وسط المسلمين فى بضع عشرة معركة لم تنصر لك فيها
 راية، فأى نحس وشؤم حلا بديار الروم، فإن جلبتهم فالله لك ولهم بالمرصاد،
 ارجع الى الله أيها المسكين، وتب اليه فإنه يقبل التوبة عن عباده فى كل وقت
 وحين، ودع عنك كلام من لا ينهض حاله، ولا يدلك على الله مقال،
 وهذه نصيحة ان قبلتها، وموعظة ان وفقت اليها، والله يهدى من يشاء الى
 صراط مستقيم، وهو نعم للمولى ونعم النصير، وهو حسبنا ونعم الوكيل،
 والسلام، انتهت الرسالة.

وكان خروج محمد بن عبد الله بجيش البرتقال وفصوله به من طنجة
 فى ربيع الثانى سنة ست وثمانين وتسعمائة، قال فى «المرآة»: «إنهم لما
 خرجوا الى بلاد الإسلام ضربوا محلاتهم بالفحص، على أقل من مسيرة يوم من
 مدينة القصر، وكانت آصيلا قد تصيرت اليهم قبل ذلك بأشهر، يعنى بعد
 فرارهم عنها أيام السلطان محمد الشيخ كما تقدم، فعاب أهل القصر الهلكة
 لقرب العدو منهم وقوته التى لا طاقة لهم بها، وفشا النفاق لاجل السلطان
 محمد بن عبد الله الذى معهم ولاجل بعد صريخ المسلمين، فإن السلطان أبا
 مروان المعتصم بالله كان اذ ذاك بمراكش، فاستبطأوا وصول الخبر اليه،
 ثم مجئ به بعد ذلك، فلم يبق لهم تدبير الا الفرار، والتحصن بالجبال وغيرها،
 فقال الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسى رحمه الله، وكان اذ ذاك بالقصر،
 لرجل من أصحابه: «نادى الناس أن الزموا بلادكم ودوركم، فإن عظيم النصارى

مسجون حيث هو ، حتى يجيء السلطان من مراكش ، وان النصارى غنيمة للمسلمين ، ومن شاء فليعط خمسين اوقية فى النصرانى « يشير الى مبلغ قيمة النصرانى فى الغنيمة ، فما انتقل النصارى من مكانهم ذلك اكثر من شهر حتى قدم السلطان أبو مروان وكان مريضا » اه .

وقال فى « النزهة » : « ان النصارى لما برزوا من طنجة شنوا الغارة على السواحل ، فأعلم أهلها السلطان أبا مروان ، وكان بمراكش ، وشكوا اليه كلب العدو عليهم ، فكتب السلطان أبو مروان من مراكش الى الطاغية : « ان سطوتك قد ظهرت فى خروجك من أرضك ، وجوازك العدو فان ثبت الى أن نقدم عليك فأنت نصرانى حقيقى شجاع . والا فأنت كلب ابن كلب » فلما بلغه الكتاب غضب ، واستشار اصحابه هل نقيم حتى يلحق بنا من خلفنا من أصحابنا ، فقال له محمد بن عبد الله : « الرأى أن تتقدم ونملك تطاوين والعرايش والقصر ونجمع ما فيها من العدة وتتقوى بما فيها من الذخائر » فأعجب ذلك الرأى أهل الديوان ولم يعجب الطاغية . وكتب السلطان ابو مروان لاخته أبى العباس أحمد ، وكان نائبه على فاس وأعمالها ، أن يخرج بجيوش فاس واحوازها ويتهيا للقتال ، ثم كتب اليه ايضا فى شأن مئونة الجيش كتابا يقول فيه : « من عبد الله المعتصم بالله المجاهد فى سبيل الله أمير المؤمنين أبى مروان عبد الملك بن امير المؤمنين أبى عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسنى أيد الله أمره وأعز نصره الى أخينا الاعز الانجب بابا أحمد بن مولانا الوالد حرس الله كريم اخائه سلام كريم ورحمة الله وبركاته أما بعد فانا كتبناه اليكم من محلتنا السعيدة بتامسنا ولا زائد بحمد الله الا الخير والعافية والنعم الضافية ، هذا وانه ساعة وصوله اليكم تخرجون من الخدام لعمالة مكناسة وقبيلة زمور وأولاد جللول من يفرض عليهم علف محلتنا المنصورة ومؤنتها ويأمرهم برفعه وابلاغه الى مدينة سلا ، وقدر ذلك صحيفة شعير ، وعشرون مدا من القمح لكل نائبة وصاع من سمن وكبس لكل أربع نواب ، ووكد عليهم رعاك الله أن يعتنوا بذلك ، وبايصاله الى المكان المذكور من غير عطلة وهذا ما وجب به الاعلام اليكم والله يرعاكم بمنه

والسلام « اه .

ثم كتب السلطان أبو مروان للطاغية ثانية ، وذلك بعد ما وصل الى القصر : انى رحلت اليك ست عشرة مرحلة أما ترحل الى واحدة ، فرحل الطاغية من موضع يقال له : تاهدارت ، ونزل على وادى المخازن بمقربة من قصر كتامة ، وكان ذلك من السلطان أبى مروان مكيدة ، ثم ان الطاغية تقدم بجيوشه ، وعبر جسر الوادى ونزل من هذه العدو فامر السلطان بالقنطرة أن تهدم ، ووجه اليها كتيبة من الخيل فهدموها ، وكان الوادى لا مشرع له سوى القنطرة ، ثم زحف السلطان أبو مروان الى العدو بجيوش المسلمين ، وخيل الله المسومة ، وانضاف اليه من المتطوعة كل من رغب فى الاجر وطمع فى الشهادة ، وأقبل الناس سراعا من الاتفاق ، وابتدروا حضور هذا المشهد الجليل، فكان ممن حضره من الاعيان الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسى وغيره .
 يقال فى « المرأة » : « كان الشيخ أبو المحاسن فى ذلك اليوم فى أحد الجناحين ، وأظنه الميسرة ، من عسكر المسلمين فى مقابلة النصارى دمرهم الله ، قال : فوق فى ذلك الجناح انكسار ترحزح به المسلمون عن مصافهم، وحملت عليهم النصارى دمرهم الله فثبت الشيخ وثبت من كان معه الى أن منح الله المسلمين النصر ، وركبوا أكتاف العدو يقتلون ويأسرون ، والشيخ لم يتزلزل ، ولم يلتفت منذ توجه الى قتالهم حتى فتح الله عليهم » اه .

ولما التقت الفئتان وزحف الناس بعضهم الى بعض وحمى الوطيس واسود الجو بنقع الجياد ودخان المدافع وقامت الحرب على ساق توفى السلطان أبو مروان رحمه الله عند الصدمة الاولى ، وكان مريضا يقاديه فى محفة فكان من قضاء الله السابق ولطفه السابغ أنه لم يطلع على وفاته أحد الا حاجبه مولاه رضوان العليج ، فانه كتم موته ، وصار يختلف الى الاجناد ويقول : «السلطان يأمر فلانا أن يذهب الى موضع كذا ، وفلانا أن يلزم الراية ، وفلانا يتقدم ، وفلانا يتأخر » .

وقال شارح « الزهرة » : لما توفى السلطان أبو مروان لم يظهر الذى كان سائس المحفة موته ، فصار يقدم دواب المحفة نحو العدو ، ويقول للجنود :

« السلطان يأمركم بالتقدم اليهم » . وعلم أيضا بموته أخوه ، وخليفته أبو العباس أحمد بن الشيخ فكتمها ، ولم يزل الحال على ذلك ، والناس فى المناضلة والمقاتلة ومعانقة القواضب ، والاصطلاء بنار الطعان ، واحتساء كؤس الحمام الى أن هبت على المسلمين ريح النصر ، وساعدهم القدر ، وأثمرت أغصان رماحهم زهر الظفر ، فولى المشركون الادبار . ودارت عليهم دائرة البوار ، وحكمت السيوف فى رقاب الكفار ففروا ولات حين فرار ، وقتل الطاغية سبستان عظيم البرتقال غريقا فى الوادى ، وقصد النصارى القنطرة فلم يجدوا الا آثارها فخشعت نفوسهم ، وتهافوا فى النهر تهافت الفراش على النار ، فكان ذلك من أكبر الاسباب فى استئصالهم ، وأعظم الجبائل فى اقتناصهم ولم ينبج منهم الا عدد نزر . وشرذمة قليلة .

وقال فى «المنتقى المقصور» : « كانت هذه الغزوة من الغزوات العظيمة الوقائع الشهيرة حضرها جم غفير من أهل الله تعالى حتى انها أشبه شىء بغزوة بدر . حدثنا شيخنا أبو راشد يعقوب اليدرى عن يثق به أن الرجل من حاضرى ذلك المعترك كان يستبق الى النصرانى لينتهز فيه الفرصة فما يصله حتى يجده ميتا » اهـ .

وبحث فى القتل عن محمد بن عبد الله المستصرخ بهم والقائد لهم الى مصارعهم فوجد غريقا فى وادى المخازن ، وذلك انه لما رأى الهزيمة فر ناجيا بنفسه واضطر الى عبور النهر فتورط فى غدير منه وغرق فمات ، فاستخرجه الغواصون وسلخ وحشى جلده تبنا وطيف به فى مراكش وغيرها من البلاد .

وممن وجد صريعا فى القتل يومئذ الفقيه أبو عبد الله محمد بن عسكر السريفي الشفشاونى صاحب « الدوحة » ، فانه كان هرب مع المسلوخ ، وكان من بطاته ، فدخل معه بلاد العدو ، فوجد بين جيف النصارى قبلا ، وتكلم الناس فى أمره ، حتى قيل : انه وجد على شماله مستدير القبة ، وفيه يقول الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد ابن الامام الشهير أبى محمد عبد الله الهبطى رحمه الله فى منظومته التى نظم فيها أصحاب أبيه معذرا عن ابن عسكر

المذكور ومشيرا الى توهين ما قيل فيه :

ومنهم الشيخ الذى لا ينكر محمد أخو الدهاء عسكر
وان يكن أتى بذنب ظاهر فعرضه من الشكوك طاهر
رأيت في النوم ذا بشاره وهيئة حسنة وشارة

وكان التقاء الجمعين يوم الاثنين منسلخ جمادى الاولى سنة ست وثمانين وتسعمائة ، ويوافقه من التاريخ المسيحى اليوم الرابع من أغشت سنة ثمان وسبعين وخمس عشرة مائة .

قال فى «المنتقى» وكان مقدار زمان المقاتلة خمسا وأربعين درجة وقيل اثنتين وخمسين على ما حدثنى به بعض المقاتلين .

وقال فى «المرآة» : وحصل المسلمون على غنيمة لم يكن قط مثلها بالمغرب اذ لم يتقدم للنصارى خروج به على هذه الصورة الا أن الغنيمة لم تقسم ، وانما انتهبا الناس كما اتفق لهم بحسب القوة والبخت الديوى . وكان الناس يتوقعون مغبتها لاختلاط الاموال بالحرام فظهر ذلك من غلاء وغيره . وكنا نسمع أن البركة رفعت من الاموال من يومئذ .

وقد حضر الشيخ ابوالمحاسن هذه الغزوة وابلى فيها بلاء حسنا وتورع عن الغنيمة فلم يتلبس منها بشيء وبلغت قيمة النصرانى ما ذكره الشيخ ، وكان سبب عدم ضبط الغنيمة وقسمها على الوجه المشروع موت السلطان أبى مروان قبل هزيمة النصارى ، وكان مريضا ، فاشتغل أخوه أبو العباس أحمد بجمع الكلمة ولم يهتبل بأمر الغنيمة فتم له ما قصد .

وقد ساق منويل فى تاريخه خبر هذه الواقعة مساقا حسنا فقال : لما استولى عبد الملك السعدى المدعو عند أهل المغرب بمولاي ملوك على ملك المغرب ، وطرده ابن أخيه مولاي محمد المعروف بالاكحل يعنى : المسلوخ ، ذهب أولا الى اصبانيا ، وتطارح على طاغية الاصبينول فيليب الثانى فى أن يعينه على استرجاع ملكه فامتنع ثم دخل اشبونة وتطارح على طاغية البرتقال سبستيان فاجابه ، وذهب الى خاله طاغية الاصبينول فيليب المذكور آنفا وطلب منه الاعانة على ما هو بصدده ، فوعده بان يعطيه من المراكب والعساكر ما يملك به العرائش ، لانه كان يرى انها تعدل سائر مراسى

المغرب ، ثم أمده بعشرين ألفا من عسكر الاصبنيول ، وكان سبستيان قد ساق معه اثني عشر ألفا من البرتغال وثلاثة آلاف من الطليان ، ومثلها من الالمان ، ومن متطوعة الاصبنيول وغيرهم عددا كثيرا ، وبعث اليه البابا صاحب رومة بأربعة آلاف أخرى ؛ وبالف وخمسمائة من الخيل واثني عشر مدفعا وجمع سبستيان نحو ألف مركب وجاء الى قادس .

ولما عزم على اقتحام بلاد المغرب تشفعت اليه جدته وأرباب دولته وشيوخ دينه في الرجوع فقص عنهم وكذلك خاله فيليب حذره عاقبة التوغل فسى أرض المغرب فقص على ذلك كله ، وجاء الى قادس ومنها خرج الى طنجة .

وكان محمد بن عبد الله المسلموخ ينتظره هنالك فاجتمع به وزحفوا الى بلاد المغرب ، وزحف اليهم السلطان عبد الملك في عساكر المسلمين وكانوا أربعين ألفا وزيادة ، ومدافعهم أربعة وثلاثين مدفعا ، وقواد الجيش : أبو على القورى ، والحسين العليج الجنوى ، ومحمد أبو ضية ، وعلى بن موسى ، وأخوه أحمد بن موسى ، الذى كان عاملا على العرائش ، فجاء فى جمعه الى السلطان عبد الملك وانضم اليه ، ولما تقارب الجيشان جمع السلطان عبد الملك الناس وخطبهم ، ثم استدعى النصارى الى القتال ، ونصب لهم علامته ، فاجحموا وكان قصدهم المطاولة ، وقصد السلطان عبد الملك المناجزة ، وذلك لان محمد المسلموخ قد دس اليه من سمه .

قال منويل : ولما أحس عبد الملك بذلك ، وانه لا محالة هالك ، بسذل نفسه للقتال ليموت فى الجهاد ، وكان المسلموخ يتربص كى يهلك عمه قبل اللقاء فتقع الفتنة فى عسكر المسلمين ، لكن جيش النصارى لم تكن لهم مؤنة يطاولون بها فاجأهم ذلك الى المناجزة ، ولما انتشبت الحرب هلك عبد الملك للحنين .

قال منويل : وكان امر هذا الرجل عجبا فى الحزم والشجاعة حتى أنه لما مات مات وهو واضع سبابه على فمه ، كأنه يشير الى جيشه أن يسكتوا عن الخوض فى وفاته حتى يتم أمرهم ، ولا يضطربوا ، وكذلك كان ، فانهم كتموا موته فاتصروا وظفروا بالنصارى ظفرا لا كفاءه له ، فكانوا يذبحونهم مثل الكباش

ودهش النصارى وتكبكت جموعهم ، وتراكت أمتعتهم وصناديقهم وخيلهم
وسلاحهم بلا ترتيب ، وزادهم دهشا أن بعض طوايرهم كان ينادى صاحب
صفارته وراءكم وراءكم قطعكم العدو، ووقدت النار فى بارود النصارى فنفط،
وانهزموا الى وادى المخازن فتهاوت جلهم فيه فهلكوا والباقي أسره المسلمون .
وزعم أن سبستيان هلك تحته فى ذلك اليوم أربعة أفراس ، وكان شابا
حدثا، وقال لأصحابه: « ان ترونى ترونى أمامكم وان لم ترونى فانافى وسط العدو
أقاتل عنكم » قال : وأبدأ وأعاد فى ذلك اليوم الى أن خر قتيلًا ، وبقي مذكورا
عند البرتقال يسمرون بأخباره ، وذكره شعراء الاوربا فى أشعارهم ، ولا
زالوا يذكرونه الى الآن .

وخلفه فى ملكه الطاغية الريكى البرتقالى فهو الذى ولى بعده وافدى
جنازته من المسلمين ونقلها الى سبتة فبقيت هنالك الى أن هلك الطاغية الريكى ،
وتولى على البرتقال طاغية الاصنيول فيليب الثانى ، فصار ملك الدولتين معا ،
وهو خال سبستيان أخو أمه فنقل جنازته من سبتة الى أشبونة ، ثم أرخ
منويل الواقعة بالتاريخ العربى والعجمى موافقا لما مر فهذا ما ذكره فى هذه
الوقعة .

قال فى «النزهة» : توفى السلطان أبو مروان عبد الملك بن الشيخ فى
زوال اليوم المذكور ، وباع الناس أخاه أبا العباس أحمد المنصور بالله كما
سيأتى ان شاء الله .

قال فى «درة الحجال» : « فانظر لحكمة الله الواحد القهار أهلك ثلاثة
ملوك يوم واحد ، وهم : أبو مروان بن الشيخ ، وولد أخيه محمد بن عبد الله
المسلوخ ، والطاغية سبستيان ، وأقام واحدا وهو أبو العباس المنصور » اه .
قلت : وفى اهلاك الثلاثة واقامة الواحد اشارة واضحة لاهلاك دين
الثليث ونصر دين التوحيد فى ذلك اليوم والله تعالى اعلم .

ولما بلغت الهزيمة الى الطاغية الاعظم ، أعنى القائم بالامر بعد سبستيان
لان التحقيق انه كان الاعظم يومئذ لما مر ، بعث الى المنصور بعد استقلاله
بالمملك وعوده الى فاس كما سيأتى يلتمس منه الفداء فيمن بقى بيده من

الاسارى ، فأجابه الى ذلك وحصل له بسببه أموال طائلة . وذكر بعضهم أن الاسارى لما ذهبوا الى بلادهم قال الطاغية : « لم لم تأخذوا تطاوين والعرائش والقصر قبل ان يصل ملكهم ؟ » فقالوا له : « امتنع من ذلك الامير الذى كان علينا » . فامر بهم فاحرقوا جميعا .

مضحكة : قال فى « النزهة » : « ذكر بعضهم أن النصارى لما وقعت عليهم الكائنة المذكورة وفنى من فنى منهم ورأى أساقفتهم قلة عددهم وخلاء بلادهم لكثرة من مات منهم أباحوا للعامة فاحشة الزنا ليكثر التناسل ويخلف ما هلك منهم ورأوا ذلك من نصرة دينهم وتقويم أود ملتهم أخزاهم الله » اهـ .

وقد وقفت على تاريخ لبعض مؤرخى الفرنج النجليزين من أهل جزيرة مالطة فرأيت أنه قد ألم بخبر هذه الواقعة وصرح بانها كانت سبب هلاك البرتقال وتلاشى دولتهم وبطلان كرسى سلطنتهم حتى استضافهم اليه طاغية الاصبنيول بعد نحو سنتين وصيرهم من جملة رعيته ، ومن فصول كلامه بعد أن ذكر أن أكثر البرتقال قتلوا فى ذلك اليوم ما نصه : « وكانت يعنى الواقعة المذكورة وقعة هائلة ويوما مشؤما . وبالجملية فقد قتل فى ذلك اليوم سائر أشراف البرتكيسين ولم يتخلف منهم أحد فلما بطل كرسى سلطنتهم قام وقتشد فيليس الثانى ملك اصبانيا وتزوج ملكتهم وحكم على البلاد كلها » اهـ كلامه . الا أنه ذكر أن السبب فى استغاثة السلطان محمد بن عبد الله بالبرتقال هو تغلب الاصبنيولين على مملكته وانتزاعها من يده وهو كذب أو غلط ، ولعله تصحف عليه لفظ الاصطنبولين بالاصبنيولين ، اذ قد تقدم أن السلطان أبا مروان انما استولى على المغرب بجيش الترك المنفذ من قبل السلطان سليم العثمانى والله أعلم .

وقد ألم بهذه الواقعة أيضا لويز مارية فى كتابه الموضوع فى أخبار الجديدة لكنه لم يبسطها على عادته فى السكوت عن ما يكون من الظهور فى جانب المسلمين واشاعة ما يكون من ذلك فى جانب النصارى بل والزيادة فيه ومع ذلك فقد قال فى وصفها كلاما هذه ترجمته : « وقد كان مخبوءا لنا فى مستقبل الاعصار العصر الذى لو وصفته كما وصفه غيرى من المؤرخين لقلت

هو العصر النحس البالغ في النحوسة الذي انتهت فيه مدة الصولة والظفر والنجاح ، وانقضت فيه أيام العناية من البرتقال وانطفأ مصباحهم بين الاجناس وزال رونقهم وذهبت النخوة والقوة منهم وخلفها الفشل وانقطع الرجاء واضمحل ابان الغنى والريخ وذلك هو العصر الذي هلك فيه سبستان فى القصر الكبير من بلاد المغرب « اهـ . فهذا كلام هذا البرتقالى قد تحفظت عليه وأدبت ترجمته كما هى ليعتبر به من يقف عليه «والحق ما شهدت به الاعداء» ولما تمت للسلطان أبى العباس المنصور البيعة بوادى المخازن طالبه الجيش بأرزاقهم واستجزوا اعطياتهم حسبما جرت به عادة من قبله معهم فطالبهم هو بخمس الغنمة لانهم جعلوها نهى ولم يقتسموها على الوجه الشرعى كما سبق فصعب استخراجها منهم لعدم التعيين وجرأة الناس على الغلول فسامحهم فيها وسامحوه فى عطائهم .

ثم أمر المنصور بتوجيه كتب البشارات الى الآفاق بهذا الفتح الميسر فكتب الى صاحب القسطنطينية العظمى والى سائر ممالك الاسلام المجاورين للمغرب يعرفهم بما أنعم الله به عليه من اظهار الدين وهلاك عبدة الصليب واستئصال شوكتهم ورد كيدهم فى نحرهم فوردت عليه الارسال من سائر الاقطار مهنئين له بما فتح الله على يده حسبما تذكره بعد ان شاء الله .



بقية اخبار السلطان ابى مروان وسيرته



قال ابن القاضى : « كان سبب وفاة السلطان أبى مروان رحمه الله أنه سقى سما ، وذلك أن قائد الترك الذين كانوا معه ، واسمه رمضان العليج ، بعث الى بعض قواده أن يتلقاه بكعك مسموم هدية للسلطان المذكور وقت مرورهم عليه ، وقصد بذلك قتله ، وذلك بعد أخذه به مدينة فاس ليثبت لهم الملك بها فلم يكمل الله مرادهم لما شهدوه من عظيم جيش المغرب فهذا كان سبب موته رحمه الله « اهـ . ولما توفى حمل الى مراکش فقبّر بها ، وكانت مدة خلافته

أربع سنين ، ومن حجابيه : القائد رضوان العليج . وكتابه : محمد بن عيسى ،
ومحمد بن عمر الشاوي ، وقضاته : قضاة ولداخيه .

وكان يتزيا بزى الترك ويجرى مجراهم في كثير من شؤنه . وكان يتهم
بالميل الى الاحداث وربما كان يظهر ذلك ، وكان أخوه أبو العباس المنصور
خليفته على فاس كما مر ، وكانت له فيه محبة تامة ، وكان يظهر أنه ولي
عهده ويرشحه لذلك كثيرا حسبما أفصحت عنه رسائله التي كان يبعث
بها اليه .

ولذا ذكر ما كان في هذه المدة من الاحداث :

ففي سنة ثمان وعشرين وتسعمائة كان الوباء بالمغرب كما قدمنا .

وفى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة نزل مطر غزير بمراكش حتى امتلات

منه الآبار وتهدمت الدور وصار الناس يؤرخون بعام الآبار .

وفى سنة احدى وستين وتسعمائة توفى الشيخ أبو محمد عبد الله بن
سأسي من أولاد أبي السباع ودفن بزاويته على ضفة وادي تانسيفت من أعمال
مراكش ، وقبره مزاراة مشهورة وعليه بناء حفيظ .

وفى سنة ثلاث وستين وتسعمائة توفى الشيخ الامام أبو محمد عبد الله
ابن محمد الصنهاجي الطنجي المعروف بالهبطي ، وكانت وفاته في ذي القعدة
من السنة المذكورة ، وكان رحمه الله من أهل الورع والدين والاتباع للسنة
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن فوائده ما حكاه عنه في « الدوحة »
قال : « سألت شيخنا الامام أبا محمد عبد الله الهبطي عن الشيخ أبي محمد
الغزواني ، وكان من أصحابه ، فقلت له : يا سيدي ما لسائر المشايخ من أصحاب
الشيخ الغزواني كأبي الحجاج التليدي وأبي البقاء الياصوتي وأبي الحسن
على بن عثمان وغيرهم يصرحون بقبطانية الشيخ وينسبونك أنت الى التقصير في
حقه حيث لم تقل بما يقولونه ؟ » فقال لي رضى الله عنه : « قد علمت معنى
الشهادة في الشريعة ما هي » ، فقلت : « نعم » فقال لي : « كيف لي أن أشهد
لاحد بمقام معين وأنا لم أسلكه ولم أحققه ولم يكشف لي عنه فان فعلت فقد
شهدت شهادة الزور فقلت له : « وأى شهادة تشهد في الشيخ ؟ » فقال لي : أشهد

أنه من العارفين بالله تعالى وأنه كان يجيب بالحال أكثر مما يجيب بالمقال» انتهى
قلت : وهذا شأن أهل الدين والورع المحتاطين لدينهم لا يقدمون على أمر ولا
يتفوهون به حتى يكونوا منه على بصيرة ، وتجد كثيرا ممن عقله وراء لسانه
يتقولون على الله في غيبه ويخطئون خطب العشواء وينسبون المقامات والاحوال
لمن ليس منها في قبيل ولا دبير نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا بمنه .

وفى سنة أربع وستين وتسعمائة فى يوم الاربعاء الثامن والعشرين من
رمضان منها كسفت الشمس الكسوف الكلى العظيم .

وفى سنة خمس وستين وتسعمائة كان بالمغرب وباء عظيم كسا سهلـه
وجباله ، وأفنى كمامته وأبطاله واتصل أمره الى سنة ست وستين بعدها .

وفى سنة احدى وسبعين وتسعمائة توفى الشيخ أبو العباس أحمد بن
موسى الجزولى ثم السملالى الشهير ببلاد السوس أخذ عن الشيخ أبى فارس
عبد العزيز التابع ، والشيخ أبى العباس أحمد بن يوسف الراشدى ثم المليانى .

وفى سنة ست وسبعين وتسعمائة ليلة عيد الاضحى منها توفى الشيخ أبو
زيد عبد الرحمن بن عياد الصنهاجى ثم الفرجى الدكالى المعروف بالمجذوب
الولى المشهور دفين مكناسة الزيتون، كان مأوى سلفه بمدينة تيط قرب آزمور
ثم رحل هو ووالده الى مكناسة فمات بها .

وفى سنة سبع وسبعين وتسعمائة بعد صلاة الجمعة من أول يوم من
المحرم منها زلزلت الارض زلزالا شديدا وفزع الناس لذلك، وفى هذه السنة
فى الحادى والعشرين من ربيع الاول منها توفى الشيخ ابو محمد عبد الله
ابن حسين من شرفاء بنى آمغار دفين تامصلوحت وقد تقدم ما جرى بينه وبين
السلطان الغالب بالله .

وفى سنة ثمان وسبعين وتسعمائة وذلك اواخر شوال منها الموافق
لاواسط مارس العجمى حدث بالمغرب جراد كثير ؛ وفى أيام السلطان الغالب
بالله ظهر نجم لم يكن معهودا، ثم ظهرت فى أيام ابنه محمد بن عبد الله أعلام
حمر فى الجوه من الناحية الشرقية تبعثها فى الارض أجناد الترك التى جاء بها
السلطان أبو مروان من الجزائر كما مر . وفى أيام السلطان أبى مروان

المذكور ظهر الكوكب ذو الذنب الكبير فى برج العقرب وطلع أياما ثم غاب
وظهر بعده كوكب آخر ذو ذنب أصغر منه وعلى اثره كان خروج البرتغال
من طنجة ووقعة وادى المخازن كما مر : والله تعالى أعلم بغيه

الخبر عن دولة السلطان أبى العباس احمد المنصور بالله السعدى المعروف بالذهبي وأوليته ونشاته

كانت ولادة السلطان أبى العباس أحمد المنصور بالله ابن السلطان
أبى عبد الله الشيخ بفاس سنة ست وخمسين وتسعمائة ، وأمه : الحرة
مسعودة بنت الشيخ الاجل أبى العباس أحمد بن عبد الله الوزكىتى
الوارزاتى ، وكانت من الصالحات الخيرات وستأتى بقية أخبارها .

وذكر فى «المنتقى» قال : مرض المنصور فى صغره مرضا شديدا حتى
أيس منه ، فرأت أمه فى النوم شخصا يقول لها : أزيهه الشيخ أبا ميمونة
فانما احبته عين فازارته اياه فعوفى ، وكان ابوه المهدي ينبه على انه واسطة
عقد اولاده .

قال فى «مناهل الصفا» : حدثنى الشيخ المسن القانداو محمد مؤمن
ابن الغازى العمرى ان المنصور اقبل يوما فى حياة أبيه ، وهو صبي والمجلس
غاص بالاكابر ، فاندفع يخترق الصفوف ، قال : فصاح بى المهدي اذ ذاك ، وأنا
أصغر القوم ، فقال « يا مؤمن ، ارفعه فسينفعك أو ينفع عقبك » فابتدرت حمله ،
وكان كذلك ، فان المنصور لما أفضت اليه الخلافة كان القائد مؤمن بن الغازى
عنده بالحظوة الرفيعة والمنزلة العالية .

ونشأ للمنصور رحمه الله فى عفاف وصيانة وتعاط للعلم ومثافاة لاهله
عليه ، وكانت مخايل الخلافة لاثحة عليه من لدن عقدت عليه التمايم الى أن تم
أمره . حدثنا الفقيه العالم سفير الخلفاء أبو محمد عبد الله بن محمد بن محمد
ابن على الجزولى الدرعى أنه اجتمع بعض أهل المكاشفة بمصر فسأله عن

السلطان أبى عبد الله الشيخ وأولاده ، قال : فسميتهم له واقتصرت على الكبار منهم فلم أذكر المنصور لأنه كان أصغرهم سنا يومئذ . فقال لى : « بقى منهم من لم تذكره » فقلت له « أحمد » فقال : « ذاك واسطة عقدهم ووجه صفقتهم » فكان كذلك .

وقال الشيخ أبو فارس عبد العزيز الفشتالى : « لما أخذ المهدي البيعة لولده السلطان الغالب بالله كما تقدم استقدمه من فاس وأوصاه بالمنصور جداء ، وقال له : « ان الفائدة فيه » أو كما قال . وهكذا كان ينبه على أنه واسطة عقد أولاده : وكان المنصور رحمه الله يحدث أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم ، وأنواره تشرق ، قال : فوقع فى نفسى أن أسأله عن نصيبى من الخلافة فكاشفنى عليه الصلاة والسلام بما فى خاطرى ، وأجابنى بما حقق لى نيلها ، ثم أشار لى بأصابه الثلاثة الشريفة ضاماً الإبهام منها الى السبابة والوسطى وقال أمير المؤمنين « اه .

وقال الامام أبو زيد عبد الرحمن بن محمد التامنارتى فى كتابه «الفوائد الجمة باسناد علوم الامة » : « أخبرنى الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله الدغوغى صاحب «الحسبة» بتارودانت أنه رأى فى منامه كأنه فى حلقة يسرد فيها صحيح البخارى بموضع من دار الخلافة بها ، وأبو العباس المنصور يومئذ بها ، وذلك قبل ولايته ، قال : فرأيت فى طرة الكتاب هذا اللفظ : «ورى الزند » فكنت أتأمل معناه فالتفت فإذا برجل انعزل ناحية على طنفسة فوقع فى نفسى أن أسأله فأتيته بالكتاب وقلت له : ياسيدى ، ما معنى هذه الكلمة التى فى طرة هذا الكتاب؟ » فقال لى : « قل لمولائك أحمد : أنا الذى أوريك زندك ما دمت على الحق فان عدلت عنه فانا برىء منك . » فقلت له : «ومن أنت ياسيدى؟ » فقال لى : « رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، ثم لم يمض الا قليل حتى ولى الخلافة وحمدت سيرته ، قال أبو زيد : « وناهيك بزند أوراء النبى صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على أن ولاية الاسلام لا تتعقد الا بأمر النبى صلى الله عليه وسلم وقد اشتهرت المرائى بذلك » .

ويقرب من هذا ما ذكره صاحب « ابتهاج القلوب فى مناقب الشيخ

المجذوب » : « أن الشيخ الصالح أبا عبد الله محمد الملقب بكدار ابن الشيخ أبي زكرياء يحيى بن علال المالكي البوخصيبي رأى النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فشكا إليه أولاد مطاع لما رأهم عليه من الفساد في الأرض ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « يأتهم أحمد » ، فكان كذلك أتاهاهم عقب ذلك السلطان أبو العباس المنصور فأخذهم وقل جمعهم » اهـ . وأخبار المنصور من هذا النمط كثيرة .

وكان رحمه الله طويل القامة ممتلىء الحدين ، واسع المنكين ، تملوه صفرة رقيقة ، أسود الشعر ، أدعج أكحل ، ضيق البلج ، براق الثياب ، حسن الشكل ، جميل الوجه ، ظريف المنزع ، لطيف الشمايل . وكانت بيعته بعد الفراغ من قتال النصارى بوادي المخازن يوم الاثنين منسلخ جمادى الاولى سنة ست وثمانين وتسعمائة ، واجتمع عليها من حضر هناك من أهل الحل والعقد ، ثم لما قفل المنصور من غزوته تلك ودخل حضرة فاس يوم الخميس عاشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة جددت له البيعة بها ووافق عليها من لم يحضرها يوم وادي المخازن ، ثم بعث الى مراكش وغيرها من حواضر المغرب وبواديه فأذعن الكل للطاعة ، وسارعوا الى الدخول فيما دخلت فيه الجماعة .

قال الفشتالي : لما كانت وقعة وادي المخازن ونصر الله دينه وكبت الكفر وأهله واستوسق الامر للمنصور كتب الى صاحب القسطنطينية العظمى وهو يومئذ السلطان مراد بن سليم العثماني والى سائر ممالك الاسلام المجاورين للمغرب يعرفهم بما أنعم الله به عليه من اظهار الدين وهلاك عبدة الصليب والاستئصال شأفتهم ، فوردت عليه الارسال من سائر الاقطار مهنئين له بما فتح الله على يده : وكان أول من وفد عليه رسول صاحب الجزائر ، ثم تلتة أرسل طاغية البرتقال ، وهو الريكي القائم بأمرهم بعد هلاك سبستان ، وليس خاله وانما خاله طاغية الاصنبول فليب الثاني الذي جمع المملكين معا بعد هلاك الريكي المذكور وبعد وقعة وادي المخازن بثلاث سنين فقدّموا بهدية عظيمة وضعوها يوم دخولهم الى فاس على الكرايصة والعجل ، فعجب الناس منها عجا

بليغا، وكان ذلك اليوم يوما مشهودا وكان من جملة ما فيها ثلاثمائة ألف دكات من ريال الفضة ، وأما الطرف النفيسة والاثاث الرفيع فشئ لا يحصى ، ثم وردت ارسال طاغية الاصبنيول صاحب قشتالة بهدية عظيمة منها اليواقيت الكبار التسي انتزعها الطاغية من تاج آباءه ، وضديق مملوء من الدر الفاخر ، وقضب الزمرذ وغير ذلك ، وتكلم الناس فيما بين الهديتين أعنى هدية البرتقالى وهديـة الاصبنيولى أيهما أعظم ، ولم يهتد أهل العقل والمعرفة الى مقدار التفاوت بينهما ثم قدمت أرسال السلطان مراد العثمانى ومعهم هدية وهى : سيف محلى لم ير مثله مضاء وصفاء متن ، ثم قدمت أرسال طاغية أفرانسة ومعهم هدية عظيمة ولم تزل الوفود مترادفة باباب المنصور ، والارسال تصبـح وتمسى على أعتاب تلك القصور ، الى أن لم يبق أحد ممن تشوف النفوس اليه وحيشئذ اطمأنت بالمنصور الدار وطاب المقام وتم القرار .

وفى جمدى الاولى سنة سبع وثمانين وتسعمائة مرض المنصور مرضا مخوفا وطال به حتى كادت الامور تختل ثم تداركه الله على يد الحكيم الماهر أبى عبد الله محمد الطيب ، ولما أبل من مرضه أحسن الى الطيب المذكور وثر عليه يوم خروجه من الخلع ما لا يحصى ، وكان يوم خروجه يوما مشهودا، وفى ذلك يقول الفقيه الاديب أبو عبد الله محمد بن على الهوزالى المعروف بالتابعة:

تردى أذى من سقمك البر والبحر	وضجت لشكوى جسمك الشمس والبرد
وبات الهدى خوفا عليك مسهدا	وأصبح مذعور الفؤاد الندى الغمر
فلما أعاد الله صحتك التسي	أفاق بها من غم البدو والحضر
تراوت لنا الدنيا بزينة حسنـها	وعاد الى ابانه ذلك البشر
وصار بك الاسلام فى كل بلدة	يهنى ويدعى أن يطول لك العمر
وصحت لنا الآمال بعد اعتلالها	وعادت الى الايناع أغصانها الخضر
ولا غرو ان صامت على سمط الندى	اذا اغبر وجه الارض واحتبس القطر
ليت أبى العباس أنضت عجافها	قدما فخافت أن يعاودها الضر
لئن صدئت بيض المعالى لقد غدت	تسئ الكماء البيض واللدن السمر
بقيت لهذا الدين تحمى ذماره	ويحميك رب العرش ما بقى الدهر

عقد المنصور ولاية العهد لابنه محمد الشيخ المدعو المأمون

قال الفشتالى : لما أبل المنصور من مرضه المذكور وعاد الى حاله من الصحة أجمع رأى أعيان الدولة واتفقت كلمة كبارها على أن يطلبوا منه تعيين من يلى الامر بعده ويكون ولى عهده ، وكان المنصور مهيبا لا يقدر أحد على مواجهته بمثل هذا فاتفقوا على أن يكون البادى لذلك القائد المؤمن بن الغازى العمرى لما له من الادلال على المنصور بطول الخدمة وسالف التربية فقال له القائد المذكور : « يامولانا ، الله تعالى حفظ الاسلام بابالك من هذا المرض وعصم الدين بابقائه عليك وقد بقى الناس فى أيام سقمك فى حيرة عظيمة ودخلهم من الدهش ما لا يخفى عليك فلو عينت لنا من أبنائك القساورة من تجتمع كلمة الاسلام عليه ، ويشار بالخلافة اليه ، لكان أولى وأليق بسياسة الملك ، وان ابنك الابن أبا عبد الله محمد المأمون حقيق بذلك ، وجدير بسلوك تلك المسالك ، لما فيه من خلال الخير وخصال السيادة ، زيادة على ما هو عليه من التيقظ فى أموره والحزم فى شؤونه ، وقد ظهرت للناس محاسن سيرته ، وأطلعوا على جميل سريره » فاستحسن المنصور ذلك وأعجبه ما أشار عليه به ، فقال له : « سوف أستخير الله فى ذلك فان يكن من عند الله بمضه » قلت : هذا الذى حكاه الفشتالى على لسان القائد مؤمن فى حق المأمون المذكور اهو بخلاف الواقع كما ستقف عليه من أحوال المأمون بعد هذا ان شاء الله ، ولكن المؤرخين والشعراء يمدحون ويقدحون بحسب أغراضهم لا بحسب النواقع غالبا ، لا سيما اذا كان من يعنونه بذلك مخدوما لهم ومنعما عليهم ، فلا ينبغي لمن وقف على كلام هؤلاء الصنف منهم أن يعتمد عليه الا بعد التثبت والتبصر والله تعالى الهادى الى الصواب بمنه . ثم لبث المنصور بعد هذه الاشارة أياما يستخير ربه فى ذلك ويستشير من يعلم أهليته للمشورة من أهل العلم والصلاح ، فلما انقضت أيام الاستخارة وتواطأت الآراء على حسن تلك الاشارة ، جمع المنصور أعيان حاضرة مراكش وأعيان مدينة فاس وغيرهم من أسيان القبائل بوجوه الناس من أهل الحواضر والبوادر ، وأوصى

بالعهد لولده المذكور أبي عبد الله محمد المأمون ، وذلك يوم الاثنين منسليخ
سبعان سنة سبع وثمانين وتسعمائة .

وكان المأمون اذ ذاك خليفة ابيه على فاس فلم يحضر هذه البيعة فبعث
اليه المنصور بعد ذلك ليقدم من فاس ويبيع بحضرته ، ولم يقنعه ما كان عقد له
من البيعة وهو غائب ، ولما بعث اليه خرج المنصور بعسكره الى تانسيفت خارج
مراكش ثاني عشر صفر سنة تسع وثمانين وتسعمائة ، ولم يزل بعسكره هناك
متلوما ومنتظرا لقدم المأمون الى أن قدم غرة جمدي الثانية من السنة المذكورة ،
فكانت ملاقاتهما من عجائب الزمان ، ولما اصطف جيش المنصور وجيش المأمون
ترجل المأمون عن فرسه وتقدم حافي القدم فعفر وجهه بين يدي والده ثم قبل
رجله ، والمنصور على فرسه واقفا بين الصفين ، فدعا له بخير وأظهر الفرح
بمقدمه ، وكان المأمون قد عبا جيشه تعبى لم ير مثلهما ورتبهم ترتيبا حسنا في
لباسهم وسائر أمورهم ، فسر المنصور بذلك ، وبعد أيام من بلوغه أمر به فاجلس
في سرادقه الاعظم الذي لم يكن للملوك قبله مثله كما سيأتي ، وأمر أهل
الحل والعقد فازدحموا على تقبيل يده واقتضيت منهم الايمان بحضرته ، وقام
الشعراء فافصحوا عن وصف الحال ، وغمر المنصور الناس بالنوال ، وكان ذلك
اليوم يوما مشهودا ، وبعد أيام منه أمر المنصور المأمون أن يرجع الى حضرة
فاس فرجع ودخل المنصور حضرته وتم غرضه الذي قصده .



ثورة داود بن عبد المؤمن بن محمد الشيخ والسبب في ذلك



قال الفشتالي : لما وقعت البيعة للمأمون وتكامل أمرها ثار الرئيس الاجل
أبو سليمان داود بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد الشيخ ، وهو ابن أخى
المنصور ، وفر الى جبل سكيوة وشق العصا ودعا الى نفسه ، فاثالت عليه
أوشاب من البربر وغيرهم ، ونجم أمره وأثرت في أذن الرعية جمعته ،
فبعث اليه المنصور قائده الزعيم أبا عبد الله محمد بن ابراهيم بن بجة فناوشه

القتال بجبل سكسيوة فهزمه ، وفر إلى جبل هوزالة فتحزبوا عليه ، وقويت بهم شوكتهم ، وأخذ يشن بهم الغارات على أهل درعة إلى أن ضاقوا به ذرعا فشكوا أمره إلى المنصور فبعث إليه قائده الذي ذكر فلم يزل في مقابله ومقاتلته إلى أن شرده عن جبل هوزالة ففر داود منه إلى الصحراء ، واستقر به الرحيل بها عند عرب الودايا من بني معقل فلم يزل عندهم إلى أن هلك سنة ثمان وثمانين وتسعمائة وكفى المنصور أمره .



حدوث النفرة بين المنصور والسلطان مراد العثماني وتلاقي المنصور لذلك



قد علمت ما كان من التجاء عبد الملك المعتصم وأحمد المنصور إلى السلطان سليمان العثماني وتطارحهما عليه حتى أمدهما بالجيش الذي كان سببا في تملكهما المغرب ، ولما صفا الأمر لعبد الملك أهمل جانب العثماني ولم يكتبه بشيء ولا عرج عن ساحته ، ثم لما ملك المنصور وكتب إلى النواحي بخبر وقعة وادى المخازن كتب إلى السلطان مراد في جملتهم فبعث السلطان المذكور إلى المنصور بالهدية التي تقدم ذكرها وكان المنصور استقلها وانف منها ، فتشاغل عن الوفد وتركهم مهملين بحضرته ، وتأخر عن جواب السلطان مراد فكان ذلك سببا للنفرة ، وكان وزير البحر للعثماني ، واسمه الرئيس على علوج ، يبغض المنصور فلم يزل يسعى به عند سلطانه ويذكره ما كان من أبيه الشيخ من القدح في ولاية الترك والظعن عليهم ، وقال له في ذلك : « قد ضاع صنيعك في هذا الغادر وصنيع والدك من قبلك » ولم يزل يقتل له في الذروة والغارب ويهون عليه أمر المغرب حتى أذن له في توجيه العمارة إليه ومنازلته والاختذ بآفاقه إلى أن يستأصل أمر المنصور ويخمد جمرته ، ويقال : إن السلطان مرادا أمر وزيره المذكور أن يذهب بالعمارة إلى الجزائر فتكون هنالك ثم يتقدم بالعساكر في البر إلى المغرب ، فأخذ الوزير في التأهب لذلك واتصل

الخبر بالمنصور على يد بعض قناصل النجلىز ، فارتحل الى فاس من حينه وشحن الثغور وملا المراسى ، وكان على أهبة وكمال استعداد ، وبعث ارساله الى السلطان المذكور بهدية عظيمة تلافيا لما فرط واعتذارا عما سلف ، وكان من جملة ارساله القائد الانجد ابو العباس احمد بن ودة العمرانى ، والكاتب الشهير ابو العباس أحمد بن يحيى الهوزالى ، فركبوا البحر من مرسى تطاوين قاصدين القسطنطينية العظمى ، وبينما هم فى أثناء الطريق على شبح البحر لقيهم الوزير علوج فى أسطوله قاصدا ديار المغرب عازما على منازلة المنصور به ، فلما رآهم سقط فى يده ، وأيقن بخيبة مسعاه ، فرام صدهما عما قصدا اليه وأياسهما من تدارك الامر ، وقال لهما : « ان الخرق قد اتسع على الرافع ولو كان لصاحبكم ففرض فى المسألة ما بقى أصحابنا بأبوابه كالكلاب والبادى أظلم » فلم يزل الوزير علوج بالقائد ابن ودة الى أن صرفه عن رأيه وردده معه ، وترك الهوزالى يبلغ الرسالة والهدية ظنا منه أنه صغير السن لا يحسن مخاطبة الملوك انعظام ، وابن ودة الذى كان عنده مظنة لكمال التدبير ومثاقنة الملوك رده معه ، فلما انتهى الهوزالى الى السلطان مراد ودخل عليه أظهر من قبله ولطف مخاطبته ما خلب به قلب السلطان المذكور ، واستل السخيمة من صدره واعتذرله عن تأخر المنصور عن الجواب بما لا يعود بوهن على مخدومه ، ولا يفيد غلبة خصمه ، فقبل السلطان مراد الاعتذار ، وتقبل الهدية بقبول حسن ، وكتب مع انهوزالى الى الوزير علوج بالرجوع عن منازلة المنصور ، فرجع بها الهوزالى بطير سرورا ، ولم يغب عن علوج الا نحو الشهر حتى قدم عليه بأمر الملك ، ففرغ لها علوج سن الدم ، وأسف على تفریطه فى الهوزالى وتركه ، وبعث السلطان مراد رسله مع الهوزالى الى المنصور يلومه على التراخى فى أمور الملوك فلما قدموا عليه أكرم وفادتهم وأحسن نزلهم وردهم مكرمين الى مرسلهم ، وبعث معهم الفقيه الامام قاضى الجماعة بحضرة مراكنش أبا القاسم ابن على الشاطبى ، والقائد الانجد ابا زيد عبد الرحمن بن منصور الشيطمى المريدى ، فلما وردوا على خاقان الترك فرح بهم كل الفرح ، ورتب الشاطبى كلاما بليغا أعرب فيه عن فضل الدولتين ، وقرر فيه حق أهل البيت وأطرى المنصور

وحض فيه على اتحاد كلمة الاسلام ، وقرأ ذلك على السلطان مراد فاهتز لسماعه ، ثم بعد أيام أحسن اليهم وأجزل صلتهم وردهم مكرمين الى مرسلهم . وقال صاحب « خلاصة الاثر » : كان المنصور موادعا لسلاطين آل عثمان فيرسل اليهم بالهدايا في كل سنة وكانوا هم يرسلون اليه بالمكاتيب والخلع السنية حتى ان السلطان مراد بن سليم كتب اليه أثناء مكاتيبه : « لك على العهد أن لأمد يدي اليك الا للمصافحة ، وان خاطري لا ينوي لك الا الخير والمسامحة » وكانت رسله دائما تأتي الى القسطنطينية من جانب البحر ويمكنون زمانا طويلا ويتعهدون الوزراء ومن له قرب من الدولة من جملةهم الرئيس الاديب محمد الامين الدفترى ، فقد ذكر صاحب « خلاصة الاثر » أن هذا الرئيس كان يجمع نفائس الكتب ويعت بها الى المنصور فبسبب ذلك كانت المراسلات بينهما غير منقطعة ، وقد ذكر صاحب « خلاصة الاثر » في ترجمة الرئيس المذكور بعض تلك المراسلات فانظروا .

ولما تكامل هذا الغرض ، وصح جسم الدولة من المرض ورجعت الارسلات في أحسن الاحوال عاد المنصور الى مراکش ، وفي يوم خروجه من فاس خرج أعيان أهلها ومشيجة العلم بها وقرى البخارى بين يديه سردا على عادة الخلفاء في ذلك ، وكان ذلك كله سنة تسع وثمانين وتسعمائة .



ايقاع المنصور بعرب الخياط والسبب في ذلك



قد قدمنا في أخبار الدولة المرينية ما كان لهؤلاء الخياط من الاعتزاز والدالة عليها بسبب ما كان لهم من الشوكة والمصاهرة مع ملوكها . ولما أدبرت دولة بنى مرين واستولى على ملكهم أبو عبد الله محمد الشيخ المهدي انحاشوا اليه وأظهروا الخدمة والنصيحة ، فلما جاء أبو حسون الوطاسي بجيش الترك حسبما شرحناه قبل أوقعوا الهزيمة على المهدي لابي حسون كما مر ، فلما غلب

المهدى على المغرب وصفاله أمره خلعه من الجندية ، ووظف عليهم الخراج ، ومحا اسمهم من ديوان الخدمة . ونقل أعيانهم الى مراکش واتخذهم رهائن عنده ، ولم يزل الامر على ذلك الى أيام المنصور فرأى جلادهم يوم وادى المخازن وحسن بلائهم ، فاختار النصف منهم وردّه الى الجندية ، وأبقى نصفهم الآخر فى غمار الرعية ونقلهم الى أزغار فاستوطنوه حيناً من الدهر ثم عاثوا فى البلاد ، وأكثروا فيها الفساد ، ومدوا أيديهم الى أولاد مطاع فنهبهم وضايقوا بنى حسن فكثرت الشكاية بهم الى المنصور ، فضرب عليهم سبعين ألفاً غرامة ، فلم يزدادوا الا عتوا وشدة ، فأرسل اليهم ليعثوا طائفة منهم الى تيكورارين فامتنعوا من ذلك فحينئذ بعث اليهم القائد موسى بن أبى جمدى العمرى فانتزع منهم الخيل وأبقاهم رجالة . ثم حكم السيف فى رقابهم . واستأصل جمهورهم فمن ثم خضعت شوكتهم ، ولانت للفاخر قناتهم .



استيلاء المنصور على بلاد الصحراء تيكورارين وتوات وغيرها



لما استقر المنصور بمراكش مرجعه من فاس وأمن من هجوم الترك على المغرب طمحت نفسه الى التغلب على بلاد تيكورارين وتوات من أرض الصحراء وما انضاف الى ذلك من القرى والمدائن ، اذ كان أهل تلك البلاد قد انكفست عنهم أيدي الملوك ولم تسسهم الدول منذ أزمان ولا قادهم سلطان قاهر الى ما يراد منهم ، فسنح للمنصور أن يجمع بهم الكلمة ويردهم الى أمر الله فبعث اليهم القائد أبا عبد الله محمد بن بركة ، والقائد أبا العباس أحمد بن الحداد العمرى المعقل ، فى جيش كثيف فقطعوا اليهم القفر من مراکش ، وانهبوا اليهم على سبعين مرحلة منها ، فتقدموا اليهم أولاً بالدعاء للطاعة والاعذار والانذار فامتنعوا فنازلوهم وقتلوه وطالت الحرب بينهم أياماً ، ثم كان الظهور لجيش المنصور فأوقعوا بهم وأنخسوا فيهم الى أن أذعنوا للطاعة . وصاروا فى حزب الجماعة ، وأنهى خبر الفتح الى المنصور فسر بذلك سروراً عظيماً

وقال الشعراء فى ذلك وعم الفرح بلاد المغرب، وكان ذلك سنة تسعين وتسعمائة
وبعد هذا تشوقت نفس المنصور الى الاستيلاء على بلاد السودان فكان من أمرها
ما نذكره ان شاء الله .



تلخيص القول فى السودان المغرب والاشارة الى ممالكهم ودولهم من لدن الفتح الاسلامى الى هذا التاريخ

اعلم أن هؤلاء السودان هم من نسل حام بن نوح عليه السلام باتفاق
النسابين والمؤرخين ، ويجاور البربر بارض المغرب منهم أمم كثيرة من أعظمها
أهل مملكة غانة وهم المتصلون بالبحر المحيط من جهة الغرب على مصب النيل
السودانى فيه ، وتتصل بهم من جهة الشرق أمة أخرى تعرف بصوصو بصادين
أو سينين مهملتين مضمومتين ، ثم بعدها أمة أخرى يقال لها : مالى ، ثم بعدها
أمة أخرى تسمى كوكو ويقال : كاغو ، ثم بعدها أمة أخرى تعرف بتكرور ويقال
لهم أيضا : سغاي ، ثم بعدها أمة أخرى تدعى كانم وهم أهل مملكة برنوا المجاورة
لأفريقية من جهة قبلتها . ثم بعدها أرض النوبة المجاورة لبلاد مصر وهكذا الى
آخر الشرق أمم لا يحصيهم الا خالقهم .

فأما أهل مملكة غانة فقد كانوا فى صدر الاسلام من أعظم أمم السودان
أسلموا قديما وكان لهم ملك ضخم ، وكانت حاضرة ملكهم هى غانة وهى :
مدينتان على ضفتي النيل السودانى من أعظم مدن العالم وأكثرها عمراننا ذكرها
صاحب « نزهة المشتاق » ، وصاحب « المسالك والممالك » وغيرهما .

وقال الفقيه الاديب أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسى الشريشى
فى « شرح المقامات الحريية » ما نصه : غانة بلد من بلاد السودان وإليها ينتهى
التجار يعنى من المغرب ، والمدخل إليها من سجلماسة ومن
سجلماسة إليها با مسيرة ثلاثة أشهر ومن غانة الى سجلماسة ايا با مسيرة شهر ونصف
ودون ذلك . وسبب ذلك أن الرفاق تجهز إليها من سجلماسة بالامعة والانتقال
فبباع فى غانة بالتبر فمن سافر إليها بثلاثين حملا يرجع منها بثلاثة أحمال أو

بحملين واحد لركوبه وثن للماء بسبب المفازة التي في طريقها ، حدثني غير واحد من تجارها أنهم يقطعون المفازة في ستة عشر يوما لا يرون فيها ماء الا على ظهور الابل . فائمان أحمال الثلاثين جملا يجتمع فيها من التبر ما يجعل في مزود واحد فيطوون المراحل للحنة ، قال : « وغانة بدمملكة السودان وانتشر الاسلام في أهلها وبها مدارس للعلم وبها من تجار المغرب كثير يدخلون للتجارة فيصيون الخصب والامن وكثرة المتاجر فيشترون بها خدما للتسرى ويقيمون بها عند أميرها في غاية الكرامة ، وللاماء فيها قد جعل الله فيهن من الخصال الكريمة في خلقهن وخلقهن فوق المراد من ملاسة الابدان وتفشقي السواد وحسن العينين واعتدال الانوف وبياض الاسنان وطيب الروائح » اه . وقال ابن خلدون : « كان في غانة فيما يقال ملك ودولة لقوم ممن العلويين يعرفون بنى صالح » .

وقال صاحب « نزهة المشتاق » : « انه صالح بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم قال : ولا يعرف صالح هذا في ولد عبد الله بن حسن وقد ذهبت هذه الدولة لهذا العهد » اه .

ثم ان أهل غانة ضعف ملكهم وتلاشى أمرهم في المائة الخامسة واستفحل أمر المثلثين المجاورين لهم من جهة الشمال مما يلي البربر ، وزحف اليهم الامير أبو بكر بن عمر اللتوني فاتح المغرب ومستخلف يوسف بن تاشفين عليه حسبا مر ذلك في أخبارهم ، فلما رجع الامير أبو بكر الى الصحراء غزا بلاد السودان وفتح منها مسيرة ثلاثة أشهر ، واقتضى منهم الاتاوات وحمل الكثير منهم ممن لم يكن أسلم قبل ذلك على الاسلام فدا نوابه ، ثم اضحل ملك أهل غانة بالكلية وتغلب عليهم أهل مملكة صوصو المجاورون لهم واستعبدوهم وصيروهم في جملتهم . ثم ان أهل مالى كثروا أم السودان في نواحيهم تلك واستطالوا على الامم المجاورين لهم فغلبوا على صوصو وملكوا ما كان بأيديهم وبأيدى أهل غانة ، ثم افتتحوا بلاد كوكو وأضافوها الى ملكهم وصارت دولة مالى متصلة فيما بين غانة في الغرب وأرض التكرور في الشرق واعتز سلطانهم وهابتهم أم السودان . ومن هذه الدولة كان السلطان منسا موسى

ابن أبي بكر ، وأخوه منسا سليمان اللذان كان بينهما وبين السلطان أبي الحسن المرينى من المهاداة والمواصلة ما تقدم ذكره . وكان مع السلطان منسا موسى المذكور الاديب الشاعر أبو اسحق الطوبجى * الاندلسى الذى بنى له القبة المربعة العجيبة الصنعة البديعة النقش والتخريم التى أجازته عليها باثنى عشر ألف مثقال من التبر وغير ذلك مما مر ذكره فى أخبار الدولة المرينية ، وكان منها أيضا السلطان منارى زاطة الذى هادى السلطان أبا سالم المرينى وأغرب عليه بالزرافة حسبما تقدم ، قالوا : وكان هذا السلطان مسرفا مبذرا بحيث أفسد ملكهم وأتلف ذخيرتهم وكاد أمر سلطانهم يختل حتى لقد انتهى الحال به فى سرفه وتبذيره أن بساع حجر الذهب الذى كان من الذخائر الموروثة عندهم ، وهو حجر يزن عشرين قنطارا من الذهب العين منقولاً من المعدن كذلك من غير علاج ولا تصفية بالنار ، فكانوا يرونه من أنفُس الذخائر وأكبر الغرائب لدور مثله فى المعدن ، فعرضه منسا زاطة على تجار مصر المترددين الى بلده فاشتروه منه بابخس ثمن . ثم أصابته علة النوم وهو مرض يطرق أهل ذلك الاقليم كثيرا وخصوصا الرؤساء منهم بحيث يعتاده غشى النوم عامة زمانه حتى لا يكاد يفيق ولا يستيقظ الا فى القليل من الاوقات ويضر بصاحبه غاية ويتصل سقمه الى أن يهلك ، ودامت هذه العلة بهذا السلطان سنتين ثم هلك منها سنة خمس وسبعين وسبعمائة ، ثم توارث بنوه الملك من بعده فكانوا فى تراجع وانتقاص الى أن انقرض أمرهم شأن غيرهم من الدول ، وظهرت دولة آل سكية من أهل مملكة كوكو ويقال كاغو . قال الامام التكرورى فى كتابه « نصيحة أهل السودان » : ان آل سكية أصلهم من صنهاجة وملكوا كثيرا من بلاد السودان ، وأول ملوكهم الحاج محمد سكية بضم السين وسكون الكاف بعدها ياء مفتوحة ثم هاء تانيث ، وكان الحاج محمد المذكور رحل فى أواخر المائة التاسعة الى مصر والحجاز بقصد حج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه صلى الله عليه وسلم ، فلقى بمصر الخليفة العباسى ، اذ كان رسم الخلافة العباسية لا زال قائما بها يومئذ ، حتى محلاه

* الطوبجى تصغير طاجين هكذا ضبطه صاحب النفح انظر ترجمته ج ١ ص ٤٦١

السلطان سليم العثماني أيام تغلبه على مصر سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ، فلما اجتمع الحاج محمد سكية بالخليفة المذكور طلب منه أن يأذن له في امساراة بلاد السودان ، وأن يكون خليفته هناك ، ففوض اليه الخليفة العباسي النظر في أمر ذلك الاقليم وجعله نائبه على من وراءه من المسلمين ، فرجع الحاج محمد سكية الى بلاده ، وقد بنى أمر رياسته على قواعد الشريعة وجرى على منهاج أهل السنة ، ولقى بمصر أيضا الامام شيخ الاسلام حافظ الحفاظ جلال الدين السيوطي فأخذ عنه عقائده وتعلم منه الحلال والحرام ، وسمع عليه جملا من آداب الشريعة وأحكامها وانتفع بوصاياه ومواعظه ، فرجع الى السودان ونصر السنة وأحيا طريق العدل ، وجرى على منهاج الخليفة العباسي في مقعده وملبسه وسائر أموره ، ومال الى اسيرة العربية وعدل عن سيرة العجم فصلحت الاحوال ، وبرىء جسد الرشاد من الداء العضال ، وكان الحاج محمد المذكور سهل الحجاب رقيق القلب خافض الجناح شديد التعظيم لائمة الدين محبا للعلماء مكرما لهم يفسح لهم في المجلس ويوسع عليهم في العطاء ولم يكن في أيامه كلها بؤس ولا بأس بل كانت رعيته في خفض عيش وأمن سرب وفرض عليهم شيئا خفيفا من المغارم وظفه عليهم، وزعم انه ما فعل ذلك حتى استشار الامام السيوطي شيخه ، ولم يزل على سيرته المذكورة الى أن اخترمته المنية ، فقام بالامر بعده ولده داود بن محمد فاحسن ما شاء وتبع طريقة أبيه الى أن لحق بربه ومضى لسبيله ، فقام بالامر بعده ولده اسحق بن داود فعدل عن بعض سيرة أبيه ، ولم يكن في أمره بالذميم ، واستمر حاله على الانتظام الى أن غزته جيوش المنصور فنقضت ملكه ونثرت سلكه ، وانقرض عليه أمر آل سكية بعد أن كان تحت طاعتهم مسيرة ستة أشهر من بلاد السودان. وسنذكر كيفية ذلك

وأما مملكة التكرور وكانم فقال ابن خلكان ما نصه : « كانم بكسر النون جنس من السودان وهم بنو عم تكرور وكل واحدة من هاتين القبيلتين لا تنسب الى أب ولا أم وانما كانم اسم بلدة بنواحي غانة فسمى هذا الجنس باسم هذه البلدة، وتكرور اسم للارض التي هم فيها وسمى جنسهم باسم أرضهم » اهـ.

قلت: وكان من كانم الاديب أبو اسحق ابراهيم بن يعقوب الكانمى
الاسود الشاعر وهو الذى دخل على يعقوب المنصور الموحدى فأنشده :
أزال حجابہ عنی وعینى تراه من المہابة فى حجاب
وقربى تفضله ولكن بعدت مہابة عند اقترابى
وأهل كانم هم أهل مملكة برنو المجاورة لافريقية من جهة قبلتها كما قلنا
وكانت لهم مع الدولة الحفصية فى المائة السابعة وما بعدها مهاداة ومواصلة كما
كان لاهل مالى مع بنى مرين .

قلت : ومن أهل برنو الشيخ العارف بالله تعالى أبو محمد عبد الله البرنوى
شيخ الولى العارف بالله تعالى أبى فارس عبد العزيز الدباغ الموضوع فى مناقبه
كتاب « الذهب الابريز » .

واتصل أمر أهل برنو على الانتظام الى أن كان من أمرهم مع المنصور ما
نذكره ، وكل هؤلاء الامم كانوا على دين الاسلام قديما كما رأيت ، وكان فيهم
العلماء والصلحاء والادباء والشعراء كما علمته آنفا وتعلمه فيما بعد ان شاء الله
تعالى .

قال الشيخ أبو العباس أحمد بابا السودانى فى تقييده المسمى « بمعراج
الصعود » : « ان أهل السودان أسلموا طوعا بلا استيلاء أحد عليهم كأهل كنوا
وكتى وبرنو وسغاي ما سمعنا قط أن أحدا استولى عليهم قبل اسلامهم ومنهم من
هم قدماء الاسلام كأهل مالى أسلموا فى القرن الخامس أو قربه وكأهل برنو
وسغاي » اه . وقد علمت أن أهل غانة تقدم اسلامهم على هذا التاريخ والله
تعالى أعلم . ولنرجع الى ما كنا بصددہ من أخبار المنصور فنقول :



وصول هدية صاحب برنو الى المنصور بحضرة فاس

وما نشأ عن ذلك من يعته له والنزام طاعته



كان المنصور رحمه الله مسعودا محظوظا كما أشرنا اليه سابقا ، وكان من سعادته ما هيا الله له من مهادة صاحب مملكة برنو ومخاطبته له حتى كان ذلك سببا في مبايعته له والدخول في طاعته . وكان من خبر ذلك ما حكاه في « مناهل الصفا » قال : « وفي سنة تسعين وتسعمائة ورد على المنصور الخبر وهو بمدينة فاس بقدم رسول صاحب مملكة برنو من ملوك السودان ، وجلب في هديته ما جرت عادتهم أن يجلبوه من قيان العبيد والاماء وكسا السودان وطرفه ، وكان من ذلك عدد كبير يناهز المئين ، فوافى المنصور بعسكره على رأس الماء من ساحة فاس ، وكان يوم ملاقاته يوما مشهودا حسنا وأبهة وجلالة ، جلس نصره الله تعالى بالقبتين التوأمتين المضروبتين أمام السياج المحيط بقبايه ، وهو آفراك ، واستوقف الموالى والممالك سماطين من التوأمين الى القبة العربية ، ثم منها الى فسطاط الجلوس المعلوم بالديوان ثم منه الى باب المعسكر القبلى ، وأتى بالرسول يخترق السماطين حتى نزل بالديوان ، وكان الملا من أكابر الدولة وصدور المملكة جلوسا وكرسى المملكة وسرير الخلافة منصوبا به ، والمهابة قد أخرست اللسن وأخشعت القلوب والابصار ، فجلس الرسول هنالك مليا ، ثم توجه به على سبيل الترقى الى القبة العربية فجلس بها ، ثم جاء الاذن الكريم بإيصاله الى مقر أمير المؤمنين بالتوأمتين فوقف بين يديه وتشرف بالنظر الى طلعه السعيدة فادى الرسالة وقضى فرض التهئة وسنة الهدية وأعرب عن مقاصد مرسله واعترف للمملكة العظيمة بحققها وأظهر من الخضوع والتعلق والاستكانة والخدمة والطواغية ما أوصاه به مرسله ، ثم توجه به الى معسكر ولى العهد وتاج الاسلام وكافل الامة بعد والده المولى الامير أبى عبد الله محمد الشيخ المأمون بالله ، وكان لصق معسكر أمير المؤمنين برأس الماء ، فأشرف الرسول على دنيا أخرى وأبهة مدهشة ومحلة هائلة فوقف موقف الحيرة ، واستدرج الى أن وصل

لقباب ولى العهد ومضاربه ، وكان قد قعد له بفسطاط جلوسه أفخم قعود . ولما استؤذن عليه ووقف بين يديه هنا وحى وفدى وانصرف عنه الى محل نزوله بالقصبة من فاس ، وأدر عليه من الانعام والاکرام ما لم يكن له فى حساب . وكان من أغراض الرسالة التى أنفذه بها سلطانه طلب المدد من أمير المؤمنين بالعساكر والاجناد وعدة البندق ومدافع النار لمجاهدة من يليهم بقاصية السودان من الكفار ، وكان هذا الرسول قد وفد قبل على سلطان التورك بالاصطنبول السلطان مراد العثمانى يطلب منه المدد لجهاد كفار السودان فأخفق سعيه ولم يحصل على طائل ، فوجهه فى هذه النوبة الى ملك المغرب يطلب منه المدد ، ولما قرىء كتابه على أمير المؤمنين اتفق أن وقع بينه وبين كلام الرسول اختلاف بين وتباين واضح فكان الذى دل عليه الكتاب خلاف ما دل عليه كلام الرسول، جر اليهم ذلك توغلهم فى الجهل والغباوة وعدم من يحسن الاعراب عن مقاصدهم من فرسان الانشاء والكتابة ، لطموس معالم العلوم عندهم على الجملة ، وقارن ذلك ما كان من توجيه أمير المؤمنين عساكره لتدوين قطرى توات وتيكورارين ، وأمل أن يجعلهما ركابا لبلاد السودان والاستيلاء على ممالكها التى وجه اليها عساكره بعد ذلك ، فبلغت مملكة مالى عظيم السودان الى أن وردت من نيلها على مائة مرحلة من ثغور المغرب ، فاعتزم المنصور لذلك اختلاف الرسول والرسالة وبنى عليه ما اعتد به على صاحب برنو ورجع الرسول الى مرسله بعد مكافأته وتوجيه هدية من عتاق الخيل وأشرافها بكسى من ملابس الخلافة وأسباب آخر . ولما بلغ الرسول وألقى المذرة الى سلطانه استأنف الهدية وأعرب اذ ذاك عن مراده ورد الرسول ثانية الى باب أمير المؤمنين فوافاه بحضرته ودار خلافته من مراکش ، فأزال اللبس وبين الغرض وصرح بالمقصود ، فلما تحقق المنصور بقصده صدع له بالحق والدعاء الى التى هى أقوم وطالبهم بالبيعة له والدخول فى دعوته النبوية التى أوجب الله عليهم وعلى جميع العباد فى أقطار البلاد الانقياد اليها ، وقرر لهم بلسان السنة الناطق والكتاب المنزل على جده الصادق ، أن الجهاد الذى يتحلون به ويظهرون الميل اليه والرغبة فيه لا يتم لهم فرضه ولا يكتب لهم عمله ما لم

يستندوا في أمرهم الى اذن من امام الجماعة الذي اختص الله أمير المؤمنين بوصفه اذ هو الكافل لهذه الامة ، ووارث تراث النبوة ، وقبضه الله لحماية بيضة الاسلام ، وخصه بالشرف القرشي الذي هو شرط في الخلافة باجماع من علماء الاسلام وأئمة السنة الاعلام ، وألزمهم القيام في أقطارهم بدعوته ، ومجاهدة أعدائهم الكفار بكلمته ، وعلق لهم أيده الله الامداد على البيعة والوفاء بهذا الشرط فالتزمه الرسول ، وزعم أيضا عن سلطانه بالقبول والاجابة ، وطلب من السلطان نسخة يتوجه بها من صورة البيعة اذ ليس ببلدهم من يحسن الانشاء ، ويوفى الغرض لثلا يخلو بشيء من الشروط التي شارطهم عليها أمير المؤمنين فانشأها كاتب الدولة أبو فارس عبد العزيز القشتالي ونصها : « الحمد لله الذي أعلی لكلمة الحق منارا يسامى في مطالعها النجوم ، وأزاح بها عن شمس الهداية المنيرة غياهب الغباوة المدلهمة وسحاب الغواية المركوم ، وحى على الفلاح بها داعي التوفيق الذي نشر للنجاح كتابه الموقوت واستنجز للسعادة أجلها المعلوم ، وشرف هذا الموجود والعالم الموجود بالخلافة النبوية والامامة الحسينية العلوية التي صرفت الوجوه الى قبلتها المشروعه ، واستبان الحق بتبليج الصباح في مبايعتها والانقياد لدعوتها المسموعة ، ونسخ بدولتها الفراء دول النحيف التي هي بسيف النبوة المصلت مقطوعه ، وبلسان السنة مدفوعه ، وقوض بها مباني الادعاء التي هي على غير أساس الشرع الصحيح مرفوعه ، وفرق بكلمتها المجموعة على التوحيد فرق التثليث التي هي على مشاققة الله ورسوله تابعة ومتبوعه ، وخلع بظهورها على أعطاف الحنيفية السمحة رداء العز الفضفاض واستل بتأييدها للدين المحمدي سيف الانفة والامتناع ، وأشار للاعادي من بأسها المروع بلسان الحية النضاض ، وفجر للمومنين ينبوع رحمتهما الجاري على حصا عدلها الرضاض ، ومهد بسيوفها المنتصاة الافاق والاقطار تمهيدا أزال عن حكمه الاعتراض ، وجلا بأنوارها المتألقة سدف الجهالة التي ادلهم جوها وغيسم ، وأسعد الوجود بيمينها الذي لبث في أكفاف مجدها وخيم ، وقضى لها بتراحم الارض ومن عليها ان شاء الله الى عيسى بن مريم ، والصلاة والسلام على مولانا محمد الذي تعاضدت البراهين القاطعة على صدق رسالته البارة ، ونهيج

للدين القويم طريقة الحق المثلى ومادته الشارعه ، وسوغ لمن آمن به مناهل الهدى النيرة الزلال وموارده العذبة ومشارعه ، نبى الرحمة وشفيع الامه ، وعلى آله وأصحابه الكرام ، أئمة الهدى ومصاييح الظلام ، والدعاء لمولانا الامام العلوى الهمام ، أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين ، نجل سيد المرسلين وخاتم النبيين ، وسيل الوصى واسبطين ، وبعد ، فانه لما أذن الله فى ليل الجهالة أن ينجاب ، وفى شمس الحق الوهاجة أن يرتفع عنها الحجاب ، وفى العز الخلق الجلباب أن يعود الى الشياب ، وفى النجاح والاستقامة أن يفتح لهما الباب ، وفى الامارة أن تستند الى السنة والكتاب ، وتعلق من الشرع بأسباب ، تدارك الله سبحانه الوجود وأعز العالم الموجود واستطارت الانوار المنضئة للاغوار والنجد بطلوع شمس الخلافة النبوية ، والامامة الهاشمية العلوية ، ففاضت على أديم البسيطة أنوارها ، وارتفع الى حيث السها والفرقدن منارها ، وتبلج بالاصباح نهارها ، ولاحت فى سماء المجد بدورها وأقمارها ، وكادت تنهب نجوم السماء أتباعها وأنصارها ، وانتشرت فى الافاق والاقطار على البعد والقرب آثارها ، وهزت عطف الزمان انتشاء مناقبها وأخبارها ، وفاض بركتها على أكناف المعموريمها الزاخر وتيارها ، خلافة ينتمى الى النبوة عنصرها ، وتستببط من رسالة الوحي أسطرها ويناط بعروتها الوثقى خنصرها وامامة على وليها والله نصيرها ، والسببط بدرها الذى حياه منبرها وسريرها والحمد لله الذى اصطفى من هذه للدوحة النبوية السماء ، والشجرة الطيبة الهاشمية التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، اماما ألقى الله له فى القلوب حبا جميلا ، ومولى جعله الله على مرضاته سبحانه علامة ودليلا ، وخليفة استرعاه فكان بحسن الرعى لخلقه وعباده كفيلا ، وانتضى من بأسه وبسالته لحماية حمى الشريعة حساما صقيلا ، مولانا أمير المؤمنين وخليفة الله فى الارضين وسليل خاتم النبيين ووارث الانبياء والمرسلين ، المفترضة طاعته على الخلق أجمعين ، والمنون بامامته المقدسة على العالمين ، بحر الندى والباس وعصمة الله للناس ، أمير المومنين المنصور بالله مولانا أبا العباس ، صلوات الله عليه وعلى آله الخلفاء الراشدين ، والائمة الطيبين الطاهرين ، وطيب بانفاس المغفرة لجودهم ،

أجمعين ، امام تهتز لذكره أعطاف المناير ، وتتقلد من شريف دعوته أبهى
من نفيس الجواهر ، وتستضيء البلاد باكليل شرفه الزاهر ، وتسكن العباد
تحت ظل رحمته الوارف الوافر ، أبقي الله أيامه الغر بقاء يصحب النصر
دوامه ، وخلد له ولا عقابه هذا الامر الكريم الى يوم القيامة ، ولما طلعت أيده
الله على هذه الاصقاع الزنجية طلائع امامته النبوية وخلافته ، ولاحت فسى
سمائها شهب مناقبه للمنيقة الدالة على فخامة شرفه وأنافته ، وتليت لمجده
الآيات اليبينات التي تشهد له بتراث الرسالة ، وتقضى له على الاسلام وعلى الانام
بحكم الولاء والكفالة ، وأوضح الله سبحانه للناس من اعتقاد وجوب طاعته
والاقتداء بامامته والانقياد لدعوته وتقليد بيعته ما جاء به كتابه الحكيم ووردت
به سنة نبيه الكريم ، كما قال عليه السلام : « لا تزال الخلافة في قريش ما بقي
منهم اثنان » وكما ورد في صحيح الخبر : « ان الخلافة في قريش والقضاء في
الانصار وفي الحبشة الاذان » ويدل على هذا تعاقد الخبر والعيان ، فلا ناكر
ان ليس في المعمور على هذا الشرط غيره أيده الله من ثاب ، فهض بدليل
الشرع انه امام الجماعة حقا المستوفي شروطها ، والوارث للخلافة النبوية
والحريص على بيضة الاسلام أن يحوطها ، وأن القائم بهذا الامر على الاطلاق
غيره دعى ، ومحاولة دون اذنه المشروع بدعى ، فتعين لذلك أن الرجوع الى
الحق فريضة ، واستبان بما تقرر وعلم ان اماراة لا تلاقى في الشروع محلها
المشروع منبوذة ومرفوضة ، وعروتها لذلك مفصومة ومنقوضة ، فانتدب لهذه
الاثار صحيح الاخبار وصرف الى رضى الله الغاية ووقف من الشرائع
المشروعة حيث مركز الراية ومنتهى الغاية ، الرئيس أبو العلاء ادريس أكرمه
الله انتداب من وقتت به مطية التوفيق ، على حضرة الاخلاص والتصديق ،
وأخذت بزمامه السعادة الى حيث الفوز برضا الله ورضا رسوله حقيق ،
والتأييد صاحب ورفيق ، وروض الآمال أنيق ، وراح الراحة والاطمئنان
عتيق ، الى تقلد امام بيعة الجماعة أمير المؤمنين المنصور بالله زاده الله تقديسا
وتشريفاتى تؤسس ان شاء الله على تقوى من الله ورضوان ، وتشهد عقدها
الكريم ملائكة الرحمن ، وآثر أسعده الله أن يؤدي فرضها المعداد من فروض

الاعيان ، وحكمها الذى توجه به خطاب الشرع العام الى القاصى والدان ،
وينشر سنتها المشروعة فى صقعها وما يليه من الاصقاع والبقاع بالسودان تقلدا
يستضىء ان شاء الله بأنواره ، ويستشرف به للعز المكين على مناره ، ويخمد به
المجehl جذوة ناره ، وتنظم به فى اتباع الحق زمر أنصاره ، ويجتلى به صورة
انسانه ، ويستوجب من الله عوارف صنعه واحسانه ، ويرهف به للعدو
على العزمات حد سيفه وسنانه ، ويقرع به لرضا الله باب القبول ، ويتضاعف
له ببركه العمل المقبول ، ويستشيق بمشهد عقده الكريم نواسم النبوه ،
ويعود له به الزمان للشباب والفتوه ، ويرفع به منار الامارة على قواعد الشرع
الوثيقه ، ويعدل به فى كل الاحوال عن المجاز الى الحقيقة ، وتسنى له به
وهى المقصد الاسنى والخاتمة الحسنى ، الاسوة الحسنة بامامى بنى العباس
السفاح والمنصور ، ويحيى سنتهما التى نقلها ثقات الاعلام والصدور ، فى مبايعتهما
الامام الخليفة المهدى الاكبر سليل سيد المرسلين وجد مولانا أمير
المؤمنين الذى رأى امام دار الهجرة أنه بتراث الخلافة النبوية أولى وأحق ،
وفى منصب الامامة على شرطها أعرق ، وبسريرها ومنبرها أليق ، فتأكد
للمتدب أكرمه الله بهذه الآثار الشريفة والمناقب المنيفة العزم والقصد ،
وأنجز له فيما أراد صدق الوعد ، وساعد نيته الصالحة فيه السعد ، فبايعه
أعلى الله يده على الامن والامانة ، والعفاف والديانة ، والعدل الذى يشيد
للمجد أركانه ، مبايعة شايعة على عقدها الكريم أكرمه الله أتباعه وجموعه
وأشياعه بحكم الوفاق والاتفاق والموائيق الشديدة الوثاق ، وبجميع الايمان
الصادقة الايمان ، أعطوا بها صفقة أيديهم ، ورفع بها العقيرة مناديهم عارفين
أن يد الله فيها فوق أيديهم ، وامضوها على السمع والطاعة والانتظام فى سلك
الجماعة امضاء يدينون به فى السر والجهر واليسر والعسر والرخاء والشدة ،
والازمان المشددة ، والتزموا شروطها طوعا ، واستوعبوها جسا ونوعا ،
بنيات منهم خالصة صادقة ، وعدة من الله لهم بالخير سابقة ،
وسعادة بالحسنى لاحقة أبرموا عقدها ، وأحكموا وعدها وعهدها ، على حكم
الكتاب والسنة والجماعة ، والاخذ بسنتها أعقابا عن أعقاب ، وأحقابا اثر

أحقاب ، الى يوم القيامة واقترب الساعه ، لا يلحق عقدها الكريم فسخ ، ولا يعقبه بحول الله نسخ ، ولا يتطرق اليه نقض ولا نكث ، ولا يشوبه بشوائب الشبهات بحث ، وأجمع على هذا أسعده الله بالمواثيق المستفيضة ، والايمان اللازمة المغلظة هو وأتباعه اجماعا شرعيا ، وحثموه على أنفسهم حتما مقضيا ، واعتقدوه اعتقادا أبديا ، وعرضوا على التزامه بمشهد عقده المبارك أفرادا وأزواجا ، وحادانا وأفواجا ، وأشهدوا على الوفاء به بإيمانهم الصادقة البرور ومواثيقهم المثلجة للصدور ، قائلين : بالله الذى لا اله الا هو الملك القدوس العليم بالخفيات ، والخير بالآجال والوفيات ، وبجميع الرسل الكرام والانبياء ، وملائكة الرحمن فى الارض والسماء ، وعلى انهم ان حادوا عن هذا السبيل وانقادوا لدعاء داعى التغير والتبديل ، أو انحرفوا عن هذا المنهاج وستة ، فهم برآء من حول الله وقوته ومن دينه وعصمته ، ومستوجبون لعذابه وغضبه وسخطه ونقمته ، وبعداء من رحمته ، ومن شفاعته نبيه الكريم يوم القيامة لأئمة ، وانهم خالعون لريقة الاسلام ، وخارجون عن سنة الرسول عليه السلام ، أعلنوا بهذا اعلانا تعضده النجوى وأدوه بشروطه الجارية على مذاهب الفتوى وأحكامه اللازمة لكلمة التقوى ، استرضاء لله وللخلافة النبوية ، والامامة العلوية ، ورياضة للنفوس على بيعتها المباركة الميمونة النقية ، واستيفاء لشروطها وأقسامها الواجبة والمستحبة والمندوبة ، مستسلمين الى الله بالقلوب الخاشعة ، ومتضرعين الى بابه الكريم بالادعية النافعة ، فى أن يعرفهم خير هذا العقد الكريم ، والعهد الصميم ، بدأ وختاما ، وأن يمنحهم بركته التى تصحبهم حالا ودواما لا رب غيره ، ولا خير الا خيره ، أشهد على نفسه بما فيه وعلى رعيته الرئيس أبو العلاء ادريس أسعده الله وأكرمه ، وبتاريخ المحرم الحرام من عام تسعين وتسعمائة من الهجرة النبوية » انتهى .

ولما كتبت هذه البيعة دفعت للرسول وأكرم وكأفاه أمير المؤمنين على هدية سلطانه وتوجه الى بلاده بجواب مرسله ، ولم يلبث أن رجع سلطانه ثالثة ووجه معه هدية ورسالة ، وخاض القفر الى دار الخلافة ، فوصل الى بلاد تيكورارين وهناك اعترضته منيته فاعتل وهلك ، فأشخص أولوا الامر

الذين بتيكورارين الهدية مع رفقاته القادمين معه من عند سلطانه ، فوصلوا بها الى حضرة أمير المؤمنين بمراكش ، وقدموا اليه رسالتهم وهديتهم فقبلها بقبول حسن ، وتم السرور وعظم الجور ، واستقامت للمنصور الامور .

بعث المنصور رسوله بالدعوة الى آل سكية وكيفية ذلك

لما أدى الوفد الواردون على المنصور من السلطان أبي العلاء صاحب مملكة برنو ما قدموا لاجله ردهم المنصور الى صاحبهم مكرمين ، وانتخب رسولا عارفا مجربا ممن لهم بصيرة بأحوال السودان فبعثه معهم عينا يأتيه بأخبار البلاد حتى كأنه يشاهدها ، وبعث معه رسالة الى السلطان اسحق بن داود من آل سكية صاحب مملكة كاغو ، من أرض السودان يأمره فيها أن يرتب على معدن الملح الذي يتغازى بين المغرب والسودان ، ومنه يحمل الملح الى أقطار السودان ، وظيفاء بأن يجعل كل من يحمل منه شيئا من الواردين عليه مقالا من الذهب العين لكل حمل ، تستعين بذلك الخراج عساكر المسلمين على جهاد الكفار لان ذلك بحر لا ساحل له .

وكان المنصور لم يكتبه في ذلك حتى استفتى علماء اياكته وأشياخ انفتيا بها فافتوه بما هو المنصوص للعلماء رضوان الله عليهم من أن النظر في المعادن مطلقا انما هو للامام لا لغيره ، وأنه ليس لاحد أن يتصرف في ذلك الا عن اذن السلطان أو نائبه ، وبعث اليه المنصور بتلك الفتاوى مع الرسالة الموجه بها مع الرسول ، وكانت من انشاء العلامة الاديب مفتي الحضرة المراكشية المولى أبي مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف السجلماسي ، لان كاتب الانشاء أبا فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي كان مريضا يومئذ ، ولما فرغ الشريف المذكور من انشائها بقي عليه الصدر فلم يدر كيف يقول في مخاطبة اسحق سكية ولا كيف يمدحه ، وهل يتوغل في المدح أو يتوسط فكتب أبو مالك حين تحير في ذلك الى المنصور بما نصه : « أيدكم الله ونصر أعلامكم ان

مخاطبة هذا الرجل الذى هو فى مرتبة ممالك الحضرة المولوية أمر تلغم فيه لسانى ، ووقف عن خوض لجهته بنانى ، لان النأى عن هذه المحجة قد مدبنى وبينها حجابا ، وأغلق فى وجهى بابا ، فلا آمن من أن أقتحم الوقوع فى تفريط أو افراط ، وخير الامور لو علمته الاوساط ، لكن لا سبيل الى معرفته الا بعد علم الطرفين ، والعبد محجوب عن ذلك دون مين فتركت - أيدكم الله - الصدر لمن هو به منى أقعد ، وتحاميت عقده لمن هو له أعقد ، أبى فارس عبد العزيز الذى فاضت عليه أنواركم ، وأضاءت له سبل هذا المخبر أقماركم ، والا قرعت هوائف لسان الحال سمعى بقول القائل .

يا بارى القوس برىا ليس يحسنه لا تظلم القوس أعط القوس بارىها ولما بلغت رسالة المنصور الى السلطان اسحق سكية واطلع عليها شق عليه ذلك وماطل فى الجواب ، وحيث أبطأ الرسول فطن المنصور لما انطوى عليه سكية من عدم اجابته لما طلب من الوظيف على الملاحه ، فاشتد غضبه وعزم على توجيه العساكر الى السودان ، فهذا هو الحامل له على قصد تلك البلاد وتدويخها ، ولما فتح تيكورارين وتوات قوى عزمه على ذلك ، وطمحت نفسه الاستيلاء على ما هنالك على ما تذكره ان شاء الله .

مفاوضات المنصور الملاً من اصحابه فى غزو آل سكية

وما دارينهم فى ذلك



قال الفشتالى رحمه الله : لما رجعت ارسال المنصور اليه من عند اسحق سكية وأعلموه بمقالته وامتناعه واحتجاجه بانه أمير ناحية ، والمنصور أمير ناحية ، وأنه لا تجب طاعته عليه ، شاور المنصور أصحابه وجمع أعيان دولته والتقى أهل الرأى والمشورة فاجتمعوا ، وكان يوم اجتماعهم يوما مشهودا ، فقال لهم المنصور : « انى عزمت على منازلة أمير السودان صاحب كاغو وبعث

الجيوش اليهم لتجتمع كلمة المسلمين وتحدد الرعية ، ولان بلاد السودان وافرة الخراج كثيرة المال يتقوى بها جيش الاسلام ويشهد ساعد كييته ، مع أن صاحب أمرهم والمتولى لسلطنتهم اليوم معزول عن الامارة شرعا ، اذ ليس بقرشى ولا اجتمعت شروط السلطنة فيه العظمى « فلما نزل المنصور ما فى كنانته وأبدى ما فى خبيثته وعرض ما فى عيبه سكت الحاضرون ولم يراجعوا بشيء » ، فقال لهم : « أسكنتم استصوابا لرأى أو ظهر لكم خلاف ما ظهر لى ؟ » فاجاب كلهم بلسان واحد ورأى متفق : « ان ذلك رأى عن الصواب منحرف وانه بمهامه عن الآراء السديدة ولا يخطر ببال السوقة فكيف بالملك ، وذلك لان بيننا وبين السودان مهامه فيحاط تقصر فيها الخطا ، وتحار فيها القطا ، وليس فيها ماء ولا كلا ، فلا يتأتى السفر فيها ولا اعتساف شىء من طريقها مع كونها مخوفة مملوءة الجوانب ذعرا ، وأيضا فان دولة المرابطين على ضخامتها ، ودولة الموحدين على عظمتها ، ودولة المرينيين على قوتها لم تطمح همة واحد منهم لشيء من ذلك ، ولا تعرضوا لما هنالك ، وما ذاك الا لما رأوا من صعوبة مسالكها وتعذر مداركها ، وحسبنا أن نقضى أثر تلك الدول فان المتأخر لا يكون أعقل من الاول » فلما قضى أولئك الاقوام كلامهم وأبدوا له رأيهم وملامهم ، قال لهم المنصور : « ان كان هذا غاية ما استضعفتكم به أمرى ، وفيلتم به رأى فليس فيه حجة ولا ما يخدش فيما عندى ، أما قولكم بيننا وبينها صحار مخوفة ومفاوز مهلكة لجدويتها وعطشها فنحن نرى التجار على ضعفهم وقلة استعدادهم يشقون تلك الطرق فى كل وقت ويخوضون فى احشائها مشاة وركبانا وجماعة ووحدانا ، ولم تنقطع قط ركاب التجار عنها وأنا أقوى أهبة منهم وللجيش همة ليست للقوافل ، وأما قولكم ان من كان قبلنا من الدول الطنانية لم تطمح أبصارهم لذلك ، فاعلموا أن المرابطين صرفوا عنايتهم لغزو الاندلس ومقابلة الافرنج ومن بذلك الساحل من الاروام ، والموحدون اقتفوا سبيلهم فى ذلك وزادوا بحرب ابن غانية ، والمرينيون كانت غالب وقائهم مع بنى عبد الواد بتلمسان ، ونحن اليوم قد انسد عنا باب الاندلس باستيلاء العدو الكافر عليها

جملة ، وانقطعت عنا حروب تلمسان باستيلاء الترك عليها ، ثم ان أهل تلك الدول لو أرادوا ما أردنا لصعب عليهم لان جيوشهم كانت فرسانا رامحة ورماة ناشبة ، ولم يكن عندهم هذا البارود وعساكر النار المربة الصواعق ، وأهل السودان ليس عندهم الآن الا الرماح والسيوف ، وهى لا تقاوم هذه المدافع المستحدثة ، فمقاتلتهم سهلة وحربهم أيسر من كل شىء ، وأيضا فان بلاد السودان أنفع من افريقية فالاشتغال بها أولى من منازل الترك لانه تعب كثير فى نفع قليل، فهذا جواب ما عرض لكم، ولا يحملنكم ترك الملوك الاول ذلك على استبعاد القريب واستعصاب السهل ، فانه كم ترك الاول للاخر وقد يفتح على المتأخر بمالم يفتح به على المتقدم». فلما فرغ المنصور من خطابه وأبدى ما فى وطابه استحسن الحاضرون جوابه واستملحوا اشارته واستجادوا رأيه ، وقالوا له : «قد طبقت المفصل وألهمت الصواب ولم تبق لاحد ما يقول ، وصدق من قال : «عقول الملوك ملوك العقول » . فانفصل للجمع على البعث الى السودان ومناهضة أهله ومتابعة المنصور فى رأيه عليه . قلت : وفى كلام المنصور أمران يحتاجان الى مزيد بيان الاول ما قاله من أن الملتزمين لم تكن لهم سلطنة على السودان يعنى بهم الذين أقاموا بأرض المغرب ودبروا أمره مثل يوسف بن تاشفين وبنيه فلا يرد عليه أن الامير أبا بكر بن عمر غزا السودان وفتح منه مسيرة ثلاثة أشهر لان ذلك كان بعد رجوعه الى الصحراء واستقراره بها واعراضه عن ملك المغرب بالكلية كما مر ، الثانى ما قاله من أن البارود لم يكن فى تلك الدول الفارطة يعنى به لم يكن موجودا فيها بكثرة بحيث يستغنى به الجيش عن غيره ساعة القتال ، فلا يرد عليه أن ظهوره كان فى أوائل المائة السابعة لاول دولة بنى مرين كما مر اذ ظهوره فى تلك المدة كلا ظهور . والله تعالى أعلم بحقائق الامور .



استجازة المنصور لعلماء مصر رضى الله عنهم وتلمذة لهم



قالوا ومن اعتناء المنصور رحمه الله أنه بعث الى علماء مصر يستجيزهم رغبة في اتصال جبل السند واقفاء لاحب ذلك الطريق الاسد ، وممن أجازته : الامام العارف بالله أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن البكرى رضى الله عنه ، ومن بعض فصول اجازته له قوله يمدح كتاب المنصور اليه ويثنى عليه بالفصاحة والبلاغة ما نصه : ولقد وصل الى المثل العديم المثال ، المزرى نظامه يعقود اللآل ، فاذا به السحر الا أنه الحلال ، ولو ادعى أحد أن من معجزات أحمد صلى الله عليه وسلم أن يمد الله كراما كاتبين فى زمان نجله أمير المؤمنين أحمد بكتاب كريم على أسلوب قويم يرسله الى محب قديم من التبعة والصميم لم تكذب دعواه ، فما من خارق فى الامة الا وهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم دال على علاه ، وأما ما شرفنى به من طلب الاجازة فالبيت والحديث له ، ولكن رب أب أرسل الى ابنه على يد عبده عطاء فقبله ، واليه بامر حمله ، وحيث وقع الامر فامر مولانا حتم ، وطاعته غنم فمولانا مجاز من هذا العهد ، من جميع ما يجوز لهذا العبد ، بجميع ما يجوز له وغنه روايته بشرطه المعتبر عند أهل الامر ، وكذلك مجاز أهل العصر اجازة عام بعام ، ليكون أبناء الوقت جميعا على مائدة فضل مولانا وتحت ظلال ذلك الانعام ، فانه هو السبب فى تحصيل ذلك المرام وكتب تحريرا فى رابع عشر ربيع الثانى سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة ، محمد بن ابى الحسن الصديقى سبط آل الحسن . اهـ .

وممن استجازه المنصور أيضا من علماء مصر : الامام العلامة أبو عبد الله محمد بن يحيى المصرى الشهير ببدر الدين القرافى صاحب «ذيل الديباج» فأجازته اجازة عامة بسط فيها القول ثم ختمها بقوله :

أجزت لمن تفضل واستجازا وبادر لاقتنا خير وحازا
وأبرز فى سلوك العلم حالا به من فضل مولانا يجازى

امام كامل غوث البرايا	أمير المؤمنين حوى مجازا
وذلك بعد تشریفى بأمر	وقصد للاجازة فاستجازا
فبادرت امتالا قدر وسعى	ومقتفيا مناهج من أجازا
وقد أبدت حقا لا محالا	بما صار الامام به مجازا
بفاتحة وسنة خير هدى	وسلسلة لمن حاز امتياز
بدار الهجرة العليا امام	بما أبداه من فضل مجازا
وأرجو منه يهدى لى دعاء	لما أرجوه من خير مجازا
بخاتمة تبلغنى مراما	بجنات أراها لى مفازا
وأشياخى يبلغهم رضاء	ويوصلهم الى خير يجازا

تجديد المنصور ولاية العهد لابنه المامون وما وقع في ذلك



قالوا : وفي شوال سنة اثنين وتسعين وتسعمائة جدد المنصور البيعة لولده محمد الشيخ الملقب بالمأمون وأخذها له على اخوته خصوصا لانهم كانوا في البيعة الاولى قبل البلوغ فأراد أن يستوثق له منهم بعد البلوغ حسما لمادة النزاع بينهم ، فارتحل المنصور من مراکش الى تامسنا وبعث الباشا عزوز بن سعيد الوزكى لياتيه بولى عهده المذكور من فاس ، فتوافى القصد ان بتامسنا ، وباشر المنصور أخذ البيعة له بنفسه ، وحضر الاعيان وأهل الحل والعقد وأحضر المصحف الكريم الذى هو مصحف عقبة بن نافع الفهرى رضى الله عنه وهو من ذخائر الخلفاء وأحضر الصحيحان للشيخين ، وقرىء ظهير البيعة فتولى قراءته الكاتب أبو فارس عبدالعزيز الفشتالى ، وبجنيه القاضى أبو القاسم الشاطبى يفسر ما أشكل من لفظ الظهير .

ولما أخذ البيعة آخر أولاده الى غد يومها فكتبوا خطوطهم عقبها بالموافقة على ذلك والالتزام له ، ووقع فى رسالة السلطان زيدان لابي زكرياء بن عبد المنعم الامام بذكر هذه البيعة فقال : « انى حضرت بيعة محمد الشيخ صاحب الغرب

سامحه الله وحضر أولاد السلطان فاستحلفهم له الا أنا ، فإنه رضى الله عنه قال :
« فلان لا يحلف لا يحتاج اليه فيما نأمره به ونفعله وعظم ذلك على اخوتى وظهرت
فى وجوههم لاجله الكراهية » اه .

ولما فرغ المنصور من تجديد البيعة رأى أن يرشح كلا من أولاده للامارة
ويقسم بينهم البلاد حتى لا تبقى فى نفوسهم احن ولا تنطوى قلوبهم على ضغائن ،
فعقد لابی فارس شقيق المأمون على السوس وسائر عمائره وعقد لابی الحسن
على مكناسة وما والاها ، وعقد لزيدان على تادلا ثم عكس ذلك لامر اقتضاه الحال ،
فنقل زيدان الى مكناسة ، ونقل أبا الحسن الى تادلا ، ولم يزلوا على ذلك الى
أن كان من أمرهم ما نذكره فى محله ان شاء الله .



ثورة الحاج قرقوش ببلاد غمارة ومقتله



قالوا : وفى سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة نار رجل يقال له : الحاج قرقوش
بجبال غمارة وبلاد الهبط وتسمى بأمر المؤمنين ، وكان فى ابتداء أمره حانكا
فتلبس بالزهد والصلاح ، واعتقدته العامة ثم استحال أمره الى ما ذكرنا فأخذ
وقتل وحمل رأسه الى مراکش وانقطعت مادة فسادة فلم تبكه أرض ولا سماء .



بناء المسجد الجامع بباب دكالة من حضرة مراکش حرسها الله



كانت الحرة مسعودة أم المنصور وهى بنت الشيخ الاجل أبى العباس أحمد
ابن عبد الله الوزكىتى الورزراتى من الصالحات حريصة على اقتناء المفخر راغبة
فى فعل الخير ، قال فى المنتقى : « وهى التى أنشأت المسجد الجامع بحومة باب
دكالة داخل مدينة مراکش ووقفت عليه أوقافا عظيمة وكان ذلك سنة خمس
وتسعين وتسعمائة . قال : « وهى التى بنت جسروادى أم الربيع وغير ذلك » اه

قلت: المرقوم على رخامة قبرها انها بنت جسرين بلفظ التثنية وترغم العامة أنها بنت المسجد المذكور كفارة لما انتهكه من حرمة رمضان وذلك أنها دخلت بستانا من بساتين قصورها وهي في حال الوحم فرأت به خوفا ورمانا فتناولتهما وأكلت منهما في نهار رمضان ثم ندمت على ما صدر منها وفعلت أفعالا كثيرة من باب البر رجاء أن يتجاوز الله عنها ومنها الجامع المذكور، ولا زال النساء والصبيان يسجعون بقصبتها الى الآن فيقولون: عودة أكلت رمضان بالخوخ والرمان، في اسجاع غير هذه. ولفظ عودة مخفف من مسعودة على طريقة البربر في مثل هذا والله تعالى أعلم.



بعث المنصور ببيعة الرخام الى جامع القرويين من فاس حرسها الله



قال ابن القاضي في «المنتقى المقصور»: «ان المنصور رحمه الله بعث الخصة العظيمة سنة ست وتسعين وتسعمائة الى جامع القرويين من فاس مع كرسي من المرمر توضع عليه وزنهما معا مائة قنطار» قال: «وهي: الخصة التي تحت منار الجامع المذكور» وقال ابن القاضي المذكور فيما نقش برقبتها:

امام دار الهدى المنصور شيدني	بحر المكارم من أبناء عدنان
حزت الفاخر بالمنصور أجمعها	ومن علاه سنام المجد أرساني
من جاء يشكو الظما يوما وقبلني	أغناه ما قد همى من صوب أجفاني
لا تنكرن وجود الدمع من فرح	فالعين تدمع من افراط سلوان
واشرب هنيئا من السلسال لا حرج	معين دمع جرى من فيض خلجاني
فخر السلاطين من أبناء فاطمة	أشاع صيتي الى أطراف عمان
وقد جرت مقلتي تحكى سحائبها	كف الخليفة من أبناء زيدان
لا زال للدين والدنيا يسوسهما	ما هيجت عاشقا ورق بأفنان
انشائي في زمن التاريخ واقفه	للدين والاجر بحر الجود سواني

وفي هذه السنة أعني سنة ست وتسعين وتسعمائة في ذي الحجة منها

سافر المنصور الى فارس وبينما هو فى الطريق وافته بشرى بالفتك بنصارى
سبته وان زعيم الفئة الجهادية وهو المقدم أبو العباس أحمد النقيس التطوانى
كمن لهم مع جماعة من الفرسان فى موضع فخرج النصارى باولادهم
وحشمتهم فحال النقيس بينهم وبين سبته وأوقع بهم وكاد يفتحها ، وسر
المنصور بهذا الخبر ، وأنشده فى ذلك الكاتب أبو عبد الله محمد بن على
الفتالى بيتين زجر له منهما الفال باستيلائه عليها وهما :

هذه سبته ترف عروسا نحو ناديك فى شباب قشيب
وهى بشرى وأنت كفو اللواتى كافأت بعلمها بفتح قريب

وفى سنة سبع وتسعين وتسعمائة فى اليوم الثانى من ذى القعدة منها
أخلى النصارى مدينة أصيلا حملهم الخوف من كنية المسلمين المرابطة هناك
على الفرار بانفسهم فتركوها يابا وذهبوا ، وفى ذلك يقول أبو العباس ابن
القاضى :

يا أيها المنصور أبشر بالعللا فالله أبلغ فى العدا المأمولا
أنضاكم سيفا لحف عداته وبكم غدا سيف الردى مقلولا
وهزمتك الشوك المتين بعزمكم من غير سيف لم يرى مسلولا
وأذيتكم كيد الحيت بهمة وفتحتم دار العدا آصيلا
أكرم به من مالك بل صالح أضحى لبارود العدا خيلا
لازال فى أنف الهدى شموافى عين العلاء يشاكل التكجيلا

وأشار بقوله لبارود العدا خيلا الى ما صنعه النصارى دمرهم الله حين أرادوا
الخروج من أصيلا فانهم حفروا تحت قصبتها وملأوا الحفرة بالبارود وأوقدوا
فتيلا تبلغه ناره عند دخول المسلمين فيه لكون فخر نصرانيهم وأخبر
المسلمين بذلك فنجاهم الله تعالى من مكيدة الوبال ، وكفى الله المؤمنين القتال ،
وقال فى ذلك أيضا الكاتب البارع أبو فارس عبد العزيز الفتالى شعرا ذكره
صاحب « نشر المثانى » فانظره .

وكان فى زمن المنصور رجال من بيوتات المغرب معروفون بالشجاعة
والنجدة فى قتال العدو ومنهم : أولاد النقيس التطوانيون ، ومنهم : أولاد

أبى الليف من أهل بلاد الهبط ، قال فى « المرأة » : « لما كان المقدم المجاهد الشهيد أبو عبد الله محمد بن الحسن أبو الليف من الشهامة والصرامة على ما كان عليه يوم من شدة نكايته فى العدو الكافر الطنجى وبعد أثره فيهم جرت أمور بينه وبين صاحب عمل القصر فسعى به الى المنصور فأمر برحيله الى فاس هو وعشيرته مغربين عن وطنهم كأنهم فى سجن ، فأقاموا بفاس مدة لا أدرى هل هى سنة أم أكثر الا أنى كنت أراه عند الشيخ سنة ثمان وتسعين وتسمائة وأنا اذ ذاك صغير ، ويعنى بالشيخ والده أبا المحاسن رحمه الله » ، قال : « فضأت عليهم أنفسهم من الاغتراب فقال يوما المقدم عمر لاخته كيهـره المقدم محمد : لو زرنا الشيخ اليوم وتبركنا به لعل الله يفرج عنا فان الناس كثيرا ما يقصدونه فى المهمات » فقال له : « لا أتحرك فقد غلب اليأس » فسار المقدم عمر وحده فلما وصل الى الشيخ قال له : « قفـطـمـ » قال : « نعم ياسيدى » فقال له الشيخ : « غدا يخلى سبيلكم ان شاء الله » فرجع الى أخيه وأخبره ، فلما كان من الغد بعث اليهم القاضى أبو محمد عبد الواحد الحميدى فلما أتوه قال لهم : أبشروا بالسراح والرجوع الى الوطن ان شاء الله ، فانه قد قرئ الآن بين يدى السلطان بعض الغزوات التى ذكرها ابن النحاس وغناء أبطال المسلمين فيها ، فقال السلطان أو غيره : « ترى هل بقى فى هذا الزمان من يماثلهم » فقالوا : قد بقى من يفعل فعلهم ، وها هم أولاد أبى الليف المغربون هنا يفعلون مثل ذلك » فقال السلطان سرحوهم الى بلادهم ليحموا ثغورهم ويجهدوا فى سبيل الله فرجعوا الى بلادهم وفعلوا الافاعيل فى عدو الدين الى أن استشهد المقدم محمد فى ربيع الثانى سنة اثنتين وألف » اهـ .



غزو السودان وفتح مدينة كاغو وقتل سلطانها اسحق سكية رحمه الله



قد تقدم لنا ما كان من مفاوضة المنصور لحاشيته في غزو السودان واستقرار رأيهم على ذلك فبقى المنصور يقدم رجلا ويؤخر أخرى الى أن كانت سنة سبع وتسعين وتسعمائة فقوى عزمه واشتغل بتجهيز آلة الحرب وما يحتاج اليه الجيش من آلة السفر ومهمات ، وأمر القواد أن يقوموا حصص القبائل وما يحتاجون اليه من ابل وخيل وبغال ، وان من أتى بجمل ضعيف يعاقب ، واشتغل هو بتقويم آلة الحرب من المدافع والعجلات التي تحملها والبارود والرصاص والكور ، وتقويم الخشب واللوح والحديد للغلاظ والسفن والفلك والمجاذيف والقلوع والبراميل والروايا لحمل الماء ، وألف التجارون ذلك في البر الى أن تألف ، ثم خلعه وشده أحمالا ، واستمر الحال الى أن استوفى المنصور أمر الغزو في ثلاث سنين ، ثم أمر باخراج المضارب والمباني لوادى تانسيفت فخرجت الاحمال والانتقال من مراكش في اليوم السادس عشر من ذي الحجة سنة ثمان وتسعين وتسعمائة ونزلت العساكر وضربت أبنيتها خيلا ورجلا وجمعتها عشرون ألفا ، ومعهم من المعلمين البحرية والطبجية ألفان ، فالمجموع اثنان وعشرون ألفا ، وعقد المنصور على ذلك الجيش لمولاه الباشا جؤذر وشده أزره بجماعة من أعيان الدولة ، فاختر منهم من يعلم نجده ويعرف كفايته ، وتخبر من الابل كل بازل وكوماء ، ومن الخيل كل عتيق وجرداء ، ثم نهضوا في زى عظيم وهيئة لم ير مثلها ، وذلك في محرم فاتح سنة سبع وتسعين وتسعمائة ، وكتب المنصور الى قاضى تيبكتوالفقيه العلامة أبى حفص عمر بن الشيخ محمود بن عمراءيت الصنهاجى يأمره بحض الناس على الطاعة ولزوم الجماعة .

ولما نهضوا من تانسيفت جعلوا طريقهم على ثنية الكلاوى ، ثم على درعة ودخلوا القفر والفيافي فقطعوها في مائة مرحلة ولم يضع لهم عقال بعير ولا نقص منهم أحد فنزلوا على مدينة تيبكتو ثغر السودان ، فأراحوا بها أياما ، ثم صاروا

قاصدين دار اسحق سكية ، ولما سمع بقدمهم احتشد أمم السودان وقبائلها وقبائل المثلثين المهادين لهم ، وخرج من مدينة كاغو يجز الشوك والمدر يقال : أنه جمع مائة ألف مقاتل وأربعة آلاف مقاتل .

وقال الفشتالى : ولم يقنع بالجيوش التى جمع حتى أضاف إليها أشياء السحرة وأهل النفث فى العقد وأرباب العزائم والسيماة ظنا منه أن ذلك يغنيه شيئا، وهيهات، ويرحم الله أبا تمام اذ قال فيما يقرب من هذا الحال :

السيف أصدق أنباء من الكتب	فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصفائح فى	متونهن جلاء الشك والريب
والعلم فى شهب الارماح لامعة	بين الخميسين لا فى السبعة الشهب
أين الرواية بل أين النجوم وما	صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا وأحاديثا ملفقة	ليست ينبع اذا عدت ولا غرب

ولما تقارب الجمعان عبأ الباشا جؤذر عساكره وتقدم للحرب فدارت بهم عساكر السودان من كل جهة وعقلوا أرجلهم مع الابل وصبروا من الضحى الى العصر، وكانت سلاحهم انما هى الحرشان الصغار والرماح والسيوف ولم تكن عندهم هذه المدافع فلم تغن حرشانهم ورماحهم مع البارود شيئا ، ولما كان آخر النهار هبت ريح النصر وانهزم السودان فولوا الادبار . وحق عليهم البوار ، وحكمت فى رقابهم سيوف جؤذر وجنده حتى كان السودان ينادون نحن مسلمون نحن اخوانكم فى الدين والسيوف عاملة فيهم وجند جؤذر يقتلون ويسلبون فى كل وجه ، وفر اسحق فى شردمة من قومه ولم يدخل قلعة ملكه ، وتقدم جؤذر فدخلها واحتوى على ما فيها من الاموال والمتاع ، وكان ذلك منتصف جمدى الاولى من سنة تسع وتسعين وتسعمائة ، ويقال : ان جؤذرا لم يدخل مدينة كاغو وانما تحصن بها اسحق فحاصره جؤذر فيها ، وكتب الى المنصور بخبر الفتح وبعث اليه بهدية فيها عشرة آلاف مثقال ذهبا ومائتان من خيار الرقيق وغير ذلك، وامتدت العساكر المنصورة فى بلاد آل سكية تعيث وتفسد وتسبى وتغنم الى أن راسل اسحق الباشا جؤذرا فى تقرير الصلح على مال معين يدفعه الآن وضريبة يؤديها كل سنة فأجابته الى ذلك على مشورة المنصور وامضائه اياه، ثم كتب الى المنصور

بذلك وكانت العساكر قد أصابها الحمى ووخامة تلك الارض فاتفق رأى الامراء على الرجوع والاقامة بتبكتو الى أن يأتى جواب المنصور، فرجعوا وأخذ جوذرفى انشاء الغلاط والسفن وتركيبها ولما أكملها دفعها فى النيل، ولما بلغ المنصور خبر الصلح قام وقعد وقوم عسكرا خفيفا وبعث به مع مملوكه الآخر محمود باشا، وهو أخو جوذر وقلده أمر العساكر كلها، وعزل جوذرا عنها وأمر محمودا أن يبقية معه، وكتب الى أمراء العسكر يعاتبهم ويوبخهم على ما فعلوه مع اسحق من الصلح، ويؤكد عليهم فى الرجوع الى بلاده واتباعه حينما توجه ولو عبر النيل الى العدو الاخرى، وخرج محمود باشا فيمن عين له من العسكر فى زمان الحر فى وقت لا يقدر على الحركة فيه الا القطا الكدرى وقطع القفر فى خمسين مرحلة. أمر لم يسمع بمثله ونزل بالعساكر على ظاهر تبكتو على رأس سنة الالف فأراح بها ثلاثا ثم شحن الغلاط والسفن والفلك بالرؤساء والملاحين ووجوه الجند فساروا فى النيل وسار السواد الاعظم فى البر الى أن نزلوا على مدينة كاغو قاعدة ملك اسحق سكية، وكان اسحق لما رجعت عنه العساكر الى تبكتو احتشد أمم السودان المجاورين له وتذامروا وأصفقوا معه على الموت، فلما بلغه رجوع العساكر الى كاغو قصدهم فى جموعه، ولما التقى الجمعان لم يكن الا مقدار فواق ناقة حتى انهزم السودان من سماع رعد المدافع والمهاريس وارتفاع القنابل فى الجو وهدير الطبول، وتبعتهم العساكر يقتلون ويأسرون الى أن غشيه ظلام الليل ورجعوا بالغنائم والسبى فاستراحوا ثلاثا، ثم أمر محمود أخاه جوذرا أن يقيم بمدينة كاغو عامرا لها، ويترك معه عددا من العسكر يكون ردها لهم، وسار هو فى اتباع اسحق الى أن لحقه بعض الجهات فأوقع به وقعة شعاء وفر فى فل من قومه فعبر النيل الى العدو الاخرى وتبعه محمود فعبر النيل بعساكره فى السفن وسار خلفه الى أن لحقه فأوقع به وقعة ثالثة احتوى فيها على ما معه من المال والحريم ودخل اسحق القفر فهلك فيه، ثم كانت لمحمود وقعة أخرى مع أخيه الذى كان ينازعه فى الملك فانه قام بعد مهلك أخيه وجمع الجموع وزحف الى محمود باشا فنهض اليه محمود فهزمه وقتله فيمن معه من جنده واتباعه، وتمهدت له البلاد واستولى عليها استيلاء كلياً،

وكتب بخبر الفتح الى المنصور .

ولما بلغه هذا الفتح وصورته كان عنده ذلك اليوم عيداً من الاعياد أخرج فيه الصدقات وأعتق الرقاب ، وأقام مهرجاناً عظيماً بظاهر الحضرة خرج له عامة الناس للفرجة والنزهة وزينت الاسواق وأخرجت المدافع بالنفط وتسابقت الخيول ، وأطعم المنصور الناس عدة أيام ونظم الشعراء قصائدهم ورفعوا أمداحهم ، وأجازهم بما تحدث الناس به دهراً ، وكتب بخبر الفتح وصورته نسخ وجهت الى جميع الآفاق ، وكان مما قيل في ذلك من الشعر ما أنشده الكاتب أبو فارس عبد العزيز الفشتالي فقال :

جيش الصباح على الدجا متدفق	فياض ذالسواد ذلك يحرق
وكانه رايات عسكري اتى	طلعت على السودان بيضا تخفق
لاحت وأفقهم ليال كاله	كعمود صبح في الدجا يتألق
نشرت لتطوى منه ليلا دامسا	أضحى بسيفك ذى الفقار يمزق
أرسلتهن جوائحا وجوارحا	في كل مغلبلها غراب ينعق
وسرت فكان دليلهن اليهم	مشحوذ عزمك والسنان الازرق
لهي الليالى قد جلى أحلاكها	نور النبوة من جبينك يشرق
صعقت بهن رعود نارك صعقة	رجت لصيحتها العراق وجلق
سحقا لاسحق الشقى وحزبه	فلقد غدا بالسيف وهو مطوق
رام النجاة وكيف ذاك وخلفه	من جيش جؤذرك الغضنفر فلق
جيش أواخره ببابك سيله	عزم وأوله بكاغو محقق
لم يشعروا الا وأسوار الردى	ضربت عليهم من قناك وخندق
كتب الاله على عداتك أنهم	قنص لسهمك غربوا أو شرقوا
ضلت ملوك ساجلوك على العلا	سفها وشأوك في العلا لا يلحق
أن يشبهوك ولا شبيه يرى لكم	في الخلق أين من اللجين الزئبق
بشر ملوك الارض أنك فاتح	بالمشرفى على الولا ما غلقوا
وبقاصل لك ذى الفقار مفرق	ما جمعوه وجامع ما فرقوا
دامت طيور السعد وهى غوارد	بالمشتهى لك والمسرة تنطق

ما دام أصل علاك في صحف الثنا أصل الفخار وكل غيرك ملحق
 والمشتهى والمسرة بستانان للمنصور ورى بهما هذا الشاعر وسيأتى
 الكلام عليهما . وكان محمود باشا لما استوسق له الامر هنالك بعث بنصف
 جيشه الى المنصور مع هدية عظيمة فيها من الذخائر ما لا يحصى ، من ذلك :
 ألف ومائتان من متخير الرقيق الجوارى والغلمان ، وأربعون حملا من
 التبر ، وأربعة سروج ذهب خالصا ، وأحمال كثيرة من الياصور وقطوط الغالية
 وغير ذلك ، ولما وافى المنصور سر بذلك سرورا عظيما وأمر بعمل المفرحات
 في بلاد المغرب وبترزين الاسواق غدوة وعشية ثلاثة أيام ، ووفدت عليه الوفود
 من كل ناحية مهنيين له بما منحه الله من الظفر والنصر ، وانتظمت الممالك
 السودانية في سلك طاعته ما بين البحر المحيط من أقصى المغرب الى بلاد برنو
 المتاخمة لبلاد النوبة المتاخمة لصعيد مصر قال الفشتالى: فكلمة المنصور نافذة فيما بين
 بلاد النوبة الى البحر المحيط من ناحية المغرب وهذا ملك ضخم وسلطان فخم
 لم يكن لمن قبله ، والله يؤتى ملكه من يشاء ، ولما فتح الله عليه ممالك البلاد
 السودانية حمل اليه من التبر ما يعيى الحاسيين ، ويحير الناظرين ، حتى كان
 المنصور لا يعطى في الرواتب الا انظار الصافى ، والدينار الوافى ، وكان ببابه
 كل يوم أربع عشرة مائة مطرقة لضرب الدينار الوافى دون ما هو معد لغير ذلك
 من صوغ الاقراط والحلى وشبه ذلك ولأجل هذا لقب بالذهبي لفيضان الذهب
 في أيامه والامور كلها بيد الله .



وفاة أم المنصور الحرة مسعودة الوزكيتية رحمها الله

كانت الحرة مسعودة هذه من الخيرات الصالحات وتقدم بعض ماثرها من بناء المسجد الجامع بباب دكالة وغيره . وكانت وفاتها سحر يوم الثلاثاء السابع والعشرين من المحرم فاتح سنة ألف ، ومن المستفيض انها ريثت بعد موتها فسئلت ما فعل الله بها فقالت : « غفرلى ، بسبب انى كت ذات يوم جالسة لقضاء الحاجة فسمعت المؤذن شرع فى الاذان فرددت على ثيابى اعظاما لذكر الله تعالى حتى فرغ المؤذن من آذانه فشكر الله لى ذلك فغفر لى » .

وفى سنة احدى وألف أتى بالفيلة من بلاد السودان الى المنصور ، وكان يوم دخولها لمراكش يوما مشهودا برز لرؤيتها كل من بالمدينة من رجال ونساء وشيوخ وصبيان ثم حملت الى فاس فى رمضان سنة سبع وألف . قال فى « نشر المثنى » : كان دخول الفيل الى فاس يوم الاثنين سادس عشر رمضان سنة سبع وألف وبعث المنصور مع الفيل الى ولده المأمون بهدية سنية فيها تحف وأموال عريضة وخرج أهل فاس فى ذلك اليوم للقاء الفيل بنحو مائة ألف نفس .

قال بعضهم : « وبسبب دخول هذه الفيلة الى المغرب ظهرت هذه العشبة الخبيثة المسماة بتابع لان أهل السودان الذين قدموا بالفيلة يسوسونها قدموا بها معهم يشربونها ويزعمون أن فيها منافع ، فشاعت منهم فى بلاد درعة ومراكش وغيرهما من بقاع المغرب ، وتعارضت فيها فتاوى العلماء رضوان الله عليهم ، فمن قائل بالتحريم ومن قائل بالتحليل ، ومتوقف ، والعلم فيها عند الله سبحانه » قاله اليفرنى .

قلت : من تأمل أدنى تأمل فى قواعد الشريعة وآدابها علم يقينا أن تناول هذه العشبة حرام ، لانها من الخبائث التى حرمها الله تعالى على هذه الامة المطهرة ، وبذلك وصفها فى الكتب السالفة اذ قال تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم

بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث .
 وبسط هذا المقام : ان تعلم أن الله تعالى اختار هذه الامة من بين سائر
 الامم قال تعالى : « كتم خير أمة اخرجت للناس » واختار لها من الطاعات
 وأنواع العبادات ما هو أفضلها ، قال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
 عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » وأفضل تلك
 العبادات كلها الصلاة التى هى من الدين بمنزلة الرأس من
 سائر الجسد ، ثم اذا أمنت النظر رأيت الشارع صلوات الله عليه قد بالغ
 فى الاحتياط لهذه العبادة الشريفة والاستعداد لها باستعمال كل طيب أمكن ،
 واجتناب كل خبيث أمكن ، فشرع أولا الطهارة الكبرى الشاملة لسائر البدن .
 وحظر من مقاربة الصلاة وما هو فى معناها حال الخلو عنها ، ثم شرع ثانيا
 الطهارة الصغرى المتعلقة باطراف البدن زيادة فى الاعتناء بها لانها تبرز فى
 غالب الاحوال فيعلق بها من الاقدار مالا يعلق بغيرها ، وألزم المكلف استعمال
 هذه الطهارة عند عروض كل حدث مستقذر حتى الريح والسبب الداعى الى
 خروجه ، ثم ندبه الى استعمالها عند القيام الى كل صلاة من الصلوات الخمس .
 ثم انا اذا تأملنا أفعال هذه الطهارة وجدناها تشتمل على مبالغات كثيرة
 تستدعى غاية النظافة وتنفى كل قدر وان قل ، فشرع الغسل فى أعضاء الوضوء
 مكررا ، وشرع مسح شعر الرأس بالماء دفعا لما يعلق به من الغبار ، وشرع
 تنبع مسام الوجه بالغسل والتنظيف كالمضمضة والاستنشاق ثلاثا تطيبا للنكهة ،
 وشرع مسح الاذنين من ظاهرها وباطنهما حتى الصماخين ازالة لما بداخلهما
 من تلك الفضلة ، مع أن الحى ودمعه وعرقه ولعابه ومخاطه كلها طاهرة ، وليس فى
 هذا دليل واضح على أن الحكمة فى هذا كله انما هو المبالغة فى النظافة وتطيب
 الرائحة والنكهة اذ بذلك يستحق العبد أن يتلبس بالعبادة ويدخل حضرة الرب ،
 وشرط للدخول فيها طهارة البدن والثوب والمكان من سائر المستقذرات حتى
 يكون على أكمل الحالات بعيدا عن القذر بكل وجه ، ثم لم يكنف الشارع
 بهذا حتى شرع السواك عند القيام الى كل صلاة وقال : لولا أن أشق على أمتى
 لامرتهم بالسواك عند كل صلاة » كل ذلك المقصود منه طيب النكهة فانظر

وتأمل اعتناء الشارع بتطبيب رائحة فم المؤمن ونكهته حتى في حق الصائم الذي « خلوف فمه أطيب عند الله من ريح المسك » هذا كله في حال الصلاة .

وأما خارجها فقد علم من الشرع علما ضروريا أن العبد مطلوب بالمحافظة على هذه الحال والبقاء عليها سائر أوقاته متى قدر على ذلك وتيسر له . ومن هذا المعنى : ما حرم الله تعالى على هذه الأمة من تناول المستقذرات كالميتة والدم وسائر النجاسات اذ علة حرمة الاشياء وتناولها اما كونها مستقذرة كالنجاسات اجماعا ، وكالحشرات وما تعافه النفوس على مذهب الشافعى رضى الله عنه ، أو مضرة كالسم والطين ونحوهما مما يضر بالبدن أو ببعض الاعضاء منه ، أو محترمة : اما لذاتها ، كالادمى ، أو لكونها ملكا للغير وهو ظاهر . فالشارع له غرض أكيد في اجتلاب الطيبات واجتناب ما يضاها من المستخبثات ، وقد ثبت في الصحيح أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يعملون في حوائطهم فاذا حضرت الجمعة أتوا الى المسجد وأبدانهم سهكة فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالاعتسال عند كل جمعة ، ثم منع كل من تلبس برائحة كريهة كالثوم والبصل والكراث من حضورها ، وحجب الى النبي صلى الله عليه وسلم من ديانا النساء والطيب ، وندب أمته الى استعماله فى المشاهد العامة مثل الجمع والاعياد ونحوها ، وخصال الفطرة انما شرعت لهذا المعنى ففيها كفاية لمن تأملها ، وقال صلى الله عليه وسلم : « ازره المؤمن الى انصاف ساقيه » دفعا للسرف والخيلاء ، ولثلا يعلق به شيء من النجاسات والاقذار الى غير هذا مما لو استقصى لطال ، ودل دلالة قطعية على أن المطلوب من العبد أن يكون نظيفا طيب الرائحة حسن البزة طاهر البدن والثوب مجانباً لكل خبيث مستقذر ، وهذه حالة أهل الجنة والعكس بالعكس ، وأنت لا تجد أخبث ولا أقدر من رائحة أفواه شربة الدخان ، ولا أتن ولا أعفن من نكهات المستقن لغير تابع ، وهذا التن من أقبح العيوب فى نظر الشرع حتى انه جعل الخيار لاحد الزوجين اذا كان صاحبه أبخر ، فاذا لاشك أن استعمال هذه العسبة الخبيثة فى الفم أو الانف من أعظم المحظورات لانها تصدم غرضا كبيرا من أغراض الشارع وتضاده وتنفيه ، وأقول لو كان تنها يعلق بعضو من الاعضاء غير الوجه

لكان هينا لكنه يعلق بالفم والانف اللذين وضعهما الحكيم العليم في وسط الوجه الذى هو أشرف الاعضاء ، فأى مضمضة وأى استنشاق وأى سواك يزيل ذلك التلوث الذى يرسخ فى أنفاس أهلها وأفواههم وخياشيمهم رسوخا لا يماثل شئ ، ولقد أفصح العامة عن شدة تنن هذه العشبة وصادفوا الصواب حيث قالوا: ان فضلة الدخان المسماة بالقيير تنجس النجاسة هذا الى ما يتبع ذلك من المفاسد المتعددة من تغيير عقل متعاطيها حتى أنه اذا انقطعت عنه صار كالمجنون لا يبالي بما يصدر منه ، ومن دخول الشك فى صيامه لان بقايا ذلك الدخان أو ذلك الغبار قد يمتكث فى حلقه الى طلوع الفجر وما بعده ، لان جلهم اذا قرب الفجر والوا استعماله حتى يكون هو خاتمة سحورهم ، وبالجمله ، فلا يستعمل ذلك الا من لا خلاق له ولا يكثر بمروءة ولا دين وهو قاذح فى الشهادة والامامة والله تعالى الموفق بمنه .



نكبة الفقيه ابى العباس احمد بابا السوء داني وعشيرته من آل آقيت
والسبب في ذلك



كان بنو آقيت التكروريون من أهل مدينة تنبكتو ومن لهم الوجاهة الكبيرة والرياسة الشهيرة ببلاد السودان دينا ودنيا بحيث تعددت فيهم العلماء والائمة والقضاة وتوارثوا رياسة العلم مدة طويلة تقرب من مائتى سنة وكانوا من أهل اليسار والسؤدد والدين لا يبالون بالسلطان فمن دونه ، ولما فتح جيش المنصور بلاد السودان أبقاهم الباشا محمود على حالهم الى أن كانت سنة اثنتين وألف فكان أهل السودان قد شثموا ملكة المغاربة وآسوا منهم خلاف ما كانوا يعهدونه من سلطانهم الاول ، وكانت أذنهم مع ذلك صاغية لآل آقيت فتحوف المنصور منهم ، وربما وشى اليه بهم ، فكتب الى عامله محمود بالقبض عليهم وتغريبهم الى مراکش ، فقبض على جماعة كبيرة منهم كان فيها الفقيه العلامة أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد ثلاثة أحامد بن عمر بن

محمد آقيت المدعو : بابا ، صاحب «تكميل الديباج» وغيره من التأليف . وكان فيها أيضا الفقيه القاضي أبو حفص عمر بن محمود بن عمر بن محمد آقيت وغيرهما ، وحملوا مصفدين في الحديد الى مراکش ومعهم حريمهم وانتهب ذخائرهم وكتبهم .

قال في «بذل المناصحة» : « سمعت الشيخ أبا العباس أحمد بابا يقول : أنا أقل عشيرتي كبا وقد نهب لي ست عشرة مائة مجلد » وكان القبض عليهم في أواخر المحرم سنة اثنتين وألف ، ووصلوا الى مراکش في أول رمضان من السنة المذكورة ، واستقروا مع عيالهم في حكم الثفاف الى أن انصرم أمد المحنة ، فسرخوا يوم الاحد الحادى والعشرين من رمضان سنة أربع وألف ففرحت قلوب المؤمنين بذلك .

ولما دخل الفقيه أبو العباس على المنصور بعد تسريحه من السجن وجده يكلم الناس من وراء حجاب وبينه وبينهم كلمة مسدولة على طريقة خلفاء بنى العباس ومن يشبه بهم ، فقال الشيخ : « ان الله تعالى يقول «وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب » وأنت قد تشبهت برب الارباب فان كانت لك حاجة في الكلام فانزل الينا وارفع عنا الحجاب » فنزل المنصور ورفعت الاستار ، فقال له الشيخ : « أى حاجة لك فى نهب متاعى وتضييع كتبى وتصفيدي من تبكوا الى هنا حتى سقطت عن ظهر الجمل واندقت ساقى ؟ » فقال له المنصور : « أردنا أن تجتمع الكلمة وأنتم فى بلادكم من أعيانها فان أذعنتم أذن غيركم » فقال الشيخ أبو العباس : « فهلا جمعت الكلمة بترك تلمسان فانهم أقرب اليك منا » فقال المنصور : « قال النبى صلى الله عليه وسلم : «اتركوا الترك ما تركوكم» فامتثلنا الحديث » فقال أبو العباس : «ذاك زمان ، وبعده قال ابن عباس : « لا تتركوا الترك وان تركوكم » فسكت المنصور وانفض المجلس .

ولما سرح الشيخ أبو العباس تصدر لنشر العلم وأهرع الناس اليه للاخذ عنه ، ولم يزل بمراكش الى أن مات المنصور لانه ما سرحهم حتى شرط عليهم السكنى بمراكش ، ولما توفى أذن ابنه زيدان لآل آقيت فى الرجوع الى

بلادهم بعد أن مات جماعة منهم بمراكش ، وقد كان الشيخ أبو العباس يتشوق الى رؤية بلدته ويسكب العبرات عند ذكرها ولم يئأس من روح الله في العود اليها ، وله في ذلك شعر على طريقة الفقهاء . ولما خرج من مراكش قاصدا بلده شيعه أعيان طلبتها فأخذ بعضهم بيده عند الوداع وقرأ قوله تعالى : «ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد» على ما جرت به العادة من قراءتها عندوداع المسافر فيرجع سالما ، فانتزع الشيخ ابو العباس يده بسرعة وقال : «لاردنى الله الى هذا المعاد ولا رجعى الى هذه البلاد » ثم لحق بتبكيو فاستقر بها الى أن مات سنة ست وثلاثين وألف رحمه الله .

تتمة

قد تبين لك بما قصصناه عليك من أخبار السودان ما كان عليه أهل تلك البلاد من الاخذ بدين الاسلام من لدن قديم . وانهم من أحسن الامم اسلاما وأقومهم دينا وأكثرهم للعلم وأهله تحصيلا ومحبة ، وهذا الامر شائع فى جل ممالكهم الموالية للمغرب كما علمت ، وبهذا يظهر لك شناعة ما عمت به البلوى ببلاد المغرب من لدن قديم من استرقاق أهل السودان مطلقا ، وجلب القطائع الكثيرة منهم فى كل سنة وبيعهم فى أسواق المغرب حاضرة وبادية ، يسمسرون بها كما تسمسر الدواب بل أفحش ، قد تمالأ الناس على ذلك وتوالت عليه أجيالهم حتى صار كثير من العامة يفهمون أن موجب الاسترقاق شرعا هو اسوداد اللون وكونه مجلوبا من تلك الناحية ، وهذا لعمر الله من أفحش المناكر وأعظمها فى الدين ، اذ أهل السودان قوم مسلمون فلهم مالنا وعليهم ما علينا ، ولو فرضنا أن فيهم من هو مشرك أو متدين بدين آخر غير الاسلام فالغالب عليهم اليوم وقبل اليوم بكثير انما هو الاسلام ، والحكم للغالب ، ولو فرضنا أن لا غالب وانما الكفر والاسلام متساويان هنالك فمن لنا بان المجلوب منهم هو من صنف الكفار لا المسلمين . والاصل فى نوع الانسان هو الحرية والخلو عن موجب الاسترقاق ، ومدعى خلاف الحرية مدع لخلاف الاصل ، ولا نقه بخبر الجالين لهم والبائعين لهم لما تقرر وعلم فى الباعة مطلقا من

الكذب عند بيع سلعمهم واطرائها بما ليس فيها ، وفي باعة الرقيق خصوصا مما هو أكثر من ذلك ، كيف ونحن نرى أن الذين يجلبونهم أو يتجرون فيهم انما هم من لا خلاق لهم ولا مروءة ولا دين ، والزمان كما علمت وأهله كما ترى ، ولا يعتمد أيضا على قول ذلك العبد نفسه أو الامة نفسها كما نص عليه الفقهاء لاختلاف الاغراض والاحوال في ذلك ، فان البائع لهم قد يضربهم حتى لا يقرون الا بما لا يقدر في صحة بيعهم ، وقد يكون للعبد أو الامة غرض في الخروج عن ملك من هو بيده بأي وجه كان ، فيهنون عليه أن يقر على نفسه بالرقية كي ينفذ بيعه عاجلا الى غير ذلك من الاغراض ، وقد استفاض عن أهل العدل وغيرهم أن أهل السودان اليوم ، وقبل اليوم ، يغير بعضهم على بعض ويختطف بعضهم أبناء بعض ، ويسرقونهم من الاماكن النائية عن مدارسهم وعمرانهم ، وان فعلهم ذلك كفعل أعراب المغرب في اغارة بعضهم على بعض واختطاف دوابهم ومواشيهم أو سرقتهما والكل مسلمون ، وانما الحامل لهم على ذلك قلة الديانة وعدم الوازع ، فكيف يسوغ للمحتاط لدينه أن يقدم على شراء ما هو من هذا القبيل ، وكيف يجوز له التسري بانائهم ، وفي ذلك ما فيه من الاقدام على فرج مشكوك .

وقد قال الشيخ أبو حامد الغزالي رضى الله عنه : في كتاب « الحلال والحرام » من « أحياء علوم الدين » : « نصه : اعلم أن كل من قدم اليك طعاما أو هدية أو أردت ان تشتري منه او تهب فليس لك أن تفتش عنه وتسال وتقول : هذا مما لا أتحقق حله فلا آخذه بل أفتش عنه ، وليس لك أيضا أن تتسرك البحث فتأخذ كل مالا تيقن تحريمه ، بل السؤال واجب مرة ، وحرام مرة ، ومندوب مرة ، ومكروه مرة ، فلا بد من تفصيله والقول الشافى فيه : هو أن مظنة السؤال مواقع الريبة » ثم أطال رضى الله عنه في تقرير ذلك ، وصرح بأن البائع اذا كان متهما على ترويج سلعته لا يعتمد على قوله . فاذا كان هذا في الاموال فكيف باسترقاق الرقاب وملك الابضاع الذين للشارع بهما مزيد اعتناء كما هو معلوم من الشرع وأصوله .

وقد ذكر الشيخ أبو العباس أحمد بابا في تقييده الموضوع في هذه المسئلة ،

المسمى «بمعراج الصعود» تفصيلا حتم به كلامه وذكر قبائل من كفار السودان مثل: موسى وبعض فلان وغيرهم : وقال : ان كل من كان من هؤلاء القبائل فيجوز استرقاقه . وكذلك ذكر ولى الدين ابن خلدون : « ان وراء انيل قوما من السودان يقال لهم للمم » قال : « وهم كفار ويكتوون فى وجوههم وأصداغهم » قال : « وأهل غانة والتكروور يفرون عليهم ويسبونهم ويبيعونهم للتجار فيجلبونهم الى المغرب وهم عامة رقيقهم وليس وراءهم فى الجنوب عمران يعتبر » الى آخر كلامه ، لكن هذا التفصيل الذى ذكره الشيخ أبو العباس انما ينفع أهل تلك البلاد المجاورين لهم والمطلعين على المجلوب منهم ومن غيرهم ، فأما أهل المغرب الذين هم من وراء وراء وبينهم وبين أرض السودان مهامه فيح وقفار لا يعمرها الا الريح ، فمن الذى يحقق لهم ذلك ، وقد قلنا انه لا يجوز الاعتماد على قول الجالين لهم ، وأيضا فمن لنا بأن أولئك القبائل لا زالوا على كفرهم الى الان على أن الناس اليوم لا يلتفتون الى ذلك أصلا ، ومهما رأى أحدهم العبد أو الامة يسمسر فى السوق الا ويقدم على شرائه غافلا عن هذا كله لايسأل الا عن عيوب بدنه لافرق فى ذلك بين أسود أو أبيض وغيرهما ، بل صار الفسقة اليوم وأهل الجراءة على الله يختطفون أولاد الاحرار من قبائل المغرب وقراء وأمصاره ويبيعونهم فى الاسواق جهارامن غير نكير ولا امتعاض للدين ، وصار النصرارى واليهود يشترونهم ويسترقونهم بمرأى منا ومسمع ، وذلك عقوبة من الله لنا لو اعتبرنا فانا لله وانا اليه راجعون على ما دهبنا به فى ديننا .

فالحاصل أنه لما كان الاصل فى الناس هو الحرية كما قلنا ، وعلم تواترا أن أهل بلاد السودان الموالية لنا جلهم أو كلهم مسلمون ، واستفاض عن أهل العدل وغيرهم انهم يغير بعضهم على بعض ويختطف بعضهم أبناء بعض ويبيعونهم ظلما وعدوانا ، ورأينا بالمشاهدة أن الجالين لهم والمتجرين فيهم انما هم من لا خلاق لهم ولا دين لهم لم يبق لنا توقف فى أن الاقدام على شراء هذا الصنف محظور فى الشرع والمقدم عليه مخاطر فى دينه ، وأما وضع يد الجالين لهم عليهم فلا تكفى شرعا فى جواز الاقدام على شرائهم منهم لضعف هذه العلامة

بما احتف بها من القرائن المكذبة لها، وليستفت المرء قلبه فقد قال صلى الله عليه وسلم « استفت قلبك وإن أفطوك » فانه متى رجع الى قلبه في هذه المعضلة لا ولا يقدر أن يحوم حول هذا الحمى بحال ، ثم تنزل عن هذا كله ونقول : لو لم يكن في ذلك الا الشبهة القوية وفساد الزمان ورقة ديانة أهله لكان في هذه الامور الثلاثة مع ملاحظة سد الذريعة الذي هو أحد أصول الشريعة لا سيما عند الامام مالك رضى الله عنه ما يقتضى وجوب التخلي عن ملابسة هذه المفسدة المزرية بالعرض والدين ، فنسأله سبحانه أن يوفق من ولاه أمر العباد، لحسم مادة هذا الفساد ، فان سبب الاسترقاق الشرعى الذى كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح مفقود اليوم ، وهو السبب الناشئ عن الجهاد المقصود به اعلاء كلمة الله تعالى ، وسوق الناس الى دينه الذى اصطفاه لعباده ، هذا هو ديننا الذى شرعه لنا نبينا صلى الله عليه وسلم وخلافه خلاف الدين وغيره غير المشروع والتوفيق انما هو بيد الله « ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » .



بناء قصر البديع بحضرة مراکش حرسها الله



قال فى « مناهل الصفا » : كان السبب الحامل للمنصور على بناء البديع وانفاقه فيه جلائل الاموال ونفائس الذخائر هو أنه أراد أن تكون لاهل البيت به مآثرة وشفوف على دولة البرابر من المرابطين والموحدين ومن بعدهم ، فان كلا من أهل تلك الدول أبقي بناء يحيا به ذكره ، ولم يكن لاهل البيت في ذلك المعنى شئ تزداد به حظوتهم مع أنهم أحق الناس بالمجد والسؤدد الا انيل قصدى لبنائه بقصد تشريف أهل البيت لان البناء كما قيل :

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبالسن النبىان
ان البناء اذا تعاظم شأنه أضحى يدل على عظيم الشأن
قلت : هذا اعتذار بارد كما لا يخفى .

ولما أراد المنصور أن يشرع فيه أحضر أهل العلم ومن يتسم بالصلاح فتحينوا أو أن الابتداء ووقت الشروع فيه فكان ابتداء الشروع في تأسيسه في شوال خامس الأشهر من خلافته سنة ست وثمانين وتسعمائة ، واتصل العمل فيه إلى سنة اثنتين وألف . ولم يتخلل ذلك فترة . وحشد له الصناع حتى من بلاد الأفرنجية ، فكان يجتمع كل يوم فيه من أرباب الصنائع ومهرة الحكماء خلق عظيم حتى كان يباه سوق عظيم يقصده التجار ببضائعهم ونفائس اعلاقمهم ، وجلب له الرخام من بلاد الروم ، فكان يشتريه منهم بالسكر وزنا بوزن على ما قيل . وكان المنصور قد اتخذ معاصر السكر ببلاد حاحة وشوشاوة وغيرهما حسبما ذكره الفشتالي رحمه الله « في المناهل »

وأما جبهه وجيره وباقي ألقاضه فانها جمعت من كل جهة وحملت من كل ناحية حتى انه وجدت بطاقة فيها أن فلانا دفع صاعا من جبر حمله من من تبككو وظف عليه في غمار الناس .

وكان المنصور مع ذلك يحسن إلى الاجراء غاية الاحسان ويجزل صلة العارفين بالبناء ويوسع عليهم في العطاء ويقوم بمؤن أولادهم كي لا تشوف نفوسهم وتشعب أفكارهم .

وهذا البديع دار مربعة الشكل وفي كل جهة منها قبة رائقة الهيئـة واحتف بها مصانع أخر من قباب وقصور ودور فعظم بذلك بناؤه وطالت مسافته ولا شك أن هذا البديع من أحسن المباني وأعجب المصانع يقصر عنه شعب بوان وينسى ذكر غمدان ، ويبخس الزهراء والزهراء ، ويزرى بقباب الشام واهرام القاهرة ، وفيه من الرخام المجزع والمرمر الأبيض والأسود ما يحير الفكر ويدهش النظر وكل رخامة طلى رأسها بالذهب الذائب وموه بالنظار الصافى وفرشت أرضه بالرخام العجيب النحت الصافى البشرة ، وجعل في أضعاف ذلك الزليج المتنوع التلوين حتى كأنه خمائل الزهر ، أو برد موشى من عمل صنعاء وتستر ، وأما سقوفه فتجسم فيها الذهب وطليت الجدران به مع بديع النقش ورائق الرقم بخالص الجبس فتكاملت فيه المحاسن ، وأجرى بين قبابه ماء غير آسن ، وبالجملـة فإن هذا البديع كان من المباني المتناهية البهاء والاشراق

المباهية لزوراء العراق ومن المصانع التي هي جنة الدنيا وفنتة المحيا ، ومنتهى الوصف وموقف السرور والقصف :

كل قصر بعد البديع يذم فيه طاب المجنى وطاب المشم
منظر رائق وماء نيمير وثرى عاطر وقصر أشم
ان مراكشا به قد تباهت مفخرا فهي للعلا الدهر تسمو
وبه من الاشعار المرقومة في الاستار ، والابيات المنقوشة في الجهات ،
على الحشب والزليج والجص ما يسر الناظر ويروق المتأمل ويهر العقول ،
وعلى كل قبة ما يناسبها ، وفي بعض القباب مفاخرة على لسانها لمقابلتها وتبع ذلك
يطول لكن لا بأس أن نلم هنا بشمالة من ذلك الحوض ونخوض في بحار
تلك البدائع بعض الحوض ، اذ في ذلك عبرة لمن اعتبر ، وترويح للقلوب
بكيفية فعل الدهر بمن غبر ، فمن ذلك ما نقش خارج القبة الخمسينية لان فيها
خمسین ذراعا بالعمل من انشاء الكاتب البليغ أبي فارس عبد العزيز الفشتالي على
لسان القبة المذكورة .

سموت فخر البدر دوني وانحطا وأصبح قرص الشمس في أذني قرطا
وصغت من الاكليل تاجا لمفرقي ونيطت بي الجوزاء في عنقي سمطا
ولاحت بأطواقى الثريا كأنها نير جمان قد تبغته لقطا
وعديت عن زهر النجوم لانسى جعلت على كيوان رحلى منحطا
وأجريت من فيض السماحة والندی خليجا على نهر المجرة قد غطا
عقدت عليه الجسر للفخر فارتمت اليه وفود البحر تغرف ما أنطا
ينفض ما بين الغروس كأنه وقد رقرقت حصاؤه حية رقطا
حواليه من دوح الرياض خرائد وغيد تجر من خمائلها مرطا
اذا أرسلت لدن الفرع وفتحت جنى الزهر لاح في ذوائبها وخطا
يرنحها مر النسيم اذا سرى كما مال نشوان تشرب اسفقطا
يشق رياضا جادها الجود والندی سواء لديها الفيت أسكب أم أبطا
وسالت بسلسال اللجين حياضه بحارا غدا عرض البسيط لها شطا
تطلع منها وسط وسطاه دمية هي الشمس لاتخشى كسوفها ولا غمطا

حكت وجباب الماء فى جنباتها
 اذا غازلتها الشمس ألقى شعاعها
 توسمت فيها من صفاء أديمها
 اذا انسقت بيض القباب قلادة
 تكفنى بيض الدمى فكأنها
 قدود ولكن زادها الحسن عريها
 سمت صعدا تيجانها فكسرت
 فيالك شأوا بالسعادة أهلا
 وكعبة مجد شادها العز فانبثرت
 ومسرح غزلان الصريم كناسها
 فلكن به ما طاب لا الاثل والخطا
 ثراه من المسك القيت مدبر
 وان باكرته نسمة ينسرى بها
 أقرت له الزهراء والخلد وانتنت
 جناب رواق المجد فيه مطنّب
 امام يسير الدهر تحت لوائه
 وفتاح أقطار البلاد بفيلق
 تطلع من خرصانه الشهب فانتنت
 كئائب نصران جرت للممة
 اذا ما عقدن راية علوية
 فما للسما تلك الالهة انما
 يطاوع أيدي المعلوات عنانها
 يد لأمير المؤمنين بكفها
 أدار جدارا للعلا وسرادق
 وقال أيضا مما كتب بداخل القبة المذكورة :
 جمال بدائعى سحر العيون
 ورونق منظرى بهر الجفون

وقد حسنت بقوسى واستطارت
 واطلع سمكى الاعلى نجوما
 وجوى من دخان الد القسى
 علوت دوائر الافلاك سبعا
 فصغت من الالهة والحيايا
 تكفى حياض مائحات
 يقيد حسنهما الطرف انفساحا
 تدافع نهرها نحوى فلما
 وقد نشر الحجاب على سماها
 فخرت وحق لى لما اجتبانسى
 هو المنصور حائر خصل سبق
 وليث وغى اذا زار امتاعا
 اذا اامت كتابه الاعادى
 يدير عليهم من كل حرب
 امام بالمغرب لاح شمسها
 بقيت بذى القصور الغر بدرا
 تحف بكم عواكف عند بابى
 لك البشرى امير المؤمنين اد
 وقال أيضا مما كتب فى بهوها بمرمر أسود فى أبيض :

لله بهو عز منه نظير
 رصفت نقوش حلاه رصف قلائد
 فكأنها والتبر سال خلالها
 وكان أرض قراره ديباجة
 واذا تصاعد نده نوا ففى
 شأو القصور قصورها عن وصفه
 فاذا أجلت اللحظ فى جنباته
 لما غدا كالروض وهو نضير
 قد نضتها فى النحور الحور
 وشى وفضة تربها كافور
 قد زان حسن طرازها تشجير
 أنماطه نور به ممطور
 سيان فيه خورنق وسدير
 يرتد وهو بحسنه محسور

وكان موج البركين أمامه
 صفت بصفقتها تماثل فضة
 فدير من صفو الزلال معللا
 ما بين آساد يهيج زئيرها
 ودحت من الانهار أرض زجاجة
 راقت فمن حصائنها وفواقع
 ياحسنة من مصنع فبهـاؤه
 وكأنما زهر الرياض بجنبهـه
 ولدسته الاسمى تخير رصفه
 ملك أناف على الفراقد رتبة
 قطب الخلافة تاج مفرق دولة
 وجرى الى أقصى العراق لرعبها
 نجل النبي ابن الوصى سليل من
 بحر الندى لكنه متموج
 طود يخف حلمه ووقاره
 دامت معاليه ودام ومجده
 وتعاهدته من الفتوح بشائر
 ما زال منزل سعده يرتاده
 وجرت به مرحا جياذ مسرة

حركات سحب صافحته دبـور
 ملك النفوس بحسنها تصوير
 يسرى الى الارواح منه سرور
 وأساود يعلو لهـن صفير
 وأضلها فلك يضيـ منير
 يطفو عليها اللؤلؤ للمنشور
 باهى نجوم الافق وهى تنور
 حيث التفت كواكب وبـودور
 فخر الورى وامامها المنصور
 وأقله فوق السماك سريـر
 رميت بجحفلها اللهام الكـور
 جشيت على جسر الفرات عبـور
 حقن الدماء وعف وهو قدير
 سيف العلا لكنه مطـرور
 ولجيشه يوم النزال ثيـر
 طوق على جيد العلا مـزورور
 يغدو عليه بها مسا وبكـور
 نصر يرف لواؤه المنشور
 وأدار كأس الانس فيه سـمير

وقال بعض الكتاب مما نقش فى عضادتي باب القبة الحمسينية المذكورة
 يا ناظرا بالله قف وتأمل
 وانظر الى الحسن البديع الاكمل
 واذا نظرت الى الحقيقة فلتقل
 السر فى السكان لا فى المنزل

وقال بعض الكتاب ايضا مما طرزت به الاستار المذهبة المحكمة الصنعة
 لتستر بها النواحي الاربع من القبة الحمسينية وتسمى هذه الاستار عند أهل
 المغرب بالحائطي ففى الجهة الاولى :

وأدر على حسنى حميا الكاس
لم تغذى بالعارض البجاس
ملى وان يجرى على مقياسى
تأوى الى كفى ظباء كناس

تزرى بغصن البانة المياس
ونطرت من شزر الى الكناس
فخرا بمخترعى أبى العباس
بفتى سواء مراتب وكراس

ورماهم بالذل والانعاس
ليث الحروب مسعر الاوطاس
قطب الجمال أخو الندى والباس
منه الوهاد بعاطر الانفاس

يعشى سناه نواظر الجلاس
أبهى من الاعياد والاعراس
ويقيم مناه على الاساس
درر الندى فى جيده المياس

وقال ابو فارس الفشتالى مما كتب على المصرية المطلة على الرياض المرتفعه
على القبة الخضراء من بديع المنصور ، وكان انشأها فى جمدى الاولى من
سنة خمس وتسعين وتسعمائة :

وأرض النديم أهله وشموسا
تلق الفراقد فى حماى جلوسا
لا ترتضى غير النجوم جليسا
منى على بسط الرياض عروسا

متع جفونك فى بديع لباسى
هذى الربا والروض من جرعائها
انى لروض أن يروق بهاؤه
فالروض تغشاها السوام وانما
وفى الجهة الثانية :

من كل حسنا كالقضب اذا انشئ
ولقد نشرت على السماك ذوائبى
وجررت ذيلى بالمجرة عابثا
ما نيط. ملى فى القباب ولا ازدهت
وفى الجهة الثالثة :

ملك تقاصرت الملوك لعزّه
غيث المواهب بحر كل فضيلة
فرد المحاسن والمفاخر كلها
ملك اذا وأفى البلاد تأرجت
وفى الجهة الرابعة :

واذا تطلع بدره من هالة
أيامه غرر تجلت كلها
لا زال للمجد السنى يشده
ما مال بالغصن النسيم وكللت

وقال ابو فارس الفشتالى مما كتب على المصرية المطلة على الرياض المرتفعه
على القبة الخضراء من بديع المنصور ، وكان انشأها فى جمدى الاولى من
سنة خمس وتسعين وتسعمائة :

باكر لدى من السرور كؤسا
واخرج على غر فى المنيف سماؤها
واذا طلعت بأوجها قمر العلا
شرق القصور بريقها لما اجتلت

واعترضت بالمنصور أحمد ضيفما
ملك أرى كل الملوك ممالكا
وهناك يا شرف الخلافة دولة
تلقى برايتها طلائع عيسا
وقال ايضا مما كتب فى بعض المباني البديعية :

معانى الحسن تظهر فى المغانى
مشابه فى صفات الحسن أضحت
بكل عمود صبح من لجين
مفصلة القدود مثلثات
تردت سابرى الحسن يزرى
وتعطو الخيزرانة من حماها
لمجدك تنمى لكن نماها
يدين لك ابن ذى وزن ويعنو
غدت حرما ولكن حل فيها
مبان بالخلافة أهـلات
هى الدنيا وساكنها امام
قصور مالها فى الارض شبه
وقال مما نقش فى بعض الابواب :

هذى وفود السعد نحوى ترمى
وسمت الى عفاة عرفك مثل ما
حطت بمصر اعى السعود بشائرا
وأوان صنعى أن تقول ولا تبـل
وقال الفشتالى : اعرضت عليه هذه الايات استحسناها الا أنه كره لفظة
جنة وتغير منها كثيرا ، وقال الوزير الاديب أبو الحسن على بن منصور
الشيظلى مما كتب على مباح قبة الزجاج :

ان شئت تاريخ اكمال البديع فقل ايوان أحمد ايوان السعادات

وقال الوزير المذكور مما نقش على أحد ابواب البديع :

باب أتى كبراعة استهلال وكأنما انقصر القصيد التالى
ولذلك سمى بالبديع وجاء بال اغراق والتجنيس والايفال
وأتى التمام فقلت فى تاريخه بيتا بلا عقد ولا اشكال
صرح على تقوى من الله انبنى فى طالع للسعد والاقبال
وقال أيضا فى تمام البديع مهنتا :

يا مليكا ملكه فيمن ملك كطلوع الفجر من بعد الخلك
تم هذا القصر فاسكنه على حسن حال بدوام الملك لك
وكان الفراغ من تمام البديع سنة اثنتين وألف ، وفى تاريخه يقول
الوزير المذكور وهو مما نقش باب الرخام أحد أبواب البديع :

الحسن لفظ وهذا القصر معناه ياما أميلح مرآه وأبهاه
فهو البديع الذى راقت بدائعها وطابق اسم له فيه مسماه
صرح أقيمت على التقوى قواعده ودل منه على التاريخ معناه
ولاح أيضا وعين الحفظ تكلاه تاريخه من تمام قل هو الله

قال فى نفع الطيب : « اخترع المنصور من المصانع ثلاثة أشياء فجاءت
غريبة الشكل بدیعة الحسن ، وهى : البديع ، والمسرة ، والمشتهى ؛ وفيهما
يقول المنصور موريا :

بستان حسنك أبدعت زهراته ولكم نهيت القلب عنه فما انتهسى
وقوام غصنك بالمسرة ينتهى يا حسن رمان به للمشتهى اه

قال اليفرنى : والذى ذكره صاحب كتاب البيان المغرب عن أخبار
المغرب ، وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن عذارى الاندلسى حسبما رأيت
فى السفر الثانى منه : « أن أول من أنشأ المسرة التى بظاهر جنان الصالحة
عبد المؤمن بن على كبير الموحدين » قال : « وهو بستان طوله ثلاثة أميال وعرضه
قريب منها فيه كل فاكهة تشتهى وجلب اليه الماء من أغصان واستنبط له عيون
كثيرة » .

قال ابن اليسع : « وما خرجت أنا من مراکش في سنة ثلاث وأربعين وخمسائة الا وهذا البستان الذي غرسه عبد المؤمن يبلغ مبيع زيتونه وفواكه ثلاثين ألف دينار مؤمنة على رخص الفاكهة بمراكش » اه ولعل المنصور جدد معالم المسرة بعد اندراسها ، وأفاض سجال الحياة على ميت غراسها ، وكان المنصور يفتخر بالبديع كثيرا وينوه بقدره ، وفي ذلك يقول أبو فارس الفشتالي :

هذا البديع يعز شبه بدائع أبدعتن به فجاء غريبا
أضنى الغزاة حسنه حسدا له أبدى عليها للاصيل شحوبا
وانقضت الزهر المنيرة اذ رأت زهر الرياض به ينور عجيبا
شيدتهن مصانعا وصنائعا أنجزن وعدك للعلا المرقوبا
وجريت في كل الفخار لغاية أدركهن وما مسست لغوبا
فانعم بملكك دام فيه مؤبدا تجنى به فنن النعيم رطيبا

ولما أكمل المنصور البديع وفرغ من تنميق برده وتطريز حلتة صنع مهرجانا عظيما ودعا الاعيان والاكابر فقدم لهم من ضروب الاطعمة وصنوف الموائد ، وأفرغ عليهم من العطايا ومنحهم من الجوائز ما لم يعهد منه قبل ذلك ، وكان ممن دخل في غمار الناس رجل من الهاليل ممن كانت له شهرة بالصلاح في الوقت فقال له المنصور مباسطا : « كيف رأيت دارنا هذه يا فلان ؟ » فقال له : « اذا هدمت كانت كدية كبيرة من التراب » فوجم لها المنصور وتطير منها . وتحكى هذه الحكاية عن غير المنصور فالله أعلم .

قال اليفرنى : وقد ظهر مصداق ذلك على يد السلطان المظفر المولى اسمعيل ابن الشريف فانه أمر بهدمه سنة تسع عشرة ومائة وألف لموجب يطول شرحه فهدمت معالمه ومحيت مراسمه ، وفرق ما كان به من جموع الانس ، وعاد حصيدا كأن لم يغن بالامس ، حتى صار مرعى للكلاب والمواشى ووكرا للصدى واليوم ، وحق على الله أن لا يرفع شيا من الدنيا الا وضعه ، ومن العجائب أنه لم يبق بلد من بلاد المغرب الا ودخله شىء من أنقاض البديع ، ولقد تذكرت بهذا ما حكاه بعض مؤرخى الاندلس : أن الزاهرة التى بناها المنصور بن أبى عامر ، وهى من عجائب الدنيا ، مر عليها فى أيام المنصور بعض أهل الباطن وهى فى نهاية

العمران والازدهاء بسكانها ، فقال : « يادار فيك من كل دار فجعل الله منك
في كل دار » قال : « فضرِب الدهر ضرباته وسلط عليها أيدي العدوان فهدمت
وخربت وتفرقت محاسنها حتى نقل بعض أنقاضها الى العراق .

قال اليفرنى : ولما دخلت البديع مقفلى من الرحلة ورأيت ما هانسى
أنشدت أبيتا أنشدها الشيخ محبى الدين بن عربى فى كتاب المسامرة لما دخل
الزاهرة فوجدها متهدمة وهى :

ديار بأكتاف الملاعب تلمع وما أن بها من ساكن فهى بنقع
ينوح عليها الطير من كل جانب فتصمت أحيانا وحينما ترجع
فخاطبت منها طائرا متفردا له شجن فى القلب وهو مروع
فقلت على ماذا تنوح وتشتكى فقال على دهر مضى ليس يرجع

وأنشدت ما أنشده ابن الأبار فى تحفة القادم :

قلت يوما لدار قوم تفانوا أين سكانك الكرام علينا
فأجابت هنا أقاموا قليلا ثم ساروا ولست أعلم أيننا

ثم قال اليفرنى رحمه الله :

لطيفة : تأملت لفظ البديع فوجدت عدد نقط حروفه بحساب الجمل مائة
وسبعة عشر ، وهذا القدر هو الذى بقى فيه البديع قائما ، فانه فرغ منه سنة
اثنين وألف ، وشرع فى هدمه سنة تسع عشرة ومائة وألف ، فمدة عمره
مائة وسبع عشرة سنة على عدد اسمه وذلك من غريب الاتفاق فسبحان من
دقت حكمته ، وجلت قدرته ، وعمت رحمته ، لا اله الا هو الحكيم العليم .

ثورة الناصر بن السلطان الغالب بالله ببلاد الريف ومقتله

كان الناصر هذا فى حياة أبيه عبد الله الغالب بالله خليفته على تادلا ونواحيها ، ولما توفى أبوه المذكور وقام بالامر أخوه المتوكل كما استوفينا خبره قبض على الناصر فاعتقله فلم يزل معتقلا عنده سائر أيامه الى أن قدم المعتصم بجيش الترك وانتزع الملك من يد المتوكل كما مر : فسرّح الناصر من اعتقاله وأحسن اليه ، فلم يزل عنده فى ارغد عيش الى أن توفى المعتصم يوم وادى المخازن . وأفضى الامر الى المنصور ففر الناصر الى آصلا ، وكانت للنصارى يومئذ ، ثم عبر البحر منها الى الاندلس فكان عند طاغية قشتالة مدة طويلة الى أن سرحه الطاغية الى المغرب بقصد تفريق كلمة المسلمين واحداث الشقاق بينهم ، فخرج الناصر بمليية ونزل بها ثلاث مضت من سبعان سنة ثلاث وألف ، وتسامعت به الغوغاء والطغام من أهل تلك البلاد فأقبلوا اليه يزفون ، فكثر جموعه وتوفرت جيوشه واهتز المغرب بأسره لذلك .

وذكر اليفرنى فى « الصفوة » : « أن الفقيه أبا عبد الله محمد بن قاسم القصار كتب كتابا الى الشيخ الصالح أبى عبد الله محمد بن على بن ريسون من أهل بلاد غمارة وكان مسموع الكلمة بها يحضنه على الاستمسك بدعوة المنصور وأن يلزم الطاغية له ، فوقع الكتاب فى يد المنصور فعرف للشيخ القصار حقه ، ولما قد علمه بعد ذلك وصله وولاه الفتوى والخطبة بجامع القرويين وتفرقة صدقة المساكين » .

ثم أن الناصر خرج من مليية قاصدا تازا فدخلها واستولى عليها ونزعت اليه القبائل المجاورة لها كالبرانس وغيرهم ، فثالبوا عليه وتملاؤا على اعزازه ونصره ، ولما دخل تازا طالب أهلها بالمكس وقال لهم : « ان النصارى يغرمون حتى على البيض » . ولما سمع المنصور بخبره أقلق ذلك ، وتخوف منه غاية ، لان الناصر اهتز المغرب لقيامه وتشوقت النفوس اليه ليل القلوب عن المنصور لشدة وطائه واعتسافه للرعية ،

قال فى « ابتهاج القلوب » فى ترجمة الولى الصالح أبى الحسن على بن منصور البوزيذى المعروف بابى الشكاوى دفين شالة : « انه كان سائرا يوما على بغلة ومعه أصحابه فقال لهم : « يافقراء أسمعون ما تقول بغلتى ؟ انها تصيح بالناصر لمولاي الناصر وكذلك الشجر والحجر وانى أرى غير ذلك » فكان الامر كما قال : اهتز لقيام الناصر كل شىء ثم قتل عن قريب ولم يتم له أمر » اه
ثم ان المنصور بعث اليه جيشا وافرا فهزمهم الناصر واستفحل أمره وتمكن ناموسه من القلوب ، فأمر المنصور ولى عهده المأمون بمنازلته فخرج اليه من فاس فى تعبىة حسنة وهيئة تامة فلما التقى الجمعان كانت الدبرة على الناصر بالموضع المعروف بالحاجب ، ومر على وجهه فاحتل بالجاية ، بلدة من عمل بلاد الزيب ، فلحق به ولى العهد فلم يزل فى مقاتلته الى أن قبض عليه فأزال رأسه وبعث به الى مراکش . وكان ذلك سنة خمس وألف ، وقيل سنة أربع وألف .
قال فى « نشر المثنى » : « كان مقتل الناصر وادخاله مقطوع الرأس الى فاس يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من رمضان سنة أربع وألف وهو الاصح » وذكر الشيخ أبو على اليوسى فى « المحاضرات » ما نصه : « حدثوا عن صلحاء تادلا : أنه لما قام على السلطان أحمد المنصور ابن أخيه الناصر قال الشيخ أبو العباس أحمد بن أبى القاسم الصومعى : « ان الناصر يدخل تادلا » يعنى دخول الملك فلما بلغ الخبر الى الشيخ أبى عبد الله محمد الشرقى التادلى قال : « مسكين بابا أحمد رأى رأس الناصر قد دخل تادلا فظنه الناصر يدخلها » فكان الامر كذلك فانه هزم فى نواحي تازا ثم قطع رأسه وحمل الى مراکش فدخل تادلا فى طريقه » اه .

ولما قتل الناصر سر المنصور بذلك وأتته الوفود للتهنئة وقال الشعراء فى ذلك منهم الكاتب أبو عبد الله محمد بن عمر الشاوى قال :

تهدأ أمير المؤمنين فقد جـ	بسطوتك الاقدار جرى السوابق
أضاءت لك الايام واحلوك على	عدوك وارتجت رؤوس الشوايق
وذاك الذى قد خيب الله سعده	تردى فلم تنفعه نصرة مـ
فكان كما قد قيل لكن رأسه	أنى سابقا والرجل ليست بسابق

ضمن قول بعضهم في الوزير ابن الفرس وقد رآه مصلوبا منكوس الرأس :
لقد طمّح المهر الجموح لغاية تقطع أغصان الجياد السوابق
جرى فجرت رجلاه لكن رأسه أتى سابقا والرجل ليست بسابق
وكتب المنصور بخبر هذا الفتح الى الاتفاق .

فمما كتبه للشيخين الامامين أبي عبد الله محمد زين العابدين البكري ،
وأبي عبد الله محمد بدر الدين القرافي رسالة يقول فيها ما نصه :

«من عبد ربه المجاهد في سبيله أحمد المنصور بالله أمير المؤمنين الحسنی،
الى الفاضل الذي اعتجر بالتقوى وهو زين العابدين، وتحلى بحلى المعارف الربانية
وتلك حلى العارفين، والسالك الذي برز في الطريقة ، وسلك على المجاز الواضح
الى الحقيقة ففات شأو السابقين ، والعارف الذي تجرد عن رعونة الاهواء
الانفسانية ، فكان سلوكه على التجريد الى حضرة الواصلين الشيخ العالم الحجة
الوافي، السيد بدر الدين القرافي، والشيخ العارف الواصل، السر الكامل ،
سلالة العلماء ، سبط الفضلاء ؛ أبي عبد الله زين العابدين بن الشيخ السامي
المقام ، قطب المشايخ الاعلام ، فخر علماء الاسلام ، الشهير البركة في الانام ؛
أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن الصديقي ، أبقاكما الله وأرواحكما تعطر
برياحين الانس في حضرة القدس ، وتنسم النفحات الهابة من رياض المشاهدة
الى مدارج الانس ومعارج النفس ، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .
وبعد حمد الله مفيض انوار عناية احمد على صاحبه الصديق ، مظهر

كنوز المعارف الربانية جيلا بعد جيل من بيت عتيق ، والصلاة والسلام على
سيدنا محمد الذي اختار لمراقبته صاحبه في الغار والعريش والطريق ،
والراض عن آله أئمة الخلق وسيوف الحق، وأصحابه الذين فاضت أنوار هدايتهم
على الغرب والشرق وبركتهم اتسقت لنا الفتح اتساق الاسلاك وبفضلهم يعلم
سعدنا على الكفر علو القطب على دائرة الافلاك ، فكبتنا هذا اليكم من حضرتنا
مراكش حاطها الله ، وصنع الله لها مفعم السجال وواسع المجال، وعزمتها الماضية
تبعث الى العدا رسل الاوجال ، والايام بعز صولتها ويمن دولتها بهذه المغارب
باسمة الثغور، مؤذنة باتصال أمرها العزيز بحول الله الى أن تطوى ملاء الدهر،

هذا وأنه اتصل بعلي مقامنا كتابكما الذي صدحت على أفنان البلاغة سواجعه ،
وعذبت في موارد المحبة الصديقية مناهله ومشارعه ، ولطفت في كل معنى من
المنعاني أفانيه ومنازعه ، وتآلفت على الاجادة في كل مقصد من المقاصد مواصلة
العذبة ومقاطععه ، وأينعت بأزهار العناية الربانية الباطحة الفصح وأجارعه ، ومعه
المنظومات التي سحت بالحكم ديمها ، ورسا في البلاغة قدمها ، وربا في منبت المواهب
الربانية يراعها الفصيح وقلمها ، وحل من نفوسنا موقعها العجيب محلا من دونه
النريا في مطلعها ، والبدر ليلة تمامه اعجابا بها وتنويعا بمهديها ، وابتهاجا
بالخوارق التي أطلق الله على لسان مبيدتها ، والى هذا فليحط علمكما بان
مقامنا تتفق فيه على الدوام ان شاء الله نفائس بضائعكم ، وتنمو فيه مع الايام
سعود مطالعكم ، وتسمو فيه على كل مقام مقاماتكم ، وتستوضح فيه على المحبة
الصميمة اماراتكم الواضحة وعلاماتكم ، فعلى هذا تنعقد منكم الخناصر ، وتشد
الاواخي والاواصر ، بعز الله ومنه ، ثم مما نستطرد لكم ذكره على جهة
البشرى ، واهداء المسرة الكبرى ، اعلامكم أن عدو الدين طاغية قستالة الذي
هو اليوم العدو الكبير للاسلام ، وعميد ملل التلث وعبدة الاصنام ، لما أنس من
تلقاء جنابنا نار العزم تلتهب منا التهابا ، وبحر الاحتفال تضطرب أمواجه انزاخرة
بكل عدد وعدة اضفرايا ، وهمنا قد همت بتجديد الاسطول ، والاستنكار من
المراكب المتكفلة للجهاد ان شاء الله بقضاء كل دين معطول ، وعلم أن الحديث
اليه يساق ، والى أرضه بالحسف والتدمير بحول الله يهفو كل لواء خفاق ،
رام خذله الله مكافأنا على ذلك بما أمل أن يفت به في عضدنا الاقوى ، وعزمنا
الذي بعناية الله يزداد ويقوى ، فرمى بمخذول من أبناء أخينا عبد الله كان
ربى لديه ، وطوحت به الطوائج منذ ثمانية عشر عاما اليه ، الى مليدة احدى
الثغور المصاوبة لغرب ممالكنا الشريفة اتى الى كفالة ولدنا وولى عهدنا كافل
الامة من بعدنا ، الامير الاجل الارضى ، صارم العزم المنتضى ، وحسام الدين
الامضى ، أبى عبد الله محمد الشيخ المأمون بالله ، وصل الله لرايته التأييد
والظهور ، والعز الذي يستخدم الايام والدهور ، فالتف عليه من اغتر بأباطيله
الواهية البناء ، من أوباش العامة والغوغاء ، ومن قضى له من أجناد تلك

الناحية بالشقاء ، جموع تكاثر الرمل ، وتفوت الحسا والنمل ، لاح بها للشقى
 خلب بارق أكذبه أميته ، اذ صدقه منيته ، فصمم نحوه ولدنا أعزه الله
 بجنود الله التى انيه ، وبعاكر تلك الممالك التى ألقينا زمام تديرها فى
 يديه ، فما راع الشقى الا انقضاضه عليه من الجوا انقضاض الاجدل ، وتصميمه اليه
 بعزائم تدك الطود وتفلق الصخر والجندل ، فاستولى عليه بحمد الله للحين ،
 وعلى جموعه الاشقياء فى يوم أغرم حجل ، وساعة أنزل الله فيها على الخوارج
 المارقين العذاب المعجل ، فاستأصلتهم الشفار ، وحصدت هشيمهم المصوح
 ألسنة النار ، وقبض على الشقى فى يوم كان شفاء للصدور ، ومنتزها لحملة
 السيوف وربات الخدور ، وأحرز الله تعالى فخر هذا الفتح العظيم ، والمن
 الجسيم ، لولدنا أعزه الله عز وجل فى خاصة أجداده ، ونهض وحده باعبائه
 ونحن على سرير ملكنا وادعون مطمئنون ، وأجنادنا فى اوطارنا لاهون
 ومفتنون ، فلم يحتج الى انجاده من قبلنا ولا امداده ، والعاقبة للمتقين ،
 والحمد لله حمد الشاكرين ، وعرفناكم لتأخذوا بحفظكم من السرور بهذه
 البشرى التى سرت الاسلام ، وساءت بحمد الله عبدة الاوثان والاصنام ،
 وتعلموا مع ذلك ما عليه الاحوال اليوم بحول الله لدينا من خفق رايات العزم
 وشخذ آراء الحزم ، وأعمال عوامل الجزم الى مجازاة عدو الدين ان شاء الله
 على فعلته التى عادت عليه أسفا ولهافا ، واعادة ما كان أسلف من ذلك ان شاء
 الله بالمكيال الاوفى ، وقدمنا اليكم التعريف لتمدونا ان شاء الله بأدعيتكم
 الصالحة فى أوقات الاجابة ، وتحرصوا على التماسها هنالك وبالحرمين
 الشريفين من كل ذى خضوع واثابة ، أن يؤيدنا الله على عدو الدين بفضل ،
 وينجز لنا وعده الصادق فى اظهار دين الحق على الدين كله ، ويسهل علينا
 بفضل ومعوته أسباب فتح الاندلس ، وتجديد رسوم الايمان بها واحياء اطلاله
 الدرس ، حتى ينطق لسان الدين فى أرضها بكلمة الله التى طالما سكنت عنها
 نداؤه وخرس ، وشرق بريقه ففص وخنس ، فيده الحول والقوة ، وعنايته
 العناية المرجوة ، ثم نوصيكم بحسن الوقوف مع أصحابنا فيما يشترى من الكتب
 العلمية برسم خزانة الكريمة الامامية العلية ، ثم الاتحاف بديوان الشيخ

والدكم التماسا لجميل بركاته ، وتمسكا بما سبق من الاجازة العامة فى سائر منظوماته وموضوعاته ومروياته ، وهذا موجب اليكم ، والسلام الانم معاد عليكم ورحمة الله وبركاته ، فى ربيع النبوى سنة خمس وألف ، اه . وهذه الرسالة من املاء المنصور على ما قيل .

ومما كتب به أيضا بخط يده الى سلطان مكة والمدينة والحجاز الشريف أبى المحاسن حسن بن أبى ندى بن بركات ما نصه :

من عبد الله المجاهد فى سبيله الامام المنصور بالله أحمد أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين الشريف الحسنى الى الاصاله التى تبججت من ذؤابة هاشم فى صميمها ، وتوغلت من غرفات حرمة الله بين زمزمها وحطيمها ، وتمتعت من عرارة نجد باتشاق نفحاتها الاربعة وشميمها ، اصاله السلطان الاثيل الاثير الاسنى الاسمى الازكى السلطان حسن بن أبى ندى أبى ندى أبى ندى الله واليت ذو الاستار تقيأون ظلاله ، وتلثمون من الحجر الاسود الاسعد خاله ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذى أعز هذه المثابة العلوية ، الامامية النبوية ، العزيزة الانصار ، السامية المحتد والتجار ، الساجدة أذيال عزها الوريث الظلال على أهل البيت السامى المقدار ، سكان الحمى والذين تبوأوا الدار ، والصلاة والسلام على مولانا محمد الذى أطلع شمس الهداية الساطعة الانوار والرضا عن آله الذين تتضاءل لمجدهم السامى المنار الشموس والاقمار ، وعن أصحابه الذين استأصلوا شأفة الكفر بمواضى الشفار وصلة الدعاء لهذا المقام العلى الامامى المنصورى الحسنى بنصرتجنى الفتوح من قضب رماحه ، وتجري الاقدار على وفق اقتراحه ، فكتابنا هذا اليكم من حضرة مراکش حاطها الله ووسع لها المجال فى ميادين السجال والايام بعز صولتها ويمن دولتها بهذه المغارب باسمه الثغور ، مؤذنة باتصال أمرها العزيز بحول الله الى أن تطوى ملاء الدهور ، بعز الله وعنايته . هذا وان شيخ الركب المغربى وهو المرباط الخير الحاج محمد بن عبد القادر لما أزمع الى المعاهد الشريفة الرحيل لتجديد رسم الطاعة الذى ليس بعاف ولا محيل ، وهب له من محارم الله نسيم يميل ،

وآن للمطايا أن تعمل الوخذ والذميل ، مد الى على مقامنا أكف الرغبة فى كتاب كريم يتشرف بحمله ، ويتعرف منه السعادة بحول الله فى مرتجله وحله ، يتضمن الايصاء به اليكم فى المورد والمصدر ، ومدة مقامه من جواركم بحرم الله تجاه البيت والمشعر ، فحملناه هذه العجالة لترعوا له ان شاء الله عنها الحق المعبر ، وتولوه من جانبكم بما يصدق به الخبر ، وتدنوا له من آماله قطوف كل فن مهتصر ، ومما نكلفكم انهوض لاجل حقوق الاخوة باعبائه ونطالبكم لوشائج الرحم بالاعتناء بأدائه التماس الدعاء مع الاحيان تجاه البيت الحرام وعند ملتزم والمقام ان يؤيدنا الله على عدو الدين بفضله ، وينجز لنا وعده الصادق فى اظهار دينه على الدين كله ويسهل علينا بفضله ومعوته أسباب فتح الاندلس ، وتجديد رسوم الايمان بها واحياء اطلاله الدرس ، حتى ينطق لسان الدين فيها بكلمات الله التى طالما سكنت عنها نداؤه وخرس ، وشرق بريقه فقص وخس ، فذلك دعاء لا يرد لانه جرى من أهله فى محله ومعاد السلام الاتم عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى . وقوله حتى ينطق لسان الدين فيه تورية بابن الخطيب رحمه الله .



ذكر احتفال المنصور بالمولد الكريم واعتنائه بسائر الاعياد



قال الفشتالى : « كان ترتيب المنصور فى الاحتفال بالمولد النبوى الكريم أنه اذا طلعت طلائع شهر ربيع الاول صرف الرقاع الى الفقراء أرباب الذكر على رسم الصوفية والمؤذنين النعارين فى الاسحار فيأتون من كل جهة ويحشرون من سائر حواضر المغرب ، ثم يأمر الشماعين بتطريز الشموع واتقان صنعها فيتبارى فى ذلك مهرة الشماعين من كل ما يبارى النحل فى نسج أشكالها لطفًا وادماجًا فيصوغون أنواعا من الشمع التى تحير النواظر ولا تذبل زهورها النواضر فاذا كان ليلة المولد تهيأ لحملها وزفاف كواعبها الصحافون المحترفون بحمل خدور العرائس عند الزفاف فيتزينون لذلك ويكونون فى أجمل شارة

وأحسن منظر ويجمع الناس من أطراف المدينة كلها لرؤيتها، فيمكثون إلى حين يسكن حر الظهيرة وتجنح الشمس المغروب فيخرجون بها على رؤوسهم كالعذارى يرفلن في حلل الحسن، وهي عدد كثير كالنحل، فيتسابق الناس لرؤيتها وتمتد لها الأعناق، وتبرز ذوات الخدور ويتبعها الأبطال والابواق، وأصحاب المعازف والملاهي حتى تستوى على منصات معدة لها بالأيوان الشريف فتصطف هنالك فإذا طلع الفجر خرج السلطان فصلى بالناس وقعد على أريكته وعليه حلة البياض شعار الدولة، وأمامه تلك الشموع المختلفة الألوان من بيض كالدمى وحمرة جلست في ملابس أرجوان وخضر سندسية واستحضر من أنواع الحسك والمباخر ما يلهي المحزون ويدهش الناظر، ثم دخل الناس أفواجا على طبقتهم فإذا استقر بهم المجلس تقدم الواعظ فسرّد جملة من فضائل النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته وذكر مولده ورضاعه وما وقع في ذلك باختصار، ثم أفرغ اندفع القوم في الأشعار المولديات، فإذا فرغوا تقدم أهل الذكر المزمعون بكلام الششتري وأشعار الصوفية، ويتخلل ذلك نوبة المنشدين لليتين، فإذا فرغوا من ذلك كله قام شعراء الدولة، فيتقدم قاضي الجماعة الشاطبي بلبل منابر الجمع والأعياد فينشّد قصيدة يفتحها بالتغزل والنسيب، فإذا تم تخصّص مدح النبي صلى الله عليه وسلم ثم يختم بمدح المنصور والدعاء له ولولي عهده، فإذا قضى نشيده تقدم الإمام المفتي المولى أبو مالك عبد الواحد الشريف فينشّد قصيدته على ذلك المنوال، فإذا فرغ تلاه الوزير عبد العزيز الفشتالي، يليه الكاتب محمد الشيطمي، ثم تلاه الكاتب أبو فارس عبد العزيز الفشتالي، يليه الكاتب محمد ابن علي الفشتالي، يليه الأديب محمد بن علي الهوزلي التابعة، يليه الأديب الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد المسفيوي، فإذا طوى بساط القصائد نشر خوان الأطعمة والموائد فيبدأ بالاعيان على مراتبهم ثم يؤذن للمساكين فيدخلون جملة فإذا انقضت أيام المولد الشريف برزت صلات الشعراء على أقدارهم، هكذا كان دأبه في جميع الموالد، ولا يحصى ما يفرغ فيه من أنواع الاحسان على الناس، اه من كتاب «مناهل الصفاء» .

وقال صاحب «النفحة المنكية» «في السفارة التركية»: وهو العلامة

المشارك أبو الحسن علي بن محمد التامجروتى : « حضرت المولد الشريف بعد القفول من بلاد الترك فاستدعى المنصور الناس لايوانه السعيد، واستدخلهم أقصره أبدع المشيد . المحتوى على قباب متقابلة عالية وقد مد فيها من فرش الحرير ، وصنعت النمازق وتدلت الاستار والكلل والحجال المخصوصة بالذهب على كل باب قبة وحنية سرير ، ودار على الحيطان حائطيات الحرير التى هى كآزهار الخمائل مارثيت قط فى عهد الاولئ ، وتلك القباب مرفوعة الجوانب ، على قواعد وأساطين من رخام مجزع مطلية الرؤس بالذهب الدائب ، مفروش جلها بالمرمر الابيض مخططا بالسواد يتخلل ذلك ماء عذب ، فيدخل الناس على طبقاتهم وياخذ كل مرتبه من قضاة وعلماء وصلحاء ووزراء وقواد وكتاب وأصناف الاجناد ، فيخيل لكل منهم أنه فى جنة النعيم ، والسلطان جالس فى فاخر ملابسه تعلوه الهيبة والوقار ، وترمقه الابصار بالتعظيم والاكبار، ويجلس من عادته الجلوس ويقف على رأس السلطان الوصفان والعلوج وعليهم الاقية المخصوصة والمناطق المرصعة والخزم المذهبة مما يدهش الناظر ، وركر أمامهم الشمع الملون وأذن لعامة الناس فدخلوا من أصناف القبائل على أجناسها من الاجناد والطلبة ، وسكنت بعد حين الجلبة وأوتى بأنواع الطعام فى القصاع المالقية والبلنسية المذهبة والاوانى التركية والهندية، وأوتى بالطسوس والاباريق وصب الماء على ايدى الناس ، ونعبت مباخر العنبر والعود وأبرزت صحائف الفضة والذهب واغصان الريحان الغض فرش بها البساطورش من ماء الورد والزهر، وأنشدوا قصائد وتكلم المشدون وأحسن اليهم السلطان ثم ختموا المجلس بالدعاء للامير . واذا كان يوم السابع يكون ترتيب أبدع من الاول ، وهذه سيرته دائما » اه .

وهكذا كانت سيرته فى شهر رمضان عند ختم صحيح البخارى وذلك أنه كان اذا دخل رمضان سرد القاضى وأعيان الفقهاء كل يوم سفرا من نسخة البخارى وهى عندهم مجزأة على خمسة وثلاثين سفرا فى كل يوم سفرا الا يوم العيد وتاليه ، فاذا كان يوم سابع العيد ختم فيه صحيح البخارى وتهيا له السلطان أحسن تهية ، الا أن العادة الجارية عندهم فى ذلك أن القاضى

يتولى السرد بنفسه فيسرد نحو الورقتين من أول السفر ، ويتفاوض مع الحاضرين في المسائل ، ويلقى من ظهر له بحث أو توجيه ما ظهر له ولا يزالون في المذاكرة فإذا تعالى النهار ختم المجلس ، وذهب القاضي بالسفر فيكملة سردا في بيته ، ومن الغد يتبدى سفرا آخر ، وهكذا والسلطان في جميع ذلك جانس قريب من حاشية الحلقة قد عين لجلوسه موضع .

قال الفشتالي : « وكان المنصور يعطى أموالا لذوى الحاجات عند انقضاء رمضان ، ويقيم مهرجانا يوم عاشوراء لختان أولاد الضعفاء ، وكل من ختن منهم أعطى أدرعا من كتان وحصة من الدراهم وسهما من اللحم » اهـ .

وأما ترتيب جيش المنصور وعادته في أسفاره فسنذكرها في الفصل بعد هذا ان شاء الله ، ولنذكر بعض القصائد الميلادية التي أنشدت بمجالس المنصور حسبما تقدمت الإشارة اليه ، فمن ذلك قول القاضي أبي القاسم بن علي الشاطبي رحمه الله :

ما بال طيفك لا يزور لماما	وبمنحني الاحشا ضربت خياما
أعيش فيك عواذلى لسلوهم	وأموت فيك صابة وغراما
وتبجح نهرك سائلا من أدمعى	أو ليس نهر السائلين حراما
ما ذقت ماء لماك في سنة الكرى	الا انتهت فكان لى أحلاما
عرض اذا حدثت عن بان الحمى	فحديث قلبي بالاجارع هاما
أروى حديث الرقمتين مسلسلا	عن دمع باكية الغمام سجاما
وتلق من جيب النسيم تحية	أضحى الهوى بردا لها وسلاما
يا بجرة العلمين دعوة شيق	للذيذ عيش بالفضا لو داما
فخذوا بجرعاء الحمى قلبي فقد	ألف الإقامة بالحمى فاقاما
وخذوا بنار أهل نجدانهم	سلبوا الفؤاد وأدنفوا الاجساما
في كل غرب دموع عيني مشرق	لكواكب فيها اترن ظلاما
صليت بنار الشوق ثم رثت الى	انسانها في لجة قد عاما
وتسلست عبراتها شوقا لمن	وقفت عليه صلاتها وسلاما
خير الانام محمد الهادى الذى	أردى الضلال وجب منه سناما

كنز العوالم سر طينة آدم
وأجل أرسل الاله ومن به
وتقاصرت عن فردة اعدادهم
أسرى الى السبع الطباق فأقبلت
فى ليلة غصت بأمالك السما
ياخير من بهر المعاند شأنه
أعبى جلالك أن يحيط بوصفه
صلى عليك الله ما زار الحيا
ما لذتى فى مدح غير مخلصا
خير الورى وامامها المنصور من
أضفى على الارضين ظل مهابة
وسما على الدنيا عقاب تنوفة
قل للملوك هبوا لمالككم فدى
هذا الذى يحيى البلاد بعدله
هذا الذى وعد الاله بأنه
يا مشبه المهدي فى آرائه
أنت الذى بنىه أبناء العلا
فكانها من حولك الاشبال فى
وأمينها المأمون غضب سمامها
وأجل مضطلع تخيره الورى
وجاه أحمد عهد أمة أحمد
لا يعدون النصر سيفك انه
خذها ينم على العبير مديحها

وقال العلامة مفتى الحضرة أبو مالك المولى عبد الواحد بن أحمد الشريف

الفيلالى :

أرقت وشاقتنى البروق اللوامع وذكرى خليط هيبتها المربع

مرايع عفتها الروامس والسما
 كان لم تكن من قبل قدما أو اهلا
 تذكرني عهد الاجازع واللوى
 سحبا بها ذيل انصبابة برهة
 وقفت بها بالزل والليل دامس
 أسائلها عن جيرة بان حيم
 فهل قدموا نحو العقيق صدورهم
 يخبر عن دار الرسول وقرها
 ديار بها حل الحمى سيد السورى
 عليك صلاة الله يا خير مرسل
 فلولاك هذا الكون ما زال معدما
 لك الفخر فى الدارين والموقف الذى
 فآدمهم والكل تحت لوائكم
 فجازاك رب العرش ما أنت أهله
 وجازى اماما قد نمته اليكم
 سميك وابن السبط حقا ومن له
 قدم للعلا يا ابن الخلائق مفردا
 ودام ولى العهد بعدك صارما
 هو الامن المؤمنون من كل فئة
 ففيك أقول والنصوص شواهد
 بكم رأس هذا القرن جدد ديننا

تراق من الاشواق فيها المدامع
 اذ السلك منظوم وشملى جامع
 وأين اللوى منى وأين الاجازع
 وجفن الردى غنا وحاشاك هاجع
 أنازعها الشكوى بها وتنازع
 وضمت هواهم بعد ذاك الاضالع
 ولاح لهم برق من الغور لامع
 عراض بها للوحى فاضت ينابيع
 وهبت على الاشراك منها زعازع
 وبأخير من تننى عليه الاصابع
 وأنت الذى يرجوه عاص وطائع
 لاهواله كل النبين جازع
 وليس لنا والله غيرك شافع
 جزاء به يشجى المناوى المخادع
 أصول وآباء كرام فوارع
 عوارف فى أعناقنا وصنائع
 اليك اشتراؤها وغيرك بائع
 يحب الى نيل العلا ويسارع
 لقيض الندى من راحته ندافع
 أحاديث صحت ليس فيها منازع
 وفاضت بحور للعلوم هوامع

أشار بهذا الى ما أخرجه أبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال : « أن الله يعث على رأس كل قرن من يجدد لهذه الامة أمر دينها » .
 وحمله بعض الأئمة على أن المجدد من الملوك ، وقيل من العلماء ، وقيل
 من الاولياء والصواب الاطلاق .

وقال الوزير القائد أبو الحسن على بن منصور الشيفضى رحمه الله تعالى :

شوقى يزيد وعز ذلك عزائى
 ما فى الخواطر من صدى وصداء
 تلك المعاهد ساكن الحمراء
 ذات السنا والرنند والاضواء
 تدع القلوب جسومها بفضاء
 ومجيب داعى البعد بعد ندائى
 للهمز الا فى المنادى الثانى
 طى الملا بنجينة فوداء
 سر تولج فى ضمير حجاب
 تجرى القلوع بها بريح رخاء
 وأزور بعد معاهد الزوراء
 فى ظل أحمد بغيتى ومنائى
 وطئته رجلا خاتم النبأ
 بالبيض والخطية السمراء
 لؤما وما أجلى الدجا ابن ذكاء
 أكرم بهم من سادة فضلاء
 سبط الرسالة غرة الابناء
 حاز الكمال وشرط كل علا
 والكوكب الوقاد فى الظلماء
 حاط الهدى وبرأيه الوضاء
 كالزهر فى الاكام والاوزاء
 كالصبح يدرأ فى نحر عدا
 للنوائك المنصور دون مرأ
 بظبى بنك السادة التجباء
 وزر البرية عدة الامراء
 درج الكمال ودب للعليا

من بعد أهل قبا وأهل كداء
 ولى الشفاء بقربهم وهم جلا
 لكنه بعد المزار فأتين من
 بانوا وهاج الشوق ذكر ربوعهم
 وسدا بهم حادى الركاب فكاد أن
 يأسد لو ان ازمان مساعدى
 لركبت حرفا كانهلال منافرا
 ونجت أحياء الفلا وطوبتها
 تخاض فى جوف الفلام كأنها
 وتخال فى لجج السراب سفينه
 هل أنزلن بها المحصب من منى
 فأحط عنها الرحل ثم مخيما
 وامرغ الحديدن ملتثما ترى
 محبى الهدى ماحى الضلالة والردا
 صلى عليه الله ما نسخ السخا
 وعلى صحابته الكرام وآله
 أكرم بوارث مجده وعلائقه
 خير الخلائف أحمد المنصور من
 الصارم الهندى فى يمنى الهدى
 يا أيها الملك الذى بسوفه
 ذخر الاله لك الفتوح وصانها
 لابد من فتح يروقك واضح
 وستملك الحرم الشريف ويتمى
 وترى الجهات وقد أتت منقادة
 وتقر عينا بالخليفة منهم
 بمحمد المأمون خير من ارتقى

فرع سيحكي أصله ولقد حكى
 وقال الكاتب أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي رحمه الله تعالى :
 هم سلبوني الصبر والصبر من شأني
 وهم أخفروا في مهجتي ذم الهوى
 لئن أترعوا من قهوة البين أكؤسى
 وإن غادرتني بالعراء حمولهم
 فف العيس واسأل ربهم أية مضوا
 وهل باكروا بالسفح من جانب اللوا
 وأين استقلوا هل بهضب تهامة
 وهل سال في بطن المسيل تشوقا
 واذا زجروها بالعنى فهل ثنى
 وهل عرسوا في دير عبدون أم سروا
 سروا والدجا صبغ المطاروف فأنثى
 وأدلج في الاسحار بيض قباهم
 لك الله من ركب يرى الارض خطوة
 أرحها مطايا قد تمشى بها الهوى
 ويم بها الوادى المقدس بالحمى
 واهد حلول الحجر منه تحية
 لقد نفحت من شبح يثرب نفحة
 وفتت منها الشرق في الغرب مسكة
 وأذكرني نجدا وطيب عراره
 أحسن الى تلك المعاهد انها
 وأهفوا مع الاشواق للوطن الذى
 وأصبوا الى أعلام مكة شائقا
 أهيل الحمى دينى على الدهر زورة
 متى يشفى جفنى القريح بنظرة
 بمقاصد قد سددت ودهاء
 وهم حرموا من لذة الغمض أجفاني
 فلم يشتم عن سفكها حبي الجاني
 فشوقهم أضحى سميرى وندماني
 كفى أن قلبي جاهد اتر أظعاني
 أللجزع ساروا مدجلين أم البان
 ملاعب آرام هناك وغزلان
 أناخوا المطايا أم على كتب نعمان
 نفوس ترامت للحمى قبل جثمان
 أزمتهما الحادى الى شعب بوان
 يؤم بهم رهبانهم دير نجران
 بأحداجهم شتى صفات وألوان
 فلحن نجوما فى معارج كبان
 اذا زمها بدنا نواعم أبدان
 تمشى الحميا فى مفاصل نشوان
 به الماء صدا والكلاب نبت سعدان
 تفاوح عرفا ذاكى الرند والبان
 فهاجت مع الاسحار شوقي واشجاني
 سحبت بها فى أرض دارين أرداني
 نسيم الصبا من نحو طيبة حيانى
 معاهد راحاتى وروحى وريحانى
 به صح لى أنسى الهنى وسلوانى
 اذا لاح برق من شمام وشهلا نى
 أحث بها شوقا لكم عزمى الوانى
 يزج بها فى نوركم عين انساني

ومن لى بأن يدنوا لقاكم تعطفوا
سقى عهدهم بالحيف عهد تمده
وأنعم فى شط العقيق أراكة
وحيا ربوعا بين مروة والصفاء
ربوعا بها تلو الملائكة العلاء
وأول أرض باكرت عرصاتها
وعرس فيها للنسوة موكب
وأدى بها الروح الأمين رسالة
هنا لك فض ختمها أشرف الورى
محمد خير العالمين بأسرها
ومن بشرت بالبعث من قبل كونه
وحكمة هذا الكون لولاه ما سمت
ولا زخرفت من جنة الخلد أربع
ولا طلعت شمس الهدى غب دجية
ولا لحقت بالمذنبين شفاعة
له معجزات أخرست كل جاحد
له انشق قرص البدرشقين وارتوى
وأنطقت الاوثان نطقا تبرأت
دعا سرحة عجما فلبت وأقبلت
وضاعت قصور الشام من نوره الذى
وقد بهج الانوا بدعوته التى
وأن كتاب الله أعظم آية
وعدى على شأو البليغ بيانه
نبي الهدى من أطلع الحق أنجما
بعزتها ذل الاكاسرة الالى
وأحرز للدين الحنيفى بالظبا

ودهرى غنى دائما عطفه ثانى
سوافح دمع من شؤونى هتان
بأفيائها ظل المتى والهوى دانى
تحية مشتاق لها الدهر حيران
أفانين وحى بين ذكر وقرآن
وطرزت البطحا سحائب ايمان
هو البحر طام فوق هضب وغيطان
أفادت بها البشرى مدائح عنوان
وفخر نزار من معد بن عدنان
وسيد أهل الارض الانس والجان
نوامس كهان وأخبار رهبان
سما ولا غاضت طوافح طوفان
تسبح فيها أدم حور وولدان
تجهم من ديجورها ليل كفران
يذود بها عنهم زباني نيران
وسلت على المرتاب صارم برهان
بماء همى من كفه كل ظمان
الى الله فيه من زخارف ميان
تجر ذبول الزهر ما بين أفنان
على كل أفق نازح القطر أودانى
كست أوجه الغبراء بهجة نيسان
بها افتضح المرتاب وابتأس الشانى
فهيات منه سجع قس وسجبان
محا نورها اسداف أفك وبهتان
هم سلبوا تيجانها آل ساسان
نراث الملوك الصيد من عهد يونان

ونقع من سمر القنا السم قيصرا
وأضحت ربوع الكفر والشرك بلقعا
وأصبحت السمحا تروق نضارة
أيا خير أهل الأرض بيتا ومحتدا
فمن للقوافى أن تحيط بوصفكم
إليك بعثناها أمانى أجديت
أجرنى إذا أبدى الحساب جرائمى
فانت الذى لو لا وسائل عزه
عليك سلام الله ما هبت الصبا
وحمل فى جيب الجنوب تحية
الى العمرين صاحبيك كليهما
وحى عليا عرفها وأريجها
إليك رسول الله صممت عزمة
وخاطبت منى القلب وهو مقلب
فيا ليت شعرى هل أزم قلائصى
وأطوى أديم الأرض نحوك راحلا
يراجحها فرط الحنين الى الحمى
وهل تمحون غنى خطايا اقترفتها
وما ذا عسى يثنى عنانى وان لى
إذا صد عن زوارك لباس والعنا
عمادى الذى أوطأ السماكين أخصى
متوج املاك الزمان وان سطا
وقارى أسود الغاب بالصيد مثلها
هز بر اذا زار البلاد زئيره
وان اطلعت غيم القيام جيوشه
صبين على أرض العداة صواعقا

فجرعه منه مجاجة نعبان
يناغى الصدا فهن هاتف شيطان
ووجه الهدى بادى الصباحة للرائى
وأكرم كل الخلق عجم وعربان
ولو سجلت سبقا مدائح حسان
لتسقى بمزن من أياديك هتان
وأثقلت الاوزار كفة ميزانى
لما فتحت أبواب غفو وغفران
وماست على كبنائها ملد قضبان
يفوح بمسراها شذا كل تربيان
وتلوها فى الفضل صهر كعثمان
ووالى على سبطيك أوفر رضوان
إذا أزمعت فالشحط والقرب سيان
على جمره الاشواق فيك فلبانى
إليك بدارا أو أقلقل كيرانى
نواجى المهارى فى صحاصح فيعان
إذا غرد الحادى بهن وغنانى
خطى لى فى تلك البقاع وأوطان
بالك جاها صهوة العز أمطانى
فجود ابنك المنصور أحمد أغنانى
وأوفى على السبع الطباق فادنانى
أحل سيوفنا فى معاهد تيجانى
إذا أضرب الخطى من فوق جدران
تضائل فى اخياسها أسد خفان
وارزم فى مركومه رعد نيران
أسلن عليهم بحر خسف ورجفان

كاتب لو يعلون رضوى نصدعت
 عديد الحصا من كل أروع معلم
 اذا جن ليل الحرب عنهم طلى العدا
 من البلاء جر عن العدا غصص الردى
 وفتحن أقطار البلاد فأصبحت
 امام البرايا من على نجاره
 دعائم ايمان وأركان سؤدد
 هم العلويون الذين وجوههم
 وهم آل بيت شيد الله ملكه
 وفيهم أتى الذكر الحكيم وصرحت
 فروع ابن عم المصطفى ووصيه
 ودوحة مجد معشب الروض بالعلا
 بمجدهم الاعلى الصريح تشرفت
 أولئك فخرى ان فخرت على الورى
 اذا اقتسم المداح فضل فخارهم
 امام له فى جبهة الدهر ميسم
 سما فوق هامات النجوم بهمة
 وأطلع فى أفق المعالى خلافة
 اذا ما احتبى فوق الاسرة وارتدى
 توسمت لقمان الحجا وهو ناطق
 وان هزه حر الثناء تدفقت
 أيا ناظر الاسلام شم بارق المنا
 قضى الله فى عليك أن تملك الدنا
 وانك تطوى الارض غير مدافع

صفاء الجياد الجرد تعدو بعقبان
 وكل كمي بالردنى طعان
 هدتهم الى أوداجها شهب خرسان
 وغفرن فى وجه الثرى وجه بستان*
 تؤدى الحراج الجزل أملاك سودان
 ومن عرة سادوا الورى آل زيدان
 ذووهم قد عرست فوق كيوان
 بدور اذا ما احلولكت شهب أزمان
 على هضبة العلاء ثابت أركان
 بفضلهم آيات ذكر وقرآن
 فناهيك من فخرين قريبي وقربان
 يجاد بأمواء الرسالة ريان
 معد على العرباء عاد وقحطان
 ونافس بيتى فى الولا بيت سلمان
 فقسمى بالمنصور ظاهر رجحان
 ومن عزه فى مفرق الملك تاجان
 يحوم بها فوق السموات نسران
 عليها وشاح من علاه وسمطان
 على كبرياء الملك نخوة سلطان
 وشاهدت كسرى العدل فى صدر ايوان
 أنامله عرفا تدفق خلجان
 وباكر لروض فى ذرا المجد فينان
 وتفتحها ما بين سوس وسودان
 فمن أرض سودان الى أرض بغدادان

* المراد به مبيستيان ملك البرتقال لكنه عربه فقال بستان

وتملاها عدلا يرف لواءه
فكم هنأت أرض العراق بك العلا
فلو شارفت شرف البلاد سيوفكم
ولو نشر الاملاك دهرك أصبحت
وشايك السفاح يقتاد طائعا
فما المجد الا ما رفعت سماكه
وهاتيك أبكار القوافي جلوتها
أتك أمير المؤمنين كأنها
تعاظم حسنا أن يقال شبيها
فلا زلت للدنيا تحوط جهاتها
ولا زلت بالنصر العزيز مؤزرا

انتهت القصيدة الفريدة .

قال في نفح الطيب : « أخبرني ناظمها أنه أراد بقوله : « ونافس بيتي
في الولا بيت سلمان » قبيلة سلمان التي منها لسان الدين ابن الخطيب ، اشارة
الى ولاء الكتابة للخلافة كما كان لسان الدين رحمه الله ، وفيه مع ذلك تورية
بسلمان الفارسي رضى الله عنه » انتهى .

وهذه القصيدة على طولها من غرر القصائد ولذا لم يذكر في المنتقى
من الامداح المنصورية غيرها ، وقد أثنى عليها في « نفح الطيب » جدا ،
وتبع ما قيل في هذا الاحتفال ، واقامة المولد العديم المثال ، من الامداح
يفضي الى الطول وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق .

ذكر سيرة المنصور في ترتيب جيوشه وحالات أسفاره



قال الفشتالي : « كانت السيرة على عهد أبي عبد الله المهدي وولده الغالب بالله وابنه المتوكل سيرة العرب في الجيش والمأكل والملبس وغير ذلك ، ولما ولي المعتصم حمل الناس على السيرة العجمية وجنح اليها في سائر شؤونها لما رأى منها في بلاد الترك حيث كان بها ، فكره الناس ذلك وأنفوا منه وقفوا مع العوائد . فلما جاء الله بالمنصور ألف بين سيرتي العرب والعجم ، واصطفى من العجم موالى رباهم بنعمته وأشملهم درور احسانه ، منهم : مصطفى باي ، ومعناه بلغة الترك : قائد القواد ، ويختص به قائد الاصباحية ؛ وكان يرسم حراسة الباب العالي . ومنهم الباشا محمود وهو صاحب خزائن الدار بيده مفاتيح بيوت الاموال . ومنهم القائد علوج قائد جيش العلوج ؛ والباشا جوذر فاتح السودان وهو قائد جيش الاندلس . وكان لاهل الاندلس جيش عظيم رماة وعمار قائد جيش السوس فهؤلاء اكابر العلوج . وتليهم طائفة أخرى منها بختيار ، وبغا . ثم ان جيش العجم من الاتراك والعلوج قسمه الى اقسام ؛ منها البياك : وهم اهل القلانص الصفرية المذهبة ذوات الاعراف من ريش النعام الملون يقفون سماطين أمام قبتة أو فسطاطه . والسلاق : اهل القلانص الطويلة البيض المرسله على المناكب ويناط بها من أعلى الجباه جعاب صفر مذهبية ويضيفون اليها وقت الحزام أجنحة طوالا يؤلفونها أيضا من ريش النعام الباقي على أصل خلقته ويركرونها في الجعاب المنوطة بالقلانص من أعلى الجباه ويرسلونها الى وراء ويقف هؤلاء خلف البياك . وبلبلدروش . وهم اهل اللقايف وهي رماح قصيرة غليظة العصي معشاة بالحديد ومرصعة بالمسامير البيض ركبت عليها أسنة عظام وزجاج هائلة ينبت من ريشتي كل سنان منها اضلاع مستقيمة ، ويقف هؤلاء خلف السلاق . والشنشرية . وهم اهل الطعام وضعا ورفعا لا غير وقائدهم بختيار من سبي وادي المخازن . والقبيجية : وهم اهل حفظ الابواب وغلقها وفتحها

وقائدهم مؤلود المشاوري ، وطائفة من هؤلاء تحرس ليلا وتطوف على مساييف السور المحيط بالدار ، ومن وظيفة هؤلاء خدمة الكرسي والسرير اللذين يجلس عليهما السلطان بالايوان وتعاهد انماط الجلوس وكسها . والشواش : وهم الذين يتولون ضبط الجيوش في المصاف في حرب أو سلم وانهاء الكتب والرسائل للجهات بخير أو شر .

قال الفشتالي : « وهذا مما زادت به دولته على سائر الدول ، فاذا خرج في يوم عيد أو ملاقة أو تهنئة خرجوا متزينين وكل قائد يقف عند مبدا انبعاث جبل جيشه تحت ألوية محفوفة بجيش من رؤساء جنده أهل الخيل وهم الذين يدعون عندهم : بالكباشات ، فاصلا بذلك بين جيشه وجيش من يردفه خلفه ، وهكذا يمتد الى انبعاث الجيش من تلقاء أمير المؤمنين ، وكل يعرف مركزه ورتبه لا يتعداه الى غيره بتقدم أو تأخر ولا يجد السبيل الى ذلك لو أراد » .

قال الفشتالي : « والترتيب الذي جرى به العمل في عساكر انار أن يتقدم أولا جيش السوس ثم يردفه جيش شراكة وكل منهما ينقسم حبلين ، ثم يردفهما العسكران العظيمان عسكر الموالى من المعلوجى ومن انضاف اليهم وعسكر الاندلس ومن لبس جلدتهم ودخل في زمريتهم ، وهذان يسيران صفيين متساويين لاستواء مرتبتهما ، وعند العطاء تارة يتقدم هؤلاء وتارة هؤلاء ، غير ان الموالى يكونون في الميمنة لمزية الولاء ، وكلاهما يحظى بموالة ركاب السلطان ، ويتقدم قائدهما محمود قائد الموالى ، وجؤذر قائد الاندلس ، وترفع على رأس كل منهما الرايات ويحفه عسكر من بلكباشات . ثم يتصل بهذين العسكرين الدخلة العظيمة المؤلفة من البياك والسلاق وبلدروش ففسير الفرق الثلاث أمام المنصور صفوفا متساوية ، فأما البياك فيلون ركابه يحفون به يمينا وشمالا ويرفع البعض رماحه اليزنية المنصوبة أمامه ، ومنهم صاحب المظل المرفوع على رأسه كالغمامة يحمله حالة ركوبه أقربهم درجة لقائدهم ابرويز ، واذا مشى المنصور الى جامع المنصور من جهة قبور الاشراف أو لشمشهى وهو الروض المتصل بقصر البديع على رجليه حمله ابرويز بنفسه ، ثم يسير

عن يمينهم وشمالهم السلاق ، ويسير عن يمين هؤلاء وشمالهم بلبدروش أهل اللقايف ، وتكيف من الجميع صورة تزرع الرعب في القلوب ، وتسير الجنائب فيما بين سماطى هذه الدخلة مجنوبة صفا صفا الى ألوية عساكر النار ومنبعث جنابها الممدودة يقودها صنف يدعون السراجة ركبانا ، وكانت جنائب الخلفاء يقودها الرجل من الوزعة وهذا أكمل مزية ؛ وجيش الاصباحية الذى الى نظر ييلاربى ينقسم كيتين عظيمتين تسير احدهما ذات اليمين والاخرى ذات الشمال أمام الموكب الذى يرفع اللواء العظيم الابيض المدعو باللواء المنصور ، علامة على شعار الدولة على رأس المنصور يسامته من خلفه ؛ وهناك ألوية كثيرة ذات ألوان مختلفة . وأمامه الطبل العظيم الذى يسمع دويه من مسافة بعيدة ؛ ومن خلفه الطبول الاخر معها الغيطات - واحدها غيطة - يتولى النفخ فيها قوم من العجم أساتيد يتعلمونها فينفخون فيها فتنبعث منها أصوات وتلاحين لا تحرك الطباع ولا تبعثها على شيء دون الحرب ، فانها تشجع الجبان وتقوى جأش الخائف ، حكمة فيلسوفية ؛ وهناك مزامر آخر وجعاب طوال صفرية على مقدار النفير تسمى الطرباط مما أحدثه أيضا في دولته وزادت به دولته فخامة وضخامة ؛ ثم يردف هذه الألوية والآلات من خلف أمير المؤمنين موكبه العظيم . فهذا ترتيب جيش المنصور انتهى باختصار من كتاب « مناهل الصفا » ، وليس اتخاذ المظل مما أحدثته الدولة السعدية كما زعم بعضهم ، بل كان ذلك موجودا في الدول القديمة شرقا وغربا .

قال اليفرنى : « وما ذكره الامام الفشتالى من توافر أجناد المنصور وتكاثر جيوشه هو كذلك ، وقد أولعت العامة في ذلك بأخبار واهية ، وزعموا ان المنصور خرج مرة الى الرميلة بظاهر مراكش ولم تعلم اصحابه بخروجه ، فحين علموا بخروجه تبعوه خفافا وثقلا فامر بعد ما معه هناك من الجيش فوجد ثمانين ألفا ، فقال : « ياسبحان الله ، قد خاطرنا بأنفسنا حيث ركبنا في هذا العدد » يستقله ؛ ولا يخفى ما فى هذا الكلام من الافراط ، والذى ذكره الشيخ أبو العباس أحمد أبقاى الاندلسى فى كتابه المسمى بـ « رحلة الشباب الى لقاء الاحباب » ما معناه قال : ان جزيرة الاندلس التى استردادها

من أيدي الكفار سهل واسترجاعها منهم قريب لما دخلت مراکش في أيام المنصور وجدت عنده من الخيل نحو من ستة وعشرين ألفا ، فلو تحركت همته لفتحها لاستولى عليها في الحين اه بالمعنى « اه كلام اليفرنى .

وأما بيان حالة المنصور في السفر فقد قال شارح « زهرة السماريخ » : « ان المنصور كان قليل الاسفار ، وانما سافر الى فاس مرتين لا غير ، وانما كان متفرغا لذاته واستيفاء شهواته مدة خلافته . قال اليفرنى : « وبه يعلم أن ما شاع على اللسان من أنه كان يمكث بفاس ستة أشهر وبمراكش مثلها ليس بصحيح والله أعلم . »

وكان المنصور اذا سافر استعد غاية الاستعداد وأحسن في التهيئة ما شاء . قال صاحب الفحة المسكية : « كان له قصر من عود مسمر بمسامير ومخاطيف وحلق وصفائح مفضضة على هيئة عظيمة ، وقد احرق بذلك كله سراق كالسور من نسيج الكتان كأنه حديقة بستان ، وزخرفة بستان ، وفي داخل القصر المذكور القباب الملونة بيضا وسودا وحمرا وخضرا كأنها أزاهير الرياض قد نقش ذلك أحسن النقش وملئ بأبهى الفرش ، ونسراق الذى هو كالسور أبواب كأنها أبواب القصور المشيدة يدخل منها الى دهاليز وتعاريج ثم ينتهى منها الى القصر الذى فيه القباب وهذا القصر كأنه مدينة تتقل بانتقاله وهو من الابهات الملوكية التى لم يوجد مثلها عند الملوك الماضين « اه .

ومما يتعلق به ما حكاه أبو فارس الفشتالى فى المناهل قال : « خرج المنصور يوم الاثنين عاشر شعبان سنة اثنيتين وتسعين وتسعمائة لزيارة أضرحة الصالحين بأغمات » ، قال : « فأخرت وراءه فلحقنى المولى عبد الواحد بن أحمد الشريف وأنا فى أخريات الناس فأئشده :
أبا فارس بان الخليط وودعوا ،

فقلت : ولولا وحسن الصبر منى شعوا

فقال :

وغرد حادى البين واشقت العضا وكاد فؤادى للنوى يتقطع

فقلت :

الى الله أشكو فرقة منهم وقد تجرعت من كأس النوى ما تجرعوا
ثم زدت :

لئن شرد السلوان غنى بعدهم ففي صحبة المنصور أنسى أجمع
ثم قال :

تدور عليه هالة لقبابه ومركزها قصر الخلافة يلمع
فقلت :

سياج به بحر الندى متموج ومن أفاقه شمس الامامة تطالع
وكان المنصور خرج لزيارة أغمات في شارة حسنة ، فلما بلغ أغمات
مكث فيه يومين وفي الثالث نهض الى زيارة الامام أبى عبد الله الهزميرى ،
وعاج على ضريح الشيخ سيدى عبد الجليل ووقف عند الجبانة الكبرى فدعا
ما تيسر وفرق أموالا على ذوى الحاجات على يد القاضى الشاطبى ، والفقيه
الامين ابى الحسن على بن سليمان الثاملى ، وكان معه الفقيه القاضى أبو مالك
عبد الواحد بن أحمد الحميدى كان قد استقدمه من فاس برسم القراءة معه ؛
وكان الحميدى لودعيا خفيف الروح ، وفي هذه السفارة صدرت منه الايات
التي تبارى في معارضتها شعراء الدولة ، وقد ذكرها في النزهة فلتنظر هنالك ،
ومما يتعلق بأخبار الحميدى المذكور : أن المنصور سافر مرة الى
تارودانت ومعه جماعة من الاعيان كالقاضى الحميدى وأبى العباس المنجور
وغيرهما ، فخيم المنصور بباب تارودانت وضرب الناس أخيتهم ، فمر رجل
عليه أظمار بالية وهيئة رثة ، ويقال ان هذا الرجل هو أبو عثمان الهلالى
الرودانى ، فوطىء على طنب من أطناب خباء القاضى الحميدى فصاح القاضى
« من هذه البقرة التي قوضت على خيمتى ؟ » متهمكا بالرجل ! فالتقى اليه الرجل
فرطاسا فيه أبيات وقال : « البقرة من لا يجيب عن هذه » ونص الايات :
الى بابك العالى مسائل ترتقى تظن لهن يا حميدى واصدق
فما الحكم فى الاوزاغ هل ساغ أكلها وما الحكم فى موتى المجانين فانطق
وهل جاز للمسبوق بعد تشهد دعاء اذا ما رام اكمال ما بقى

وما وزن ليس يا أديب وأصله
وما وزنه شمر ولاتن واثنا
وبين لنا (من) في أعوذ برنا
وما جمع قلة لصاع فحقق
بجمع سواء والمقيد أطلق
من ابليس والتخمين في الكل فاتق
فبدا للحميدى ما لم يكن يحسب وتوقف عن الجواب ، فرفعت القضية
الى المنصور فاستغريها وقال : « هذا رجل من أهل البادية فضح قاضى قضاة
الخواضر » وأمر المنجور فأجاب عنها ، يقال بعد أربع سنين وبعد موت
السائل ، ونص الجواب :

جوابك فى الاولى اباحة أكلها
كذا ابن حبيب فى الحشاش أباحه
وقد قيل فى الاوزاغ يحرم أكلها
ومستقدر يحكى المخالف منعه
ورجح ما يحكى المخالف بعض من
وميت مجنون جرى خلف حكمه
وتحقيقها ان الجنون الذى طرا
فأؤنة بعد البلوغ طروه
وأؤنة اثر الصلاح وقوعه
وحينا يدوم للممات وتارة
ويندب للمسبوق دعوى تشهد
وليس له فعل كقال وأصله
وجمعك صاعا فى القليل بأصوع
وان شئت فقله فيرجع أصعا
وصاع كعام عينه فرع ضمة
وجمع سواء فالذى منه جامد
ومشتقه وزن الخطايا قياسه
ومقصد (من) فى العوذ بدء لغاية
بمذهبا فاجزم بذلك وصدق
لمحتاجه مثل العقارب فاسبق
وذلك فى الكافى ليوסף فاتق
وأكره التبيه فافهم ودقق
له العزو للتحقيق لا للتشدد
بعلم كلام لا تكن غير متق
يصير كموت فصل الحق يعبق
وحينا يرى قبل البلوغ فطبق
وحينا بعصيان الكيرة يلتقى
يفيق فخذ حكم الجميع ووثق
وفاق امام فى المناجاة فارتق
بكسر لاء فاكسر العين ترتق
وأصوع بهمز الواو فانهج ونمق
لضابط تصريف فللعلم شوق
وتحريكه فتح فزنه وحقق
بأسوية علم يقاس ففرق
سواسية ثقل فالحق فانطق
فابليس مبدأ العوذ عند الموفق

انتقاض ولى العهد محمد الشيخ المأمون على أبيه المنصور وما آل اليه أمر لا فى ذلك



كان المأمون كما تقدم ولى عهد أبيه المنصور ، وكان خليفته على فاس وأعمالها سائر مدة أبيه ، وكان للمنصور اعتناء تام به واهتمام بشأنه حتى قيل ان المنصور كان لا يختم على صندوق من صناديق المال الا قال : « جعل الله فتحه على يد الشيخ » رجاء ان يقوم بالأمر بعده ، فلم يساعد القدر وخرج الأمر كما قال القائل :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن
فأساء المأمون السيرة وأضر بالرعية .

قال اليفرنى : « وكان فسيقا خبيث الطوية ، مولعا بالعبث بالصبيان ، مدمنا للخمر سفاكا للدماء ؛ غير مكترث بأمور الدين من الصلاة وشرائطها . ولما ظهر فساد وبن للناس عواره ، نهى وزير أبيه القائد أبو اسحق (*) ابراهيم السفينى عن سوء فعله فلم ينته واستمر على قبج سيرته ، فأعاد عليه اللوم فليج فى مذهبه ؛ ولما أكثر عليه من التقرير سقاء السم فكان فيه حتف القائد المذكور . ومما انكر عليه انه قبض على كاتب أبيه أبى عبد الله محمد بن أحمد ابن عيسى وهو مؤلف كتاب : « الممدود والمقصود من سنا السلطان المنصور » ووظف عليه أموالا وابتززه ذخائره حتى كان مما أخذ منه ثمانون حسكة مذهبة ومائة تخت من الملف المختلف الانوان . فلما كثرت قبائحه وترددت الشكايات لايه كتب اليه لينكف عن غيه وينزجر عن خبئه ، فما زاده التحذير الا اغراء ؛ فلما رأى المنصور انه لم يكثر بأمره ولم ينزجر عن قبائحه عزم على التوجه الى فاس بقصد أن يمكر به ويؤديه بما يكون رادعا له ، فسمع الشيخ بذلك فجمع عساكره وهيا جنده ودفع المرتب لاصحابه ، وكان عدد

(*) بل ابو سالم كما فى الدرّة

جيشه فيما قيل اثنين وعشرين ألفا كلهم بكساوى الملف والحرير على أحسن سارة وأكمل زى ، وعزم انه ان بلغه خروج ابيه من مراکش أن يتوجه في أصحابه الى تلمسان ويستجير بالترك ؛ فلما بلغ المنصور ما عزم عليه الشيخ من الذهاب الى تلمسان تخلف عن الخروج من مراکش ، وكب الى الشيخ يلاطفه ويأمره أن لا يفعل ، وولاه سجلماسة ودرعة وتخلي له عن خراجهما ، وقال له : « قد سوغتكم ولا أطالبك فيه » ومراده بذلك أن تسكن نفرتيه ويرجع اليه عقله ؛ فأظهر الشيخ امتثال الامر وخرج يؤم سجلماسة ، فما انفصل عن فاس بشيء يسير حتى ندم ورجع اليها ، وعاد لما كان عاكفا عليه ؛ فبعث اليه المنصور أعيان مراکش وعلمائها فنصحوه ووعظوه وخوفوه سخط والده وحذروه عاقبة العقوق ، ولم يألوا جهدا في نصحه ، فوجدوه مشغول القلب عن نصيحتهم ، مغموور الذهن بخلاف قولهم ، الا أنه أظهر الرجوع عما كان عازما عليه من الفرار عن أبيه ، وأقصر في الظاهر عن بعض تلك المساوى . فرجع الوفد الى المنصور وقالوا له : « انه قد تاب وحسنت حاله واطمأنت نفسه وانه واقف عند الامر والنهى » ؛ فلم يطمئن المنصور لقولهم وقال لهم : « لعل هذا اطفاء لنار الشحنة وكذب لاصلاح الباطن » وصمم على المكر بالشيخ ، فكتب اليه كتابا طويلا يلومه فيه على بعض الاشياء وفي ضمن ذلك تسكين خاطره حتى يبعثه على حين غفلة ، ونص الكتاب :

« من عبد الله تعالى المجاهد في سبيله الامام المنصور بالله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسنى أيد الله أوامره وظفر عساكره ، الى ولدنا وولى عهدنا الامير الاجل الافضل الاكمل الاعز بابا الشيخ وصل الله كمالكم وسنى من خير الدارين آمالكم وسلام عليكم ورحمة الله ؛ أما بعد ، فكتابنا هذا اليكم من حضرة مراکش حاطها الله ولا جديد الا ما عوده مولانا من الخير لله الحمد وله المنة . هذا ، والذي أوجبه أسعدكم الله وكلاكم انه بلغنا انكم قد استخدمتم هناك جماعة من أولاد طلحة كأولاد أخى على بن محمد وأخى على بن ملوك وغير هؤلاء وأنك قد فرضت لهم في اعطياتهم نحو خمسة آلاف ، والى هذا اى مصلحة ظهرت لك في

استخدام هؤلاء القوم حتى تتحمل كلفة فرض هذه الفروض ، بل ما فى ذلك الا الفساد البين لان هذا الذى تعرضتم له لا يفى به المغرب ولا يقوم معه بكم شىء ، ومسئلة هؤلاء أولاد طلحة ان كنت رأيت استخدامنا وأردت تقليدنا فى ذلك واقفاء سيرتنا فيه فاعلم ان بيننا وبينكم فى هذه المسئلة فرقا من وجوه ، منها : ان مراكش ليست كفاس ، وان خدمتهم هنا لبعدهم عن بلادهم ليست كخدمتهم هناك ، وأيضا هؤلاء الناس أنا أعرفهم وكنت فى بلادهم ، وهذه الخدمة كانوا قد طلبوها منى وأنا هناك فوعدتهم اذ لا يمكننى وأنا ببلادهم الا مساعتهم ، فلما جاءوا اليوم وطلبونا بالوعد لم يمكن الا الوفاء لهم به فعليه شرطنا عليهم مراكش وسكانها وعلى هذا الشرط استخدامهم ومع هذه الوجوه كلها والاعتبارات فقد ندمت والله على استخدامهم غاية الندامة ، وكنت فى ذلك على خطأ اذ كان الاولى ان كنا حاسناهم وتركناهم من الخدمة . وأما أنت ففى مندوحة عن هذا كله لانه لا وعد لك سابق حتى يلزمك الوفاء به ، ويمكنك أن تحيلهم على اذننا ومشورتنا فنكفهم عنك بالشرط الذى شرطنا عليهم من الخدمة هنا بمراكش وسكانها . وعلى هذا الشرط استخدامنا منهم من استخدامنا ، والى هذا فالذى نؤكد به عليك أن تقتصهم من الخدمة ولا تستخدم منهم حتى فارسا واحدا أصلا من الذين ذكرنا لك ومن غيرهم من كافة أولاد طلحة ، وأمرناك أن تتصل لهم فينا وتقول لهم : ان السلطان معنى من استخدامكم هنا وتقرأ عليهم كتابنا الواصل اليكم صحة هذا لتفادى منهم ، ولكن الجفاء مع هذا كله لا تظهره ، بل تحسن اللقاء بهم وتواليهم باظهار البشر والقبول وباب الطمع تسده دونهم .

والذى شق علينا أعظم من هذا كله واستكرناه ولم نجد صبرا عليه هو ما وجدناهم قد أطلعوا عليه ، اعنى أولاد طلحة على بن محمد وغيره ، من أحوالكم وأخباركم وألفيناهم قد توصلوا من ذلك الى ما لم يتوصل اليه أحد من كبار خدامكم أهل بلادنا وخواص أهل بساتنا ، لان أهل بلادنا أحباء ما لهم بحث الا فى مصالح أنفسهم ، هؤلاء انما ينتقدون ويبحثون عن الغرة وعورات المملكة . فاذا بكم تتخذونهم بطانة وأصدقاء وتطالعونهم

بأحوالكم وأموركم مع ان القوم لا زالوا ببلاد العدو وبين أظهرهم وما يطلعون عليه تحتاج تقطع وتجزم بأن الترك قد اطلعوا عليه حتى كأنهم شاهدوه ووقفوا بأنفسهم عليه . وأيضا لو كانوا أصدقاء ولا يريدون بنا الا خيرا فالقوم عرب لذ يتحفظون على ما يطلعون عليه ولا يفهمون ما يحسن اخفاؤه ولا ابدائه ولا يتمالكون قولاً ولا نطقاً ؛ وبالجمله ، فقد أحرقتنا هذه المسئلة وتفطرت لها أكبادنا ، وصارت قلوبنا منها مطعونة وما عندكم علم بأن الناس كانوا يتحفظون في أقل الامور أن يطلع عليها الاجانب وان كانوا أحب من كل محب وأقرب من كل قريب . وهل ما عندكم علم بأن أخانا بابا منصور كان عرض له غرض ضعيف جدا أراد أن يطلبه من أخينا بابا عبد الله وحضر في المجلس منصور بن المزوار فلم يرد بابا منصور لفطنته أن يذكر ذلك حتى يشاور من بازائه لئلا يكون عيب في ذكر ذلك بمحضره ، فعليه شاور القائد دحو بن فرج - كان بازائه - فقال له : « هذا رجل يراني فلا تطلب شيأ قدامه » على أن منصور بن المزوار هذا كان مع أسلافنا من أقرب ما اليهم من خواص الخدام أهل بساطنا محبة وقربا لانه أسلف معهم خدمة عظيمة ، فقد كان عدوا للترك وبينه وبينهم أرواح ، وحضر مع أخينا بابا دحو الحران جميع ما كان في تلك البلاد أيام استيلائه على المغرب الاوسط ، ثم مع بابا عبد القادر كذلك ، وشرب معهم الحلوة والمرة . ولما جاء من تلمسان جاء بأولاده منها راحلا كما جاء منها بابا عبد الله بأولاده ، وكما جاء معهم خدامنا أهل تلك البلاد ؛ وما زال على الخدمة والوفاء حتى حصلت له يد عظيمة مع أسلافنا وناهيك بمن بلغ الى ان قلده حاضرة تازا ثم ببلاد الفحص التي لا تعطى كلتاهما الا لأقرب الخدام الموثوق بمحبتهم وخدمتهم وقربهم ، ومع بلوغه الى هذا المبلغ كله محبة وصداقة وهجرة وانقطاعا حتى انه في دخول صالح رئيس مدينة فاس رحل بأولاده مع السلطان الى هنا كما فعل أهل هذه البلاد ، وحين دخلنا نحن من جهة الشرق لفاس رحلوا أيضا مع صاحب الجبل الى مراکش ، ولا يعدوا أنفسهم من هذا الجانب ابدا في الحديث والقديم ؛ ثم ان الناس استبعدوا أن يطلبوا أقل المسائل بمحضره ، وقالوا انه يراني فضلا عن هؤلاء

الذين ما زالوا الى اليوم في بلاد العدو يباكرونه ويرأحونه فإذا بكم تنزلون معهم الى ان تطالعوهم على اموركم . يتوصلوا الى المعرفة بأحوالكم فما تمالكنا لهذه المسئلة ولا وجدنا عليها صبورا . ومن جملة الامور التي غاظتنا وقلنا كيف يتوصل الرجل البراني الى أمثال هذه الامور أن على بن محمد كان يتكلم يوما معنا وأخذ يشي عليكم في نجدتكم وصبركم عند الشدة وسخائكم عند الحاجة ، ثم قال : «الا أن الحيل ليست عنده لا في الحركة الاولى ولا في الثانية لان القبائل أهل الحيل امتنعوا من الحركة معه ، وهى التي غاظتني وقلت : كيف يتوصل الرجل البراني الى أمثال هذه الامور حتى اتنا ما وجدنا الا الرد عليه وعكس ما عرفنا انهم اعتقدوه وقلنا اللهم نسبة التقصير اليكم ولا اعتقادهم بخلو البلاد من الحيل لاتنا فهمنا منهم ذلك ، ولهذا أجبتهم وقلت له : ان ولدنا لم يعطهم شيئا وأعطى من لا يستحق من ضعفاء القواد المعروفين بأكل المال وعدم المخزنية ، ولو أعطى تلك القبائل لحشرها عليه لان أولاد مطاع عندهم من الحيل نحو الثلاثة آلاف ، وعند أولاد أبى عزيز نحو ألف ونصف ، وعند الغربية وعند اولاد عمران وعند عبدة وعند الشياظمة وعند أولاد أبى رأس وعند أحرر وعند المنابهة أهل سايس وعند المنابهة أصحاب عمر بن محمد عبو ، وجعلت اعدد له قبائل السوس وقبائل مراکش وأحصى له خيلهم بما بهته ، وقلت له : لو أنصفهم لحرك منهم معه ستة عشر ألفا أو أكثر ، ويكون قد ملا بهم تلك البلاد ، وسال عليها من سيل العرم لا في الحركة الاولى ولا في الثانية ، ولو وجه اليهم المحركين والرماة لاثنوه أيضا بلا خلاص . والى هذا نوصيكم على المحافظة من أولئك الناس ومن رفع الحجاب لهم عن أموركم والاطلاع على أحوالكم وعدم الغفلة عن أمثال هذا . واعلم أن من جملة ما بلغنا أيضا ان الخلط رجعوا كلهم رماة على يد مصطفى باشا مع حديث عهدهم بالفساد والخلاف ، وكنا انتشينا معهم بالعودات فإذا بهم اليوم بالمدافع وعدة النار ؟ وهل هذا مما يجوز عليكم حتى تسمحوا فيه مع ان هذه المسائل ليست بغائبة عنكم سمعتموها بالسماع فقط ولا طويلة عهد حتى تنساها ، بالامس شاهدت وباشرت ورأيت فما الذى أنساك فعلهم وما

زال جرحهم الآن لم يبرأ ، لان خروج القائد مؤمن الخارج الآن ما كان الا اليهم . والآن نؤكد عليك أن تنقصهم من الخدمة ولا تسمع لمصطفى في هذه المسئلة ؛ وقد سمعنا أيضا أن قواد الفساد الذين عندكم من أولاد حسين قد صارت جلتهم من باب الخميس الى دار الديبيغ ، وكأنكم نسيتم أيضا ما عمل أولاد حسين بالامس دون بعد من النهب وأضرموا من الفساد في البلاد حتى ينزلوا تلك المنازل ؛ والى هذا فساعة وصوله اليكم تقبض على قواد الفساد هؤلاء خصوصا : أحمد بن عبد الحق من أولاد يحيى بن غانم الذى كان أبوه حاجبا عند المرينى فهو أصل الفساد ، ثم لا تترك لقبائلهم جناحا واحدا . وزد للقائد مؤمن بن ملوك ألف رام ليستوفى لكم الغرض فى هؤلاء وأمثالهم من كل ما تأمره به ، لان بقاء الرماة هنا لك ما فيه الا الاستغلال بالفساد فى المدينة فتحتاج أن تتولاهم بالقتل كل يوم باطلا فكان خروجهم اذذاك دفعا لمضرتهم وجلبا للمصالح بهم ؛ وحتى الكاتب اللائق بأمثالكم ورسائلكم لم يكن عندكم لان كتبكم تأتى بخط سالم وهو غير عارف بالانشاء وتارة بخط الكربنى وهو جاهل ، مع انك لما كنت خليفة وولى عهدنا كنت بصدد ان يكتب لك كل أحد لا صاحب الجزائر ولا صاحب تونس وحتى صاحب الترك وصاحب النصارى ، وكل من يكتب لنا من ملوك الارض بصدد أن يكتب لك فتحتاج حينئذ الى من يحسن الجواب عنك لكل من يكتب اليك ويكون أيضا ممن يوثق به فى المحافظة على أسراركم ، والى هذا فلا بد من تعيين نائب المحلة وحاجب وكاتب سرك وصاحب مشورك وصاحب المظالم كما هنا هو عندنا السيد على بن سليمان ، واعلم ان مما تحتاج ان تنبهك عليه مسئلة القواد الذين يريدون أن يحملوك أنقال أولادهم مثل ما فعلت فى أولاد القائد بركة (*) واخوتهم الذين استخدمتهم وجعلت لهم خمسمائة أوقية ، فنؤكد عليك أن لا تستخدم منهم أحدا فما أعطيناه سلا الا ليرفع فيها أولاده واخوته وكذلك الحكم فى أمثاله ممن أعطيناه عملا وقلدناه قيادة ومن جملة من نذكرك من استخدامهم فى الرماية اهل الجبال من أهل

(*) لعله الذى تنسب اليه عين بركة الداخل ماؤها لمدينة سلا .

الصحفة والدينار فلا تستخدموا منهم أحدا والا فاعلموا أنكم ما أردتم حينئذ ان يغرموا لكم ولا يعطوكم شيئا ، وان أردتم الخدمة فهاهم أهل هذه البلاد مثل أهل السوس وأهل درعة وأهل مراكش ، فكل ما تستخدمون من هؤلاء فلا عليكم ، وإذا لم يكن من هؤلاء وكان ولا بد من غيرهم فمن أهل فاس سكان الحاضرة ، وأما من عداهم فلا ؛ على ان الرماة أهل السوس هاهى هنا عندنا كثيرة ، فكل ما تريد منهم عرفنا نبعثهم اليك ونضيفهم الى خدمتك ، ونؤكد عليك أن تكتب بجواب هذه الامور كلها فصلا فصلا مع المملوك الحامل لهذا الكتاب ان شاء الله ولا بد ولا بد ، وهذا موجه اليكم ، والله يحرس بمنه علاكم والسلام . وفى مهل جمدى الاول من عام أحد عشر وألف ، اه .

ثم لم يلبث المنصور أن بعث الى ولده زيدان - وكان خليفته على تادلا - يأمره أن يرسل مائة من الفرسان على طريق تقبلات ، وكل من وجدوه قاصدا للغرب من ناحية مراكش يردونه ، وأرسل مولا مسعود الدورى على طريق سلا يفعل مثل ذلك ، وخرج المنصور من مراكش* فى اثنى عشر ألفا أوائل جمدى الاولى سنة احدى عشرة وألف ، وجد السير ، فلم يمض الا أيام قلائل حتى نزل بالدوح ، موضع قريب من فاس ، والشيخ فى جميع ذلك لا شعور له بخروج أبيه ولا بما هو عليه ؛ فبعث يوما عيونه يرصدون له من قدم من مراكش ، ويكشفون عن الخبر ، فما راعهم الا الاباطح تسيل بأعناق الجياد ، وأفواه الشعب تقذف بالجيوش من بطون الاودية والوهاد ، لانهم كانوا قد عميت عليهم الانباء بقطع المنصور للسابلة . فرجعوا الى الشيخ مسرعين ، والرعب يفت فى أعضادهم ويطفئ جذوة عزائمهم ، فقصوا عليه ما دهمهم وأخبروه بما رأوا ، فعلم أنه محاط به فلم يمكنه الا الفرار ؛ فركب من حينه وفر الى زاوية الشيخ الصالح أبى الشتاء من بلاد فشتالة قرب نهر ورغة . وكان الشيخ أبو الشتاء قد توفى قبل ذلك سنة سبع وتسعين وتسعمائة كما فى المرأة . فنزل بالزاوية ومعه بطانته وأصحاب دخلته من الاحداث

* بعد ان استخلف عليها ولده ابا فارس

وقرناء السوء ، فبلغ خبره المنصور فبعث اليه الباشا جوذرا مع القائد منصور النيلي ، وحلف لهما بأغلظ الايمان ان لم يأتياه به ليكرن بهما ويجعلهما عبرة ؛ فذهبا اليه فامتنع من الدخول في يدهما ، وانزل في أصحابه حتى ناوشوه القتال ، وتراموا بالنبال ، ثم قبضوا عليه وأتوا به الى المنصور في خبر طويل ، فأمر به الى مكناسة فسجن بها .

ودخل المنصور دار الملك من حضرة فاس الجديد وشكر الله على ما أولاه من الظفر والنصر من غير اراقة دم ، وتصدق في ذلك بأموال عظيمة ، وكتب بذلك الى ولده أبى فارس خليفته على مراکش يعلمه بما كيف الله له من الظفر والنصر ، ونص الكتاب .

« الى ولدنا الاجل الارضى : لاكمل الاسعد الاصعد الامجد الاسمى الاسنى بابا أبى فارس وصل الله كمالكم وسنى بمنه آمالكم وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ، فكتابنا هذا اليكم أسعدكم الله من محللتنا السعيدة بالمستقى ولا شئ الا ما جرت به الأقدار ، وحكم به الفاعل المختار ، وما جاء به من عجائب الدهر الليل والنهار ، وهى قضية أخيكم التى ثارت الى بها صروف الدهر من مكمنى ، وطلعت على من مأمنى ، الا ان الله تعالى يصنعه الجميل كفانا أولا ، ثم شفانا آخرا لله الحمد دائما والشكر واضبا ، وشرح ذلك أسعدكم الله ووفقاكم السوء ان الحال كان انتهى فى معالجة أمره الذى تجاوزنا فى وجوه الخير اليه حد الاستقصا ، وأتينا فى محاولة استصلاحه من أحوال السياسة المرجوة النجح بما لا يحصى ، الى ما كنا سوغناه من ولاية سجلماسة بخراجها وخراج درعة وأبينا له التوجه اليهما بجملته وجمعه ، رجاء أن تسكن بالانتباز اليهما نفرتة ، وتطمئن نفسه ويثوب اليه قلبه الطائر ، ويراجعه أنسه الحائر ، فظهر أولا التوجه اليهما ، ونهض مرتحلا عن فاس موريا بالقدوم عليهما ، ثم بدا له على الحين فكر راجعا الى فاس ، ورجونا أن يكون قد ذهب عنه النفار والشماس ، وثاب لنفسه السكون والاستئناس ، فاذا به قد انطوى برجوعه على خلاف ما أظهر ، فأبدى ما أضمر ، فما كان الا ان طرأ عليه خبر نزولنا بالدوح فلم يتمالك أن أفلح ليلة الخميس خامس

عشر شهر تاريخه اقلعاً أزعجه من الدار فريدا ، وطارت به النفرة الى أن حل يزأوية الشيخ ابي الشتاء وحيداً، فلاحق به من جيش رماته اليكشارية ومتفرقة سمسرة الفتن وطلائع الشؤم والمحن جمع عظيم ، وعدد من كثرته لا يريم ، فبادرت حينئذ بتجهيز جوذر باشا من غير اغفال في خمسمائة صباحية ومعه القائد مؤمن بن ملوك في خمسمائة فارس ، ثم أردفاه ببعوث أخر نألت اليه وتنازلت عليه تناهز الالفين ورماة بابا زيدان حفظه الله فأحدثت به من كل الجهات ، وملكوا عليه الفجاج والنيات ، ونحن مع ذلك خلال هذه الاحوال لم نهمل مقابلة نفرتة بالتسكين ، وما يخشن من أحواله بالتلين ، بارسال المرابطين تجاهه بمواثيق تهنية ، وعهود تؤنسه وتقرب أمانيه، رجاء أن يثوب اليه ثائب استبصار ، أو يخطر له خاطر اقلع عما هو عليه واقصار ، وقرناء السوء المتلاحقون به من جيشه يقدحون للشر نارا ، ويزينون له عقوقا ونفارا ، فدهمتهم حينئذ عساكرنا المظفرة بالله في مصافهم دونه ودارت بين الفريقين حرب عظيمة فخدمت النار من وقت الظهر الى العصر فأظهر الله تعالى فئة الحق على فئة الباطل ، وقضى بما جرى به القضاء المحتوم الحكم العادل ، وكبناه اليكم وقد حصل في القبضة كما سبق به القضاء والقدر، وجعل بمكان الاحتياط عليه من مكانسة فكانت مشيئة الله في ذلك من احدى العجائب والاعبر ، وعرفناكم أسعدكم الله لتستشعروا صنع الله في هذه الداهية التي فجئت بها الايام ودهمت ، والغاشية التي اعتكرت وادلهمت ، وتقدروا ما صنع الله في ذلك من حسن العاقبة حق قدره ، وتشكروه فهو الجدير بجميل حمد كل لسان وشكركه ، ونسأله تعالى أن يجعلكم في حيز الكفاية ، وجانب الوقاية حتى لا تساؤا بقريب مأمون ، ولا ببعيد مظنون ، وفي ليلة الثلاثاء الموفى عشرين من جمدى الاولى عام أحد عشر وألف « اه .

نم ان أم الشيخ واسمها الحيزران بعثت الى أعيان مراكش الذين قدموا مع المنصور ترغب اليهم في أن يشفعوا لولدها عند أبيه ويعتذروا عنه بما يزيل ما في باطنه عليه ، فقدموا الى المنصور وقالوا له : « ان الشيخ قد صلحت حاله ، وتاب مما كان عازما عليه ، وانه ندم على ما فرط منه »

فقال لهم : « اذهبوا الى مكناسة واختبروا أمره كافيا ، وانظروا هل رجع عن أباطيله ، وتنصل من أضاليله » : فلما أتوه وجدوه أخبت مما تركوه وعانوا منه من القبائح ما يقصر عن وصفه اللسان ، فلما جلسوا اليه في محبسه لم يسألهم الا عن اصحاب بطانته وقرناء السوء من اهل غيه ، ولم يظهر الاسف الا على تلك العصابة ورآهم أهل الاصابة .

وكان من الاعيان الذين وجههم المنصور أولا وآخرا أولاد الشيخ ابي عمرو القسطلی ، وأولاد الشيخ ابي محمد عبد الله بن ساسی ، وأولاد الشيخ أبي زكرياء يحيى بن بكار وغيرهم . فلما رجعوا الى المنصور من مكناسة سألهم عن الخبر فوافق بعضهم وقال : « وجدناه تائبا نادما على ما صدر منه » وتكلم بعض اولاد الشيخ ابن ساسی فقال : « لا والله لا داهنت في حق الله ولا واجهت الامير بالخذیعة ، ان ولدك لا نأذن لك أن تؤمره على اثنين ولا تحكمه على عيال الله فانا وجدناه خيث الطوية قبيح السريرة لم يندم على ما فرط منه » فسكت الحاضرون ولم يتكلم أحد ، فقال لهم المنصور : « افتوني في أمر هذا الولد ؟ » فلم يجبه أحد الا باشاء عبد العزيز بن سعيد الوزكيثي فانه قال له : « الرأي أن تقتله ، فانه لا ينجز أمره ولا يرجي صلاحه وقد رأيت ما صنع » فلم يعجب المنصور ذلك وقال : « كيف أقتل ولدي ؟ » ثم بعث الى مكناسة يأمر بالتضييق على الشيخ والزيادة عليه في ذلك . ثم خرج المنصور فنزل بمحلته في ظهر الزاوية قاصدا مراکش بعد ان استخلف ابنه زيدان على فاس وأعمالها ، وقد كان كتب الى ولده أبي فارس خليفته على مراکش برسالة أجابه فيها عما كتب به اليه في شأن الوباء الذي ظهر بالسوس ومراكش هل يفر منه أم لا ونصها :

« من عبد الله تعالى المجاهد في سبيله الامام الخليفة المنصور بالله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين الشريف الحسنی أيد الله بعزیز نصره وأوامره وظفر عساكره ، وأسعد بمنه موارد ومصادره ، الى ولدنا الاجل الافضل الاكمل الاعز الابر الاسعد الامجد الارضى بابا أبي فارس ، وصل الله تعالى عنايتكم ووالى بمنه رعايتكم وسلام عليكم ورحمة الله . اما بعد ، فكتابنا هذا

اليكم من حضرتنا العالية بالله المدينة البيضاء حاطها الله عن الخير والعافية ،
 ونعم الله المتوفية ، لله الحمد وله المنه ، وانه اتصل بعلى مقامنا كتابكم الاعز
 عشية يوم الثلاثاء فكتبنا اليكم صيحة يوم الاربعاء ، ولولا انه وصل يوم
 الديوان ما كنا نؤخر كتب الجواب لكم عن ساعة وصوله في اليوم بنفسه
 حرصا منا بذلك على المبادرة بوصوله اليكم في الحين ؛ والى هذا أسعدكم الله
 ان أول ما تبادرون به قبل كل شيء هو خروجكم اذا لاح لكم شيء من
 علامات الوباء ولو أقل القليل حتى بشخص واحد ، ويبقى في القصة وصيفا
 مسعود مع القائد محمد بن موسى بن أبي بكر ، وتركوا مائة رام تثقون بها
 من رمايتكم مع أصحاب السقيف وتكلمون على الله وتخرجون بالسلامة ، ثم
 لا تعملوا كعملنا في الاقتصار على الرميلة والتقلب بها ، بل لا تزيدوا اذا
 خرجتم على المقام أكثر من يومين ، ثم اطيوا المراحل الى ان تنزلوا بسلا
 وتدخلوها دخول هناء وعافية ان شاء الله ، وهناك يكون لقاءنا بكم لقاء يمن
 وسعادة ان شاء الله ، ثم لا تغفلوا عن استعمال الترياق اسعدكم الله فلازموه ،
 واذا استشعرتم منه حرارة وتخوفتموها فاستعملوا من الوزن الوصف
 المعروف منه ولا تهملوه . وأما ولدك حفظه الله فلما كان من سن الشبية
 بحيث يمنعه الحال من المداومة على الترياق فهأى الشربة المعروفة النافعة
 لذلك قد تركناها كثيرة هناك عند التونسي ، فيكون يستعملها هو والابناء
 الصغار المحفوظون بالله ، حتى اذا أحس ببرد المعدة من أجلها تعطوه الترياق
 المرة والمرتين على قدر الحاجة فيعود اليها والله تعالى بمنه وبحرمة صفوة
 خلقه خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم يتولى حمايتكم جميعا ويحكمكم من
 جميل كلاءته ورعايته حصنا منيعا ، وأن يعافى البلاد والعباد بمنه وفضله ؛
 والسلعة أسعدكم الله تبادرون بارسالها الينا ، وكذلك القائد مسعود النبلي
 تغزمون بارساله الى حيث أمرناه بالمقام من خق الوادى بالسوس وطريق
 تاحفليشت ؛ واعلم أسعدكم الله ما قط أرضانا أن أمرها يتم ، وقبل عقلنا
 الكريم ان أهل درن يتجرون بسببها ، ولكن هذا سبب يكون حجة عليهم
 ان شاء الله ، وأنتم تحاولون اسعدكم الله سلوك الناس على بوياون على العادة ،

وتجهدوا في أن تكون ان شاء الله سابلة ، وأولائكم أغنى أهل طريق تاحطيشت
يسكت عنهم حتى نصل بخير وعافية لتلكم البلاد ان شاء الله . ومسألة ايسى
التي كتبت لكم من خنق الوادى على الزرع وانه ما عندهم ما يكفيهم منه
سوى شهر فلقد كنا كتبنا لكم أسعدكم الله على حمل الزرع اليهم على البحر ،
فان كان قد تيسر ذلك فيكون قد بلغ اليهم وان لم يكن ذلك قد تيسر فلتأمر
ايسى هذا بالتدبير على الزرع ولو بالشراء والزموه عهده وشددوا عليه في
أمره ، وخالنا القائد حو بن محمد الذى استأذنكم في الخروج عن ذلكم المرض
من المحمدية(*) فإذا تفاحش فلا عليه في الخروج وبلتحق بأهل تلك المحلة
بخنق الوادى ويترك في القصبة أهل الاندلس مع قائدهم . ومسألة مؤمن بن
منصور مع هكسيمة التي ذكرتم أسعدكم الله ان مؤمنا قد تناقل بدمنا بسبب
مرض ألم به حتى جاء به شاوش ، وان أخاه ذلكم المفسود بعث اليه يلتقى
معه بامصلوحت فعلى بركة الله والحاضر بصيرة ، وهذا موجه اليكم ، والله
يصل بمنه رعايتكم والسلام . وفي يوم الاربعاء رابع عشر رمضان المعظم عام
أحد عشر وألف ، عرفنا الله خيره وبركه . وبعد أن كتبنا لكم هذا بلغنا
كتابكم ونحن نجيبكم عما تحتاجون انى الجواب عنه ، والبطاقة التي ترد
عليكم من السوس من عند الحاكم أو ولد خالكم أو غيرهما لا تقرأ ولا تدخل
دارا بل تعطى لكتابكم هو يتولى قراءتها ويعرفكم مضمونها ، ولاجل ان كتابكم
يدخل مجلسكم ويلابس مقامكم حتى هو لا يفتحها الا بعد أن تغمس في خل
ثقيف وتشر حتى تيسر وحينئذ يقرأها ويعرفكم بمضمونها اذ ليس يأتيكم من
السوس - والله سبحانه أعلم - ما يوجب الكتمان عن مثل كتابكم ؛ وقد طالعنا
كتاب ولد خالكم أحمد بن محمد الصغير وصح عندنا من فحوى كلامه ما
ذكرتم عنه من أنه أكثر من خبر الوباء ليجمده ذريعة للخروج من السوس ،
والذى تأمرونه به أنكم تحذرونه من القدوم عليكم بمراكش ، وان ذلك لا

(*) المحمدية هي تارودانت نسبة الى محمد (فتحاً) الشيخ بن القائم بأمر الله. وغالب

يرضينا منه ، وكيف يروم الخروج من موضع عيناه له من غير أمرنا لاسيما مع غيبتنا عن البلاد ، وانه ان فعل ذلك لا محالة تسقط منزلته عندنا ، ثم لا يعود أبدا اليها ، الا ان تفاحش المرض بتلكم الناحية فلا عليه في الخروج والتنقل قرب البلاد أو يلتحق بمحلة أصحابه الذين يخفق الوادى . وأما ما ذكرتم عن محمد بن عبد الرحمن الوردى فقد طالعا الجريدة التى جرد لكم وتصفحناها ورأينا أن جل ما يطلب بها لا يمكن مع غيبتنا ، والذى تأمركم به فى مسئلته أنكم تحاولون فى رده لموضعه فانه بذلك الموضع أليق من أخيه بكثير ، وكل ما يمكنكم من أغراضه المسطرة فاقضوه له ، وما لا يمكن عدوه به عند قدومنا ان شاء الله . وأما أمر أخى أحمد بن الحسن الذى عيناه لجباية درعة وذكرتم أنه غير لائق بها وأنكم استصغرتموه عن تلك العمالة فلا شك انه كما ذكرتم ، ولكن انما وقع الاختيار عليه لامرين : الاول الذمة لانه بماله ولا نخشى ان شاء الله على مالنا ، الثانى ان خراج درعة سهل معلوم ، ولعله يكره هذه الولاية ويحب الجلوس بداره ويغرى من يتكلم فيه عندكم ، فان كان من ذكره لكم مثل مسعود أو تاودى فاتهمه ؛ وقد طالعا فى جريدتكم انكم وجهتم مع زرع المعاصر مائة رام ، وهذا الذى ذكرتم ما نعلم انا كتبنا لكم عليه قط ، وانما كتبنا لكم على الزرع تخملونه فى البحر برسم المحلة التى هناك يخفق الوادى ، فان كان هو هذا فنحن أردناه للمحلة ، وان كان غيره فعرفنا بقضيته ، فان زرع المعاصر انما يلزم اليهود والنصارى المكترين للمعاصر ، وفيها أيضا ما أخبركم به أحمد بن محمد بن موسى بخبر ما سقط من القنطرة ، وانكم عنفتموه على عدم المبادرة وقد أشكل علينا الامر لانكم لم تعرفوا مقامنا بالساقط هل هو من القديم أو من هذا الاصلاح الذى أمرنا به فعرفنا لتكون على بصيرة من ذلك ؛ وفيها أيضا مسألة أولاد طاحنة فدبروا عليهم اما من عند ايسى أو غيره حتى لا يرجعون لنا شاكين . وولد ابراهيم بن الحداد الى الآن لم يصل ، وزمام الاسرى وصل . واما الدراقة التى ذكرتم فيها السلطة المعدة لها عند صاحب بيت ثيابنا ، فوجه ليوسف العبد حتى تكلمه ومره يخرجها من عنده وركبها فى موضعها ولا تركب التى عندكم

بل تمسكونها لانفسكم . واعلم انى تركت عند اولئك المعلمين أعنى معلمى
بركاضو سلاتى برسم ابتنا العزیزة طاهرة صانها الله وكلاها ، وحيث يفرغون
من الدراقه اجمعهم عليها كى نجد ذلك طالعا ان شاء الله فانا قد أمرنا بنسج
درارق تلکم السلاتى* . هذا ، والمراد أن نجد السلاتى قد فرغ منها ان شاء الله .
وقصر الحیل مع الحمام حرض المعلمين على المبادرة بأشتغالهما بهما ، وحاول
ان تسقفوا ذلك البلاط الذى يوالى سور القصبة من قصر الحیل والقبة التى
فيه لنجده كاملا ان شاء الله عند قدومنا عليكم ، وحتى سوارى الرخام
ركبوها فى تلك الجهة اذا سققتم ، ولا تزالوا تعرفونا بما تزايد من الاشغال فى
الموضعين المذكورين . وأوصيكم أعزكم الله أن تفقدوا فرسنا الاحمر الصغير
ولا تركوهم يعطونه القصيل لثلا يكثر لحمه ويزداد ألمه ، بل انظر له من
يركبه كل يوم بل لا تنزع السرج بالكلية عن ظهره بياض النهار كله .
أو أعطوه لصاحب المسرة يركبه فى ذهابه وإيابه لداره والمسرة ، وأوصوه
أن لا يركبه غيره ولا ينزل عن ظهره النهار كله . وأوصيكم أيضا اذا ظهر
المرض بتلكم الناحية وخرجتم خروج يمن وسلامة بحول الله وقوته أن لا تركوا
وراءكم بنت عمكم والدة ولدنا العزيز بابا عبد الملك حفظه الله . وامر يوسف
العبد أن يخرج لكم من عند صاحب بيت الثياب القدر المحتاج اليه من الترياق
الجديد الذى كان بقبة المشور ويدخل على أيديكم لدارنا ، واستدعوا أم المال
قهرمانة الدار واعطها اياه برسم أهل دارنا ، وأمرها أن تعطيهما اياه فى كل
رابع من اليوم الذى يأكلونه فيه ، وهى أيضا تأكل منه ، والعبد يوسف أيضا
يأكل منه وحتى صاحب السقيف أعطوه منه أعنى مسعود بن مبارك ، والله
سبحانه يرعاكم ويتولى حفظكم أتم وأولادكم وقد استودعناكم الله الذى لا
تضيع لديه الودائع ، وأتم فى أمان الله وحفظه ، والله سبحانه خليفتى عليكم
أتم فى يمين الرحمن وكلتا يديه يمين ، والسلام الاتم عائدا عليكم ورحمة الله
تعالى وبركاته ، ونسلم على ولدنا الاعز الارضى بابا عبد الملك ، وعلى ابتنا
الرضية سيدة الملك ونحن فى غاية الاشتياق والتوحيش لها جمع الله بكم الشمل

* لعل العبارة فيها قلب وأصلها : بنسج سلاتى تلکم الدراق .

جميعا آمين، بحرمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله خير آل والسلام» اه
قال مؤلفه عفا الله عنه : تد وقع فى كلام المنصور رحمه الله أمران
يحتاجان الى التنبيه عليهما ، الاول : اذنه لولده أبى فارس فى الخروج من
مراكش اذا ظهر بها أثر الوباء ولو شياً يسيراً وهذا الامر محظور فى الشرع
كما هو معلوم ومصرح به فى الاحاديث ، والثانى : أمره أياه أن لا يقرأ
البطائق الواردة عليه من السوس وانما يتولى قراءتها كاتبه بعد أن تغمس فى
الحل ، وهذا عمل من أعمال الفرنج ومن يسلك طريقهم فى تحفظهم من
الوباء المسمى عندهم بالكرتينة ، وقد اتفق لى فيها كلام أذكره هنا تمييزاً
للفائدة ، وذلك انه لما كانت سنة ست وتسعين ومائتين وألف عرض لنا سفر
الى حضرة السلطان المولى أبى على الحسن بن محمد الشريف أيداه الله عز
وجل بمراكش المحروسة بالله فخرجنا من سلا أواخر ربيع الاول من السنة
المذكورة ، ومررنا فى طريقنا على المحب القائد الانبل أبى عبد الله محمد بن
ادريس الجرارى بئر الجديدة ، وهو يومئذ متول لعملها ، فأجل قدومنا على
عادته حفظه الله فى محبة العلم ومن يتسمى اليه ، وحضر معنا عنده بعض فقهاء
الوقت ، وكانت السنة سنة وباء ، فجرت المذاكرة فيما يستعمله النصارى فى
أمر الكرتينة من حبس المسافرين وشذاذ الاتفاق عن المرور بالسبل والدخول
الى الامصار والقرى ومنع الناس من مراقبتهم وأسباب معاشهم ؛ وحصل
التوقف تلك الساعة فى حكمها الشرعى ما ذا يكون لو أجريت على قواعد
الفقه ، ثم بعد ذلك بنحو ثلاثة أشهر وقفت على رحلة العلامة الشيخ رفاة
الطهطاوى المصرى فى اخبار باريز فرأيت ذكراً فى صدرها : انه وقعت
المحاورة بين العلامة الشيخ أبى عبد الله محمد المتاعى التونسى المالكى المدرس
بجامع الزيتونة ، ومفتى الحنفية بها العلامة الشيخ أبى عبد الله محمد اليرم
فى اباحة الكرتينة وحظرها ، فقال المالكى بحرمتها وألف فى ذلك رسالة ،
واعتماده فى الاستدلال فيها على ان الكرتينة من جملة الفرار من القضاء .
وقال الحنفى باباحتها ، واستدل على ذلك من الكتاب والسنة أيضاً . فلما
وقفت على هذا الكلام تجدد لى النظر فى حكم هذه الكرتينة وظهر لى أن

القول باباحتها أو حرمتها منظور فيه الى ما اشتملت عليه من مصلحة ومفسدة ولو مرسل على ما هو المعروف من مذهب مالك رحمه الله ، ثم يوازن بينهما وأيتهما رجحت على الأخرى عمل عليها ، فإن استوتا كان درء المفسدة مقدما على جلب المصلحة كما هو معلوم في أصول الفقه ، ونحن اذا امعنا النظر في هذه الكرئينة وجدناها تشتمل على مصلحة وعلى مفسدة ، اما المصلحة فهي : سلامة أهل البلد المستعملين لها من ضرر الوباء ، وهذه المصلحة كما ترى غير محققة بل ولا مظنونة ، لانه ليست السلامة مقرونة بها كما يزعمون وانه مهما استعملها أهل قطر أو بلد الا ويسلمون لا دائما ولا غالبا بل الكثير أو الاكثر انهم يستعملونها وبالعون في اقامة قوانينها ثم يصيبهم ما فروا منه كما هو مشاهد ؛ ومن زعم ان السلامة مقرونة بهذا دائما أو غالبا فعليه البيان اذ البينة على المدعى ، فتتج من هذا أن مصلحة الكرئينة مشكوكة أو معدومة ، واذا كانت كذلك فلا يلتفت اليها شرعا بل ولا طبعا لانها حينئذ من قبيل العبث . وأما المفسدة فهي : دنيوية ودينية ، أما الدنيوية فهي الاضرار بالتجار وسائر المسافرين الى الاقطار بحبسهم وتعويقهم عن أغراضهم وتعطيل مرافقهم على أبلغ الوجوه وأقبحها كما هو معلوم ، واما الدينية فهي تشويش عقائد عوام المؤمنين والقدح في توكلهم وإيهام ان ذلك دافع لقضاء الله تعالى وعاصم منه ، وناهيك بهما مفسدتين محققين ترتكبان لشيء يكون أو لا يكون ، فان العامة - لقصور افهامهم - قد تذهب او هامهم مع هذه الظواهر فيقفون معها ويقعون في ورطة ضعف الايمان عياذا بالله فان قلت : هذا الكلام فيه ميل الى سوء الظن بالعامة وهم جمهور الامة . قلت : ليس فيه ميل الى سوء الظن بهم وانما فيه تقرير الخوف عليهم والاحتياط لهم حتى لا تتركهم هملا يفعلون ما شاؤا أو يفعل بهم ما يضرهم في دينهم ودنياهم مع ان سد الذريعة قاعدة من قواعد الشرع لاسيما في المذهب المالكي ، ولامر ما جاءت الشريعة المطهرة ممثلة من التحذيرات من مكامن هذه المفاسد ونحوها ورد الاسباب والمسببات كلها الى الله تعالى . مع ما في استعمال هذه الكرئينة من الاقتداء بالاعاجم والتزبي بزي الكفرة الضلال ورمقهم بعين التعظيم ونسبتهم الى الاصابة والحكمة كما

قد يصرح به الحمقى من العوام . فاما اذا وافق قدر بالسلامة عند استعمالها فهي الفتنة والعياذ بالله ؛ فاي مفسدة افصح من هذه ؟ فالخاصل ان الكرنتينة اشتملت على مفسد كل منها محقق فتعين القول بحرمتها ، وجلب النصوص الشاهدة لذلك من الشريعة لا تعوز البصير . وقد ذكر العلامة الحافظ القسطلاني في تفسير سورة النساء من الجامع الصحيح عند قوله تعالى : « ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم » ما نصه : « دل ذلك على وجوب الحذر من جميع المضار المظنونة ومن ثم علم أن العلاج بالدواء والاحتراز عن الوباء والتحرز عن الجلوس تحت الجدار المائل واجب » اهـ . وهو يقتضى بظاهره أن الاحتراز عن الوباء واجب بأى وجه كان ، ولا يخفى أنه يتعين تقييده بالوجه الذى ليس فيه مفسدة شرعية ، كعدم القدوم على الارض التى بها الوباء ونحو ذلك مما وردت به السنة ولا تأباه قواعد الشريعة ك بعض العلاجات المستعملة فى ابائه المنقولة عن أئمة الطب ، اما بالوجه الذى يشتمل على مفسدة أو مفسد كهذه الكرنتينة فلا . هذا ما تحرر لنا فى هذه المسئلة والله أعلم .

ولما وقف على هذا الكلام اخونا فى الله العلامة الاستاذ أبو محمد عبد الله بن الهاشمى بن خضراء السلاوى وهو اليوم قاضى حضرة مراکش كب الى ما نصه : « وأما حكم الكرنتينة فهو ما ذكرتم من الحظر وبه أقول لما فيه من الفرار من القضاء مع المفسدات العظيمة التى لا تنفى بها مصلحتها على فرض تحققها أو غلبة ظن حصولها سيما وقد انتفيا بعد التجربة المتكررة فى الجهات المتعددة ، ولا يخالف فى هذا الحكم الا مكابر متبع للهوى فماذا بعد الحق الا الضلال » ثم جلب حفظه الله من النصوص ما يشهد لذلك ، تركناها اختصارا والله تعالى موفق بمنه .



وفاة المنصور رحمه الله



كان المنصور رحمه الله بعد فراغه من قضية ابنه المأمون قد عزم على الرجوع الى مراكش ، فلما بلغه ظهور الوباء بتلك الناحية تربص الى أن دخلت سنة اثنى عشرة وألف فانتشر الوباء في بلاد الغرب أيضا فكان مصاب المنصور به على ما نذكره .

قال، صاحب الاصلية وهو الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله السجلماسي المعروف بأبي محلي : « كنا نسمع أن السلطان المنصور اذا خرج من مراكش قاصدا مدينة فاس لا يرجع الى مراكش ، وذاع هذا الخبر في الناس قبل نزوله فكان الامر كذلك ، ثم لا أدري من أين للناس بذلك ، هل أنطقهم الله به أو عن علم تلقوه عن أربابه وكأنه الاشبه والله أعلم » قال : « ومن هذا ما ذكره بعضهم أيضا لكن بعد الوقوع والنزول ، ان دخول رايات أبي العباس المنصور في حياته للسودان واستيلاءه على سلطانها سكية في دار امارته كانوا مع تبكيو وأعمالها ، كل ذلك من امارات خروج الامام المهدي الفاطمي ؛ وكذلك الوباء المنتشر في هذه الاعوام وكثرة الهرج والغلاء في سائر البلاد حتى الآن ، وبقي من امارات خروجه فيما نسمع فتح وهران اما على يده أو بأذنه فيما يقوله من لا علم عنده بحقيقة الامر » اهـ .

وكان ابتداء مرض المنصور بمحلته خارج فاس الجديد قرب سيدي عميرة يوم الاربعاء حادى عشر ربيع النبوى سنة اثنى عشرة وألف ، ودخل الى داره بالمدينة البيضاء عشية ذلك اليوم واحتل بها بعد الغروب وتوفي هنالك ليلة الاثنين الموالى لتاريخه ، ودفن بازاء مقصورة الجامع الاعظم هنالك ضحوة يوم الاثنين المذكور ، وحضر جنازته ولده زيدان وقدم للصلاة عليه مفتى فاس وخطيب جامع القرويين بها الفقيه أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار قال اليفرنى : « كانت وفاة المنصور بالوباء » وقال الشيخ أبو محمد عبد الله بن يعقوب السملالى في شرحه لجامع شامل بهرام : « كان بالمغرب وباء

استطال به من سنة سبع الى سنة ست عشرة وألف ، وعم سهل المغرب وجبله
 خنى أفنى أكثر الخلق ومات به جمع من الاعيان ، وبه مات السلطان أبو العباس
 أحمد المنصور رحمه الله ، ونحوه ذكره صاحب الفوائد وغيره . قال اليفرنى :
 « وبه تعلم أن ما شاع على اللسنة من ان المنصور سمه ولده زيدان بإشارة من
 أمه الشبانية فى باكور أوائل ظهوره ، وقطع عنه الاطباء الى أن هلك ، وان
 المنصور لما أحس بذلك قال : استعجلتها يازيدان لا هناك الله بها ؛ أو كلاما
 هذا معناه » : قالوا : وبسبب ذلك لم تنصر لزيدان راية ، فانه انهزم فى
 زهاء سبع وعشرين معركة كله كذب لا أصل له ، لان المنصور طعن بالبواء
 ولم يذكر أحد ممن يوثق به ما شاع على السنة العامة وأضرابهم من الطلبة »
 اهـ : ثم نقل المنصور رحمه الله بعد دفنه الى مراکش فدفن بها فى قبور الاشراف
 قبل جامع المنصور من القصبة ، وقبره هنالك شهير عليه بناء حفيل ، ومما
 نقش على رخامة قبره هذه الايات .

به المعالى تفتخر	هذا ضريح من غدت
لكل مجد مبتكر	أحمد منصور اللوا
بكل نعمى تستمر	يا رحمة الله اسرعى
من رضاه منهمر	وباكرى الرمس بما
ند كذكره العطر	وطيبى نراه من
ة دون تفنيد ذكر	وافق تاريخ الوفا
عند ملك مقتدر	مقعد صدق داره



بقية اخبار المنصور وبعض سيرته

كان المنصور رحمه الله حسن السياسة حازما يقظا مشاورا فى مهمات الامور ، وكان قد اتخذ يوم الاربعاء للمشورة ، وسماه يوم الديوان ، تجتمع فيه وجوه الدولة ويتطرحون فيه وجوه الراى فيما ينوب من جلائل الامور وعظيم النوازل ؛ وهنالك يظهر شكايته من لم يجد سبيلا للوصول الى السلطان ، قالوا : ومن حزمه انه كان متطلعا لـ اخبار النواحي بجائنا عنها ، غير متراح فى قراءة ما يرد عليه من رسائل عماله ولا يبطىء بالجواب ، ويقول : « كل شىء يقبل التأخير الا مجاوبة العمال عن رسائلهم » . وكان الكتاب لا يفارقون مراكزهم الا فى اوقات مخصوصة .

قال الفشتالى : « ولقد كنا بالبـاب يوما - يعنى معشر الكتاب - قبل أن يخرج المنصور فورد النذير على الكاتب أبى عبد الله محمد بن على الفشتالى بأن ولدا له فى النزاع فلم يملك نفسه أن ذهب الى داره ، فخرج المنصور على اثره فسأل عنه ، فقيل انه ذهب الى داره ، فاستشاط غضبا وبعث اليه فجىء به مزعجا ، وما شككتنا فى عقوبته ، فلما مثل بين يديه قال له : « ما الذى ذهب بك ؟ » فذكر له أمر ولده وانه اشتد به المرض ولم ينجع فيه دواء طبيب ، فرق له وقال : « ان امراض الصبيان قلما ينجع فيها الا طب العجائز ، ولا كعجائز دارنا فابعث من يسألهن » .

ومن حزمه انه اخترع أشكالا من الحُط على عدد حروف المعجم وكان يكتب بها فيما يريد أن لا يطلع عليه أحد يمزج فيها الحُط المتعارف فيصير الكتاب مغلقا ، فاذا سقط ووقع فى يد عدو أو غيره لا يدري ما فيه ولا يعرف معنى ما اشتمل عليه ؛ فكان اذا جهز أحد أولاده ناوله خطا من تلك الحُطوط يفك بها رسائله اليه ويكتب عنوانه كذلك .

ومن ضبطه أنه تعلم الحُط المشرقى فكان يكتب به علماء المشرق كتابة كأحسن ما يوجد فى خط المشاركة ، ومما وقع له فى ذلك : أنه بعث بطاقة

يخط يده على طريقة أهل المشرق لكتابه أبي عبد الله ابن عيسى يستدعى منه كتابا ، فبعثه ابن عيسى اليه وبعث معه بهذين البيتين :

سقتني كؤس السرور دهاقا خطوط أتنى في مهرق
رأت كف أحمد في الغرب بحرا فجاءت اليه من المشرق

وكان المنصور على ما هو عليه من ضخامة الملك وسعة الخراج يوظف على الرعية أموالا طائلة يلزمهم بأدائها ، وزاد الأمر على ما كان عليه في عهد أبيه حسبا مر ، وكانت الرعية تشتكي ذلك منه ونالها اجحاف منه ومن عماله ، وكان غير متوقف في الدماء ولا هيب للوقعة فيها . قال اليفرنى : « وتبع ما وقع في ذلك يناقض المقصود من الاغضاء عن العورات والستر على الفضائح ، وقد ألعنا لك بما يكون دالا على ما وراءه » . وذكر أن بعض عمال المنصور عدا على امرأة من دكالة فأخذ منها أموالا فقدمت المرأة على المنصور بمراكش تشكو له ما نالها من عامله ، فلم يشكها ولا كشف ظلامتها فخرجت الى أولادها بالباب وقالت لهم : « انصرفوا فاني كنت أظن ان راس العين صافية فاذا بها مكدرة فلذا تكدرت مصارفها » .

ويحكى أن الفقيه القاضي أبا مالك عبد الواحد الحميدى قد سافر في جمع من فقهاء فاس وأعيانها الى مراكش بقصد العيد مع المنصور كما هي العادة ، فمروا في طريقهم على جماعة رجال ونساء قد سلكوا في سلسلة واحدة ، وفيهم امرأة أخذها الطلق وهي في كرب المخاض ، فأوا من ذلك ما أهمهم وأحزنهم ؛ فبقى ذلك في نفس القاضي ، فلما جلس الى المنصور ذكره له وأظهر الشكاية منه ، فسكت المنصور عن جوابه وهجره على ذلك أياما ، ثم ان القاضي تلف في القول وأظهر التوبة مما صدر منه وعدها بادرة ، فقال له المنصور : « لولا ما رأيت ما أمكنك أن تجيء مع أصحابك مسيرة عشرة أيام في أمن ودعة ، فان أهل المغرب مجانين مارستانهم هي السلاسل والاغلال » .

واقدم وفد القاضي المذكور على المنصور في بعض المواسم مع الفقهاء فلما انصرفوا من الحضرة جمعهم الطريق بأرباب الموسيقى وأصحاب الاغانى

من أهل فاس ، وقد كانوا وفدوا أيضا على المنصور على سبيل العادة ، فأخرج بعضهم شبابة من الابريز مرصعة أعطاه اياها المنصور ، وبعضهم قال أعطاني كذا ، وقال الآخر أجازني بكذا ؛ مما لم يعط مثله للقاضي وشيعته من الفقهاء ، فقال القاضي : « لئن بلغت فاسا لأردن أولادى الى صناعة الموسيقى ، فان صناعة العلم كاسدة ، ولولا ان الموسيقى هى العلم العزيز ما رجعنا مخفقين ، ورجع المغنى بشبابة الابريز » فنقل الى المنصور هذا الكلام فلذعه عليه بيسير من السلام .

وذكر أبو زيد فى الفوائد ما صورته : « عدا محمد الكبير خال المنصور على رجل بدرعة فى ضيعة له فسكاه الى المنصور ، فقال له : « كم تساوى ضيعتك ؟ » قال : « سعمائة اوقية » قال : « خذها وقل لخالى الموعد بنى وبينك الموقف الذى لا أكون أنا فيه سلطان ولا أنت خال السلطان » فرجع صاحب الضيعة وأبلغ الى العامل كلام المنصور ، فأمسك برأسه ساعة ثم قال له : « ألحق بضيعتك » وغرم له كل ما أكل منها » اه .

وقال فى المناهل : « كان للمنصور مصانع اخترعها ومآثر خلفها منها : العقلان الكبيران اللذان أنشأهما بفاس ، أحدهما خارج باب عجيسة ، والآخر قبالة باب الفتوح ؛ وهذان العقلان يعرفان عند العامة بالبستون ، وهما من الاتقان بحيث لا يعرف قدرهما الا من وقف عليهما ، وكان الشروع فى بنائهما يوم الاثنين الثانى والعشرين من ربيع الاول سنة تسعين وتسعمائة . ومن ذلك الحصنان اللذان بناهما بئر العرائش أحدهما يعرف بحصن الفتح ، وهما أيضا فى نهاية الوثاقة والحسن . ومن ذلك معاصر السكر فانه أحدثها بمراكش وبلاد حاحة وشوشاوة . قال الفشتالى : « وكان ابتداء ذلك والده أبو عبد الله الشيخ فكثر السكر فى أيامه بالبلاد المغربية حتى لم تكن له قيمة » وقد تقدم انه كان يشتري الرخام من النصارى بالسكر ؛ ومن مآثره البيلة العظمى مع كرسيها من المرمر بجوامع القرويين تحت منار الجامع المذكور ، وقد تقدم الخبر عنها . وقال ابن القاضي فى «المنتقى المقصور» : « ان اللباس المسمى بالمنصورية - وهو لباس من الملف - لم يكن مستعملا قبله ، وهو أول

من اختراعه واضيف اليه قليل المنصورية .

وكان في مدة المنصور من الاحداث أنه :

في سنة سبع وثمانين وتسعمائة وقع غلاء عظيم بالمغرب حتى عرف ذلك العام بعام البقول ، قال في المرأة : « لما انتهب الناس غنيمة وادى المخازن كان الناس يتوقعون مغبتها لاختلاط الاموال بالحرام فظهر أثر ذلك من غلاء وغيره وكنا نسمع ان البركة رفعت من الاموال من يومئذ . وفي هذه السنة ايضا أصاب الناس في بعض فصولها سعال كثير قل من سلم منه ، وكان الرجل لا يزال يسعل الى أن تفيض نفسه فسمى العامة تلك السنة سنة كحكة .

وفي سنة احدى وتسعين وتسعمائة توفي الشيخ العارف بالله تعالى الكبير الشأن أبو النعيم رضوان بن عبد الله الجنوي نسبة الى جنوة من بلاد الفرنج ، كان أبوه نصرانيا وأمه يهودية ؛ وسبب اسلام والده ما حكاه أبو العباس الاندلسي في رحلته : انه كان له فرس ببلده جنوة فانطلق ليلا ودخل الكنيسة العظمى وراث فيها من غير أن يشعر بذلك أحد من السدنة ولا غيرهم ، ثم بادر باخراج الفرس ؛ ولما أصبح أهل الكنيسة ورأوا الروث قالوا : « ان المسيح جاء البارحة على فرسه الى الكنيسة وراث فيها » فاهتز البلد لذلك وتنافس النصارى في شراء ذلك الروث حتى بيع قدر الذرة منه بمال جزيل ، فعلم أن النصارى على ضلال وهاجر الى بلاد الاسلام فنزل برباط الفتح من أرض سلا فوجد هناك امرأة يهودية فتزوج بها وولدت له الشيخ أبا النعيم ، فنشأ مثلاً في العلم والولاية ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم . وكان رضى الله عنه يقول : « خرجت من بين فرث ودم » ؛ أخذ الطريقة عن أبي محمد الغزواني وقدم عليه مراکش ثم عاد الى فاس فمات بها في السنة المذكورة ودفن خارج باب الفتوح .

وفي سنة خمس وتسعين وتسعمائة توفي الشيخ العلامة الامام أبو العباس أحمد بن علي المنجور ، كان متبحراً في العلوم خصوصاً أصول الفقه ، أخذ عن اليسيتي وأبي زيد سقين العاصمي وأبي الحسن بن هرون وأبي مالك الوائشيسي وغيرهم .

وفي سنة سبع وتسعين وتسعمائة توفي الشيخ أبو الشتاء الشاوي دفين جبل آمركو من بلاد فشتالة ويقال اسمه محمد بن موسى وكنى بأبي الشتاء لان الناس قحطوا ولجأوا اليه فسقوا في الحين ، وهو من أصحاب الشيخ الغزواني . ويقال : ما لقيه الا مرة بقبيلتهما الشاوية فعينه ومكنه فهام على وجهه وكان من أمره ما كان .

وفي ثامن عشر ربيع الثاني سنة ثلاث وألف توفي القاضي أبو محمد عبد الواحد بن احمد الحميدى ودفن بروضة الشيخ أبي زيد الهزميرى خارج باب مصمودة من عدوة فاس الاندلس وقد تقدمت بعض أخباره .

وفي سنة أربع وألف توفي الشيخ أبو الحسن علي بن منصور البوزيدي المعروف بأبي الشكاوى دفين شالة وبها كان سكناه ، أخذ عن الشيخ المجذوب وأبي الرواين المحجوب وغيرهما ، وأولاده ينتسبون الى عيسى بن ادريس الحسيني دفين آيت عتاب والله تعالى أعلم .

وفي سنة ست وألف توفي الشيخ الرباني أبو عبد الله محمد بن مبارك الزعري دفين تاستاوت من مشاهير الاولياء ، كان أول نشأته بمكناسة الزيتون ثم خرج الى البادية بعد أن صعبت عليه القراءة ، ورأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : « انك لن تقرأ ولكنك شيخ » فخرج الى البادية وكان يظن انه يكون من اشياخ القبائل حتى هبت عليه نفحة رحمانية فقدم مراكش وأخذ عن الشيخ أبي عمرو القسطلي ورجع الى باديته فبنى مسجدا في الموضع الذي عين له شيخه لسكناه ، فيقال انه لما قيل له جعلت محرابه منحرفا عن القبلة اشار بيده الى جهة مكة فتزحزحت الجبال حتى شاهد الحاضرون مكة والله على كل شيء قدير وكان الشيخ ابو عبد الله محمد الشرقي معاصرا له فقيل له : ان الشيخ ابن مبارك قال : « أهل زماننا محسوبون علينا » فقال : « اشهدوا أنا من أهل زمان ابن مبارك . وفي هذه السنة أيضا كان الطاعون العظيم بمراكش وغيرها بحيث عم تلول المغرب واستطال فيها ومات به جمع من الاعيان منهم الشيخ ابن مبارك المذكور .

وفي سنة تسع وألف في جمدي الآخرة منها كان سيل عظيم بفاس ،

ثم فى شعبان من السنة المذكورة كان سيل أعظم من الاول تهدمت منه الدور والخوانيت ، وتهدم سد الوادى بفاس على وثاقته وأحكامه ، وهذا السد هو الذى كان جده السلطان أبو العباس أحمد الوطاسى ، ثم جده المنصور فى هذه المرة من أحباس القرويين :

وفى سنة عشر وألف توفى الشيخ العارف بالله الربانى أبو عبد الله ، ويقال أبو عبيد محمد (فتحاً) الشرقى ابن الولى الصالح أبى القاسم الزعرى الجابرى ثم الرثمى (*) ، هكذا نسبه صاحب المراتة وغيره ، ورفع أبو على المعدانى فى كتابه « الروض الفائح » نسبه الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم نقل عن حفيده العارف بالله تعالى أبى عبد الله محمد الصالح ابن المعطى ما نصه : « ان الشيخ سيدى محمد الشرقى لم توجد هذه النسبة العمرية بخطه فيما عثرنا عليه ، أما بنو أخيه وبنوه وحفدته فقد وجدت بخط الثقة منهم وتواتر نقلها عنهم وكُتبت فى اجازاتهم وكذا فى تمليكاتهم » اه وهذا الشيخ - أعنى أبا عبد الله الشرقى - كان من أكابر أهل وقته ، يقال انه بلغ درجة القطبانية وتخرج به جماعة من الاولياء ، وبعث اليه المنصور جماعة يختبرونه فظهرت لهم كراماته ، وافقت له مع الشيخ المنجور كرامة حملته على أن وفد عليه زائراً ومدحه بقصيدة ذكر بعضها اليفرنى فى الصفوة ، وله مع أبى المحاسن الفاسى مراسلات ومواصلات ، ووقع بينهما كلام طويل انظر « ابتهاج القلوب » ؛ أخذ رضى الله عنه عن والده عن الشيخ التباع واعتمد على الشيخ الكبير أبى عبد الله محمد بن عمرو المختارى من أحواز

(*) وفى (نشر المثنى) عن الشيخ أبى عبد الله المسناوى فى نسب الشيخ المذكور السميرى هكذا بالخط التصغير قال وأولاد سمير بالتصغير ينتسبون الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفى تقييد لمؤلف الممتع : ما نصه : (هو من بنى جابر ثم من ورديعة ثم من الرثمة ثم من اولاد بحر ثم من اولاد سمير ، وكلهم ينتسبون الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه) اه من خط مؤلفه

مكناسة ، وأخذ أيضا عن ابن مبارك الزعري وأبى محمد بن ساسى ، وتوفى
أوائل المحرم من السنة المذكورة ودفن بجعيدان وقبره شهير نفعا الله به
وبسائر أهل الله .



تم الجزء الخامس ويليه الجزء السادس

وأولـه :

الخبر عن دولة السلطان أبى المعالى زيدان بن أحمد المنصور رحمه الله تعالى

فهرس الموضوعات

صحيحة

- ٣ الحُبر عن دولة الاشراف السعديين من آل زيدان وذكر اوليتهم وتحقيق نسبهم
- ٦ الحُبر عن دولة الامير ابي عبد الله محمد القائم بأمر الله وبيعته والسبب فيها
- ٨ أول نائبة فرضت في دولة السعديين
- ١٢ أخبار الامير ابي عبد الله القائم في الجهاد وما هيا الله له من النصر فيه
- ١٣ عقد الامير ابي عبد الله القائم ولاية العهد لابنه ابي العباس الاعرج رحمهما الله تعالى
- ١٣ انتقال الامير ابي عبد الله القائم الى آفغال من بلاد حاحة ووفاته بها رحمه الله
- ١٤ الحُبر عن دولة السلطان ابي العباس الاعرج ابن الامير ابي عبد الله القائم رحمه الله
- ١٥ دخول السلطان ابي العباس الاعرج مراكش واستلاؤه عليها
- ١٥ نقل الشيخ الجزولي رضى الله عنه من مدفنه بأفغال الى مراكش والسبب في ذلك
- ١٦ مجيء السلطان ابي عبد الله الوطاسي الى مراكش وحصاره للسلطان الاعرج بها ثم افلاعه عنها
- ١٦ خبر آسفى والثغور
- ١٧ حدوث النفرة بين الاخوين السلطان ابي العباس الاعرج ووزيره ابي عبد الله الشيخ وما نشأ عن ذلك

- ١٨ امر زيدان ابن السلطان ابي العباس وما كان منه
الخبر عن دولة السلطان ابي عبد الله محمد المهدي
- ١٩ المعروف بالشيخ ابن الامير ابي عبد الله القائم بأمر الله
- ١٩ فتح حصن فوتى وآسفى وآزموور وما قيل فى ذلك
- ٢٠ بناء حصن آكادير
- استيلاء السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ على مراكش
- ٢١ وتجديد البيعة له بها
- نهوض السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ لحرب بنى
- ٢١ وطاس واستيلاؤه على مكناسة وما اتفق له فى ذلك
- حصار السلطان ابي عبد الله الشيخ حضرة فاس ومقتل
- ٢٢ الشيخ عبد الواحد الوائش رضى الله عنه
- استيلاء السلطان ابي عبد الله الشيخ على فاس وقبضه
- ٢٤ الوطاسيين وتغريبهم الى مراكش
- نهوض السلطان ابي عبد الله الشيخ الى تلمسان واستيلاؤه
- ٢٥ عليها
- امتحان السلطان ابي عبد الله الشيخ ارباب الزوايا والمتسبين
- ٢٦ والسبب فى ذلك
- وفادة الامام أبى عبد الله الحروبى من جانب دولة الترك
- ٢٧ فى شأن قسم البلاد وتحديدها
- قدوم ابي حنون الوطاسى بجيش الترك واستيلاؤه على
- ٢٨ فاس ونفيه الشيخ عنها
- ٢٨ عود السلطان ابي عبد الله الشيخ الى فاس واستيلاؤه عليها
- مقتل الفقيهين ابي محمد الزقاق وأبى على حرزوز
- ٢٩ والسبب فى ذلك
- ترتيب السلطان ابي عبد الله الشيخ امر دولته وما قيل
- ٣٠ فى ذلك

- ٣٠ بناء جسر وادي سبو وام الربيع
- ٣٠ وضع الوظيف المسمى فى لسان العامة بالنائبه
- مراسلة السلطان سليمان العثمانى للسلطان ابى عبد الله
- ٣١ الشيخ وما نشأ عن ذلك
- قدوم طائفة الترك من عند السلطان سليمان العثمانى
- ٣٢ واغتيالهم للسلطان ابى عبد الله الشيخ رحمه الله
- ٣٥ بقية اخبار السلطان ابى عبد الله الشيخ وسيرته
- الخبر عن دولة السلطان ابى محمد عبد الله الغالب بالله
- ٣٨ ابن السلطان محمد الشيخ رحمه الله
- مجيء حسن بن خير الدين التركى الى فاس ورجوعه
- ٣٩ منهزما عنها
- بناء جامع المواسين بحضرة مراکش والبركة المتصلة به
- ٣٩ والمارستان وغير ذلك
- ٤١ فتح مدينة شفشاون وانقراض امر بنى راشد منها
- ٤٢ حصار البريجة المسماة اليوم بالجديدة
- وفادة السلطان الغالب بالله على الشيخ ابى العباس أحمد
- ٤٧ ابن موسى السملالى رضى الله عنه
- ٤٨ وفاة الشيخ أبى عمرو القسطلى دفين مراکش رضى الله عنه
- ٤٩ استيلاء النصارى على حجر باديس والسبب فى ذلك
- ٥٠ فتنة الفقيه ابى عبد الله الاندلسى ومقتله
- ٥٠ ظهور بدعة الشراقة من الطائفة اليوسفية وما قيل فيهم
- احتيال النصارى بمكيدة البارود بجامع المنصور من مراکش
- وما وقى الله تعالى من شرها
- ٥٢ وفاة السلطان ابى محمد عبد الله الغالب بالله رحمه الله
- ٥٣ بقية اخبار السلطان الغالب بالله وسيرته

- ٥٧ الحُجْر عن دولة السلطان ابي عبد الله محمد المتوكل على
الله ابن السلطان الغالب بالله رحمه الله
- ٥٩ الحُجْر عن دولة السلطان ابي مروان عبد الملك المعتمد بالله
ابن محمد الشيخ واولية امره وما له
- ٦١ مجيء السلطان أبي مروان عبد الملك بن الشيخ السعدي
بمسكر الترك واستيلاؤه على المغرب
- ٦٤ استيلاء السلطان أبي مروان عبد الملك المعتمد على حضرة
فاس وما يتبع ذلك
- ٦٥ نهوض السلطان ابي مروان الى مراكش واستيلاؤه عليها
وفرار ابن اخيه الى السوس وما نشأ عن ذلك
- ٦٦ استخلاف السلطان ابي مروان لاختيه أبي العباس احمد
على فاس واعمالها
- ٦٧ ظهور أبي عبد الله المتوكل بالسوس ومجيئه الى مراكش
واستيلاؤه عليها
- ٦٩ الغزوة الكبرى بوادي المخازن من بلاد الهبط والسبب
فيها
- ٨٦ بقية اخبار السلطان ابي مروان وسيرته
- ٨٧ وفاة الشيخ عبد الله بن ساسي
- ٨٧ وفاة الشيخ عبد الله الهبطي
- ٨٨ وفاة الشيخ احمد بن موسى
- ٨٨ وفاة الشيخ عبد الرحمن المجذوب
- ٨٨ وفاة الشيخ عبد الله بن حسين دفين تاملوح
- ٨٩ الحُجْر عن دولة السلطان ابي العباس احمد المنصور بالله
السعدي المعروف بالذهبي واوليته ونشأته
- ٩١ هدية الاصبول والبرتغال للمنصور السعدي
- ٩٣ عقد المنصور ولاية العهد لابنه محمد الشيخ المدعو المأمون

- ٩٤ ثورة داود بن عبد المومن بن محمد الشيخ والسبب
فى ذلك
- ٩٥ حدوث النفرة بين المنصور والسلطان مراد العثمانى وتلافى
المنصور لذلك
- ٩٧ ايقاع المنصور بعرب الخلط والسبب فى ذلك
- ٩٨ استيلاء المنصور على بلاد الصحراء تيكورارين وتوات
وغيرهما
- ٩٩ تلخيص القول فى السودان المغرب والاشارة الى ممالكهم
ودولهم من لدن الفتح الاسلامى الى هذا التاريخ
- ١٠٣ وصول هدية صاحب برنو الى المنصور بحضرة فاس وما نشأ
عن ذلك من بيعته له والتزام طاعته
- ١١١ بعث المنصور رسوله بالدعوة الى آل سكية وما دار بينهم
فى ذلك
- ١١٢ مفاوضات المنصور الملا من أصحابه فى غزو آل سكية وما
دار بينهم فى ذلك
- ١١٥ استجازه المنصور لعلماء مصر رضى الله عنهم وتلمذه لهم
- ١١٦ تجديد المنصور ولاية العهد لابنه المأمون وما وقع فى ذلك
- ١١٧ ثورة الحاج قرقوش ببلاد غمارة ومقتله
- ١١٧ بناء المسجد الجامع بباب دكالة من حضرة مراکش
حرسها الله
- ١١٨ بعث المنصور ببيلة الرخام الى جامع القرويين من فاس
حرسها الله
- ١٢١ غزو السودان وفتح مدينة كاغو ومقتل سلطانها اسحق
سكية رحمه الله
- ١٢٦ وفاة ام المنصور الحرة مسعودة الوزكيتية رحمها الله
- ١٢٦ حكم شرب الدخان

- نكبة الفقيه ابي العباس احمد بابا السوداني وعشيرته من
 آل آقيت والسبب في ذلك ١٢٩
- حكم استرقاق اهل السودان ١٣١
- بناء قصر البديع بحضرة مراکش حرسها الله ١٣٤
- ثورة الناصر ابن السلطان الغالب بالله ببلاد الريف ومقتله ١٤٥
- ذكر احتفال المنصور بالمولد الكريم واعتناؤه بسائر الاعياد ١٥١
- ذكر سيرة المنصور في ترتيب جيوشه وحالات اسفاره ١٦٣
- انتقاض ولى العهد محمد الشيخ المأمون على ابيه المنصور
 وما آل اليه أمره فى ذلك ١٦٩
- وفاة الشيخ أبى الشتاء رحمه الله ١٧٥
- حكم الكرنتينة ١٨٣
- وفاة المنصور رحمه الله ١٨٦
- بقية أخبار المنصور وبعض سيرته ١٨٨
- البرجان المعروفان بالبستيون بفاس ١٩٠
- وفاة الشيخ ابي النعيم الجنوى ١٩١
- وفاة الشيخ ابي العباس المنصور ١٩١
- وفاة القاضي ابي محمد عبد الواحد الحميدى ١٩٢
- وفاة الشيخ أبى الحسن البوزيدى المعروف بأبى الشكاوى ١٩٢
- وفاة الشيخ محمد بن مبارك الزعرى ١٩٢
- وفاة الشيخ أبى عبيد الشرقى ١٩٣

فهرس الاعلام والقبائل

حرف (أ)

- | | |
|-----------------------------------|------------------------|
| ابن غانية ١١٣ | آل آقيت ١٣٠ |
| ابن النحاس ١٢٠ | آل سكية ١٠١-١٠٢-١١١ |
| ابن اليسع ١٤٣ | آل عثمان ٩٧ |
| ابو اسحاق ابراهيم بن يعقوب | أبرويز ١٦٤ |
| الكانمي ١٠٢ | ابن الابار ١٤٤ |
| ابو اسحاق ابراهيم السفيناني ١٦٩ | ابن بطوطة ٣٩ |
| ابو اسحاق التونسي ٤٠ | ابن تودة ٥٤ |
| أبو اسحاق الطويجن ١٠١ | ابن حجر ٣٦ |
| ابو البقاء عبد الوارث الياصلوتي | ابن حزم الظاهري ٥٠ |
| ٥١ - ٨٧ | ابن حسين ٥٤ |
| ابو بكر بن عمر اللمتوني ١٠٠ | ابن الخطيب ٣٠ |
| ١١٤ - | ابن خلدون ٢٢ - ١٣٣ |
| ابو تمام ١٢٢ | ابن خلكان ١٠٢ |
| ابو حامد الغزالي ١٣٢ | ابن سينا ٤٠ |
| ابو الحجاج التليدي ٨٧ | ابن شقراء ٥٤ - ٥٨ - ٦٤ |
| ابو الحسن بن المنصور السعدي | ابن عباد ٧٥ |
| ١١٧ | ابن عباس ١٣٠ |
| ابو الحسن بن ابي بكر آزنالك | ابن عبد السلام ٥ |
| الحاحي ٣٤ - ٣٧ | ابن عبد الله ٥٠ |
| ابو الحسن علي بن ابي بكر السكتاني | ابن عرفة ٥ |
| ٣٤ - ٣٧ | |

- ابو الحسن على بن ابي طالب ٧٤
 ابو الحسن على بن احمد الخصاصي ٨١
 ابو الرواين المحجوب ٢٤ - ٣٧
 ابو الحسن على بن احمد المسفيوي ١٩٢
 ابو زكرياء بن عبد المنعم ١١٦
 ابو زكرياء يحيى بن عبد الله
 الحاحي ٥٤
 ابو زيان المريني ٣٠
 ابو زيد ١٩٠
 ابو زيد سقين العاصمي ١٩١
 ابو زيد عبد الرحمن بن تودة
 العمراني ٤٢
 ابو زيد عبد الرحمن بن عياد
 الضهاجي - المجذوب - ٨٨ - ٩٠ - ١٩٢
 ابو زيد عبد الرحمن التامراتي ٩٠
 ابو زيد عبد الرحمن التلمساني
 ٥٣
 ابو زيد عبد الرحمن الفاسي ٧
 ابو سالم المريني ١٠١
 ابو السرور عياد السوسي ٥٣
 ابو سليمان داود بن عبد المومن
 ابن محمد الشيخ ٩٤
 ابو الشتاء الشاوي - محمد بن
 موسى - ١٧٥ - ١٩٢
 ابو الحسن على بن ابي طالب ٧٤
 ابو الحسن على بن احمد الخصاصي ٨١
 ابو الحسن على بن احمد المسفيوي ١٩٢
 ابو الحسن على بن سليمان التاملي ١٥٢
 ابو الحسن على بن سليمان التاملي ١٦٧
 ابو الحسن على بن عبد الله ٥١
 ابو الحسن على بن عثمان التاملي
 ٣٦ - ٨٧
 ابو الحسن على بن محمد التامجروتي
 ١٥٣
 ابو الحسن على بن منصور البوزيدي
 - ابو الشكاوي - ١٤٦ - ١٩٢
 ابو الحسن على بن منصور الشيطمي
 ٦٨ - ١٤١ - ١٥٢ - ١٥٦
 ابو الحسن على بن موسى بن راشد
 ٤١
 ابو الحسن على بن هرون ٣٥
 ١٩١ -
 ابو الحسن المريني ٣٩ - ١٠١
 ابو حصون الوطاسي ٢٥ - ٢٨
 - ٢٩ - ٣٢ - ٩٧
 ابو حفص عمر بن الشيخ ١٢١
 ابو حيان ٧٥
 ابو داود ١٥٦

٤٧ - ٥٣ - ٥٧ - ٨٨ -	ابو العباس احمد الاعرج بن ابي
٩٦	عبد الله محمد القاسم بامر الله
ابو العباس احمد بن يحيى الهوزالى	السعدى ٩ - ١٠ - ١١ - ١٢
ابو العباس احمد بن يوسف	١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ -
الراشدى ٥٠ - ٥١ - ٨٨	١٧ - ١٨ - ١٩ - ٣٤ -
ابو العباس احمد الزمورى ٥٦	٣٧ - ٥٢
ابو العباس احمد المنصور بالله بن	ابو العباس احمد آفغاي ١٦٥
أبى عبد الله الشيخ السعدى ٤ - ٥	ابو العباس احمد بابا السودانى ١٠٣
٣١ - ٣٤ - ٥٨ - ٥٩ - ٦١ -	١٢٩ - ١٣٢ - ١٣٣ -
٦٢ - ٦٣ - ٦٥ - ٦٦ -	ابو العباس احمد بن ابي القاسم
٦٧ - ٦٨ - ٧٩ - ٨٠ -	الصومعى ١٤٦
٨٢ - ٨٤ - ٨٦ - ٨٩ - ٩١ -	أبو العباس أحمد بن الحداد العمري
٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ -	٩٨
٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩	ابو العباس احمد بن عبد الله
١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ -	الدغوغى ٩٠
١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ -	ابو العباس احمد بن عبد الله
١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨ -	السجلماسى ابو محلى ١٨٦
١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ -	ابو العباس احمد بن عبد الله
١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ -	الوزكىتى ١١٧
٢٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٤ -	ابو العباس احمد بن عبد المؤمن
١٣٥ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٥ -	القيسى الشريشى ٩٩
١٤٦ - ١٤٧ - ١٥١ -	ابو العباس احمد بن على المنجور -
١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٦٣ -	٢٣ - ٣٦ - ٣٧ - ٥٦ -
١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ -	١٦٧ - ١٦٨ - ١٩١ - ١٩٣ -
١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧٥ -	ابو العباس احمد بن
١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٨٣ -	موسى الجزولى السملالى ٣٩ -

- ابو عبد الله محمد بدر الدين
 القرافي - ١١٥ - ١٤٧
 ابو عبد الله محمد بن ابراهيم
 ابو شامة - ٢٣
 ابو عبد الله محمد بن يحيى ٩٤
 ابو عبد الله محمد بن ابى الحسن
 البكرى ١١٥
 ابو عبد الله محمد بن ابى الحسن
 ابن راشد ٤١
 ابو عبد الله محمد بن أبى عبد
 القادر السعدى ٣٦
 ابو عبد الله محمد بن احمد بن
 عيسى ١٦٩
 ابو عبد الله محمد بن ادريس
 الجرارى ١٨٣
 ابو عبد الله محمد بن بركة ٩٨
 ابو عبد الله محمد بن الحسن - ابو
 الليف - ١٢٠
 ابو عبد الله محمد بن حسن
 الامغارى ٥٣
 ابو عبد الله محمد بن سليمان
 الجزولى ١٤ - ١٥ - ٣٤
 ابو عبد الله محمد بن الشيخ ابى
 زكرياء المالكى - كدار - ٩٠
 ابو عبد الله محمد بن الطيب ٩٢
 ابو عبد الله محمد بن عبد القادر
- ١٨٩ - ١٨٨ - ١٨٧ - ١٨٦
 ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٣
 ابو العباس احمد النقيس ١١٩
 ابو العباس احمد الوطاسى ١٧ -
 ١٩٣ - ٢٢
 ابو العباس الاندلسى ١٩١
 ابو العباس بن اقاضى - ٦ - ٨
 ١٤ - ١٧ - ١٩ - ٢٠ - ٣٩
 ١١٨ - ٨٦ - ٦٩ - ٥٨ - ٥٢
 ١١٩ - ١٤٦ - ١٩٠
 ابو العباس بن ودة العمرانى ٩٦
 ابو العباس المقرئ ٤
 ابو عبد الله ابن الاحمر ١٢
 ابو عبد الله بن عيسى ٦٨ - ١٨٩
 ابو عبد الله الترغى ٤٧
 ابو عبد الله الخروبى ٣١ - ٥١
 ابو عبد الله الشرفى ١٩٢
 ابو عبد الله العوفى ٥٧
 ابو عبد الله المزوار ٣٨
 ابو عبد الله المتوكل على الله بن عبد
 الله الغالب بالله - المسلوخ - ٤٢
 ٥٧ - ٥٨ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٩
 ٧٩ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤
 ٨٥ - ١٦٣
 ابو عبد الله محمد الاندلسى ٥٠

ابو عبد الله محمد الشيخ السعدي

- المهدي - بن ابي عبد الله القائم

بأمر الله - ٩ - ١٠ - ١١ - ١٣

١٧ - ١٨ - ٢١ - ٢٢ - ٢٤

٢٥ - ٢٦ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠

٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤

٣٥ - ٣٧ - ٥٢ - ٧٠ - ٧٨

٧٩ - ٩٠ - ٩٧ - ٩٨

ابو عبد الله محمد الشيخ المامون

بن المنصور ٩٣ - ٩٤ - ١٠٤

١١٦ - ١١٧ - ١٢٦ - ١٤٦

١٤٨ - ١٨٦ - ١٩٠

ابو عبد الله محمد الصالح بن

المعطي ١٩٣

ابو عبد الله محمد العربي

الفاسي ٦٩

أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله

السعدي ٣ - ٦ - ٨ - ١٢

١٣ - ١٤ - ١٥ - ٢٦ - ٧١

ابو عبد الله محمد المناعي ١٨٣

ابو عبد الله محمد الهبطي ٨١

ابو عبد الله النيجي ٥١

ابو عبد الله الهزميري ١٦٧

ابو عبد الله الوطاسي البرتغالي ٨

٩ - ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٦

ابو عبد الله اليستي ٣٧

السعدي ٥٥

ابو عبد الله محمد بن عذارى

الاندلسي ١٤٢

ابو عبد الله محمد بن عسكر ٨١

ابو عبد الله محمد بن علي بن

ريسون ١٤٥

ابو عبد الله محمد بن علي الفشتالي

١١٩ - ١٥٢ - ١٨٨

ابو عبد الله محمد بن علي الهوزالي

- النابغة - ٩٢ - ١٥٢

ابو عبد الله محمد بن عمر

الشاوي ١٤٦

ابو عبد الله محمد بن عمرو

المختاري ١٩٣

ابو عبد الله محمد بن قاسم

القصار ١٤٥ - ١٨٦

ابو عبد الله محمد بن مبارك

الزعري ١٩٢ - ١٩٤

ابو عبد الله محمد بن مبارك

الاقاوي - ٧

ابو عبد الله محمد اليرم ١٨٣

ابو عبد الله محمد الحبران

السعدي ٣٧

ابو عبد الله محمد زين العابدين

البكري ١٤٧

ابو عبد الله محمد الشرقي ١٤٦

- ١٤١ - ١٤٣ - ١٥١ - ١٥٢
 ١٦٣ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٨٨
 ١٩٠
 أبو فارس عبد العزيز الوزكي
 ٦٦ - ٦٨
 أبو فراس الحمداني ٦٨
 أبو الفرج بن الجوزي ٤٠
 أبو الفضل القاضي عياض ٧٢ - ٧٧
 أبو القاسم بن علي الشاطبي ٥٧
 ٩٦ - ١١٦ - ١٥٤
 أبو القاسم الزعري ١٩٣
 أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الحميدي
 ٤٦ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧
 ٦٥ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٨٦
 أبو مالك عبد الواحد بن أحمد
 الشريف السجلاسي ١١١ - ١٥٢
 ١٥٥ - ١٦٦
 أبو مالك الوائليسي ١٩١
 أبو المحاسن حسن بن أبي نعيم ١٥٠
 أبو المحاسن يوسف الفاسي ٧٨
 ٨٠ - ٨٢ - ١٢٠ - ١٩٣
 أبو محفوظ محرز بن خلف ٦٠
 أبو محمد بن إبراهيم التمارتي ٥٤
 أبو محمد بن ياسين ١٩٤
 أبو محمد الحياط ٥١
 أبو محمد عبد القادر بن الشيخ
 السعدي ٢٤
- أبو عثمان سعيد بن أبي بكر
 المشتري ٢٦
 أبو عثمان الهلالي الروداني ١٦٧
 أبو العلاء ادريس ١٠٨ - ١١٠
 ١١١
 أبو علي حرزوز المكناسي ٢٩
 أبو علي حسن بن عيسى المصباحي ٢٦
 أبو علي الحسن بن محمد
 الشريف ١٨٣
 أبو علي القوري ٨٣
 أبو علي اليوسي ١٤٦
 أبو عمران موسى بن أبي جمدي
 العمري ٣٧
 أبو عمران موسى بن مخلوف
 الكنسوسي ٥٧
 أبو عمران الوجاني ٣٤
 أبو عمرو القسطلي ٣٤ - ٤٨
 ١٩٢ - ٥٤
 أبو فارس بن المنصور السعدي
 ١٧٦ - ١٧٨ - ١٨٣
 أبو فارس عبد العزيز التباع ٨٨
 أبو فارس عبد العزيز الدباغ ١٠٣
 أبو فارس عبد العزيز الفشتالي ٩٠
 ٩١ - ٩٣ - ١٠٦ - ١١٢
 ١١٦ - ١١٧ - ١١٩ - ١٢٢
 ١٢٤ - ١٢٥ - ١٣٦ - ١٤٠

- ابو محمد عبد القادر البرنوى ١٠٣
 ابو محمد عبد الله بن حسين
 الامغارى ٤٨ - ٨٨
 ابو محمد عبد الله بن ساسى
 ٢٠ - ٨٧
 ابو محمد عبد الله بن عمر
 المضغرى ٣٦
 ابو محمد عبد الله بن على بن طاهر
 السجلماسى ٤ - ٥
 ابو محمد عبد الله بن محمد
 الجزولى ٨٩
 ابو محمد عبد الله بن محمد الفاسى
 ٥٥
 ابو محمد عبد الله بن محمد بن
 الهاشمى بن خضراء السلاوى ١٨٥
 ابو محمد عبد الله بن يعقوب
 السملالى ١٨٦
 ابو محمد عبد الله الغالب ٣١ -
 ٣٤ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩
 ٤٢ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٩
 ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤
 ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦١ - ٨٨ - ٩٠
 ١٤٥ - ١٦٣
 ابو محمد عبد الله الكوش ٢٠ -
 ٢٦
 ابو محمد عبد الله الهبطى ٨٧
 ابو محمد عبد الواحد بن احمد
 الحميدى ١٩٢
 ابو محمد عبد الواحد بن احمد
 الشريف السجلماسى ٥٦
 ابو محمد عبد الواحد بن احمد
 الوانشريسى ٢٢ ٢٣
 ابو محمد عبد الوهاب بن محمد
 ابن على الزقاق ٢٩
 ابو محمد الغزوانى ١٦ - ٨٧ -
 ١٩٢
 ابو محمد مؤمن بن الغازى ٨٩ -
 ٩٣
 ابو مروان عبد الملك المعتصم بالله
 ابن ابي عبد الله الشيخ السعدى
 ٣١ - ٣٤ - ٣٧ - ٥٨ -
 ٥٩ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤
 ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٩ -
 ٧٢ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨٢
 ٨٣ - ٨٤ - ٨٦ - ٨٨ - ٩٥
 ١٤٥ - ١٦٣
 ابو المعالى زيدان بن المنصور ٥٤
 ابو مهدى عيسى بن الحسن المصباحى
 ٥٨
 ابو مهدى عيسى بن عبد الرحمن
 السكتانى ٥٣
 ابو ميمونة ٨٩

الافرنج الفرنج ١٦ - ٦٩ - ٧٥	ابو النعيم رضوان بن عبد الله
١١٣ - ١٨٣	الجنوى ٦٥ - ١٩١
الالمان ٨٢	ابو الوليد بن رشد ٧٧
الانصار ١٠٨	أحمد بن الحسن الحفصى ٥٩ - ٦٠
أهل أزمور ٤٤ - ٤٥	أحمد بن الحسن ١٨١
أهل الاندلس ١٦٣ - ١٨٩	أحمد بن حمو الدرعى ٥٨
أهل برنو ١٠٣	أحمد بن عبد الحق ١٧٤
أهل بلاد الهبط ١٢٠	أحمد بن على السوسى البوسعيدى ٧
أهل البيت ٩٦	أحمد بن عمر بن موسى ٨٣
أهل تونس ٥٩	أحمد بن محمد الصغير ١٨٠
أهل الجزائر ٦٢ - ٦٣	أحمد بن محمد بن موسى ٥٤ -
أهل درعة ٣ - ٩٥ - ١٧٥	١٨١
أهل درن ١٧٩	أحمد الهبطى ٥٧
أهل سجلماسة ٣	أحمد اليستنى ٣٦
أهل السوس ٦ - ٧ - ٨ - ١٠	أحمر ١٧٣
١٨ - ١٧٥	اسماعيل بن الشريف ١٤٣
أهل السوس الاقصى ٢٩ - ٧٤	اسحق بن داود ١٠٢ - ١١١
أهل السودان ١٠٣ - ١١٤ -	اسحق سكية ١١٢ - ١٢٢ -
١٢٦ - ١٢٩ - ١٣١	١٢٣
أهل الشام ٧٤	الاصنيول ٥٩
أهل طرابلس ٦٢	الاصنيوليون ٨٥
أهل العدو ٧٠ - ٧٥	الاصطنبوليون ٨٥
أهل غانة ١٠٠ - ١٠٣ - ١٣٣	الاروام ١١٣
أهل غرناطة ٥٤	الزيدانيون ٥
	اعراب المغرب ١٣٢
	الاغا ٦٣

أهل فاس ١١ - ٢٢ - ٢٣ - ١٧٨	أولاد طلحة ١٧٠ - ١٧١ - ١٨١
أهل القصر ٧٨	أولاد عمران ٦٤ - ١٧٣
أهل كانم ١٠٣	أولاد القائد بركة ١٧٤
أهل كنوا ١٠٣	أولاد مطاع ٩٠ - ١٧٣
أهل مالى ١٠٠ - ١٠٣	أولاد التقسيس ١١٩
أهل مراکش ٣٤ - ٣٨ - ٧٨	أولاد يحيى بن غانم ١٧٤
١٧٥	حرف (ب)
أهل المشرق ١٨٩	البابا ٨٢
أهل المغرب ٥٤ - ٧٠ - ٨٢	بابا حمو اكران ١٧٢
١٨٩ - ١٣٣	بابا عبد القادر ١٧٢
أهل مملكة كوكو ١٠١	بابا عبد الله ١٧٢
أولاد ابى راس ١٧٣	بابا عبد الملك ١٨٢
أولاد ابى السباع ٨٧	بابا منصور ١٧٢
أولاد ابى الليف ١١٩ - ١٢٠	الباشا جودر ١٢١ -
أولاد ابى محمد عبد الله بن ساسى	١٢٢ - ١٢٣ - ١٦٣ - ١٦٤ -
١٧٨	١٧٦ - ١٧٧ -
أولاد ابى عزيز ١٧٣	الباشا محمود ١٦٣ - ١٦٤
أولاد جلول ٧٩	البخارى ٢٣ ٣٦ - ٧٧
أولاد حسين ١٧٤	٩٠ - ٩٧ -
أولاد الشيخ أبى البقاء خالد	بختيار ١٦٣
المصودى ٣١	البرانس ١٤٥
أولاد الشيخ أبى زكرياء يحيى بن	البربر ٩٤ - ١٠٠ - ١٣٤
بكار ١٧٨	البرتغال ٦ ٩ - ١٠ - ١١
أولاد الشيخ ابى عمرو القسطلى	١٢ - ١٣ - ١٦ - ٤٢ -

حرف (ت)

تاج الدين السبكي ٥٥

الترك - الاتراك ٢٥ - ٢٨ - ٣١

٣٣ - ٣٤ - ٣٩ - ٤٢ -

٤٣ - ٤٩ - ٥٤ - ٦٣ - ٦٤

٦٥ - ٨٥ - ٨٨ - ٩٥ - ٩٧

١١٤ - ١٣٠ - ١٤٥ - ١٧٠

١٧٢ - ١٧٤

التكروري ١٠١

حرف (ج)

جراوة ٦٨

جرمون ٦٤

جسيمة ٧

جلال الدين السيوطي ١٠٢

حرف (ح)

الحاج قرقوش ١١٧

الحاج محمد سكية ١٠١ - ١٠٢

حاجة ١٣

حام بن نوح ٩٩

الحبشة ١٠٨

الحران ٢٤ - ٢٥

حسن بن خير الدين التركي ٢٥ -

٣٩ - ٥٩

الحسن بن قاسم ٣

٦٩ - ٧٨ - ٨١ - ٨٢ -

٨٤ - ٨٥ - ٨٨ -

البرتغاليون ١٩ - ٢٠

البرزلي ٧٥

بغا ١٦٣

بركات ٧

بنو آقيت التكروريون ١٢٩

بنو ابي حفص ٥٩

بنو امغار ٨٨

بنو حسن ٩٨

بنو صالح ١٠٠

بنو صالح بن منصور الحميري ٢٢

بنو راشد ٤١ - ٥٧

بنو سعد بن بكر ٤ - ٦

بنو العباس ١٠٩

بنو عبد الواد ١١٣

بنو مرين ٢٦ - ٣٠ - ١٠٣ -

١١٤

بنو معقل ٩٥

بنو وطاس ٧ - ١٠ - ٢٤ - ٢٨

٣١ - ٣٢

البليدروش ٤٣

بهرام ١٨٦

بيلارباي ١٦٥

رفاعة الطهطاوى ١٨٣

رمضان العليج ٨٦

الروافض ٥١

الروم ٧٧

الريكي ٨٤ - ٩١

حرف (ز)

الزهرهونى ٥٤

زيدان بن ابى العباس أحمد الاعرج

السعدى ٣ - ١٢ - ١٨

زيدان بن المنصور ١١٦ - ١١٧

١٣٠ - ١٧٥ - ١٧٧ - ١٧٨

١٨٦ - ١٨٧ -

الزيدانيون ٩

حرف (س)

سبستان ٦٩ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣

٨٤ - ٨٦ - ٩١

سحابة الرحمانية ٦٢ - ٦٣

السعديون ٣ - ٤ - ٥ - ٦ -

٢٤ - ٣٠ - ٣١ - ٤٣

سعيد بن صالح ٢٢

سعيد بن على الحمادى ١٨

سعيد الرغالى ٦٤

السفاح ١٠٩

سكية ١٨٦

سلمان ١٦٢

الحسن بن محمد الحفصى ٥٩

الحسين العليج ٨٣

الحفصيون ٥٩

حليمة السعدية ٤

الحنفية ٧٦ - ٧٧

حيدر باشا ٦٠

حرف (خ)

الخزندار ٦٣

خير الدين باشا التركى ٥٩

الخيزران ١٧٧

خلفاء بنى العباس ١٣٠

حرف (د)

داود بن محمد ١٠٢

الدولاتى ٦٢ - ٦٣

دولة ابى حفص ٦١

دولة بنى زيان ٢٥

الدولة الحفصية ١٠٣

الدولة السعدية ١٦٥

دولة السعديين ٨ - ٥٥

دولة الشرفاء ٧

الدولة المرينية ٩٧ - ١٠١

الدولة الوطاسية ٣١

حرف (ر)

رضوان العليج ٨٠ - ٨٦

- سليمان العثماني ٣١ - ٣٢ -
 ٣٣ - ٣٤
 سليم بن سليمان العثماني ٣٤ -
 ٥٩ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٨٥ -
 ١٠١
 سنان باشا ٦٠
 السودان ٩٩ - ١١١ - ١١٢
 ١١٤
 سيدة الملك ١٨٢
 حرف (ش)
 الشاطبي ١٥٢
 الشاطبي - القاضي - ١٦٧
 الشاوية ١٩٢
 الشراقة ٥١
 الشرقي ٥٤
 الششري ١٥٢
 الشطبي ٥١
 الشياظمة ١٠ - ١٣ - ١٧٣
 الشيخ ابن زيدان ٤
 الشيخ التباع ١٩٣
 الشيخ عبد الجليل ١٦٧
 الشيعة ٥١
 حرف (ص)
 صالح باي ٣٢
 صالح بن عبد الله ١٠٠
 صالح التركماني ٢٨ - ٣٣
 الصدر الاعظم ٦٢
 ضهاجة ١٠١
 حرف (ط)
 طاهرة ابنة المنصور السعدي ١٨٢
 الطليان ٨٢
 الطليطي ٢٢
 حرف (ع)
 عبدة ١٧٣
 عبد الرحمن بن تودة ٥٧
 عبد الصادق بن ملوك ٥٤
 عبد العزيز بن سعيد الوزكيتي
 ١٧٨
 عبد الكبير بن ابي عبد الله محمد
 القائم بامر الله السعدي ٩ - ١١
 عبد الكريم بن الشيخ ٥٤
 عبد الكريم بن مؤمن العليج الجنوي
 ٥٤ - ٥٧
 عبد الله بن حسين ١٠٠
 عبد المومن بن ابي عبد الله محمد
 الشيخ السعدي ٣٧ - ٥٩
 عبد المومن بن علي ٣٠ - ١٤٢ -
 ١٤٣
 عبيد الله المهدي السعدي ٢٢
 عثمان بن ابي عبد الله محمد الشيخ

حرف (ف)

فرنسا ٩٢
فيليب الثاني ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ -
٩١

حرف (ق)

قاسم بن حسن ٤
قاسم بن محمد ٤
قاسم الزرهوني ٣٠ - ٥٧
قبائل الحوز ٤٢
قبائل السوس ٧ - ٢٨ - ١٧٣
القبائل السوسية ١٢ - ١٨
قبائل المغرب ٣١
قبيلة زمور ٧٩
قرش ١٠٨

حرف (ك)

كاغو ١٠١
الكريني ١٧٤

حرف (ل)

لسان الدين بن الخطيب ١٦٢
لملم ١٣٣
لوزير مارية ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ -
٤٥ - ٤٦ - ٨٥

حرف (م)

الماوردي ٧٢
ماري زاطة ١٠١
مالك ٧٧

السعدى ٣٧

العجم ٧٦ - ١٦٣
العرب ٥٠ - ٧٦ - ١١٦ -
١٦٣

عرب الودايا ٩٥

العريفة بنت خنجو ٣٠
عزوز بن سعيد الوزكي ١١٦
عقبة بن نافع الفهري ١١٦
علوج ٩٦ - ١٦٣
العلويون ٣ - ٤ - ٥
على باشا ٦٠
على بن ابي بكر ٥٨
على بن مؤمن ٨٣
على بن محمد ١٧١ - ١٧٣
عمار ٧٤ - ١٦٣

عمر بن ابي عبد الله محمد الشيخ
السعيدى ٣٧

عمر بن الحسن ابو الليف ١٢٠
عمر بن الخطاب ١٩٣
عمر بن محمد بن عبو ١٧٣
عمر بن محمود آقيت ١٣٠
عمرو الساف ١٥
عميرة ١٨٦

عيسى بن ادريس الحسنى ١٩٢
عيسى بن مريم ١٠٦

- المالكية ٧٧
 مومن بن ملوك ١٧٤ - ١٧٧
 مؤمن بن منصور ١٨٠
 المتنبى ٣٦
 محمد ابو طيبة ٨٣
 محمد الامين الدفترى ٩٧
 محمد بن ابى القاسم ٣
 محمد بن احمد بن عيسى ٥٧
 محمد بن الحسن الحفصى ٦٠ -
 ٦١
 محمد (فتحا) بن الشريف ٤
 محمد بن عبد الرحمن السجلماسى
 ٥٧
 محمد بن عبد الرحمن الوردى
 ١٨١
 محمد بن عبد القادر ١٥٠
 محمد بن على الانكراطى اليملاى
 ١٨
 محمد بن عمر الشاوى ٨٦
 محمد بن عيسى ٨٦
 محمد بن الغالب بالله ٤٩
 محمد بن موسى بن ابى بكر ١٧٩
 محمد الكبير ١٩٠
 محمد النفس الزكية ٣ - ٤
 محمود آقيت ١٢١
 محمود باشا ١٢٣
 محيى الدين بن عربى ١٤٤
 مخلوف بن صالح ١٤
 المراط الاندلسى ٥٤
 المراطون ١١٣ - ١٣٤
 مراد بن سليم العثمانى ٩١ - ٩٢
 ٩٦ - ٩٧ - ١٠٤
 مريم السعدية ٦٧
 المرينيون ١١٣
 المسيح ١٩١
 معاوية ٧٤
 مسعود أوتاودى ١٨١
 مسعود بن مبارك ١٨٢
 المسعود بن الناصر ١٦ ٨٩
 مسعودة الوزكيتية ٦٢ - ١١٧
 ١١٨ - ١٢٦
 مسعود الدورى ١٧٥
 مسعود الوصف ١٧٩
 مسلم ٧٢
 المصامدة ٨
 مصطفى باشا ٦٠
 مصطفى باى ١٦٣
 المثلثون ١٠٠ - ١١٤ - ١٢٢
 المنابهة ١٧٣
 منسارطة ١٠١
 منسا سليمان ١٠١
 منسا موسى بن ابى بكر ١٠٠ -
 ١٠١
 المنصور بن ابى عامر ١٤٣

حرف (هـ)

الهبطى ٥٤

هنتاة ١٥

حرف (و)

ولد آصناك ٥٤

ولد ابراهيم بن الحداد ١٨١

الوطاسيون ١٢ - ١٦ - ٢١ -

٢٩ - ٢٤

الوكيل ٦٣

ولى الدين ابن خلدون ١٣٣

حرف (ي)

اليستينى ١٩١

يحيى بن تافوت ١٠

الشكارية ٣٣

يعقوب الكانمى ١٠٢

يعقوب المنصور الموحدى ١٠٢

انفرنسى ٣ - ٥ - ٧ - ١٢ -

٢٥ - ٣٠ - ٣١ - ٤٠ - ٤١ -

٤٩ - ٥٤ - ١٤٣ -

١٤٤ - ١٤٥ - ١٦٥ - ١٦٦ -

١٦٩ - ١٨٧ - ١٩٣ -

يوسف ١٨٢

يوسف بن تاشفين ٧٥ - ١٠٠ -

١١٤

اليوسفية ٥٠

يونس بن سليمان التاملى ٥٨

منصور بن المزوار ١٧٢

المنصور العباسى ١٠٩

منصور النبلى ١٧٦

موسى بن ابى جمدى العمرى ٩٨

موسى ١٣٣

مولود المشاورى ١٦٤

المهدى الفاطمى ١٨٦

منويل ٨ - ١٠ - ١٢ - ٢٠ -

٨٢ - ٨٣ - ٨٤

الموحدون ١١٣ - ١٣٤ -

١٤٢

الميلودى ٤٤

حرف (ن)

النصارى ٧ - ١٠ - ١٢ - ١٥ -

١٧ - ٢٠ - ٢٤ - ٤٣ -

٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٩ -

٥٩ - ٦٠ - ٦٩ - ٧٠ -

٧٥ - ٧٨ - ٧٩ - ٨١ -

٨٢ - ٨٣ - ٨٥ - ٩١ -

١٧٤ - ١٨١ - ١٨٣ - ١٩٠ -

١٩١

الناصر بن الغالب ١٦ - ١٤٥ -

١٤٦

ناصر بوشتنوف ١١

التجليز ٩٦

فهرس الاماكن



حرف (أ)	ارض الصحراء ٩٨
آزغار ٩٨	ارض المغرب ٣٠ - ٨٣ - ٩٩
آزمور ١٢ - ١٧ - ١٩ - ٢٠	١١٤
٤٢ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦	ارض المغرب الاقصى ٦٣
٨٨ -	ارض النوبة ٩٩
أسفى ١٠ - ١١ -	الاوربا ٨٤
١٢ - ١٤ - ١٦ - ١٧ - ١٩	اسبانيا ٨٢ - ٨٥
٤٣ - ٤٤	اشبونة ١٩ - ٤٣ - ٨٢ - ٨٤
أصيلا ٧ - ١٧ - ١٩ - ٦٧	اصطنبول ٦٠ - ١٠٤
٧٨ - ١١٩ - ١٤٥	افريقية ٢٢ - ٩٩ - ١١٤
آغمات ١٦٦ - ١٦٧	أقصى المغرب ١٢٥
آفغال ١٣ - ١٤ - ١٨	الاندلس ١٢ - ٦٤ - ١١٣ -
آقت ٧ - ٨	١٤٣ - ١٤٥ - ١٥١ - ١٦٣
اكادير ١٠ - ١٢ - ٢٠ - ٣٠	١٦٤ - ١٦٥
آكلكال ٣٣	اهرام القاهرة ١٣٥
آيت عتاب ١٩٢	حرف (ب)
ابو عفية - بتادلا - ١٢	باب تونس ٦٠
ابو غاص ٥٨	باب الخميس بمراكش ١٦ - ١٧٤
ارض التكرور ١٠٠	باب القنوج بفاس ٦٤ - ١٩٠
ارض الحجاز ٣	١٩١
ارض السودان ١١١ - ١٣٣	باب الشماعين - احدى أبواب

بلاد السوس ٧-٨٨	القرويين - ٢٣
البلاد السوسية ١٣-١٥-٢٠	باب عجيسة بفاس ١٤٠-١٩٠
بلاد عبدة ١٠	باب مصمودة بفاس ١٩٢
بلاد الغرب ١٨٦	باديس ٣٩
بلاد غمارة ٤١-١١٧-١٤٥	باريس ١٨٣
بلاد الفحص ١٧٢	البحر المحيط ٩٩-١٢٥
بلاد فشتالة ١٧٥-١٩٢	البيدع ١٣٤-١٣٥-١٤٢
بلاد كوكو ١٠٠-	١٤٣-١٤٤-١٦٤
البلاد المراكشية ٦٥	برج العيون ٥٩
بلاد مصر ٩٩	برنو ٩٩-١٠٣-١٠٥-
بلاد المغرب ٦٩-٨٣-٨٦-	١١١
٩٩-١٣١	البريجة ٤٢
البلاد المغربية ١٩٠	البيستون ٦٠
بلاد النوبة ١٢٥	بسيط عبدة ١٠
بلاد الهبط ٧-٤١-١١٧	القرويين ٢٣
البوغاز ٤٩	بلاد آل سكينة ١٢٢
بوغاز طنجة ٤٨	بلاد الافرنجية ١٣٥
بوياون ١٧٩	بلاد برنو ١٢٥
حرف (ت)	بلاد الترك ١٥٣-١٦٣
تاجمدارت ٧	بلاد تيكورارين ٤٠
تازا ١٤٥	بلاد درعة ١٢٦
تادلا ١٦-٢١-١١٧-١٧٥	بلاد حاحة ١٠-١٣٥-١٩٠
تارودانت ٨-١٠-١٤-٣٣-	بلاد الروم ١٣٥
٣٤-٩٠-١٦٧	بلاد السودان ٩٩-١٠٠-
تاستاوت ١٩٢	١٠١-١٠٢-١٠٥-١١٢
تافيلالت ١٢-٥١	١١٣-١٢٦-١٢٩

تسوية الكلاوى ١٢١

حرف (ج)

جامع ابن يوسف ٣٩

جامع الاشراف ٣٩ - ٤١ -

١٨٧ - ١٨٦

الجامع الاعظم بتونس ٦٠

جامع القرويين ١١٨ - ١٤٥

١٩٠

جامع المنصور بمراكش ٣٥ - ٥٢

٧٧ - ١٦٤

الجاية ١٤٦

جبال السوس ٦٧

جبل درن ١٠ - ٣٣ - ٦٨

جبل سكسيوة ٩٤ - ٩٥

جبل هوزالة ٩٥

الجديدة ١٧ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٥

٤٦ - ٥٤ - ١٨٣

الجزائر ٢٥ - ٢٨ - ٣٢ - ٣٤

٤٩ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢

٦٣ - ٨٨ - ٩١ - ٩٥

١٧٤

جزيرة مالطة ٨٥

جسر وادى ام الربيع ١١٧

جعيدان ١٩٤

جنان الصالحة ١٤٢

تاقبالت - ١٧٥

تامسنا ٧٨ - ٧٩ - ١١٦

تامصلوحت ٤٨ - ٨٨ - ١٨٠

تانسيفت ٢٠ - ٩٤

تاهدارت ٨٠

ترغة ٤١

تطاوين ٧٩ - ٨٤

التكرور ١٠٢ - ١٣٣

تلمسان ٤ - ٢٥ - ٣١ - ٣٤ -

٣٦ - ٣٧ - ٥٩ - ٦١ - ٧٧

١١٣ - ١١٤ - ١٣٠ - ١٧٠

١٧٢

تبككو ١٢١ - ١٢٣ -

١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٥

١٨٦

توات ٩٨ - ١٠٥ - ١١٢

تونس ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢

٧٧ - ١٧٤

تيدسى ٨ - ١٢

تيط ٨٨

تيكورارين ٩٨ - ٩٩ - ١٠٥

١١٢

تيلمست ١٤

تينزرت ٦٨

حرف (ث)

الثغور الهبطية ٤٩

الركن ٦٤
الرملة ٥٨
الرملة ١٦٥
روضة السعدين ٣٥
روضة الشيخ ابي زيد الهزيمى
١٩٢
رومة ٤٤ - ٨٢
رياض الزيتون ٥٥

حرف (ز)

الزاهرة ١٣٥ - ١٤٣ - ١٤٤
الزهراء ١٣٥ - ١٧٧
زوراء العراق ١٣٦

حرف (س)

ساحل طيظ ٤٣
سبتة ٣٦ - ٤٨ - ٨٤ - ١١٩
سجلماسة ٣ - ١٨ - ٣٤ - ٥٩
٦١ - ٩٩ - ١٧٠
سفلى ٩٩ - ١٠٣
سلا ٣٠ - ٦٥ - ٧٩ - ١٧٤
١٧٥ - ١٧٩ - ١٨٣ - ١٩١
السودان ٩٩ - ١٠٠ - ١٠٢ -
١٠٤ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣
١٣١ - ١٣٣ - ١٦٣ - ١٨٦

جنوة ١٩١

حرف (ح)

الحاجب ١٤٦
الحجاز ٣ - ٩ - ١٠١ - ١٥٠
حجر باديس ٧ - ٤٩
حصن الفتح ١٩٠
حصن فوتى ١٩
حلق الوادى ٥٩ - ٦٠
حمام المرنى ٣٧
حومة المواسين ٣٩

حرف (خ)

خندق الريحان ٦٥
خندق الوادى ١٧٩ - ١٨١ -

حرف (د)

دار الديبغ ١٧٤
درعة ٦ - ٧ - ٩ - ١٠ - ١١
١٢ - ٣٣ - ١٢١ - ١٩٠
الدعاع ٢٦ - ٥٨
دمنات ١٨٠
الدوح ١٧٥
ديار الروم ٧٨

حرف (ر)

رباط الفتح ١٩١

حرف (ع)

العدوة ٧٩

عدوة فاس الاندلس ١٩٢

العرائش ٦٧ - ٧٩ - ٨٢ -

٨٣ - ٨٤ - ١٩٠

حرف (غ)

غانة ٩٩ - ١٠٠

الغرب ١٠٠ - ١٧٥

حرف (ف)

فاس ٤ - ٨ - ٩ - ١١ - ١٢

٢٢ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٨

٢٩ - ٣٠ - ٣٣ - ٣٧ - ٣٩

٤٦ - ٥٥ - ٥٧ - ٥٨ - ٦٤ -

٦٦ - ٦٨ - ٧٩ -

٨٤ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٩ -

٩٠ - ٩١ - ٩٤ - ٩٦ -

٩٧ - ٩٨ - ١٠٤ - ١١٦ -

١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ -

١٢٦ - ١٤٦ - ١٦٦ -

١٧٠ - ١٧١ - ١٧٦ - ١٩٠

١٩٢ - ١٩٣

فاس الجديد ٣٨ - ٥٥ - ٦٤ -

١٧٦ - ١٨٦

فحص طنجة ٥٨

فوتى ٢٠

السوس ٧ - ١١ - ١٣ -

١٩ - ٣٣ - ٣٦ - ٦٦ - ٦٨

١١٧ - ١٦٣ - ١٧٨ - ١٧٩

١٨٠ - ١٨٣

السوس الأقصى ١٠ - ٢٠

حرف (ش)

شالة ١٩٢

الشام ١٣٥

الشرق ٩٩ - ١٠٠

شفشاون ٤١ - ٥٧

شوشاوة ١٣٥ - ١٩٠

حرف (ص)

الصحراء ٩٥٠ - ١٠٠ - ١١٤

صعيد مصر ١٢٥

صقلية ٦٠

سوصو ٩٩ - ١٠٠

حرف (ط)

طرابلس ٦٠

طريق تاحضشت ١٧٩ - ١٨٠

طنجة ٧ - ٥٨ - ٦٨ - ٦٩ -

٧٨ - ٧٩ - ٨٣ - ٨٨

حرف (ظ)

ظهر الزاوية ١٧٨

كوكو ٩٩

حرف (م)

مالى ٩٩ - ١٠٠

المدينة ٦ - ٤١ - ١٥٠

المدينة البيضاء ١٧٩

المحمدية ١٨٠

مراكش ٤ - ١١ - ١٤ - ١٥

١٦ - ٢٠ - ٢١ - ٢٤

٢٦ - ٢٨ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٥

٣٧ - ٣٩ - ٤٨ - ٥٠ - ٥٥

٥٧ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦

٦٧ - ٦٨ - ٧٣ - ٧٨ - ٧٩

٨١ - ٨٦ - ٨٧ - ٩١ - ٩٣

٩٤ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨

١٠٥ - ١١٠ - ١١٦ - ١١٧

١٢١ - ١٢٦ - ١٣٠

١٣١ - ١٤٣ - ١٦٥

١٦٦ - ١٧٠ - ١٧٢

١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧

١٧٨ - ١٨٠ - ١٨٣

١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧

١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١

١٩٢

مرسى تطاوين ٩٦

مرسى طنجة ٤٩

المسجد الجامع بحومة باب كونة

حرف (ق)

قادس ٢٦ - ٨٣

القاهرة ١٣٥

قبور الاشراف ٣٤ - ٥٢ -

١٦٤ - ١٨٧

القرويين ٩ - ١٩٣

القسطنطينية ٣٢ - ٥٩ - ٦١ -

٨٦ - ٩١ - ٩٦ - ٩٧

قسنالة ٥٩ - ٦٠ - ٩١ - ١٤٥

القصة بتونس ٦٠

القصة بفاس ١٠٤

القصة بمراكش ٥٢ - ٦٠ -

٦٧ - ١٨٧

القصر ٥٨ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٤

١٢٠

القصر الكبير ٨٦

قصر كرامة ٨٠

قلعة نكور ٢٢

قنطرة عصماء ٥٨

القروان ٦٠

حرف (ك)

كانغو ٩٩ - ١١٢ - ١٢٢ -

١٢٣ - ١٨٦

كانم ٩٩ - ١٠٢

كتى ١٠٣

مملكة كاغو ١١١	بمراكش ١١٧
منار القرويين ٣٨	المسرة ١٢٥ - ١٤٢
حرف (ن)	المشتهى ١٢٥ - ١٤٢ - ١٦٤
نهر سبو ٦٥	مصر ٣١ - ١٠١ - ١٠٢ -
نهر ورغة ١٧٥	١١٥
النيل ٩٩ - ١٢٣ - ١٣٣	المغرب ٣ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ -
حرف (و)	٩ - ١٠ - ١٢ - ١٣ - ٢٢ -
وادي ام الربيع ٣٠	٢٥ - ٢٨ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ -
وادي تانسفيت ١٢١	٣٤ - ٤٩ - ٥٠ - ٥٩ - ٦١ -
وادي سبو ٣٠	٦٢ - ٦٣ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٨ -
وادي شراط ٦٥	٦٩ - ٧٠ - ٨٢ - ٨٥ - ٨٦ -
وادي سلف ٢٥	٨٧ - ٨٨ - ٩٥ - ٩٨ -
وادي اللبن ٣٩	٩٩ - ١٠٠ - ١٠٥ - ١١٤ -
وادي المخازن ٤٢ - ٨٠ - ٨١ -	١٢٥ - ١٢٦ - ١٣١ -
٩٥ - ٩١ - ٨٨ - ٨٧ - ٨٦	١٤٥ - ١٥١ - ١٧١ - ١٨٦ -
٩٨ - ١٦٣ - ١٩١ -	١٨٧ - ١٩١ - ١٩٢ -
وادي مضي ٢٦ - ٥٨	المغرب الأقصى ٣١ - ٤٩ -
وادي نول ٢١	المغرب الاوسط ٢٤ - ٣١ -
وادي النجاة ٦٤	١٧٢
وهران ٤٩ - ١٨٦	مكة ٩ - ١٥٠ - ١٩٢ -
حرف (ي)	مكناسة ٢١ - ٢٦ - ٧٩ - ٨٨ -
ينبع النخل ٣ - ٥	١١٧ - ١٧٦ - ١٧٨ -
	١٩٢ - ١٩٤ -
	مليانة ٥٥
	مملكة برنو ١٠٣ - ١٠٤ -
	١٠٥

الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الاقصى



الدولة السعدية

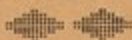
- القسم الثاني -

الجزء السادس



تمحيق وتعليق ولدى المؤلف :

الاستاذ جعفر الناصري — والاستاذ محمد الناصري

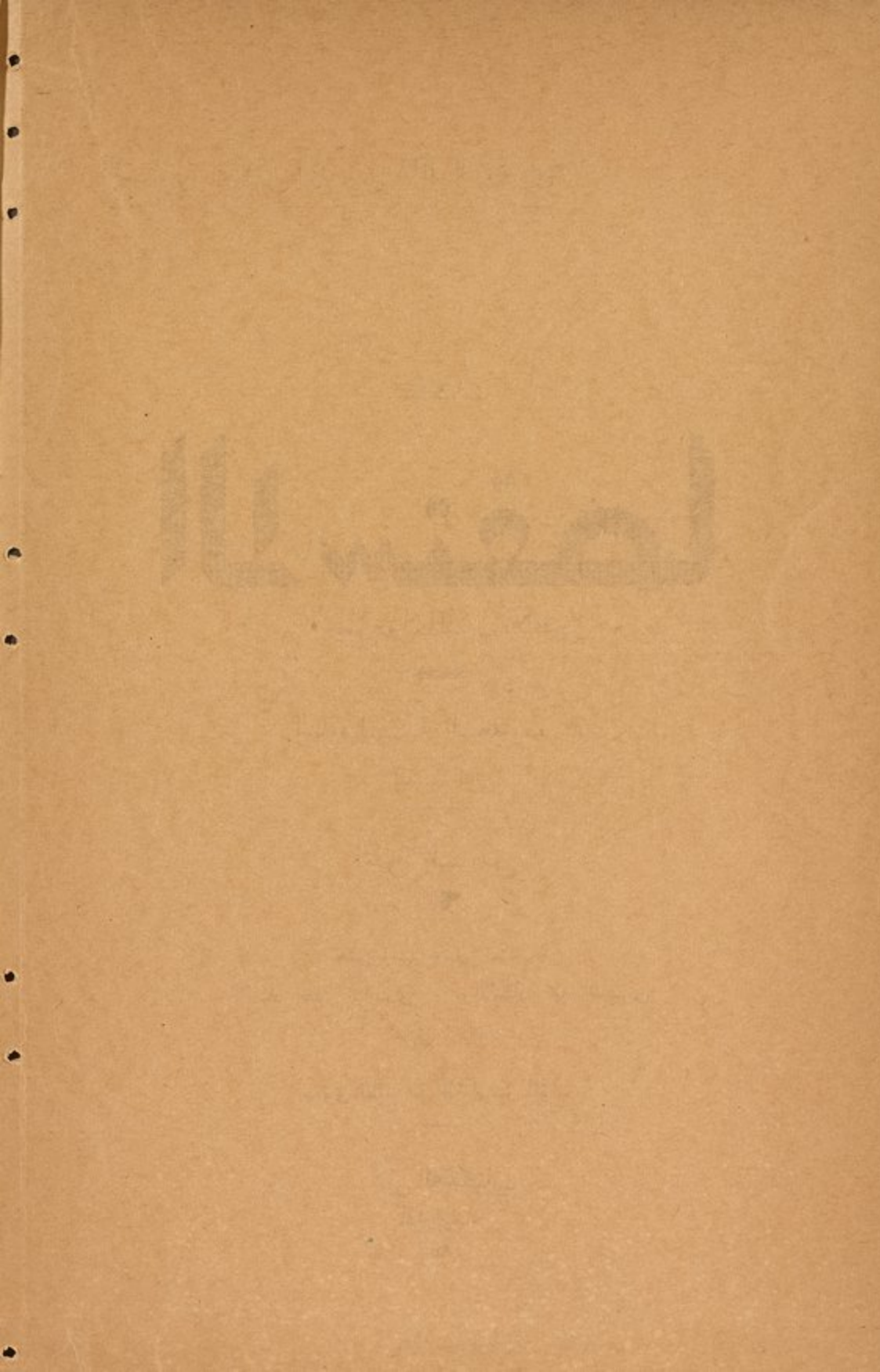


حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٥



الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الاقصى



الدولة السعدية

- القسم الثاني -

الجزء السادس



تحقيق وتعليق ولدى المؤلف :

الاستاذ جعفر الناصري — والاستاذ محمد الناصري



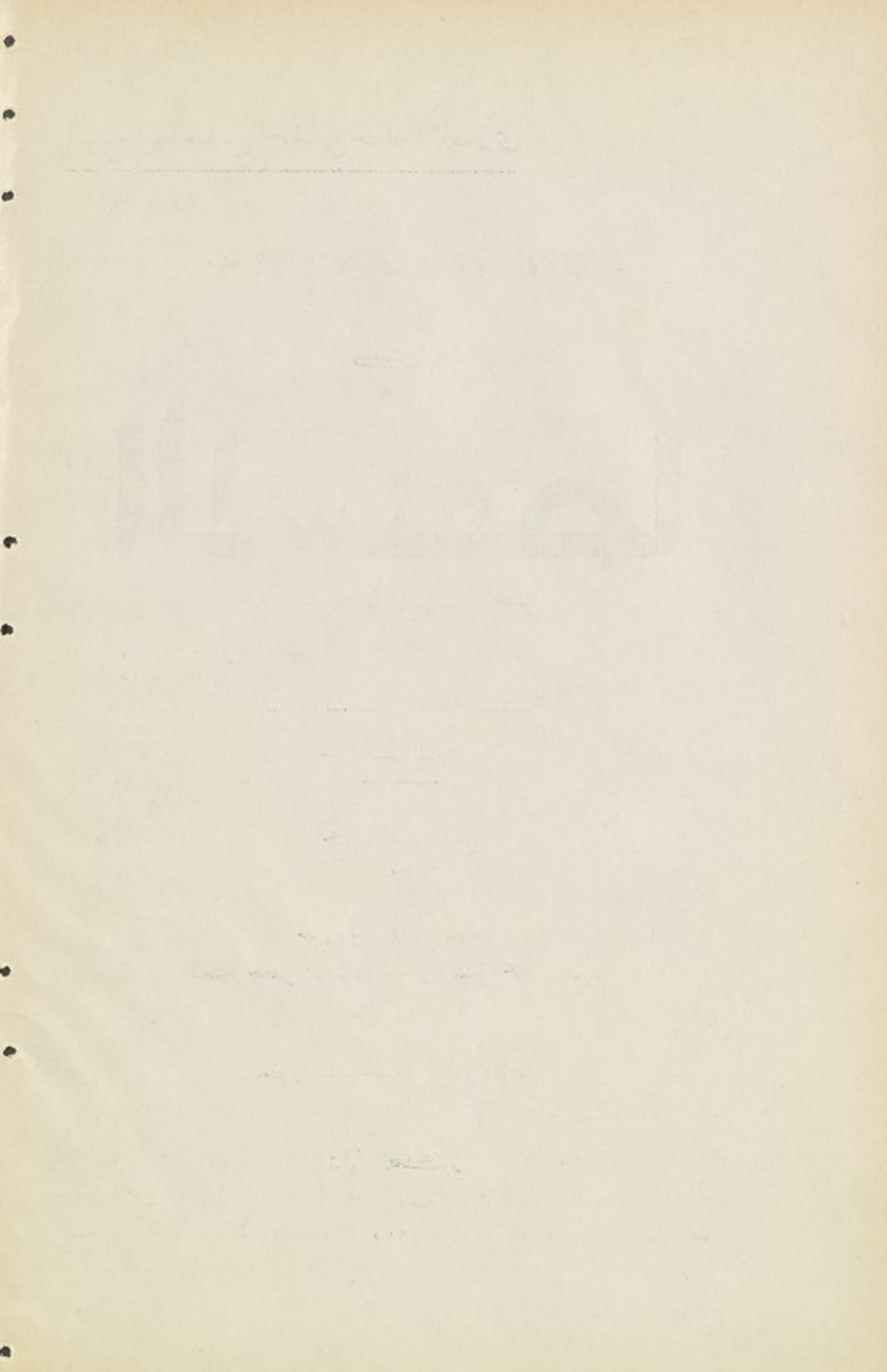
حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف



دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٥



بسم الله الرحمن الرحيم

الدولة السعدية

القسم الثاني

الحبر عن دولة السلطان أبي المعالي زيدان بن احمد المنصور
رحمه الله تعالى

لما توفي المنصور رحمه الله وفرغ الناس من دفنه اجتمع أهل الحل
والعقد من اعيان فاس وكبرائها والجمهور من جيش المنصور على بيعة ولده
زيدان ، وقالوا: ان المنصور استخلفه في حياته ومات في حجره ، وكان ممن
تصدي لذلك القاضي : قاضي الجماعة بفاس ابو القاسم بن ابي النعيم ،
والقاضي ابو الحسن علي بن عمران السلاسي ، والاستاذ ابو عبد الله محمد
الشاوي ، والشيخ النظار ابو عبد الله محمد بن قاسم القصار وغيرهم .
ويحكى ان القاضي ابن ابي النعيم قام في الناس خطيبا وقال : اما بعد ،
السلام عليكم ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات اجتمع الناس
على ابي بكر رضي الله عنه ، ونحن قد مات مولانا أحمد وهذا ولده مولانا
زيدان اولي بالملك من اخوته . فبايعه الحاضرون يوم الاثنين السادس عشر من
ربيع الاول سنة اثنى عشرة والف(*) . قالوا : وكان زيدان لما توفي
والده كتم موته وبعث جماعة للقبض على اخيه الشيخ المسجون بمكناسة

(*) قال المؤرخ المجهول: بوبع زيدان بعد وفاة ابيه وقبل دفنه ، ونسب الخطبة الآتية
للقصار وزاد فيها بعد قوله اجتمع الناس على ابي بكر ما نصه : فبايعوه واخذوا في
تجهيز رسول الله بعد ذلك ونحن كذلك نفعل . واظن هذه الرواية اقرب الى الواقع لان
القصد بالخطبة هو تبين السنة في تقديم المبايعة على الدفن والا كانت من محض الاخبار بالمعلوم

فمنعهم من ذلك البابا جوذر كبير جيش الاندلس وحمل الشيخ موثقاً الى مراکش حتى دفعه الى اخيه أبى فارس وكان شقيقاً له ، فلم يزل مسجوناً عنده الى ان كان من امره ما ياتى كذا قال بعضهم . وقال فى شرح «زهرة الشماريخ» : ان زيدان لما اشتغل بدفن والده احتال القائد ابو العباس أحمد بن منصور العليج فذهب بنصف المحلة الى مراکش نازعاً عن زيدان الى ابى فارس ومر فى طريقه بمكناسة فاخرج الشيخ من اعتقاله واحتمله معه الى ابى فارس فسجنه فلم يزل مسجوناً عنده الى ان كان من امره ما نذكره والله تعالى أعلم

انحراف أهل مراکش عن طاعة زيدان وبيعتهم لابي فارس وما نشأ عن ذلك من الفتنة

كان المنصور رحمه الله قد فرق عمالات المغرب على اولاده كما مر ، فاستعمل الشيخ على فاس والمغرب وولاه عهده ، واستعمل زيدان على تادلا واعمالها ، واستخلف ، عند نهوضه الى فاس ، ابنه ابا فارس على مراکش واعمالها وكان يكتبه بما مر بعضه من الرسائل ، فلما اتصل بأهل مراکش وفاة المنصور وكتب اليهم أهل فاس بمبايعتهم لزيدان امتنعوا وبايعوا أبا فارس لكونه خليفة ابيه بدار ملكه التى هى مراکش ولان جل الخاصة من حاشية ابيه كان يميل الى ابى فارس لان زيدان كان متبذراً عنهم بتادلا سائر ايام ابيه فلم يكن لهم به كثير المام ولا مزيد استئناس ، مع أنه كان جديراً بالامر لعلمه وادبه وكمال مروءته رحمه الله الا ان السعد لم يساعده وقد قيل فى المثل قديماً : « قاتل بسعد والا فدع » ولما شق أهل مراکش العصا على زيدان كثر فى ذلك القيل والقال حتى صدرت فتوى من قاضى فاس ابن ابى النعيم ، ومفتيها ابى عبد الله القصار تضمن التصريح بحديث : « اذا بوع جليفتين فاقتلوا الاخر منهما » وكانت بعة

أبى فارس بمراكش يوم الجمعة أواخر ربيع الاول من سنة اثنتى عشرة
والف ، وهو شقيق الشيخ المأمون ، امهما ام ولد اسمها الجوهر ، ويقال
الحيزران ، واسم أبى فارس هذا : عبد الله وتلقب بالوائق بالله ، وكان
اكولا عظيم البطن مصابا بمس الجن ويقال : انه لذلك ابتنى المسجد الجامع
بجوار ضريح الشيخ أبى العباس السبتي وشيد مناره وشحن الخزانة
التى بقبلى الجامع المذكور بمنتخب الكتب ونفيس الدفاتر كل ذلك رجاء
ان تعود عليه بركة ذلك الشيخ بالبرء من تلك العلة ، وكان مع ذلك يميل
الى المروءة والرفق وحسن السيرة رحمه الله

نهوض السلطان زيدان لحرب أبى فارس وانهزامه بام الربيع ثم فراراه الى تلمسان

لما بايع اهل مراكش أبا فارس بن المنصور عزم زيدان على النهوض
اليه فخرج من فاس يؤم بلاد الحوز ، واتصل الخبر بابى فارس فجهز لقتاله
جيشا كيفا وامر عليهم ولده عبد الملك الى نظير الباشا جوذر ، ف قيل له : ان
زيدان رجل شجاع عارف بمكايد الحرب وخدعه وولدك عبد الملك لا يقدر
على مقاومته فلو سرحت أخاك الشيخ لقتاله كان اقرب للرأى لان أهل
الغرب لا يقاتلونهم لانه كان خليفة عليهم مدة فهم آس به من زيدان ،
فأطلق أبو فارس اخاه المأمون من ثقاف السجن واخذ عليه العهد
والمواثيق على النصح والطاعة وعدم شق العصا ، ثم سرحه فى ستمائة من
جيش المتفرقة الذين كان المنصور جمعهم ليعث بهم الى كانغو من أعمال
السودان ، وقال له ولصحابه : « جدوا السير الليلة كى تصبحوا بمحلة
جوذر على وادى ام الربيع » فلما انتهى الشيخ الى المحلة المذكورة وعلم
الناس به اهرعوا اليه واستبشروا بمقدمه . ثم كانت الملاقاة بينه وبين
السلطان زيدان بموضع يقال له : حوالة عند ام الربيع ففر عن زيدان أكثر

جيشه الى المأمون وحنوا الى سالف عهده وقديم صحبته ، فانهزم زيدان لذلك ورجع ادراجه الى فاس فتحصن بها

وكان ابو فارس قد تقدم الى اصحابه في القبض على الشيخ متى وقعت الهزيمة على زيدان فلما فر زيدان انزل الشيخ فيمن انضم اليه من جيش أهل الغرب وامتنع على اصحاب ابي فارس فلم يقدروا منه على شيء وانتعش امره واشتدت شوكة ثم سار الى فاس يقفوا أثر السلطان زيدان ولما اتصل بزيدان خبر مجيئه اليه راود أهل فاس على القيام معه في الحصار والذب عنه والوفاء بطاعته التي هي مقتضى بيعتهم التي أعطوا بها صفقتهم عن رضى منهم ، فامتنعوا عليه وقبلوا له ظهر المجن وأعلنوا بنصر الشيخ وبيعتهم لقديم صحبته له . ولما ايس زيدان من نصرهم وقد ارهقه الشيخ في جموعه خرج من فاس بحشمه وتقله ناجيا بنفسه ، وتبعه جمع عظيم من اصحاب الشيخ فلم يقدروا منه على شيء ، وذهب الى تلمسان فأقام بها الى ان كان من امره ما نذكره

واما الشيخ فانه لما وصل الى فاس تلقاه اهلها ذكورا واناثا واطهروا الفرح بمقدمه فدخلها ودعا لنفسه فاجيب واستبد بملكها ، ثم أمر جيش أهل مراکش ان يرجعوا الى بلادهم فانقلبوا الى صاحبهم مخفيين

وكان الشيخ لما تم غرضه من الاستبداد بالامر والانفراد بالسلطنة دعا بالشيخين الفقيهين قاضي الجماعة أبي القاسم بن ابي النعيم ، ومفتيها أبي عبد الله محمد بن قاسم القصار فلامهما على مبايعة زيدان وقولهما فيه وفي أخيه ابي فارس : « ان اولاد الاماء لا يتقدمون في الامر على اولاد الحرائر . » وكان ابو فارس والشيخ ولدى امة اسمها : الحيزران كما مر ، وزيدان امه حرة من الشبانات ، وعزم ان ينكل بهما ثم بعث بهما مع جيش مراکش الى أخيه ابي فارس ليرى فيهما رأيه فاما الشيخ القصار فتوفي رحمه الله على مقربة من مراکش بزواوة الشيخ ابن ساسي وحمل الى مراکش فدفن بقبة القاضي عياض وذلك في اواسط سنة اثنى عشرة والـ الف ، وأما القاضي ابو القاسم فاجتمع بأبي فارس فقبل عذره وصفح عنه

ورده مكرما الى فاس هكذا ذكره بعضهم* وقيل : ان الذى بعث بالشيخ
القصار الى مراکش هو السلطان زيدان على وجه يخالف هذا والله أعلم ؛

نهوض عبد الله بن الشيخ لحرب عمه أبى فارس واستيلاؤه على مراکش

ثم ان الشيخ المتغلب على فاس دعا بتجار اهلها فاستسلف منهم مالا
كثيرا واطهر من الظلم وسوء السيرة وخبث السريرة ما هو شهير به ،
ثم تتبع قواد ابيه فنهب ذخائرهم واستصفى اموالهم وعذب من اخفى من
ذلك شيئا منهم ، ثم جهز جيشا لقتال اخيه أبى فارس بمراكش ، وكان
عدد الجيش نحو الثمانية آلاف ، وامر عليه ولده عبد الله فسار بجيوشه
فوجد ابا فارس بمحلته فى موضع يقال له : اكلميم ، ويقال : فى مرس
الرماد فوقعت الهزيمة على ابى فارس وقتل نحو المائة من اصحابه ونهبت
محلته ، وفر هو بنفسه الى مسفيوة ، ودخل عبد الله بن الشيخ مراكش
فأباحها لجيشه فنهبت دورها واستبيحت محارمها واشتغل هو بالفساد «ومن
يشابه أباه فما ظلم » حتى حكى انه زنى بجوارى جده المنصور واستمتع
بحفائده ، واكل رمضان وشرب الخمر فيه جهارا وعكف على اللذات والقي
جلباب الحياء عن وجهه ، وكان دخوله مراكش فى العشرين من شعبان
سنة خمس عشرة وألف*

(*) وكانت عاقبة أمره القتل كما سيذكره المؤلف

(*) ثم فر منها الى السوس فأقام عند حاجب ابيه عبد العزيز بن سعيد الوز كيتى كما

سيذكره المؤلف

مجيء السلطان زيدان الى المغرب واستيلاؤه على مراكش

وطردة عبد الله بن الشيخ عنها

كان للسلطان زيدان لما فر من فاس الى تلمسان كما مر أقام بها مدة وكان قد بعث الى ترك الجزائر يستمدهم ويستعديهم على اخويه فابطأوا عليه وطال عليه انتظارهم ، فلما يش منهم توجه الى سجلماسة فدخلها من غير قتال ولا مجاربة ، ثم انتقل عنها الى درعة ومنها الى السوس ، فكتب اليه أهل مراكش ، وقد ندموا على ما فرطوا فيه من امره والدخول في طاعته ، أن ياتيهم ولو وحده ، فتوجه اليهم ودخل عليهم ليلا فلم يفجأ عبد الله بن الشيخ الا نداء أهل مراكش بنصر السلطان زيدان وتحزبوا معه وتقدموا الى قائدهم عبد الله اعراس الذي ولاه عليهم الشيخ فقتلوه ، وخرج عبد الله فارا بجموعه من أهل فاس والغرب ، فحاصروهم أهل مراكش بين الاسوار والجنات ، وقتلوا من اصحاب عبد الله بموضع يعرف بجنان بكار نحو الخمسة آلاف وخمسمائة ، وامر زيدان بقتل كل من تخلف عن عبد الله من جيشه ، فأتى القتل على جميع من وجد بمراكش من جيش أهل فاس ، وذلك في اواخر سنة خمس عشرة والف ، وفر عبد الله بن الشيخ ناجيا بنفسه حتى قدم على ابيه بفاس في اسوأ الحالات ، فهاول العساكر مهزوم الجموع معتاضا عن جيش النصر بجيش الدموع



عود عبد الله بن الشيخ الى مراكش واستيلاؤها عليها وطرد لزيدان عنها

لما قدم عبد الله بن الشيخ على ابيه بفاس سلبا مهزوما قامت قيامته ورأى ان يهيء عسكرا آخر ويجدد جمعا ثانيا فلم يجد لذلك طاقة لفراغ يده من المال وقلة جبايته ، واستحى ان يستسلف من التجار لانه كان استسلف منهم فلم يرد لهم شيئا : ولما اعيتته الحيلة رجع على قواده فقلب لهم ظهر المجن ونهب اموالهم واستلب ذخائرهم وصار يفرقها على التجار ، فاجتمع له من ذلك اموال عريضة فرقها في جيشه ، ونهيا عبد الله للمسير الى مراكش ، وكان اهل فاس قد غضوا لمن قتل من اخوانهم بها ونادوا بأخذ ثارهم حتى ان بعضهم خرج مع عبد الله من غير أخذ مرتب ولا جامكية ، فخرج عبد الله بجموع عديدة وجيوش حفيلة ، ولما بلغ خبره لسلطان زيدان بعث اليه العليج مصطفى باشا في جيوش كثيرة . قال في شرح « زهرة الشماريخ » : كان بعث مصطفى باشا وخروجه من مراكش في شعبان سنة ست عشرة والـف ، فالتقى الجمعان بموضع يقال له تافلقت (*) على طريق سلا فهزم مصطفى باشا وقتل من جيش مراكش نحو التسعة آلاف وبعث الشيخ جماعة من عدول فاس الى موضع المعركة حتى أحصوا القتلى ، ثم توجه عبد الله الى مراكش فبرز اليه أهلها في ستة وثلاثين ألف مقاتل والتقى الجمعان بموضع يقال له : رأس العين ، فانهزم أهل مراكش ، وتقدم عبد الله بن الشيخ فافتحمها بجيشه ، وفر زيدان الى المعقل المنيع والجبال الشامخة فبقى متقلا هنالك الى أن كان من أمره ما نذكره



(*) هي المعروفة بتيفلت اليوم بارض زمور

ثورة محمد بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد الشيخ وانقراض أمره وعود زيدان الى مراکش



لما دخل عبد الله بن الشيخ مراکش واستولى عليها فعل فيها أعظم من فعلته الاولى ، وهربت شردمة من أهل مراکش الى جبل جيليز واجتمع هنالك منهم عصابة من أهل النجدة والحمية واتفق رأيهم على ان يقدموا للخلافة محمد بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد الشيخ ، وكان رجلا خيرا دينا صينا وقورا فبايعه أهل مراکش هنالك ، والتفوا عليه ، فخرج عبد الله بن الشيخ لقتال من بجبل جيليز والقبض على أميرهم المذكور . ولما التقى الجمعان انهزم عبد الله وولى أصحابه الادبار فخرج من مراکش مهزوما سادس شوال سنة ست عشرة وألف ، وترك محله وانفاض وعده وجلال جيش ، واخذ على طريق تامسنا وامتنح أصحابه في ذهابهم حتى كان مد القمح عندهم ثلاثين أوقية والحبة من نصف رطل بربع مثقال ، ولم يزل أصحابه ينتهبون ما مروا عليه من الحيام والعمود ويسبون البنات الى أن وصلوا الى فاس في الرابع والعشرين من شوال من السنة المذكورة ، وأما محمد بن عبد المؤمن فانه لما دخل مراکش واستولى عليها صفح عن الذين تخلفوا بها من أهل الغرب من جيش عبد الله بن الشيخ ، وأعطاهم الراتب فلم يعجب ذلك أهل مراکش ، ونقموا عليه ابقاءه عليهم ، وكانوا نحو الالف ونصف ، فكتبوا سرا الى السلطان زيدان بالجبل فاتاهم وخيم نازلا بظاهر البلد ، فخرج محمد بن عبد المؤمن انى لقائه فانهزم ابن عبد المؤمن ودخل السلطان زيدان مراکش واستولى عليها وصفح هو ايضا عن الفئة المتخلفة عن عبد الله بن الشيخ . وذكر في شرح «زهرة السماريخ» : ان هذا التأثير بجبل جيليز اسمه أبو حسون من أولاد السلطان ابي العباس الاعرج والله أعلم ، ولعل هذا الصواب بدليل ما يأتي في رسالة زيدان ان شاء الله

خروج جالية الاندلس من غرناطة وأعمالها الى بلاد المغرب وغيرها



قد قدمنا ما كان من استيلاء الطاغية صاحب قشتالة على غرناطة واعمالها سنة سبع وتسعين وثمانمائة ، وان أهل غرناطة التزموا طاعته والبقاء تحت حكمه على شروط اشترطوها عليه قد ذكرنا بعضها فيما سلف ، وان عدو الدين قد نقض تلك الشروط عروة عروة ، وكان أهل الاندلس من أجل ذلك كثيرا ما يهاجرون من بلاد الكفر الى بلاد الاسلام أثناء هذه المدة السالفة ، غير أن عامتهم كانوا قد تخلقوا بأخلاق العجم وأثر فيهم ذلك اثرا ظاهرا لطول صحبتهم لهم ونشأة أعقابهم بين أظهرهم ، فكانت تصدر منهم في بعض الاحيان مقالات قبيحة في حق ولاية المسلمين من أهل المغرب وعامتهم ، لا سيما اذا نالهم منهم بعض الظلم ، ولقد رأيت في كتاب « المعيار » وغيره : سؤالات وفتاوى صدرت من علماء المغرب في حق هؤلاء الصنف منهم ، وكان الملوك السعديون قد جمعوا منهم جندا كبيرا ، وبهم فتح المنصور اقليم السودان ، واستمر الحال على ذلك الى أن كانت سنة ست عشرة وألف فهاجر جميع من لم يتنصر منهم الى بلاد المغرب وغيرها .

قال في « نفح الطيب » : كان النصارى بالاندلس قد ثددوا على المسلمين بها في التنصر حتى أنهم أحرقوا منهم كثيرا بسبب ذلك ومنعواهم من حمل السكين الصغير فضلا عن غيرها من الحديد ، وقاموا في بعض الجبال على النصارى مرارا ولم يقيض الله لهم ناصرا الى أن كان اخراج النصارى اياهم أعوام سبعة عشرة وألف ، فخرجت ألوف بفاس ، وألوف آخر بتلمسان ، ووهران ، وخرج جمهورهم بتونس ، فسلط عليهم الاعراب ومن لا يخشى الله تعالى في الطرقات ونهبوا أموالهم ، وهكذا كان ببلاد تلمسان وفاس ، ونجا القليل منهم من هذه المضرة . وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم أكثرهم وهم لهذا العهد قد عمروا قراها الحالية وبلادها . اهـ

وقال صاحب «الخلاصة النقية في امراء افريقية» ما نصه : « وفي سنة ست عشرة وألف قدمت الامم الجالية من جزيرة الاندلس فافسح لهم صاحب تونس عثمان داي كفه وأباح لهم بناء القرى في مملكته فبنوا نحو العشرين قرية واغتبط بهم أهل الحضرة وتعلموا حرفهم وقلدوا ترفهم » اه ثم قال في «نفح الطيب» « وكذلك خرج طوائف منهم بتطاوين وسلا والجزائر ، ولما استخدم سلطان المغرب الأقصى منهم عسكريا جرارا وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد في البحر ما هو مشهور الآن ، وحصنوا قلعة سلا وبنوا بها القصور والحمامات والدور ، وهم الآن بهذا الحال ، ووصل جماعة منهم الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام وغيرها من بلاد الاسلام » اه كلام نفح الطيب ، وقوله : وحصنوا قلعة سلا يعنى بها رباط الفتح اذ هي يومئذ مضافة الى سلا ومعدودة منها . والله تعالى اعلم

استيلاء السلطان زيدان على فاس وفرار الشيخ بن المنصور عنها

الى العرائش ثم الى طاعة الاصينول

كان الشيخ بن المنصور عفا الله عنه على ما تقدم من قبح السيرة والاساءة الى الخاصة والعامة حتى ملته النفوس ورفضه القلوب وضاق أهل فاس بشؤمه ذرعا ، وكان قد بعث ابنه عبد الله مرة ثالثة الى حرب السلطان زيدان بمراكش وأعمالها فخرج عبد الله من فاس آخر ذى الحجة سنة ست عشرة وألف فالتقى الجمعان بوادى بوركراك فكانت الهزيمة على عبد الله وفر في رهط من اصحابه وترك محلته بما فيها بيد السلطان زيدان ، فاستولى عليها ، وانضم اليه جيش عبد الله من أهل فاس وغيرهم ميلا اليه ورغبة في صحبته . فعفا عنهم وتألفهم : واستفحل أمر السلطان زيدان وتكلم به أهل فاس وسائر بلاد الغرب ، واتصل الخبر بالشيخ وعرف أن قلوب الناس عليه فخاف الفضيحة وأصبح غاديا في أهله وحشمه الى ناحية

العرائش ، فاحتل بالقصر الكبير وهناك لحق به ابنه عبد الله مهزوما من وقعة بوركراك ، وانضم اليهما أبو فارس بن المنصور ، فانه بعد فراره من مرس الرماد الى مسفيوة أقام بها مدة . ولما استولى السلطان زيدان على مراکش كما مر شدد في طلبه ففر الى السوس ، ولما أعيت عليه المذاهب وزيدان في طلبه لحق بشقيقه الشيخ فكان معه الى هذا التاريخ

ثم ان السلطان زيدان بعث كبير جيشه مصطفى باشا الى فاس فنتهى اليها ونزل مخيما بظهر الزاوية ، ووجد لاصحاب الشيخ زروعا كثيرة فارسل مصطفى باشا عليها جيشه فانتسفوها ، ودخلت فاس في طاعته ثم نهض الى ناحية القصر الكبير ناويا القبض على الشيخ وحزبه ، واتصل بالشيخ خبره ففر الى العرائش ، ومنها ركب البحر الى طانجة الاصبينول مستصرخا به على السلطان زيدان ، وحمل معه أمه الحيزران وبعض عياله وجماعة من قواده وبطانته ، وذلك في ذى القعدة سنة سبع عشرة والف وانتهى مصطفى باشا الى القصر الكبير فقبض على من وجد به من أصحاب الشيخ وفر عبد الله وابو فارس فنزلا بموضع يقال له : سطح بنى وارتين ، فبلغ خبرهما الى السلطان زيدان ، فجاء حتى نزل بقاتهما بموضع يقال له : آرورات ، ففر من كان معهما الى السلطان زيدان ، ولما بقيا أوحش من وتد بقاع فرا الى دار اليهودى ابن مشعل من بلاد بنى يزناسن فأقاما بها

واختصر صاحب « المرأة » هذا الخبر فقال : كان السلطان ابو المعالى زيدان بن المنصور التقى مع ابن اخيه عبد الله بن الشيخ صاحب فاس برؤوس الشعاب يوم الخميس السابع والعشرين من شوال سنة سبع عشرة وألف فانهزم عبد الله بن الشيخ وفر الى محلة ابيه بالعرائش ، ثم رجع الى جهة فاس ، وانتهى الى دار ابن مشعل واستولى عمه السلطان زيدان على محلته وسار الى فاس فدخلها وأقام بها . اهـ

وفي دخلة السلطان زيدان هذه الى فاس قبض على الفقيه القاضى أبى الحسن على بن عمران السلاسى رحمه الله قال اليفرنى فى

« الصفوة » : كان القاضي المذكور ممن أخذ عن الشيخ القصار وكا مع ذلك لما ولي القصار الفتوى والخطابة بجامع القرويين يسعى عند السلطان في تأخيرته حتى آخر، وولى هو مكانه مدة يسيرة ثم أعيد القصار، وكانت بينهما شحنة عظيمة بسبب فتوى تنازعا فيها ، ثم أفضت الحال بالقاضي أبي الحسن الى أن قبض عليه السلطان زيدان بسبب أنه عثر له على كتاب كبه الى بعض اخوته ينتقصه فيه ويوهن أمره ، فأوغر ذلك قلب السلطان عليه فسطا به وسجنه ونهب داره واثاثه ثم سقاه سما ، على ما قيل ، فكان فيه حتفه ، وقد حكى هذا الخبر في موضع آخر من « الصفوة » مطولا فقال:

كان القاضي أبو الحسن على بن عمران السلاسي شديد الانحراف عن الشيخ العارف بالله أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي سيء الاعتقاد فيه ، ولم يزل يسعى به ويكيده ، فاتفق ان اجتمع بالشيخ في بعض الليالي بعض من يتعاطى العلم فتكلموا في مسائل من صفات الله فقلل كلام الشيخ الى القاضي على غير وجهه فانكر ذلك ، وركب من حينه الى السلطان زيدان ، وهو يومئذ بفاس ، منتهزا للفرصة فقال : « ان ههنا رجلا يعلم الناس البدع ويلقنهم آراء الفرق الضالة » فقال له السلطان : « من هو؟ » قال : « فلان » قال : « أخو سيدى يوسف » ؟ قال : « نعم » قال : « سمعنا انه أعلم من أخيه » ثم بعث السلطان اليه ، وهو مستشيط غضبا لخبر بلغه من ثورة بعض أقاربه عليه فجاء الشيخ ابو زيد ولم يخلع نعله حتى بلغ بساط السلطان ، فسلم عليه ومد يده فصافحه ، ثم تكلموا في المسألة فنقطع القاضي ولم يجد ما يقول . الا ان الناقل لم يحسن نقلها، فقال له الشيخ : « فهلا ثبت ! » وكان بعض علماء مراکش حاضرا فبالغ في عتاب القاضي ، وقيل للشيخ : « ما سبب الوحشة بينك وبين هؤلاء ؟ » فقال :

« لا شيء الا الاستغناء عنهم » فقالوا : « ياسيدى هذا وصف يوجب الحب » فما انفصل الشيخ عن السلطان حتى اطلع على ما يوجب القبض على القاضي فقبض عليه ونهب داره في الحين ، فنزل الشيخ من فاس الجديد فلقي اثاث القاضي في الطريق جىء به منهوبا ، وبقي في السجن الى أن مات

مسموما رحمه الله . وكان الاديب الكاتب أبو عبد الله المكلاني قد كتب
اليه بابيات يقول فيها ما نصه :

أما لهلال غاب عنا سفور	فيجلى به خطب دجاء تشور
فصبرا لدهر رام يمنحك الاسى	فانت عظيم والعظيم صبور
سيظهر ما عهدته من جمالكم	فللبدر من بعد الكسوف ظهور
وتحبي رسوم للمعالى تغيرت	فللميت من بعد الممات نشور
أبا حسن انى على الحب لم أزل	مقيما عليه ما أقام ثبير
ففى القم ماء من بقايا ودادكم	وذلك عندى سائغ ونمير
عليكم سلام الله ما هطل الحيا	وغنت باغصان الرياض طيور

قال منشئها : وقد انشدتها بين يديه بمحبسه فبكى حتى ظننت أنه
سيهلك ثم افاق وقال : «لله الامر من قبل ومن بعد» فراجعنى رضى الله
عنه بابيات يقول فيها :

تفق عن زهر الربيع سطور	فماهى الا روضة وغدير
هزمت من الصدر الجريح همومه	فانت على جند الكلام امير
محمد هل فى العصر غيرك شاعر	له معكم فى الخافقين ظهور
فانى على صفو الوداد وانسى	سأشدو وقلبى بالهموم كسير
متى وعسى يثنى الزمان عنانه	بنهضة جد والزمان عشور
فندرك آمال وتقضى ماآرب	وتحدث من بعد الامور أمور
عليك سلام الله منى فانسى	غريب باقصى المغربين أسير

وكانت وفاة القاضى المذكور رحمه الله فى جامع المشور فى مهل
ربيع الثانى سنة ثمان عشرة والف



عود عبد الله بن الشيخ الى فاس واستيلاؤه عليها ومقتل مصطفى باشا رحمه الله

لما دخل السلطان زيدان حضرة فاس واستولى عليها أقام بها الى أن دخلت سنة ثمان عشرة وألف فاتصل به خبر قيام بعض الثوار عليه بناحية مراكش فنهض اليها مزعجا ، واستخلف على فاس مولاه مصطفى باشا ، ولما اتصل خبر نهوضه بعبد الله بن الشيخ ، وهو بدار ابن مشعل ، زحف الى فاس فيمن انضم اليه فبرز اليه مصطفى باشا وضرب محلته بظاهر فاس من ناحية باب الفتوح قال في « المرأة » : وعرض لابي الحسن على بن يوسف الاندلسي المعروف بالبيطار غرض من أمور العامة كان يتردد فيه الى المحلة فركب اليها يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الثاني سنة ثمان عشرة وألف فالتقى الجمعان يومئذ بين الظهريين فاجلت الحرب عن مقتل مصطفى باشا ، وفقد ابو الحسن بن البيطار . وقال في « النزهة » : لا رحل زيدان الى مراكش بسبب ما بلغه من قيام بعض الثوار عليه ، هنالك قدم عبدالله بن الشيخ وعمه أبو فارس الى فاس فخرج مصطفى باشا لمقاتلتهما فعثر به فرسه وقتل وأخذت محله بأسرها ، وهلك ما لا يحصى من الناس ووقع النهب حتى انتهب من البقر التي تحلب نحو ستة آلاف ، ودخل عبد الله بن الشيخ فاسا مع عمه ابي فارس وذلك سابع عشر ربيع الثاني سنة ثمان عشرة وألف .



تلخيص خبر أبي فارس ومقتله رحمه الله تعالى

تقدم لنا أن أبا فارس بن المنصور بويح بمراكش وبعث أخاه الشيخ لقتال السلطان زيدان فنكث الشيخ عهده واستبد عليه ، ثم بعث إليه ابنه عبد الله فهزمه إلى مسفيوة ثم فر منها إلى السوس ، فأقام عند حاجب أبيه عبد العزيز بن سعيد الوزكيتي ، ثم لما بالغ زيدان في طلبه فر إلى أخيه الشيخ فلم يزل مع ابنه عبد الله بن الشيخ إلى أن قتل مصطفى باشا ودخل عبد الله فاسا فاستولى عليها كما ذكرناه آنفا فاتفق رأى قواد شراكة على قتل عبد الله وتولية عمه أبي فارس ، فبلغ ذلك عبد الله فدخل على عمه أبي فارس ليلا مع حاجبه حمو بن عمر فوجده على سجادته وجواريه حوله فاخرجهن وأمر بعمه فخنق وهو يضرب برجليه إلى أن مات وذلك في جمدي الأولى سنة ثمان عشرة والـف ، هذا هو الصواب لا ما في « نشر المثاني » على اضطرابه فأسف الناس عليه لأنه كان يردده عن المناكر ويزجره عن كثير من القبائح ، وذكر في « المنتقى » أبياتا من انشاء الكاتب أبي محمد عبد القادر بن أحمد بن القاسم الفشتالي مما كتب تطريزا على نجاد الوثائق بالله أبي فارس المذكور وهي :

أتيه وأزرى بكل نجاد	يروق على حلة اللابس
إذا كنت يوم الوغى محملا	لعضب حكى شعلة القابس
على عاتق الملك المرتضى	سليل الوصي أبي فارس



عود السلطان زيدان الى فاس واستيلاءه عليها

ثم اعراضه عنها مائرا يامه



لما سمع السلطان زيدان ، وهو بمراكش ، بمقتل مصطفى باشا نهض الى فاس وجاء على طريق الجبل وكان نصارى الاصينول يومئذ قد نزلوا على العرائش وحاولوا الاستيلاء عليها وذلك باذن الشيخ كما سيأتي . وكان عبد الله بن الشيخ بفاس فسمع بنزول النصارى على العرائش فاستنفر الناس وحضهم على الجهاد فتهيأوا لذلك وعزموا على النهوض اليها فما راعهم الا السلطان زيدان قد اقبل من ناحية ادخسان ، وقد أنزل بها محتله ، وتقدم الى جهة فاس وضرب بأنفاضه فانهزم الناس عن عبد الله ودخل شراكة فاسا فبعث زيدان قائده عبد الصمد لتسكين روعة أهل البلد وامر المنادى ان ينادى بنصره ، فنزل المنادى الى ان بلغ باب السلسلة فقام في وجهه بعض السياب من أهل العدو وضربه فجرحه ورجع المنادى وبطل الامر فبلغ الحبر السلطان زيدان فأمر باطلاق السيل في أهل فاس وتحكيم السيف فيهم ثم ندم فامنهم وسكن روعتهم ، ونزل زيدان بوادي فاس فخرج الناس للقاءه ، وهو غضبان عليهم ، وقد استولى على فاس وتمكن منها ، فاخذ يسب اعيانهم وهم يقتلهم ولكن الله سلم

ثم ان العرب اجتمعوا عند قنطرة المهدومة في نحو ثمانية آلاف فخرج اليهم زيدان ومعه عرب الشرق فانهزموا عنه ولم يبق معه الا رهط يسير فرأى زيدان امامه خيلا قليلة فقصدها فاذا فيها عبد الله بن الشيخ وقد رأى زيدان مقبلا اليه ففر ، مع ان زيدان انما قصد الفرار اليه من غير علم له به فاستتب أمر زيدان وتراجع اليه أصحابه ، ومن الغد رجع الى فاس فخرج اليه اهل فاس يهشونه كبارا وصغارا فاتهمهم بأنهم يستهزئون به فأمر بهم فسلبوا رجالا ونساء فكان بعضهم ينظر الى عورة بعض ، وكان عدد السلب نحو عشرة آلاف كسوة ودخل أصحاب زيدان

فاسا فنهبوا وفعلوا فيها الافاعيل ، ثم امر زيدان بتسكين الروعة والامان
وكان ذلك كله سادس رجب سنة تسع عشرة والـ ف ، فلما كان اليوم
الحادى عشر من الشهر المذكور نزل عبد الله بن الشيخ برأس الماء فخرج
اليه زيدان واقتلوا فانهزم زيدان وقتل من اصحابه نحو الخمسمائة ، وفر
الى محله التي ترك بادخسان ، وكان ذلك آخر رجوع زيدان الى فاس
فانه لما اعياه امر الغرب أعرض عنه وصرف عنايته الى ضبط ما خلف وادى ام
الربيع الى مراكش واعمالها ، وتوارث بنوه سلطنته على ذاك النحو من بعده ،
وبقى عبد الله بن الشيخ يقطع الايام بفاس الى أن هلك ، وقام بأمر فاس
من بعده نوارها وسيابها على ما نذكر . وفي كتاب « ابتهاج القلوب فى
أخبار الشيخ المجذوب » ما صورته : « تكلم الشيخ سيدى كدار يوما
فى ملوك وقته فقال : « اما الشيخ معطى العرائش ، فان اهل الله قد دقوا
أوتاده هنالك حتى يموت » فلم يتجاوز محله الى ان قتل به حوز تطاوين
كما سيأتى ، واما زيدان فانه لما اطلق السبيل فى أهل فاس ضربه مسولاي
ادريس بركلة صيرته وراء ام الربيع فلم يتجاوز به بعد ذلك » اهـ



استيلاء نصارى الاصبنيول على العرائش والسبب في ذلك



قد تقدم لنا ما كان من خبر الشيخ المأمون من انه فر الى العرائش ومنها ركب البحر الى طاغية الاصبنيول مسترخا به على اخيه السلطان زيدان فابى الطاغية ان يمهده ، فراوده الشيخ على ان يترك عنده اولاده وحشمه رهنا ويعينه بالمال والرجال حتى اذا ملك أمره بذل له ما شارطه عليه ولم يزل به الى ان شرط عليه الطاغية ان يخلى له العرائش من المسلمين ويمدكه اياها فقبل الشيخ ذلك والتزمه ، وخرج حتى نزل حجر باديس في ذى الحجة سنة ثمان عشرة والف ثم تقدم فنزل ببلاد الريف

ولما سمع ذلك اهل فاس خافوا من شوكة وذهب جمع من علمائهم ولاعيانهم كالقاضي أبي القاسم بن ابي النعيم ، والشريف أبي اسحاق ابراهيم الصقلي الحسيني وغيرهما للملاقاة وتهنئته بالقدوم ، فلما وصلوا اليه فرح بهم وامر قبطان النصارى ان يخرج مدافعه وانفاضة ارهابا واظهارا لقوة النصارى الذين استتصر بهم ففعل حتى اصطكت الاذان وارتجت الجبال ، ونزل القبطان من السفينة للسلام على الاعيان فلما رأوه مقبلا امرهم الشيخ بالقيام له فقاموا اليه اجمعون ، وجازوه خيرا على ما فعل مع الشيخ من الاحسان والنصرة ، وسلم هو عليهم بنزع قلنسوته على عادة النصارى ، وانكر الناس على اولئك الاعيان قيامهم بالكفر ، وضربوا بعضى الذل حتى انهم في رجوعهم الى فاس تعرض لهم عرب الحياينة فسلبوهم واخذوا ما معهم وجردوهم من ملابسهم جميعا ما عدا القاضي ابن ابي النعيم فانه عرف بزي القضاء فاحترموه

ثم ان الشيخ انتقل الى القصر الكبير وهو قصر كنامة وقصر عبد الكريم فاقام به مدة وراود قواده ورؤساء جيشه ان يقفوا معه في تمكين النصارى من العرائش ليفي له الطاغية بما وعده من النصر فامتنع الناس من اسعافه

في ذلك ولم يوافقته على غرضه الا قائده الكرني فانه ساعده على ذلك فبعشه الشيخ اليها وامره ان يخليها ولا يدع بها احدا من المسلمين ، فذهب الكرني المذكور وكلم اهلها في ذلك فامتنعوا من الجلاء عنها فقتل منهم جماعة وخرج الباقون وهم يكون تخفق على رؤوسهم الوية الصغار

ولما خرج منها المسلمون أقام بها القائد الكرني الى ان دخلها النصارى واستولوا عليها في رابع رمضان سنة تسع عشرة والف ، ووقع في قلوب المسلمين من الامتعاض لاختذ العرائش امر عظيم ، وانكروا ذلك أشد الانكار ، وقام الشريف ابو العباس احمد بن ادريس العمراني ودار على مجالس العلم بفاس ونادى بالجهاد والخروج لاغاثة المسلمين بالعرائش ، فانضاف اليه اقوام وعزموا على التوجه لذلك ففت في عضدهم قائدهم حمو المعروف بابي دبيرة ، وصرف وجوههم عما قصدوه في حكاية طويلة

وكان الشيخ لما خاف الفضيحة وانكار الخاصة والعامه عليه اعطاه بلدا من بلاد الاسلام للكفار احتال في ذلك وكتب سؤالا الى علماء فاس وغيرها يذكر لهم فيه أنه لما غل في بلاد العدو الكافر واقتحمها كرها باولاده وحشمه منعه النصارى من الخروج من بلادهم حتى يعطيهم ثغر العرائش ، وانهم ما تركوه خرج بنفسه حتى ترك لهم اولاده رهنا على ذلك ، فهل يجوز له ان يفدى اولاده من أيدي الكفار بهذا الثغرام لا* ؟ فأجابوه بان فداء المسلمين سيما اولاد أمير المؤمنين سيما اولاد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم من يد العدو الكافر باعطاء بلد من بلاد الاسلام له جائز

(*) كان ممن أفتى بالجواز الفقيه محمد بن قاسم ابن القاضي بقتلته العامة بالقرويين عند العشاء يوم الاثنين ٢١ حجة عام ١١٤٠ وسبب قتله ما اتهم به من موافقته على تمكن النصارى من ثغر العرائش اذ كان حاضرا مع من استدعى محمد الشيخ من العلماء لاجل ذلك، فتعلق بأغراض فاسدة وامور واهية لم يقبلها احده قاله صاحب الشرح ١ ص ١٥٦ وقد تأخر قتله عن الحادثة بسنين لان المأمون قتل سنة ١٠٢٢ ويظهر ان العامة كانت تحقد عليه فبلته وانتهزت فرصة الفتن التي توالى بعد ذلك بفاس فانتقمته منه والله اعلم

وانا موافقون على ذلك . ووقع هذا الاستفتاء بعد ان وقع ما وقع، وما اجاب من اجاب من العلماء عن ذلك الا خوفا على نفسه . وقد فر جماعة من تلك الفتوى كالامام ابي عبد الله محمد الجنان صاحب الطرر على المختصر ، وكالامام ابي العباس أحمد المقرئ مؤلف «نفح الطيب» فاختفيا مدة استبراء لدينهما حتى صدرت الفتوى من غيرهما ، وبسبب هذه الفتوى ايضا فر جماعة من علماء فاس الى البادية كالشيخ أبي على الحسن الزياتي شارح جمل ابن المجراد ، والحافظ ابي العباس أحمد بن يوسف الفاسي وغيرهما *

بقية اخبار الشيخ ومقتله رحمه الله وتجاوز عنه

ثم ان الشيخ ابن المنصور نزل بالفحص واجتمعت عليه لمة من أهل الذعارة والفساد على شاكلته فنهض بهم الى تطاوين فاستولى عليها واخرج منها كبيرها المقدم المجاهد ابا العباس احمد القسيس ، ولم يزل الشيخ يجول في بلاد الفحص ويعسف اهلها الى ان ملته القلوب وتملا اشياخ الفحص على قتله لما رأوا من انحلال عقيدته ورقة ديانتة ، وتمليكه ثغر الاسلام للكفار ، ففتك به المقدم ابو الليف في وسط محلته بموضع يعرف بفتح الفرس وبقي صريعا مكشوف العورة اياما حتى خرج جماعة من أهل تطاوين فحملوه مع من قتل معه من اصحابه كالديرين وبعض اولاده ودفنوه خارج تطاوين الى ان حمل الشيخ الى فاس الجديد مع امه الحيزران فدفنا به ، وكان مقتله خامس رجب سنة اثنتين وعشرين وألف

(*) وممن انكر على المأمون واغظ له في الملام الشيخ ابو عبد الله محمد بن ابي الحسن المعروف بالحاج الاغصاوي البقال من اولاد الحاج البقال ، فانفذ المأمون اعداءه واتوا به الى فاس فقتله بها ضربا سنة ١٠١٧ ودفن بالسياج وبنيت عليه قبة اه . قاله التعارفي في تاريخه ج ٤ ص ٢٦٢ . وراجع ترجمته في التشرح اول ص ١٠١ .

وقال منويل : انه وصل الى قرب تطاوين وبنى هناك افراكا وأقام
 ينتظر اجتماع الجيوش عليه ثم سكر ذات يوم على عادته وخرج الى عين
 ماء هناك فاستلقى قربها فى نبات اخضر أعجبه خضرته فجاءه اناس من
 أهل تلك البلدة فعرفوه وشدخوا رأسه بصخرة فقتلوه . ويقال ان قتله كان
 بإشارة الثائر ابي محلى الآتى ذكره وانه كتب الى المقدمين النقيس وابى
 الليف يحضهما على قتله فقتلوه وانتهبوا ماله وكان شيئا كثيرا ، ومن جملة
 ما نهب منه نحو المد من الياقوت وبقي من ائانه نحو وسق سفينة كان قد
 تركه بطنجة فاستولى عليه نصارها من البرتقال لما قتل ، وكان للشيخ عفا
 الله عنه مشاركة فى العلم ويد فى مبادئ الطب أخذ عن أشياخ الحضرتين
 وله شعر متقارب ، ومن كتابه الاديب المتفنن ابو العباس احمد
 ابن محمد الغرديس التغلبى وكان من اهل الاجادة والتبريز فى صناعة
 الانشاء . قال الشيخ ابو محمد العربى القاسى فى شرحه لدلائل الحيرات
 عند قوله « وكان لى جار نساخ » ما نصه : « وقد كان الشيخ الكاتب
 الرئيس ابو العباس أحمد الغرديس شيخ كتاب الانشاء بحضرة فاس رحمه
 الله استعار منى كتاب الانباء فى شرح الاسماء للأفليشى ثم مرض مرض
 موته فعدته فوجدت الكتاب عند رأسه ومعه كرايس منسوخة واخرى
 معدة للنسخ فقال لى : « انى اذا وجدت راحة كتبت منه ما قدرت عليه
 فاذا غلبنى ما بى امسكت » فقلت له : « ولم تتكلف هذا؟ » فقال : « انى
 عصيت الله بهذه الاصابع ما لا احصيه فرجوت ان يكون ما اعانيه على هذه
 الحال من نسخ هذا الكتاب خاتمة عملى وكفارة لذلك » فكمل الله قصده
 واتم الكتاب وتوفى من مرضه ذلك وقد طال به سنة عشرين والى الف ،
 اه ولهذا الكاتب يقول الشاعر :

تمتعت ياغرديس والدهر راقدا وأنت بفاس وابن حيون واجدا
 بسعدك راحت خيزران لقبرها «مصائب قوم عند قوم فوائد»



رياسة ولي الله تعالى أبي عبد الله سيدى محمد العياشى على الجهاد ومبدأ امره فى ذلك



هذا الرجل هو ولي الله تعالى المجاهد فى سبيله ابو عبد الله محمد (فتح)
ابن احمد المالكى الزيانى المعروف بالعيشى ، ونسبته الى بنى مالك بن
زغبة الهلالين ، وهم اليوم قبيلة من عرب الغرب ، كان رحمه الله مستوطنا
مدينة سلا ، وكان من تلامذة الولي العارف بالله تعالى ابي محمد عبد الله
ابن حسون السلاسى دفين سلا ،

وكان ابتداء امر أبى عبد الله انه كان ملازما لشيخه المذكور من
أقرب التلامذة اليه واسرعهم الى خدمته واولهم دخولا عليه وآخرهم
خروجا عنه وكان مع ذلك كثير الورع قليل الكلام مديما للصيام وقراءة
القرآن فكان الشيخ ابن حسون ملتفتا اليه ، ولم يزل الامر على ذلك الى
ان شاعت مناقب الشيخ وكثر غاشيه ، فاهدى له يوما بعض اشياخ القبائل
فرسا فامر الشيخ بأسراجه وقال : «ابن محمد العياشى ؟» فقال : ها أنا ذا
ياسيدى ، فقال الشيخ : «اركب بحول الله فرسك وديناك وأخرتك ،
فتقهقر تأدبا فحلف عليه ليركبن وحبس له الركاب بيده ، وقال له :
• ارتحل عني الى آزمور وانزل على اولاد ابي عزيز ولا بد لك من
الرجوع الى هذه البلاد وسيكون لك شأن عظيم» فودعه ابو عبد الله ووضع
الشيخ يده على رأسه وبكى ودعا له بخير ، فقصد ناحية آزمور ونزل
حيث عين له شيخه المذكور ، وذلك لاول دولة السلطان زيدان سنة ثلاث
عشرة واللف ، فلم يزل ابو عبد الله العياشى مثابرا على الجهاد شديد
الشكيمة على العدو عارفا بوجوه المكاييد الحربية بطلا شهما مقداما فى مواطن
الاحجام وقورا صموتا عن الكلام ، فطار بذلك فى البلاد صيته وشاع بين
الناس ذكره لما هو عليه من التضيق على نصارى الجديدة ، وكانوا يومئذ

قد امر أمرهم ، ففرح بذلك قائد آرمور ، ولم يزل الامر على ذلك الى أن توفي قائد الفحص والبلاد الآرمورية فسأل السلطان زيدان عمن يليق بتولية ذلك الثغر فقبل له : سيدى محمد العياشى ، فكتب اليه بالتولية فقبل ، ونهض باعباء ما حمل من ولاية الفحص وجهاده .

وكانت له مع نصارى الجديدة وقائع وضيق عليهم حتى منعهم من الحرث والرعى فبعث النصارى الى حاشية السلطان زيدان بالتخف ونفائس الهدايا ليعزلوا عنهم ابا عبد الله المذكور لمضايقته لهم ، فخوفوا السلطان زيدان عاقبته وحضوه على عزله ، وظهروا له انه مسموع الكلمة فى تلك النواحي ، وأنه يخشى على الدولة منه ، وكان ابو عبد الله العياشى كلما بعث بالغانم وما يفتح الله به عليه من الاسارى الى مراكز ازدادت شهرته وتناقل الناس حديثه ، فوغر بذلك قلب زيدان وحق عليه ، فبعث اليه قائده محمد السنوسى فى اربعمائة فارس وامره بالقبض عليه وقتله ، والتقى الله فى قلب القائد المذكور الشفقة عليه لما يعلم من براءته مما قذف به فبعث اليه خفية : ان انج بنفسك فانك مغدور ، فخرج أبو عبد الله العياشى فى اربعين رجلا فرسانا ومشاة قاصدين سلا فاستقر بها سنة ثلاث وعشرين والف ولما انتهى السنوسى الى آرمور ولم يجد له أثرا أظهر العناية بالبحث عنه وعاقب شردمة من أهل الفحص على افلاته تعمية على السلطان واقامة لعذره عنده ، فقبل السلطان زيدان ذلك والله غالب على أمره .



ثورة الفقيه أبي العباس أحمد بن عبد الله السجلماسي

المعروف بأبي محلى



قال فى كتابه « اصلت الحرث » ما ملخصه : « كانت ولادتي سنة سبع وستين وتسعمائة بسجلماسة والذى تلقينته من ابي وكافة عمومى ان اولاد ابي محلى من ذرية العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، واما جدنا الاشهر المكنى بابى محلى بفتح الميم والحاء وكسر اللام المشددة بعدها ياء تحتية ساكنة مع كبير شهرته لا علم لى الآن بسبب تكتيته بذلك ولا بتفاصيل أحواله بعد البحث عنه ، قال : وبخطة القضاء اشتهر سبنا فنعرف بأولاد القاضى وزاويتنا بزواية القاضى ولم تزل بقية العلم فى دورنا وخصوصا دار أبى(*) » اهـ

وقال صاحب « البستان » : ابو محلى هذا اسمه احمد بن عبد الله ويتنسب الى بنى العباس ويعرفون فى سجلماسة بأولاد ابن اليسع أهل زاوية القاضى انتهى . قلت : اما الانتساب الى العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فقد انكر ابن خلدون وجود النسبة العباسية فى المغرب ، قال فى فصل اختلاط الانساب وما بعده ما نصه : « ولم يعلم دخول أحد من العباسيين الى المغرب لانه كان منذ أول دولتهم على دعوة العلويين اعدائهم من الادارسة والعيديين فكيف يسقط العباسى الى احد من شيعة العلويين » اهـ ثم قال ابو محلى فى الكتاب المذكور : « فلما نشأت فى حجر والدى بذل مجهوده فى تعليمى ، وقد كانت لى رأى وهى حامل بى وليا من اولياء الله تعالى احد شيوخ التربية ببلدنا ، وهو الشيخ ابو الحسن على بن عبد الله السجلماسى ، قد سقاها قدحا من لبن ، وأرجو الله صدق تأويلها بالعلم والدين وحق اليقين » قال : « وكان خروجى لطلب العلم بفاس فى حدود

(*) انظر الرحلة العياشية ج. ١ ص. ١٩

التمانين وتسعمائة ، وانا يومئذ مراهق او بالغ الحلم ، لا همة لى الا فى العلم ، فاقمت بفاس نحو خمس سنين الى ان جاء النصارى الى وادى المخازن فدهش الناس ، واستشرت اخا من الطلبة فدلنى على الخروج الى البادية حتى ينجلي نهار الامن ، فخرجت الى كريكرة فحفظت فيها الرسالة ، وقد كنت ما حصلت بفاس الا النحو ، ثم رجعت الى فاس بعد ان زال الدهش بهزيمة النصارى وولاية المنصور ، والنحو صنعتى ، وفى الفقه رغبتى .

وقد كنت فى الحرجة الاولى الى البادية زرت قبر الشيخ أبى يعزى رضى الله عنه فطلبت الله عنده أن أكون من الراسخين فى العلوم بأسرها ، وتوبة يتقبلها فما دار على الحول الا وأنا بزواية الشيخ أبى عبد الله سيدى محمد بن مبارك الزعرى ، لا عن قصد ، لكونى اذذاك مولعا بالعلم ، أما طريق الفقر فلا تخطر لى ببال لان المعتمد يومئذ فى فقراء الوقت اخلاق الضلال ، فكنت أشد الناس حذرا منهم الى أن انكشف السر فرأيت ما رأيت ووعيت ، فصاحت شيخى الذى لولاه مع فضل الله لهلكت ، ولولا هدايته باذن الله لضللت ، أعنى أبا عبد الله مولاي محمد بن مبارك الزعرى القبيل الجراوى السيل وهو رضى الله عنه من قبيلة عرب بالمغرب يقال لهم زعير بصيغة التصغير والنسب اليها زعرى على التكبير ، وهى قبيلة من عرب السوس بالمغرب الأقصى « قال : « بقيت فى صحبة شيخى المذكور نحو من ثمان عشرة سنة وما فارقه الا عن أمره اذ هو الذى وجهنى الى بلدى سجلماسة من غير اختيار قائل لى : « صلاحهم فيك » ثم ناولنى عصاه وبرنسه ونعله من غير طلب منى لشيء من ذلك ، وجعل فى رأسى قلنسوة كالخرقة بيده اليمنى عند الوداع ، فلما استوطنت بلدى عن اذنه زرتة منه احدى عشرة مرة ، وفى الاخيرة منها وذلك بعد مقفلى من الحجة الاولى التى كانت سنة اثنتين بعد الالف دعالى بقوله : « بلاك الله أكثر مما بلانى » فتأولتها باقبال الخلق كما ترى ، وقد صاح عندها صيحة عظيمة لم أر مثلا منه منذ صحبتة ، اذ عادته كانت الطمانينة ،

ولما توفي رحمه الله بقيت نحوا من ثلاث سنين عاطلا ، ثم تحلى التحسر بدرر لطائفه الموعود بها فله الحمد على ما أسدى وله الشكر فيما أولى « ثم ذكر بقية أشياخه كالشيخ أبي العباس المنجور ، والشيخ أبي العباس السوداني ، والشيخ سالم السهوري وغيرهم ممن يطول ذكرهم ، قال : « ثم كملت الفائدة بعد المقفل من الحج فرجعت الى الديار المغربية ونزلت بوادي الساورة ثم تحولت بجميع عيالي الى الوادي المذكور » هذا ملخص أوليته منقولاً من كتابه المذكور .

وقال الشيخ أبو العباس أحمد التواتي رحمه الله تعالى في رسالته التي سماها « مقامه التحلى والتخلى من صحبة الشيخ أبي محلى » وهى رسالة طويلة مسجعة قال : « كان الفقيه أبو محلى فى أول أمره فقيها صرفا ثم انتحل طريقة التصوف مدة حتى وقع على بعض الاحوال الربانية ولاحته له مخايل الولاية فانحشر الناس لزيارته أفواجا ، وقصدوه فرادى وأزواجا ، وبعد صيته وكثرت أتباعه » قال : « فلما سمعت بذلك ذهبت اليه وجلست عنده الى ان وجدته يشير الى نفسه بأنه المهدي المعلوم المبشر به فى صحيح الاحاديث فتركه وراءه ونبذته بالعراء » اهـ

وقال الشيخ اليوسى فى « محاضراته » وقد تكلم على الدعوى الفاطمية ما نصه : وممن ابتلى بها قريبا أحمد بن عبد الله بن ابى محلى التستاوتى خاض فى الطريق حتى حصل له نصيب من الذوق ، وألف فيها كتابا يدل على ذلك ثم نزعته به هذه النزغة فحدثونا انه كان فى أول أمره معاشرًا لمحمد بن أبى بكر الدلائى ، وكان البلد اذ ذاك قد كثرت فيه المناكر وشاعت فقال ابن أبى محلى لابن أبى بكر ذات ليلة هل لك فى أن نخرج غدا الى الناس فنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ؟ فلم يساعفه لما رأى من تعذر ذلك لفساد الوقت وتفاقم الشر ، فلما أصبحا خرجا ، فأما ابن ابى بكر فانطلق الى ناحية النهر فغسل ثيابه وأزال شعته بالخلق وأقام صلاته وأوراده فى أوقاتها ، وأما ابن أبى محلى فقدم لما هم به من الحسبة فوقع فى شر وخصام أداه الى فوات الصلاة عن الوقت ، ولم يحصل على طائل ،

فلما اجتمعا بالليل قال له ابن أبي بكر : « أما انا فقد قضيت ما ربي وحفظت ديني وانقلبت في سلامة وصفاء ومن أتى منكرا فالله حسيه » أو نحو هذا من الكلام ، وأما أنت فانظر ما الذي وقعت فيه ، ثم لم ينته الى أن ذهب الى بلاد القبله ودعا لنفسه وادعى أنه المهدي المنتظر وانه بصدد الجهاد فاستخف قلوب العوام واتبعوه » اه .

وصار ابن أبي محلى يكتب رؤساء القبائل وعظماء البلدان يأمرهم بالمعروف ويحضهم على الاستمسك بالسنة ، ويشيع أنه الفاطمي المنتظر ، وان من تبعه فهو الفائز ومن تخلف عنه فموبق ، وربما كان يقول لاصحابه محرضا لهم على نصرته : « أتم أفضل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، لانكم قمتم بنصر الحق في زمن الباطل ، وهم قاموا به في زمن الحق » ونحو هذا من زخارف كلامه ، والى ذلك أشار الفقيه أبو زكريا يحيى ابن عبد المنعم الخاخي في بعض قصائده معرضا بأبي محلى المذكور فقال :
يا أمة المصطفى الهادي أليس لكم فيمن مضى اسوة من سائر العلماء
نسيت دين خير الخلق واقرقت آراؤكم ففدا الاسلام منقسما
أتحسبون بأن الله تارككم سدى وخلقكم قد تعلمون لما
ناشدتكم بالذي في العرض يجمعنا أما فطنتم ومالاه كمن فهما
بان مغربكم قد عمه سخط من المهيمن يا لله معصما
ان قيل للناس ان الهرج يوبقكم قالوا الفقيه فلان قبلنا اعترفا
لو لم يكن جاز ما أفتى الامام به ولا أتاه ، ألا تبوا الذي انهدما
ومن يقل قال خير الخلق قيل له ها صاحب الوقت يكفينا الذي علما
ونحن أفضل من صحب الرسول لنا أجر يضاعف في أجفارنا نظما
وزخرفوا ترهات القول فانفعلت لهم نفوس عوام رشدها عدما



نهوض ابن ابي محلى الى سجلهاسته ودرعة واستيلاؤه عليهما ثم على مراکش بعدهما



كان ابو العباس ابن ابي محلى غفا الله عنه لما كثر جموعه وانتال الناس عليه يصرح بوجوب القيام بتغيير المنكر الذى شاع فى الناس ويقول : « ان اولاد المنصور قد تهاكوا فى طلب الملك حتى فنى الناس فيما بينهم وانتهب الاموال وانتهكت المحارم فيجب الضرب على أيديهم وكسر شوكتهم » ، ولما بلغه ما فعل الشيخ من اجلاء المسلمين عن العرائش وبيعها للعدو الكافر استشاط غضبا وأظهر أنه غضب لله لا لشيء سواه فخرج يؤم سجلهاسته ، وكان خليفة زيدان عليها يومئذ يسمى الحاج المير ، فخرج عامل زيدان لمصادمته ، وهو فى نحو أربعة آلاف ، وابن أبى محلى فى نحو أربعمئة ، فلما التقى الجمعان كانت الدبرة على جيش زيدان ، وأشاع الناس أن الرصاص يقع على أصحاب أبى محلى باردا لا يضرهم ، ونفخ الشيطان فى هذه الفرية فسكنت هيته فى القلوب ، وتمكن ناموسه منها ، ولما دخل سجلهاسته أظهر العدل وغير المناكر فأجته العامة ، وقدمت عليه وفود أهل تلمسان والراشدية يهنئونه ، وفيهم الفقيه العلامة أبو عثمان سعيد الجزائرى المعروف بقدورة شارح السلم ، وهو من تلامذة ابن أبى محلى كما ذكره فى الاصلية ، ولما بلغ خبر الهزيمة الى زيدان واتهى اليه فلها جهز اليه من مراکش جيشا ، وأمر عليه أخاه عبد الله بن المنصور المعروف بالزبدة فسمع به أبو محلى فسار اليه فكان اللقاء بينهما بدرعة ، فوقعت الهزيمة على عبد الله بن المنصور ومات من أصحابه نحو الثلاثة آلاف ، فقوى أمر ابن أبى محلى واشتدت شوكته ، وجمع بين سجلهاسته ودرعة ، وكان القائد يونس الايسى قد هرب من زيدان لامر نقمه عليه وقصد الى أبى محلى ، فجاء معه يقوده ويطلعه على عورات زيدان ويهون عليه أمره ، وما زال به الى أن أتى به الى مراکش

فبعث اليه زيدان جيشا كثيفا فهزمه أبو محلى ، وتقدم فدخل مراكش واستولى عليها ، وفر زيدان الى ثغر آسفى . وهم بركوب البحر الى بر العدو هكذا فى « النزهة » .

وذكر لوزير البرتغالى فى كتابة الموضوع فى أخبار الجديدة : « أن نصارى الجديدة بعثوا الى السلطان زيدان بمائتين من مقاتلتهم اعانة له على عدوه من غير أن يطلب منهم ذلك ، فلما وصلوا اليه أنف من الاستعانة بهم على المسلمين ، لكنه أحسن اليهم وأطلق لهم بعض أسراهم وردهم مكرمين » هذا كلامه « والحق ما شهدت به الاعداء » وذلك هو الظن بزيدان رحمه الله .

ولما دخل أبو محلى قصر الخلافة بمراكش فعل فيه ما شاء ، وولد له هنالك مولود سماه زيدان ، ويقال : انه تزوج أم زيدان وبنى بها ودبت فى رأسه نشوة الملك ونسى ما بنى عليه أمره من الحسبة والنسك . وفى « المحاضرات » للشيخ اليوسى رحمه الله ما صورته : « وزعموا أن اخوانه من الفقراء ذهبوا اليه حين استولى على مراكش برسم زيارته وتهنئته ، فلما كانوا بين يديه أخذوا يهنئونه ويفرحون له بما حاز من الملك ، وفيهم رجل ساكت لا يتكلم ، فقال له : « ما شأنك لا تتكلم ؟ » وألح عليه فى الكلام ، فقال الرجل : « أنت اليوم سلطان فان أمنتى على أن أقول الحق قلته » قال له : « أنت آمن فقل » فقال : « ان الكرة التى يلعب بها الصبيان يتبعها المائتان وأكثر من خلفها وينكسر الناس وينجرحون وقد يموتون ويكثر الصباح والهول فاذا فشت لم يوجد فيها الا شرايط » أى خرق بالية ملفوفة ، فلما سمع ابن أبى محلى هذا المثل وفهمه بكى وقال : « رمنا أن نجبر الدين فأتلفناه » انتهى



استصراخ السلطان زيدان بأبي زكرياء يحيى بن عبد المنعم الحاحي ومقتل أبي محلي رحمه الله



لما التف الرعاع من العامة على أبي محلي وكثرت جموعه وعلم زيدان ضعفه عن مقاومته كتب الى الفقيه أبي زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد ابن عبد المنعم الحاحي ثم الداوودي مستغيثا به ، ثم وفد عليه بنفسه . وكان يحيى بزاوية أبيه من جبل درن ، وله شهرة عظيمة بالصقع السوسي وله أتباع ، فأتاه السلطان زيدان وقال له : « ان بيعتي في أعناقكم وأنا بين أظهركم فيجب عليكم الذب عني ومقاتلة من ناوأني » ، فلبى أبو زكرياء دعوته ، وحشر الجيوش من كل جهة ، وخرج يؤم مراکش في ثامن رمضان سنة اثنتين وعشرين وألف .

ولما انتهى الى قم تانوت موضع على مرحلتين من مراکش كتب اليه أبو محلي بما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم من أحمد بن عبد الله الى يحيى بن عبد الله ، أما بعد ، فقد بلغني أنك جندت وبندت ، وفي قم تانوت نزلت ، أهبط الى الوطاء ، ينكشف بيننا الغطاء ، فالذب خال والاسد صوال ، والايام لا تستقيم الا بطعن القنا وضرب الحسام والسلام » فأجابه يحيى بما نصه : « من يحيى بن عبد الله الى أحمد بن عبد الله ، أما بعد ، فليست الايام لي ولا لك انما هي للملك العلام ، وقد أتيتك بأهل البنادق الاحرار ، من الشبانة ومن اتهم اليهم من بني جرار ، ومن أهل الشرور والبؤس ، من هشتوكة الى بني كنسوس ، فالموعد بيني وبينك جيليز ، هنالك ينتقم الله من الظالم ويعز العزيز »

ثم زحف يحيى الى مراکش في جموعه فنزل بقرب جيليز جبل مطل على مراکش ، وبرز اليه أبو محلي ، والتحم القتال بينهما فكانت أول رصاصة في نحر أبي محلي فهلك مكانه ، وانذرت جموعه ، ونهبت محلته ، واحتز رأسه وعلق على سور مراکش ، فبقى معلقا هنالك مع

رؤوس جماعة من أصحابه نحووا من اثنتي عشرة سنة ، وحملت جثته
فدفنت بروضة الشيخ أبي العباس السبتي تحت المكتب المعلق هنالك عند
المسجد الجامع . وزعم أصحابه أنه لم يميت ولكنه تغيب .

قال اليفرنى : « وحدثني من أثق به من أهل وادى الساوره أن فيهم
الى الآن من هو على هذا الاعتقاد »

وذكر الشيخ اليوسى فى « المحاضرات » : « أن أبا محلى كان
ذات يوم عند استاذة ابن مبارك فورد عليه واردهال فتحرك وجعل
يقول : « أنا سلطان أنا سلطان » فقال له الاستاذ : « ياأحمد هب انك
تكون سلطانا ، انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولاً » ووقع فى يوم
آخر للفقراء سماع فتحرك أبو محلى وجعل يقول « أنا سلطان أنا سلطان »
فتحرك فقير آخر وجعل يقول « ثلاث سنين غير ربع ، ثلاث سنين غير
ربع » قال : « وهذه هى مدة ملكه » اه .

ويذكر انه لما طاف بالبيت فى وجهته الحجازية سمع وهو يقول :
يارب انك قلت ، وقولك الحق ، « وتلك الايام نداولها بين الناس » فاجعل
لى يارب دولة بينهم ، قالوا : « ولم يسأل حسن العاقبة فرزق الدولة وآل
به الامر الى ما أبرمته يد القدرة » وكان أبو محلى رحمه الله فقيها محصلا
له قلم بليغ ونفس عال ، وله تأليف منها « الوضاح » و « القسطاس »
« والاصلية » « والهودج » « ومنجنيق الصخور فى الرد على أهل الفجور »
« وجواب الخروبى عن رسالته النهرية لابی عمرو القسطلى » وغير ذلك ،
وقد وقعت بينه وبين يحيى بن عبد الله مراسلات ومهاجيات نظما
ونثرا كقوله :

أيحيى الحسيس الندل مالك تدعى بزور شعارا للفحول الاوائل
كدعواك فى بيت النبوة نسبة وأنت دنىء من أخس القبائل
ووجهك وجه القرذ قبح صورة ورأسك رأس الديك بين المزابل

ويزعمون أن يحيى كان معاشر لابی محلى أيام الطلب بالمدرسة

بفاس قال اليفرنى : وحدثنى صاحبنا القاضى ابو زيد السكتانى انه وقف على تأليف كبير مشتمل على ما وقع بين يحيى وابى محلى من الشعر فى غرض الهجاء وغيره .

وقد رمز تاريخ ثورة ابى محلى ووفاته ، الشيخ الفقيه ابو العباس أحمد المريدى المراكشى فقال : « قام طيسنا ومات كبشا » ولا يخفى ما فيه بعد افادة التاريخ من حسن التلميح وبديع التورية ، ولما قتل ابن ابى محلى دخل يحيى مراكش واستقر بدار الخلافة منها والقى بها عصا تسياره ، ورام ان يتخذها دار قراره ، فكتب اليه السلطان زيدان يقول : « أما بعد فان كنت انما جئت لنصرتى وكف يد ذلك الثائر عنى فقد ابلغت المراد وشفيت الفؤاد ، وان كنت انما رمت ان تجر النار لقرطك ، وتجعل الملك من قنطك فأقر الله عينك به » والسلام . فتجهز يحيى للعود الى وطنه واظهر العفة عن الملك وانه انما جاء ليدافع عن السلطان الذى بيعته فى عنقه ، وانقلب الى بلاده ورجع زيدان الى مراكش ، فاستقر بدار ملكه وقد قيل : ان يحيى رام الملك وان اجناده من البربر لم يساعدوه فى قصة طويلة . والله اعلم



بقية أخبار أبي زكرياء يحيى بن عبد المنعم الحاحي وما دار بينه وبين السلطان زيدان رحمهما الله

هو يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي الداودي المناني وكان جده سعيد واحد وقته علما ودينا وهو الذي أحيا الله به السنة بالسوس ، وانتعش به الاسلام فيه ، وتوفي سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة فخلقه ولده ابو محمد عبد الله وجرى على نهجه وسيله ، بل كان بعض الناس يفضل على أبيه ، وتوفي سنة اثنتي عشرة الف ودفن بزداغة من جبل درن حيث كانت زاويته . ولما مات جلس ولده ابو زكرياء يحيى موضعه وانتهج سبيله ، وكان فقيها مشاركا رحل الى فاس واخذ عن شيوخها كالمنجور وغيره ، وعن الشيخ العارف بالله ابي العباس أحمد الحسني على ما وجد بخطه السوساني الشهير بادفال دفين درعة ، وهو معتمده ، أخذ عنه كثيرا من الفنون واجازه في علوم الحديث اجازة عامة ، وكان يحيى شاعرا محسنا ، وكانت له شهرة عظيمة بالصلاح ، وله أتباع كوالده وجده ، وتوجهت الى زيارته الهمم ، وركبت اليه النجائب الا أنه وقع له قريب مما وقع لابي محلي ، فتصدى للملك وخاض في امور السلطنة فتكدر مشربه ، وقد قال بعض العلماء : « ان الرياسة اذا دخلت قلب رجل لا تقصر عن اذهاب رأسه » . ولذلك قال صاحب « الفوائد » (*) في حقه :

(*) كتاب الفوائد الحجة باسناد علوم الامة . صاحبه هو الشيخ أبو زيد عبد الرحمن ابن محمد بن ابراهيم بن أحمد الجزولي المعروف بالتمارتي نسبة الى تممرت واحة بجنوب الاطلس . تولى قضاء تارودانت وتوفي في حدود السبعين وألف الموافق لسنة ١٦٦٠ . وقد نقل عنه اليفرنى الكثير في النزهة . وتوجد منه نسخة الآن في وقتنا هذا وهو سنة ١٣٥١ الموافقة لسنة ١٩٣٢ في مكتبة قاضي تارودانت السيد موسى بن العربي . وأخرى بخزانة الناصرية بسلا .

« انه قام لجمع الكلمة والنظر فى مصالح الامة ، فاستمر به علاج ذلك الى ان توفى ولم يتم له امر » وكان يرسل السلطان زيدان ويكثر عليه ويجير عليه من استجابه ويروم الى مناصحته ابتغاء ، ويسر من ذلك حسوا فى ارتقاء ، وكان زيدان يتحمل منه امرا عظيما . فمما كتب به يحيى اليه ما نصه : « من يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم كان الله له بجميل لطفه آمين ، اللهم انا نحمدك على كل حال ، ونشكرك ياولى المؤمنين على دفع اللأواء والمحال ، ونصلى ونسلم على صفيك أفضل من شئت اليه الرحال ، ونستوهبك يامولانا جميل لطفك وجزيل فضلك فى المقام والترحال ، عائدتين بوجهك الكريم من مؤاخذتنا بسوء أعمالنا ياشديد المحال ، هذا وسلام الله الاتم ، ورضوانه الاعم ، ورحمته وبركاته على المولى الامام العلم المقدم ، العلوى الهمام ، كيف اتم وكيف احوالكم مع هذا الزمان لاندى شمر عن ساقه لسلب الاديان ، والح فى اقتضاء هواه على كل مديان ، فانا لله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وبعد ، فالباعث به اليكم فى هذه البطاقة امور ثلاثة مدارها على قوله صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولخاصة المسلمين وعامتهم » فالاول : بيان سبب الركون الى جانبكم ، والثانى : الحامل على دفع مناويكم ، والثالث : ملازمة نصحكم وتذكيركم والضجر مما يصدر منكم ومن اعوانكم للرعية ، أما الاول فله اسباب كثيرة منها : مراعاة الجناح النبوى الكريم فى أهل بيته ، ورضى الله عن ابي بكر الصديق القائل : « ارقبوا محمدا فى أهل بيته » والقائل : « لقراة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى ان أصل من قرأبى »

ياأهل بيت رسول الله حاكم فرض من الله فى القرآن أنزله يكفيكم من عظيم المجد انكم من لم يصل عليكم لا صلاة له ومنها : نصح خاصة المسلمين الذى هو : الدعاء بالهداية لهم ورد القلوب النافرة اليهم ، ونصحهم بقدر الامكان مشافهة ومراسلة ومكاتبة ، وقد بذلنا الجهد فى الجميع اخلاص الله القصد فى الجميع ، واما الثانى : فلما

جرى القدر بتغلب ذلك الانسان المتسلط على النفس والحريم والاموال
 وادخل بتأويلاته البعيدة عن الصواب ما ليس فى المذهب ، وتعدى خصوص
 الولاة الى سائر الرعية فاضلها ومفضلها ، ومد مع ذلك يد الوعيد المؤكد
 بالايمان الينا فى الانفس والاموال ، فناشدناه ، كما تقرر فى فتاوى الائمة
 رضى الله عنهم ، حيث توفرت فيه فصول الصائل كلها بشاهد العيان ، فكان
 الامر كما قدر الله تعالى ، « ولله الامر من قبل ومن بعد » واما الثالث :
 فالكتاب والسنة والاجماع ، أما الكتاب فسورة : والعصر ، قائمة انبرهان فى
 كل لوان وعصر . وقال تعالى فى قضية كليمة : « رب بما انعمت على فلن
 اكون ظهيراً للمجرمين » وقد استشهد به بعض العلماء فى برى قلم لكاتب
 بعض الامراء المتقدمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . وقوله جل من قائل :
 « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » واما السنة :
 فالحديث الاول ، قوله صلى الله عليه وسلم : « المعين شريك » ، وقوله :
 « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده » ، فان لم يقدر فبلسانه ، فان لم يقدر
 فبقلمه ، وذلك اضعف الايمان » وقد كنا مقتصرين على التغيير باللسان والقلم
 لكون التغيير العملى اليكم حتى جذبتمونا اليه ، ودللتمونا بارتكاب أصعب
 مرام عليه ، وقوله : « من اعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم
 القيامة مكتوباً بين عينيه : آيس من رحمة الله » وقد قال المواق فى شرحه
 على المختصر : « من اعان على عزل انسان وتولية غيره ولم يأمن سفك
 دم مسلم فهو شريك فى دمه ان سفك » ثم اتى بالحديث المتقدم استعظاما
 لذلك الامر الفظيع ، فانا لله وانا اليه راجعون ، على انا انخذعنا بالله حتى
 كنا نأمن بالقطع سفك الدماء اذ ذاك ، حيث كتبت الينا مرارا وأمنت وارسلت
 وكنت أتخوف من هذا الواقع اليوم بأزمور وآسفى ومراكش والغرب ،
 ولذلك كنت الححت عليكم فى تقرير العهد حتى أتانى القائد عبد الصادق
 بمصحف ذكر انه لسلطان تلمسان فى جرم صغير ، وقال لى : « أمرنى
 السلطان ان احلف لك فيه نيابة عنه على بقاءه على العهد فيما بينك وبينه
 من تأمين كل من امته ، وامضاء كل ما رأيته صلاحاً للامة » ثم لم اكف

حتى أتى القاضى فكتب الى معه : « ان كل ما رأيت فيه الصلاح للامة أمضيته ، وانك امنت كل من امنت » ثم بعد استقرارك فى دارك كتبت الى كتابا : « انك باق على ما تعاهدنا معك عليه من الامور كلها على معيار الشريعة » فما راعنى الا وقد أخفرت فى ذمة الله وأمانى الذى عقدته للناس ، فمن مأسور ومقيد ومطلوب بمال ومطروود عن بلد ، واخبار آخر ترد علينا من جهة السواحل ، وان الناس تباع فيها للعدو دمه الله ، ولم نر من اهتبل بذلك ممن قلدتموه امور الثغور ، فلم ندر هل بلغك ذلك فتسقط عنا ملامة الشرع ، او لم يبلغك فاعلمنا لله لتطمئن قلوبنا ، فانى أكتبك فى ذلك فلا ارى جوابا ، ففضيت والله من الامر عجبا ، فان عددت ما من الله به عليك من رجوعك الى سرير ملكك واجتماعك بسربك آمنا من قبيل النعم فقيده بما تقيد به كما فى كريم علمك ، وان رأيت بنظر آخر فان لله ما فى السموات وما فى الارض ، ولما الاجماع : فلم نر من العلماء من نهى عن نصح خاصة المسلمين وتبيينهم على ما يصلح بهم وبالرعية ، بل عدوه من الدين للحديث الاول وغيره ، واما ما استشعرناه من امتعاضكم من عدم الانة القول فى مكاتبتنا لكم فما خاطبناكم قط رعا لذلك ، ولو بنصف ما خاطب به الائمة الاول اهل زمانهم اتكالا على مطالعتكم لكتبهم ، وعلمكم بما لم نعلمه من ذلك ولم نروه ، وكيفيكم نصح الفضيل وسفيان وامامنا مالك رضى الله عنهم ، لمعاصريهم من الولاة ومنهم من بكى وانتفع ، ومنهم من غشى عليه وتوجع ، ومنهم من ندم واسترجع ، الى غير ما ذكرنا على اختلاف الاعصار ، وتنوع الدول والاقطار ، فبذلك اقتدينا ، وبما كان عليه أشياخنا وأسلافنا لكم ولاسلافكم عملنا ، كالفقيه شيخ والدنا رحمه الله سيدى عبد الله الهبطى لجدكم المرحوم بكرم الله ، فطمعت بنجح النصح ونفعه دنيا واخرى ، فهذا أصل قضيتنا معكم وهلم جرا ، والذكرى تنفع المؤمنين على كل الاحوال ، والحمد لله على كل حال ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله خير آل ، وبتاريخ أواخر ربيع النبوى الانور كتبه عن اذنه رضى الله عنه عبد ربه محمد بن الحسن بن ابي القاسم لطف الله به

بمنه « اه فاجابه السلطان زيدان رحمه الله بما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

من عبد ربه تعالى المقترف المعترف : زيدان بن أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد ، أعاننا الله وإياكم على اتباع الحق ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، وبعد ، فقد ورد علينا كتابكم ففضضا ختامه ووقفنا على سائر فصوله ، ثم اتنا ان جاوبناكم على ما يقتضيه المقام الخطابي ربما غيركم ذلك وادى الى المباغضة والمشاحنة ، فيحكى عن عثمان رضى الله عنه انه بعث الى على رضى الله عنه واحضره عنده والقى اليه ما كان يجده من اولاد الصحابة الذين اعصوبوا باهل الردة الذين كان رجوعهم الى الاسلام على يد الصديق رضى الله عنه وهو فى كل ذلك لا يجيبه ، فقال له عثمان رضى الله عنه : ما أسكتك ؟ فقال : « ياأمير المؤمنين ان تكلمت فلا أقول الا ما تكره ، وان سكت فليس لك عندى الا ما تحب » ولكن لما لم أجد بدا من الجواب أرى أن أقدم لك مقدمة قبل الجواب ، فلتعلم ان الحجاج لما ولاه عبد الملك العراق وكان من سيرته ما يغنى اشتهاره عن تسطيره هنا ، فتأول ابن الاشعث الخروج عليه وتابعه على ذلك جماعة من التابعين كسعيد بن جبير وامثاله من اولاد الصحابة رضى الله عنهم ، ولما قوى عزمهم على ذلك استدعوا الحسن البصرى لذلك فقال : « لا افعل فانتى ارى الحجاج عقوبة من الله ونفزع الى الدعاء اولى » قال بعض فضلاء العجم : يؤخذ من هذا ان الخروج على السلطان من الكبائر وجواز المقام تحت ولاية الظلم والجور ، وقد علمت ما كان من امر عبد الرحمن بن الاشعث وسعيد وامثاله ، وعلمت قضية أهل الحرة ، لما اوقع بهم جند يزيد بن معاوية بالحرم الشريف ولما بلغه الخبر أنشد :
ليت أشياخى يبدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل
وشاع ذلك عنه وذاع ، وكان على عهد اكابر الصحابة وأولادهم ،

ولا تعرض أحد منهم لنكير عليه ، ولا تصدى لقيام ولا خاطبه بلام ، وأما ما يرجع الى جواب الكتاب فاما ما حكيت عن الصديق رضى الله عنه فى أهل البيت والاحاديث الواردة فيهم وأنه يجب تعظيمهم واحترامهم وتبجيلهم لاجل النبى صلى الله عليه وسلم ، فان كان يجب عليكم تعظيمهم فان تعظيمهم يجب على اولى واولى عملا بقوله تعالى : « قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى » واجرى الله تعالى عادته انه ما تصدى أحد لعداوة هذا البيت النبوى الا كبه الله لوجهه ، واما ما اوردت من الاحاديث فى النصح فتنى والله أحب أن تصحنى سرا وعلاية مع زيادة شكرى عليه ، وأراها منك مودة واعدتها محبة ، ولكنى افعل ما أقدر عليه ، لان الله سبحانه يقول : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » ولهذا قال اكثر العلماء فى صدور تصانيفهم : « ولم آل جهدا فى كذا » لان النفوس الشريفة العالية لا تترك من فعل الخير والجد فى اكتسابه الا ما عز تناوله عليها وصعب اكتسابه

واما ما ذكرت من امر ابى محلى وسيرته وما كان تسلط عليه ، أما ما كان من استنهاضكم اليه المرة بعد المرة وتكررت فى ذلك اليكم الرسل حتى اجبت اليه فلا نحتاج فيه الى اقامة حجة غير كونه خرج عن الجماعة وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من اراد ان يشق عصاكم فاقتلوه كائنا من كان » والا فلو دخل الملك من بابه وبايعه أهل الحل والعقد واخذ ذلك بوسائط مثل بيعة جدنا المرحوم التى تضافرت عليها علماء المغرب واهل الدين المشاهير ، فلو كان وصل الى ذلك بمثل هذه الوسائط لم يجب حربه ولا القيام عليه بما ذكرتم ، لان السلطان لا ينزل بالفسق والجور ، والا فان الصحابة فى زمن يزيد بن معاوية لا يحصى عددهم ، وما تصدى أحد للقيام عليه ولا قال بعزله ، والا فانهم لا يقيمون على الضلالة ولو نشروا بالمنشير ، واما ابو محلى فبمجرد قيامه يجب عليك وعلى غيرك اعانتا عليه لانك فى بيعتنا ، وهى لازمة لك ، فالطاعة واجبة عليك ، واعلم ايضا ان والدك أفضل منك بدليل : آباؤكم خير من ابنائكم الى يوم القيامة » وكان عمنا مولاي عبد الملك رحمه الله وسامحه على ما كان عليه واشتهر به

اعلانا ، وكان والدك فى دولته وبيعته ووفد عليه ولم يستتف من ذلك ولا ظهر منه ما يخالف السلطنة ولا أنكر ولا عرض بما يسوء سلطان الوقت ولا سمع ذلك منه ، فان كان راضيا بفعله فهو مثله ، وان لم يرض فما وجه سكوته والوفادة عليه ؟ وقد تحققت وعلمت ان ولاية أحمد بن موسى الجزولى كادت تكون قطعية واشتهر امره عند الخاص والعام حتى أطبق أهل المغرب على ولايته ، وقد كان على عهد مولاي عبد الله برد الله صريحه وكان المولى المذكور على ما كان عليه واشتهر عنه ، وما برح الشيخ المذكور يدعو له ولدولته بالبقاء ويظهر حبه ، وكان المولى المذكور يعزل ويولى ويقتل ، وكان قد شرد منه الى زاوية الشيخ المذكور المرابط الاندلسى ، وولد أصناك وامثالهم ، وكان الشيخ المذكور يقدم للشفاعة فيشفع ولا يتعقب ولا يبحث عما وراء ذلك باق على عهده ومودته ، وكان المولى المذكور بعث لابن حسين بسد داره فما فتحها حتى امره ، ولا استعظم احد ذلك ولا أكثر فيه ولا جعله سببا لفتح الفتنة ، وكان قواد المذكور مثل : وزيره ابن شقراء وعبد الكريم بن الشيخ وعبد الكريم بن مؤمن العليج والهبطى والزرهونى وعبد الصادق بن ملوك وغيرهم ممن لم يحضرنى ذكرهم ، لبعد عصرهم ، قد انغمسوا فى شرب الخمر واتخاذ القيان وبسط الحرير وغير ذلك من آلات الفضة والذهب ، وكان فى عصره أحمد بن موسى المذكور وابن حسين ومحمد الشرقى وابو عمرو القسطلى ومحمد ابن ابراهيم التامارتى والشيظمى وغير هؤلاء من المشايخ واهل الدين الذين لا يسع من يدعى هذه الطريقة التقدم عليهم ولا اكتساب الفضيلة دونهم فاحسنوا السيرة ، ولا تعرضوا للسلطنة ولا سمع منهم ما يقدر فى ولاية الامر وقادة الاجناد ممن ذكر الذين كان الملك يدور عليهم ويرجع فى تدبيره اليهم ، ومثل من ذكر من الاولياء كان علامة الزمان وواحد وقته شيخ مشايخ افريقية وبعض أهل المغرب عبد العزيز القسنطينى الشيخ المتكلم الصوفى صاحب «الآيات البينات» قد كان من سكان تونس ، وكان ملوك تونس ومن انضاف اليهم على الفساد الذى لا ينحصر واشتهر امرهم

حتى عرفوا به في المشارق والمغارب ، ولم يبرح الشيخ المذكور من بينهم ولا تصدى لتغيير المنكر والامر بالمعروف حتى قبضه الله اليه
واما ما ذكرتم من ان من اعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله هذه حجة عليك لا علينا ، لانى ما سعت في قتل احد ، يعلم الله ، ولا قتل من قتل الا بأمر القضاة وأهل العلم ان كان . واعلم انه اذا كان هذا يكون وعيدا في قتل الواحد فما بالك بمن يريد فتح باب الفتنة حتى لا يقف القتل على المئين والآلاف ونهب الاموال وكشف الحريم الى غير ذلك ، أما تعلم ان فتنة أبى محلى قد هلك بسببها من النفوس والاموال ما لا يحصى عدده ولا يستوفى نهايته كاتب ، وكان كل ذلك على رقبته لانه هو المتسبب الاول الفاتح أبواب الفتنة لانه كان يقتل كل من اتهمى اليها حتى قتل بسببه في يوم واحد بمكان واحد خمسمائة قتل ، ولولا ابو محلى ما قتلوا وأعظم في حرمة النفوس من هذا الذى قلت قوله تعالى : « كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا »

وليس في قول المواق ما يحتج به على السلطان وانما هو في أصحاب الخطط على الترتيب الذى كان على عهده مثل اصحاب الشرط ، كصاحب الشرطة الذى ينفذ أحكام القاضى ، وصاحب شرطة السوق الذى ينفذ الاحكام عن قاضى الحضرة ، وغير ذلك من الولايات

وولاية ابى محلى لا تعد ولاية حتى يعتبر عزله ، وما عند المواق وغيره وقفنا عليه وعرفناه وتلقيناه عن الاشياخ الجلة وعرفنا ما عند الشافعية والخنفية ودرسناه المرة بعد المرة ، ولست ممن ينطبق عليه قوله : أشقى الناس عالم لم ينفعه الله بعلمه « ولكن لما اذا تحتج بقول المواق الغرضك وتجعله حجة ولم تجبنا نحن فيما كتبنا اليك به فى يونس اليوسى ، وقلنا لك قال صلى الله عليه وسلم : « الحرم لا يجير عاصيا » قال الابى : « وهذا يحتج به على اهل الزوايا » واضربت عن الجواب وليس ذلك من

أدب الجدل ، ولكن اخبرنا عن الوجه الذى منعت به يونس اليوسى من
الشرع فان متاعنا عنده ، واماء اهلنا فى داره الى يوم الواقعة ، وترتب فى
ذمته للمسلمين من الاموال والدماء ما علمت ، فان كنت ممن يريد العدل
فهلا عدلت فيه ، فحينئذ نعلم انك لا تريح جهته ولا تذهب بك النفس
مذهبها ، لا جرم حينئذ نكون عند ما تريد ومع هذا لما أمسكنا زوجته
وكتبنا لينا فيها سرخانها ساعة وصول خطابك من غير توقف ، فلو كنت عناديا
لعبثت بها عبثه هو باماء اهلى وأهل دارى ، على انى ما رددت شفاعتك منذ
عرفتك ، بعثت لى على ابراهيم بن يعزى فسرخان لغرضك ، على انه ترتب
فى ذمته ما ينيف على خمسين الف اوقية ، وذلك المال انما يقال له :
بيت مال المسلمين ، وانما كان يجب تخليده فى السجن ، وأهل الحصن
أخرجناهم منه عن آخرهم وأنفذتم كتابكم بردهم فامرنا بردهم عن آخرهم ،
وابن يعقوب اوزال حاكم البلد وشبه الخليفة تركناه على دارنا وحرك من
غير اذننا ولا مشورتنا ، وبعثنا مكانه فانفذت الكتاب فيه فرد لمكانه ، ما
عو الامر الذى سافرت كبتك فيه ولا اسرعنا فيه خفافا ؟ واما مشكلة أهل
آزمور فلما جاء كتابكم عزلنا صاحبه وسرخنا من كان عنده ورددنا الحبل ،
وقضية الحناشة : الناس فى شأنهم بالاجتهاد ، وقضية العرب : اعلم ان العرب
قد افسدوا الارض واستطالوا سواء هذه البلاد والغرب ، والذى يليق بهم
ما أفتى به سحنون فى عرب افريقية والمغرب ، ولو طالبناهم بمجرد العشر
مدة هذه الفتنة فى المغرب لاتى ذلك على اموالهم ، والناس قد خرجوا عن
أطوارهم ، واحبوا الفتن طلبا للراحة ، وانظر كتاب «الافادة» كذا للقاضى
واستطالتهم فيه عليه فى قضية شرعية مشروحة فى رسمها القديم ، على انهم
أضعف الناس قلوبا ، انظر ما صدر منهم فما بالك بالعرب الذين خرجوا
عن الطاعة ، وتساوى الشيخ والصغير فى ذلك ، فان كنت تصفى لمقاتلتهم
واسعاف شهواتهم والتعرض للسلطان دونهم فهذا نفس خراب العالم ،

وطالع كتاب صاحبنا من عند الرحامنة وما صدر منهم لخدمكم ، ورأيت أن أقدم لك مقدمة أمام هذا ، وإن كانت ادبية قيل لابن الرومي ، وهو على ابن العباس ، لم لم تقل كقول ابن المعتز :

كان آذيوننا والشمس فيه عاليه مداهن من ذهب فيها بقايا غاليه
فأجاب بأن قال : « لا يقدر أن يقول هو مثل قولي في وصف الرقاقة :
ما أنس لا أنس خبازا مررت به يدحو الرقاقة وشك اللحم بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها فورا كالقمر
الا بمقدار ما تتداح دائرة في صفحة الماء يرمى فيه بالحجر »
وقال : « كل منا وصف اوانى بيته » « ورب البيت اعلم بما فيه » ،
« واهل مكة أدرى بشعابها » والصيرفي أعرف بنقد الدينار » وقصة الخضر
والكليم صلوات الله على نبينا وعليهم فيها كفاية لمن يعتبر في خرقه السفينة
وقته الغلام واقامته الجدار ، والكليم يرد عليه في كل ذلك حتى
أنبأه الله بسر مالم يعلم على أن علم الخضر في علم موسى كحلقة ملقاة في
فلاة ، هكذا قال بعض العلماء ، وقال بعضهم كل منهم على علم خصه الله تعالى به ،
ومن هنا جوز ابن عربي الخاتمي في بعض كتبه ، واحسب ان ذلك في
« الفصوص » ان الولي الذي يتخذه الله ويصطفيه بمحبته يطلعه على علم لم
يطلع عليه الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، فقال مشيرا الى نفسه :
« أطلعني الله على علم لم يطلع عليه آدم فمن دونه »

واعلم أن السلطنة لها اسرار لا بد منها وسياسة ينكر ظاهرها ، ولكن
نرجع الى غرضك ومرادك ، اخبرنا : كيف تحب أن يسلك الناس في
العرب ؟ فان كنت تحب أن يسلك الناس فيهم مسلك مولاي عبد الله
فالزمان غير الزمان والاسعار قد طلعت وبلغت النهاية ، والله تعالى قد بعث
انبياءه وانزل كتبه بحسب ما يقتضيه الزمان ، وهذا يعرفه من خالط
الشرائع والكتب المنزلة واخذ العلم من افواه الرجال ، وادبته مجالس
العلم ونحن نلخص لكم الكلام على بعض ما اورد الناس في الخارج :
أما ما بنوا عليه فرضه في صدر الاسلام والدول العظام فلا نطيل بذكره

لشهرته ، واما في المغرب خصوصا ، فاول من فرضه عبد المؤمن بن علي ، وجعله على اقطاع الارض بناء على ان المغرب فتح عنوة ، واليه ذهب بعض العلماء ، ومنهم من يقول : ان السهل فتح عنوة والجبل فتح صلحا ، فاذا تقرر هذا ، وعلمت ان اهل ذلك العصر قد بادوا واندثروا ، وبقي السهل كله ارضا لبيت المال ، تعين أن يكون الخراج فيه على ما يرضى صاحب الارض وهو السلطان ، والجبل تتمتع معرفة ما كان الصلح عليه ولا سبيل الى الوقوف عليه فيرجع فيه الى الاجتهاد ، وقد اجتهد سلفنا الكرام رضوان الله عليهم في فرضه لاول الدولة الشريفة على حسب وفق ائمة السنة ومشايخ أهل العلم والدين في ذلك العهد ، فجرى الامر على السنن القويم الى ان هبت عواصف الفتنة لايام ابن عمنا صاحب الجبل ، وادالة مولانا الامام وضوءه المرحوم على حواضر المغرب وسهله عند الزحف بالاتراك ، وامتدت به الفتنة في الجبل الى ان هلك مع النصارى في الغزوة الشهيرة ، وجاء الله من مولانا المقدس بالجليل العاصم للإسلام من طوفان الاهوال ، فقدر رضى الله عنه الاشياء حق قدرها ورأى ان المغرب غب تلك الفتن قد ففر فمه لالتهامه عدوان عظيمين : الترك ، وعدو الدين الطاغية ، فاضطر رحمه الله الى الاستكثار من الاجناد لمقاومة العدو والذب عن الدين وحماية ثغور الاسلام ، فدعا تضاعف الاجناد الى تضاعف العطاء ، وتضاعف العطاء الى تضاعف الخراج ، وتضاعف الخراج الى الاجحاف بالرعية ، والاجحاف بالرعية أمر يستكف رضى الله عنه من ارتكابه ولا يرضاه في سيرة عدله طول أيامه ، فلم يمكن له حينئذ الا أن أمعن النظر رحمه الله في أصل الخراج فوجد بين السعر الذى بنى عليه في قيمة الزرع والسمن والكبش الذى تعطيه الرعية منذ زمن الفرض ، وبين سعر الوقت أضعافا ، فحينئذ تحرى رحمه الله العدل فخير الرعية بين دفع كل شيء بوجهه ، ودفع ما يساويه بسعر الوقت ، فاختاروا السعر مخافة أن يطلع الى ما هو أكثر ، فأجابهم اليه رضى الله عنه ، وعرف الناس الحق فلم ينكره أحد

من أهل الدين ، ولا من أهل السياسة ، ليت شعري لو طلبنا نحن الرعية
بسعر الوقت الذى طلع اليوم الى أضعاف مضاعفة ماذا يقولون ، وقد انتقدتم
علينا ما هو أخف من ذلك . والحاصل راجعوا رضى الله عنكم ما عند الامام
الماوردي فى الاحكام السلطانية فى ضرب الخراج فقد استوفى
الكلام فى ذلك

وأما ما تقضيه من العجب لتعطل أجوبتنا عنك فنحن نراجع أقل
منك ، ولكن كتابك أكد منبأه على قصة أهل آرمور فانفذنا من أخرج
الذى كان به واقصاه عنه وشرده من كان عنده فتوقف الجواب حتى رجع
الحديم فحينئذ أجبتكم بما وصلكم ، وتعجيل الاجوبة وبطؤها فاعلم أن
الذى يقتضى ذلك أمور ، منها أن يكون الامر الذى ورد الخطاب فيه منكم
ما سمعت به ولا بلغنى فتوجه للبحث عنه والفحص عن أسبابه فربما أوجب
ذلك البطء بحسب الاماكن والبلدان فيكون جوابنا على أساس وهيان ،
وان كان عندنا خبر ما ورد فيه خطابكم فالجواب لا يتأخر ، وقد وقع هذا
منا غير مرة ، وكون تعطيله منشأ مامن الله به علينا من رجوعنا الى
سرير ملكنا واجتماعنا بسرربنا آمين ، اعلم أن أهل هذا المغرب لما تمالأوا
على وخرجت الى المشرق والتقيت بالترك والاروام وجالسوني وجالستهم
وخاطبوني وخاطبتهم ، فمنهم مشافهة ومنهم مراسلة ، وكنت أيام مقامي فى أرضهم
كمقامى على سرير ملكى ، لان كبيرهم وصغيرهم ورئيسهم ومرؤوسهم
كان ينتجع فضلى ويمد كفه رغبة فى نعمتى ، وواسيت الجميع عطاء مترفا
مع قلة الزاد والذخيرة ، وترفعت عن مواساة الامائل والاكابر من العجم
والعرب ، ولا ركت لاحد ، بل تجودت بما قدرت عليه من الاخيسة ،
حتى جعلت محلة برماتها وخيلها ، فترامت على العجم بالرغبة ، وبسطوا
أكف الضراعة فى المقام عندهم والدخول فى جملةهم ، وعرضوا على
الاقطاعات السنية ، والبلادات الملوكية بلطف مقال وادب خطاب ، حتى قال
لى القبطان مراد رئيس المجاهدين : « وما مثلك يكون مع العرب ها نحن
نخدمك باموالنا وأنفسنا ، وبمالنا من السفن حيث اردت وأجيت » وما

انفصلت عنهم حتى كتبت لهم بخطي : اني أحمل أهلي وحاشيتي وأرجع اليهم الا ان تمكن لى الدخول فى الملك والغلبة على البلاد أو بعضها ، وقفلت من عندهم ولم يتعلق بثوب عفاى ما يشينه معهم ولا مع العرب ، ولا كان لاحد على منة ولا نعمة الا فضل الله سبحانه ، وكان فضل الله علينا عظيما .

ثم انى دخلت سجلماسة ، على رغم أنف أهلها وواليتها ، ومنها دخلت للسوس ، وجعلت ولى الله العارف به أبا محمد عبد الله بن المبارك واسطة بينى وبين أخى حتى اجتمعت بأهلى ومالى ، ثم بعث الى الترك باحد بلكباشات اسمه مصطفى صولجى الى السوس راغبين فى انجاز الوعد ، وجنحت للمسير اليهم فرأيت الاهل والاتباع قد عظم الامر عليهم واستعظموا الخروج ، فاسعفت رغبتهم فى المقام بالمغرب ، وشيعت الرسول قافلا الى قومه من سجلماسة عند الدخول الثانى لها ومغالبة أهلها عليها ، وعززته برسول من عندى اليهم بتحف وأموال ، ورد بها عليهم مع رسولهم ، ثم انى اقتحمت مراکش على أهل فاس على كثرة عددهم وعددهم وقتلى ، ففتح الله ، ثم خرجت الى السوس مرة اخرى وأوقعت بولد مولاي أحمد الشريف وجموع مراکش ، وقد تعصبوا عليه لانهم شيعة جده ، ففضضته على رغبتهم ، ونازلته بالسهل والحزن حتى امكن الله منه ، وحكم بينى وبينه ، ثم نجم الغوى أبو محلى وغلبت على رأى ، وقد قال من هو أفضل منى مولانا على كرم الله وجهه : « لا رأى لمن لا يطاع » ودخل هذه البلاد وخرجت أنا الى السوس ريثما تجتمع قبائلنا فى المكان الذى كان اجتماعهم فيه الى أن بلغتهم ، وقصد اليهم أبو محلى فقاتلوه ورحل عنهم بعد أن أثنخوا فيه بالقتل ، ثم وافيتهم فكان الحرب بيننا سجالا ، فهل سمعتم خلال هذه الاحوال انى احتجت الى أحد فيما قل أو جل ؟ وهذا كله بحيث لا يخفى عليك ، اللهم الا ان تعدوا الوفادة التى وفدنا عليك من قبيل الانطرار والاحتياج فلا ادرى ، على أنى ما قصدتك لطلب دنيا ، لاننى كنت أسمع ما انت عليه من مائة الدين والصلاح والاقبال على طاعة

الله والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا غرو أن من كان هذا وصفه كان جديرا بأن يقصد للدعاء ولاصلاح القلب ، ولا شك أننا نزلنا دارك وحللنا بمكانك ، ولما وقع الاجتماع بك جرت المذاكرة فى أبى محلى وغيره حتى كتبت الكتاب الذى علمنا عليه ، وهاهو بخط يدك ، فان نسينا بعض ما فيه ولا فعلنا فاخبرنا به ، نستدركه ، وهذه مراکش التى ذكرتم قد كنت فيها كما ذكرتم ، ووقفت على عبد المؤمن بن ساسى وعدته مرة اخرى فى مرضه ، وهل قصده لطلب دنيا أو عرفته لاجلها ؟ ومحمد بن أبى عمرو لما وقفت على المدرسة التى من بناء مولاي عبد الله . وقفت عليه فى داره ، وكل ذلك انما نفعله تأكيدا للمحبة وزيادة فى المعرفة بالله ، ولو علمت أن ذلك يعد عيبا ويظن أنه نوع من الاحتياج ما كنت والله لاقف على أحد ولو أنه يملكنى الدنيا بخذافيرها ، لان الخير والشر بيد الفاعل المختار ، فهو أولى بالاضطرار اليه ، وأما سربى فما تروع قط حتى يأمن ، وأما من كان بالدار التى ذكرتم فانما هم أهلى ومتروك أعماهى . وهذه الدار التى ذكرتم فهانحن نتقل عنها الى بعض البلاد الغربية البحرية كما قلت لك ذلك مشافهة ساعة قلت لى ينبغى للإشراف بناء بالجبل لوقت ما ، وحكى ذلك عن والدك ، وأما ما أخبركم به القاضى أيام ورودى الى السوس وقت بلغنى كتابكم الذى نصه : قد اجتمعت اناس وفسدت النيات وتعينت المطامع وأردنا تدبيركم ، لان الملوك أهل التدبير والمراد رجوعنا لاوكارنا من غير وصمة تلحق الجانبين ، فكلما حمل فهو غنى والتزمته الى الآن الا ما طرأ علينا فيه النسيان ، فذكرونا به فانا لا نخرج عنه . واما يمين المصحف وانى حلفت فيه للقائد عبد الصادق فلا والله ما حلفت فيه ولا أحلف لاحد الى لقاء الله ، أما علمت أنى حضرت بيعة الشيخ المأمون صاحب الغرب سامحه الله ، وحضر اولاد السلطان واستحلفهم له الا أنا رضى الله عنه ، فانه قال : « فلان لا يحلف لا يحتاج اليه فيما نأمره به ونفعله » وعظم ذلك على اخوتى ، وظهرت فى وجوههم لاجله الكراهية ، ولكن الذى قلت لعبد الصادق أحلف للمرابط فانى

أوفى لك به ، ولا زلت على ذلك لان الذى كنت تقول فى ذلك الوقت :
 أخاف أن تقع فى أهل مراکش والاكابر ونحوهم مثل حكومة عبد القادر
 ونحوها . أما أهل مراکش فما تعرضنا لاحد منهم حتى تركنا متاعنا لاجلكم ،
 كولد المولوع وغيره ، وهذا الميدان والشقراء فابعث من رضىت ينادى فيهم ،
 من له حق علينا ننصفه منه ومن خدامى أيضا ، وان كنت سمعت قضية
 منصور العكارى ، فالعكارى نزل أهلنا فى خيمته عند وقعة رأس العين
 فلما أرادوا الطلوع الى الجبل تركوا أكثر مالهم فى خيمته مع بعض الخدم
 خوفا من غائلة البربر لما كان وقع منهم لاهل بابا أبى فارس فأخذ سباطا
 من ذهب يزيد على ستين ألف أوقية ، وكان أيام أبى حسون معه وفى
 جملته حتى مات القائم فبذل حجبته بانجاز عشرين ألفا والباقى حتى يؤديه
 على سعة ، وطلب منا أن يتعمل ويتولى بعض الخطط لينتفع ويجمع بعض
 ذلك فصرفناه ، حتى اذا جاء أبو محلى ووقع ما وقع طالبناه بمتاعنا وهو
 لا يسعه انكاره ، وهكذا عبد الكريم الذى فى زاويتك بنفسه يعلم أن
 اخوته أخذوا لى سلعة فى وسط حلتهم وأنا بين بيوتهم تزيد على خمسين
 ألفا ، وأخذوا الابل ، وهانحن سكنا عنهم ولا طالبناهم بها ، وأيضا قال لك
 انظر ما فعل باخوتى وصرت تكاتبنا وانت لا علم عندك بأصل المسألة ،
 وأما الاموال فان الله سبحانه قد وسع علينا من فضله وعندنا ما يكفى
 الخامس والسادس من الولد ، وعرفنا الناس وعرفونا وعاملناهم وعاملونا ،
 ولو أردت خمسمائة ألف مثقال من أصحاب أفلامك ، أو من أصحاب الانجليز
 وكبت اليهم فى ذلك ما تأنوا فى بعثه ، ولا لاذوا فيه بمعذرة ، وقد كفانا
 الله به والحمد لله على ذلك .

واعلم ان الظن فىك جميل ولولا ذلك ما أعطيتك خمسة آلاف مثقال ،
 وسمحت بالمال الذى حمل اليكم ابن عبد الواسع أولا وسلعة السفن أخيرا ،
 وبهذا كله تستدل على صفاء السريرة وصالح النية ، والله سبحانه يعلم ذلك ،
 وأما الامتعاض من عدم الالة القول وحسن الخطاب ، فكما قال تعالى :
 « وقولوا للناس حسنا » وانك لم تبلغ ولو نصف ما خاطب به الائمة

رضوان الله عليهم أهل زمانهم اتكالا على علمنا به ، وحسبى نصيح الفضيل
ابن عياض وسفيان ومالك رضوان الله عليهم فهذه المسألة حسبي فى الجواب
منك انتهى ما وقفنا عليه من هذه الرسالة وهى دالة على براعة الرجل فقها
وأدبا وكمال مروءة وعلو همة رحمه الله وغفر ذنوبه



استيلاء نصارى الاصبنيول على المعمورة ونهوض ابى عبد الله العياشى
لجهادهم وانتفاض أندلس سلا على السلطان زيدان رحمه الله



قد قدما فى أخبار الوطاسيين ما كان من استيلاء البرتقال على المعمورة
المسماة اليوم بالمهدية ومقامهم بها سنين قلائل ثم جلائهم عنها ، ثم لما
استولى الاصبنيول خذله الله فى هذه المدة على العرائش كما مر
طمحت نفسه الى الاستيلاء على غيرها وتعزيزها باختها ، فرأى أن المهدية
أقرب اليها فبعث اليها الطاغية فيليبس الثالث من جزيرة قادس تسعين
مركبا حربية فانتهاوا اليها واستولوا عليها من غير قتال لفرار المسلمين
الذين كانوا بها عنها هكذا فى تواريخ الفرنج .

وقال شارح « الزهرة » كان نزول النصارى بمرسى الحلق سنة
اثنين وعشرين وألف وقيل سنة ثلاث وعشرين بعدها وقيل غير ذلك ،
وكان عدو الله الاصبنيول أراد أن يضمها الى العرائش لينضبط له ما بينهما
من السواحل وتقوى عساكره بهما فخبى الله ظنه ، ولقى من أهل الاسلام
عرق القرية ، وكان ابو عبد الله العياشى بعد رجوعه من آزمور وسلامته
من اغتيال قائد زيدان دخل سلا فى نحو أربعين رجلا وزار ضريح شيخه
أبى محمد بن حسون وبات عنده ، فجاءه أهل سلا وذكروا له ما هم فيه
من الخوف من نصارى المعمورة ، وان مسارحهم قد امتدت الى الغابة
وان النصارى ألفان من الرماة سوى الفرسان فامرهم بالتهيب اليهم .
وفى « نشر المثنى » ما نصه : وفى أواخر جمادى الثانية سنة ثلاث

وعشرين وألف أخذ النصارى المهديّة فكتب أهل سلا الى السلطان زيدان فبعث اليهم أبا عبد الله العياشى الذى كان مقدما بوكالته على الجهاد بدكالة ، وهو يقتضى أن مجيء العياشى الى سلا كان باذن السلطان لا فرارا منه ، والاول أصح اللهم الا أن يكون مجيئه فارا كان بعد هذا التاريخ والله أعلم .

وأمر أبو عبد الله العياشى أهل سلا بالتهيب للغزو واتخاذ العدة فلم يجد عندهم الا نحو المائتين منها ، وكانت السنون والقتن قد أضعفتها ، فحضرهم على الزيادة والاستكثار منها ، فكان مبلغ عدتهم بما زادوه زهاء أربعمائة ، ثم نهض بهم الى المعمورة فصادف بها من النصارى غرة فكانت بينه وبينهم حرب قربها الى أن غربت الشمس ، فقتل من النصارى زهاء أربعمائة ،

ومن المسلمين مائتان وسبعون ، وهذه أول غزوة أوقعها فى أرض الغرب بعد صدوره من ثغر آزمور ، ومنها أقصرت النصارى عن الخروج الى الغابة ، وضاق بهم الحال

ثم أن السلطان زيدان لما بلغه اجتماع الناس على سيدى محمد العياشى بسلا وسلامته من غدره قائده السنوسى بعث الى قائده على عسكر الاندلس بقصة سلا المعروف بالزعرورى ، وأمره باغتياله والقبض عليه ، ففاوض الزعرورى أشياخ الاندلس فى ذلك ، فاتفق رأيهم على أن يكون مع العياشى جماعة منهم عينا عليه ، وطلبة على نيته ، واستخبارا لما هو عازم عليه ، وما هو طالب له ، فلازمه بعضهم . وشعر العياشى بذلك فانقبض عن الجهاد ولزم بيته .

ثم ان الله أوقع النفرة بين السلطان زيدان وبين أهل الاندلس ، وذلك أن السلطان المذكور كان قد بعث قبل ذلك الى القائد الزعرورى أن يجهز الى درعة أربعمائة من أندلس سلا ، فجهزهم اليها وطالت غيبتهم بها ، ففر أكثرهم ونفرت قلوبهم عن الزعرورى وسلطانه ، فكان زيدان يبعث الى أهل الاندلس بسلا بتجديد البعث الى درعة فيأبون الانقياد اليه فى ذلك وكرهوه وأزمعوا على خلع طاعته ، ثم وشوا اليه بقائده الزعرورى فبعث زيدان بالقبض عليه فقبض عليه ونهب أهل الاندلس داره ، وكتبوا

الى السلطان بذلك مظهرين طاعته مكيدة ونفاقا، فبعث اليهم مولاه وقائده المملوك عجيبا فمكث بين أظهرهم مدة فلم يعابوا به وصاروا يهزأون به ، ثم عدوا عليه فقتلوه فظهر منهم شق العصا على السلطان زيدان ، وأظلم الجو بينه وبينهم ، وبقي أهل سلا فوضى لا والى عليهم ، وكثر النهب ، وامتدت أيدي اللصوص الى المال والحريم ، وسيدى محمد العياشى ساكت لا يتكلم ، واستمر الحال على ذلك الى أن كان من أمره ما تذكره بعد هذا ان شاء الله .



انعطاف الى خبر عبد الله بن الشيخ بفاس والثوار القائمين بها

وما تخلل ذلك



قد قدمنا ما كان من قدوم السلطان زيدان الى فاس أواسط سنة تسع عشرة وألف واستيلائه عليها ثم خروجه عنها واعراضه عنها وعن أعمالها الى آخر دولته ، وكان عبد الله بن الشيخ حياة أبيه الشيخ تحت أمره يصفى اليه ولا يقطع أمرا دونه ، وقيل انه خرج عن طاعته سنة عشرين والفر ولما قتل أبوه ببلاد الهبط كما مر استبد عبد الله هذا بفاس وما انضاف اليها على وهن وفشل ريح ، وكان غالب جنده من شراقة ، وشراقة هؤلاء هم عرب بادية تلمسان وما انضاف اليها ، وسموا بذلك لانهم فى ناحية الشرق من المغرب الاقصى ، فأهل تلمسان وأعمالها يسمون أهل المغرب الاقصى مغاربة ، وأهل المغرب الاقصى يسمون أهل تلمسان وأعمالها مشارقة ، لكن العامة يلحنون فى هذه النسبة فيقولون شراقة ، فكان غالب جند عبد الله من هؤلاء العرب ومن انضم اليهم فهم حماة وأنصاره وبهم كان يعتصم ، حتى أعطاهم أجنة الناس ودورهم ، فكان الرجل من أهل فاس ينأتى بستانه فيجد الاعرابى بخيمته فى وسطه فيقول له : «أعطانيه السلطان» ومدوا أيديهم الى حريم الناس ونهبوا الاسواق وجأهروا بالفساد وأظهروا السكر فى الطرقات ، واقتحموا على الناس دورهم ، حتى ان امرأة كانت تطبخ خليعا وولدها رضيع عندها فاقتحم عليها الدار أحد

شراكة فهربت المرأة وأغلقت عليها مشربة لها فلم يقدر لها على شيء فراودها على النزول فأبت ، فقال لها : « ان لم تنزلى رميت الولد فى الطنجير » فتمادت على الامتناع فرمى به فيه ، فما هو الا أن رأته ولدها فى وسط الطنجير صاحت وألقت بنفسها عليه ، فاندقت رقبتها وماتت ، فغاض الناس ذلك وأعظموه .

وقام رجل منهم يقال له أبو الربيع سليمان بن محمد الشريف الزرهونى محتسبا على شراقة ، واعصوب عليه كثير من العامة ، وقاموا بنصرته ، فقتل شراقة والتلمسانين بفاس حيث وجدوا وحكم السيف فى رقابهم ونفاهم عن فاس ، وحماها من اذائهم وطهرها من رجسهم ، فاستحسن الناس أمره واذعنوا اليه

قال فى « المرأة » : « وفى يوم الجمعة الحادى والعشرين من ربيع الاول ، يعنى سنة عشرين والى الف ثار بفاس الشريف ابو الربيع سليمان ابن محمد الزرهونى ، وعضده انفيقه أبو عبد الله محمد اللمطى المعروف بالمربوع ، وتبعهما اهل فاس بأجمعهم ، واخرجوا من كان بها من جيش السلطان وقتلوا كثيرا منهم وجرت فى ذلك خطوب آلت بعد سنين الى انقطاع الملك بفاس وبقي الناس فوضى الى الآن » اه كلام « المرأة »

وكان ابتداء أمر شراقة واشتداد شوكتهم سنة ست عشرة والى كانوا ادالة على أهل فاس نازلين بقصة الطالعة وبقصة اخرى وبعض الفنادق وقرب باب المسافرين ، الى ان قام عليهم الشريف ابو الربيع فى التاريخ المتقدم ، وكان عبد الله بن الشيخ يوم ثورة ابى الربيع وفتكه بشراقة غائبا فى سلا فلما بلغه الخبر قدم ورام ان يصلح بين أهل فاس وبين شراقة وراودهم على ذلك فقالوا : « لا . لا » فسميت تلك السنة سنة لا لا . ثم أمر ابو الربيع اهل فاس بشراء العدة والتهيب لقتال شراقة وخرج اليهم فاقتتلوا خارج باب الجيسة فانهمزمت شراقة ، واستتب امر ابى الربيع وسكنت أحوال المدينة وامن الناس أمانا لم يعهد من زمان السلطان الغالب بالله وفى يوم الاربعاء رابع عشر جمادى الثانية سنة عشرين والى كانت

وقعة المترب ، موضع خارج باب الفتوح ، وسيبها ان اهل فاس استغاث بهم
المالقة واستصرخوهم على شراقة مكيدة وحيلة فخرجوا فى يوم شديد
الريح وكمن لهم شراقة بخولان واغاروا عليهم بقتة ، فانهزم الناس وقتل من
أهل فاس نحو الالفين .

وفى « نشر المثنى » سبعمائة فقط ، قال وجلهم هلك بالعطش ،
وغلقت الابواب واضطربت المدينة ، وهاج الشر بسبب ذلك مدة ، ثم
خرج أهل فاس مرة اخرى لقتال عبد الله بن الشيخ فهزموه واسروه ،
وبقى فى ايديهم فغفوا عن قتله واطلقوه ، وذهبوا خلفه حتى دخل داره من
فاس الجديد

ولما قتل ابوه الشيخ سنة اثنتين وعشرين كما مر . واتصل خبر مقتله
بابنه عبد الله عزم على الاخذ بثأره من قاتليه اولاد ابى الليف ، وازمع المسير
اليهم ، ووافقه على ذلك الشريف ابو الربيع والفقير المربع واصحابهما
وامتعت العامة من الذهاب معهم ، لان الشيخ لم تبق له فى نفوس المسلمين
مودة حيث باع العرائش للنصارى ، فاجتمعت العامة بجامع القرويين وقالوا :
« لا نقبل سليمان ولا المربع » وحاصوا حيصة حمر الوحش ، واتخذوا
رؤساء آخرين فوقع بسبب ذلك شر عظيم ادى الى قتل الشريف مولاي ادريس
ابن أحمد الجوطى العمرانى التونسى ، وسبب ذلك ان منادى أبى الربيع
مر ينادى فى السوق باستفار الناس مع عبد الله بن الشيخ ، فقام اليه
الشريف مولاي ادريس وضربه بعضا وسبه ، فاقبل ابو الربيع ومن معه
واقترحوا على مولاي ادريس دار القيطون وقتلوه على خصتها ، ولما كان
صباح القبر من الغد قام ولد مولاي ادريس و شكاه هضمته لعلماء فاس ،
فأمروه بالصبر . ثم التفت عليه اهل العدو وقصدوا دار ابى الربيع وناولوه
الحرب ، فرجعوا مفلولين وقتل بعضهم والامر لله وحده ، ووقع الغلاء
حتى بيع القمح باوقيتين وربع للمد ، وكثرت الاموات ، حتى ان صاحب
المارستان أحصى من الاموات من عيد الاضحى من سنة اثنتين وعشرين
وألف الى ربيع النبوى من السنة بعدها أربعة آلاف وستمائة ، وخربت

أطراف المدينة وملت المداسر ، ولم يبق بلمطة الا الوحوش ، وكثر النهب في القوافل

ولما كان المحرم فاتح سنة ست وعشرين والى قبض الشريف أبو الربيع على أربعة من كبار شراقة ثم قتلهم ، فوجم لها اللطيون وخاف الناس على المدينة ، وتوقعوا الشر وعظم الرعب في القلوب حتى وقعت بسبب ذلك الهزيمة في كل مسجد من مساجد الخطبة بفاس ، وذلك انه كان امام جامع القرويين ذات يوم يخطب ، والناس في صحن المسجد ، فوقع شؤبوب من المطر غزير ، فابتدر من في الصحن الدخول الى تحت السقف ، فظن الناس ان ابا الربيع قد قصده شراقة فانهزموا وخرجوا من المسجد لا يلوى أحد على أحد ، فبلغ الخبر الى اهل جامع الاندلس فاقتدوا بهم ، وبلغ الخبر الى اهل الطالعة فكان كذلك ، وتتابعت الهزائم بالمساجد

وفى يوم السبت الخامس من صفر سنة ست وعشرين والى قتل الشريف ابو الربيع غدرا في جنازة رجل لمطى خرج اليها ، فقتله الفقيه المربوع ، وقتل اباه وابناء عمه وستة من اصحابه ، ودفن مع والده بمسجد الجرف ، ولما قتل ابو الربيع بقيت فاس في يد المربوع واعصوب عليه اللطيون ، واشتدت شوكتهم ، ثم قدم جمع من عشيرة ابي الربيع من زرهون وحاولوا الفتك بالمربوع ففطن بهم ووقع بينه وبينهم قتال هلك فيه نحو مائة وثلاثين رجلا وسلم المربوع منها

وقال صاحب « معتمد الراوى » لما قتل ابو الربيع الزرهونى قام اخوه مولاي أحمد يطلب بثاره وساق معه نحو أربعمائة من الزراينة واقتحم بهم فاس ، وقتلوا الفقيه المربوع وشيعته من اللطيين ، فالتف اهل فاس على المربوع وقتلوا معه الشريف يدا واحدة ، فانهزم الشريف وقتل جل من معه ، وكاد يقبض عليه باليد ، ففر الى روضة سيدى أحمد الشاوى ، ومعه نحو الثمانين من اصحابه ، فنبههم الفقيه المربوع في جمع عظيم من اللطيين واقتحم عليهم الروضة ففر الزراينة الى بيوت دار الشيخ فهجم عليهم المربوع بجنده وقتلهم أجمعين . ثم ان المربوع واللطيين جاءوا برجل يقال

له عبد الرحمن الحنادقي كان يتعبد بزرهون فاستقدموه في جمادى الاولى سنة سبع وعشرين والف وراموا ان يملكوه ويجمعوا عليه ، فانزلوه مع أصحابه في روضة الشيخ ابي الحسن على بن حرزهم ، واتصل الخبر بالقائد أحمد بن عميرة وزير عبد الله بن الشيخ فأتى وفك باصحاب الرجل المذكور ، ولجأ هو الى ضريح الشيخ ابن حرزهم فرموه من طاق هنالك فقتلوه وسقط ميتا على القبر وبطل امره

ولما سئم اهل فاس من الفتن وكثرة الحصار وضاق بهم الحال من غارات الاعراب ذهبوا الى عبد الله بن الشيخ بفاس الجديد ونصروه واطهروا المحبة له ، وفرح بهم غاية ، وتحالفت العامة والخاصة على نصره والاذعان اليه ، فصضح عنهم وعفا لهم عما سلف ، وبعث وزيره الى المربوع بالامان فلم يأمن ، وخاف على نفسه ، وصمم مع اللمطين على قتال عبد الله وتهيأوا له حتى لم تصل الصلوات الخمس بالقرويين ، ثم ان القائد حمو بن عمرو وزير عبد الله أمر بان ينادى بامان اللمطين ، ففر اللمطيون عن المربوع حينئذ حتى لم يبق معه الا قليل ثم بعث اليه عبد الله بسبعته وخاتمه أمانا فلم يأمن وفر ليلا الى بنى حسن فاخذه شيخهم سرحان واتى به الى عبد الله فعفا عنه ، وعادت دولة عبد الله الى شبابها ، واستتب امره وتمهدت له البلاد ، وذلك في جمادى الاولى سنة سبع وعشرين والف ، فجمع الجيوش وبعث بعض جنده لحصار تطاوين ، وبعضهم لقبض الاعشار ، وبعث وزيره حمو ابن عمرو مع المربوع لارجين موضع من جبال الزيب ، فقدر المربوع بالوزير وقتله اعتمادا على كلام سمعه من عبد الله فغضب عبد الله واسرها في نفسه ثم في يوم الاثنين ثالث ربيع النبوى سنة ثمان وعشرين والف قتل المربوع اللمطى ونهبت داره

وقال في « نشر المثنى » قتله عبد الله بن الشيخ ، وعلقه على البرج الجديد خارج باب السبع ، ثم انزله ولعبت عليه خيله ، ثم بعد ايام وظف عبد الله على اللمطين ثمانين الفا فقتل عليهم أمرها فهربوا في كل وجه فاسقط عنهم نصفها ، والله تعالى أعلم

ثورة محمد بن الشيخ المعروف بزغودة(*) على أخيه عبد الله بن الشيخ
وما وقع في ذلك



قال في « شرح زهرة شماريخ » لما رأى اهل بلاد الهبط ما وقع
من افتراق الكلمة وتوقد الفتن بايعوا محمد بن الشيخ المعروف بزغودة على
ضريح الشيخ عبد السلام بن ميثش رضى الله عنه ، وكان الذى قام بدعوته
الشريف ابو الحسن على بن محمد بن على بن عيسى بن عبد الرحمن
الادريسي المسمى اليونسي المعروف بابن ريسون ، وهى ام جده على
نزىل تاصروت وبايعوه على الكتاب والسنة وعلى احياء الحق وامانة الباطل
فلما بلغ خبره أخاه عبد الله خرج لقتاله ، فالتقى الجمعان بوادى الطين
واقتتلوا فانهزم عبد الله وتقدم محمد الى فاس فدخلها واستولى عليها فى
شعبان سنة ثمان وعشرين والف ، وقبض على بعض عمال عبد الله فقتلهم
واستغنى اموالهم

وفى آخر شعبان المذكور وقعت الحرب بينهما بمكناسة فانهزم
محمد ودخل عبد الله فاسا فى مهل رمضان من السنة واطهر العفو عن
الخاص والعام ، ثم قتل أهل فاس قائده ابن شعيب واخذوا حذرهم من عبد
الله ثم وقع قتال بين اهل الطالعة واهل فاس الجديد ودام أياما عديدة حتى
اصطالحوا لتاسع رجب من سنة تسع وعشرين والف ، ثم ان عبد الله خرج
لقتال أخيه محمد ف وقعت المعركة بينهما بوادى بهت فانهزم محمد وفر شريدا
الى ان قتله ابن عمه كما سيأتى ان شاء الله
وفى يوم الجمعة خامس ذى القعدة من سنة اثنتين وثلاثين والف قتل

(*) فى النص المطبوع بفاس لنزهة الحادى ابن عودّة وهو قريب التصحيح بزغودة
فليحذر اه وقد ورد وصف ابن عودّة بهذا اللفظ فى تقييد خطى فى تاريخ الدولة السعدية
منسوب لسيدى عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى فظهر ان زغودة مجرد تصحيف .

الفقيه العالم القاضي ابو القاسم بن ابي النعيم بعد ان نزل من صلاة الجمعة بفاس الجديد قتلته اللصوص بباب المدرسة العنانية ، وفي « نشر المثاني » قتله اللطيطون بالزريرطانة لانهم اتهموه بالميل الى عبد الله بن الشيخ فوقع بسبب قتله شر عظيم بين أهل العدوتين من فاس

ولم يزل عبد الله في معالجة اهل فاس فتارة يميلون اليه وتارة ينخرفون عنه لفساد سيرته وقبح طويته حتى كان قائده مامى العليج ينهب الدور جهارا ويعطى عبد الله كل يوم على ذلك عشرة آلاف مما ينهب من الناس من غير جريمة ولا ذنب

وقام عليه بمكتاسة ايضا رجل يقال له الشريف آمغار وقام عليه بتطاوين المقدم ابو العباس أحمد التقيس ولم يبق في يده الا فاس الجديد واما فاس القديم فتارة وتارة كما ذكرنا آنفا لانه استولى عليها الشريف ابو الربيع والفقيه المربوع ولما قتل كما ذكرناه آنفا قام بفاس محمد بن سليمان اللطيطي المدعو الاقرع وعلى بن عبد الرحمن فقتل ابن سليمان وقام احمد بن الاشهب مع ابن عبد الرحمن المذكور ف وقعت فتن وحروب ثم قام الحاج على سوسان وابن يعلى وتولى أيضا يزور ومسعود ابن عبد الله وغيرهم من الثوار

وكانت فاس أيام هؤلاء على فرق وشيع لا يامن التاجر على نفسه الا ان استجار بأحد من هؤلاء ووقع من الفتن ما أظلم به جو فاس وتن ألقها العاطر الانفاس ، وخلا أكثر المدينة واستولى عليها الخراب ودام الشر بين أهل العدوتين حتى كادت فاس تضمحل ويعفو رسمها

وحدث غير واحد من الثقات أنه لما دامت الحرب بين اهل العدوتين ولم يكن لاهل الاندلس غلبة على اللطيطين قال الشيخ ابو زيد عبد الرحمن ابن محمد الفاسي : لا يغلب احد اللطيطين ما داموا مواظبين على قراءة الحزب الكبير للامام الشاذلي رضى الله عنه ، وكانت طائفة من اللطيطين يقرأونه كل صباح بزواية سيدى رضوان الجنوى من عدوة اللطيطين فسمع لذلك اهل عدوة الاندلس فاحتالوا على ابطال قراءة ذلك الحزب بان بعثوا

أحدا فاحتال على أولئك الذين يقرأونه فاستضافهم فباتوا عنده جميعا في منزله فلما طلع الفجر او كاد زعم ان مفتاح الدار قد سقط منه وتلف ولم يزل يعاني فتحها الى ان طلعت الشمس فخرجوا ، ولم يقرأوا الحزب ذلك اليوم ، واخبر اهل الاندلس بذلك فحملوا على اهل عدوة اللطيين فهزموهم وتحكموا فيهم مع انهم كانوا لم يجدوا اليهم سبيلا قبل ذلك ببركة حزب الشاذلي رضى الله عنه

وذكر بعضهم ان سبب هذه الفترة : ما حكى ان عبد الله بن الشيخ عزم على التنكيل بأهل فاس في بعض غلباته عليهم أيام خروجهم عليه ، فاستشفعوا اليه بالصالحين المجذوبين : سيدى جلول بن الحاج ، وسيدى مسعود الشراط ، وكان من الملامية ، فلما وقفا بين يديه قال : « أما وجد أهل فاس شفيعا غير هؤلاء الخرايين في ثيابهما ؟ » فغضب سيدى جلول وقال : « والله لا تصرف فيها - يعنى فاسا - أحد اربعين سنة » ، وانصرفا ؛ فيقال : ان عبد الله بن الشيخ انقلبت معدته فخرج غائطه من فمه أياما الى ان أتى بالشيخين فاسترضاها ، فكان امر فاس كما قال سيدى جلول لم يطأطىء رؤوس أعيانها سلطان الى ان جاء الله بالمولى الرشيد بن الشريف السجلماسى رحمه الله كما سيأتى ، وانما كان يتصرف فيها رؤساء أهل فاس الذين يسمونهم السياب ، قال اليفرنى : « وهذه حكاية صحيحة سمعتها من غير واحد بفاس » ملخصها ما ذكرنا

ولم يزل عبد الله فى محاربة أهل فاس القديم من سنة عشرين ولف الى ان توفى يوم الاثنين الثالث والعشرين من شعبان سنة اثنتين وثلاثين والف بسبب مرض اعتراه من اسرافه فى الحمر وادمانه عليه وكان لا يفارقه ليلا ولا نهارا ويتعاطاه سرا وجهارا

قال فى شرح « زهرة الشماريخ » : « ولما توفى عبد اللهولى بعده اخوه عبد الملك فى شعبان سنة اثنتين وثلاثين والف ولم يز ل مقتصرا على ما كان قد صفا ل اخيه الى ان توفى فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين والف ومن آثار عبد الله بن الشيخ : القبة التى على الحصة الكائنة اسفل

المنارة التي بوسط صحن جامع القرويين : فانه لم يكن في القديم الا الحصة
المقابلة لها شرقي الجامع المذكور

- غريبة -

قال اليفرنى : حدثني شيخنا الفقيه ابو الحسن على بن أحمد قال :
« كان شيخ شيوخنا الفقيه الامام ابو عبد الله محمد بن أحمد ميارة يقول :
ان احمد بن الاشهب الذي تقدم ذكره قبل في الثوار اخبر به النبي صلى الله
عليه وسلم قال : والحديث بذلك مذكور في كتاب الجامع الكبير للحافظ
جلال الدين السيوطي رحمه الله » اه و قتل ولد ابن الاشهب رابع جمادى
الاولى سنة خمس واربعين والفاء فتك به على بن سعد في جامع القرويين
وهو في صلاة العصر ، وقامت بسبب ذلك حرب بين اهل الاندلس
واللمطيين ، وانتهت السلع التي بسوق القيسارية وسوق العطارين وبنى
اللمطيون الدرب الذي بباب العطارين واستمرت الحرب نحو ثمانية أيام
ثم اصطلحوا



ثورة ابي زكرياء بن عبد المنعم بالسوس ومغالبة لابي حسون السملالى
المعروف بأبى دميعة على تارودانت



كان الفقيه أبو زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم
الحاحي لما رجع من مراكش الى السوس حسبما مر بدا له في طلب الملك
وجمع الكلمة لما رأى من افتراقها في حواضر المغرب وبواديها
وكان المرابط ابا والحسن على بن محمد بن محمد بن الولي الصالح
ابى العباس أحمد بن موسى السملالى ويقال له ايضا : ابو حسون قد ظهر
بالقع السوسى عند فشل ريج السلطان زيدان به واستولى على تارودانت
واعمالها .

فلما ثار الفقيه ابو زكرياء سار الى تارودانت فتغلب عليها وملكها
من يد ابي حسون المذكور وبعد ان وقع بينه وبينه معارك ومقاتلات كبيرة ،

وكان القاضي بتارودانت يومئذ الفقيه العالم ابو مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني ، وكان أبو زكرياء قد استشاره فيما عزم عليه فلم يوافق على ذلك ولم يساعده على مراده لما فيه من الخروج على السلطان بلا موجب ، فغضب عليه الفقيه ابو زكرياء حتى أمر بقتله غيلة فيما قيل ، فخرج القاضي من المدينة خائفا يترقب ، وذهب الى مراكش فاستقر بها وعصمه الله منه وكتب الى أبي زكرياء برسالة يعظه فيها وينهاه عن الخروج على السلطان ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

يقول الفقير الشديد الحاجة الى رحمة مولاه الغني به عمن سواه ، السائل منه التوفيق واللفظ في ظعنه ومأواه ، كاتبه عيسى بن عبد الرحمن السكتاني عفا الله عنه وسمح له: الحمد لله الذي جعل الصدع بالحق وظيفة الانبياء ، واورثه بعدهم من خلقه فريق العلماء ، والصلاة والسلام على من أكد امر الصلح وقال : «الدين النصيحة» فقيل : لمن يارسول الله ، فقال : «لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» والرضا عن آله وصحبه الذين سلكوا سبيله وانتهجوا من المناهج طريقه ، وعن التابعين وتابع التابعين لهم الى وقوع القصاص بين الخليفة ، وبعد ، فاني لما قفلت بحمد الله بسلامة وعافية الى جلي وجدت أهلي واولادي ، مستوحشين من البادية وان كانت محل سلفي ومقر تلادي ، بعد أن الفوا الحواضر وطبعوا على طباعها فكانوا أحق بها ، وكنت في غاية الضيق والتأسف لما حل بالاولاد فتذكرت قول بعض فقهاء الاندلس ممن نابه مثل ما نابني واحابه مثل ما اصابني :

أليس من القبيح مقام مثلي بدار الحسف منكسف الجمال

أخالط أهل سائمة وسرح وأرتع بين راعية الجمال

فأنجلت فكري ، وان كان الكل بقدر الله وارادته ، فرأيت أن ذلك ، وفي القضاء لطف ، أمر أنتجه ، كما لا يخفى على ذي بصيرة ، ما حل بالمغرب من افتراق الكلمة ، وتلاعب شياطين الانس والجن بدوى العقول منهم فصاروا أحزابا وفرقا ، فاتبعت كل طائفة من هواها ما كانت تعبد ،

حتى اذا عرض لعاقل أو عرض عليه منهم الاقلاع بادره الشياطين فسدوا عليه بابه ، وأروه باغوائهم وزينوا له أن ذلك يشينه لدى العامة ويوجب له السقوط من أعين الناس ، مع انه لا يعده من السقوط الا الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ، وأين يغيب عن الموفق ان السقوط من عين الله هو الطامة الكبرى ، وأين غاب عنه أن العبرة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا بكلام الهمج الرعاع ممن لا يزال الشيطان يلعب به آخذاً بزمامه ساكناً على قلبه ولسانه ، وأين يغيب عنه من كتاب الله : « فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى ؛ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » فقلت : انا لله وانا اليه راجعون هذه مصيبة عظيمة نزلت بمغربنا فافترق ملائهم وقتلت سرواتهم وانهبت أموالهم وهتكت حرهمهم ومزقت أعراضهم وفسدت أديانهم واختلت وبدت عن التوفيق آراؤهم وكادت تطمع بل طمعت فيهم أعداؤهم اللهم ياذا الطول والامتان ياخذان يامنن ياذا الجلال والاكرام تداركنا بالطافك الحفية فى ديننا ودنيانا ياخالق الارض والسماء .

فان قلت : ما ذكرته من أن خروجك من الحواضر الى البوادر هو نتيجة افتراق الكلمة كما فعله من يقتدى به من الصحابة رضى الله عنهم فتبدى صحيح ، وما دليلك على التلاعب ؟ قلت : ما خرجة أئمة الصحاح من منع الخروج على الاثمة وان الواجب فى حق من رأى منهم ما يكره الصبر والاحتساب اذ غائلة الجور ، وان تفاحش ، أقل بكثير من غائلة الخروج الذى يترتب عليه فساد المهج والاموال والاعراض والاديان وهتك الحرم ، ولهذا صبر على الحجاج من علماء الصحابة والتابعين من صبر حتى لقوا الله تعالى سالى الاديان ، وعبادته مغتسمى الزمان ، وتذكر ، فما بالعهد من قدم ، بالمرايط أبى محلى كان فى قطره عالى الصيت يقصد ويتبرك به ويعتقد فيه أنه قطب زمانه ، وبلغ به الحال الى أن سولت له نفسه أو سول لها انه يصلح به مالم يصلح بغيره من أهل الزمان فقام وأعانه عليه قوم

آخرون حتى ملأ الدنيا صياحا ودعاوى وعياطا وأكاذيب لا يشهد لها عقل ولا نقل فتمرد على المسلمين حتى لم يسلموا من لسانه ويده ، فقتل ونهب وسب واغتاب وحمل نفسه مالا تطيقه فاستهوت به شياطين الانس والجن والنفس والهوى ، ثم بعد ذلك كله لم يحصل من سعيه على طائل وآفته الغفلة عن الكتاب والسنة والرضا عن النفس حتى أنه حكمها فصارت تلعب به الى أن فاه وادعى بدعاوى استبيح بها ما كان معصوما من دمه ، وهلك بسببه بعده نفوس وأموال وغير ذلك ، أشك من ارتاض بالكتاب والسنة ونظر بعين الشريعة ان فعله ذلك مما حمله عليه من تجب مخالفته من الشيطان والنفس والهوى ؟ وربما استحسن فعله ذلك من شيعته من ابتلى به أو قلده تقليدا رديا في فعله « فان توليت فانما عليك اثم الاريسين » والى الآن كانوا يستصوبون فعله ويستحسنون قوله مع انه بمعزل عن الكتاب والسنة .

فان قلت : وهذه طائفة الفقراء ما بين متعصب متحزب ومتحيل متصيد ومتصور على ما استأثر به الباري من الغيوب مرتكب للآثام مصر على العيوب ، قلت : وهذه طائفة الفقراء فيها جل ما تقدم وزيادات تضيق عن الاحاطة بها السطور والطروس قد بددتها ، والعياذ بالله ، الفتن ، وشردها ما تخوفته من المحن ، بانت العلوم واضمحلت الفهوم وتعطلت الرسوم فلا منطوق يذكر ولا مفهوم ،

هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود قلت : وهذا الشيخ أبو زكرياء ، وهو الذي يساق الى نصحه الحديث ، كنا نستسقى به ونستشفى ، وكانت تشد اليه الرحال ولا يأنف من اتيانه النساء والرجال ، قد أتمه من أقطار مغربنا الوفود ، ودانت له الذئاب والاسود وكان يعلم الجهال ويهدي الضلال ، ويطعم الجائع ويكسو العريان ، ويعين ذا الحاجة ويغيث اللهفان ، وهي سبيل يالها من سبيل ، وطريقة ما أحسنها من طريقة ، ثم صارت تلك الجموع ، وكان أمر الله قدرا مقدورا ، أيدي سبا . وتلاشت شذر مدر ما لها من نبا .

أيها الشيخ أكرمك الله بتسديده ، أو تجد في الوجود ملكا أعظم من ذلك الملك فطلبه ، أو سلطانا يوازيه أو يقاربه فتحاوله ، أين خفى عليك الشيء وهو ضروري ؟ أم أين ضلت عنك النصوص من الكتاب والسنة وأنت منقول معقولي ؟ « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ؟ » « لمت الله أكبر من مقتكم أنفسكم » « وان أبغض الكلام الى الله أن يقول الرجل للرجل : اتق الله فيقول : عليك نفسك » وهو طرف من حديث خرجه النسائي : قد وعظتك وذكرتك ان نفعت الذكري . قال جل من قائل « وذكر فان الذكري تنفع المؤمنين » .

فقلت من التعجب ليت شعري أأيقاظ أمية أم نيام
فان قال شيطان من شياطين الانس أو الجن : هذا ما أريد به وجه الله ، قلت : الله الموعد ، اياكم والظن ، فان الظن أكذب الحديث ، وستلقون ربكم فيسألکم عن أعمالکم وان خطر هذا وهجس بقلب الشيخ أكرمه الله ، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، قلت : ادل دليل على اني قصدت محض النصيحة . هو انه استنصحنى على دفاع أبي محلي فصحته وقلت له : ان هذا لا تتقيم معه الديانة فكأنه ما قبل فانفصلت عنه وهو يقول : استخر لي الله فكاتبته بان لا يفعل ، ثم لما نزل وكان على باب الغزو من تارودانت خلوت به فقلت له اذ ذاك : ان الناس يقولون كذا وكذا وعرفته اذ ذاك بما عرفته من أبناء الزمان ، فجمعنا في رملة الى الآن أتخيل حرها ، وتبرأ من كل ما يقال ، وما زلت على المنع الى أن جاءت كرايس من قبل أبي محلي فتأملتها فوجدتها مشتملة على كفریات في جزئیات ، فحينئذ شرح الله صدری لآباجة دفاعه .

ثم وان قلت ذلك ، فنفسی آمرة ولا أقول في نفسي ما كان يقوله سخنون في قضية ابن ابي الجواد : « مالى وله الشرع قتله » ولو قلت أو غششت لغششت في قضية ذلك الرجل وزينت لك قتاله أولا لان ذلك هو مقتضى التعصب للامير واذا لم أتعصب اذ ذاك فكيف أستسهله الآن ، فعين أنى نصحت لكم ان قبلتم ، والا فكما قال تعالى عن نبي من أنبيائه : « ولكن

لا تحبون الناصحين» أشدك الله الذى باذنه تقوم السماوات والارض أما قلت لك بعد رجوعى العام الاول من مراكش بل الذى قبله : ان العذر لا يحسن ؟ وصرحت ولوحت بان شق العصا لا يحل غير مرة ؟ وما كفانى القول الدال على ذلك الى أن زدت الفعل بالخروج من مدينة لا أبغضها كما قال :

فوالله ما فارقتها عن قلبى لها وانى بشطى جانبها لعارف
ورضيت بالبادية ، مع جفائها ، فرارا من الفتن ، وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن يكون خير مال الرجل غنما يتبع به سعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » ثم بعد ، فعلى هذا كله ، نصحت فلم أفلح وخانوا فافلحوا ، وعدوا على من القبائح طاعنى للائمة مع انك يوم جاء الى دارك قلت لهم : « هذا أميركم » ، ونحن لا نشك أنك من المعبرين فى مغربنا وان بيعتك لاحد لازمة لنا ، وكذلك حين ذهبت الى مراكش فى وقعة أبى محلى قد أراد أهل مراكش فايت ، وأبحت البلاد لخدم الامير وقلت لهم : انه الامير . وفهمه الناس عنك بلسان الحال وبلسان المقال ونصروه بمرأى منك ومسمع ، أفشك بعد أن كان منك هذا انك مباع وانت قدوة ؟ واذا كان هذا فإى حجة لك على الامير ولا على المأمورين ؟ فمن زين لك قتاله فقد غشك اذ هو مسلم وابن مسلمين .

فان قلت : موافقتى مشروطة بشروط لم يوف لى بها ، قلت : هب انه لم يوف لك أفستطيع قتاله لاجل ذلك ؟ والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا التقى المسلمان سيفهما فالقاتل والمقتول فى النار » الحديث . فبالله أيها الشيخ ما تقول فى هذا الحديث وأنظاره ؟ وما تقول فيما اتهم أو عسى أن ينتهب من أموال الناس وأخذ بغير حق وأنفق فى سبيل الطاغوت والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس ؟ » أو ما تستحيى من ربك يوم تسأل عن النكير والقطمير ، ولست ممن خفى عليه ذلك كله فعذر عند المخلوقين ؟ أو ما علمت أن كثيرا من العوام يعتقد جواز ذلك اذ رآك ارتكبته فتكون قد

سنت هذه السنة وظل بسبب ذلك كثير من الناس ؟ أو ما خشيت دعوة المظلوم التي ما بينها وبين الله حجاب ؟ أو ما كنت تعير من يرتكب مثل ذلك من اللواة وتأسف عليه ؟ « لا تعير أخاك المؤمن » الحديث

لا تته عن خلق وتأني مثله عار عليك اذا فعلت عظيم
أما انتبهت لما وقع لاهل درعة من النهب والسلب واسترقاق الاحرار وهتك الحرم ؟ « ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام » الحديث .
وقد أتنا السؤال من قبل الشيخ عن صنيع سكانه ذلك ولم يستطع اذ ذاك من نظر بنور العلم أن يقول لهم في وزر نظرا الى ما آل اليه الحال في اهل درعة مع أن جلهم حملة القرآن وعامتهم بله « وأكر أهل الجنة البله » . أفليق بحق الصلحاء أن يسلط عليهم من لا يرحمهم ؟ « ولا تنزع الرحمة الا من قلب شقى » « انما يرحم الله من عباده الرحماء » « من لا يرحم لا يرحم » « ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » أونسيت أنه يقتص للجماء من القرناء ؟ وان الظلم الذي لا يتركه الله ظلم الناس بعضهم لبعض ؟ أفى علمك أن حسناتك تفسى بما عليك من التبعات ؟ او انه لا تباعة لاحد عليك ؟ ولو كنت بدريا لاحتمل أن يقال في شأنك : ما قاله صلى الله عليه وسلم لعمر : وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؟» أو كما قال عليه السلام، « والظلم ظلمات يوم القيامة » أو تستطيع أن تقتحم ظلمات الصراط وأنت مسئول عن القبراط ؟ وحتى أهل تارودانت بلغنا انه لم يغن في شأنهم الترويع بل بلغ بهم الحال والجور الى التفرغ ، فاتق الله أيها الشيخ ولا تكن كمن اذا قيل له : « اتق الله أخذته العزة بالاثم » هذا ما يتعلق ببعض حقوق الناس على العموم ويتعلق بحق كاتبه على الخصوص ، انك أخذت عليه أن يؤدي الطاعة للامير ويرعى ما هو من شيم المؤمنين من حسن العهد والتبرى من الغدر وشق العصا بعد ان بذل وسعه في نصحك ونصح الامير ، وحاول بكلية على جمع الكلمة وتعب في ذلك واقتحم فيه عقبات لا يقطعها الا بازل ، ولا سبيل اليها لمن يكون في دينه وعمله مثلى

من هو نازل :

لعمري أياك ما نسب المعلى الى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقتضت وصوح نبتها رعى الهشيم
اذا غاب ملاح السفينة فارتمت بها الريح هوجا دبرتها الضفادع
ولكن ليس من شرط النصيحة كمال الناصح كما انه ليس من شرط
تغيير المنكر عدم ارتكاب المغير ما غير ، لان هذه طاعة وتلك أخرى ،
والتوفيق بيد الله سبحانه ، نعم بلغنى مع ذلك وجزم لى به أنك مع
بذل النصح لك وللأمير أصلح الله الجميع وأصلح ذات بينهم أخذت
على الرصد فى قفولى لصيتى والرجوع اليهم رعاية لما يجب ويندب من
أحقوقهم ، وهل هذا الا حكم الهوى والشيطان ، أعندك ما تستيح به ذلك ؟
مع أنى والحمد لله أينما كنت لا أسعى الا فى مصلحة جهد الاستطاعة أو
بث نصيحة حين لا أرى من يشها ، أو اغانة ملهوف حين تجب اغائته ،
« لئن بسطت الى يدك لتقتلنى » الآية « ولكن الله عزوجل يقول : « ولا
يحقيق المكر السىء الا بأهله » وفى التوراة : « من حفر حفرة فليوسعها ،
ولا تحفرن بثرا تريد بها أخا » فإين وجدت ما يسوغ لك ارتكاب مثل هذا
قولا او فعلا او اشارة أو تصریحا أو تلویحا ؟ وای جريمة توازى هذه
الجريمة ؟ او كبيرة من الآثام أكبر منها ؟ والله الموعد ، وسيعلم الذين
ظلموا أى منقلب ينقلبون « هذا ، والسعاية المصحوبة بسؤالى عن دفاع سكانه
أين تجدون ما يوجب اباحتها ؟ أين غاب عنكم انها من الكبائر ؟ واين
غاب عنكم قوله صلى الله عليه وسلم : « ان الرجل ليتكلم بكلمة يهوى بها فى النار
سبعين خريفا ؟ » أهذا من اخلاق المومنين والصالحين ؟ وانت من بيت
الصلاح ، ما كان جدك يرضى مثل هذا « وما كان أبوك امرأ سوء » وهذا
والله اعلم نتيجة قرناء السوء ، ولا تصحب من لا ينهضك حاله ، ولا يدلك
على الله مقاله ، والى هذا ينتهى حق الصحبة اعنى بذل النصح ، ان الله
يسأل عن صحبة ساعة ونحن صحناك واعتقدناك ونصحناك ووعظناك
« انصر اخاك ظالما او مظلوما » فنصرناك بالرد الى الجادة ، اين انت من مولانا

الحسن بن علي اذ تخلى عن الامر لابن عمه معاوية مع انه هاشمي علوي
فاطمى احدى ریحاتى النبی صلی الله علیه وسلم ومعاوية اموی یجمعهما
عبد مناف ؟ فتخلى عن الامارة مع انه امام وابن امام واصلح الله به ، وهو
سيد ، بين فئتين عظیمتين من المسلمين ، بعد ان كان یلقب بامير المؤمنين ،
فقال له بعض اصحابه اذ سلم علیه : «يا عار المؤمنين» فلم یكترث بذلك
وقال : «النار أشد من العار» ألهمنا الله وایاکم رشد انفسنا وجعلنا وایاکم
من الذين یستمعون القول فیتبعون احسنه : انتهى

ولم یزل الفقیه أبو زکریاء مصمما علی طلب جمع الكلمة الى ان اخرتمه
المنية : قال صاحب الفوائد ما صورته : قام الشیخ ابو زکریاء بجمع الكلمة
والنظر فی مصالح الامة واستمر به علاج ذلك الى ان توفي ولم یتم له امر
اتتهی ، وكانت وفاته ليلة الخميس سادس جمادى الثانية من سنة خمس
وثلاثین والـف بقصة تارودانت وحمل من الغد الى رباط والده دفن
بجنبه رحمه الله



بقية اخبار السلطان زيدان وذكر وفاته رحمه الله



قد ذكر المؤرخ لويز البرتقالى فى كتابه الموضوع فى اخبار الجديدة شيئا من أخبار السلطان زيدان رحمه الله فقال : « كان السلطان زيدان صاحب مراكش مسالما لنا كافا عن حربنا وكانت للقبائل تفتات عليه فى غزونا فكانت غاراتهم لا تنقطع عنا ، وكان هو ايضا معهم فى شدة ومكابدة من اجل اعوجاجهم عليه » ثم ذكر ان من جملة من غزاهم فى دولته السيد سعيد الدكالى قلت : واطنه والد السيد اسماعيل صاحب الزاوية المشهورة ببلاد دكالة ، قال : فنهض سعيد بحال وغيره وامتعاض للاسلام وسار الى الجبل الاخضر وغيره فجمع الجموع نحو اثنى عشر الفا وزحف بهم الى الجديدة ، ووافقه على ذلك قائد آزمور وبعض أشياخ الشاوية ، وكانوا فى نحو مائتين وخمسين من الحيل ، وارتاع النصارى منهم وخافوا خوفا شديدا ، وامرهم قائدهم بالجد فى حراسة الاسوار والانقاب ، وان يدوا باب الجديدة ولا يفتحوا منه الا خوخته ، وحاصرهم المسلمون ثلاثا ثم قضى الله بوفاة السيد سعيد فافترق ذلك الجمع . قال لويز : « مات أسفا على ما فاتته من الفتك بالنصارى كما يحب »

وفى سنة أربع وثلاثين والى الف خرج السلطان زيدان من مراكش وقصد ناحية آزمور ولما انتهى الى الموضع المعروف بام كرس من بلاد دكالة حمل اليه نصارى الجديدة هدية نفيسة ، ثم قدم نفر آزمور فى نحو اربعين الفا من الحيل على ما زعم لويز ودخل البلد ، واخرج أهل آزمور عدة مدافع من البارود فرحبا به ، ولما سمع نصارى الجديدة بذلك اخرجوا مدافعهم ايضا فرحبا بالسلطان وادبا معه

وفى سنة ست وثلاثين والى الف ثار على السلطان زيدان الفقير ابراهيم كانوت هكذا سماه لويز ، ولم ادر من هو ، قال : وفى خامس عشر

من دجنبر من السنة تواقف جيش التائر المذكور مع جيش السلطان للحرب بسبلاد دكالة ، وكان جيش السلطان يومئذ الفا وخمسمائة فقط ، وجعل على مقدمته ابنه عبد الملك ، فانهزم ابراهيم وقتل ، وقتل جماعة كثيرة من اصحابه وقبض على ولده فبعثه السلطان مع عدد وافر من رؤوس اصحابه الى مراکش واخرج نصارى الجديدة المدافع ايضا فرحا بهذا الخبر ، فبعث اليهم السلطان زيدان بفرس احمر لقائدهم اكراما له ، وكتب اليهم بكتاب تاريخه سادس رمضان سنة ست وثلاثين والى مكافأة لهم على ادبهم معه « انتهى كلام لوزير وقال اليفرنى رحمه الله : « كان السلطان زيدان من لدن مات ابوه المنصور وبوبع هو بفاس فى محاربة مع اخوته وابنائهم ومقاتلة مع القائمين عليه من الثوار الذين تقدم ذكر بعضهم ، ولم يخل قط فى سنة من سنى دولته من هزيمة عليه او وقعة باصحابه ، ووقعت بينه وبين اخوته معارك يشيب لها الوليد ، وكان ذلك سبب خلاء المغرب ، وخصوصا مدينة مراکش ، ومما عد من نحس زيدان واستدل به على فشل ريجته انه فى بعض الوقائع بعث كاتبه عبد العزيز بن محمد التعلبى بعشرة قناطير من الذهب الى صاحب القسطنطينية العظمى وطلب منه ان يمدد بعض اجناده كما فعل مع عمه عبد الملك الغازى ، فجهز له السلطان العثمانى اثنى عشر الفا من جيش الترك وركبوا البحر فلما توسطوه غرقوا جميعا ولم ينج منهم الا غراب واحد فيه شرذمة قليلة »

وقال منويل : ان قراصين الاصبول غنمت فى بعض الايام مركبا للسلطان زيدان فيه اثناث نفيسة من جملتها ثلاثة آلاف سفر من كتب الدين والادب والفلسفة وغير ذلك

قال اليفرنى : « وكان زيدان غير متوقف فى الدماء ولا مبال بالعظائم

(*) قضية اخذ الاصبان لكتب زيدان شهيرة فى كتب الافرنج وتواريخهم فلتراجع فيها ولا بد والكتب لا زالت محفوظة بخزانة الاسكيريال قرب مادريد وقد دعت الحكومة الاصبانية فى وقتنا هذا وهو ١٣٤٢ احد الفرنسوين لجعل برنامج لها

قلت : وهو مخالف لما ذكره زيدان في رسالته التي خاطب بها ابا زكرياء المتقدمة من انه ما سعى في قتل احد الا بفتوى اهل العلم والظن بزويدان انه ما قال ذلك الا عن صدق ، والا فمن البعيد ان يفخر على خصمه ويدلى بشيء هو متصف بضده

وكان زيدان فقيها مشاركا متضلعا في العلوم وله تفسير على القرآن العظيم اعتمد فيه على ابن عطية والزمخشري

قال اليفرنى : « وكان كثير المراء والجدال كما وقع له مع الشيخ ابي العباس الصومعى » قلت : الذى وقع له مع الصومعى هو انه لما الف كتابه الموضوع فى مناقب الشيخ ابي يعزى رضى الله عنه وسماه « المعزى » بضم الميم وفتح الزاى بصيغة اسم المفعول من الرباعى عارضه زيدان ، وهو يومئذ بتادلا واليا عليها من قبل ابيه ، بانه لم يسمع الرباعى من هذه المادة وانما قالت العرب : عزاه يعزوه ثلاثيا ، فاصر ابو العباس رحمه الله على رأيه الى ان لطمه زيدان على وجهه بالنعل ، فشكاه الى المنصور فقال له : لو لطمك وهو المخطئ لعاقبته اما اذا كان الصواب معه فلا

قلت : كان زيدان يومئذ فى غفوان الشيبية فصدر منه ما صدر فان يك عامر قد قال جهلا فان منظمة الجهل الشباب ومع ذلك فما كان من حقه ان يفعل ، واظن ان انتكاس رأيه سائر أيامه انما هو أثر من آثار تلك اللطمة ، فان لله تعالى غيرة على المتسبين الى جنبه العظيم ، وان كانوا مقصرين ، فنسأله سبحانه ان يجنبنا موارد الشقاء ويسلك بنا مسالك الرفق فى القضاء ، وللسلطان زيدان شعر لا بأس به منه قوله :

فتتسا سواف وخدود وعيون مدعجات رقود
ووجوه تبارك الله فيها وشعور على المناكب سود
أهلكتنا الملاح وهى ظباء وخضعنا لها ونحن اسود
وقوله :

مررت بقبر هامد وسط روضة عليه من النوار مثل النمارق

فقلت لمن هذا فقالوا بذلة ترحم عليه انه قبر عاشق
وكانت وفاته رحمه الله في المحرم فاتح سنة سبع وثلاثين والـ ،
ودفن بجانب قبر أبيه من قبور الاشراف قبل جامع المنصور من قصبة
مراكش ومما نقش على رخامة قبره قول القائل :

هذا ضريح من به تقتخر المفاخر

حامى حمى الدين بك ل ذابل وباتر

لا زال صوب رحمة الله عليه ماطر

أرخ وفاة من غدا جارا لرب غافر

زيدان سبط أحمد مبتكر المآثر

أجل من خاض الوغا وللاعادي قاهر

ومن شذا رضوانه نفحة كل عاطر

بمقعد الصديق علا أبو المعالي الناصر

ووزراؤه: الباشا محمود ، ويحيى آجانا الوريكي وغيرهما ، وكتابه :
عبد العزيز الفشتالي كاتب أبيه ، وعبد العزيز بن محمد التغلبي وغيرهما ،
وقضائه : ابو عبد الله الرجراجي وغيره ، وترك عدة اولاد منهم : عبد الملك
والوليد ومحمد الشيخ ، وهؤلاء ولوا الامر بعده ، وأحمد وغيرهم
رحم الله الجميع

الخبر عن دولة السلطان أبي مروان عبد الملك بن زيدان رحمه الله

لما توفي السلطان زيدان رحمه الله في التاريخ المتقدم ببيع بعده ابنه
عبد الملك ، ولما تمت له البيعة ثار عليه أخواه الوليد وأحمد فوقعت بينهما
وبينهما معارك وحروب الى أن هزمهما واستولى على ما كان بينهما من
العدة والذخيرة ، وفر أحمد الى بلاد الغرب فدخل حضرة فاس يوم الجمعة
الحامس والعشرين من صفر بعد وفاة أبيه بستة واربعين يوما فاسم بسمه

السلطان وضرب سكه ، وفى ثالث عشر شوال من السنة عدا على ابن عمه محمد بن الشيخ المعروف بزغودة ققتله غدرا بالقصة ، ولما كان الحادى عشر من ذى الحجة سنة سبع وثلاثين والف أخذ احمد المذكور وسجن بفاس الجديد على يد قائدهم عبو وبها وبقي مسجوناً سبع سنين ثم خرج من السجن مستخفياً بين نساء فى سابع رجب سنة اربع واربعين والف واعلن العامة بنصره ولم يتم له امر ، ثم توفى قتيلاً فى الرابع والعشرين من ذى القعدة سنة احدى وخمسين والف رضى برصاة من بعض العامة فكان منها حقه وذلك بفاس الجديد ولم يتم له امر

ظهور أبى عبد الله العياشى بسلا ومبايعة اكابر عصره له

على الجهاد والقيام بالحق

قد تقدم لنا انتقاض اندلس سلا على السلطان زيدان وقتلهم مولاه عجيباً فبقيت سلا فوضى لا والى بها فكر النهب وامتدت ايدى اللصوص الى المال والحريم ، وسيدى محمد العياشى ساكت لا يتكلم وكثرت الشكايات من التجار والمسافرين بمخافة السبل وقطع الطرقات ، فاهرع الناس الى ابى عبد الله المذكور من كل جانب ، وكثرت وفوده ، واشرفت فى الجو السلاوى انواره ، فشمر عن ساعد الجد واطهر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولما طالبه الناس بالتقدم عليهم والنظر فى مصالح المسلمين وامور جهادهم مع عدوهم أمر أشياخ القبائل واعيانها من عرب وبربر ورؤساء الامصار ان يضعوا خطوطهم فى ظهير بانهم رضوه وقدموه على انفسهم والتزموا طاعته ، وان اى قبيلة خرجت عن امره كانوا معه يدا واحدة على مقاتلتها حتى تفى الى امر الله ، فاعطوا بذلك خطوطهم فى ظهير ، وانهم رضوه وقدموه على انفسهم ، ووافق على ذلك قضاة الوقت وقههاؤه من تامسنا الى تازا

وكان الحامل له على طلب ذلك منهم انه بلغه عن بعض طلبه الوقت انه قال لا يحل الجهاد الا مع الامير ، ففعل ذلك خروجاً من تلك الدعوى الواهية ، والا فقد كتب له علماء الوقت كالامام ابي محمد عبد الواحد بن عاشر ، والامام ابي اسحاق ابراهيم الكلالي بضم الكاف المعقودة ، والامام أبي عبد الله محمد العربي الفاسي وغيرهم بان مقاتلة العدو الكافر لا تتوقف على وجود السلطان وانما جماعة المسلمين تقوم مقامه* ، ولما اكمل امره وبايعه الناس على اعلاء كلمة الله ورد الظلم عن ضعفاء الامة ضاق الامر على عرب الغرب لاعتيادهم الفساد وعدم الوازع ومحبتهم الخلاف والفتنة ، فنكت بيعته جماعة منهم

وكان ممن نكت الناصر بن الزبير في لمة من شراكة ققاتلهم ابو عبد الله حتى ظفر بهم ثم عفا عنهم ، ونكت ايضا الطاغى بالناء بدل الطاء فسي لسانهم مع جموعه اولاد سجير فغلبهم وعفا عنهم ، وكذلك عرب الحياينة طغوا على اهل فاس وعاتوا خلال تلك البلاد باغراء ولد السلطان زيدان ، ققاتلهم ابو عبد الله فكانت الدبرة عليهم ، وتاب على يده جماعة من رؤساء شراكة الذين كانوا مع الحياينة ، وكانت عاقبة كل من بغى عليه خسرا

وكان اهل سلا قد لقوا من نصارى المعمورة مضرة وشدة ، فلما اجتمعت الكلمة على أبي عبد الله العياشي ورد الله كيد من نكت في نحره كان اول ما بدأ به أنه تهيأ للخروج الى حلق المعمورة ، واستعد لقتاله ومنازلة من فيه من النصارى طمعا في فتحه فيتقوى المسلمون بذخائره ، وكان المسلمون قد حاصروه قبل ذلك فلم يقدروا منه على شيء وصعب عليهم أمره ، وكان أبو عبد الله اذا أراد الله أن يظفره بغنيمة رأى في منامه انه يسوق خنازير أو نحوها ، ولما سار بجموعه الى الحلق ونزل عليه رأى قطعتين من الخنازير معها عنوز ، فكان من قضاء الله وضعه انه في صيحة

(*) بل في مقدمات ابن رشد ما نصه : « ويجاهد العدو مع كل بر وفاجر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » فكيف بهذا الولي الكبير رضى الله عنه . هـ من املاء مؤلفه

تلك الليلة قدمت أغربة من سفن النصارى بقصد الدخول الى الخلق قضيح عليهم رماة المسلمين الذين بالخذق ، فارادوا ان ينحرفوا الى البحر فردهم البحر الى ساحل الرمل هنالك فتمكن المسلمون منهم وقتلوا وسبوا ووجدوا فى الاغربة زهاء ثلاثمائة أسير من المسلمين فأعتقهم الله ، وأسر يومئذ من النصارى أكثر من ثلاثمائة ، وقتل منهم أكثر من مائتين ، وظفر المسلمون بقبطان من عظمائهم ففدى به الرئيس طابق رئيس أهل الجزائر ، وكان عندهم مجبوسا فى قفص من حديد .

واستقامت الامور لابی عبد الله العياشى بسلا وبنى داره داخل باب المعلقة منها ، وبنى برجين على ساحل مرسى العدوتين من ناحية سلا ، وهما المعروفان اليوم بالبساتين .

ثم كانت غزوة الخلق الكبرى وكان من خبرها أن جيش أهل فاس خرجوا بقصد الجهاد فنزلوا بموضع يعرف بعين السبع وكنوا فيه ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع خرج النصارى الى تلك الجهات على غرة فظفر بهم المسلمون ، وكان النصارى لما خرج جيش أهل فاس أعلمهم بذلك مسلم عندهم مرتد فاعطوه سلعا وجاء بها الى سلا بقصد بيعها والتجسس لهم على الخبر فأخذ وقتل ، وعميت عليهم الانباء اذ كانوا ينتظرون من يرد عليهم فيخبرهم ، ولما أبطلأ عليهم خرجوا فلم يشعروا الا بالخليل قد أحاطت بهم وقتل منهم نحو الستمائة ، ولم ينج الا القليل حتى لم يبق فى الخلق تلك الليلة الا نحو اربعين رجلا منهم ، وغنم المسلمون منهم أربعمائة من العدة ، ولم يحضر أبو عبد الله العياشى فى هذه الواقعة لانه كان قد ذهب الى طنجة حقا على يوم المسامير ، لان النصارى خذلهم الله كانوا قد صنعوا نوعا من المسمار بثلاثة رؤوس تنزل على الارض والرابع يبقى مرفوعا ، وبثوا ذلك فى مجالات القتال مكيدة عظيمة تتضرر منها الفرسان والرجال ، فلما رجع واعلم بضعف من بقى بالخلق بعث الى أهل الاندلس بسلا يصنعون له السلالم كي يصعد بها الى من بقى فى الخلق فيستأصلهم ، فتأقلوا عن صنعها غشا للاسلام ومناواة لابی عبد الله ، حتى جاء المدد لاهل

الحلق ، وكانت تلك الرابطة بين أهل الاندلس والنصارى متوارثة من لدن كانوا بارضهم ، فكانوا آنس بهم من أهل المغرب ، فلما أتى أبو عبد الله بالسلام لم تغن بعد شيئا ، ومن هنالك استحكمت البغضاء بينه وبين أهل الاندلس ، وكان أهل الاندلس قد أعلموا النصارى بان محلة أبى عبد الله النازلة لمحاصرة الحلق ليست لها اقامة فبلغ ذلك أبا عبد الله فأقام عليهم بالحجة ، وشاور العلماء فى قتالهم فافق أبو عبد الله العربى الفاسى وغيره بجواز مقاتلتهم ، لانهم حادوا الله ورسوله ووالوا الكفار ونصحوهم ، ولانهم تصرفوا فى مال المسلمين ومنعوه من الراتب ، وقطعوا البيع والشراء عن الناس ، وخصوا به أنفسهم وصادقوا النصارى وأمدوهم بالطعام والسلاح ، وكان سيدى عبد الواحد بن عاشر لم يجب عن هذه القضية حتى رأى بعينه حين قدم الى سلا بقصد المراقبة ، فرأى أهل الاندلس يحملون الطعام الى النصارى ، ويعلمونهم بعبورة المسلمين ، فأفقت حينئذ بجواز مقاتلتهم فقاتلهم أبو عبد الله وحكم السيف فى رقابهم أياما الى أن أخمدهم بدعتهم ، وجمع الكلمة بهم .

ولما وقعت غزوة الحلق الكبرى قدمت الوفود على أبى عبد الله بقصد التهنية بما منحه الله من الظفر فحضر الناس على استئصال شافة من بقى بالحلوق من النصارى ، وعير العرب بترك الكفار فى بلادهم ، وكان ممن حضر من العرب جماعة من الخلط وبنى مالك والتاغى والدخيسى وغيرهم ، فقال لهم أبو عبد الله : « والله والله والله ان لم تاخذكم النصارى لتأخذنكم البربر » فقالوا : « ياسيدى كيف يكون هذا وأنت فينا ؟ » فقال لهم : « اسكنوا أتم الذين تقطعون رأسى » فكان كذلك ، وهذا من كراماته رضى الله عنه ، ثم صرف عزمه الى التضييق على نصارى العرائش وشن الغارات عليهم ، فتقدم فى جمع من المسلمين وكن بالغابة نحو من سبعة أيام فخرجوا على حين غفلة فمكن الله من رقابهم ، وكان فى مدة كمنه بالغابة أخذ خناشا من عرب طليق يقال له ابن عبود ، والخناس فى لسان عامة أهل المغرب هو الجاسوس ، فأراد أبو عبد الله قتله ، فقال له : « استبقنى وأنا نائب الى

الله وانا أنفع المسلمين ان شاء الله » فتركه فذهب الى النصارى وكان موثوقا به عندهم حتى كانوا يؤدون اليه الراتب ، فقال لهم : « ان أحياء العرب وحالها قد نزلوا بوادى العرائش فلو اغرتم عليهم لغنمتموهم » فخرجوا فمكن الله منهم وطحنهم المسلمون فى ساعة واحدة طحن الحصيد ، ولم ينج منهم الا الشريد ، وكان ابن عبود قد بقى بايديهم فأخذوه ومثلوا به ونزعوا اسنانه وارادوا قتله لولا انه رفعهم الى شرعهم ، وكان عدد من قتل من النصارى نحو الف وكانت هذه الواقعة سنة أربعين والف



بقية اخبار السلطان عبد الملك بن زيدان ووفاته

قال اليفرنى : كان عبد الملك بن زيدان فاسد السيرة مطموس البصرة وبلغ من قلة ديارته انه تزايد له مولود فاطهر انه اراد ان يحتفل لسابعه فبعث الى نساء أعيان مراكش ونساء خدامه ان يحضرن ، وصعد هو الى منارة فى داره فنظر الى النساء وهن منتشرات قد وضعن ثيابهن فأبتهن أعجبه بعث اليها وكان مدمنا على شرب الخمر الى ان قتله العلوج بمراكش وهو سكران يوم الاحد سادس عشر شعبان سنة اربعين والف ، ودفن الى جنب قبر ابيه وبسط منويل خبر مقتله فقال : « لما نار الوليد على اخيه عبد الملك وعادت الكرة عليه بقى منتقلا فى البلاد ثم رغب الى اخيه حتى رده الى مراكش ، فاخذ الوليد يستميل رؤساء الدولة ووجوهها وتجارها ويعدهم بالاحسان حتى وافقوه على الفتك باخيه فترصدوه حتى غفل البوابون ودخلوا عليه قبة وهو متكئ على طنفسة فرموه برصاصة وتناولوه بالخنجر المسماة عند المغاربة بالكميات ، وقامت الهيئة بالمشور والقصبة فخاف الوليد على نفسه من بعض قواد الجند فاخرج جنازة اخيه الى المشور حتى شاهده الناس ميتا فسكنوا وانقطع املهم وبابعوه » انتهى قال اليفرنى : ومما رأيت منقوشا على رخامة قبره هذان البيتان :

لا تقنطن فان الله منان وعنده للورى عفو وغفران
 ان كان عندك اهمال ومعصية فعند ربك افضال واحسان
 ومن وزرائه : محمد بانا العليج ويحيى آجانا الوريكى وجؤذر
 وغيرهم . وقاضيه : الفقيه ابو مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني قاضى
 مراکش . ومفتيه : ابو العباس احمد السملالى رحم الله الجميع

الحبر عن دولة السلطان أبى يزيد الوليد بن زيدان رحمه الله

لما قتل السلطان عبد الملك بن زيدان فى التاريخ المتقدم ببيع أخوه
 الوليد بن زيدان فلم يزل مقتصرا على ما كان لآخيه واييه من قبله لم
 يجاوز سلطانه مراکش واعمالها ، وعظمت الفتن بفاس حتى عطلت الجمعة
 والتراويح من جامع القرويين مدة ، ولم يعل به ليلة القدر الا رجل واحد
 من شدة الهول والحروب التى كانت بين أهل المدينة
 واقتسم المغرب فى أيام اولاد زيدان طوائف فكان حاله كحال
 الاندلس أيام طوائفها كما ذكرنا ونذكر بعد ان شاء الله

ظهور أبى حسون السملالى المعروف بابى دميعة بالسوس

ثم امتيلاؤة على درعة وسجلماسة وأعمالها

هذا الرجل هو ابو الحسن ، ويقال : ابو حسون على بن محمد بن
 محمد بن الولي الصالح ابى العباس أحمد بن موسى السملالى ، وكان بدء
 امره انه لما ضعف امر السلطان زيدان بالقع السوسى وفشل ريحه فيه نبغ
 هو فدعا لنفسه وجر نار الرياسة الى قرصه ، وتألبت عليه البرابرة من سائط
 جزولة وجبالها ، والتفت عليه غالب القبائل السوسية فاستولى على تارودانت
 واعمالها الى ان اخرجها عنها الفقيه ابو زكرياء بن عبد المنعم بعد حروب

وفتن عظيمة حسبما مرت الاشارة اليه *

ولما توفي ابو زكرياء فى التاريخ المتقدم صفا لابی حسون قطر السوس ونفذ فيه أمره وسمعت كلمته ، ثم بعد مهلك زيدان مد يده الى درعة فاستولى عليها ، ثم استولى على سجلماسة ونواحها فاستحكم أمره وتقوى عضده ولم يزل أمره نافذا فى سجلماسة الى ان ثار عليه الاسد الهصور المولى محمد بن الشريف فاخرجه من سجلماسة بعد حروب يشيب لها الوليد ، ثم أخرجته من درعة ايضا على ما تذكره بعد ، وقد وقفت على سؤال رفع من جانب ابي حسون الى القاضى ابي مهدى السكتانى فى شأن مدينة ايلينج دار رياسته ومقر عزه يستفتيه فى احداث كنيسة اليهود بها هل يجوز أم لا وفيه مع ذلك بعض الكشف عن حال هذه المدينة فلنذكره ونصه :

«الحمد لله الذى ارتضى للاسلام دينا ، وانزل به على خيرة خلقه كتابا مبينا ، الفقيه الاجل العلامة الاحفل القاضى الاعدل ، خاتمة المحققين ومعمد الموتقين ، ابا مهدى عيسى بن عبد الرحمن السكتانى وفقه الله لما يرضيه ، واعانه على ما هو متولى ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ، فقد تقرر عند سيدنا امر هذه الحضرة العلية العلوية ايلينج ادم الله بهجتها ، كما رفع كغيرها من الخواضر درجتها ، وانها محدثة فتوفرت ببركة بانيتها عمارتها ومبانيها ، فاتخذها مسكنا اهل السهول والحزون ، وجمعت لطيب تربتها بين الضب والنون ، فنزلها برسم الاستيطان اوثاب من

* قال التمازتى فى الفوائد : وفى ذى القعدة ستة تسع وثلاثين والى حاصر بغاة العرب والبربر مدينة السوس الاقصى تارودانت وهى اذ ذاك تحت إمارة الامير ابي الحسن الجزولى فاستباحوها إلا قصبتها وحاصروها خمسة وعشرين يوما وحفروا اسرابا تحت سورها فوجدوا قاعدة اساسها لا تنال الفؤوس منه شيئا لو ثاقته ففعلوا وبلغ خبرهم الامير المذكور فطوى اليهم المراحل من الصحراء ولما قارب بلاد السوس اقلعوا وهربوا عنها فورد فى جيش عظيم من جزولة فاقام بها حتى اصلحها وشحنها بالعدد والجيش ولم يتمكن من البغاة لتفرقهم فى الجبال اهل الغرض منه ويظهر ان القطر السوسى صفا بعد هذا التاريخ لابی حسون واستتب فيه امره

أهل الذمة ، باذن محتطها الامام العالى الهمة ، فاختطوا بها عن اذنه منازلهم
 وبنيوا بفنائها كيستهم وصيروها متعدهم ، فاتفق ، والحديث شجون ، ان
 جرى ببعض اندية علمائها ، ومحضر جمع من نبهاء البلدة وفقهائها ، كلام
 أفضى بهم الى ذكر الكنيسة المذكورة ، والمجادلة فى محصل الحكم الشرعى
 فيها فى الدواوين المسطورة ، فافتن بعضهم بوجود هدمها لانها محدثة
 ببلاد الاسلام ، ولما فى تركها من المفساد العظام ، وانها لا تترك لهم متعبدا
 وجزم الكلام ، وقال : هذا محصل ما ذكره فى مثل هذه القضية الاعلام ،
 وأفنى فريق بجواز ابقائها ، وانه لا ينبغى تقويض بنائها ، ولا التعرض لهم
 فى احداثها ، اذ على مثل هذا من دينهم الفاسد اقروا واعطوا الذمة فاعطوا
 الجزية صاغرين ولم يرد منع اجتماع دينين الا فى جزيرة العرب ، وكم من
 بلد اسلامى محدث مشحون بالعلماء احدثت فيه ولم يقولوا بمنعه وتواطؤهم
 على تركها كالنص والدليل على جواز احداثها وابقائها بعده ، واستمر
 الحجاج ، وكثر اللجاج ، ولم يقنع كل فريق بما ابداه الآخر من
 الاحتجاج ، فغطت لذلك الوان تفرقوا فيها بعلمكم النافع بين العذب والاجاج
 بفتوى تبين صحيح الاقوال من سقيمها ، وتفصل بين ليلى وغريمها ، ولولا
 محل النازلة من الدين ما رفعت اليكم ، فلذلك وجب الجواب عنها عليكم ،
 مع مسألة اخرى وهى : انهم طلبوا ان تترك لهم بقعة يوارون فيها جيف
 موتاهم لان مسافة ما بينهم وبين افران التى هى مقبرة قديمة لهم بعيدة هل
 يساعفون ام لا ، والله يقيقكم ومجدكم محروس ، وظل من استلکم
 مكنوس . والسلام عليكم «

الجواب :

« الحمد لله وعلى فقهاء بلادنا السوسية حرسها الله واكرمهم باتباع
 سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام ورحمة الله وبركاته ، أما بعد ،
 فقد وقف كاتبه عفا الله عنه على نازلة أهل الذمة النازلين بايلىغ مختط
 أولاد السيد البركة قطب بلادنا سيدى احمد بن موسى نفعنا الله ببركاته
 وبارك فى ذريته وسددهم لما فيه رضاء آمين ، ولما وقفت عليها وتأملتھا

رأيت ان الصواب فيها الفتوى بمنع احدث اهل الذمة الكنائس فيها وبهدم ما بنى فيها بعد احدثه لان ايلغ من بلاد الاسلام ، ولا فيه شبهة لاهل الذمة الطارين عليه لا باعتبار الفتح العنوى ولا باعتبار الصلح على الخلاف في المغرب باعتبار فتحه ، وحاصل امرها خفاء الحال فيها واذا كان الامر هكذا فالحكم انها ملك لمدعيها الحائز لها ، والاراضى اقسام : ارض اسلام لا يجوز لمحدث الكنائس بها باتفاق ، ثم ان وقع شئ من ذلك هدم ، وارض ايلغ من هذا القسم فان ملكوا الارض التى بنوا فيها الكنيسة بوجه من وجوه التملك كالعطية وجب هدمها ونقضها ، ويكون لهم ما يسوغ من المنافع ، وان كان بناء الكنيسة شرطا ردت العطية وفسخ البيع ان كان به لانه فى معنى التحسيس على الكنيسة ، والحاصل ان وجه دخول اليهود ايلغ معلوم ، وان بلده ملك للاسلام ، فبناء اليهود فيها الكنائس معصية ، وتمكينهم منه اعانة عليها وهذا لا يخفى ، واما الجواز والافتاء به فى النازلة فمعزل عن الصواب والاستدلال على الجواز بحواضر المغرب وسكوت علمائها وموافقة امرائها لا يتم ، لان اصل تمكينهم من الكنائس مجهول ، اذ يحتمل امورا منها : انه يحتمل ان يكون بعهد كان لهم فى غير تلك البلاد من اقرارهم على بلد يسكنونه مع بقائهم على متعبداتهم ، ثم نقلوا لمصلحة اقتضت ذلك ، او ارجح ، ولان البلاد تقدم فيها اليهود وغيرهم من اهل الصلح ، والحاصل أن وجه دخولهم مجهول فى هذه البلاد بخلاف ايلغ ، ونازلة ايلغ معلومة للدخول فيهنما بون فقياس احدهما على الاخرى لا يصح وبالله التوفيق وكتب عيسى بن عبد الرحمن وفقه الله آمين

ولما علم الم رابط بالحكم أمر بهدمها ومنع اليهود مما أرادوه



بقية أخبار السلطان الوليد بن زيدان ووفاته رحمه الله



قال في شرح الزهرة : كان الوليد بن زيدان متظاهرا بالديانة ، لين الجانب حتى رضىته الخاصة والعامة ، وكان مولعا بالسماع لا ينفك عنه ليلا ولا نهارا ، الا أنه كان يقتل الاشراف من اخوته وبنى عمه حتى أفنى أكثرهم ، وكان مع ذلك محبا في العلماء مائلا اليهم بكلية متواضعا لهم ، وله ألف القائد ابو الحسن على بن الطيب منظومته المشهورة في الفواكه الصيفية والخريفية ، وألف القاضي أبو مهدي السكتاني شرح صغرى الصغرى للسوسى برسمه ، والقصة المعروفة بالوليدية على ساحل البحر المحيط فيما بين آسفى ويط هي منسوبة اليه واطنهما من بنائه* والله أعلم

وأما وفاته فسيبها ان جنده من العلوج طالبوه بمرتبتهم وأعطياتهم على العادة وقالوا له : « أعطنا ما نأكل » فقال لهم على طريق التهكم : « كلوا قشر النارج بالمسرة » فغضبوا لذلك وكمن له أربعة منهم فقتلوه غدرا يوم الخميس الرابع عشر من رمضان المعظم سنة خمس وأربعين وألف .

وقال منويل : لما ولي الوليد قتل أخاه اسماعيل واثنين من أولاد أخيه عبد الملك وسبعة من بنى عمه ، ولم يترك الا أخاه الشيخ بن زيدان استصغارا له اذ كان سنه يومئذ احدى عشرة سنة ، وكانت أمه تخاف عليه من الوليد فكانت تحرسه منه حراسة شديدة ، والقي الله محبته في قلب سائر نساء القصر لما رأين من هلاك الاعياص وعرضة الملك للزوال ، وكمن حازمات يقمن مقام الرجال حتى ان بعضهن كانت لها طبنجات في حزامها دائما تحرس الشيخ من أخيه الوليد .

ثم ان رؤساء الدولة سئموا ملكته فاتفقوا مع نساء القصر على قتله ، وكان الوليد عاجزا على قتل أخيه الشيخ أيضا ، فاحتال بأن صنع ذات

[*] قد جزم المؤرخ الفرنسي دو كاسترى بأنها من بنائه وان بناها كان في

سنة ١٦٣٤ مسيحية وأن الوليد استعمل في تشييدها عددا من أسرى النصارى هـ

ليلة ضيعاعظيما وطعاما كثيرا دعا اليه وجوه الدولة وأعيان مراکش، وكان أخوه الشيخ عنده في الدار لا يتركه يخرج بحال ، وعزم انه اذا اشتغل نساء القصر بأمر الطعام ونحوه خالف اليه وقتله ، فكان من قدر الله أن العلوج قد عزموا في تلك الليلة على اغتيال الوليد فكننوا له في الحجرة التي كان الشيخ محبوسا فيها ، ثم لما جاء الوقت واجتمع الناس في القبلة التي اعدوا لهم الوليد قام ودخل الى الحجرة التي فيها الشيخ للفتك به فوجد الاعلاج كامنين له هناك ، فلما رأهم فزع ، وقال : « مالكم؟ » فرموه بالرصاص ثم تناولوه بالخنجر حتى فاظ انتهى *

الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله



لما قتل السلطان الوليد في التاريخ المتقدم اختلف الناس فيمن يقدمونه للولاية عليهم ثم اجمع رأيهم على مبايعة أخيه محمد الشيخ والقائه القيادة اليه فاخرجوه من السجن ، وكان أخوه الوليد قد سجنه اذ كان يتخوف منه الخروج عليه ، فبوع بمراكش يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان سنة خمس وأربعين وألف . ولما بويع سار في الناس سيرة حميدة وألان الجانب للكافة ، وكان متواضعا في نفسه صفوحا عن الهفوات متوقفا عن سفك الدماء مائلا الى الراحة والدعة متظاهرا بالخير ومجبة الصالحين ، وهو الذي بنا على قبر الشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي بزوايته قبة حافلة البناء رائقة الصنعة ، الا أنه كان منكوس الراية مهزوم الجيش ، وبسبب ذلك لم يصف له مما كان بيد أبيه وأخوته الا مراکش وبعض أعمالها

[*] اراجع خبر هدية الوليد للحرم الشريف سنة ١٠٤٢ في تاريخ مراکش ج ٤ ص

وقد ثار عليه رجل من هشتوكة خارج باب الخميس من مراکش
 يوقاسى فى محاربته تعباً شديداً ولم يزل يناوشه القتال الى أن كانت له عليه
 الكرة ففرق جمعه ، ثم خرجت عليه أيضاً قبيلة الشياظمة فقصدهم ، وكانت
 للملاقاة بينه وبينهم عند جبل الحديد ، فانهزم هزيمة شنعاء . ثم حدث بينه
 وبين أهل زاوية الدلائى ما تذكره بعدان شاء الله .

ومما ذكره منويل من أخباره : « انه كان محسناً لسائر رعيته وكان
 حاله على الضد من جور أخيه الوليد وعسفه » ، قال : « وسرح الفرائية
 الذين كانوا فى سجن مراکش وأعطاهم الكنيسة التى بالسجينة منها وخالفت
 عليه سلا وأعمالها » انتهى



بقية أخبار أبى عبد الله العياشى بسلا والشغور وما يتبع ذلك



كان أمر أبى عبد الله العياشى بسلا وسائر بلاد المغرب على ما وصفناه
 قبل من جهاد العدو والتضييق عليه والمصابرة له والابلاغ فى نكايته فانتعش
 به الاسلام وازدهت الايام ، ودخلت فى طاعته القبائل والامصار من تامسنا
 الى تازا كما قلنا ، لاسيما فاس وأعلامها فانهم قد شابعوه وتابعوه على ما كان
 يصدده من الجهاد والرباط ، وحصل لهم بصحبته وولايته أتم اغتباط ، ولم
 يزل فى نحر العدو الى أن امن سرب المسلمين وحق القول على الكافرين .



وفادة اعلام فاس واشرافها على ابي عبد الله العياشى بسلا



هذه الوفادة قد ذكرها الامام العلامة ابو عبد الله محمد بن أحمد ميارة الفاسي في فاتحة شرحه الصغير على « المرشد المعين » .
قال في « نشر المثاني » : « وسببها ما وقع من الحرب بين أهل فاس وبين الحيانية وشرافة على فطرة وادى سبوا ، وقتل فيها من أهل فاس خمسة واربعون رجلا ، فخرج شرفاء فاس وفقهاؤها الى سلا مستغيثين بأبي عبد الله العياشى » قال : وكان الذى اغرى الحيانية بفاس هو أحمد ابن زيدان التفوا عليه وقاموا بدعوته ووصلوا أيديهم بشرافة وفعلوا بفاس واهلها الافاعيل حتى اختطفوا فى بعض الايام نساءهم من الجنات وباعوهن فى القبائل وفعلوا بهن ما لا يجوز » قال الشيخ ميارة : « قد من على ذو العظمة والجلال ، الكريم المتفضل المتعال ، بزيارة الولي الصالح ، العالم العامل السائح ، قطب الزمان وكهف الامان ، المجاهد فى سبيل رب العالمين ، المربط فى الثغور مدة عمره لحياطة المسلمين ، ذى الكرامات الشهيرة العديدة ، والفتوحات العظيمة الحميدة ، من لا شبيه له فى عصره وما قرب منه ولا نظير ، ولا معين له على نصره الاسلام ولا نصير الا الله الذى تفضل به علينا ، واقره بمنه وجوده بين اظهرنا فهو كما قيل :

حلف للزمان ليأتين بمثله حثت يمينك يا زمان فكفر
البركة القدوة ، المجاب الدعوة ، أبا عبد الله سيدى محمد بن أحمد العياشى أبقى الله بركه ، وعظم حرمة وبلغه من خير الدارين امنيته ، وأطال للمسلمين عمره وقواه ، وجعل الجنة نزله ومأواه ، مع جماعة من أعيان السادة ، من الشرفاء والفقهاء القادة ، وذلك أواسط ذى الحجة الحرام متم سبعة وأربعين وألف عام ، وهو رزقنا الله رضاه بغير سلا ، أمنها الله من كل مكروه وبلا ، فاجتمعت اذ ذاك بنجله السعيد الموفق الرشيد ، العالم الهمام ، حجة الله فى الاسلام ، ذى العقل الراجح ، والهدى الواضح ،

«عهد من الآباء توارثتها الأبناء» المتواضع الخاشع ، صاحب القلم البارع ، سيدى وسندى أبى محمد عبد الله سلمه الله من كل مكروه ووقاه ، فحضى حفظه الله على اختصار الشرح المذكور ، يعنى : شرحه الكبير على المرشد المعين «بعد أن طالع جله وسر به كل السرور ، وحث على فى تقديم ذلك على جميع الامور ، فلما قفلت من وجهتى شرعت فى ذلك تاركا للتسويق ، طالبا من المولى سبحانه السلامة من الخطا والتحريف . انتهى المقصود منه قال فى « نشر المثانى » : « ان أبا عبد الله العياشى قدم فاسا ونظر فى أمرها وغزا عرب الحياينة مرارا واثخن فيهم حتى خضعوا للطاعة »



ايقاع ابى عبد الله العياشى بنصارى الجديدة



سبب هذه الغزوة كما ذكره الفقيه العلامة قاضى تامسنا ابو زيد عبد الرحمن بن أحمد الغنامى الشاوى المعروف بسيدى رحو الغنامى أن نصارى الجديدة عقدوا المهادنة مع أهل آزمور مدة ، فكان من عزة النصارى وذلة المسلمين فى تلك المدة ما تنفطر منه الأكباد وتخر له الاطواد ، فمن ذلك : أن زوجة قبطانهم خرجت ذات يوم فى محفتها ومعها صواحباتها الى أن وصلت حلة العرب فتلقاها أهل الحلة بالزغاريت والفرح ، وضعوا لها من الاطعمة وحملوا لها من هدايا الدجاج والحليب والبيض شيئا كثيرا فظلت عندهم فى فرح عظيم ، ولما كان الليل رجعت ، ووقع لها أيضا : أنها أمرت القبطان زوجها أن يخرج بجيشه ويبحث الى قائد آزمور أن يخرج بجيش المسلمين فيلعبوا فيما بينهم وهى تنظر اليهم بقصد الفرجة والنزهة فكان كذلك ، فجعلوا يلعبون وهى تفرج فيهم فما كان بأسرع من أن حمل نصرانى على مسلم ققتله ، فكلم قائد المسلمين القبطان وأخبره بما وقع ، فقال له القبطان : « فما يضركم ان مات شهيدا » يهزأ بالمسلمين ويسخر منهم ، قال : « وكان الولى الصالح العابد ، الناسك

الزاهد المجاهد ، رافع لواء الاسلام ، ومحبي منهاج النبی علیه الصلاة والسلام ، سيدی محمد العیاشی كلما سمع شیئا من ذلك تغیر وبات لا یلتذ بطعام ولا منام ، وهو یفكر كيف تكون الحيلة فی زوال المعرة عن المسلمین بتلك الجهة وغسل اعراضهم من وسخ الاهانة ، وهو مع ذلك یخاف من العیون الذین یرصدونه من صاحب مراکش وقائد آزمور . ومن قبطان الجديدة ، اذ كان ما خلف وادی ام الربیع الى مراکش باقیا فی دعوة السلطان لم یدخل فی دعوة أبی عبد الله المذكور ، فمكث كذلك ثلاث سنین ، ولما رأى أن الامر لا یزید الا شدة أوعز الى بعض اولاد ذؤیب من اولاد أبی عزیز أن یجلبوا الى النصارى شیئا من القمح خفية وأن یشترکوا ذلك شیئا فشیئا حتی تطمئن نفوسهم یدوقوا حلاوته ویوهمهم النصح والمحبة ، فلما حصل ذلك جاءه جماعة منهم واخبروه الخبر واطلعه على غرة النصارى خذلهم الله ، فعزم على قصد الجديدة ثم بدا له فی تقديم غزو العرائش ، ثم یأتی الجديدة بغتة ، ففعل رحمه الله ، وكان ذلك اوائل صفر سنة تسع واربعین والف

ثم عزم على قصد الجديدة فذكروا له أن وادی أم الربیع فی نهاية المد والامتلاء فلم ینتہ عن ذلك وسار حتی بلغ الوادی المذكور على مشرعابی الاعوان فوجده ممثلا جدا لا یکاد یدخله أحد الا غرق ، فقال لاصحابه وسائر من معه : « توکلوا على الله واجتهدوا فی الدعاء » ثم اقتحم الوادی بفرسه وتبعه الناس ، فعبروا جمیعا ولم یتأذ منهم أحد ، وكان الماء یصل الى قریب من ركب خیلهم ، مع أن مد ذلك الوادی حین امتلائه لا یدرك له قعر عند الناس كما هو شهیر ، وهذه کرامة عظيمة وقعت له رضی الله عنه ، وكان القاضی أبو زید الغنامی حاضرا لها وشاهدها ، ولم یقع مثل هذا فیما علمناه الا للصحابة رضی الله عنهم ، مثل ما وقع لسعد بن أبی وقاص فی عبوره دجلة لفتح المدائن ، ومثل ما وقع للعلاء بن الحضرمی فی فتح بعض بلاد فارس ، وذلك فضل الله یؤتیه من یشاء .

ولما وصل ابو عبد الله الى الجديدة وجد طائفة من اولاد أبی عزیز

قد نذروا به ولجأوا الى القبطان خوفا منه أن يوقع بهم لاجل مهادنتهم للكفار واتصالهم بهم فخرج القبطان في خيله ، وكان سيدى محمد كامف بازاء الجديدة بالغابة التى كانت هناك وقد زالت اليوم ، فلما انفصل القبطان بجيشه عن الجديدة حمل عليهم ابو عبد الله فقطعهم عنها ، ففروا الى جهة البحر فوقع بهم فهلكوا ولم ينج منهم الا سبعة وعشرون رجلا ، فتغير صاحب مراكش من ذلك وانكر ما صنع ابو عبد الله وكذا أنكره قاضيه الفقيه أبو مهدى السكتاني .

وقد ذكر لويز مارية خبر هذه الواقعة فقال : « ان طائفة من المسلمين قدموا على قائد البرتقال بالجديدة وقالوا له : « انا قد جئناك من عند المولى محمد بن الشريف يطلب منك أن تعينه بجماعة من عسكريك على بعض عدوه » فاسعفهم بذلك ، وكان شابا غرا لم يجرب الامور ، فهاه بعض كبار عسكريه وحذره عاقبة الغدر ، فأبى وعزم على الخروج مع اولئك المسلمين . وتقاعد عنه عسكريه ، فقال لهم : « انى أخرج وحدى » وذهب ليخرج وحده فتبعوه حينئذ ، وكانوا مائة وأربعين فارسا ، فلما انفصلوا عن الجديدة بمسافة وجدوا خيلا كثيرة كامنة لهم ، فلم يشعروا حتى احاطت بهم نصف دائرة منهم فما كلموهم حتى كملت الدائرة عليهم وصاروا مركزها ، فحينئذ التفت قائد العسكري الى ذلك الرجل الذى نهاه عن الخروج وقال له : « ما الحيلة ؟ » فاجابه بان الحيلة : « القتال حتى نموت » ثم أنشد له شعرا مضمناه : انى أشرت عليك ، وأنت أعظم جاهامنى ، فلم تسمع ، والآن تقتل معا وتختلط دماؤنا حتى لا يتميزان ولا يعرف دم الشريف من الوضع . والحاصل ان المسلمين اوقعوا بهم حتى لم يرجع منهم الى الجديدة الا ثلاثة ، وأسر منهم خمسة عشر أحياء ، والباقي أتى عليه القتل ، وقامت بالجديدة مناحة عظيمة لم يتقدم مثلها ، وسجن الاسارى بسلا سنين فى بعض دهاليزها حتى افتداهم سلطانهم خوان الذى جمع مملكتهم من يد الاصنيول » انتهى .

ولما قدم سيدى محمد العياشى من هذه الغزوة سار الى فاس للنظر

في امرها لما هاج من الحرب بين أهلها ، وذلك أن رجلا منهم يقال له ابن الزين عدا على رجل آخر يقال له : احمد عميرة فرماه برصاصة من عليه مسجد فوق سوقة ابن صافي فقتله ، وهاجت الحرب بفاس بين أهل عدوة الاندلس ، وكان المقتول رئيسهم ، وبين اللمطين ، فقدم سيدي محمد العياشي فاسا في آخر جمادى سنة خمسين وألف فأصلح بينهم ، وأقاد من قاتل عميرة كبير الاندلسيين . وبالجملة ففزوات سيدي محمد العياشي رحمه الله كثيرة ، وذبه عن الاسلام وحمائه للدين مما هو شهر عند الخاص والعام .

وفي هذه الغزوة يقول الكاتب الاديب أبو عبد الله محمد بن أحمد الشكلائي مادحا لسيدي محمد العياشي ومشييرا الى الكرامة التي وقعت له في عبور النهر :

حديث العلا عنكم يسير به الركب وينقله في صحفه الشرق والغرب
 وجبكم فرض على كل مسلم تتال به الزلفى من الله والقرب
 فانت رفيع من أصول رفيعة نجوم الدياجي في الانام لها سرب
 سمي رسول الله ناصر دينه تجلى بكم عن أفقه الشك والريب
 ولم أر بحرا جاوز البحر قبلكم تجود لمستجد أنامله السحب
 وما يستوى البهران عندي فان ذا أجاج لعمري في المذاق وذا عذب
 وكان رحمه الله عازما على أخذ العرائش فحال بينه وبينها انصرام
 الاجل وكذلك كان ملحا على أخذ طنجة فلم تساعده الاقدار



مقتل ابي عبد الله العياشي رحمه الله والسبب فيه



قدمنا أن أهل الاندلس بسلا تحزبوا على ابي عبد الله العياشي ورموه عن قوس واحدة وانه كان قد اطلع على خبثهم ونصحهم للكفر واهله ، ولانه استفتى العلماء فيهم فافتوه باباحة قتال من هذه صفة ، فاطلق فيهم السبيل أيا ما قتل من وجد منهم وهرب أكثرهم فهربت طائفة منهم الى مراكش وهربت طائفة الى الجزائر واخرى الى النصارى وفرقة الى زاوية الدلاء ، فجاء أهل الدلاء يشفعون في أهل الاندلس فابى ابو عبد الله ان يقبل فيهم الشفاعة وقال : « ان الرأى فى استئصال شأقتهم » فلما رأى أهل الدلاء امتناعه ورد شفاعتهم غضبوا لذلك واجمعوا على حربه ، ومن قبل ما كانت للقوارص تسرى منهم اليه يدل على ذلك الرسالة التى كتب بها الشيخ ابو عبد الله محمد بن ابي بكر الدلائى الى ابي عبد الله العياشي ونصها : « الحمد لله الحليم العفو الرءوف ، المنزه عن صفات من وصف بها مؤف ، وصلى الله على سيدنا محمد مدينة العلم ، المسورة بسور السماحة والحلم ، وعلى ساداتنا آله وصحبه ، وكل من انتظم فى سلك اتباعهم من أهل حزبه ، هذا ، وان المجلى بنور طلعه ظلم الظلم والفساد ، المحلى خزائن المعالى بموجبات النفاق على حين الكساد المستوطن حبه بسويداء الفؤاد ، من القت اليه المكارم أزمة الانقياد وصلحت به بحمد الله العباد والبلاد ، حوطة الاسلام وحمائمه ، وخديم الدين المحمدي وكفائته ، سيدى محمد بن أحمد العياشى المحمود الاوصاف ، بشهادة من يعد من أهل الانصاف ، زاده الله من المكارم أعلاها ، ومن نفائس درر المجد اغلاها ، وتوجه بتاج الكرامة والرضى ، وامده بدائم مدده السرمدى حتى يرضى ، وسلم جنباه القدسى العلمى العملى المرابطى المجاهدى من جميع البلايا ، واتحفه من تحفه الفاظمة للوهية بأعلى المزايا ، واهدى اليه من طيب بركاته ورحماته ، ما يرضاه بديته العلمى لحماته ، قد شهدنا على انفسنا بالاقرار بفضلنا علينا ، وان ما

يسره يسرنا وما يضره يضرنا ، علم ذلك منا يقينا من له معنا ادنى مخالطة بحيث لا يمكنه ان يدفع ذلك بنوع من المغالطة ، وان الضار بالعين ضار بانسانها ، لكن النفوس الانسانية محل لخطاها ونسيانها ، ومن أقمناء لديكم مقام الخادم والولد ، قد ساءنا منه ما ساءكم مما عنه ورد ، وطلبنا من جميل اوصافكم معاملته بالصفح والجميل ، فلن يزال الانسان الا من عصمه الله يستمال او يميل ، ولولا الحرارة ما عرف الظل ، ولولا الوابل لقليل النهاية في الطل ، وما عرف العفو لولا الاساءة ، ولا يقال صبر المرء الا فيما ساءه ، وما عرفنا صاحبه الا محبا لجانب كل من للدين ينتسب ، فان خرج عن نظركم فقد اتاه الغلط من لا يحتسب » انتهى

وكان الشيخ ابن ابي بكر رحمه الله يطيل الثناء على أبي عبد الله العياشي ويذيع محاسنه وكان يقول في دعائه : اللهم اجزنا سيدي محمد العياشي افضل المجازاة وكافه احسن المكافاة واجعل مكافأتك له كشف الحجب عن قلبه حتى تكون اقرب اليه منه ، اللهم لا تحرمه توجهه اليك وانقطاعه لخدمتك . اللهم نفس كربته وكمل رغبته ، واجب دعوته ، وسدد رميته ، واردد له الكرة على من عداه في الحق انك على كل شيء قدير » انتهى

فهذا حال الشيخ ابن ابي بكر رحمه الله مع ابي عبد الله العياشي ثم قدر الله ان حدث بين اولاده وبين العياشي من النفرة ما افضى الى المقاتلة وذلك بسبب رده شفاعتهم في أهل الاندلس وامور آخر فاجمعوا على حربه كما قلنا ، فخرج اليهم ابو عبد الله العياشي فأوقع بهم وهزم جموعهم ، وفك بالعرب الذين كانوا مع التاغى ففرقت الجموع ، وتبرأ التابع من المتبوع .

ثم ذهب ابو عبد الله العياشي الى طنجة بقصد الجهاد فلما قفل من غزوه وجد البربر من اهل الدلاء قد وصلوا الى اطراف أزغار ، ومعهم التاغى وللدخيسي واهل حزبهم من الكدادرة وغيرهم ، وعزموا على مصادمة ابي عبد الله فاراد ان يفض الطرف عنهم ويصرف عنانه عن جهتهم فلم يزل

أصحابه به الى أن برز لمقاتلتهم فلما التقى الجمعان كانت الدبرة على أبي عبد الله العياشي وقتل فرسه تحته ، فرجع الى بلاد الخلط ، وكان رؤساء الخلط أكثرهم في حزب التاغى وعلى رأى الكدادرة ، فرجعت البربر الى اوطانهم ، وبقي ابو عبد الله العياشي عند الخلط أياما ، ثم غدروا به فقتلوه بموضع يسمى عين القصب واحتزوا رأسه ، وحمله بعضهم الى سلا ، وكأنه حمله الى اهل الاندلس اذ هم اعداؤه بها قال فى « شرح المثنى » : ودفنت جثته بازاء روضة أبي الشتاء رضى الله عنه

ومن كراماته المتواترة انهم لما حملوا الرأس سمعوه ليلا وهو يقرأ القرآن جهارا حتى علمه جميع من حضر فردوه الى مكانه وتاب بسببه جماعة من الناس ، واما القبة المنسوبة اليه بقبيلة اولاد ابى عزيز من بلاد دكالة فالظاهر انها متخذة على بعض معاهده التى كان يأوى اليها ايام كونه بالقبيلة المذكورة فى ابتداء أمره كما مر ، وليس هناك قبر له على الصحيح ولما قتل أبو عبد الله العياشي فرح النصارى بمقتله غاية الفرح واعطوا البشارة على ذلك وعملوا المفرحات ثلاثة أيام ، وكان مقتله رحمه الله تاسع عشر المحرم سنة احدى وخمسين والى وقد رمزوا بتاريخ وفاته بقولهم : « مات زرب الاسلام » باسقاط الف الوصل ، وحدث رجل أنه كان بالاسكندرية فرأى النصارى يومئذ يفرحون ويخرجون انفاضهم فسألهم فقالوا له : « قتل سانطو بالمغرب » وفى « الرحلة » لابی سالم العياشى قال : « اخبرنى الشيخ محمد الفزارى بمكة قال : كان بالمدينة المشرفة رجل مغربى من أهل القصر فى السنة التى قتل فيها الولي الصالح المجاهد سيدى محمد بن احمد العياشى قال : فجاءنى ذات يوم وقال لى : « انى رأيت فى النوم اختى ورأيت رجلا جالسا مقطوع اليد تسيل دما » فقلت له : « من انت ؟ » قال : « الاسلام » قطعت يدي بسلا » قال : فلما اخبرنى قلت له : الذى يظهر لى من رؤياك ان الرجل الصالح المجاهد الذى كان بسلا قد قتل » قال : وبعد ذلك فى آخر السنة قدم حجاج المغرب فاخبرونا بموته »

وقد رثى رحمه الله بقصائد كثيرة منها قصيدة الاديب البليغ أبى العباس أحمد الدغوغى التى ذكرها فى الزهدة ، ويحكى انه وجد مقيدا بخط أبى عبد الله العياشى المذكور ان جملة ما قتله من الكفار فى غزواته بسبعة آلاف وستمائة وسبعون ونيف ، ومما مدحه به العلامة الامام الشهير أبو محمد عبد الواحد بن عاشر قوله :

يا حادى الاطعان فى الرياشى	أبلغ سلامى فخرنا العياشى
من نوره بدا وفضله غدا	تحدو به الركبان والمواشى
طود الهدى عين الندى فردالورى	فريد وقته الامام الخاشى
لله سيف صارم وقاصم	ظهر العدا كبيرهم والناشى
يتركهم عند اللقا رهن الشقا	صرعى على الارض كما الكباشى
يامسلمين تهنىكم حياتكم	ما عاش فيكم سيدى العياشى
أنام لا شك الانام الكل فى	ظل الامان لين انفراس
يا عاذلى فى حبه عذلك دع	ولا تحدثنى حديث الواشى
انى امرء بالحسن مفتون وعن	جميع لوم لائمى عاشى
هديتى الى الكرام ابرزت	سلامها للسامعين فاشى
وثناء الناس عليه كثير فقد أثنى	عليه الشيخ ميارة كما مر ، وابو

عبد الله محمد العربى الفاسى ، وابن ابى بكر الدلائى وغيرهم
 وكان رحمه الله مجاب الدعوة ما دعا الله فى شىء الا استجيب
 له شوهذ ذلك منه مرارا ومن ادعيته المحفوظة عنه : « اللهم انى أسألك
 باسمك السريع المجيب الذى خزنت فيه فوائد رحمتك وخواتم ارادتك
 وسرعة اجابتك ياسريع لمن قصده ياقريب ممن سأله يامجيب من دعاه أسرع
 لى بقضاء حاجتى وبلوغ ارادتى ياسميع يامجيب ياسريع ياقريب
 آمين آمين آمين يارب العالمين »

وكان فقيها مشاركا فى الفنون وله اتباع ظهرت عليهم بركاته ولاح
 عليهم سره ، ومن اتباعه : الشيخ ابو الوفاء اسماعيل بن سعيد الدكالى
 القاسمى صاحب الزلوية المشهورة ببلاد دكالة ومن اتباعه أيضا : المقدم

المجاهد ابو العباس الخضر غيلان الجرفطى وقد ذكر ذلك الشيخ ابو عبد الله محمد بن ناصر الدرعى فى رسالة كتب بها الى المجاهد المذكور يقول فيها ما نصه . « من عبيد الله تعالى محمد بن ناصر كان الله له الى الفارس القائم بنصر دين الله البائع نفسه فى اعلاء كلمة الله الخضر غيلان سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، واني احمد اليك الله الذى لاله الا هو ، اما بعد فاني احبك فى الله وان لسانى لهج بالتضرع الى الله تعالى فى نصرك على الكافرين منذ خرج التجليز والباعث على اعلامك بهذا امران احدهما : قوله صلى الله عليه وسلم : « اذا احب احدكم اخاه فليعلمه » والثانى : استنهاض همتك للجد فيما انت بصدده من الجهاد وعدم الالتفات الى ما تورط فيه غيرك من الاغترار بالفانى ، فانت ما دمت فى هذا على طريقه ، صاحبة ، وعباد الله الصالحون كلهم معك ، ورحم الله صاحبك الذى اسس لك هذه الطريق الصالحة ، ورباك عليها أعنى امير المؤمنين نور البلاد المغربية سيدى محمد العياشى جزاء الله عنا واياك وعن المسلمين خيرا ، فهو سيدنا وسيد غيرنا الذى ندين الله بمحبته ويجب علينا وعلى المسلمين تعظيمه وتعظيم من هو منه بسيل » ثم قال الشيخ ابن ناصر رحمه الله بعد كلام ما نصه : « وتستوصى باآل سيدنا وسيد المسلمين فى زمانه كافة خيرا سيدى محمد العياشى فهو عزك وتعتظيمهم قوام امرك وهذا من نصيحتى اليك التى هى من نتيجة محبتنا لك فعاملهم بالوفاء ، ولا تؤاخذهم بالجفاء » انتهى المقصود منه .

ولولد سيدى محمد العياشى وهو الفقيه العلامة سيدى عبد الله ارجوزة نظم فيها أهل بدر وتوسل بهم الى الله تعالى فى هلاك الذين تمالأوا على قتل ابيه ، فلم تمض الا مدة يسيرة حتى دارت عليهم دائرة السوء ولم ينج منهم احد .

وفى « البستان » : « ان ابا عبد الله محمد الحاج الدلائى دخل بلاد الغرب وذلك بعد مقتل أبى عبد الله العياشى فلقبه ولده سيدى عبد الله المذكور بجموع الغرب بوادى الطين ف وقعت الحرب فى قبائل واتهبت حللهم

ومواشيهم » انتهى : وكان ذلك فى اوائل ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين وألف
ولسیدی عبد الله ابن سیدی محمد العیاشی فى بعض زیاراته
لایه قوله :

أتینا الیک وانفسنا تکاد من الخوف منك تذوب
ولم ندر این هواک الذى تحب فتتحو الیه القلوب
أقمنا فحظنا وجئنا فحظنا فمن خوفنا قد دهتنا خطوب
فها نحن من خوفنا منك حیرى وهانحن من خوفنا منك شیب
قال الیفرنى فى «الصفوة» : واخبرنى حافده العلامة قاضى القضاة ابو
عبد الله محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد العیاشی ان جده سیدی
عبد الله المذكور كان قد احابه مرض اعیى الاطباء علاجه فلما طال علیه
أمره رغب منهم ان یحملوه الى ضریح الشیخ سیدی الحاج احمد بن عاشر
بسلا فلما وقف على الضریح انشد ارتجالا :

أقول لدائی اذ تفاقم امره وعز الدوا من کل من هو ناصرى
الا فانصرف بالله عنى انسى انا الیوم جار للولى ابن عاشر
قال فكانما نشط من عقال وانقشع عنه سحاب ذلك الضرر فى الحال ،
وكانت وفاة سیدی عبد الله المذكور ليلة عرفة سنة ثلاث وسبعین وألف
ودفن بجوار الولى الأشهر الشیخ ابی سلھام من بلاد الغرب وبنیت علیه
قبة صغيرة ، واخبار العیاشین ومحاسنهم كثيرة ویتھم بیت خیر وصلاح
رحمھم الله ونفعنا بهم آمین



ظهور اهل زاوية الدلاء واوليتهم بجبال تادلا وما يتبع ذلك

اما نسبهم فهم من برابرة مجاط بطن من ضهاجة حسبما ذكره ابن خلدون وغيره ، وكان مبدأ امر اهل زاوية الدلاء ان جدهم الولي الاشهر سيدي ابا بكر بن محمد وهو المعروف بحمى بن سعيد بن احمد بن عمر ابن يسرى المجاطي كان ممن اخذ عن الشيخ الصالح ابي عمرو القسطلي دفين مراکش وسكن الدلاء واتخذ هنالك زاوية ، فجاء ولده الولي الاظهر أبو عبد الله محمد بن ابي بكر فكمل من الفضائل ما بقى وابدى ممن الاسرار ما خفى فتناقل الركبان حديث هذه الزاوية وقصدها الناس من كل ناحية الى ان كان من اولاد الرجلين ما نذكره .

واخذ الشيخ محمد (فتح) بن ابي بكر عن الشيخ ابي عبد الله محمد الشرقي فحصل له من الخطوة والوجاهة فوق ما كان لسائر من عاصره وكان اعلام الوقت كالحافظ ابي العباس المقرئ ، والحافظ ابي العباس بن يوسف الفاسي ، والامام ابي محمد بن عاشر ، والفقيه العلامة ابي عبد الله محمد ميارة وغيرهم يقصدون زيارته والتبرك به ويراجعونه في عويص المسائل العلمية ، وكان رحمه الله عالما حافظا دراكما متوسعا في علمي التفسير والحديث وعلم الكلام حسن المشاركة فيها وفي غيرها وكانت وفاته سنة ست واربعين والفس .

قال اليفرنى : وحدثني غير واحد من اشياخنا انه لما دنت وفاته جمع اولاده وعشيرته وقال لهم : « ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده » وانا اقول لكم : « ولا من اغترف غرفة بيده » يشير بذلك الى ما تجاذبوه من امر الرياسة بعده وذلك من مكاشفاته رضى الله عنه . وقد اعترض عليه بعض الطلبة في قوله : وأنا أقول ، بأنه سوء ادب لمقابلة كلام الله بكلامه ، واجاب عنه حافده ، وهو الفقيه العلامة الشهير ابو عبد الله محمد بن احمد بن

المسناوى بن محمد بن ابى بكر ، برسالة مستقلة
ولما توفى خلف من الاولاد عدة فكان اكبرهم : ابو عبد الله محمد
الملقب بالحاج لانه حج مع أبيه ووحده مرارا ، ويقال : انه خطب الناس
يوم عرفة على ظهر الجبل لامر اقتضاه الحال ولم يكن ذلك لاحد من
أهل المغرب قبله . وفى أيامه تكامل أمر أهل الدلاء وشاع ذكرهم .
وكان للزاوية فى أيامه وأيام أبيه صيت عظيم وكان بها من معاطاة
العلوم والدؤوب على درسها واقراءها وقراءتها ليلا ونهارا ما تخرج به
جماعة من صدور العلماء وأعيانهم كالشيخ اليوسى وأضرابه ، حتى كانت
اليها الرحلة فى المغرب لا يبعدها الطالب ولا يأمل سواها الراغب .
وتمهّد الامر بها لابى عبد الله محمد الحاج وأولاده واخوانه وبنى
عمه الى أن تملك مدينة فاس ومدينة مكناسة وأحوازهما وكافة القطر
التادلى .

قال فى «نشر المثنى» : وفى سنة ست وأربعين وألف كان قيام محمد
الحاج الدلائى على الشيخ ابن زيدان « قلت : ولعل المكاتبه الاتى بيانها
بعد انما كانت فى هذا التاريخ .

وقال فى « البستان » : « وفى سنة خمسين وألف زحف محمد الحاج
الدلائى بعساكر البربر الى مكناسة فاستولى عليها ثم زاد الى فاس
فاعترضه أبو عبد الله العياشى بجموع أهل الغرب ووقعت الحرب بينهما
فانهزم العياشى وسار محمد الحاج لحصار فاس فرجع العياشى وأعاد حربا
ثانية ، فانهزم محمد الحاج وعاد الى بلاده . وفى سنة احدى وخمسين
وألف بعد موت العياشى نزل محمد الحاج على فاس وحاصرها ستة أشهر
وقطع عنها المواد وجميع المرافق الى أن لحقهم الجهد وارتفعت الاسعار

فدخلوا تحت حكمه* ولما قام اجتمعت عليه برابرة ملوية وأذعنوا له واعصوبوا عليه ، وقد كانت بينه وبين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وقعة أبى عقبة فانهزم فيها السلطان المذكور وانتشر جمعه وذلك فى سنة ثمان وأربعين وألف ، ومن ثم قطع النظر عما وراء وادى العبيد



ذكر ما وقع بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وبين اهل زاوية الدلاء
من المراسلات والمعاتبات



قال فى « النزهة » : وفى أيام السلطان محمد الشيخ بن زيدان قويت شوكة اهل الدلاء وانتشرت كلمتهم فى بلاد الغرب ، وضعف الشيخ عن مقاومتهم وعجز عن مقارعتهم ، وبعث اليهم قاضيه العلامة الفقيه ابا عبد الله محمد المزوار المراكشى يطلب منهم ترك الشنآن والرجوع الى اجتماع الكلمة ، ويحتج عليهم بان اباهم الولي الصالح سيدى محمد بن أبى بكر كان قد بايع أخاه الوليد بن زيدان ، والتزم طاعته وانهم أولى الناس باقتفاء طريقته واتباع منهاجه ، فلما بلغهم القاضى المذكور وادى الرسالة وتئل مافى العيبة وبين قصده اعتذروا اليه بمسائل وتعللوا بوجوه .
قال « اليفرنى » : وقد وقفت على رسالة كتب بها السلطان محمد

* ذكر سيدى عبد السلام القادرى فى كتابه المقصد الاحمد: أن محمدا الحاج الدلائى حاصر المعمورة وحضر معه فى حصارها سيدى محمد بن عبد الله معن الاندلسى وولداه سيدى أحمد ولم يذكر تاريخ الحصار المذكور ولعله وقع عام ١٠٥٢ بعد استيلائه على فاس وينبغى تحقيق هذا التاريخ بالمظان الاروية انظر المقصد ج ١ ص ٨٤ وحكى القادرى فى النشر فى حوادث سنة ١٠٥٧ خروج الناس للجهاد بعلاق المعمورة قال: ثم رجعوا بعد ايام ومات كثير منهم بمرض اصابهم من ماء شربوا هنالك اه وكنت وفاة سيدى محمد ابن عبد الله معن ثالث جمدى الثانية سنة ١٠٦٢

الشيخ المذكور اليهم بعد رجوع القاضى من السفارة وهذا نص القدر المحتاج اليه منها بعد الخطبة ، ولنصرف عنان الغرض لمن عيناه لمسنون العتاب والمفترض ، من هم لدقائق المجاز ضابطون ، وفي حقائق الجواز ضابطون ، أهل وطن الدلاء لمن هو لورود الشراب محتاج ، السيد ابو القاسم ابن ابراهيم والسيد ابو عمرو والسيد محمد الحاج ، ومن لنشر صحف الانصاف منهم مطابق ، كالسيد المساوى والسيد عبد الخالق ، ولا زائد الا قصد ايقاظكم من الغفوة التى طال كطلوع الشمس من المغرب ليلها ، وامتد كارض المحشر فرسخها وميلها ، هل هذا منكم استخفاف بحضرة الخلائف او تعام وتعام عما يجب على الرعايا من لازم الوظائف ؟ هذا من العار المالحى لصحف المناقب ، ولا يلوى بمن توخاه الا للمهيع الذى لا تحمد لمتجعه العواقب ، وخصوصا مثلكم الذى شق عصا الشقاق ، وشرع يمد ايدي الاطماع فى استخلاص قبائل الاتفاق ، وكنتم لا تدرون لباس القمصان ولا الشواشى ، الى أن جسرکم على وطء الغرب فاخذكم معه المغتر محمد العياشى ، فبهذتم موائد الضيوف ، وتقلدتم بلا حياء السيوف ، واعانكم اضطراب القبائل مع وقوع الجوع ، ومن مضى الى اى قطر تعذر عليه الرجوع ، الى أن أمكنتم من أزمته الرعايا وكل عنيد من رباط تازا الى وادى العبيد ، فاستحلتم سكر الجبايات من الابريز والفضة الى أن جمعتم منه مالا ينحصر فى عد ، بواسطة القرافى والمتنصر من غير أن تنفقوه على اقامة جند ، ولا انتفع به الا أشياع المومسات وشياطين الفساد والشر ولم تراقبوا مكر من رفعكم عن غمار عموم البرابر ، وأقعدكم فى القباب على الاسرة وفى بيوت الله على الكراسى والمنابر ، عوتم علينا معشر الثوار كالذئاب من كل عراء وشعبة ، لتكون عزيمة نهوضنا اليكم معطلة صعبة ، وان لا ندرى أين تميل النفوس ، ألتلك الصحارى ام الى ايلغ السوس ، وهذا المغرب لا يخلو ملائ من نواميس كل كاهن ومدع قرقار ، تسمى فيه البومة خاملة وتصبح بالمخبل والمنقار ، ومعادين الهمز واللمز والمجون ، هم أهل الزوايا والديارات والفنادق والاسواق

والسجون ، لكن من صفته يمينه لا يبكى ، ومن ألقى بيده الى التهلكة لا يشكى ، أهملناكم وأمهلناكم لعوائدكم من العبادة والطعام ، فطلعتم لنا فى الحلق عظاما ورعام ، لم تعلم الفقراء الا بحرمة جاه الدخيل ، على صلح أو زواج أو السماح البخيل ، وحتى الآن دعوناكم لعقد البيعة الواجبة لنا على كل من أطاع أو عصى ، من وجدة الى حدود السوس الاقصى ، فنزهد لكم فيما يقوم بحق تلك الزاوية واهلها ، بشرط ان تفيقوا من سنة الغفلة وجهلها ، وان أسسكم أقدام الانقياد عن سلوك سيل السداد وقبل سوله ، فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، فقد شيعنا لكم ققيها وقاضينا أبا عبد الله محمد المزوار . فصددتموه أرب ص ، وانقلب عن المحاورة مردودا أقبح رد ، لو لم نبال بكم بالفكر والذكر ، ما صرفنا فيما سلف بوصفنا الامين مباركا السوسى ، فشيد ضريح "سيد محمد بن أبى بكر ، فدنستم خالص عرضه فانه كان لكم علينا بريدا وبصيرة ، بما انطوت عليه منكم غرة السريرة ، فقص علينا ، دون أن نفحصه . ان عين الجحش فراره ، ولا يسعنا ان ندعكم مع أشراف سجدلماسة وبنى موسى تلعبون بنا كهر الغالية فى القفص ، لا يعطى غناء غلته الا بوخنز المسال التى تكلفه الرقص ، وحاصل الغرض تأدية البيعة كما عقدها أبوكم الابن الجواد المرحوم الفاضل المجيد لاخينا الارضى مولاي الوليد ، لتتظم كلمة الاسلام فى الاقطار ، اذ لو فعلتم لاقفى أثركم جموع المنتجعين والامصار ، وان عظمت عليكم مفارقة تقيل الرأس واليد والركبة فانتظروا صبيحة طلوعى عليكم طلوع الفجر على غسق الليل ، بخضرم خضرم من الرماة والحيل ، ونؤم بعدكم دولة الاشراف الصحراوية ونلوى على زاوية الساحل الى أن تعود الايالة الشيخية علوية عالية ، بالصيت والذكر ، او تهوى الى حضيض بنى سعد بن بكر « انتهى .

وكان جواب أهل زاوية الدلاء عن هذه الرسالة ما حاصله باختصار : ولا زائد بعد حمد الله الا أن مسطوركم الاحرش لما ورد ساحتنا سلب الازهان

والعقول فلا جارحة الا ولها حصة من الطنين ، فكادت الجبالى تسقط
المشايم فضلا عن الجنين ، فياله من صوت زجر لا ينسى علينا طول السنين
أسمعتنا غرائب لم تمر مرارتها على أهل الدهر الا تني والغابر ، لو صدح
بها على جبانة لنهض أهل المقابر ، حتى سمتنا بالحسف فى أسواق المذلة
والهوان ، وما نحن الاعز وركن لكل من طرقته وصمة أو غمه وأنت
تعمل بتدبير واشارة الاعلاج المجبولين على طبائع الحداغ والغش ، وتبنى
على قواعد مالكم بها من عرين ولا عش ، ومن الدليل الشاهد والبرهان ،
فتكهم بأخيك مع مشاورة النسوان ، على غيب من الجند والديوان ، فلا
تدعمهم يخذعونك وهم سلبوا روح جدك السمي من غمد الجسد ،
وحملوا هامته فى مخلاة من مسد ، وايم الله لئن داموا لك فى الغرب
بطانة لطلقوا عليك ثلاثا اوطانه . واما نحن فيبعة والدنا رحمه الله لم
تزل لنا فى الاعناق ، ولا ينبغي أن تعاد فتكرر ، كالظهير لمن تحرر ، وأيضا
منعنا من تجديدها انسلاال البربر عن ساحتنا ، فتكون أقوى سبب لفضيحتنا
وأجلها هذا الاجدل الذى لا تؤده سموم الليالى ولا حرارة قيظ المصيف ،
مولانا محمد بن مولانا الشريف ، عقاب أشهب على قنة كل عقبه لم يقنعه
عد المال دون حسم الرقبة ، وربما غرتنا غفلة فيشن الفارة على شعوب
شعاب ملوية ، او ينشر جيوشه على رباط تازا بالرايات والالوية ، سيما
وجناحاه ذوو النفوس النفيسة ، بربر صنهاجة وعرب دخيسة ، بزاة
النزوات ، بالحلة والمحال والغزوات ، والعايشى كما تعلمون كانت همة
هجرته أولا مللة أهل الشرك ، ثم مد خطا العزم الى درجة الملك . وأما
وصيفكم الامين مبارك السوسى فحيث اناخ علينا ككل الاقامة لاختطاط
ضريح الوالدين رحمهما الله قمنا بوظيف حقه الظاهر والباطن ، حيث
اختبر بعين الحقيقة أرجاء أغوار المواطن ، ولاشك أن حال مطالعته هى
التي ادرخت لنا فى سوق خواطركم الاسعار ، الى أن نصبتم لنا بعد
الرضا جائل الازعار الجالبة للعار ، وجد قبائلنا متبدة على ضم جبوب
الصيف ، وأعيانهم مقتدين على الخيول بدون رمح ولا مدفع ولا سيف ،

فخالهم على غرة غنيمة باردة ، وما علم أنهم أغوال الغيل صادرة وواردة ،
فإن كانت معاينته هي التي أطمعتك أن يعودوا بعد العز نوابي فما درى أن
ظنه كان الخاوي الخائب ، من ركب الخيل لنفسه دون راتب المخزن ،
لا ترضى همته أن يهان فيحزن ، وقاضيك السيد محمد المزوار حيث عاين
وفود الاقاليم منتشرة كالجراد على الازقة والادراب دون من لازم خدمة
الابواب ، تحقق عيانا ان انتظام شمل المالك والمملوك لا يكون الا على عظماء
الملوك ، فقص عليكم وعلى من حضر ما اعتقد وسمع ونظر ، وحتى الان
ان قصدتم الغرب أو حصن فاس لا تنالكم من جانبنا مساءة ولا باس ،
فبعد أن يكون لكم في المدينة البيضاء الجديدة والقديمة قرار ، يكون لنا
بعد ذلك حكم الاختيار ، بين أن نؤمن لك أو نترك لك الديار ، أو
نستصرخ بمن هو مثلك شريف حقيقي وسلطان ، له شغف أكثر منك
في ضبط الاوطان ، فقابل اذذاك القصور بالساط ، ونلقى بطانة من شاط
لاسنان الامشاط ، أيهما للغرب غلب ، نؤدى له على الرغم ما طلب ، وان
قنعت بحوز الحمراء من مراكنش ، ورفضت عنك معانة الهراش والتناوش ،
فدعنا ومراعاة من تجارته الرئاسة ، وهمته اشتراء نفيس السياسة
ضرغام غاب سجداسة . وأما صاحب ايلينغ السوس فما مراده
ومراد ذويه الا غنيمة سلامة الاعراض وتجارة سلب النفوس .
وفيما تلوناه عليك من القصص كفاية فلئن غادرتنا مستترين في حرمة
الاحترام والوقار فنعم ، وان زاحمتنا بمنكب الهوان يدافعك عنا من ادعى
أنه زعم ، وان طرقتنا مناخ عزمك على عبور وادي العبيد او ام الربيع ،
فهناك يجمع الله بين من يشتري ويبيع ، والسلام . وكتب عن اذن جمهور
اخوته عبد الله المسناوى ابن محمد بن ابي بكر الدلائي في يوم الاحد
الثاني والعشرين من رجب انتهى

ولما رأى السلطان محمد الشيخ بن زيدان تعاصي أهل زاوية الدلاء
عليه واستحكام امر الغرب لهم وتقويهم بالعدد والعدد صرف عنانه عن
مقارعتهم ومال الى مسالمتهم وقطع النظر عما في أيديهم والامر كله لله .

ذكر ما دار بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وبين الامير

المولى محمد بن الشريف رحمهما الله تعالى

كانت المكاتبات والمراسلات تقع بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان السعدي وبين الامير المولى محمد بن الشريف السجلماسي ، فمن ذلك رسالة بعث بها السلطان المذكور الى الامير المذكور فكان من فصولها ان قال له : « وبلغني انك تعلن في النوادي من الحواضر والبوادي : ان جرثومة ائمتنا لبني سعد بن بكر بن هوازن ، مع انها في بني نزار بن معد وافية المكايل ثقيلة الموازن ، واننا من تيدسي أحد القصور بوادي درعه ، ومنها انبت الله اصلنا فأزهر غصنه واثمر فرعه ، فلئن كان غرضك حط منطقة قدرنا من اللبب فهذا من العلى عليك عار ، وان تحاول محوئا من صحيفة النسب ، فتلك دعوى لا تغلى او ترخص أسواق الاسعار ، وقد صرفنا اليك نسخة من «مناهج الصفاء» في أخبار الشرفاء» ليطلع عليها انظارك من الملوك فيزول ما بالخاطر من اشراك الشكوك »

فأجابه المولى محمد بن الشريف عن هذا الفصل بأن قال له : « وعتابكم اننا عزوناكم لبني سعد بن بكر بن هوازن بن منصور ، وناشرون لذلك في الحلل والمدن والقصور ، تالله ما فهنا بذلك عن معايرة لكم ولا جهل ولا بان نضيفكم لمن لا عشيرة له ولا اهل ، بل اعتمدنا في ذلك بحمد الله على ما نقله الثقات المؤرخون لآخبار الناس ، من علماء مراکش وتلمسان وفاس ، ولقد أمعن الكل التأمل بالذكر والفكر ، فما وجدكم الا من بني سعد بن بكر ، ولا معول على كتاب المنصور من الفشائلة ، ولا ابن القاضي المكاسي ، ولا ابن عسكر الشريف الشفشاوني ، وسواهم ، اذ الكل أهل بساطكم ، ومحل مزاحكم وانساطكم ، ولقد بلغتنا نسخة « مناهل الصفا » فلم نجد فيها موردا عذب وصفا ، وكفى دليلا بالباطن والظاهر ، قول الثقة مولانا عبد الله بن طاهر ، ومع هذا فلم نعتد دفعكم عن شرف

النسب ، ولا رفعكم على ما وسمكم الله به من زينة الحسب ، انتهى الغرض من هذه الرسالة . واثار بقوله قول الثقة مولانا عبد الله بن طاهر الى ما اتفق له مع المنصور حين جالسه على المائدة وقال له المنصور : « أين اجتمعنا؟ » فقال له ابن طاهر : « على هذا الخوان » والحكاية قد مرت في صدر هذه الدولة السعدية

ومما كتب به السلطان محمد الشيخ بن زيدان للامير المذكور ايضا وذلك حين غلب المولى محمد على فاس وملكها ، فكتب اليه السلطان المذكور يحذره من غائلة أهل الغرب وغدرهم برسالة من انشاء وزيره القائد أبى عبد الله محمد بن يحيى آجانا وفي آخرها قصيدة من انشاء القائد المذكور وهى :

يا شبل مولانا الشريف محمدا	شمس السعادة والهلal الاكمل
ملات مهابتك الكبيرة مغربا	فزعت بمشرقه اصهبان وموصل
سقر الصياصى على الاعادى حائل	طورا يغير وفي الملاحم سيتل
أنيابه البيض الحداد صوارم	وبكل ظفر منه أتر مقصل
فجناحك الجرد العتاق وان نظر	ت الى تلمسان يطيش الشمال
هابتك نوار الاقالم غنوة	والوحش فهى يفص منها المنهل
قد طبنت ان عرقت عروقتك فى الوغا	خلت العنابر ديف فيها المندل
يامالكى سعدت به اوطانك	فيما مضى وزها به المستقبل
نادى بك النصر العزيز لمغرب	ولكم على فاس الجديد الكلكل
فاحذر كما حذر الغراب ولا تكن	كالبط يطفو عن مطاه القوقل
واعدل تفوز ولا تواخى طامعا	ترد العداة وتعم عنك العذل
لا تصد من جبل البرابر واصطبر	حتى يهون على الجواسيس مدخل
لا تأمن الاعراب فى أقوالها	واقمع فضاة من يجور ويختل
وعليك بالغارات فى اوطانها	بكتائب تسبى الاناث وتقتل
واغضض ولا تردى تجار مدائن	يقى عليك السر دأبا يسبل
لا تتخذ من حصن فاس صاحبا	أو حاكما يصل الامور ويفصل

كالبلبل عادته الفرار وإن غدا
لا تنقلن إلى الصحا ري ذخائرا
واضرب لبيت الملك أوتاد الدها
الف وفود الغرب واعرف قدرها
وابسط يدك على العيال هنيئة
هذى وصايا قد أضعا حقوقها
فمتى نشد إلى المعالي رحالنا
فرضنا متبعين أحكام القضا
فاجابه المولى محمد بن الشريف في سنة تسع وخمسين والـف
بقصيدة ختم بها جوابه من انشاء النقيه ابي عبد الله محمد بن سودة
الفاسي ونصها :

أحمد الشيخ بن زيدان الرضا
فلقد اجبتك عما قد كاتبني
انسى ابث لكم وصايا جملة
فالى متى طول الرقاد أما ترى
والدهر ينتف في رياش جناحك
ما من ملك ذاق لذة راحة
أحرى الذي كثرت شقا ثواره
تحال تخدعه بكل جباله
فاستيقظن من الحمار ومن رعى
وانفض غبار الذل واخلع ثوبه
ضيعت ملكك في الرخا وتركه
وركنت للظل الوريث وغادة
واذا اردت دوام هبة همة
دع عنك في الحمرا مروق سفرجل
واركب مطايا الصافنات الى الوغا
فخر الخلائف والهمام الاكمل
نظما ونثرا كى ترى ما يمشل
ان انت للنصح المصرح تقبل
أضغان ملكك كل يوم ترحل
ويدنس من الصفا ما تغسل
الا تجلى له الهوان فيفسل
يعوى عليه لكل عاد معقل
حتى يصاد كما يصاد النعسل
فى أرض آساد الشرى لا يغفل
يزداد وجهك بهجة ويهلل
للخزى فى دار الهوان يذل
يزهو البديع بها اذا ما ترفل
وتدوم فى ستر عليكم يسبل
ومدربلا بالزعفران يفلل
اما تحوز مزية او تقتل

واقرع طبولا للرعاة وفي الوغا
 وخض القفار وهز رمحا وادرع
 خاطر بنفسك في الفياقي جائلا
 واصطد نهارك بالسلاق وبعدها
 وقد الجيوش كما الوحوش ولا تدع
 جنب آجنا الجبن في تديره
 لا تجمعن من العلوج بطانة
 اما الشبابة فاحذرن من غيرها
 ترجو عواقب دولة لنفوسها
 يعطف عليك الدهر بعد نفوره
 ما ذاق زيدان ابوك حلاوة
 فاذا امتلت صواب صدق وصتي

يجبى الى الحرب العوان الجحفل
 واثن العنان وفي يمينك منصل
 تردى العدو وكل ليل منزل
 عقبانها وكذلك صقر اجل
 من يعص أمرك وازجرنه فيفعل
 واصحب شجاعا للذخائر يبذل
 فطباعها الغدر البليغ الاعجل
 لا بد تغدر بالاخير وتخذل
 وتود من وافى جنايك يجفل
 فتعود ايام السعود وتقبل
 من ملكه حتى غداه الحنظل
 يصنى الزمان لكم ويصفو المنهل

واعلم ان هذه الرسائل والاشعار التي اثبتناها هنا نازلة كما ترى
 عن درجة البلاغة ، وعادمة لما تستحقه من فن الوزن ونقد الصناعة ، ولكن
 لما كان الكتاب كتاب تاريخ واخبار ، لا كتاب ادب واشعار ، لم نبال بذلك ،
 اذ كان المقصود منها ما تضمنته من بيان الاحوال ، والافصاح عنها على أصح
 منوال ، فان هذه الرسائل هي عماد التاريخ وملاكه ، ونازلة منه بالمحل
 الذي نزلت من الدر اسلاكه ، فلذا اكرنا منها في هذا الكتاب .
 والله تعالى الملهم للصواب



وفاة السلطان محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله



كانت وفاة السلطان محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله سنة أربع وستين والف ، وفي « نشر المثنى » أنه توفي قتيلا سنة ثلاث وستين وألف ودفن بقبور الاشراف من قصبة مراكش فى روضة أبيه وعشيرته ومما نقش على رخامة قبره قول القائل :

لبدر سموات المعالى افول وفى ذا الضريح كان منه نزول
محمد الشيخ بن زيدان غاله حمام فحزن العالمين طويل
امام الانام ذو المآثر فعله له غرة فى الصالحات جميل
جاءه اله العرش رحى تخصه بما هو فى الفردوس منه كليل
وزراؤه : يحيى آجانا وولده محمد وغيرهما ، وقضاته : ابو مهدي
عيسى بن عبد الرحمن السكتانى ، وابو عبد الله محمد المزوار رحم
الله الجميع



الخبر عن دولة السلطان ابي العباس احمد بن محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله



لما توفي السلطان محمد الشيخ فى التاريخ المتقدم بويع ابنه ابو العباس أحمد ، والعامه يقولون مولاي العباس بدون لفظ الكنية ، وقام مقام ابيه فى جميع ما كان بيده الا ان حى الشبانات ، وهم اخواله ، قويت شوكتهم فى ايامه وغلظ امرهم عليه ، ووثبوا على الملك وراموا الاستبداد به ، فضايقوه وحاصروه بمراكش اشهرا

ولما رأت امه ان الامر لا يزيد الا شدة كلمته فى ان يذهب الى اخواله وتأخذ بقلوبهم ويزيل ما فى نفوسهم عليه ، فذهب اليهم فلما تمكنوا منه قتلوه غيلة ، وأقبلوا الى مراكش مسرعين وبايعوا فيها لاميرهم عبد

الكريم بن ابي بكر الشبانى ثم الحريزى كما سياتى
 وكان مقتل السلطان أبى العباس رحمه الله سنة تسع وستين وألف
 كذا فى «النزهة» . والذى فى «نشر المثنى» : أنه قبل سنة خمس
 وستين وألف والله اعلم بغيه
 قال اليفرنى رحمه الله وقد أذكرتنى هذه الفعلة قول المولى محمد بن
 الشريف فى قصيدته السابقة :

اما الشبانة فاحذرن من غيها لا بد تغدر بالاخير وتخذل
 فان الامر وقع كما قال ، مع أن المولى محمد بن الشريف كتب
 بالقصيدة المذكورة للسلطان محمد الشيخ فى سنة تسع وخمسين وألف ، وغدر
 الشبانات للسلطان أبى العباس كان سنة تسع وستين وألف ، ولعل المولى
 محمد بن الشريف تلقى ذلك من بعض أهل الكشف أو نحوهم ، فان
 كلامه كثيرا ما يقع فيه مثل هذا ، وبمهلك السلطان أبى العباس رحمه
 الله انقرضت دولة السعديين من آل زيدان ، وانهار جرفها وانطوى
 بساطها ، وسبحان من لا يبيد ملكه ولا يزول سلطانه لاله الا هو
 العزيز الحكيم .



الخبر عن دولة الشبانات بمراكش واعمالها

وما آل اليه امرها من دثورها واضمحلالها



لما قتل السلطان أبو العباس أحمد بن محمد الشيخ بن زيدان فى
 التاريخ المتقدم نار كبير حى الشبانات بمراكش من عرب معقل ، وهو
 الرئيس عبد الكريم بن القائد ابي بكر الشبانى ثم الحريزى ، وحريز
 فخذ منها هى النبعة والصميم فيها ، وعبد الكريم هذا يعرف عند العامة
 بكروم الحاج ، فدخل مراكش ، ودعا الناس الى بيعته فبايعوه بها سنة
 تسع وستين وألف ، وانتظمت له مملكة مراكش ونواحيها ، وسار فى

الناس سيرة حميدة ، وكان فى أيامه الغلاء المؤرخ بعام سبعين وألف ، وهو غلاء مفرط بلغ الناس فيه غاية الضرر حتى أكلوا الجيف ، ولم يزل مستقيم الرأى بمراكش الى أن توفى بها سنة تسع وسبعين والـف قبل أن يدخلها المولى الرشيد بن الشريف باربعين يوما .

وقال منويل : لما بايع أهل مراكش عبد الكريم الشبانى خالفت عليه آسفى وأعمالها فغزاهم ثم رجع مقلولا الى مراكش ، وكانت المجاعة المشهورة عقب ذلك ، ثم قتله بعض اجناده دخل عليه فطعنه برمح فأنفذه ، ثم قبض على القاتل وقتل أيضا فى الحين ، ولما توفى بايع الناس ولده أبـا بكر بن عبد الكريم فبقى الى أن قدم المولى الرشيد وتقبض عليه وعلى عشيرته فقتلهم ، ثم تبع الشبانات فأنفذهم قتلا وأخرج عبد الكريم من قبره فأحرقه بالنار ، وانقرضت دولة الشبانات والبقاء لله وحده .

ولنذكر ما كان فى هذه المدة من الاحداث فنقول :

فى سنة ثلاث عشرة والـف فى ثانى عشر محرم منها توفى السولى الكبير أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الحسن الخالدى السلاسى المعروف بابن حسون نسبة الى جده الحسن المذكور ، وهذا الشيخ هو ذفين سلا الشهير بها أصله من سلاس مدرشر على مرحلة من فاس ، ثم انتقل الى سلا ، وسبب انتقاله اليها : أنه كان بين أهل سلاس حروب ومقاتلات فكان الشيخ أبو محمد عبد الله اذا غلب أهل مدرشره فرح واذا انهزموا حزن ففكر فى نفسه وقال : « محبة الغلبة تستدعى محبة الشر للمسلمين وعلى عهد الله لا جلست فى موضع أفرق فيه بين المسلمين وأبغى الشر لهم » فارتحل الى سلا . ولما استقر بها أتاه جماعة من عشيرته يراودونه على الرجوع الى بلادهم وحثوا عليه فى ذلك فاخذ قدحا وملاء من ماء البحر ووضعه ثم قال لهم : « ما بال ماء البحر يضرب بعضه بعضا وتتلاطم أمواجه وما لهذا الماء الذى منه فى القدح ساكن؟ » فقالوا له : «لانه لم يبق فى البحر » فقال لهم : « الغربية تصفى وتسكن » فعلموا مراده وانصرفوا آيسين ، قلت : وفى انتقاله من سلاس الى سلا اشارة لطيفة وهى ان لفظ

سلاس باعتبار تفكيكه سلو موصول بحرف السين وهو حرف ذو قرون ثلاثة متشعبة فيؤخذ منه بطريق الاشارة انه سلو موصول بكدر، بخلاف لفظ سلا فانه سلو محض ، وقد قدمنا في أخبار ابن الخطيب رحمه الله أن مدينة سلا كانت مقصدا للعباد واهل الخلوة والانفراد من لدن قديم ، أخذ الشيخ ابن حسون عن ابى محمد الهبطى عن أبى محمد الغزوانى عن التابع عن الجزولى رضى الله عنهم ، وكان صاحب أحوال تهدى اليه الثياب الرفيعة فيأمر بها فتلقى فى بيت مسدود فتبقى فيه حتى يأكلها السوس وتضيع ، وكان كل يوم يصبح على بابه ارباب الآلات بالطبول والابواق يضربون عليه النوبة وغير ذلك ، وقد تكلم عليه الشيخ اليوسى فى المحاضرات وحمله محملا جميلا ، وكرامات ابن حسون كثيرة شهيرة نفعا الله به وبأمثاله .

وفى السنة المذكورة فى ربيع الاول منها توفى الشيخ العارف بالله تعالى العالم الربانى أبو المحاسن يوسف بن محمد الفاسى جد السادة الفاسيين ، وأخباره ومناقبه شهيرة قد تكفل ببسطها كتاب « مرآة المحاسن » لابنه العلامة أبى عبد الله محمد العربى الفاسى الموضوع لهذا القصص بالخصوص .

وفى سنة أربع عشرة وألف كان الغلاء العظيم بفاس ، قال صاحب « المتع » فى ترجمة الشيخ أبى عبد الله محمد بن حكيم الاندلسى : « انه اعتراه ذات يوم حال فجاء الى بعض أفران فاس وجعل يقول لصاحب الفرن : « أغلق فرنك ، أغلق فرنك » ويصيح به فاذا بالغلاء العظيم حدث عقب ذلك ، وهو غلاء سنة أربع عشرة وألف فتعطل ذلك الفرن وغيره من أفران المدينة ، وكان يمر بالطرقات فيقول : « الناس يأكلون عن أولادهم » ويكرر ذلك على جهة الانكار فجاء الغلاء المذكور فكان الناس يأكلون فى الاسواق عن أولادهم ولم يكن يعهد الاكل بالاسواق قبل ذلك .

وفى سنة خمس عشرة وألف فى ثمانى جمادى منها جاء بفاس سيل

عظيم حتى غمر دور عمل الفخارين وذهب ببعض أنادر الزرع وحمل أمة من باب الفتوح فمات .

وفي سنة اثنتين وعشرين وألف حدث الشر بفاس ووقع الغلاء حتى بيع القمح بأوقيتين وربيع للمد ، وكثرت الموتى حتى ان صاحب المارستان أحصى من الموتى من عيد الاضحى من سنة اثنتين وعشرين وألف الى ربيع النبوى من السنة بعدها أربعة آلاف وستمائة ، وخربت أطراف فاس وخلت المداشر ، ولم يبق بلمطة سوى الوحوش .

وفي سنة ثلاث وثلاثين وألف وذلك عند فجر يوم السبت الثانى والعشرين من رجب منها حدثت زلزلة عظيمة بفاس ، ذكر صاحب «المتع» فى ترجمة ابي عبد الله بن حكيم المذكور آنفا : انه كان قبل الزلزلة المذكورة يصيح : المردومات المردومات ، فاذا بالزلزلة حدثت ، قال : فما بقيت دار من دور فاس غالبا الا دخلتها الفؤس .

وفي خامس شعبان من السنة المذكورة نزل برد عظيم قدر يبيض الدجاج وأكبر وأصغر ورىء حجر عظيم منها نزل على خيمة فخرقها وفر أهلها عنها وبقي لم يذب نحو ثلاثة أيام .

وفي سنة ست وثلاثين وألف توفى الامام العارف بالله تعالى أبو زيد عبد الرحمن بن محمد القاسى المعروف بالعارف بالله وهو اخو ابنى المحاسن المذكور آنفا ومناقبه شهيرة أيضا .

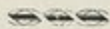
وفي السنة المذكورة كان الغلاء بفاس والمغرب .

وفي سنة أربعين وألف عشية يوم الخميس ثالث ذى الحجة منها توفى الشيخ الامام العلامة الهمام أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن على ابن عاشر الانصارى نسبا الاندلسى اصلا القاسى منشأ ودارا الفقيه المشهور كان رحمه الله له الباع الطويل فى المشاركة فى العلوم مع غاية التحرير والتحقيق وله التاليف الحسان التى أغنى فيها عن الجبر العيان ، وكان ورعا سنيا وكان لا يتخذ القراء على جنائز أقاربه ويقول : يمننى من ذلك أنهم يفسدون قراءة القرآن وقراءتهم تلك عذر فى التخلف عن الجنائز ،

وفي سنة اثنتين وخمسين وألف توفي الشيخ الامام أبو عبد الله محمد العربي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي كان رحمه الله متقنا عالما له عناية كبيرة بتحصيل المسائل وتقييدها ، والاطلاع على غريبها وشريدها ، وهو صاحب « مرآة المحاسن » وكان جوالا في بوادي المغرب وحواضره حتى أدته خاتمة المطاف الى مدينة تطاوين فالتقى بها عصا التسيار الى أن توفي في السنة المذكورة ثم نقل الى فاس بعد سنتين فوجد طريا رحمه الله .

وفي سنة ستين وألف كان بالمغرب رخاء مفرط وغلاء مفرط وبلغ صاع البر بمدينة سلا مثقالا وكاد ينعدم بالكلية وهو غلاء لم يعهد مثله وانتشر الفساد في البلاد وحل بالمغرب وباء كبير حتى كان الناس يموتون في كل طريق رجالا ونساء نسأل الله العافية .

وفي سنة سبعين وألف كان الغلاء المفرط بالمغرب لاسيما بمراكش وهذه السنة هي المعروفة عند العامة بسنة كروم الحاج لا زالوا يضربون المثل بغلائها الى اليوم والله تعالى يحفظ المسلمين ويحلهم من كنفه في حصن حصين آمين .



تم الجزء السادس ويليه الجزء السابع

وأولـه :

الخبر عن دولة الاشراف السجلماسيين من آل علي الشريف وذكر نسبهم واوليتهم

فهرس الموضوعات

- ٣ الخبر عن دولة السلطان أبى المعالى زيدان بن أحمد رحمه
الله تعالى
- ٤ انحراف مراکش عن طاعة زيدان وبيعتهم لابی فارس وما
نشأ عن ذلك من الفتنة
- ٥ نهوض السلطان زيدان لحرب أبى فارس وانهزامة بام الربيع
ثم فراره الى تلمسان
- ٧ نهوض عبد الله بن الشيخ لحرب عمه أبى فارس واستيلاؤه
على مراکش
- ٨ مجيء السلطان زيدان الى المغرب واستيلاؤه عليها وطرده
زيدان عنها
- ٩ عود عبد الله بن الشيخ الى مراکش واستيلاؤه عليها وطرده
زيدان عنها
- ١٠ ثورة محمد بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد الشيخ
وانقراض امره وعود زيدان الى مراکش
- ١١ خروج جالية الاندلس من غرناطة واعمالها الى بلاد المغرب
وغيرها
- ١٢ استيلاء السلطان زيدان على فاس وفرار الشيخ بن المنصور
عنها الى العرائش ثم الى طانجة الاصنيول
- ١٦ عود عبد الله بن الشيخ الى فاس واستيلاؤه عليها ومقتل
مصطفى باشا رحمه الله

- ١٧ تلخيص خبر ابي فارس ومقتله رحمه الله تعالى
عود السلطان زيدان الى فاس واستيلاؤه عليها ثم اعراضه عنها
سائر ايامه
- ١٨ استيلاء نصارى الاصنيول على العرائش والسبب في ذلك
- ٢٠ بقية أخبار الشيخ ومقتله رحمه الله وتجاوز عنه
- ٢٢ رئاسة ولي الله تعالى ابي عبد الله سيدى محمد العياشى على
الجهاد ومبدأ امره في ذلك
- ٢٤ ثورة الفقيه ابي العباس احمد بن عبد الله السجلماسى المعروف
بابى محلى
- ٢٦ نهوض ابن ابي محلى الى سجلماسة ودرعة واستيلاؤه عليها
ثم على مراکش بعدها
- ٣٠ استصراخ السلطان زيدان بابى زكرياء يحيى بن عبد المنعم
الحاحى ومقتل ابي محلى رحمه الله
- ٣٢ بقية أخبار أبى زكرياء يحيى بن عبد المنعم الحاحى وما دار
بينه وبين السلطان زيدان رحمهما الله
- ٣٥ انعطاف الى خبر عبد الله بن الشيخ بفاس والثوار القائمين
بها وما تخلل ذلك
- ٥٢ ثورة محمد بن الشيخ المعروف بزغودة على اخيه عبد الله بن
الشيخ وما وقع في ذلك
- ٥٧ وفاة عبد الله بن الشيخ
- ٥٩ قبة الحصة بجامع القرويين
- ٥٩ ثورة أبى زكرياء بن عبد المنعم بالسوس ومغالته لابی حسون
السجلماسى المعروف بابى دميعة على تارودانت
- ٦٠ بقية أخبار السلطان زيدان وذكر وفاته رحمه الله
- ٦٩

- ٧٢ الحُجْر عن دولة السلطان ابي مروان عبد الملك بن زيدان رحمه الله
- ٧٣ ظهور ابي عبد الله العياشي بسلا ومبايعة اكابر عصره له على الجهاد والقيام على الحق
- ٧٧ بقية اخبار السلطان عبد الملك بن زيدان ووفاته
- ٧٨ الحُجْر عن دولة السلطان ابي يزيد الوليد بن زيدان رحمه الله ظهور ابي حسون السملالي المعروف بأبي دميعة بالسوس ثم استيلاؤه على درعة وسجلماسة واعمالهما
- ٨٢ بقية اخبار السلطان الوليد بن زيدان ووفاته رحمه الله الحُجْر عن دولة السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله
- ٨٣ بقية اخبار ابي عبد الله العياشي بسلا والثغور وما يتبع ذلك وفادة اعلام فاس واشرافها على ابي عبد الله العياشي بسلا
- ٨٥ ايقاع ابي عبد الله العياشي بنصاري الجديدة
- ٩٠ مقتل ابي عبد الله العياشي رحمه الله والسبب فيه
- ٩٦ ظهور أهل زاوية الدلاء واوليتهم بجمال تادلا وما يتبع ذلك ذكر ما وقع بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وبين أهل زاوية الدلاء من المراسلات والمعاتبات
- ٩٨ ذكر ما دار بين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وبين الامير المولى محمد بن الشريف رحمهما الله تعالى
- ١٠٣ وفاة السلطان محمد الشيخ بن زيدان رحمه الله
- ١٠٧ الحُجْر عن دولة السلطان ابي العباس أحمد بن محمد الشيخ ابن زيدان رحمه الله

- الخبر عن دولة الشبانان بمراكش واعمالها وما آل اليه امرها
 ١٠٨ من دنورها واضمحلالها
- ١٠٩ وفاة الشيخ عبد الله بن حسون دفين سلا رحمه الله
- ١١٠ وفاة الشيخ أبي المحاسن الفاسي رحمه الله
- ١١١ وفاة الشيخ ابي زيد الفاسي المعروف بالعارف رحمه الله
- ١١١ وفاة الشيخ عبد الواحد بن عاشر رحمه الله
- ١١٢ وفاة الشيخ أبي عبد الله محمد العربي الفاسي رحمه الله

فهرس الاعلام والقبائل

حرف (ا)

- البيطار - ١٦
 أبو حسون السملالى ١٠ - ٤٩ -
 ٧٨ - ٧٩
 أبو الربيع سليمان بن محمد الشريف
 الزرهونى ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ -
 ٥٨
 أبو زكرياء يحيى بن عبد المنعم
 الخاخي ٢٩ - ٣٢ - ٣٩ - ٦٠
 ٦١ - ٦٦ - ٧١ - ٧٨ - ٧٩
 أبو زيد السكتاني ٣٤
 أبو زيد عبد الرحمن الغنامي
 - رحو - ٨٦ - ٨٧
 أبو زيد عبد الرحمن الفاسي ١٤
 ٥٨ - ١١١
 أبو سالم العياشي ٩٢
 أبو سلهم ٩٥
 أبو العباس احمد بن ادريس
 العمراني ٢١
 أبو العباس احمد بن زيدان ١٠٧ -
 ١٠٨
 أبو العباس احمد بن محمد الفرديس
 التغلبي ٢٣

آدم ٤٤
 أمغار ٥٨
 آل زيدان ١٠٨
 ابراهيم بن يغزى ٤٣
 ابراهيم كانوت ٦٩ - ٧٠
 أبو اسحق ابراهيم الصقلي ٢٠
 ابو اسحق ابراهيم الكلالي ٧٤
 أبو بكر ٣
 أبو بكر ابن عبد الكريم ١٠٩
 أبو بكر بن محمد - حمى - ٩٦
 أبو الحسن على بن حرزهم ٥٦
 أبو الحسن على بن الطيب ٨٢
 أبو الحسن على بن عبد الله
 السجلماسي ٢٦
 أبو الحسن على بن عمران السلاسي
 ١٤ - ٣
 أبو الحسن على بن محمد الادريسي
 - ابن ريسون - ٥٧
 أبو الحسن على بن محمد السملاني ٦٠
 أبو الحسن على بن يوسف الاندلسي

- ٧٦ - ٧٥ - ٧٤ - ٧٣ - ٥٢
 ٨٩ - ٨٨ - ٨٧ - ٨٦ - ٨٥
 ٩٥ - ٩٤ - ٩٣ - ٩٢ - ٩٠
 ٩٩ - ٩٧
 أبو عبد الله محمد بن أحمد
 المسنوي ٩٦
 أبو عبد الله محمد المكلاتي ٨٩
 أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة
 الفاسي ٨٥ - ٩٣ - ٩٦
 أبو عبد الله محمد بن قاسم
 القصار ٣ - ٤ - ٦ - ٧ - ١٤
 أبو عبد الله محمد بن مبارك
 الزعري ٢٧
 أبو عبد الله محمد بن ناصر
 الدرعي ٩٤
 أبو عبد الله محمد بن يحيى
 أجانا ١٠٥ - ١٠٧
 أبو عبد الله محمد الحاج الدلائلي
 ٩٧ - ٩٩
 أبو عبد الله محمد الجنان ٢٢
 أبو عبد الله محمد الشرقي ٩٦
 أبو عبد الله محمد الشيخ بن
 زيدان ٨٣
 أبو عبد الله محمد العربي
 الفاسي ٧٤ - ٧٦ - ٩٣ -
 ١١٢ - ١١٠
- أبو العباس أحمد بن منصور العليج ٤
 أبو العباس أحمد بن يوسف
 الفاسي ٢٢ - ٩٦
 أبو العباس أحمد التواتي ٢٨
 أبو العباس أحمد الحسني - ادفال - ٣٥
 أبو العباس أحمد الدغوغى ٩٣
 أبو العباس أحمد السملالي ٧٨
 أبو العباس أحمد المقرئ ٢٢
 أبو العباس أحمد المريدي ٣٤
 أبو العباس أحمد النقيس ٢٢ -
 ٥٨
 أبو العباس الاعرج ١٠
 أبو العباس بن أبي محلى ٣٠
 أبو العباس الحضري غيلان الجرفطى ٩٤
 أبو العباس السبتى ٥ - ٣٣
 أبو العباس السوداني ٢٨
 أبو العباس الصومعي ٧١
 أبو العباس المنجور ٢٨ - ٣٥
 أبو عبد الله بن حكيم ١١١
 أبو عبد الله بن سودة الفاسي ١٠٥
 أبو عبد الله الرجراجي ٧٢
 أبو عبد الله محمد بن أبي بكر
 الدلائلي ٨٣ - ٩٠ - ٩٣ -
 ٩٤ - ٩٦ - ٩٨ - ١٠٠
 أبو عبد الله محمد بن أحمد المالكي
 العياشي ٢٤ - ٢٥ - ٥٠ - ٥١

أبو محمد عبد الله بن أحمد الخالدي

- ابن حسون ١٠٩ -

أبو محمد عبد الله العياشي ٨٦-٩٥

أبو محمد عبد الله الهبطي ٣٨-١١٠

أبو محمد عبد الواحد بن عاشر

٧٤-٧٦-٩٣-٩٦-١١١

أبو محمد العربي الفاسي ٢٣

أبو محمد الغزواني ١١٠

أبو مروان عبد الملك بن

زيدان ٥٠-٥٩-٧٢-٧٧-٨٢

أبو المعالي زيدان بن أحمد المنصور

السعدي ٣-٤-٥-٦-٧-

٨-٩-١٠-١٢-١٣-

١٤-١٦-١٧-١٨-١٩-٢٠-

٢٤-٢٥-٣٠-٣١-٣٢-

٣٤-٣٦-٣٩-٥١-٥٢-

٧٠-٧١-٧٣-٨٧-

٧٨-٧٩-

أبو مهدى عيسى بن عبد الرحمن

السكراني ٦١-٧٨-٧٩-

٨٨-١٠٧-

أبو الوفاء اسماعيل الدكالي ٩٣

أبو يزيد الوليد بن زيدان ٧٢-٧٧-

٧٨-٧٩-٨٢-٨٣-

٨٤-٩٨-١٠٠-

أبو يعزى ٢٧-٧١

أبو عبد الله محمد اللطفي

- الربوع ٥٣-٥٤-٥٦-

٥٨

أبو عبد الله محمد المزوار

المراكشي ٩٨-١٠٠-١٠٧

أبو عبد الله محمد المكلاني ١٥

أبو عثمان سعيد الجزائري

-قدورة- ٣٠

أبو علي الحسن الزياتي ٢٢

أبو عمرو القسطلبي ٣٣-٤١-

٩٩-٩٦

أبو فارس بن المنصور ٤-٥-٦-

٧-١٣-١٦-١٧-

أبو القاسم بن ابراهيم ٩٩

أبو القاسم بن ابي النعيم ٣-٤-

٦-٢٠-٥٨

أبو الليف ٢٣

أبو المحاسن يوسف بن محمد

الفاسي ١٤-١١٠-١١١

أبو محلي أحمد بن عبد الله ٢٣

- ٢٦-٢٨-٣١-٣٢-

٣٣-٣٤-٣٥-٤٠-٤١-

٤٢-٤٧-٤٩-٦٢-٦٤-

٦٥

أبو محمد عبد القادر بن أحمد بن

قاسم الفشتالي ١٧

أحمد بن موسى الجزولي ٤١-٨٠

أحمد الشريف ٤٧

أحمد المنصور السعدي ٣-٤-

٥-٧-١١-٢٧-٧٠-

٧١-١٠٣-١٠٤-

الادارسة ٢٦

ادريس ١٩

ادريس بن احمد الجوطي

العمرائي ٣٤

الاروام ٤٦

اسماعيل بن الشريف ٦٩-٨٢

الاصبنيول ١٨-٢٠-٥٠-٧٠-

الاقليشي ٢٣

الانجليز ٤٩

اندلس سلا ٧٣

أهل آزمور ٤٣-٤٦-٨٦

أهل الاندلس ١١-٥١-٥٨-

٥٩-٦٠-٧٥-٧٦-٩٠-٩٢

أهل بدر ٦٦-٩٤

أهل بلاد الهبط ٥٧

أهل تارودانت ٦٦

أهل تلمسان ٣٠-٥٢

أهل الجزائر ٧٥

أهل الحرة ٣٩

أهل الحلق ٧٥

أهل درعة ٦٦

ابن أبي الجواد ٦٤

ابن أبي محلي ٢٩

ابن الاشعث ٣٩-٥٧

ابن حسون ١١٠

ابن حسين ٤١

ابن الخطيب ١١٠

ابن خلدون ٩٦

ابن شقراء ٤١

ابن الرومي ٤٤

ابن الزين ٨٩

ابن عبد الواسع ٤٩

ابن عبود ٧٦-٧٧

ابن عربي الحاتمي ٤٤

ابن عسكر ١٠٣

ابن عطية ٧١

ابن القاضي المكناسي ١٠٣

ابن المجراء ٢٢

ابن المعتز ٤٤

ابن اليسع ٢٦

ابن يعقوب اوزال ٤٢

ابن يعلى ٥٨

الابسي ٤٢

الاتراك ٤٥

أحمد الاشهب ٥٨-٦٠

أحمد بن زيدان ٧٢-٧٣-٧٥

أحمد بن عميرة ٥٦-٨٩

أولاد سحير ٧٤
أولاد زيدان ٧٨
أولاد القاضي ٢٦

حرف (ب)

بابا أبي فارس ٤٩
الباشا جوذر ٤ - ٥ - ٧٢
الباشا محمود ٧٣
برابرة مجاط ٩٦
برابرة ملوية ٩٨
البربر ٣٤ - ٤٩ - ٧٣ - ٧٦
٧٨ - ٩٢ - ٩٧ - ٩٩
البرتقال ٢٣ - ٥٠ - ٨٨
بنو جرار ٣٢
بنو حسن ٥٦
بنو سعد بن بكر ١٠٠ - ١٠٣
بنو العباس ٢٦
بنو كنسوس ٣٢
بنو مالك ٧٦
بنو موسى ١٠٠

حرف (ت)

التاغى ٧٦ - ٩٢
التباع ١١٠
الترك ٤٦ - ٤٧ - ٧٠

أهل الدلاء ٩٠ - ٩٧ - ٩٨
أهل زاوية الدلاء ٨٤ - ٩٦ -
١٠٠ - ١٠٢

أهل سلا ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٧٤

أهل سلاس ١٠٩

أهل الطالعة ٥٧

أهل العدو ١٨ - ٥٨

أهل بدوة الاندلس ٥٨

أهل عدوة اللمطين ٥٩

أهل العدوتين ٥٨

أهل الغرب ١٠٥

أهل غرناطة ١١

أهل فاس ٤ - ٦ - ٨ - ١٢

١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٥٣ -

٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٩ - ٧٥

٨٥

أهل الفحص ٢٥

أهل مراكش ٤ - ٥ - ٦ - ٧ -

٩ - ١٠ - ٤٩ - ٦٥ - ١٠٩ -

أهل المغرب ٦ - ١١ - ٤١ -

٧٦ - ٩٧

أولاد ابن عزيز ٢٤ - ٩٢

أولاد ابن اليسع ٢٦

أولاد أبي عزيز ٨٧

أولاد أبي الليف ٥٤

أولاد ذوئيب ٨٧

حرف (ج)

جؤذر ٧٨

الجزولى ١١٠

جلال الدين السيوطى ٦٠

جلول بن الحاج ٥٩

الجوهر ٥

حرف (ح)

الحاج احمد بن عاشر ٩٥

الحاج على سوسان ٥٨

الحاج المير ٣٠

الحجاج ٣٩ - ٦٢

الحسن البصرى ٣٩

الحسن بن على ٦٦

حمو بن عمر ١٧ - ٥٦

أبو دبيرة حمو ٢١

الحناشة ٤٣

الحنفية ٤٢

الحياينة ٧٤ - ٨٥

حرف (خ)

الخروبى ٣٣

الخضر ٤٤

الخلط ٧٦

خوان ٨٨

الخيزران ٥ - ٦ - ٢٢

حرف (د)

الدبيريون ٢٢

الدخيسى ٧٦

دكالة ٥١

الدولة السعدية ١٠٤ - ١٠٨

دولة الشبانات ١٠٩

الدولة الشريفة ٤٥

حرف (ر)

الرشيد بن الشريف السجلماسى ٥٩

١٠٩

رضوان الجنوى ٥٨

روضة ابى الشتاء ٩٢

حرف (ز)

الزرهونى ٤١

الزعرورى ٥١

الزمخشري ٧١

زيدان بن أبى محلى ٣١

حرف (س)

سالم السنهورى ٢٨

سانطو ٩٢

سحنون ٤٣ - ٥٤

عبد السلام بن ميثش ٥٧
 عبد الصادق ٣٧ - ٤٨
 عبد الصادق بن ملوك ٤١
 عبد الصمد ١٨
 عبد العزيز بن سعيد الوزكي
 ١٧ - ٧٢
 عبد العزيز بن محمد الثعلبي
 ٧٠ - ٧٢
 عبد العزيز القسنطيني ٤١
 عبد القادر ٤٩
 عبد الكريم بن أبي بكر الشباني -
 كروم الحاج ١٠٨ - ١٠٩
 عبد الكريم بن الشيخ ٤١
 عبد الكريم بن مومن العلي ٤١
 عبد الله اعراس ٨
 عبد الله بن الشيخ ٨ - ٩ - ١٠
 ١٢ - ١٣ - ١٦ - ١٨ - ١٩
 ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٦ - ٥٨ - ٥٩
 عبد الله بن طاهر ١٠٣ - ١٠٤
 عبد الله بن المنصور - الزبدة - ٣٠
 عبد الله السعدي ٤١ - ٤٤ -
 ٤٨ - ٧٠
 عبد الله بن محمد المسناوي ١٠٢
 عبد الملك بن مروان ٣٩
 عبد الملك الغازي السعدي ٤٠ - ٧٠
 عبد مناف ٦٨

سعد بن أبي وقاص ٨٧
 سعيد بن جبير ٣٩
 سعيد الدكالي ٦٩
 سكتانة ٦٦
 سفيان ٣٨ - ٥٠
 السنوسي ٥١

حرف (ش)

الشادلي ٥٨
 الشافعية ٤٢
 الشاوية ٦٩
 الشبابة ٣٢
 الشبانات ٦ - ١٠٧ - ١٠٨ -
 ١٠٩
 شراقة ١٨ - ٥٢ - ٥٥ - ٨٥
 الشيخ بن زيدان ٨٢ - ٨٣
 الشيخ كدار ١٩

حرف (ص)

الصادق ٣٩

حرف (ع)

العباس بن عبد المطلب ٢٦
 عبد الخالق ٩٩
 عبد الرحمن الحنادقي ٥٦

حرف (ف)

- الفشاة ١٠٣
 الفضيل بن عياض ٣٨ - ٥٠
 الفرنج ٥٠
 فليس الثالث ٥٠

حرف (ق)

- القبائل السوسية ٧٨
 القبطان مراد ٤٦
 القرافي ٩٩

حرف (ك)

- الكرني ٢١
 الكدادة ٩٢
 الكلیم ٤٤

حرف (ل)

- اللمطيون ٥٥ - ٥٦ - ٥٨
 ٦٠ - ٥٩
 لوز البرتقالی ٣١ - ٦٩
 لوز مارية ٨٨

حرف (م)

- مالك ٣٨ - ٥٠
 المأمون بن المنصور - الشيخ - ٥ - ٦

عبد المومن بن ساسی ٤٨

عبد المومن بن علی ٤٥

عبو وبها ٧٣

العبيدون ٢٦

عثمان ٣٩

عثمان دای ١٢

العثماني ٧٠

العجم ٤٦

عجيب ٥٢ - ٧٣

العرب ١٨ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٦

٤٧ - ٧٣ - ٧٦

عرب افريقية ٤٣

عرب الحياينة ٢٠ - ٧٤

عرب السوس ٢٧

عرب الغرب ٧٤

عرب معقل ١٠٨

العلاء بن الحضرمي ٨٧

العلوج ٧٧ ٨٣

العلويون ٢٦

على ٣٩

على بن سعيد ٦٠

على بن عبد الرحمن ٥٨

عمر ٦٦

عيسى بن عبد الرحمن ٨١

مسعود بن عبد الله ٥٨	١٢ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠
مسعود الشراط ٥٩	٢٢ - ٤١ - ٤٨ - ٥٤ - ٦٦
مسفوة ١٧	مامى العليج ٥٨
مصطفى باشا ٩ - ١٣ - ١٦ -	المأوردى ٤٦
١٧ - ١٨	مبارك السوسى ١٠٠ - ١٠١
مصطفى صولجى ٤٧	محمد باشا العليج ٧٨
معاوية ٤٠ - ٦٨	محمد بن أبى بكر الدلائى ٢٨
المقدم أبو الليف ٢٢	محمد بن أبى عمرو ٤٨
المقدم النقيس ٢٣	محمد بن إبراهيم الشيفمى ٤١
الملاقة ٣٤	محمد بن الحسن بن أبى القاسم ٣٨
المنتصر ٩٩	محمد بن سليمان النمطى
منصور العكارى ٤٩	- الأفرع - ٥٨
منويل ٢٣ - ٧٧ - ٨٢ - ٨٤	محمد بن الشريف السجلماسى ٨٨
١٠٩	١٠١ - ١٠٣ - ١٠٥ - ١٠٨
المواق ٤٢	محمد بن الشيخ - زغودة - ٥٧
	٧٢
حرف (ن)	محمد بن عبد المومن بن محمد
الناصر بن الزبير ٧٤	الشيخ ١٠
النجلز ٩٤	محمد السنوسى ٢٥
النصارى ١١ - ٢١ - ٢٧ -	محمد الشرقى ٤١
٤٥ - ٥٠ - ٥١ - ٦٩ - ٧٤	محمد الشيخ بن زيدان السعدى ٧٢
٧٥ - ٧٦ - ٨٧ - ٩٠ -	٩٧ - ٩٨ - ١٠٢ - ١٠٣ -
٩٢ -	١٠٤ - ١٠٧ - ١٠٨
نصارى الجديدة ٢٤ - ٢٥ - ٧٠	محمد الشريف ٧٩
حرف (ه)	محمد الفزارى ٩٢
الهبطى ٤١	المرايط الاندلسى ٤١

هشوة ٣٢

حرف (و)

الوطاسيون ٥٠

ولد آصناك ٤١

حرف (ي)

يحيى اجانا الوزكيتي ٧٢ -

٧٨ - ١٠٧

يحيى بن عبد الله بن بن سعيد

الحاحي ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ -

٣٦ -

يزرور ٥٨

يزيد بن معاوية ٣٩ - ٤٠

اليفرني ٣٣ - ٣٤ - ٥٩ - ٦٠

٧٠ - ٧١ - ٧٦ - ٩٥ -

٩٦ - ٩٨ - ١٠٨

اليوسي ٢٨ - ٣١ - ٩٧ - ١١٠

يونس الايسي ٣٠

يونس اليوسي ٤٢ - ٤٣

اليهود ٨١

فهرس الأماكن

حرف (أ)

- آزمور ٢٤ - ٢٥ - ٣٧ - ٥٠
 - ٥١ - ٦٩ - ٨٦ - ٨٧
 آسفى ٣٧ - ٨٢
 أرض المغرب ٥١
 ادخسان ١٨ - ١٩
 الاسكندرية ٩٢
 افريقية ١٢ - ٤١
 اكلميم ٧
 أم الربيع ١٩ - ١٠٢
 ام كرس ٦٩
 الاندلس ١١ - ٥١ - ٦١
 ابلنج ٧٩ - ٨١ - ١٠٢

حرف (ب)

- باب الجيسة ٥٣
 باب الخميس ٨٤
 باب السبع ٥٦
 باب السلسلة ١٨
 باب الفتوح ١٦ - ٥٤
 باب المسافرين ٥٣
 باب المعلقة ٧٥

البرج الجديد ٥٦

- بر العدو ٣١
 بلاد تلمسان ١١
 بلاد الخلط ٩٢
 بلاد دكالة ٦٩ - ٧٠ -
 - ٩٢ - ٩٣
 بلاد الريف ٢٠
 بلاد الغرب ١٢ - ٧٢ - ٩٤ -
 ٩٨ - ٩٥
 بلاد فارس ٨٧
 بلاد الفحص ٢٢
 بلاد المغرب ١١ - ٨٤
 بلاد الهبط ٥٢
 بور كراك ١٣
 البيضاء ١٠٢

حرف (ت)

- تارودانت ٦١ - ٦٤ - ٦٨
 تازا ٧٣ - ٨٤ - ٩٩
 تادلا ٤ - ٧١
 تافلالت ٩
 تامسنا ١٩ - ٧٣ - ٨٤ - ٨٦

حرف (ح)

حجر باديس ٢٠
الحرم الشريف ٣٩
حلق المعمورة ٧٤ - ٧٦
الحمراء ١٠٢
حواتة ٥
الحيانة ٨٦

حرف (خ)

الخدق ٧٥
خولان ٥٤

حرف (د)

دار ابن مشعل ١٦
دار القيطون ٥٤
دجلة ٨٧
درعة ٨ - ٣٥ - ٥١

حرف (ر)

رأس الماء ١٩
رأس العين ٤٩
الراشدية ٣٠
الرباط ٨٤
روضة أبي الشتاء ٩٢

تطاوين ١٢ - ١٩ - ٢٢ - ٢٣
تلمسان ٦ - ٨ - ١١ - ٣٧ -
٥٢ - ٥٣ - ١٠٣
تونس ١١ - ١٢ - ٤١
تيط ٨٢

حرف (ث)

ثغر آسفى ٣١

حرف (ج)

جامع القرويين ١٤ - ٥٤ - ٥٥ -
٦٠ - ٧٨
جبال الزيب ٥٦
الجليل الاخضر ٦٩
جبل الحديد ٨٤
جبل جليز ١٠
جبل درن ٣٢ - ٣٥
الجزائر ٨ - ١٢ - ٩٠
جزيرة الاندلس ١٢
جزيرة العرب ٧٠
جزيرة قادم ٥٠
الجديدة ٣١ - ٦٩ - ٨٧ - ٨٨
جنان بكار ٨

حرف (ز)

زاوية الدلاء ٩٠

زاوية القاضي ٢٦

الزرباطنة ٥٨

زرهون ٥٦

زداغة ٣٥

حرف (س)

ساحل البحر المحيط ٨٢

ساحل الرمل ٧٥

سجلماصة ٨ - ٢٦ - ٢٧ - ٣٠

٤٧ - ١٠٠ - ١٠٢

سلا ١٢٩ - ٢٤ - ٢٥ - ٥٠

٥١ - ٥٣ - ٧٥ - ٧٦ - ٨٤

٨٥ - ٨٦ - ٨٨ - ٩٢ - ٩٥

١٠٩ - ١١٠ - ١١٢

سلاس ١٠٩ - ١١٠

السودان ٥ - ١١

السوس ٨ - ١٣ - ١٧ - ٣٥

٤٧ - ٤٨ - ٦٠ - ٧٩

١١٠

سوق العطارين ١٠٠

سويقة ابن صافي ٨٩

حرف (ش)

الشام ١٢

الشياطنة ٨٤

حرف (ص)

صهاجة ٩٦

حرف (ط)

طنجة ٢٣ - ٧٥ - ٨٩

حرف (ع)

العراش ١٣ - ١٨ - ١٩ -

٢٠ - ٢١ - ٣٠ - ٥٠ - ٥٤

٨٧ - ٨٩

العراق ٣٩

عين السبع ٧٥

عين القصب ٩٢

حرف (غ)

الغرب ٣ - ٨ - ١٩ - ٢٧ -

٤٣ - ٤٨ - ٩٤ - ٩٩ -

١٠١ - ١٠٢

غرناطة ١١

حرف (ك)

كاغوه

كريكرة ٢٧

حرف (ل)

لطة ٥٥

حرف (م)

المدائن ٨٧

المدسة العنانية ٥٨

المدنية المشرفة ٩٢

مراكش ٩ - ٧ - ٦ - ٥ - ٤

١٦ - ١٤ - ١٣ - ١٢ - ١٠

٣٠ - ٢٥ - ١٩ - ١٨ - ١٧

٤٧ - ٣٧ - ٣٤ - ٣٢ - ٣١

٦٩ - ٦٥ - ٦١ - ٦٠ - ٤٨

٨٣ - ٧٨ - ٧٧ - ٧٢ - ٧٠ -

١٠٢ - ٩٦ - ٨٨ - ٨٧ - ٨٤

١٠٨ - ١٠٧ - ١٠٣ -

١١٢ - ١٠٩ -

مرسى الخلق ٥٥

مسجد الجرف ٥٥

مرس الرماء ١٣ - ٧

المسرة ٨٢

مسفوة ١٣ - ٧

حرف (ف)

فاس ٩ - ٨ - ٧ - ٦ - ٥ - ٤

١٣ - ١٢ - ١١ - ١٠ -

١٩ - ١٨ - ١٧ - ١٦ - ١٤

٢٦ - ٢٣ - ٢٢ - ٢١ - ٢٠ -

٥٧ - ٥٥ - ٣٥ - ٣٤ - ٢٧ -

٧٨ - ٧٢ - ٧٠ - ٥٩ - ٥٨

١٠٣ - ٩٧ - ٨٩ - ٨٥ - ٨٤

١١١ - ١١٠ - ١٠٩

فاس الجديد ١٤ - ٥٤ - ٥٦ -

٧٣ - ٥٨

الفحص ٢٥ - ٢٢

قم تانوت ٣٢

حرف (ق)

قبور الاشراف ١٠٧

قصبة مراكش ١٠٧

القسطنطينية ٧٠ - ١٢

قشتالة ١١

القصر الكبير ٢٠ - ١٣

القرويين ٥٦

قلعة سلا ١٢

قنطرة المهدومة ١٨

حرف (و)	مشرع أبى الاعوان ٨٧
	المشرق ٤ ٦
	مصر ١٢
وادی ام الربیع ٥ - ١٩ - ٨٧	المعمورة ٥٠ - ٥١ - ٧٤
وادی بورکراک ١٢	المغرب ٤ ١١ - ٢٦ - ٤٠ -
وادی بهت ٥٧	٤٣ - ٤٥ - ٤٧ - ٦٠ - ٦١
وادی الساوره ٢٨ - ٣٠	٦٥ - ٧٠ - ٧٨ - ٨١ - ٩٢
وادی الطین ٥٧ - ٩٤	٩٧ - ٩٩ - ١١٢
وادی فاس ١٨	المغرب الاقصى ١٢ - ٢٧
وادی العرائش ٧٧	مکه ٩٢
وادی العبد ٩٨ - ٩٩ - ١٠٢	مکناسه ٣ ٤ - ٥٧ - ٥٨ - ٩٧
وادی المخازن ٢٧	ملویه ١٠١
وجده ١٠٠	المهدیه ٥٠
الوليدية ٨٢	
وهران ١١	

الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الاقصى



الدولة العلوية



الجزء السابع



محقق وتعليق ولدى المؤلف :

الاستاذ جعفر الناصري — والاستاذ محمد الناصري



حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف



دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٦

الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الاقصى

الدولة العلوية

الجزء السابع

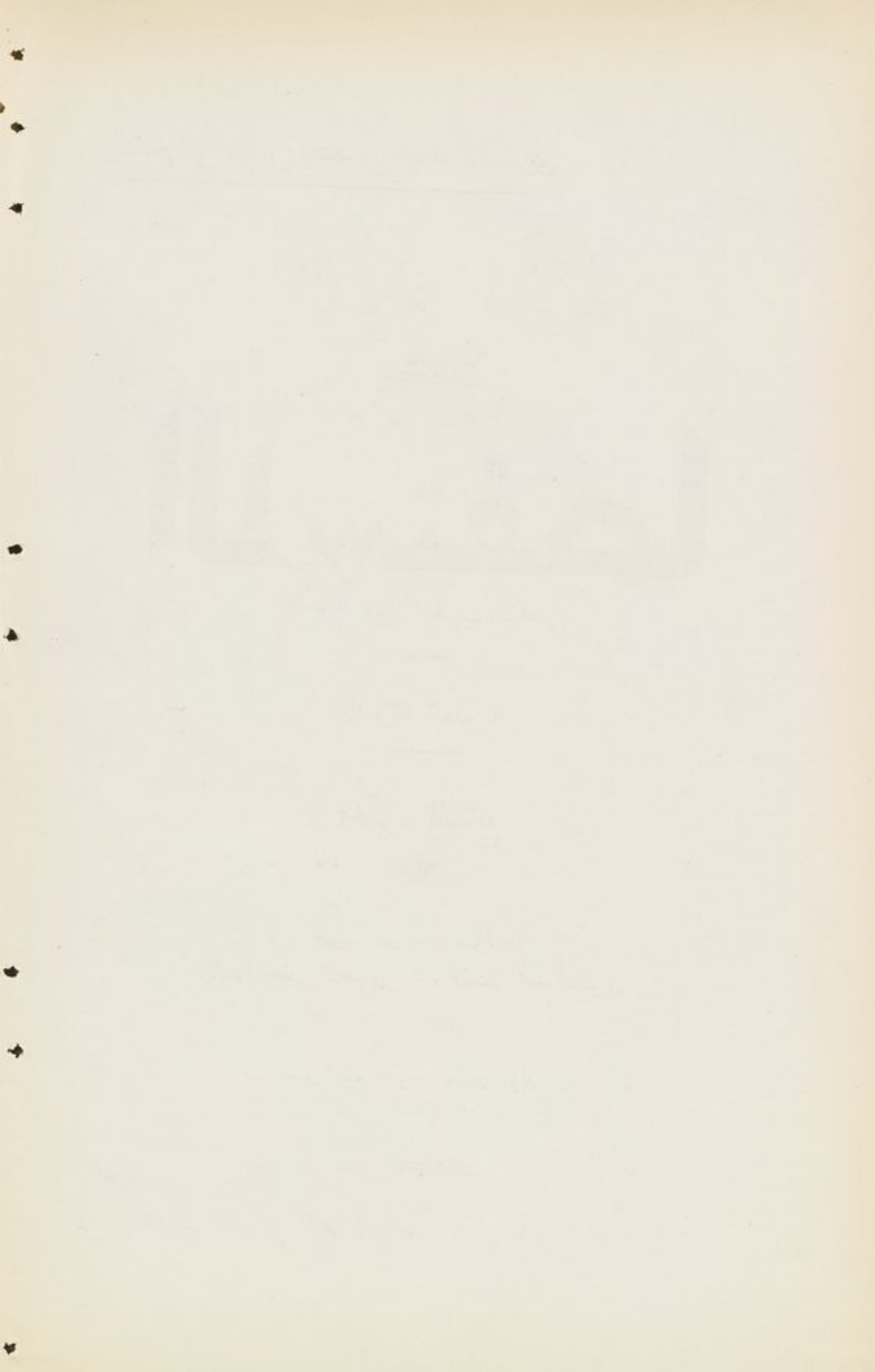
تحقيق وتعليق ولدى المؤلف :
الاستاذ جعفر الناصري — والاستاذ محمد الناصري

حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٦



الدولة العلوية

الخبر عن دولة الاشراف السجلمايين من آل علي الشريف
وذكر نسبهم واوليتهم

اعلم ان نسب هذه الدولة الشريفة العلوية من أصرح الانساب ،
وسببها المتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم من أمتن الاسباب ، واول
ملوكها كما سيأتي هو المولى محمد بن الشريف بن علي الشريف المراكشي
ابن محمد بن علي بن يوسف بن علي الشريف السجلماسي ابن الحسن بن
محمد بن حسن الداخل ابن قاسم بن محمد بن أبي القاسم
ابن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة
ابن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن بن أحمد بن اسمعيل بن
قاسم بن محمد النفس الزكية ابن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى ابن
الحسن السبط ابن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هكذا
ذكر هذا النسب ، الذي هو حقيق بأن يسمى سلسلة الذهب ، جماعة
من العلماء كالشيخ أبي العباس أحمد بن أبي القاسم الصومعي ، والشيخ
أبي عبد الله محمد العربي بن يوسف الفاسي ، والعلامة الشريف أبي محمد
عبد السلام القادري في كتابه : «ادر السني فيما بفاس من النسب الحسنی»
وغيرهم .

وقد تقدم في اخبار السعديين أن الصواب أن يزداد في عمود هذا
النسب الشريف بعد قاسم الآخر ما نصه : ابن الحسن بن محمد بن عبد
الله الاشراف ابن محمد النفس الزكية الى آخر ما مر
قال ابو عبد الله الفاسي في المرأة : «ان الشرفاء الذين لا يشك في

شرفهم بالمغرب كثيرون كالجوطين من الحسينين الادريسين ، وكشرفاء تافيلالت من الحسينين أيضا المحمديين ، وكالصقليين والعراقيين وكلاهما من الحسينين بالياء الساكنة بين السين والنون ، فان شرف جميعهم لا يختلف فيه اثنان من اهل بلادهم ومن يعرفهم من غيرهم» اهـ

وعن شيخ الجماعة الامام أبى محمد عبد القادر الفاسى رحمه الله أنه قسم شرفاء المغرب بحسب القوة والضعف الى خمسة أقسام ومثل للقسم الاول المتفق على صحته باصناف منهم هؤلاء السادة السجلماسيون . وقال الشيخ أبو على اليوسى رحمه الله : «شرف السادة السجلماسيين مقطوع بصحته كالشمس الضاحية فى رابعة النهار .» وعن الشيخ أبى العباس أحمد ابن عبد الله بن معن الاندلسى أنه كان يقول : «ما ولى المغرب بعد الادارسة أصح نسبا من شرفاء تافيلالت .

وبالجملة فان شرف هؤلاء السادة السجلماسيين مما لا نزاع فى صراحته ، ولا خلاف فى صحته عند أهل المغرب قاطبة بحيث جاوز حد التواتر بمرا ترضى الله عنهم ونفعنا بهم وبأسلافهم آمين .

دخول المولى حسن بن قاسم الى المغرب واستيظانه بسجلماسة

والسبب فى ذلك

▼

قالوا : ان أصل سلف هؤلاء السادة رضى الله عنهم من ينبع النخل من أرض الحجاز . قالوا : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقطع جدهم على بن أبى طالب أرض ينبع فاستقرت ذريته به وتناقلت الى هذا العهد ، وكان اول من دخل منهم المغرب المولى حسن بن قاسم ، فحكى عن الفقيه العالم أبى عبد الله محمد بن سعيد المرغيشى صاحب الرجز المسمى : بالمقنع قال « أخبرنى الشيخ الامام المولى أبو محمد عبد الله بن

على بن طاهر الحسنى أن جده الداخلى الى المغرب هو المولى حسن بن قاسم قال : « وكان دخوله اليه فى أواخر المائة السابعة وكان يومئذ من أبناء الستين ونحو ذلك وتوفى رحمه الله قبل انقضاء المائة المذكورة » اهـ

وخبر ابن طاهر هذا هو أصح ما ينقل فى كيفية الدخول ووقته . وذكر بعضهم عنه أن دخوله كان سنة أربع وستين وستمائة . وقال الشيخ أبو اسحق ابراهيم بن هلال : ان دخوله كان فى أوائل الدولة المرينية ، ذكر ذلك فى منسكه فعلى هذا يكون دخوله فى دولة السلطان يعقوب بن عبد الحق المرينى ، وقد أشرنا الى ذلك فى محله فيما سلف . وقال العلامة أبو سالم العياشى فى رحلته : « ان المولى حسن بن قاسم دخل المغرب فى المائة السابعة وكان سكناه من ينبع النخل بمدشر يعرف بمدشر بنى ابراهيم . فهؤلاء كلهم اتفقوا على ان الدخول كان فى المائة السابعة وهو الصحيح الصواب ان شاء الله . وزعم بعضهم أن ذلك كان فى المائة السادسة وهو بعيد . واختلفوا فى السبب الداعى الى دخول هذا السيد الى المغرب . فذكر صاحب كتاب ، « الانوار السنية فيما سجلماسة من النسبة الحسنية » أن سبب دخوله أن ركب الحاج المغربى كان يتوارد على الاشراف هنالك وكان شيخ الركب فى بعض القدمات رجلا من أهل سجلماسة يظن أنه السيد أبو ابراهيم ، فلما حج اجتمع بالموسم بالسيد حسن المذكور ، وكانت سجلماسة وأعمالها يومئذ شاغرة من سكنى الاشراف فلم يزل أبو ابراهيم يحسن للمولى حسن موطن المغرب والسكنى بسجلماسة حتى استماله فاجمع السير مع الركب ، وقدم به أبو ابراهيم ناستوطن ببلدهم سجلماسة . وقال حافده المولى أبو محمد عبد الله بن على بن طاهر فيما قيد عنه : « وكان الذى أتوا به من أهل سجلماسة أولاد البشير وأولاد المنزارى وأولاد المعتمص وأولاد ابن عاقلة وصاهره منهم أولاد المنزارى » اهـ

وذكر صاحب الارجوزة : أن الشيخ أبا ابراهيم الذى جاء به من ذرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وقال بعضهم : ان أهل سجلماسة لم تكن تصلح الثمار ببلدهم فذهبوا الى الحجاز بقصد أن يأتوا برجل من أهل البيت

تبركا به فأتوا بالمولى حسن المذكور فحقق الله رجاءهم وأصلح ثمارهم حتى عادت بلادهم هي هجر المغرب . وقال غيره : ان سبب اتيانهم به أن الاشراف من آل ادريس رضى الله عنه كانوا قد تفرقوا ببلاد المغرب وانتشر نظامهم واستولى عليهم القتل والصغار من أمراء مكناسة وغيرهم فقل الشرف بالمغرب وأنكره كثير من أهله حقنا لدمائهم ، فلما طلع نجم الدولة المرينية بالمغرب أكبروا الاشراف ورفعوا أقدارهم واحترموهم ، ولم يكن ببلد سجلماسة أحد من آل البيت الكريم فأجمع رأى كبرائهم وأعيانهم أن يأتوا بمن يتبركون به من أهل ذلك النسب الشريف قليل : ان الذهب يطلب من معدنه ، والياقوت يجلب من موطنه ، أن بلاد الحجاز هي مقر الاشراف ، ولذلك الجوهر النفيس من أجل الاصداف ، فذهبوا الى الحجاز وجاءوا بالمولى حسن على ما ذكرنا فأشرقت شمس البيت النبوى على سجلماسة وأضاءت أرجاؤها ، وظللتها من الشجرة الطيبة ظلالها وأفياؤها ، حتى قيل : ان مقبرة أهل سجلماسة هي بقيع المغرب وكفها هذا شرفا وفخرا ومزية وذخرا ، وذكر بعضهم : أن أهل سجلماسة لما طلبوا من المولى قاسم بن محمد أن يبعث معهم أحد أولاده وكان يومئذ أكبر شرفاء الحجاز ديانة ووجاهة اختبر من أولاده من يصلح لذلك ، وكان له على ما قيل ثمانية من الولد ، فكان يسأل الواحد منهم بعد الواحد ويقول له : « من فعل معك الخير فما تفعل معه أنت ؟ » فيقول : « الخير » « ومن فعل معك الشر ؟ » فيقول : « الشر » فيقول : « اجلس » الى أن انتهى الى المولى حسن الداخل فقال له كما قل لاخوته فقال : « من فعل معي الشر أفعل معه الخير » قال : « فيعود ذلك بالشر » قال : « فأعود له بالخير الى أن يغلب خيري على شره » فاستنار وجه المولى قاسم وداخلته أريحية هاشمية ودعا له بالبركة فيه وفي عقبه فأجاب الله دعوته . وكان المولى حسن الداخل رجلا صالحا ناسكا له مشاركة في العلوم خصوصا علم البيان فانه كانت له فيه اليد الطولى ، ولما استقر بسجلماسة واطمأنت به الدار وزوجه الشيخ أبو ابراهيم ابنه وسكن على ما قيل بموضع قال له : المصلح ، ولما توفي تنازع أهل سجلماسة في موضع دفنه حتى

كادت نار الحرب تشب بينهم فتأجمع رأيهم أن يدفنوه بمحل وسط هم فيه سواء ، فمسحوا أرض سجلماسة بالحبال وقسموها أرباعا ودفنوه بمكان سوى يتوسط جميع النواحي ، ولم يحفظ تاريخ وفاته ، وما استنبطه القرنى فى ذلك فمبنى على غير أساس . والله تعالى أعلم .



ذكر ذرية المولى حسن بن قاسم وتناسلها بالمغرب والامام

بشئىء من مناقب المولى على الشريف



لما توفي المولى حسن بن قاسم رحمه الله لم يخلف الا ولدا واحدا ، وهو المولى محمد ، ثم خلف المولى محمد هذا ولدا واحدا أيضا ، وهو المولى الحسن . يسمى باسم جده ، وهو المدفون حول المدينة الكبرى بازاء الشيخ أبى عبد الله الحراز من أرض سجلماسة ، وخلف المولى الحسن المذكور ولدين . أحدهما : المولى عبد الرحمن المكنى بابى البركات ، وهو أكبرهما ، ومن ذريته أولاد أبى حميد بالتصغير القاطنون بوادى الرتب بالقصر الجديد على مرحلة من سجلماسة . ومنهم أيضا الشرفاء النازلون ببني زروال ، وثانيهما : المولى على المعروف بالشريف ومنه تفرعت فروع المحمدين وتكاثرت وكان رحمه الله رجلا صالحا مجاب الدعوة كثير الاوقاف والصدقات حاجا مجاهدا ذا همة سنية وأحوال مرضية .

رحل فى بعض الاوقات الى فاس واستوطنها مدة طويلة . وكان سكناه منها بالحومة المعروفة بجزاء ابن عامر من عدوة القرويين ، وترك هنالك دارا ثم أقام مدة بقرية صفرو خلف بها عقارا وآثارا هى بها الى الآن ، وأقام مدة أخرى ببلد جرس التى على مرحلتين ونصف من سجلماسة ، وترك بها مثل ذلك . ودخل عدوة الاندلس يرسم الجهاد مرارا وأقام بها مدة طويلة ثم عاد الى سجلماسة ، فكاتبه أهل الاندلس يطلبون منه العود اليهم ويحضونه

على الاعتناء بأمور الجهاد ، ويشكون اليه ضعف أهل الاندلس عن مقاومة العدو ، وأنها شاذرة ممن تجتمع عليه القلوب ، وقد كانوا راودوه ، وهو مقيم عندهم ، على أن يبايعوه ويملكوه عليهم والتزموا له الطاعة والنصرة فرغب عن ذلك ورعا وزهدا وعزوفاً عن الدنيا وزهراتها ، قال اليفرنى رحمه الله : وقد وقفت على رسائل عديدة بعث بها اليه علماء غرناطة يحضونه على الجواز اليهم واستنفار المجاهدين الى حماية بيضتهم ويذكرون له ان كافة أهل غرناطة من علمائها وصلحائها ورؤسائها قد وظفوا على أنفسهم من خالص أموالهم دون توظيف سلطان عليهم أموالاً كثيرة برسم الغزاة الذين يردون معه من المغرب ، وحلوه في بعض تلك الرسائل بما نصه : « الى الهمام الضرغام قطب دائرة فرسان الاسلام الشجاع المقدام ، الهصور انفاتك ، الوقور الناسك ، طليعة جيش الجهاد ، وعين أعيان الانجاد ، المؤيد بالفتح في هذه البلاد ، المسارع الى مرضات رب العباد ، مولانا أبى الحسن على الشريف » اه نص التحلية . وكتبوا مع ذلك الى علماء فاس يلتمسون منهم ان يحضوا المولى عليا على العبور الى العدو فكتب اليه أعلام فاس بمنال ذلك وحثوه على المسارعة الى اغاثتهم ، وذكروا له فضل الجهاد وانه من أفضل اعمال البر ، وكان من موجبات تخلفه عن اغائة أهل غرناطة أنه كان قد عزم على الذهاب الى الحج فقالوا له في بعض تلك الرسائل : وعوضوا هذه الوجهة الحجة التي أجمع رأيكم عليها ، وتوفر عزمكم لديها بالعبور الى الجهاد فان الجهاد ، أصلحكم الله في حق أهل المغرب ، أفضل من الحج كما أفتى به الامام ابن رشد رحمه الله حين سئل عن ذلك ، وقد بسط الكلام عليه في أجوبته ووجه ما ذهب اليه من ذلك اه . وكان ممن كتب اليه من علماء غرناطة جماعة منهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن سراج شيخ المواق وقاضى الجماعة بها . ومن شيوخ فاس الذين كتبوا اليه الفقيه أبو عبد الله العكرمى شيخ شيوخ الامام ابن غازى ، وأبو العباس أحمد بن محمد بن ماواس ، وأبو زيد عبد الرحمن الرقعى صاحب الرجز المشهور وغيرهم .

ومما ضمنه أهل الاندلس في رسائلهم القصيدة الآتية في مدح المولى
على وصاحبه الفاضل أبي عبد الله محمد بن إبراهيم العمري وحثهما على
اجابتهما وهي من انشاء الفقيه أبي فارس بن الربيع الغرناطي يقول فيها :

أياراكبا يطوى الفاويز والقفرا رشدت ولقيت السلامة والخيـرا
ترحل وجد السير يوما و ليلة وسافر تجدها في مطالعها زهرا
تحمل رعاك الله منسى الى الحما تحية مشتاق تهيجه الذكر
وأم ديار الحى من سجلماصة فتلك ديار تجمع العز والفخرا
وسلم على تلك الديار وأهلها سلام محب لم يطلق عنهم صبرا
فعندى لهم حب جرى فى مفاصلى ومازج منى العظم والدم والشعرا
فتلك بقاع الدين والخير والهدى فكم من تقى فى سماها سما بدرا
هم القوم لا يشقى بهم جلساؤهم بضوع عير الزهر من بينهم نشرا
وقل يا أهيل القبلة السادة الاولى اذا مادعوا فى حادث أسرعوا الفـرا
وخص سليل الهاشمى ابن صهره على الذى يعلو على زحل قدرا
أبا الحسن المولى الشريف الذى به على الغرب شمس النصر طبقت الصـحرا
ولاحت بافاق القلوب عجائب بها سلب الالباب تحسبها سـحرا
هو الصقر مهما اهتز كل مجلجل هزير اذا ما انشب النـاب والظفـرا
هو الغوث ان دارت رحى الحرب للقا وغيث اذا المزن ما أرسلت قطـرا
أغار على الاعلاج فاجتاح جمعهم وجدا لهم قـتلا وشددهم أسـرا
بطنجة قد طاب الممات لزمرة بنصرتها ترجو من الملك الاجـرا
دعاها بأقصى السوس قوم فأسرجوا من الصافات الجرذلـم يأخذوا الحـذرا
فهبت ركاب القوم والشمس أشرقت وأرهق جيش الله أعداءه خـسرا
ولا عجب ان الالى هو منهم ليوث الثرى قدأوسعوا مرجبا شـرا
أجر جارك اللفان مسن غمراته أبا حسن وانصر جزيرتك الحـضرا
وناد أبا عبد الاله خليلكم به تجلب السراء فى حادث الضـرا
سليل أبى اسحق أكرم به أبا لقدخلف الفرع الزكى الرضى البرا
أليس الذى لى نداء أهل طنجة وجمع أهل الغرب من حينه طـرا

وأوقع بالكفار أى وقعة
وأصبح نعر الدين أنشأ باسمه
ونال من الله السعادة والرضى
وقل أيها العدل الذى اتخذ التقى
أرى كل ما فى الغرب أصبح قانطا
وغرناطة الغراء نادتكما أهلا
فساكنها وقف عليكم رجاؤه
فجئنا بمن فى أرضكم حاميا لهم
حماة أباة الضيم من كل ماجد
فدونكما الكفار تعنى طغاتها
لقد طمع الكفار ملك رقابنا
منازلنا من كل حصن وقرية
فكم من ضعيف لا حراك بجسمه
وبيض وسمر من اوانس كالدماء
ومبر جمع للخطابة والدعا
وكرسى علم مقعد لمهذب
وأجدات أبناء الصحابة فوقها
تناديكما غوثا من الله سرعة
فتحوا لنا بالسير بعدا وقربة
وعزما بأخرى مثل تلك التى مضت
وانتم بحمد الله تدرون ما أتى
فله ما أسنى وددت لو أتى
وما فى كتاب الله من آية أتت
خذاها بحمد الله عذرا جبينها
وتبلغ عنى للكرام تحية
فعوننا رجال الله عوننا لعدوة

فمن لم يمت بالسيف مات له ذعرا
وأرهب وجه الكفر من حزن قترا
وجنات عدن فى المعاد له ذخرا
شعارا وسامى فى منازلها الشعرا
لاندلس يرجو بطلعتكم نصرا
وبالراية البيضاء كى تنصر الحمرا
كبيرهم والطفل والكاعب العذرا
رجالا وفرسانا غطارفة غرا
كريم يبارى الغيث والسيل والبحرا
وتشعب من قتلاهم الوحش والطيرا
واهلاكهم فى ارضا الحرث والثمرا
تناديكما غوثا لخطب أتى أمرا
وشيخ بها أربى على مائة عشرا
وصية مهد لا تع النفع والضرا
ومسجد دينن للصلاة وللآقرا
تصدر يملأ ما يضى لنا الصدرا
وكل ولى أشعث لا بس طمرا
فقد كاد أن يستأصل الكفر ذا البرا
أجيرانا من كيد من أضمر الجؤرا
ليصر هذا الفئس مثلكم كبرا
عن المصطفى فى الغزو من خبر خبرا
قتلت فأجبنى ثم اقل مذ مرا
كشمس الضحى فى الصحو سافرة غرا
يضع شذى تهدي لمفنا كما عطرا
من أندلس للغرب قد عبروا البحرا
أحاطت بها البأساء واشتدت الضرا

فأنتم لنا الجند القوى ونحوكم تشوفنا فاستعجلوا نحونا السيرا
 ونثنى على خير البرية ذى الهدى محمد المبعوث بالملة السيرا
 وآل وصحب ثم تال لنهجهم ومن لدوى الاسلام قد قصد النصرا
 وبهذه الرسائل العذبة الالفاظ المستوفقة اللاحاظ يعلم أن المولى عليا
 الشريف رحمه الله كان مشهورا فى عصره ، متقدما على كافة أهل مصره ،
 وانه كان ملحوظا بالاجلال عندهم والاكبار ، وان هذه الدار العالية البناء
 والاسوار معظمة من لدن قديم ، مشهود لها بالخير والتقديم ، وأظن أن
 وقعة طنجة المشار اليها فى هذه القصيدة هى وقعة سنة احدى وأربعين
 وثمانمائة ، وقد تقدمت الاشارة اليها فى محلها .

وقد كان للمولى على المذكور جهاد فى ناحية أكدج من بلاد السودان
 ورزق الظفر والفتح كما ذكره مبسوطا فى «النزهة» فليُنظر هناك .

وذكر صاحب كتاب الانوار السنية ان المولى عليا مكث أربع عشرة
 سنة لا يولد له ثم ولد له بعد ذلك ولدان : أحدهما المولى محمد بفتح
 الميم ، والثانى أبو المحاسن يوسف وهو أصغرهما ، أما المولى محمد فخلف
 أربعة أولاد وهم : السيد الحسن والسيد عبد الله والسيد على والسيد قاسم
 وهم على هذا الترتيب فى السن ، ويقال لسائرهم : أولاد محمد نسبة الى
 هذا الجد وفروعهم كثيرة يطول تتبعها . وأما المولى يوسف فانه ولى
 زاوية أبيه وأجمع الناس على انه المتأهل لها دون غيره لرزاقته ووفور عقله
 فتولاها بعد نزاع ورسم توليته لها لم يزل موجودا عند بعض حفدته .
 وكان ذلك كله فى دولة بنى مرين .

وقال صاحب كتاب الانوار : وقد قيل انه لم يكن له ولد حتى بلغ
 ثمانين سنة فولد له تسعة من الولد خمسة منهم اشقائه ، وامهم حليلة من
 ذرية بعض المرابطين بسجلماسة ، وهم السيد على وهو جد الملوك أبقى
 الله فضلهم ، والسيد أحمد ، والسيد عبد الواحد ، والسيد الطيب ، والسيد
 عبد الواحد المكنى : بأبى الغيث جد الاشراف البلغيثيين ، وانما كنى بذلك
 لكثرة ما نزل من الغيث عند ولادته ، وكان الناس قبله فى جذب شديد .

وهم على هذا الترتيب فى السن . وأربعة أشقاء أمهم طاهرة من ذرية بعض المرابطين أيضا وهم : السيد الحسن بالتكبير والسيد الحين بالتصغير والسيد عبد الرحمن والسيد محمد ، ومن منازل هؤلاء الأشقاء اليوم الموضع المعروف بأخنوس .

وتفصيل انساب هؤلاء الاولاد الثمانية يطول فلنقتصر على ذكر المولى على المثنى لانه الغرض المقصود فنقول : ولد للمولى على المذكور ثلاثة من الولد وهم : السيد محمد والسيد محرز والسيد هاشم جد الاشراف المرانيين أهل زاوية اللمرانى . وكلهم قد عقبوا فاما المولى محمد فولد له المولى على الشريف المراكشى وهو المثلث مع عدة اولاد سواء ، والمولى على هو جد الملوك أيضا وتوفى بمراكش وبنى عليه حافده أمير المؤمنين المولى ارشيد قبة بديعة تلقاء ضريح القاضى عياض رحمه الله . وولد للمولى على الشريف المذكور تسعة من الولد المولى الشريف اسما وكانت ولادته سنة سبع وتسعين وتسعمائة وهو جد الملوك . والمولى الحفيد ، والمولى حجاج والمولى محرز والمولى حرون والمولى فضيل والمولى أبو زكرياء والمولى مبارك والمولى سعيد ، فهؤلاء هم أولاد المولى على الشريف ، وكان المولى الشريف أفضلهم وأشرفهم وله رحمة الله عدة أولاد كلهم نجوم زاهرة ذوو همم باهرة ، منهم المولى محمد بفتح الميم وهو أكبرهم والمولى الرشيد والمولى اسمعيل ، وهؤلاء الثلاثة ولوا الامر بالمغرب على هذا الترتيب ومنهم المولى الحران وسياتى ، والمولى محرز والمولى يوسف والمولى أحمد والمولى الكبير والمولى حمادة والمولى عباس والمولى سعيد والمولى هاشم والمولى على والمولى مهدى وهو شقيق اسمعيل من بينهم . هذا ما تيسر ذكره من نسب هذه الدولة الشريفة ، ذات الظلال الوريقة ، وبالله التوفيق .



الخبر عن رياسة المولى الشريف بن على وما دار بينه وبين ابى حسون السملالى المعروف بابى دميعة



قد قدمنا أن ظهور أبى حسون السملالى كان فى أيام السلطان زيدان ابن المنصور السعدى وانه استولى على القطر السوسى أولا ثم تناول درعه وسجلماسة ثانيا ، قالوا : وكان استيلاؤه على سجلماسة سنة احدى وأربعين وألف باستدعاء المولى الشريف بن على له واستصراخه اياه على بنى الزبير أهل حصن تابوعصامت أعدائه ، كذا فى البستان ، فقدمها أبو حسون واستولى عليها وولى عليها عاملا من قبله ورجع الى مقره من أرض السوس .

وقال اليفرنى فى «النزهة» كان أبو الاملاك المولى الشريف بن على وجيها عند أهل سجلماسة وسائر المغرب يقصدونه فى المهمات ويستشفعون به فى الازمات ، ويهرعون اليه فيما جل وقل ، قال : وكان قد مر ذات يوم وهو صبى ، على الامام المولى أبى محمد عبد الله بن على بن طاهر الحسنى فسأل عنه اذ لم يكن يعرفه قبل ذلك ، ف قيل له : هو ابن المولى على الشريف ففرح به أبو محمد ومسح على ظهره وقال : ماذا يخرج من هذا الظهر من الملوك والسلاطين ، فعلم الناس أن ذلك كائن لا محالة لما يعلمون من صحة كشف أبى محمد وصدق فراسته ، فكان المولى الشريف بعد أن كبر وولد له الاولاد يشيع أن هذا الامر لابد أن يصير الى بيته ويكون لهم شأن عظيم اعتمادا على فراسة أبى محمد بن طاهر رحمه الله .

ثم كان بين المولى الشريف المذكور وبين أهل تابوعصامت ، وهى حصن منيع من حصون سجلماسة ، عداوة تامة ، فاستصرخ عليهم أبا حسون السملالى صاحب السوس لصداقة كانت بينهما ، واستصرخ أهل تابوعصامت أهل زاوية الدلاء ، فأغاث كل منهما من استصرخه ، والتقى العسكران معا بسجلماسة لكنهما انفصلا على غير قتال حقنا لدماء المسلمين ، وكان ذلك سنة

ثلاث وأربعين وألف ، ولما رأى أهل تابوعصامت ما بين المولى الشريف وأبى
 حسون من الصداقة والوصلة مالوا بكليتهم الى أبى حسون وخدموه
 بأنفسهم وأولادهم وأظهروا له النصح وصدق المحبة طمعا فى استفساده
 على المولى الشريف اذ كان ظاهرا عليهم به ، فلم يزالوا يسعون فى ذلك
 الى أن أظلم الجو بينهما واستحكمت العداوة وتوفرت دواعيها ، ولما رأى ابنه
 المولى محمد بن الشريف ذلك اهتبل الغرة فى أهل تابوعصامت ، وخرج
 ليلا فى نحو مائتين من الحيل مظهرا أنه قاصد لبعض النواحي ثم كبسهم على
 حين غفلة وتسور عليهم حصنهم فما راع أهل تابوعصامت الا المولى محمد
 فى جماعة قد وضعوا السيف فيهم وحكموه فى رقابهم ، فلم يكن عندهم
 دفاع ، واستمكن منهم واستولى على ذخائرهم ، وشفى صدر أبيه مما كان
 يجده عليهم . ولما انتهى الخبر بذلك الى أبى حسون حمى أنفه واشتد
 غضبه ، وكتب الى عامله بسجلماسة ، واسمه أبو بكر ، يأمره أن يحتال على
 المولى الشريف حتى يقبض عليه ويبعث اليه به حبيسا ، فامثل أمره وتقبض
 على المولى الشريف غدرا بأن تمارض ثم استدعاه لعيادته والتبرك به ، ثم
 قبض عليه وبعث به الى السوس فاعتقله أبو حسون فى قلعة هنالك مدة الى
 أن افتكه ولده المولى محمد بمال جزيل ، وعاد المولى الشريف الى سجلماسة
 فى خبر طويل وكان ذلك كله فى حدود سنة سبع وأربعين وألف .

قال فى البستان : وأعطى أبو حسون المولى الشريف وهو معتقل عنده
 جارية مولدة من سبى المغفرة كانت تخدمه قال : «وهى أم المولى اسمعيل
 وأخيه المولى مهدى» اهـ

ولست أدري ما مراده بهذا ، فان كانت الجارية نسيية فى المغفرة
 فهى حرة فيكون المولى الشريف قد وطئها بمقد النكاح وهذا هو الذى
 يغلب على الظن بدليل أن السلطان الاعظم المولى اسمعيل رحمه الله لما عزم
 على جمع جيش الودايا قال لهم : «أنتم أخوالى» اشارة الى هذا الصهر كما
 سيأتى . وان كانت مملوكة لهم ثم صارت الى أبى حسون فالوطء حينئذ
 كان بملك اليمين . والله تعالى أعلم . وصاحب «البستان» كثيرا ما يجازف

فى النقل ويتساهل فيه فلا ينبغي أن يعتمد على ما ينفرد به من ذلك
وبالله التوفيق

الخبر عن امارة المولى محمد بن الشريف وبيعته بسجلماسة والسبب فى ذلك

لما قبض أبو حسون على المولى الشريف وسجنه عنده كان ولده المولى محمد
«بفتح الميم» مجمعا على اهلاك من بقى من أهل تابوعصامت واستئصال شأفهم،
وكان قد تقوى عضده بعض الشيء بما أخذ من أموالهم فى الوقعة السالفة
فاتخذ بعد تغريب أبيه الى السوس جيشا لا بأس به ، وانضم اليه جمع من
أهل سجلماسة وأعمالها ، وذلك سنة خمس وأربعين وألف . وكان أصحاب
أبى حسون قد أساءوا السيرة بسجلماسة ونصبوا جباله الطمع فى الناس
حتى ملتهم القلوب وزرعوا بغض الملكة السوسية فى قلوب الخاصة والعامة ،
ومن عسفهم أنهم كانوا قد ضربوا الخراج بسجلماسة وأعمالها على كل شيء
حتى على من يجدونه فى الشمس زمن الشتاء ! وفى الظل زمن الصيف !
وضيقوا على الناس حتى ازدرتهم العيون وملتهم النفوس ، فلما قام المولى
محمد واجتمع عليه من ذكرناه آنفا دعاهم الى الايقاع بأهل السوس فأجابوه،
ووجد فيهم داعية لذلك ، فاعصوبوا عليه وصرفوا عزمهم الى محو دعوة
أبى حسون من بلادهم ، فناروا بعماله للحين وأخرجوهم عنها صاغرين بعد
قتال شديد ، ثم أجمع رأيهم على بيعه المولى محمد فبايعوه سنة خمسين
وألف فى حياة أبيه ووافق على بيعته أهل الحل والعقد بسجلماسة فاستتب
أمره واستحكمت بيعته ووافقته المقدر، وساعده السعد وافتتح من ملك المغرب
ببه ، واذا أراد الله أمرا هيا أسبابه .

استيلاء المولى محمد بن الشريف على درعة وطرده ابا حسون السملالى عنها



لما تمت البيعة للمولى محمد بن الشريف وجمع الله سبحانه شمله بأبيه كما مر شمر لمضايقة أبى حسون السملالى وأهل السوس ببلاد درعة اذ كانت تحت ولايته كما قلنا فنهض اليه فى جمع كيف ، ووقعت بينهما حروب فظيعة يشيب لها الوليد ، ثم انقشع سحاب تلك الفتنة عن انتصار المولى محمد وانهزام أبى حسون وفراره الى مسقط رأسه من أرض السوس فاستولى المولى محمد على درعة وأعمالها ، واتسعت اياله وتوفرت جموعه وعظمت جبايته وطار فى بلاد المغرب صيته وكان من أمره ما نذكره .



وقعة القاعة بين المولى محمد بن الشريف واهل زاوية الدلاء

وما نشأ عنها



لما صفا للمولى محمد بن الشريف قطر سجلماصة ودرعة حدثته نفسه بالاستيلاء على الغرب اذ هو يومئذ مقر الرياسة ومتبوا الخلافة فما دام لم يحصل عليه استيلاء فالملك عرضة للزوال ، وصاحبه ناسج على غير منوال وكان الرئيس أبو عبد الله محمد الحاج الدلائى يومئذ مستوليا على فاس ومكناسة وأعمالهما وامتدت ولايته بعد مهلك أبى عبد الله العياشى الى سلا وأعمالها ، فلما ظهر المولى محمد بالصحراء واستفحل أمره وقويت شوكة خاف محمد الحاج منه الوثوب على فاس فعاجله بالحرب وعبر اليه نهر ملوية وكان الدلائى أشد قوة من الشريف وأكثر جمعا ، فضايقه بأقليم الصحراء وقصد سجلماصة مرارا ، وكانت بينهما أثناء ذلك وقعة القاعة ضحى يوم السبت الثانى عشر من ربيع النبوى سنة ست وخمسين وألف ، فكانت الهزيمة

فيها على الشريف ، وتقدم الدلائى الى سجلماسة فافتتحها . واستولى عليها ، وفعلت البربر فيها الافاعيل العظيمة .

ثم انبرم الصلح بينهما على أن ما حازت الصحراء الى جبل بنى عياش فهو للمولى محمد ، وما دون ذلك الى ناحية الغرب فهو لاهل الدلاء ، ثم استثنى اهل الدلاء خمسة مواضع آخر كانت فى ايلة المولى محمد فجعلوها لهم وهى : الشيخ مغفر فى أولاد عيسى ، والسيد الطيب فى قصر السوق ، وأحمد بن على فى قصر بنى عثمان ، وقصر حليلة فى وطن غريس ، وآسرير فى فركلة ، فهذه الاماكن الخمسة شرطوا على المولى محمد أن لا يحرك لهم منها ساكنا .

وانبرم الصلح على ذلك ورجع اهل الدلاء فى جموعهم فما كان غير بعيد حتى اطلع المولى محمد على ما أوجب الفتك بالشيخ مغفر وبعض من شرطوا عليه بقاءه ففتك بهم واصطلم نعمتهم ، فبلغ ذلك اهل الدلاء فجمعوا جموعهم ونهضوا الى سجلماسة عازمين على استئصال المولى محمد وشيعته ، وأن لا يدعوا له قليلا ولا كثيرا . وكتبوا اليه كتابا يتهددونه فيه . ورموه بالغدر ، وأنه ناكث ومقسم حاث ، وأغلظوا له فى الكلام ، وأفحشوا عنيه فى السلام .

فأجابهم المولى محمد برسالة يقول فيها : «الى السيد محمد الملقب بالحاج ابن السيد محمد بن أبى بكر بن سبرى الوجارى الزمورى ومن شمله رداء الديوان ، من الابناء والاخوان ، سلام على جلهم سلام استجاب وسنة ، فقد كتبناه اليكم من سجلماسة ، كتب الله لها من شركم أنفع التمانم ، وألبسها من الظفر بكم أرفع العمامم ، وبعد السلام ، فان نيران هذه الفتن التى أضرمتموها بعد خمودها لستم لها بأهل اذ لم يعرفكم اهل المغرب الا باطعام قصاع العصائد ، وهجو بعضكم لبعض بما لا يسمع من بشيع القصائد ، أما العلوم فقد أقررنا لكم فيها انصافا بالتسليم ، لو قصدتم بها العمل وأجر التعليم ، وأيم الله لئن نظم فينا الديان ، يوما من الدهر شمل الديوان ، لتعائين أنت أو بنوك ما يحبه لنا البنون والاخوان ، ولقد حدث السادة اهل

البصيرة، أن ستدور عليكم منا الدائرة المبيرة، أطمعون في النجاة بعد ترويعكم الشرفاء والشريفات والعابدين والعبادات ؟ فشمروا ان شئتم عن ساعد الجسد للصلح ، واغتموا السلم ما دام يساعدكم وقت النجح ، فان الحرب نار ، والتخلف عنها بعد ايقادها شئار ، والله يعلم أن هذه المراودة ليست بجزع ولا وجل منكم ، وما نشبهكم عند الهراش الا بما يطيش حول المصاييح من الفراش ، بل المراد الاكيد نشر رداء التبرى ليلا تجأرون متى أنشبتنا فيكم مخالب التجري ، وما قذفت به أعراضنا من خسة القدر ، واننا قساة لانصني القبول العذر ، فأنتم تنهون عن الفحشاء ، وقد ملائم منها الاحشاء ، وان زجرتم عنها قلتم : كلا وحاشا لكن من تتج نسلا نسب اليه ، ومن خاف من شئ يسلط عليه وأما ما احتوى عليه بساط الغرب ما بين بربر وعرب فقد طمعنا من الله كونه في القبضة، عند ما تمكن اليه النهضة، ان لم أكنه بالذات والديوان فبالبناء والاخوان ، كموائد الدول ، يشيد الاخير منها ما أسسه الاول ، وانظر ما يكون لحاطركم به اطمشان فساعدكم عليه الان ، فله دره من دغوغي أشاع عارك بابيات أنشدناها مولاي محمد بن مبارك :

واعلم بأنك من دجاجل مغرب	فبعيسى صولة نصره ستموت
أنتم عكاكر خلقتكم عاهر	وأبو يسير جدكم جالوت
شبانكم مرد وكل كهولكم	قرنان صنعة شيخكم ديوت
ضجرت لدولتكم سموات العلى	واستقلتها الارض والبهموت

وما أنت في الحقيقة الا قرد من القروء ، والقرد اللاصق في كل كلب مجرود ، وما صرحتم به من الصلح بين الملوك مكيدة فقد سبقكم بها السلطان أبو حمو رحمه الله وحتى الآن رغبتم في الخير فهو مطلبى ومغناطيس طبى ، وان عشقتم الغير فجوابى لكم قول المتنبي

ولا كتب الا المشرفة والقنا ولا رسل الا الحميس العرمم

استيلاء المولى محمد بن الشريف على فاس ثم رجوعه عنها



كان محمد الحاج الدلائي مستوليا على فاس بعد سيدى محمد العياشى كما قلنا ، وكان أهل فاس يمرضون فى طاعته تارة ويستقيمون أخرى ، فولى عليهم قائد أبا بكر التاملى وأنزله بدار الامارة من فاس الجديد ، فاتفق أن وقعت بينه وبين أهل فاس القديم حرب فحاصروهم وقطع عنهم الماء ، فكتب أهل فاس الى المولى محمد بن الشريف يستصرخونه ويضمنون له الطاعة والنصرة بما شاء من عدد وعدة متى قدم عليهم واحتل بين أظهرهم ، ووافقهم على ذلك عرب الغرب من الحلوط وغيرهم ، فاغتنمها المولى محمد منهم وأقبل مسرعا حتى اقتحم دار الامارة بفاس الجديد منسلخ جمدى الثانية سنة ستين وألف ، وقبض على أبى بكر التاملى فسجنه وبايعه أهل البلدين فاس القديم وفاس الجديد معا ، واتفقوا على نصرته والقيام بأمره ، وكتب له البيعة بفاس سابع رجب فأقام عندهم نحو أربعين يوما

واتصل الخبر بمحمد الحاج فجهز اليه جيشا كيفما فبرز اليهم المولى محمد ودافعهم يوما أو بعض يوم فضعف عنهم وانهزم بظهر الرمكة خارج فاس يوم الثلاثاء عاشر شعبان سنة تسع وخمسين وألف ، فاسلم فاسا وانكفا راجعا الى سجلماسة ، ودخل أهل فاس الذين كانوا معه مدينتهم فأغلقوها عليهم .

وحاصروهم التاملى وأصحابه وقطع عنهم الماء وجرت خطوب هلك فيها جماعة من أعيان فاس ، منهم عبد الكريم اللايرينى الاندلسى ، ومحمد بن سليمان وغيرهما ، وكان ذلك أواخر صفر سنة احدى وستين وألف . ثم راجعوا طاعة أهل الدلاء فولى عليهم محمد الحاج ولده أحمد ، ولما استقر بفاس طالب أهلها باخراج الجناة ورؤوس الفتنة من ضريح المولى ادريس رضى الله عنه ، فتعصب لهم الشريف أبو الحسن على بن ادريس الجوطى وقام دونهم ثم عجز واحتفى ، حتى اخرج بالامان الى زاوية أهل المخفية

ومنها خرج عن فاس بالكلية ، وسكنت الفتنة . وكان ذلك في رمضان سنة احدى وستين والـف .

واستمر احمد الدلائي أميرا على فاس الى ان توفي في عشرين من ربيع الاول سنة اربع وستين والـف ، وخلفه أخوه محمد ومات سنة سبعين وألف . رحم الله الجميع ثم وثب على فاس الجديد أبو عبد الله الدريدي فاستولى عليه .

استيلاء المولى محمد الشريف على وجدة وشنه الغارات على تلمسان وأعمالها وما نشأ عن ذلك



لما أيس المولى محمد بن الشريف من فاس والمغرب صرف عزمه لتمهيد عمائر الصحراء وبلاد الشرق ، فسار يتقرى الحلل والمداشر والقرى الى أن بلغ بـسيط آنكاد ، فبايعته الاحلاف وهم العمارنة والمنبات من عرب معقل ، وبايعته سقونة منهم أيضا ، فسار بهم الى بنى يزنانس ، وكانوا يومئذ في ولاية الترك فأغار عليهم واتهب أموالهم وامتلأت أيـد العرب من مواشيهم ، ثم اتشنى الى وجدة وكان اهلها يومئذ حزبين بعضهم قائم بدعوة الترك ، وبعضهم خارج عنها ، فانحاز الخارجون الى المولى محمد فأغزاهم بشيعة الترك فاتهبوهم وشردوهم عن البلد ، وصفت وجدة له فاستولى عليها ، وكان ذلك أعوام الستين وألف . ثم دلته العرب على أولاد زكرى واولاد على وبنى سنوس المجاورين لهم فشن عليهم الغارات واتهبهم فدخلوا في طاعته ، ثم سار الى ناحية ندرومة فشن الغارة على مضغرة وقديمة وطرارة وولهاصة ورجع الى وجدة فأقام بها مدة ثم توجه الى تلمسان فأغار على سرحها وسرح القرى المجاورة لها واكسح بساطها ، فبرز اليه اهلها ومعهم عسكر الترك الذى كان بالقصة فأوقع بهم وقتل منهم عددا كثيرا ،

ورجع عوده على بدئه الى وجدة فشتى بها .

ولما انصرم فصل الشتاء خرج على طريق الصحراء فأغار على الجعافرة وانتهب أموالهم ، وقدم عليه هنالك محمود شيخ حميان من بنى يزيد بن زغبة ، وهم اليوم فى عداد بنى عامر بن زغبة ، فقدم عليه محمود المذكور فى قبيلته مبيعا له وتمسكا بطاعته ، وقدمت عليه أيضا دخيسة ففرح بهم ولاكرمهم ودلوه على الاغواط وعين ماضى والغاسول فنهب تلك القرى واستولى على أموالها ، وفرت أمامه عرب الحارث وسويد وحصين من بنى مالك بن زغبة فنزلوا بجبل راشد متحصنين به ، فرجع عنهم .

واضطربت احوال المغرب الاوسط واشترأت رعاياه الى الانتفاض على الترك ، واخذ باى معسكر يخندق على نفسه ، وبعث الى صاحب الجزائر المسمى عندهم : بالدولة يخبره بما لحق الرعايا من عيث صاحب سجلماسة فاخرج صاحب الجزائر عساكره وهيا مدافعه واستعد لحرب المولى محمد وقدم نائبه بالعساكر الى تلمسان ، فلما سمع به المولى محمد استمر راجعا الى وجدة ، وفرق العرب الذين كانوا مجتمعين عليه ، ووعدهم لفصل الربيع القابل .

ثم قفل الى سجلماسة بعد ما شب نيران الحرب فى الايالة التركىة ونسفها نسفا وضرب أولها بآخرها .

ولما وصل عسكر الترك الى تلمسان واخبروا برجوع المولى محمد الى تافيلالت سقط فى أيديهم ، ووجدوا البلاد خالية وكل الرعايا قد اجفأت عن أوطانها ، وتحصنوا بالجبال ، ولم يأتهم احد بمؤنة ولا خراج ، وانحرف عنهم أهل تلمسان أيضا ، وكانوا قد ركوا الى المولى محمد وخاطبوه ، فرأى الترك أنهم قد شوركوا فى بلادهم وزوجموا فى سلطانهم ، فرجعوا الى الجزائر . وكان من امرهم ما نذكره الآن .



مراسلة عثمان باشا صاحب الجزائر للمولى محمد بن الشريف

وما دار بينهما في ذلك

لما رجع عسكر الترك الى الجزائر وأخبروا صاحبها عثمان باشا الدولة بحال الرعايا وما نالها من صاحب سجل ماسة جمع أهل ديوانه وأرباب مشورته وتفاوضوا في أمر المولى محمد وكيف التخلص من سطوته ، فلم يروا أجدى لهم من أن يبعثوا اليه برسالة مع اثنين من أعيان الجزائر وعلمائها ، واثنين من كبار الترك ورؤسائها ، لانهم كانوا لا يتمكنون من حربه ، لو أرادوا ذلك ، لانه يغير ويظفر ويتهب ثم يصحر فلا يمكنهم التعلق بأذياله ، ولا قطع فراسخه وأمياله ، فبعثوا اليه برسالة من املاء الكاتب أبى الصون المحجوب الحضري مع الوفد المشار اليه يقول فيها:

« الحمد لله الذى وصى ولا رخص فى مدافعة اللص والصائل سريعا أو مشروفا ، ونص ، وهو الصادق سبحانه ، على فصم عرى أصله المتأصل مجهولا أو معروفا ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، وعلى آله تيجان العز وبراقع الجباه والحياشم ، وصحابته صوارم الصولة الحاسمة من الكفر الطلى والغلاصم ، بالرماح العاملة والسيوف القواصم ، ولا زائد بعد حمد الله الا مقصد خطاب الشريف الجليل القدر ، الصادق اللهجة والصدر ، من رتق الله به فتوق وطنه ، وحمى به من أحزاب الاباطيل أنجاد أرضه واغوار عطنه ، حافد مولانا على وسيدتنا البتول ، وولد مولانا الشريف بن مولانا على السيتل الصؤل سلام عليكم ما رصعت الجفان سموات البحور ولعت الجواهر الحسان على بياض النحور ، ورحمة الله تعالى وبركاته ما أساغت محض الحلال ذكاته ، وبعد فقد كاتبناكم من مغنى غنيمة المقيم والظاعن والزائر ، رباط الجريد مدينة نغر الجزائر ، صان الله من البر والبحر عرضها ، وأمن من زعازع

العواصف والقواصف أرضها ، الماعا لكم معادن الرياسة ، وفرسان القيافة
والعيافة والفراسة ، فضلا عن سماء صحا من الغيم والقتام جوه ، وضحا
نشرت عليه الوديقة وشيا ففشا ضوءه ، بأن شؤون المملكة لم يتوان
عن مكنون علمكم أمرها ، ولا أعوز عزائمكم زيدها وعمرها ، وذلك ان
الوهاب سبحانه منحكم هبة وهمة فى الجود والحلم والحماسة ، واختار لكم
شنوان عنايتها فى غاب الصون سجدلماسة ، لكن فاتكم سر رأى التدبير ،
واركبتكم حزمكم جموع الجهل والتبذير ، مع أن ذلك فى الحقيقة دأب كل
مؤسس لدولة ، لا يجمعها الا بجنايات الجولة والصولة ، فخرقت على الايالة
العثمانية جلباب صونها الجديد ، من وجدة الابلق الى حدود الجريد ،
فشوشت علينا اخلاق اخلاط الاعراب ، الى أن تعوقوا علينا فى أرفق
الآراب ، وشنت الغارة الشعواء على بنى يعقوب ، فحسنت رسمهم على
العقيب والعرقوب ، وغادرت جماهرهم تسعى على عيالهم الزياني والموزونة
فى أسواق مستغانم وديار مازونه ، وجررت ذيل المذلة على اطراف الفاسول
والاغواط ، فالتقطتهم بطاتك التقاط سباع الطير الوطواط ، وقادك الجاهل
الجهم محمود حيان ، لعين ماضى والصوانع وبنى يطفيان ، فراحت رياح
وسويد ينفض كل بطل منهم غباره وطنه ، على طود راشد ، وبلد قسطينة ،
ولا كادنا الا ما هتكم من ستر السر على مرس أبى الربيع السيد سليمان
مع أنكم اولى من يراعى حرمة وتوقيره ، ويدافع عنه وعمن سواء ويرفد
فقيره ، وتسبون العجم للجهل وأنهم جفاة وأجلاف ، ثم صرتم بدلا واخلاف
خرج جيش قصبنا بتلمسان ، بما لديهم من الرماة والفرسان ، فهزمتموهم
بقرار ، وقتلتموهم قتل مذلة واحتقار ، فقلنا هذا أقل جزاء كل كلب حقير ،
عقور . يعرض عرضه لصولة الاسد الهصور ، ولاوافت الآفة فى الغالب
الا الحضر ، مع شيع فى الاجنة تجنى الجنى والحضر ، كان اولاد طلحة
وهداج وخراج ، يؤدون لهذه المثابة ما ثقل وخف من الحراج ، ولا يفوتنا
من ملازمها وبر ولا شعر ولا صوف ، ولا سقب ولا جدى ولا خروف ،
الى ان طلعت علينا غرة شمسك السعيدة ، فعادت كل شيعا قرية عنا بعيدة ،

وأعانتك افتراق الجفأة من أهل وجدة ، وإن نصيبك الاوفر منهم أهل جندة
ونجدة ، ولولاك ما ثار علينا أهل تلمسان ، وانكروا ما لنا عليهم من قديم
الحنانة والاحسان ، وردوا عليك الساحة والبساط ، ومرغوبهم أن تزفر
علينا بسطوة الثعبان والساط ، مع علمنا اليقيني ان شجرتنا لا تضعع بزعازع
حيان ، ولا تدرس ولو انهارت عليها جبال جيان وأن الحجر لا يدق
بالطوب ، والحائط لا يطا أوطية الخطوب ، كذلك في المثل جندك خلال
الصدر والورود ، لا يصرون لصواعق البارود ، ولا تنجح حجة الدروع
والذوابل ، الا في سوق شن الغارات على حلل القبائل ، وأما أسوار
الجحافل وأدوار الكتائب ، فلا يصدنها فيهدمها الا سيول الحيل والرماة
الرواتب ، وزنت صولتك لبنى عامر ، لذاذة التفار لكف الكافر ، وداخل
الوسواس والسوس ، جبال طرارة ومضرة وبنى سنوس ، والرعايا تود
أن يحتفل لبنها في ضروعها ، لتخزن في تبن الخداع سبل زروعها ، وإن
قلت منهم الاقوال والافعال ، تعل طباعها على الدواة فصير كالاغوال ، وياك
اياك والغرر لما عثرت عليه في كتاب البوني واوراق السيوطى وعلى بادى
وابن الحاج ، ورسالة أهل سبتة لعبد الحق بن ابى سعيد المرينى بأنك
المخصوص بصعود تلك الادراج ، ذلك منك بعيد الوصول لا تدركه بالمسرة
ولا بقبايع النصول ، وإن اوتاد الروم والترك تقوض من ارض الغرب ،
ولا يبقى من ينازعكم فيها بحرب ولا ضرب ، ليس لك فى غنيمه ادراكه
طمع ، ولا سبيل لتبديد ما نظمته حازمنا وجمع ، وقد غرتك أضغاث الاحلام ،
واغواك ضباب الغيب فأصبح ظنك منه فى غياهب الاظلام ، فان حرمت به
فانت لا شك حاث ، وإن كان منكم يقينا فراجع او ثالث ، اولكم نائر ،
والثانى مقنف له سائر ، والثالث لكما أمير نائر ، اما عادل أو جائر ، ولا
تمدن باع المخاطرة الى اوطاننا فتحشى مخالب سطوة سلطاننا ، اما الشجاعة
الغريزة فقد علمنا أن لك منها بالمهيمن أوفر نصيب ، وممن ضرب فيها فأحاب
الغرض بسهم مصيب ، لكن غاية كفاية الشجاع اذا حمى الوطيس الدفاع ،
سيما فى هذا الحين التى ابخستها عند الخلاص ، صناعة البارود والرصاص ،

وجسرك علينا كونك عقابا على فرع شجر ، او يعسوب نحل احتل صدع حجر ، لو رأيت ملوك آحاد امصار البر والبحر ، لعلمت انك محجوب ومحجور ، فى حق ذلك الحجر ، وتحققت ان بين الامراء مداراة ومراعاة ، وأن أحوال الدول أيام وساعات ، كل أحد يخاف على صدع فخاره ، ويطلق بخوره تحت تنن بخاره ، وما مرادنا الا أمان للعرب فى المواضع ، لطيب لها جولان الانتقال فى المشتاة والمربع ، ويجلب اليهم الغنى والقديم ، ما يحصل له فيه ربح من الكساء والحناء والاديسم ، فان تعلقت همتك بالامارة فعليك بالمدن التى حجرها عليك همج البرابر فصار يدعى لها بها على المنابر ، فشد لها حيازيمك لذوق حلاوة الملك ، المعجونة بمرهم النجاة أو الهلك ، دع عنك وطن الرمال والعجاج ، ومخاطرة النفس فى الفدافد والفجاج ، فنادىناك جدك من الاب والام ، ومالك فيه من أخوخال وعم ، الا ما تجنبت ساحات تلمسان ، ولا زاحمتها بجموع رماة ولا فرسان ، وان اشتتت الاعراب غارات بعضها على بعض ، فموعدها ما نأى عنا من مطلق الارض ، وخمسنا أبدا على الغالب ، لتعلموا أن رأيهم عن معانى الصواب غائب ، اذ كلهم ذوو جفاء ونفار ، ويعمهم عند الدول ما يعم الكفار ، ليقى بيننا وبينكم الستر المديد على الدوام ، ونلقى كلام الوشاة من الاقوام ، وقد شيعنا نحوكم أربعة صحاب ، تسر بمجالستهم الخواطر والرحاب ، الفقيه الوجيه السيد عبد الله النفزى ، والفقيه الابر السيد الحاج محمد بن على الحضرى المزغنائى ، واثنين من أركان ديواننا ، وقواعد ابواننا ، أترك سيوط وغاية غرضنا جميل الجواب - بما هو أصفى وأصدق خطاب ، والله تعالى يوقفنا لاحمد طريق ، ويحشرنا مع جدك فى خير فريق ، آمين والسلام ، وكتب فى منتصف رجب الفرد الحرام عام أربعة وستين وألف « اه

ولما وصلت الرسل الى المولى محمد وقرأ الكتاب اغتاض مما تضمنه من العتاب ، فأحضر الرسل وعاتبهم على قول مرسلهم وتحامله عليه فقالوا له : «نحن أئيناك سفراء برسالة باشا الجزائر فاكتب لنا الجواب ،

ولا تقابلنا بعتاب « فقال : « صدقتم » فكتب اليهم بكتاب يقول فى أوله (وبعد) « فقد كتبناه اليكم من غرة جبين الصحارى ، وصرة أمصار المغارب والبرارى ، مغنى سجدلماسة التى هى قاعدة العرب والبربر المسماة فى القديم كنز البركة ، حالتى السكون والحركة ، ومضى فى كتابه الى أن ختمه ولم يجيبهم الى ما أرادوا .

ولما رجعوا برسائله الى صاحب الجزائر قرأها بمحضر أرباب الديوان ثم ردهم فى الحين دون كتاب ، ولما قدموا على المولى محمد ثانية قالوا له : انه لم يكن لنا علم بما فى الكتاب ولو اكفينا به ما رجعنا اليك ، نحن جئناك لتعمل معنا شريعة جدك وتقف عند حدك ، فما كان جدك يحارب المسلمين ، ولا يأمر بنهب المستضعفين ، فان كان غرضك فى الجهاد ، فربط على الكفار الذين هم معك فى وسط البلاد ، وإن كان غرضك فى الاستيلاء على دولة آل عثمان ، فابرز اليها واستعن بالرحيم الرحمن ، فلا يكن عليك فى ذلك ملام ، فهذا ما جئناك به والسلام ، وأما إيقاد نار الفتنة بين العباد ، فليس من شيم أهل البيت الامجاد ، ولا يخفى عليك أن ما تفعله حرام لا يجوز فى مذهب من مذاهب المسلمين ولا قانون من قوانين الاعجام ، وهذان قضيها من علماء الجزائر قد جأط اليك حتى يسمعا منك ما تقوله ، ويحكم الله بيننا وبينك ورسوله ، فقد تعطلت تجارتنا ، وأجفلت عن وطننا رعيتنا ، فما جوابك عند الله فى هذا الذى تفعله فى بلادنا ، وأنت ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنه لم يعجزنا أن نفعله نحن فى بلادكم ورعيكم ، على أننا محمولون على الظلم والجور عندكم ، لكن تأبى ذلك همة سلطاننا .

فلما سمع المولى محمد كلامهم أثر فيه وعظهم وداخلته القشعريرة وعلاه سلطان الحق فأذن له وقال : « والله ما أوقعنا فى هذا المحذور الا شياطين العرب انتصروا بنا على أعدائهم وأوقعونا فى معصية الله وأبلغناهم غرضهم فلا حول ولا قوة الا بالله ، وإنى أعاهد الله تعالى لا أعرض بعد هذا اليوم لبلادكم ولا لرعيكم بسوء ، وإنى أعطيك ذمة الله وذمة رسوله لا قطعت وادى تافنا الى ناحيتكم الا فيما يرضى الله ورسوله » وكتب لهم

بذلك عهدا الى صاحب الجزائر وقنع بما فتح الله عليه من سجلماسة ودرعة وأعمالهما ، ولم يعد يغزو الشرق ولا توجه اليه بعد ذلك الى أن خرج عليه أخوه المولى الرشيد فكان من أمره معه ما نذكر بعد ان شاء الله .



ثورة المقدم ابي العباس الخضر غيلان الجرفطي ببلاد الهبط



كان أبو العباس الخضر غيلان الجرفطي من أصحاب أبي عبد الله العياشي ، وكان مقدما على الغزاة ببلاد الهبط ، ولما قتل العياشي في التاريخ المتقدم استقل هو برياسة تلك الجهة ، واستمرت حاله الى ثلاث وستين وألف فثار بالفحص وزحف الى قصر كنامة فبرز اليه أهله ذاقوا مليا ثم انهزموا ، واتبعهم الخضر فافتحم القصر غنوة وقتل جماعة وافرة من أعيانه وفر الكثير منهم الى فاس ، منهم : أولاد الفقيه أبي عبد الله القنطري من أعيان القصر ، وبقي الخضر متغلبا على تلك الناحية .

وفي ذي الحجة سنة تسع وستين وألف خرج من فاس الم رابط الرئيس أبو سلهم بن كدار ، واتصل بالخضر غيلان وصار في جملة ، وكان أبو سلهم المذكور ممن ظاهر الدلائين على سيدي محمد العياشي فبقى ذلك في قلب الخضر غيلان حتى قبض على أبي سلهم المذكور واعتقله بآصلا ثم سرحه بعد حين . قاله في « نشر الثاني » .



وفاة المولى الشريف بن علي رحمه الله



كان المولى الشريف بن علي بسجلماسة وأعمالها على ما وصفناه قبل من الوجاهة والرئاسة والسيادة ، ممثل الامر ، متبوع العقب منذ نشأ ، ثم بايعه أهل سجلماسة سنة احدى وأربعين وألف ، ونازعه بنو الزبير أصحاب تابوعصامت ، وبذلك استصرخ عليهم أبا حنون السملالي حتى ملك سجلماسة كما مر ، ولما تخلص من نكبة السوس وعاد الى سجلماسة وجد ابنه المولى محمدا قد قام بالامر بعده فتخلى له عنه ، وقطع بقية عمره فيما يرضى الله تعالى الى أن أتاه اليقين ثالث عشر رمضان سنة تسع وستين وألف بسجلماسة مسقط رأسه ومقر عزه ومنبت أشباله ، ومدرج ملوكه وأقياله ، وجددت البيعة للمولى محمد ، ففارقه أخوه المولى الرشيد فخرج الى الجبال فبقى متنقلا في أحيائها الى أن كان من أمره ما نذكره .



اغارة المولى محمد بن الشريف على عرب الحياينة

من اعمال فاس وما يتبع ذلك



لما كان آخر سنة ثلاث وسبعين وألف أغار المولى محمد بن الشريف على زرع الحياينة بأحواز فاس فأتسفه وأفسده ، ووقعت عقب ذلك مجاعة عظيمة أكل الناس فيها الجيف والدواب والآدمي ، وخلت الدور وعطلت المساجد ، وخرج أهل فاس يستغيثون بأهل الدلاء ، وكان الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن علي بن طاهر الحسنى قد قدم فاسا بقصد أن يبايعه أهلها فلم يجيئوه ، وقيل : بل نصره بعضهم ، وخرج الى عرب الحياينة فذهب بهم الى قتال المولى محمد بن الشريف فلم يلقه .

وفي أوائل سنة أربع وسبعين وألف حاز طاغية النجليز طنجة من يد البرتقال قال في «البستان» : لضعفهم عن مقاومة المسلمين يومئذ بسبب أن المسلمين غزوه في هذه الايام فقتلوا منهم ستمائة مقاتل ثم غزوه فقتلوا منهم أربعمائة أخرى . « وقال منويل القشتلي في كتابه الموضوع في أخبار المغرب الاقصى : « سبب ذلك أن طاغية البرتقال وهو اخوان السادس يقال بالحاء والجيم أراد تأكيد المحبة بينه وبين طاغية النجليز وهو كارلوس الثاني فزوجه أخته وجعلها اليه بمفاتيح طنجة فبقيت بيده اثنين وعشرين سنة ثم تخلى عنها للمسلمين » اهـ

قيام المولى الرشيد بن الشريف على أخيه المولى محمد ومقتل الاخ المذكور رحمه الله

قد قدمنا ما كان من فرار المولى الرشيد عن أخيه المولى محمد يوم وفاة أبيهما رحمه الله فذهب المولى الرشيد يومئذ الى تدغة فأقام بها مدة ، ثم سار الى دمنات فأقام بها مدة أيضا ، ثم أتى زاوية أهل الدلاء فأقام عندهم ماشاء الله ، فيقال : ان بعض أهل الزاوية أشار عليه بالخروج منها خوفا عليه من الفتك به ، لان الدلائين كانوا يزعمون ، فيما عندهم من العلم ، أن خلاء زاويتهم يكون على يده ، فقبل المولى الرشيد اشارته ، ثم خرج الى جبل آصرو فأقام به برهة من الدهر ، ثم توجه الى فاس ، ومعه نفر قليل ، فبات بظاهر فاس الجديد ، فأكرم رئيسها أبو عبد الله الدريدي ضيافته ، ومن الغد ارتحل عنها الى تازا ثم الى عرب الاحلاف .

قال في « النزهة » : « الى أن أدته خاتمة المطاف الى قصبة اليهودى ابن مشعل . وكان لهذا اليهودى أموال طائلة وذخائر نفيسة ، وله على المسلمين صولة واستهانة بالدين وأهله ، فلم يزل المولى الرشيد يفكر في

كيفية اغتيال اليهودى المذكور الى أن أمكنه الله منه فى خبر طويل . فقتله واستولى على أمواله وذخائره وفرقها فيمن تبعه وانضاف اليه من عرب آنكاد وغيرهم ففقوى عضده وكثر جمعه . اهـ

وقال صاحب « نشر المثنى » : ان المولى الرشيد لما رحل عن فارس قدم على الشيخ أبى عبد الله اللواتى باحوار تازا ، وكان الشيخ المذكور يتحل طريقة الفقر ويعظم أهل البيت فبالغ فى اكرامه ، فينما هو مقيم عنده اذ رأى ذات يوم رجلا ذا هيئة من ممالك وأتباع وخيل ، وهو يصطاد كهية الملوك ، فسأل عنه فقيل له : هذا ابن مشعل من يهود تازا . فانصرف المولى الرشيد وجعل مدية فى فمه وجاء الى الشيخ اللواتى ، فلما رآه الشيخ على تلك الحال أعظم ذلك ، وقال له : « المال والرقبة لك ياسيدى فما الذى دهاك ؟ » قال : « تأمر جماعة من عشيرتك يسرون معى حتى أفتك بهذا اليهودى غيرة على الدين » فقال : « قد فعلت ، لا يتخلف عنك منهم أحد » فاختار المولى الرشيد منهم جماعة وواعدهم على تبیت اليهودى واقتحام داره عليه ، وكان اليهودى قد اتخذ دارا بالبيداء على نحو مرحلة من تازا فى جهة الشرق ، فلما كانت ليلة الموعد تقدم المولى الرشيد الى دار ابن مشعل فى صورة ضيف ، فأضافه ابن مشعل ، ولما انتصف الليل أحاط أصحابه بالدار وكبس المولى الرشيد اليهودى فى بعض خلواته فقتله ، وأدخل الرجال فاستولى على دار ابن مشعل بعد الفتك بأصحابه وحراسه ، وعثر فيها على أموال كثيرة وذخائر نفيسة ، وقيل ، وهو الشائع عند بنى يزناسن : أن ابن مشعل المذكور كان مقيما بين أظهرهم قد اتخذ حصنا ببعض جبالهم ، وهم محدقون به ، فجاءهم المولى الرشيد ولم يزل يلاطفهم فى شأن اليهودى حتى أثر كلامه فيهم ، ونما الى اليهودى بعض ذلك ، وأنهم مسلموه ، فنزل الى المولى الرشيد بهدية نفيسة يسترضيه بها ، فلم يكن بأسرع من ان قبض عليه وقتله ، وتقدم الى الدار فاستولى عليها ، واستخرج ما فيها من الاموال فآله أعلم أى ذلك كان .

ثم ان المولى الرشيد دعا لنفسه اعراب الشرق وجمع كلمتهم ونزل

وجدة واتصل ذلك كله باخيه المولى محمد صاحب سجلماسة وخوف منه لما يعلم من صرامته وشهامته ، فنهض لقتاله والقبض عليه ، فلما التقى الجمعان ببسيط آنكاد كانت اول رصاصة فى نحر المولى محمد ، فكان فيها حتفه . وذلك يوم الجمعة التاسع من المحرم سنة خمس وسبعين وألف ، ودفن بدار ابن مشعل ، فأسف المولى الرشيد لقتله وأظهر الحزن عليه ، وتولى تجهيزه بنفسه فحمله الى بنى يزناسن ووراه هنالك فى رmse رحمه الله وغفر له .

وكان المولى محمد شجاعا مقداما لا يبالى بالعظام ولا يخطر بباله خوف الرجال ، ولا يدرى ما هى النكبات والاولجال ، وتقدم وصف أهل الدلاء بقولهم : «الاجدل الذى لا تؤده هموم الليالى ولا حرارة قيظ المصيف» . عقاب أشهب على قنة كل عقبة ، لا يقنعه المال دون حسم الرقبة» ، وشجاعة شهيرة . وكان مع ذلك قويا فى بدنه أيدا فى أعضائه وجسمه لا يقاوم فى الصراع ولا يزاول فى الدفاع .

حكى أنه فى بعض أيام حصاره لتابوعصامت جعل يده فى بعض ثوب الحصن وصعد عليها ما لا يحصى من الناس حتى كأنها خشبة منصوبة ولينة مضروبة ، وكان سخيا جدا حتى أنه أعطى الاديب الشهير المتقدم فى صناعة الشعر العرب والملحون أبا عثمان سعيدا التلمسانى صاحب القصيدة العقيقية وغيرها نحو من خمسة وعشرين رطلا من خالص الذهب جائزة له على بعض امداحه فيه ، وحكاياته فى هذا المعنى شهيرة .

ولما قتل رحمه الله قام بسجلماسة ولده المولى محمد الصغير مقامه لكن لم يتم له أمر وسياتى بعض خبره ان شاء الله .



الخبر عن دولة امير المؤمنين المولى الرشيد بن الشريف رحمه الله



لما قتل المولى محمد بن الشريف رحمه الله فى التاريخ المتقدم وانحشرت جموعه كلها الى اخيه المولى الرشيد ، فبايعوه البيعة العامة ، ودخل فى طاعته الاحلاف وبنو زناسن وغيرهم ، وبعث الى اهل تلمذ النواحي كلها من العرب والبربر يدعوهم الى الطاعة واجتماع الكلمة ، فقدمت عليه وفودهم بالهدايا ، وكب من كان مع اخيه فى ديوان جيشه وكساهم وأعظاهم الخيل والسلاح وعظم أمره وعلا كعبه ، ثم احتاج الى المال ، وكان قد اخذ ولد اليهودى ابن مشعل يوم قتل أباه ، فجاءت امه تطلب فداءه ففارس فيها وماطلها به ، ثم قال : « لا اسرحه حتى تدلنى على مال زوحك أو أقتله » فانعمت له بذلك ، وركب معها الى القصة فدلته على خزانة فى بيت فقب عنها فلقى فيها خوابى مملوءة ذهباً وفضة فاستخرجها ، وارتاش بتلك الاموال ، وفرق منها على من معه من العرب والبربر وسائر الاجناد ، فحسنت حاله وحالهم وعد ذلك من سعاده ، ولما قضى اربه ورتب جنده بعث رسله الى الآفاق بالاعذار والانذار والوعد والوعيد لاهل الطاعة والعصيان ثم سار على أثرهم قاصداً فتح المغرب الذى كان قد تعذر على اخيه من قبله فنزل على وادى ملوية واقام به أياماً للاستراحة وانتظار من يأتيه من اهل تلك النواحي مثل جاوت والريف وغيرهما فلم يأتيه أحد ، والله غالب على امره .



فتح مدينة تازا ثم سجلماسة وما تخلل ذلك



لما أقام المولى الرشيد رحمه الله على ملوية ولم يأت من أهل المغرب أحد تقدم إلى تازا فافتحمها بعد محاربة طويلة وبايعه أهلها والقبائل التي حولها ، ولما اتصل خبر ذلك بأهل فاس اجتمعوا مع جيرانهم من عرب الحياينة والبهاليل وأهل صفرو وغيرهم ، وتحالفوا على حرب المولى الرشيد. وعدم بيعته بحال ظنا منهم أنه يفعل بهم ما فعله أخوه المولى محمد بالحياينة من النهب والقتل ، وأمر رؤساء فاس عامتها بشراء الخيل والعدة والاكابر منها ، ووظفوا على كل دار مكحلة ، ومن لم توجد عنده مكحلة منهم يعاقب ، فاشتروا من ذلك فوق الكفاية وخرجوا إلى باب الفتوح لعرض الخيل والسلاح ، وعملوا اللعب المسمى بالميز ، واجتمعوا أيضا مع الحياينة ، واكدوا الحلف على حرب المولى الرشيد ، ولما بلغه خبرهم وما هم عليه أعرض عنهم وعاد إلى سجلماسة . وكان ذلك منه صوابا في الرأي إذ قدم الأسهل فالأسهل . وتناول الأخف فالأخف .

ولما أنأخ على سجلماسة حاصرها نحو تسعة أشهر إلى أن فر عنهم ابن أخيه المولى محمد الصغير المنتزى بعد أبيه كما مر ، فخرج منها ليلا ودخلها المولى الرشيد واستولى عليها وسد فرجها ورتب حاميتها ومهد أطرافها ورجع إلى تازا فاحتل بها ، ولكل أجل كتاب .



حصار مدينة فاس ثم فتحها والايقاع بشوارها



لما قفل المولى الرشيد رحمه الله من سجلماسة الى تازا أقام بها أياما فاتفق أهل فاس مع احلافهم من الحياينة أن يغيروا عليه بمستقره منها ، ويبدأوه بالحرب قبل ان يبدأهم ليكون ذلك كاسرا من شوكة ، وفاتا في عضده ، فتأهبوا للحرب وخرجوا في شوال سنة خمس وسبعين والـ الف ، ولا قابلوا محلته افرقت كلمتهم ورجعوا منهزمين من غير قتال ، فقبعهم المولى الرشيد الى قنطرة نهر سبو خارج فاس ، ثم رجع عنهم فبعثوا اليه في الصلح ، فلم يتم بينه وبينهم صلح الى أن ملك أطراف المغرب كله ، وكان ذلك من حسن تديره وترتيبه الامور .

ثم دخلت سنة ست وسبعين والـ الف ففى صفر منها زحف الى فاس وحاصرها وقتلها ثلاثة أيام فأصابته رصاصة فى طرف أذنه ورجع سالما ثم عاد الى حصارها مرة اخرى فى ربيع الاول من السنة المذكورة فقتل ونهب ورجع الى تازا لانه لم يأت بقصد فتحها ، ثم توجه الى الريف بقصد الرئيس أبى محمد عبد الله آعراس الثائر به ، فكانت بينهما وقعات ، وحاصره فى بعض حصونه الى ان قبض عليه فى رمضان من السنة فعفا عنه واستبقاه وكر راجعا الى فاس فنزل عليها فى أواخر ذى القعدة من السنة وقتلها قتالا شديدا الى ثالث ذى الحجة فاقتحم فاسا الجديد من أعلى السور من ناحية الملاح ، وفر اميرها يومئذ أبو عبد الله الدريدى ، وهذا الدريدى كان فى جملة من اخوانه بنى دريد بن ائيج الهلاليين ، وكانوا فى ديوان السعديين ، ولما بايع اهل فاس الرئيس أبا عبد الله محمد الحاج الدلائى كان الدريدى هذا فى عسكره ، فلما فشلت ريح أهل الدلاء بالمغرب نزع عنهم واستبد بفاس الجديد ، وحالف أهل فاس القديم على حرب الـ لاثنيين ثالث جمادى الثانية سنة أربع وسبعين والـ الف ، وقد كان احمد بن صالح الليرينى رئيس أهل عدوة الـ اندلس قد خطب ابنة الدريدى لولده صالح

ابن احمد فزوجه اياها ، والتحم ما بينهما فكان الدريدى يشن الغارات على قبائل البربر الذين باحواز مكناسة وغيرها . ويأتى بالنهب ، والطلب يقرع عليه الى ان يدخل دار الامارة ، واستمر على ذلك الى ان اقتحم عليه المولى الرشيد فاسا كما قلنا ففر الى منجاته . وقال فى « النزهة » بل قتله المولى الرشيد وسكن هبة فاس الجديد ، ومن الغد زحف الى فاس القديمة فحاصرها وقتلها فضعفوا عن مقاومته ، وفر رئيس اللطيين ابن الصغير وولده ليلا الى بستيون باب الجيسة ، ولما طلع الفجر فر ايضا رئيس عاوة الاندلس أحمد بن صالح فرأى أهل فاس ان امرهم قد ضعف وكلمتهم قد افرقت ، فخرجوا الى المولى الرشيد وبايعوه واجتمعت كلمتهم عليه ، فبعث فى طلب ابن صالح فوجد بحوز المدينة فجىء به وسجن بباب دار ابن شقراء بفاس الجديد ، ثم قتل وقتل معه عدة من اصحابه ، ثم قبض على ابن الصغير وولده ، وبعد سبعة ايام امر السلطان بقتلها قتيلا ، واستقام أمر فاس وصلحت أحوالها . قال فى « النزهة » : افتتح أمير المؤمنين المولى الرشيد فاسا القديمة فحكم السيف فى رؤسائها وافناهم قتيلا فتمهدت البلاد واجتمعت الكلمة ، وكان دخوله حضرة فاس القديمة صيحة يوم الاثنين أوائل ذى الحجة سنة ست وسبعين والى الف ، وبويع بها يومه ذلك ، ولما تمت له البيعة أفاض المال على علمائها وغمرهم بجزيل العطاء وبسط على أهلها جناح الشفقة والرحمة ، واظهر احياء السنة ونصر الشريعة ، فحل من قلوبهم بالمكان الارتفاع وتمكنت محبته من قلوب الخاصة والعامة ، اه .

وولى قضاء فاس السيد حمدون المزوار ثم خرج الى بلاد الغرب فقصده الحضر غيلان التائر ببلاد الهبط ، وكان بقصر كناسة ، فزحف اليه المولى الرشيد فانهمز الحضر الى آصلا ، ورجع المولى الرشيد عنه الى فاس أوائل ربيع الاول سنة سبع وسبعين والى الف ، فكبت له البيعة بفاس وقرئت بين يديه قبل زوال يوم السبت الثامن عشر من ربيع الاول المذكور ، ثم فى شهر ربيع الثانى من السنة غزا المولى الرشيد أحواز مكناسة وقصد آيت واللال من البربر شيعة محمد الحاج الدلائى فأوقع بهم ، ورجع عوده على

بدئه ، وبعد رجوعه نزل محمد الحاج بجموع البربر قرب وادي فاس
بابي مزورة من احواز فاس فقاتله المولى الرشيد ثلاثا ، ورجع كل الى
وطنه ، ثم خرج المولى الرشيد الى تازا واعمالها حادى عشر رجب ففقدوها
ورجع الى فاس فى شوال من السنة المذكورة ، ثم عزل العقيد قائد مكاسة ،
ثم خرج ثانى يوم النحر من السنة الى بنى زروال فوقع بالشريف النابغ
فيهم . وبعث به مجبوسا الى فاس فدخلها ثانى محرم سنة ثمان وسبعين
وألف ، ثم مال المولى الرشيد الى تطاوين فقبض على رئيسها أبى العباس
التقييس فى جماعة من حزبه وقدم بهم الى فاس فسجنهم بها أوائل ربيع
الاول سنة ثمان وسبعين وألف الى ان كان من امرهم ما ذكره .



فتح زاوية الدلائى وتغريب اهلها الى فاس وتلمسان وما يتبع ذلك



لما كانت ضحوة يوم الخميس الثانى عشر من ذى القعدة سنة ثمان
وسبعين وألف خرج أمير المؤمنين المولى الرشيد رحمه الله غازيا زاوية أهل
الدلاء ، وكان قد اسند الفتوى الى الفقيه أبى عبد الله محمد بن احمد
الفاسى ، فلقي جموع الدلائيين وعليهما ولد محمد الحاج بطن الرمان
من فازاز ، فانتشبت الحرب بين الفريقين مليا ثم انهزم الدلائيون ورجعوا
يقفون أثرهم الى الزاوية . قال الشيخ اليوسى رحمه الله فى محاضراته :
« كان الرئيس أبو عبد الله محمد الحاج الدلائى قد ملك الغرب بسنين
عديدة واتسع هو واولاده واخوته وبنو عمه فى الدنيا ، فلما قام السلطان
المولى الرشيد بن الشريف ولقى جموعهم بطن الرمان ففضها دنا على
الرئيس أبى عبد الله المذكور ، وكان لم يحضر المعركة لعجزه وكبر سنه
يومئذ ، فدخل عليه اولاده واخوته واطهروا له عجزا شديدا وضيقا عظيما
فلما رأى منهم ذلك قال لهم : « ما هذا ؟ ان قال لكم حسبكم فحسبكم »
يريد الله تعالى . قال اليوسى : « وهذا كلام عجيب واليه يساق الحديث »

والمعنى : ان قال الله تعالى لكم حسبكم من الدنيا فكفوا راضين مسلمين» اه
وكان استيلاء المولى الرشيد على الزاوية فى ثامن المحرم سنة تسع وسبعين
وألف ولما خرج اليه أهلها عفا عنهم ولم يرق منهم دما ولا كشف لهم
سترا حلما وكرما منه رحمه الله . قال فى «النزهة» : لما وقعت الهزيمة
على أهل الدلاء دخل المولى الرشيد الزاوية ، وامر بمحمد الحاج واولاده
وأقاربه أن يحملوا الى فاس ويسكنوا بها فحملوا اليها واستوطنوها مدة ،
ثم أمر ان يذهب بهم الى تلمسان فغربوا اليها وسكنوها مدة

وحدثوا أن محمدا الحاج رحمه الله لما دخل تلمسان قال : « كنت
وجدت فى بعض كتب الحدائق أنى ادخل تلمسان فظننت أنى أدخلها
دخول الملوك فدخلتها كما ترون» ولم يزل بها الى ان توفى فاتح سنة اثنتين
وثمانين والف ودفن عند ضريح الامام السنوسى رضى الله عنه ولما توفى
المولى الرشيد رجع اولاده وأقاربه الى فاس فاستوطنوها باذن من السلاطان
المظفر المولى اسماعيل ، ولما دخل المولى الرشيد الزاوية غير محاسنها وفرف
بجموعها وطمس معالمها وصارت حصيدا كئن لم تغن بالامس ، بعد ان كانت
مشرقة اشراق الشمس ، فمحت الحوادث ضياءها ، وقلعت ظلالها وأقياءها ،
وطالما أشرقت بأبى بكر وبنيه وابتهجت ، وفاحت من شذاهم وتأرجت ،
ارتحل عنها فرسان الاقلام ، الذين ينجاب بوجوههم الظلام ، وبانت عنها
ربات الحدور ، واقامت بها اتافى القدور ، ولقد كان اهلها يعفون آثار
الرياح فعمت آثارهم ، وذهبت الليالى باشخاصهم وأبقت اخبارهم ، فتل ذلك
العرش ، وعدا الدهر حين أمن من الارش ، ولم يدفع الرمح ولا الحسام
ولم تنفع تلك المنن الجسام ، فسحقا لدنيا ما رعت لهم حقوقا ، ولا أبقت
لهم شروقا ، وهى الايام لا تقى من تجنيها ، ولا تبقى على موالها ومدانيها ،
اذهبت آثار جلق ، وأخذت نار المحلق ، وذلت عزة ابن شداد ، وهدت
القصر ذى الشرفات من سنداد ، وكل يلقى معجله ومؤجله ، ويبلغ الكتاب
يوما أجله ، ولقد أحسن ربي نعمتهم ، المقر باحسنهم ومنتهم شيخ مشايخ
المغرب على الاطلاق ، الامام الذى وقع على علمه وعمله الاتفاق ، أبو على

الحسن بن مسعود اليوسى رحمه الله فى رائيته التى رثى بها الزاوية
المذكورة وبكى أيامها يقول فى مطلعها :
أكلف جفن العين أن ينثر الدرا فىأبى ويعتاض العقيق بها خمرا
وهى طويلة شهيرة . قلت : ولم يصرح فيها باسمائهم مراعاة لجانب
السلطان وذلك هو الواجب والمناسب فرحم الله الشيخ اليوسى ما كان
أعرفه بمقتضيات الاحوال .



فتح مراکش ومقتل الامير أبى بكر الشبانى وشيعته



لما فرغ المولى الرشيد رحمه الله من امر الزاوية توجه الى مراکش
فى الثانى والعشرين من صفر من السنة أغنى سنة تسع وسبعين والفس
فاستولى عليها وقتل رئيسها أبا بكر بن عبد الكريم الشبانى وجماعة من أهل
بيته .

وقال فى «النزهة» : لما بلغ أبا بكر الشبانى وقومه مسير المولى الرشيد
إليهم خرجوا فارين بانفسهم من مراکش الى شواحق الجبال لما خامر قلوبهم
من رعبه ، فدخل المولى الرشيد مراکش وأفنى من وجد بها من الشبانات ،
وقبض على أبى بكر وبنى عمه ، فعرضهم على السيف واستنزل تلك الفئة
الشريفة من الصاوى ، واخذ منهم بالاقدام والنواصى ، واخرج عبد الكريم
من قبره فاحرقه بالنار .

ولما فتح مراکش قام بها نحو شهر ثم رجع الى فاس ، فدخلها يوم
الجمعة السابع والعشرين من ربيع الثانى من السنة المذكورة ، وفى هذه السنة
خرج المولى محمد الصغير من تافيلالت فى شيعته وخلق سبيل البلد ، وفيها أيضا
ركب الخضر غيلان البحر الى الجزائر وخلق سبيل آصلا ، ولما رجع المولى الرشيد
الى فاس عزل أبا عبد الله الفاسى عن الفتوى ، وعزل الفقيه المزوار عن
قضائها منسلخ جمادى الثانية من السنة ، وولى القضاء الفقيه أبسا عبد الله

محمد بن الحسن المجاصي ، والخطابة بجامع القرويين الفقيه أبا عبد الله محمد البوعناني ، وفي منتصف رجب من السنة المذكورة غزا المولى الرشيد بلاد الشاوية ورجع الى فاس في سابع رمضان العام ، فعفا عن بعض أهل الدلاء ، وبقي الآخرون بضريح الشيخ ابي الحسن علي بن حزرهم الى تمام السنة ، فعفا عن الجميع وردهم الى بلادهم الا ما كان من محمد الحاج وبنيه ، فانهم غربوا الى تلمسان ، ومات هو هنالك ، ولما ولي الامر المولى اسمعيل وقعت الشفاعة في الاولاد فرجعوا الى فاس كما مر .

وفي يوم السبت سابع عشر ذي الحجة من السنة غزا المولى الرشيد آيت عياش من برابر ضهاجة ، وفيها أمر بضرب السكة الرشيدية وأقرض تجار فاس وغيرها اثنين وخمسين الف مثقال بقصد التجارة الى أن ردوها بعد سنة .

وفي هذه السنة ايضا حاز طاغية الاصبنيول مدينة سبتة من يد البرتغال في سبيل مشاركة وقعت بينهم في مدينة اشونة واستمرت في يد الاصبنيول الى الآن .

بناء قنطرة وادي سبو خارج فاس



وفي يوم السبت الرابع عشر من ذي القعدة سنة تسع وسبعين والـ ألف أمر المولى الرشيد ببناء قنطرة نهر سبو الاقواس الاربعة خارج فاس فأخذوا في تهية الاسباب وحفر الاساس ، وفي منتصف جمادى الثانية سنة ثمانين وألف شرعوا في البناء بالآجر والجير فكملت على احسن حال .

ولما تكلم الشيخ اليوسى في المحاضرات على الحديث الصحيح : ان أخضع الاسماء عند الله رجل تسمى بملك الاملاك قال ما نصه : ومن البشيع الواقع في زماننا في الاوصاف ، أنه لما بنى السلطان المولى الرشيد بن الشريف جسر نهر سبو صنع بعضهم معنى : القاضي أبا عبد الله المجاصي

أبياتا كتبت فيه برسم الاعلام أولها :

صاغ الحليفة ذا المجاز ملك الحقيقة لا المجاز

قال فحملته اقتناص هذه السجعة والتغالي في المدح والاهتبال بالاسترخاء
على أن جعل ممدوحه ملكا حقيقيا لا مجازيا ، وانما ذلك هو الله وحده ،
وكل ملك دونه مجاز الممدوح وغيره » اهـ

وفى هذه السنة وذلك يوم الاثنين الثاني والعشرين من رجب خرج
المولى الرشيد غازيا الابيض فقبض على اولاد اخي الابيض ، ولما وصل الى
تازا أمر بقتلهم فقتلوا ، ثم مرض مرضا شديدا أشرف منه على الموت ،
فأمر بتسريح المساجين واخراج الصدقات فعافاه الله .

وفى منتصف ذى القعدة من السنة أمر بأعمال وليمة العرس لاخته
المولى اسمعيل بدار ابن شقراء من حضرة فاس الجديد . قال اليفرنى :
« احتفل المولى الرشيد فى ذلك العرس بما لم يعهد مثله » اهـ وكانت العروس
من بنات الملوك السعديين . وفى شوال من السنة جدد قنطرة الرصيف
بفاس والله أعلم .



فتح تارودانت وايلغ وسائر السوس



قد قدمنا ان أبا حسون السملالى كان مستوليا على بلاد السوس
فاستمر حاله على ذلك الى ان توفى سنة سبعين والى ، وكان رحمه الله
لين الجانب محمود السيرة موصوفا بالعفة متوقفا فى الدماء ، ولما هلك خافه
ولده أبو عبد الله محمد بن ابي حسون ، فلما كانت سنة احدى وثمانين
والى غزا المولى الرشيد رحمه الله بلاد السوس فاستولى على تارودانت
رابع صفر من السنة ، وواقع بهستوكه ، فقتل منهم أكثر من الف وخمسمائة
واوقع باهل الساحل فقتل منهم اكثر من أربعة آلاف ، وواقع بأهل قلعة
ايلغ دار ملك أبي حسون ، فاستولى عليها فى مهل ربيع الاول من السنة ،

وقتل منهم بسفح الجبل أكثر من ألفين وصفا امر السوس للمولى الرشيد .
 وفي هذه السنة أيضا في سابع ربيع الاول منها قتل المولى اسمعيل ، وكان
 نائبا عن اخيه بفاس ، ستين رجلا من أولاد جامع ، وكانوا يقطعون الطريق
 فقتلهم وصلبهم على سور البرج الجديد . وفيها في جمادى الآخرة منها : أمر
 المولى الرشيد بضرب فلوس النحاس المستديرة ، وكانت قبل مربعة وهى
 الاشقوية وجعل أربعة وعشرين فى الموزونة وكانت قبل ثمانية وأربعين
 ورجع الى فاس فى ثالث رجب من السنة . وفى أول شعبان منها شرع بنى
 بناء مدرسة الشراطين بدار الباشا عزوز من فاس وكان قد أمر ببناء مدرسة
 عظيمة بازاء مسجد الشيخ أبى عبد الله محمد بن صالح من حضرة مراکش
 والله لا يضع أجر من أحسن عملا



تأليف جيش شراقة وأوليتهم وشرح لقبهم



قد قدمنا فى أخبار السعديين : أن لفظ شراقة فى الاصل لقب لعرب بادية
 تلمسان ومن انضاف اليهم ، وسموا بذلك لانهم فى جهة الشرق عن المغرب
 الاقصى ، فأهل تلمسان مثلا يسمون أهل المغرب الاقصى مغاربة ، وأهل
 المغرب الاقصى يسمون أهل تلمسان مشارقة ، الا أن العامة يلحنون فى هذه
 النسبة فيقولون شراقة بتخفيف الراء والاقاف المعقودة ، وقد كان للسعديين
 جند من هؤلاء العرب كما مر .

ولما جاء الله بدولة أمير المؤمنين المولى الرشيد رحمه الله واجتمع
 عليه من عرب آنكاد وغيرهم ما قدمنا ذكره نزع اليه من أهل تلك البلاد
 عدة قبائل بعضها من العرب وبعضها من البربر أنفا من ولاية الترك فقبلهم .
 فمن العرب أشجع وبنو عامر ، ومن البربر مديونة وهوارة وبنو سنوس ،
 فأمر رحمه الله ببناء القصبة الجديدة بفاس بديار لمتون وعرصة ابن صالح
 وبذل لأصحابه وقواده ألف مثقال لبناء سورها وأمرهم ببناء الدور فيها

وأعطى شراقة هؤلاء ألف دينار لبناء قصبة الخميس ، بعد أن كان أنزلهم أولا بأحواز فاس ، فحصل منهم الضرر لاهل المدينة وشكوههم ، فأمرهم بالانتقال بجلبتهم الى بلاد صدينة وفشتالة بين النهرين سبو وورغة ، وأقطعهم تلك الارض وعزل عزابهم وأمرهم ببناء بيوتهم على حدة ، ثم أعطاهم ألف دينار لبناء سور القصبة كما قلنا ، وجعلهم قبيلة واحدة فلم تميز الآن عربهم من بربرهم ، ثم خرج المولى الرشيد رابع رمضان من السنة لزيارة الشيخ أبى يعزى رضى الله عنه ومنه ذهب الى سلا فزار صلحاءها وعاد الى فاس فدخلها منسلخ رمضان المذكور .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين والى ألف فى صفر منها بعث خيلا للمجاهد على طنجة ، وفى منتصف جمادى الاولى بعث خيلا أخرى الى السوس وعليهم أبو محمد عبد الله آعراس ، ثم خرج الى الصيد بتافرطاست فبانه هنالك خبر ثورة ابن أخيه المولى محمد بن محمد بمراكش . فرجع الى فاس ، فدخلها يوم السبت حادى عشر رمضان ، ثم خرج منها عصر يومه ذلك ، فلقه ابن أخيه بفزارة مقبوضا عليه بيد أصحابه فبعث به الى تافيلالت وسار هو الى مراكش وبعث قائده زيدان العامرى الى فاس فى ذى القعدة ليأتيه بالجيش لغزو السوس ، فأتاه أهل السوس طائعين و لم يسبق للحركة محل بعد أن كانت الاخبية قد أخرجت الى وادى فاس وضربت به ، فاستقرت قواعد الملك للمولى الرشيد وتمهدت أمور الدولة والله غائب على أمره .



وفاة أمير المؤمنين المولى الرشيد رحمه الله

كان أمير المؤمنين المولى الرشيد رحمه الله في هذه المدة مقيما بمراكش كما قلنا الى أن كان عيد الاضحى من سنة اثنتين وثمانين وألف ، فلما كان ثاني يوم النحر وهو يوم الخميس ركب فرسا له وأجراه فجمع به في بستان المسرة ولم يملك عنانه فأصابه فرع شجرة نارنج فهشم رأسه وقيل دخل في أذنه وكانت فيه منيته رحمه الله ، ودفن بمراكش بالقصبة منها ، ثم نقل الى ضريح الشيخ أبي الحسن على بن حرزهم بفاس لوصية منه بذلك . ومات رحمه الله وسنه اثنتان وأربعون سنة لانه ولد سنة أربعين وألف ، وراثه بعضهم بقوله :

وما شج ذات الفصن رأس امامنا لسوء له خدن المجبة جاحد .
ولكنه قد غار من لين قده وان من الاشجار ما هو حاسد
قلت : لا يخفى أن مثل هذا الشعر لا يحسن أن تمدح به الملوك فانه بالغلز أشبه منه بالرئاء ، وكان قد وقع بين المولى الرشيد رحمه الله وبين شيخ الوقت الامام أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي رضى الله عنه مكاتبات توعدده أمير المؤمنين في بعضها فمات عقب ذلك وكفى الشيخ المذكور أمره .

ومن ما أثره رحمه الله : أنه لما مر في بعض حركاته بالموضع المعروف بالشط من بلاد الظهراء أمر بحفر آبار شتى فهي الآن تدعى بآبار السلطان اضافة له يستقى منها ركب الحجيج في ذهابه وإيابه ، فهي ابن شاء الله في ميزان حسناته ، وكان رحمه الله مجبا في جانب العلماء موثرا لاغراضهم مولعا بمجالستهم محسنا اليهم حيث ما كانوا .

ومن نوادره معهم : ما حكى ان العلامة أبا عبد الله محمد الم رابط ابن محمد بن ابي بكر الدلائلي حضر يوما بمجلس السلطان المذكور وذلك بعد الايقاع بزوايتهم وتغريبهم الى فاس فأنشد السلطان معرضا بالفقيه

المذكور قول أبي الطيب المتنبي :

ومن أكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له مامن صدائه بد
ففهم أبو عبد الله المرباط اشارته فقال : أيد الله أمير المؤمنين ، ان
من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلا « فاستحسن الحاضرون حسن
بديته ولطف منزعه .

ومن توسع المولى الرشيد رحمه الله مع أهل العلم ما حكاه صاحب
الجيش من أنه بعث الى بعض علماء عصره ليقراً معه بعض الكتب فامتنع
ذلك العالم وقال كما قال الامام مالك رضى الله عنه : « العلم يؤتى ولا
يأتى » قال : « فكان المولى الرشيد رحمه الله يتردد لمنزل ذلك العالم
 للقراءة عليه » وقد ذكر صاحب « نشر المثنى » : « أنه كان يحضر مجلس
الشيخ اليوسى بالقرويين » اه وهذه لعمرى منقبة فخيمة ، ومأثرة جسيمة ،
فرحم الله تلك الهمم التى كانت تعرف للعلم حقه وتقدر قدره ، قالوا :
وكان رحمه الله جوادا سخيا رحل الناس اليه من المشرق فما دونه وقصده
بعض طلبة ثغر الجزائر فامتدحه بيتين وهما :

فاض بحر الفرات فى كل قطر من ندى راحتك عذبا فراتا
غرق الناس فيه والتمس الفق ر خلاصا فلم يجده فماتا
فوصله بألفين وخمسين دينارا .

قال اليفرنى : وشأوه رحمه الله فى السخاء لا يلحق ، والحكايات
عنه بذلك شهيرة ، وفى أيامه كثر العلم واعتز أهله وظهرت عليهم أبهته ،
وكانت أيامه أيام سكون ودعة ورخاء عظيم حتى قيل أنه فى اليوم الذى
بويج فيه بفاس كان القمح فى أول النهار بخمس أواق للمد وصار فى
آخره بنصف اوقية فتمن الناس بولايته واغتبطوا بها . والله تعالى أعلم .



الخبر عن دولة أمير المؤمنين المظفر بالله ابى النصر المولى اسماعيل بن الشريف رحمه الله



لما توفي المولى الرشيد رحمه الله فى التاريخ المقدم وكان اخوه المولى اسمعيل بمكناسة الزيتون خليفة على بلاد الغرب فبلغه خبر موته فاجتمع الناس عليه وبايعوه واتفقت كلمتهم عليه ، ثم قدم عليه أعيان فاس وأعلامها وأشرفها بيعتهم ، وقدم عليه أهل بلاد الغرب من الحواضر والبوادى كذلك بهداياهم وبيعاتهم الا مراكش وأعمالها فانه لم يأت منها أحد ، فجلس رحمه الله للوفود الى ان فرغ من شأنهم ورتب اموره بمكناسة وعزم على السكنى بها اذ كان لا يبنى بها بدلا حيث أعجبه ماؤها وهواؤها هكذا فى البستان .

وقال أبو عبد الله اليفرنى فى النزهة ونحوه فى «نشر المثنى» :
«لما توفي المولى الرشيد رحمه الله اتصل خبر وفاته بالمولى اسمعيل وهو يومئذ خليفته بفاس الجديد ليلة الاربعاء السادس عشر من ذى الحجة سنة اثنين وثمانين والى فبوع رحمه الله ، وحضر بيعته أعيان المغرب وصلحائه بحيث لم ينزع فى انه احق بها واهلها احد ممن يشار اليه ،» زاد فى «الظل الظليل :» ووافق على بيعته اهل الحل والعقد من العلماء والاشراف كالشيخ أبى محمد عبد القادر ابن على الفاسى ، والشيخ أبى على اليوسى ، وأبى عبد الله محمد بن على الفيلالى ، وأبى العباس احمد بن سعيد المكيلى ، وأبى عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسى ، واخيه أبى زيد صاحب نظم العمل ، والقاضى أبى مدين ، وغيرهم من بقية الاعيان ، وكانت بيعته فى السنة الثانية من يوم الاربعاء السادس عشر من ذى الحجة المذكور آنفا ، ووافق ذلك اليوم الثالث من شهر ابريل العجمى .

وكان سنه يوم بوع ستا وعشرين سنة لان ولادته كانت عام وقعة

القاعة وهى مؤرخة بخط من يوثق به سنة ست وخمسين والـف ، ولما تمت بيعته نهض بأعباء الخلافة وضبط الامور واحسن السيرة .



ثورة المولى ابى العباس احمد بن محرز بن الشريف وما كان من امره



لما توفى المولى الرشيد رحمه الله واتصل خبر وفاته بأهل سجلماسة وغيرها أقبل ابن أخيه المولى أبو العباس أحمد بن محرز مبادرا الى مراكش طالبا للامر وداعيا الى نفسه ، والتفت عليه طوائف من عرب السوس وغيرهم وغلب على تلك النواحي ونسبت أهل مراكش بلامع برقه ، وبذلك تقاعدوا عن الوفاة على أمير المؤمنين المولى اسمعيل رحمه الله .

ولما صح عنده خبر ابن محرز وذلك فى آخر ذى الحجة من السنة نهض الى مراكش فوصل اليها وبرز اليه أهلها فيمن انضم اليهم من قبائل أحوازاها وقتلوه فانتصر عليهم وهزمهم ، ودخل مراكش عنوة يوم الجمعة سابع صفر سنة ثلاث وثمانين والـف ، فعفا عن أهلها ، وأجفل ابن محرز وشيعته الى حيث نجوا .

ولما احتل المولى اسمعيل بمراكش أمر بنقل شلو أخيه المولى الرشيد فى تابوته الى فاس ليدفن بضريح الشيخ ابن حرزهم كما مر ، ثم قفل السلطان الى مكناسة منسلخ ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين والـف .



انتفاض اهل فاس وقتلهم القائد زيدان واعلانهم بدعوة ابن محرز
وما نشأ عن ذلك من محاصرة السلطان لهم



لما قفل أمير المؤمنين المولى اسمعيل الى مكناسة أخذ في ترتيب أمور دواته
وفرق الراتب على الجند وكان عازما على غزو بلاد الصحراء فلم يرعه الا
الحبر بأن أهل فاس قد انتقضوا وقتلوا قائد الجيش زيدان بن عبيد العامري
وكان مقتله ليلة الجمعة ثاني جمادى الاولى من السنة فزحف السلطان
اليهم وحاصره واستمر القتال بينه وبينهم أياما ، ثم بعثوا الى المولى أحمد
ابن محرز ليأتيهم فيجتمعوا عليه فقدم دبدو وانزل على ملوية وبعث اليهم
رسوله يعلمهم بمجيئه فاعلنوا بنصره ، وذلك يوم الخميس العشرين من
جمادى الثانية من السنة ، وفي منسلخ الشهر المذكور بعثوا عشرة من الحيل
للقائه بتازا ، ثم أصبح عليهم رسول الخضر غيلان يعلمهم بأنه قد قدم من
نهر الجزائر في البحر ، وانه نزل بتطاوين مع رؤسائها أولاد النقسيس ،
فتشعبت الآراء وتعددت أسباب الهراش ، وتكاثرت الطلباء على خدش ،
وهاجت فتنه بفاس قتل فيها نفر من اولاد الثائر المتقدم أبى الربيع
سليمان الزرهوني على يد مولاي احمد بن ادريس من شرفاء دار القيطون ،
ثم قتل بعض شيعة الزرهوني مولاي حفيد بن ادريس أخا الشريف
المذكور ، وكان ما كان مما لست أذكره .

ولما اتصل خبر ابن محرز بالمولى اسمعيل نهض اليه في جنوده قاصدا
اتازا فحاصره بها اشهرا ففر عنها ابن محرز ودخل الصحراء ، ولما علم
السلطان بفراره عدل الى ناحية الهبط بقصد الخضر غيلان فحاربه الى أن
ظفر به وقتله يوم الاحد العشرين من جمادى الاولى سنة أربع وثمانين
والف ، وعاد الى فاس الجديد أواسط جمادى الثانية من السنة ، وحاصر
أهل فاس وطاولهم ولم يحدث معهم حربا الى ان أذعنوا الى الطاعة وراجعوا

بصائرهم ففتحوا البلد وخرجوا الى السلطان تائبين فعفا عنهم ، وذلك فى
سابع عشر رجب سنة اربع وثمانين والى الف ، فكانت مدة انتقاضهم أربعة
عشر شهرا وثمانية عشر يوما ذاقوا فيها وبال امرهم ، ثم ولى عليهم القائد
أبا العباس أحمد التلمسانى ، وعلى فاس الجديد الوزير أبا زيد عبد
الرحمن المنزاري وسار الى مكناسة ، ثم عاد بالقرب ، الا ان هذين الوالين
قد جارا فى الحكومة ، وعانا فى البلدين بضرب الابشار ونهب الاموال
وغير ذلك والله لا يظلم مثقال ذرة ، وعزل أيضا عن خطابة القرويين الفقيه
أبا عبد الله البوعنانى وولاهما القاضى أبا عبد الله المجاصى وذلك فى آخر
رجب من السنة والله أعلم .

تجديد امير المؤمنين المولى اسماعيل بناء مكناسة الزيتون واتخاذها اياها دارملكه



كانت مدينة مكناسة الزيتون من الامصار القديمة بارض المغرب بناها
البربر قبل الاسلام ، ولما جاءت دولة الموحدين حاصروا مكناسة سبع سنين
ثم افتتحوها غنوة أواسط المائة السادسة وخربوها ، ثم بنوا مكناسة الجديدة
المسماة بتاكرارت ، ومعناها : المحلة ، واعتنى بها بنو مرين من بعدهم
فبنوا قصبتها وشيدوا بها المساجد والمدارس والزوايا والربط ، وكانت
يومئذ هى كرسى الوزارة كما ان حضرة فاس الجديد هى كرسى الامارة ،
واختصت مكناسة بطيب التربة وعذوبة الماء وصحة الهواء وسلامة المختزن
من التعفن وغير ذلك . وقد وصفها ابن الخطيب فى مواضع من كتبه مثل
«النفاسة» و «المقامات» وغيرهما واثنى عليها نظما ونثرا وأشهد قول ابن
عبدون من أهلها فيها :

ان تفتخر فاس بما فى طيها وبانها فى زيتها حسناء

يكفيك من مكناسة ارجاؤها والاطيان هواؤها والماء
فلما كانت بهذه المثابة كان امير المؤمنين المولى اسمعيل رحمه الله
لا يبغى بها بدلا ، فلما فرغ من امر فاس رجع اليها وشرع فى بناء قصور
بها بعد ان هدم ما بلى القبة من الدور ، وأمر أربابها بحمل أنقاضها ،
وبنى لهم سورا على الجانب الغربى ، وامر ببناء دورهم به ، وهدم الجانب
الشرقى كله من المدينة وزاده فى القبة القديمة ، ولم يبق أمامه الا الفضاء
فجعل ذلك كله قبة . وبنى سور المدينة وافردها عن القبة وأطلق أيدي
الصناع فى البناء ومداومة العمل ، وجلبهم من جميع حواضر المغرب ،
ولما لم يقنعه ذلك فرض العملة على القبائل متابوة ، فصارت كل قبيلة من
قبائل المغرب تبث عددا معلوما من الرجال والبهاائم فى كل شهر ، وفرض
الصناع واهل الحرف على الحواضر ، فصار اهل كل مصر يبعثون من البنائين
والتجارين وغيرهم عددا معلوما كذلك ، واسس المسجد الاعظم بداخل
القبة مجاورا لقصر النصر الذى كان اسسه فى دولة أخيه المولى الرشيد
رحمه الله ، ثم أسس الدار الكبرى التى بجوار الشيخ المجذوب ، واستمر
البناء والغرس بمكناسة سنين كما سياتى التنبه على ذلك فى محله
ان شاء الله .



مجيء المولى احمد بن محرز الى مراکش واستيلائه عليها
ونهوض السلطان الى محاصرته بها



ثم دخلت سنة خمس وثمانين والف فيها ورد الخبر على السلطان
المولى اسمعيل وهو بمكناسة بدخول ابن اخيه المولى أحمد بن محرز مراکش
واستيلائه عليها ، وكان السلطان يومئذ متوجها الى آنكاد لما بلغه من عي
العرب الذين به وقطعهم الطريق فلم يشنه ذلك عنهم بل سار اليهم وأوقع
بسقونة منهم وقتل خلقا كثيرا ونهب ورجع مؤيدا منصورا ، ثم استعد لحرب

ابن محرز وخرج في العساكر على طريق تادلا ، فكان اللقاء بينهما على أبي عقبة من وادي العبيد ، فاقبلوا وانهزم ابن محرز وقتل كبير جيشه حيدة الطويري ، ورجع ادراجة الى مراكش ، فتبعه السلطان المولى اسمعيل ، وألقى بكليلة على مراكش أوائل سنة ست وثمانين وألف ، ونما اليه أن بعض أهل محلة قد اضمروا الغدر منهم الشيخ عمر البطوئي ووالده وعبد الله آعراس واخوته ، هؤلاء كانوا امراء عسكره ، فخنقهم وأتلف نفوسهم ، وبعث الى من بقى منهم بفاس فقبض عليهم وقتلوا وحيزت دورهم واموالهم .

واستمر السلطان محاصرا لمراكش الى ربيع الثاني من سنة سبع وثمانين وألف فشدد في الحصار ، وازدلف اليها في جنوده ، فوقع أقال عظيم مات فيه من الفريقين مالا يحصى ، وانحجر ابن محرز داخل البلد وبقي يقاتل من أعلى الاسوار ، ثم تمادى الحصار الى ثاني ربيع الثاني من سنة ثمان وثمانين وألف ، فاشتد الامر على ابن محرز وضى ذرعا ، فخرج فارا عن مراكش ناجيا فيما ابقته الحرب من جموعه . ودخل السلطان المولى اسمعيل المدينة غنوة ، فاستباحها وقتل سبعة من رؤسائها وكحل ثلاثين منهم وهدأت الفتنة وذهبت أيام المحنة . والله غالب على أمره .

تأليف جيش الودايا وبيان فرقهم واوليتهم



هذا الجيش من أمثل جيوش هذه الدولة الشريفة أبقي الله فضلهما وبسط على البلاد والعباد يمينها وعدلها وهو ينقسم الى ثلاثة أرحاء : رحي أهل السوس ، ورحى المغفرة ، ورحى الودايا ، ويطلق على الجميع ودايا تغليبا ، فأما أهل السوس فمنهم أولاد جرار وأولاد مطاع وزرارة والشبانات وكنهم من عرب معقل ، وكانوا في القديم جندا للدولة

السعدية ، وكان ملوكها يستفرونهم للغزو بحلهم لاعتياهم ذلك أيام كونهم بالصحراء ، ثم أنزلوهم ببسيط آزرار مراغمة لعرب جشم من الخلط وسفيان وغيرهم ، إذ كانت الخلط شيعة بنى مرين وأصهارهم كما مر ، فلما جاءت الدولة السعدية بقوا منحرفين عنها ، وكلما طرقها خلل ناروا عليها وخرجوا عن طاعتها ، فقيض لهم السلطان محمد الشيخ السعدى هؤلاء القبائل من معقل وزاحمهم بهم فى بلادهم ، وشغلهم بهم ، فكانت تكون بينهم الحروب ، فتارة تتصف معقل من جشم ، وتارة العكس حتى أوقع المنصور السعدى بالخلط وقيعته الشهيرة ، وأسقطهم من الجندية ، فقل أولاد مطاع الى زبيدة قرب تادلا .

ولما أشرفت الدولة السعدية على الهرم استطالت الشبانات عليها بما كان لهم من الخولة على أولاد السلطان زيدان ، فاستبدت فرقة منهم بمراكش كما مر ، وئارت أخرى بفاس الجديد مع أبى عبد الله الدريدى المتغلب بها حسبما سلف ، الى أن نقل أمير المؤمنين المولى اسمعيل رحمه الله جميعهم الى وجدة كما سيأتى ، ثم خلطهم بعد باخوانهم من المغافرة والودايا وصير الجميع جيشا واحدا فهذه أولية أهل السوس وأما المغافرة فسيأتى بيان كيفية اتصالهم بالمولى اسمعيل ومصاهرتهم له .

وأما الودايا فكان السبب فى جمعهم واستعمالهم فى الجندية أنه لما فتح المولى اسمعيل رحمه الله مدينة مراكش الفتح الثانى وأجفل ابن محرز عنها أقام بها أياما ، ثم خرج الى الصيد بالبسيط المعروف بالبحيرة من أحواز مراكش ، فرأى أعرايا يرعى غنما له ويده شفرة يقطع بها السدر ويضعه لغمه لتأكل ورقه ، فقال للوزعة : « على بابى الشفرة » فأسرعوا اليه وجاءوا به الى أن أوقفوه بين يديه ، فسأله فأتسب له الى : ودى ، كفى : قبيلة من عرب معقل بالصحراء ، واخبره بانهم دخلوا من بلاد القبلة بسبب جذب أصابهم ، قال : « دخلنا السوس بنجع كبير فافترقنا وذهبت كل طائفة منا الى قبيلة فنزلت عليها ، ونحن نزول مع

الشبانات » فقال له المولى اسمعيل رحمه الله : « أتسم أخوالى وسمعم بخبرى ولم تأتونى ، والآن أنت صاحبى واذا رجعت بفنمك الى خيمتك فاقدم على الى مراکش » وأوصى به من يوصله اليه ، ثم بعد أيام قدم أبو الشفرة على السلطان فكساه وحمله وبعث معه خيلا يجمع بها اخوانه من قبائل الحوز ، فجمع من وجد منهم وجاء بهم الى السلطان فأثبتهم فى الديوان وكساهم وحملهم ، ثم نقلهم بحلتهم الى مكناسة الزيتون ، ار الملك ومقر الخلافة .

ثم دخل نجع آخر بعدهم فأثبتهم فى الديوان أيضا وبالغ فى اكرامهم والاحسان اليهم وعين لسكانهم من مكناسة المحل المعروف بالرياض بجوار قصبتها ، وأمرهم ببناء الدور وأعطى أعيانهم ورؤساءهم النوايب وهى : الزوايا التى لا تغرم مع القبائل ، ثم قدم نجع ثالث جاؤوا من جهة القبلة فأثبتهم كاخوانهم الذين قدموا قبلهم وسلك بهم مسلكهم . ولما نقل رحمه الله زرارة والشبانات الذين كانوا بفاس الجديد مع الدريدى بعث بهم اليها أيضا ليجتمعوا مع اخوانهم ، ثم قسم الودايا للذين بالرياض قسمين فبعث نصفهم الى فاس الجديد وعمره بهم . وولى عليهم القائد أبا عبد الله محمد بن عطية منهم ، وأبقى النصف الآخر بالرياض من مكناسة ، وولى عليهم القائد أبا الحسن عليا المدعو بابى الشفرة ، فكانا يتداولان القسمين مرة هذا ومرة هذا . ثم استقر الامر على أن صار أبو الشفرة بفاس وابن عطية بالرياض .

وأما خبر الخلط : فانه لما أوقع بهم المنصور السعدى تفرقوا فى القبائل شذر مذر ، وصاروا عيالا على غيرهم ، ولما أشرفت الدولة السعدية على الهرم اجتمعوا ورجعوا الى ازغاز فغلبوا عليه ، وعفوا وكرروا وتمولوا وأكثروا من الخيل والسلاح الى أن جاء الله بالمولى اسمعيل رحمه الله فاتتزع منهم خيلهم وسلاحهم كغيرهم من قبائل المغرب ، وضرب عليهم المغارم ، واستمروا على ذلك الى أيام السلطان المرحوم المولى محمد ابن عبد الله فظهروا فى دولته ، وكانوا يعكسون معه فى حروبه ويغرمون

ما وجب عليهم من الزكوات والاعشار ، وكذلك مع ابنه المولى سليمان وابن ابنه المولى عبد الرحمن بن هشام رحم الله الجميع بمنه ، وهم اليوم في عداد القبائل الغارمة ، وكذا قبائل الحوز الذين هم من عرب معقل كلهم غارمة ، والله تعالى المتولى لامور العباد لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه .



انتقاض البربر شيعة الدلائين والتفافهم على احمد بن عبد الله منهم وايقاع السلطان بهم



لما كان أمير المؤمنين المولى اسمعيل رحمه الله مقيما بمراكش بعد فرار المولى أحمد بن محرز عنها بلغه اجتماع البربر الصنهاجين على أحمد ابن عبد الله الدلائى وعيشتهم فيمن جاورهم من قبائل العرب من تادلا الى سايس ، فبعث رحمه الله عسكريا الى تادلا اعانة لاهلها على البربر فهزمهم البربر وقتلوا يخلف وانهبوا واستولوا على تادلا ، ثم بعث اليهم عسكريا آخر فيه ثلاثة آلاف من الحيل وعقد عليه ليخلف فهزمهم البربر وقتلوا يخلف وانهبوا معسكره ، ثم اعقبهما بعسكر ثالث فوقع به ما وقع بالاولين هذا كله والسلطان مقيم بمراكش يرصد ابن محرز الذى بالسوس ، ثم بلغه قيام اخيه المولى حمادة بالصحراء وحربه لاهله المولى محرز التائر به ايضا ، وهو والد المولى أحمد صاحب السوس فقدم السلطان رحمه الله الهم ورجع الى حرب البربر بتادلا خوفا من اتساع خرقهم على الدولة ، وهذئت لقيه أخوه المولى الحبران جاء مستصرخا له على أخيه المولى حمادة ، ثم تقدم السلطان رحمه الله الى البربر فأوقع بهم وقعة شعاء واستلحهم وقطع منهم سبعمائة رأس بعث بها الى فاس مع عبد الله بن حمدون الروسى . وفى «نشر المثاني» : أنه قتل من البربر يومئذ ثلاثة آلاف فزيت المدينة واخرجت المدافع وكان يوما مشهودا ، ولما انتقضت الوقعة فر المولى الحبران

من الحلة الى الصحراء ورجع السلطان الى مكناسة فدخلها ففى أواسف
شوال سنة ثمان وثمانين وألف .

وفى هذه الايام ولى قضاء فاس الفقيه الورع أبا عبد الله محمد العربى
بردلة بعد عزل القاضى ابى عبد الله المجاصى ، وولى مظالمها وجبايتها عبد
الله الروسى ، وولى موارثها أباه حمدون ، وامر بقتل أهل تطاوين الذين
كانوا بسجن فاس وهم عشرون فضربت أعناقهم ورفعتم على الاسوار ، ثم
جىء بالمولى الحران من الصحراء مقيدا مغلولا فلما قابله من عليه وأطلقه
وأعطاه خيلا وأقطعته مداشر بالصحراء يعيش بها وسرحه الى حال سبيله .



عود الكلام الى بناء حضرة مكناسة الزيتون



واستمر السلطان المولى اسمعيل رحمه الله بمكناسة قائما على بناء
حضرتها بنفسه وكلما أكمل قصرا اسس غيره ، ولما ذاق مسجد القصبة
بأناس اسس الجامع الاخضر أعظم منه ، وجعل له بابين بابا الى القصبة
وبابا الى المدينة وجعل رحمه الله لهذه القصبة عشرين بابا عادية فى غابة
السعة والارتفاع ، مقبوة من أعلاها وفوق كل باب منها برج عظيم عليه من
المدافع النحاسية العظيمة الاجرام والمهاريس الحربية الهائلة الاشكال ما
يقضى منه العجب ، وجعل فى هذه القصبة بركة عظيمة تسير فيها الفلك
والزوارق المتخذة للنزهة والانبساط ، وجعل بها هريا عظيما لاختزان
الطعام من قمح وغيره مقبو القنايط ، يسع زرع أهل المغرب ، وجعل
بجواره سواقى للماء فى غاية العمق مقبوا عليها ، وجعل فى أعلاها برجا
عظيما مستدير الشكل لوضع المدافع الموجهة الى كل جهة ، وجعل بها اصطبلا
عظيما لربط خيله وبغاله مسيرة فرسخ فى مثله مسقف الجوانب بالبرشلة
على أساطين واقواس عظيمة ، فى كل قوس مربوط فرس وبين الفرس
والفرس عشرون شبرا ، يقال : انه كان مربوطا بهذا الاصطل اثنى عشر

ألف فرس مع كل فرس سائس من المسلمين وخادم من أسرى انتصارى يتولى خدمته ، وفى هذا الاصطبل سانية من الماء دائرة عليه مقبوة الظهر ، وامام كل فرس منها ثقب كالمعدة لشربه ، وفى وسط هذا الاصطبل قباب معدة لوضع سروج الخيل على اشكال مختلفة ، وفيه ايضا هَرَى عظيم مربع الشكل مقبوا على اساطين عظيمة واقواس هائلة لوضع سلاح الفرسان أصحاب الخيل ، وينفذ اليه الضوء من شبابيك فى جوانبه الاربعة كل شباك ينفذ وزنه على قنطار من حديد ، وفوق هذا الهرى من اعلاه قصر يقال له : المنصور ، ولا يقصر ارتفاعه من مائة ذراع خمسون فى الاسفل وخمسون فى الاعلى ، وفيه عشرون قبة فى كل قبة طاق عليه شباك من حديد يشرف منه أهل القبة على بسيط مكناسة من الجبل الى الجبل ، وكبر قبة مسقفة بالبرشلة والقرمود وغير ذلك ، ثم أربع قباب منها متقابلة سعة كل واحدة منها سبعون شبرا فى مثلها ، وباقي العشرين أربعون . ويجاور هذا الاصطبل بستان على قدر طوله فيه من شجر الزيتون وانواع الفواكه كل غريب ، طوله فرسخ وعرضه ميلان ، ويتخلل هذه القصور التى فى داخل القلعة شوارع مستطيلة متسعة وأبواب عظيمة فاصلة بين كل ناحية وبين الاخرى ، ورحاب عظيمة مربعة معدة لعمارة المشور فى كل جانب ، الى غير ذلك مما لا يحيط به الوصف .

قال صاحب «البستان» : «وقد شاهدنا آثار الاقدمين بالمشرق والمغرب وبلاد الترك والروم فما رأينا مثل ذلك فى دولهم ولا شاهدناه فى آثارهم ، بل لو اجتمعت آثار دول ملوك الاسلام لرجح بها ما بناه السلطان الاعظم المولى اسمعيل رحمه الله فى قلعة مكناسة دار ملكه ، ولم تزل تلك البناءات على طول الدهر قائمة كالجبال لم تخلفها عواصف الرياح ولا كثرة الامطار والثلوج ولا آفات الزلازل التى تخرب المباني العظام والهايكل الجسام» قال : «ومن يوم مات المولى اسمعيل والملوك من بنيهِ وحفدته يخربون تلك القصور على قدر وسعهم وبحسب طاقتهم وينون بأنقاضها من خشب وزليج ورخام ولبن وقرمود ومعدن وغير ذلك الى وقتنا هذا ،

وبنيت من انقاضها مساجد ومدارس ورباطات بكل بلد من بلدان المغرب ،
وما أتوا على نصفها هذه مدة من مائة سنة ، واما الجدران فلا زالت ماثلة
كاجبال الشوامخ وكل من شاهد تلك الآثار من سفراء الترك والروم
يعجب من عظمتها ويقول ليس هذا من عمل بنى آدم ولا يقوم به مال» اهـ.



تأليف جيش عبيد البخارى وذكر اوليتهم وشرح تسميتهم



هذا الجيش من اعظم جيوش هذه الدولة السعيدة كما تقف عليه ،
وكان السبب فى جمعه ما وجد مفصلا فى كتاب كاش كاش الدولة الاسماعيلية
ووزيرها الاعظم النقيه الاديب أبى العباس احمد اليعمى رحمه الله ،
قال : لما استولى السلطان المولى اسمعيل بن الشريف على مراکش ودخلها
أول مرة كان يكتب عسكريه من القبائل الاحرار حسبما مر، حتى أتاه الكاتب
أبو حفص عمر بن قاسم المراكشى المدعو عليلش ، وبیتهم بيت رياة من
قديم . وكان والده كاتباً مع المنصور السعدى ومع أولاده من بعده ، فعلق
أبو حفص هذا بخدمة السلطان المولى اسمعيل واطلمه على دفتر فيه أسماء
العبيد الذين كانوا فى عسكر المنصور ، فسأله السلطان رحمه الله هل بقى
منهم أحد ؟ قال : «نعم ، كثير منهم ومن اولادهم وهم متفرقون بمراكش
وأحوازها وبقابل الدير ، ولو أمرنى مولانا بجمعهم لجمعتهم» فولاه أمرهم
وكتب له الى قواد القبائل يأمرهم بشد عضده واعانتة على ما هو بصدده فأخذ
عليش يبحث عنهم بمراكش وينقر عن انسابهم الى أن جمع من بها منهم ،
ثم خرج الى الدير فجمع من وجد به ، ثم سار الى قبائل الحوز فاستقصى
من فيها حتى لم يترك بتلك القبائل كلها أسود ، سواء كان مملوكا أو
حرطانيا أو حرا اسود ، واتسع الحرق وعسر الرق فجمع فى سنة واحدة
ثلاثة آلاف رأس ، منهم المتزوج والعزب ثم كتبهم فى دفتر وبعث به الى
السلطان بمكناسة فتصفحه السلطان واعجبه ذلك فكتب اليه يأمره بشراء

الاماء للاعزاب منهم ، ويدفع أثمان الممالك منهم الى ملاكهم وبكسوهم من اعشار مراكش ، وزياتيه بهم الى مكناسة فاجتهد عليلش في ذلك واشترى من الاماء ما قدر عليه ، وجمع من الحرطانيات عددا الى ان استوفى الغرض وكساهم وألزم القبائل بحملهم الى الحضرة ، فحملوا من قبيلة الى اخرى الى ان وصلوا مكناسة ، فأعطاهم السلطان السلاح وولى عليهم قوادهم ، وبعث اليهم الى الموضع المعروف بالمحلة من مشرع الرملة من أعمال سلا .

ثم بعث السلطان كاتبه أبا عبد الله محمد بن العياشي المكناسي الى قبائل الغرب وبنى حسن وأمره بجمع العبيد الذين بها فمن لا ملك لاحد عليه يأخذه مجانا ، ومن كان مملوكا لاحد فليعط صاحبه ثمنه ويحوزه منه ، فخرج ابن العياشي وطاف في تلك القبائل واستقصى كل أسود بها ، وكان السلطان قد كتب أيضا الى عماله بالامصار بأن يشتروا له العبيد والاماء من فاس ومكناسة وغيرهما من حواضر المغرب عشرة مثاقيل للعبد وعشرة مثاقيل للامة ، فاستوعبوا ما وجدوا حتى لم يبق عند أحد عبد ولا أمة ، فاجتمع مما اشتراه العمال ثلاثة آلاف اخرى ، فكساهم السلطان وسلاحهم وبعث بهم الى المحلة بعد ان عين لهم قوادهم ، ثم ان ابن العياشي قدم بدفتر فيه ألفان من العبيد فيهم المتزوج والعزب ، فكتب السلطان الى القائد أبي الحسن على بن عبد الله الريفي صاحب بلاد الهبط أن يشتري للاعزاب منهم الاماء ويكسوهم ويعطيهم السلاح من تطاوين ويعين لهم قوادهم ويبعث بهم الى المحلة ، فصار المجموع ثمانية آلاف ، وهذا العدد هو الذي نزل أولا بها . ثم ألزم السلطان قبائل تامسنا ودكالة أن يأتوا بعييد المخزن الذين عندهم فلم يسعهم الا الامتثال ، فجمعوا كل عبد في بلادهم وزادوا بالشراء من عندهم ، واعطوهم الخيل والسلاح وكسوهم وبعثوا بهم اليه فمن تامسنا ألفان ، ومن دكالة الفان ، فانزلهم السلطان بوجه عروس من أحواز مكناسة الى ان بنى قصبة آدخسان فانزل عبيد دكالة بها وانزل عبيد تامسنا بزواوية اهل الدلاء .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين والف فيها غزا السلطان المولى اسمعيل

صحراء السوس فبلغ آفاوطاطا وتيشيت وشنكيط وتخوم السودان فقدمت عليه وفود العرب هنالك من أهل الساحل والقبلة ومن دليم وبربوش والمغافرة وودى ومطاع وجرار وغيرهم من قبائل معقل وأدوا طاعتهم ، وكان فى ذلك الوفد الشيخ بكار المغفرى والد الجرة خنثى أم السلطان المولى عبد الله بن اسمعيل ، فأهدى الشيخ المذكور الى السلطان ابنته خنثى المذكورة ، وكانت ذات جمال وفقه وادب ، فتزوجها السلطان رحمه الله وبنى بها وجلب فى هذه الغزوة من تلك الاقاليم ألفين من الحراطين بأولادهم فكساهم بمراكش وسلحهم ، وولى عليهم ، وبعث بهم الى المحلة وقتل هو الى حضرته من مكاسة فكان عدد ما جمع من العسكر البخارى أربعة عشر ألفا ، عشرة آلاف منها بمشرع الرملة وأربعة آلاف بأدخسان وما والاها من بلاد البربر ، ثم عفوا وتنازلوا وكثروا حتى ما مات المولى اسمعيل الا وقد بلغ عددهم مائة وخمسين ألفا كما سيأتى ان شاء الله .

واعلم أنه قد وقع فى هذه الاخبار لفظ الحرطاني ، ومعناه فى عرف أهل المغرب : العتيق ، وأصله الحر الثانى كأن الحر الاصلى حر أول وهذا العتيق حر ثان ثم كثر استعماله على الالسنه فقليل الحرطاني على ضرب من التخفيف .

وأما سبب تسمية هذا الجيش بعبيد البخارى : فان المولى اسمعيل رحمه الله لما جمعهم وظفر بمراذه بعصيتهم واستغنى بهم عن الانتصار بالقبائل بعضهم على بعض حمد الله تعالى وأثنى عليه ، وجمع أعيانهم وأحضر نسخة من صحيح البخارى وقال لهم : « أنا وأنتم عبيد لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعه المجموع فى هذا الكتاب ، فكل ما أمر به نفعله وكل ما نهى عنه نتركه وعليه نقاتل » فعاهدوه على ذلك ، وأمر بالاحتفاظ بتلك النسخة وأمرهم أن يحملوها حال ركوبهم ويقدموها أمام حروبهم ككابوت بنى اسرائيل ، وما زال الامر على ذلك الى هذا العهد فلهذا قيل لهم عبيد البخارى .

قال فى « البستان » : « كان ما ل هذا العسكر البخارى مع أولاد

أمير المؤمنين المولى اسمعيل رحمه الله مثل مآل الترك مع أولاد المعتصم ابن الرشيد العباسى فى كونهم استبدوا عليهم وصاروا يولون ويعزلون ويقتلون ويستحيون الى أن تم أمر الله فيهم وتلاشى جمعهم وتفرقوا فى البلاد شذذ مذر ، وما أحياهم الا السلطان المرحوم المولى محمد بن عبد الله ولما عفوا وكثروا خرجوا عليه بابنه المولى يزيد وفعلوا فعلتهم التى فعلوها من قبل حسبما تسمعه بعد ان شاء الله .

غزو امير المؤمنين المولى اسماعيل بلاد الشرق وانهقاد الصلح بينه وبين دولة الترك اهل الجزائر

ثم غزا أمير المؤمنين المولى اسمعيل رحمه الله بلاد الشرق فترك تلمسان عن يساره ، وأصحر فى ناحية القبلة فقدمت عليه هناك وفود العرب من ذوى منيع ودخيسه وحميان والمهاية والعمور وأولاد جريبر وسقونه وبنى عامر والحشم ، فسار بهم الى أن نزل القويعة على رأس وادى شلف المسمى اليوم بوادى صا ، وكان رائده اليها واندال له عليها هم بنو عامر بن زغبة فخرج جيش الترك مع نعر الجزائر بقضهم وقضيضهم ومدافعهم ومهاريسهم ، ونزلوا على وادى شلف قبالة السلطان رحمه الله ، ولما كان وقت العشاء أَرعدوا مدافعهم ليدشوا العرب الذين مع السلطان فكان الامر كذلك ، فانه لما انتصف الليل انسل بنو عامر من محلة السلطان وأصبحت الارض منهم بلاقع ، ولما أصبح بقية العرب وعلموا بفرار بنى عامر انهزموا دون قتال ، ولم يبق مع السلطان الا عسكره الذى جاء به من المغرب ، فكان ذلك سبب تأخره عن حرب الترك وقفوله الى حضرته ، وكتبه الترك فى ان يتخلى لهم عن بلادهم ويقف عند حد أسلافه ، ومن كان قبلهم من ملوك الدولة السعدية فانهم ما زاحموهم قط فى بلادهم ،

وبعثوا اليه بكتاب اخيه المولى محمد بن الشريف الذى كان بعث به اليهم
مع رسلهم حسبما تقدم ، وبكتاب أخيه المولى الرشيد الذى فيه الحد بنسبه
وبينهم ، فوقع الصلح على ذلك الحد الذى هو وادى تافنا .
ولما قفل السلطان رحمه الله ومر فى طريقه بمدينة وجدة أمر بنائها
وتجديد ما تثلّم منها ، ثم قفل الى فاس ثم منها الى الحضرة بمكناسة
الزيتون ، وكان ذلك كله سنة تسع وثمانين وألف .

خروج الاخوة الثلاثة من اولاد المولى الشريف بن علي بالصحراء وما كان من امرهم



وفى أواخر رمضان سنة تسع وثمانين وألف بلغ السلطان رحمه الله
وهو بمكناسة خروج اخوته الثلاثة المولى الحران ، والمولى هاشم ، والمولى
أحمد بنى الشريف بن علي مع ثلاثة آخرين من بنى عمهم ، وأنهم
تدرجوا الى آيت عطاء من قبائل البربر ، فنهض اليهم السلطان رحمه الله
بالعساكر وسلك طريق سجلماسة فكان اللقاء بجبل ساغرو فى عشرين من ذى
الحجة من السنة ، فالتقى جيش السلطان وجيش الخارجين وجلهم آيسر
عطاء ، فاقتتلوا ، وكان الظفر للسلطان بعد أن هلك من جيشه ثم من رماة
فاس بالخصوص نحو أربعمائة دون من عداهم ، وهلك قائد العسكر موسى
ابن يوسف ، وانهزم الاخوة وأبعدوا المقر الى الصحراء .

وكان فى تلك السنة وباء عظيم قد انتشر فى بلاد المغرب ، فرجع
السلطان على طريق الفايجة ، فأصابه ثلج عظيم بثنية الكلاوى من جبل
درن أهلك الناس وأتلف متاعهم وأخيتهم ، وما تخلصوا منه الا بمشقة
فادحة .

ولما نزلت العساكر بزواوية الشيخ أبى العزم سيدى رحال الكوش

خيام
أفريقية
TENT

مدوا أيديهم الى أموال الناس وزرعوهم بالنهب لما مسهم من ضرر الجوع ، فشكا الناس ذلك الى السلطان فأمر بقتل كل من وجد خارج المحلة ، فقتل في ذلك اليوم من الجيش نحو الثلاثمائة ، ثم أمر بجر الوزير أبى زيد عبد الرحمن المنزرى لأمر نقمه عليه وقتل أصحابه بالرصاص فجر الوزير المذكور الى فاس ومكناسة ولم يصل اليهما الا بعض شلوه فطرح على المزبلة ، ووصل السلطان الى مكناسة فاحتل بدار ملكه واقعد أربكة عزه .

ثم دخلت سنة تسعين وألف ففى المحرم منها وقع الوباء بفاس وأعمالها ، فأمر السلطان العبيدان يردوا الناس عن مكناسة ، فكانوا يعرضون لهم فى الطرقات بناحية سبو وسائس يردونهم عن مكناسة ، وكان من يأتى من ناحية القصر وفاس يقتلونه ، فانقطعت السبل وتعذرت المرافق وفى أواخر المحرم من هذه السنة أوقع جيش المسلمين بنصارى طنجة فقتلوا منهم نحو ثلاثمائة وخمسين ، وانتزعوا منهم قسبة باربعة أبراج واستشهد من المسلمين نحو الخمسين رحمهم الله .

نقل زراة والشبانات الى وجدة وبناء القلاع بالتخوم وما تخلل ذلك



وفى هذه السنة التى هى سنة تسعين وألف أمر أمير المؤمنين المولى اسمعيل رحمه الله بنقل عرب زراة والشبانات قوم كروم الحاج من الحوز الى وجدة لما كانوا عليه من الظلم والفساد فى تلك البلاد ، فأنزلهم بوجدة ثغر المغرب وكبهم فى الديوان ، وولى عليهم أبا البقاء العياشى بن الزويعر الزرارى ، وتقدم اليه فى التضييق على بنى يزنانس اذ كانوا يومئذ منحرفين عن الدولة و متمسكين بدعوة الترك ، فكان زراة والشبانات يغيرون عليهم ويمنعونهم من الحرث بسيط آنكاد ، وأمر السلطان رحمه الله أن تبنى

عليهم قلعة من ناحية الساحل قرينة وجدة بالموضع المعروف برفادة ، وأمر القائد العياشي أن ينزل بها خمسمائة فارس من اخوانه يمنعونهم النزول ببسيط ترفنة والارتفاق به من حرث وغيره ، ثم أمر رحمه الله أن تبنى قلعة أخرى بطرف بلادهم بالعيون ، وينزل بها القائد المذكور خمسمائة أخرى من اخوانه أيضا ، وأمر أن تبنى قلعة ثالثة بطرف بلادهم على ملوية وينزل بها خمسمائة فارس كذلك ، وجعل للقائد العياشي المذكور النظر في القلاع الثلاث وهو بوجدة في ألف فارس فكانوا في الدفر ألفين وخمسمائة .

ثم دخلت سنة احدى وتسعين وألف ففى جمادى الثانية منها خرج السلطان من الحضرة فى الجنود قاصدا بنى يزناسن الذين تمادوا على العصيان فاقحم عليهم جبلهم ، واعتسف ربوعهم واتسف زروعهم وضروعهم ، وحرقت قراهم ، وقتل رجالهم وسبى ذرارهم ، فطلبوا الامان فأمن بقيتهم على أن يدفعوا الخيل والسلاح التى عندهم فدفعوها من غير توقف ، وقاموا بدعوته جبرا عليهم ، ثم نزل ببسيط آنكاد وحضر عنده قبائل الاحلاف وسقونة فأرجلهم من خيولهم وجردهم من سلاحهم وانتزعها منهم ، وألزم أشياخهم أن يجمعوا له ما بقى بحلتهم منها ففعلوا ثم فعل بالمهاية وحميان كذلك ، وانكفأ راجعا الى المغرب .

ولما نزل وادى صا أمر ببناء قلعة تاويرت التى بناها السلطان يوسف ابن يعقوب بن عبد الحق المرينى فجدها وأنزل فيها مائة فارس من عبيده بعيالهم وأولادهم ، ولما نزل بوادى مسون أمر أن تبنى به قلعة أخرى بجوار القديمة وأنزل فيها مائة فارس من العبيد كذلك ، ثم أنزل بتارا ألفين وخمسمائة من خيل العبيد بعيالهم وولى عليهم منصور بن الرامى وجعل نظر القلاع التى بتازا ووادى صا للقائد منصور المذكور ، وعين لكل قبيلة من قبائل تلك البلاد قلعتها التى تدفع بها زكواتها وأعشارها لمؤنة العبيد وعلف خيولهم ، وهم حراس الطريق فمن وقع فى أرضه شئ عوقب عليه قائد تلك القلعة . ولما وصل السلطان الى الكور أمر أن

تبنى به قلعة أيضا وأنزل بها مائة فارس من عبيده بعيالهم .
ولما انتهى الى فاس أنزل بقصبة الخميس التي بنى سورها المولى
الرشيد خمسمائة من الخيل بعيالهم من شراقة العرب والبربر الذين قدموا
مع المولى الرشيد رحمه الله حسبما تقدمت الإشارة اليه .
ثم أمر رحمه الله ببناء قلعة بال مهدومة وأخرى بالجديدة من أعمال
مكناسة وأنزل بكل واحدة مائة من خيل العبيد بعيالهم لحراسة الطرقات
وبكل قلعة فندق لميت القوافل وأبناء السبيل ، ثم دخل السلطان رحمه الله
حضرته مؤيدا منصورا وذلك في خامس شعبان سنة احدى وتسعين وألف .



فتح المهديّة ومحاربة ابن محرز بالسوس وما تخلل ذلك



قد تقدم لنا ما كان من استيلاء جنس الاصبيون على المعمورة المسماة
بالمهديّة في حدود العشرين بعد الاف وما كان بينهم وبين أبي عبد الله
العايشي وأهل سلا من الحروب ، واستمروا بها الى أن كانت سنة اثنتين
وتسعين وألف ، فافتتحها جيش السلطان المولى اسمعيل رحمه الله .
قال في « النزّهة » « ومن محاسن الدولة الاسماعيلية تقيّة المغرب
من نجاسة الكفر ورد كيده العدو عنه ، نال وقد فتح السلطان المولى اسمعيل
عدة مدن من يد النصارى كانت من مفاصد المغرب ، ولم يهنا للمسلمين
معه قرار . من ذلك المعمورة فانه رحمه الله قد افتتحها عنوة بعد أن
حاصرها مدة وكان فتحها يوم الخميس رابع عشر ربيع الثاني سنة اثنتين
وتسعين وألف وأسر بها نحو الثلاثمائة من الكفار » اه وقال في « نشر
المثاني » : « كان فتح المهديّة عنوة عند صلاة الجمعة خامس عشر ربيع
الثاني من السنة قيل بقتال وقيل بدون قتال وانما أخذت بقطع الماء عنها
وجيء بالنصارى الذين كانوا بها أسارى ولم يصب أحد من المسلمين .
وقال في « البستان » وفي سنة اثنتين وتسعين وألف ورد الخبر على

السلطان اسمعيل بأن ابن أخيه المولى أحمد بن محرز الذى بالسوس قد استولى على بلاد آيت زينب وقويت شوكة ، فأمر السلطان رحمه الله بفريق الراتب وتجهيز العساكر اليه من فاس ، وتوجهت فى ثامن ربيع الاول من السنة ، ثم بلغه أن العسكر المحاصر للمهدية قد اشرف على فتحها وتوقفوا على حضوره ، فنهض رحمه الله اليهم حتى حضر الفتح ، وأخرج رئيس النصارى فامنه وأمن أصحابه وكانوا ثلاثمائة وستة أنفس ، وأما الغنمة فحجزها المجاهدون من أهل الفحص والريف الذين كانوا مرابطين عليها مع القائد عمر بن حدو البطونى ، ورجع السلطان الى مكناسة بعد أن أنزل بالمهدية طائفة من عبيد السوس لعمارتها وسد فرجتها ، وحضر هذا الفتح جماعة من متطوعة أهل سلا منهم الولي الصالح أبو العباس سيدى أحمد حجي من صلحائها المشهورين بها . واعلم أن السور العادى الذى اليوم بالمهدية هو من بناء البرتقال أيام استيلائهم عليها فى دولة الوطاسين كما مر . ولما فرغ المجاهدون من أمر المهدية ارتحلوا مع أميرهم عمر بن حدو فأصابه الوباء فمات فى الطريق ، وتولى رئاسة المجاهدين أخوه القائد أحمد ابن حدو ، تقسمها هو والقائد أبو الحسن على بن عبد الله الريفى ، وكان أولاد الريفى هؤلاء من الشهرة فى الجهاد والمكانة فى الشجاعة ومكانة الحرب بمنزلة أولاد النقيس وأولاد أبى الليف وأضرابهم رحم الله الجميع .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وألف فيها غزا السلطان بلاد الشرق ، فنهب بنى عامر ورجع الى مكناسة ، وأمر باخراج أهل الذمة من المدينة ، وبنى لهم حارة خارجها بالموضع المعروف ببريمة ، وكلف أهل تافيلالت الذين بفاس بالرحيل الى مكناسة والسكنى بحارة اليهود القديمة التى أخليت ، فلم يزل أهل تافيلالت يذهبون ارسالا ويسكنونها بالكراء حتى ضاقت بهم .

ثم بلغه أن الترك قد خرجوا بعسكرهم واستولوا على بنى يزناسن وعلى دار ابن مشعل ، وأنهم قد مدوا يد الوفاق الى ابن محرز وراسلوه وراسلهم

وانبرم كلامهم معه على حرب السلطان ، وبلغه مثل ذلك من نائبه بمراكش ، فكتب اليه أن يحتاط في حراسة مراكش . وياخذ بالحزم في ذلك ، وقيس في نحر ابن محرز الى ان يرجع السلطان من غزو تلمسان ، ثم خرج رحمه الله بالعساكر لمصادمة الترك فوجدهم قد رجعوا الى بلادهم لما بلغهم من خروج النصارى بشرشال ، فساروا اليهم وفتكوا فيهم فتكة بكرا وردوهم على أعقابهم صاغرين ، ورجع السلطان رحمه الله من وجهته . وقد دخلت سنة أربع وتسعين وألف فسار على نفسه الى مراكش . فأراح بها ، ثم نهض منها الى السوس فالتقى بابن أخيه المولى أحمد بن محرز في أواخر ربيع الثاني من السنة ، وقامت الحرب بينهما على ساق ، واستمر القتال نحو من خمسة وعشرين يوما هلك فيها من الفريقين مالا يحصى ، ودخل ابن محرز تارودانت فتحصن بها ، وكان الوقت وقت غلاء ففاق الامر على أهل الحركة ، فجعلوا يهربون وكثر فيهم السجن والضرب والرد اليها في الحين ، ثم كان بينهما حرب أخرى هلك فيها خلق كثير نحو ألفين وجرح السلطان ، وجرح ابن محرز أيضا ، وذلك في أواسط جمادى الآخرة من السنة ، واستمر الحال على ذلك الى رمضان من السنة .

قال أبو عبد الله أكنسوس حدثني بعض الثقات أن السلطان المولى اسمعيل رحمه الله لما أعياه أمر ابن أخيه المذكور أصبح ذات يوم دهش كثيرا فقال لوزيره الفقيه أبي العباس اليمحدي : اني رأيت في هذه الليلة رؤيا أحزنتني الى الغاية « فقال : « وماهى يامولانا ؟ وعسى أن تكون خيرا » قال : « رأيت كأن هذه الجنود التى معنا ما بقى منها أحد ولم يبق الا أنا وأنت مختفين فى غار مظلم فسجد الوزير اليمحدي شكرا لله تعالى وأطال السجود ثم رفع رأسه وقال : « أبشر يامولانا فقد نصرنا الله على هذا الرجل » فقال له السلطان : « ومن أين لك ذلك ؟ » فقال له : « من قوله تعالى ثانی اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا . قال عليه الصلاة والسلام : « فما ظنك باتنين الله ثالثهما » فسر السلطان بذلك غاية السرور . وانسرى عنه ما كان يجده من الغم . وعلم أن رؤياه بشارة من الله تعالى له ، (الاستقصا - السابع . 5)

وعلى اثر ذلك وقع الصلح بينهما فى رمضان ، ورجع السلطان الى حضرته فدخلها فى أواخر ذى القعدة من السنة المذكورة .

امتحان القضاة والسبب فيه



قال العلامة القادرى فى « الازهار الندية » : « وفى هذه السنة أعنى سنة أربع وتسعين وألف أمر السلطان بالقبض على جميع القضاة وامتحنوا ووصفوا بالجهل وسجنوا فى مشور فاس الجديد حتى يتعلموا مالا بد منه من أحكام ماهم مدفوعون اليه ، ثم أخرجوا أيام المولد الكريم الى مكناسة فهددوا بها ايضا حتى أمر بحبس بعضهم أو قله ثم أطلقوا معزولين » اهـ قال أكسوس : « ولعل المراد بهم قضاة البوادي ومن فى معناهم » قلت : ولم أر فى الازهار شيئا من هذا ولعله فى نسخة الاصل لانهم ذكروا انهما نسختا احدهما مختصرة من الاخرى والله أعلم



غزو البربر وبناء القلاع بازاء معاقبتهم



ثم دخلت سنة خمس وتسعين وألف فيها خرج السلطان فى العساكر الى جبال فزاز لحرب صنهاجة من البربر الذين هنالك ، فلما سمعوا بخروج السلطان انهزموا الى ملوية ، فدخل السلطان بلادهم واختطف قلعة بعين اللوح بسفح جبلهم ، ثم نزل بعين آصرو فأمر ببناء قلعة هنالك بسفح الجبل أيضا ، ثم تبع آثارهم الى أن دخلوا جبل العياشى ، وتربص رحمه الله بملوية الى أن دخل فصل الشتاء ، وكان قصده بذلك التربص اتمام سور القلعتين ، ولما عزم على الرجوع أنزل بقلعة آصرو ألف فارس ، وبقلعة عين اللوح خمسمائة فارس فاخذوا بمخنتهم ، واستراح الناس من عيئهم ببسيط سائس ، ولما منعوا من السهل وانقطعت عنهم الميرة وقتل الاقوات خشعوا ونزل وفدهم فقدموا

مكناسة على السلطان تائبين فأمنهم على شرط دفع الخيل والسلاح والاشتغال بالحرث والتاج ، فدفعوها عن يد وهم صاغرون ، وهؤلاء هم آيت ادراسن ، فأعطاهم السلطان رحمه الله عشرين ألفا من الغنم ألزمهم برعايتها وحفظها ، وأسقط عنهم الوظائف فصلحت أحوالهم ، وصاروا في كل عام يدفعون صوفها وسمنها ويزيدهم الغنم الى أن بلغ عددها ستين ألفا وقلت شوكتهم وذهب بأسهم .

فتح طنجة



قد تقدم لنا أن طنجة صارت الى جنس التجليز من يد البرتقال ، واستمرت بيده الى سنة خمس وتسعين وألف ، فعقد السلطان المولى اسمعيل رحمه الله للقائد أبي الحسن على بن عبد الله الريفي على جيش المجاهدين ووجهه لحصار طنجة ، فضيقوا على من بها من النصارى وطاولوهم الى أن ركبوا سفنهم وهربوا في البحر ، وتركوها خاوية على عروشها ، وذلك في ربيع الاول سنة خمس وتسعين وألف قاله في « النزهة » وقال في « البستان » لما ضاق الامر على النصارى الذين بطنجة وطال عليهم الحصار خربوها وهدموا أسوارها وأبراجها وركبوا سفنهم وتركوها فدخلها المسلمون من غير طعن ولا ضرب وشرع قائد المجاهدين على بن عبد الله الريفي في بناء ما تهدم من أسوارها ومساجدها في فاتح جمادى الاولى من السنة ، قلت وأعقاب هذا القائد لازالوا اليوم بطنجة وكثيرا ما تكون فيهم الرياسة هنالك .

ثم اتفق أن نشب بقرب ساحلها مركب قرصاني جاء مددا لاهل سبتة فيه أموال وبضائع فحارب المسلمون أهله عليه واحتوا على ما فيه ، وألزم السلطان قبيلة غمارة بجر مدافعه النحاسية الى مكناسة ، وأرسل الرماة من أهل فاس لجرها أيضا فأتوا بها لاربعين يوما والله غالب على أمره .

غزو البربر ثانيا و بناء القلاع فى نحورهم



ثم دخلت سنة ست وتسعين. وألف فيها خرج السلطان غازيا بلاد ملوية . وجعل طريقه على مدينة صفرو ، ففرت قبائل البربر الى رؤوس الجبال وهم آيت يوسى وشغروسن وأيوب وعلاهم وقادم وحيون ومديونة ، فأمر السلطان ببناء قلعة بآعليل وأخرى على وادى كيكو من أسفله ، وأخرى على وادى سنكورة وأخرى على وادى تاشواكت ثم خرج السلطان بملوية ففرت القبائل المذكورة الى جبل العياشى وتفرقوا فى شعابه ، فأمر ببناء قلعة بدار الطمع ، وقلعة بتابوست ، وقلعة بقصر بنى مطير ، وقلعة بوطواط ، وقلعة بالقصابى ، وأقام على نهر ملوية ببيت السرايا ويشن الغارات على البربر قريبا من سنة والعمل مستمر فى بناء القلاع الى أن أكملت أسوارها ، وأنزل رحمه الله بكل قلعة أربعمائة من خيل العييد بعيالهم ، وجاءته وفود البربر تائبين طائعين فأمنهم على شرط دفع الخيل والسلاح فدفعوها ، وصفا له رحمه الله هذا الربع الشرقى من جبل درن والله ولى التوفيق بمنه .



مقتل المولى احمد بن محرز وفتح تارودانت وما يتصل بذلك



وفى هذه السنة أغنى سنة ست وتسعين وألف بلغ السلطان المولى اسمعيل رحمه الله وهو بمكناسة أن أخاه المولى الحران ، وابن أخيه المولى احمد بن محرز قد دخلا قصبة تارودانت واستحوذا على تلك الجهات ، فنهض اليهما ووالى السير حتى أناخ بكللكه على تارودانت وحاصرها بها أياما ، فاتفق أن ابن محرز خرج ذات يوم فى جماعة من عبيده لزيارة بعض الاولياء فلقية جماعة من زرارة أصحاب السلطان فلم يعرفوه ، وظنوا أنه بعض قواد ابن محرز فشدوا عليه فماصعهم هنيئة ثم قتلوه فاذا هو ابن محرز .

ولما اتصل الخبر بالسلطان خرج حتى وقف عليه فعرفه ، وأمر بتجهيزه ودفنه ، فدفن مع الغرناطي أحد قواد الجيش ، وكان قد قتل ذلك اليوم ، وكان مقتل المولى أحمد رحمه الله في أواسط ذى القعدة سنة ست وتسعين وألف بعد تشييه على السلطان أربع عشرة سنة ، ثم بعد أيام خرج أهل تارودانت ليلا الى قبر المولى أحمد فنبشوه ونبشوا قبر الغرناطي لانه كان قد اتبس عليهم به فاستخرجوهما معا حتى عرفوا المولى أحمد فحملوه في تابوته ، وتركوا الغرناطي على شفير قبره ، واستمر المولى الحران محصورا بتارودانت والحرب قائمة على ساق الى أن دخلت سنة سبع وتسعين وألف ، فكانت حرب هلك فيها نحو الستمائة نفس من الجند منهم القائد زيتون ، والباشا حمدان وغيرهما ، ثم كانت حرب أخرى أعظم من الاولى ثم ثالثة كذلك هلك فيها القائد أبو زيد عبد الرحمن الروسى ، وتولى مكانه ابن الغرناطي ، واستمر الحال بها الى جمادى الاولى من سنة ثمان وتسعين وألف فافتحم السلطان تارودانت عنوة بالسيف واستباحها ، واستولى عليها وفر المولى الحران الى حيث أمن على نفسه .

ولما اتصل خبر الفتح بأهل فاس عينوا وفدا من كبرائهم وأشرافهم وعلمائهم فقدموا على السلطان بقصد التهنة يقدمهم ولده المولى محمد بن اسمعيل . فأكرم وفادتهم ، وخرج أولاد النقيس من سبتة ، وكانوا قد لجأوا اليها بعد مقتل الخضر غيلان ، فقدموا على السلطان بعسكره من تارودانت فأمر بردهم الى تطاوين وقتلهم بها ، وأمر بقتل من كان منهم مسجوناً بفاس فقتلوا أجمعون رحمهم الله ، ثم دخلت سنة سبع وتسعين وألف فيها قفل السلطان من السوس فدخل دار ملكه مكناسة واستقر بها ، وبعث الى عامر فاس أن يخرج من بها من أهل الريف الى تارودانت بقصد عمارتها والسكنى بها ، وفي خامس جمادى الاولى من السنة استدعى السلطان فقهاء فاس لحضور ختم التفسير عند قاضيه ابي عبد الله المجاصى فحضروا وأكرمهم ووصلهم .

غزو برابرة فازاز وبناء قلعة آدخسان

لما تهيأ السلطان رحمه الله لغزو أهل جبل فازاز نهض اليهم ، وصعد الجبل من الناحية الغربية فأول من قدم عليه من برابرة بالطاعة زمور وبنو حكم فولى عليهم رئيسهم بايشى القبلى فاستصفى منهم الخيل والسلاح ، ثم تجاوزهما الى المال فاستصفاه أيضا ، وجمع ذلك كله وقدم به على السلطان وهو بسيط آدخسان ، فقدمه اليه فأنكر السلطان عليه ذلك ، وقال له : « ما حملك على ما فعلت ولم آمرك به ؟ » فقال له : « يامولانا ان كن غرضك نبي صلاحهم وفلاحهم فهو الذى فعلت لك ولهم ، وان سرت معهم بغير هذا أتبعوك وأتبعوا أنفسهم ، وانما طهرتهم من الحرام ليشغلوا باكتساب الحلال فان ينمو ويزكو » فاستحسن السلطان قوله وأمضى فعله ، وأقام رحمه الله بآدخسان يحارب آيت ومالو سنة كاملة حتى بنى قلعة آدخسان الجديدة بمحل القديمة التى كان بناها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين رحمه الله وخرت ، ولما دخل فصل الشتاء أنزل بالقصبة ألفا وخمسمائة فارس من عبيد أهل دكالة الذين كانوا بوجه عروس نقلهم اليها باولادهم ، وأنزل بزاوية أهل الدلاء ألفا وخمسمائة فارس من عبيد الشاوية الذين كانوا بوجه عروس أيضا نقلهم بعيالهم وأمرهم بحصار البربر ومنعهم من النزول للمرعى والحرث ونحوهما ، ثم قفل الى مكناسة . قال صاحب « البستان » ، وهو أبو القاسم الصياني : وفى هذه المرة نقل معه جدنا الفقيه الاستاذ أبا الحسن على بن ابراهيم باولاده الى مكناسة ، وسبب ذلك أنه لما نزل بآدخسان واجتمع عليه الاشراف الذين باركوا قال لهم : « دلونى على رجل صاحب فقه ودين يؤمنى فى الصلوات » فقالوا له : « ليس بهذا الجبل أتقى من سيدى على بن ابراهيم » فأتوا به فكان امامه فى المحلة ، ولما قفل اخذه معه قال : « فهذا سبب انتقال جدنا من آركو الى الحضر » اهـ

بيان تربية اولاد عبيد الديوان وكيفية تأديبهم

قد قدمنا ان جمهور عبيد البخارى كانوا بالمحلة من مشرع الرملة وانهم تناسلوا بها وكثروا الى الغاية فلما كانت سنة مائة واثم امر السلطان رحمه الله اولئك العبيد أن يأتوه بأبنائهم وبناتهم من عشر سنين فما فوق ، فلما قدموا عليه فرق البنات على عريفات داره ، كل طائفة فى قصر للتربية والتأديب ، و فرق الاولاد على البنائين والتجارين وسائر أهل الحرف المعمل والخدمة وسوق الحمير والتدرب على ركوبها ، حتى اذا أكملوا سنة ، نقلهم الى سوق البغال الحاملة للآجر والزليج والقرمود والخشب ونحو ذلك ، حتى اذا اكملوا سنة ، نقلهم الى خدمة المركز وضرب ألواح الطابية ، حتى اذا أكملوا سنة ، نقلهم الى المرتبة الاولى فى الجندية ، فكساهم ودفع اليهم السلاح يتدربون به على الجندية وطرقها ، حتى اذا أكملوا سنة ، دفع اليهم الخيل يركبونها أعراء بلا سروج ويجرونها فى الميدان للتمرس بها والتدرب على ركوبها ، حتى اذا اكملوا سنة ، وملكوا رؤوسها دفع اليهم السروج فيركبونها بها ويتعلمون الكر والفر والثقافة فى المطاوعة والمراماة على صهواتها ، حتى اذا أكملوا سنة بعد ذلك ، صاروا فى عداد الجند المقاتلة ، فيخرج لهم السلطان البنات اللاتي قدمن معهم ، ويزوج كل واحد من الاولاد واحدة من البنات ، ويعطى الرجل عشرة مثاقيل مهر زوجته ، ويعطى المرأة خمسة مثاقيل شورتها ، ويولى عليهم واحدا من آبائهم الكبار ، ويعطى ذلك القائد ما يبنى به داره وما يبنى به أخصاص أصحابه وهى المعروفة عندنا بالنواويل ، ويبحث بهم الى المحلة بعد ان يكتبوا فى ديوان العسكر ، واستمر الحال هكذا ففى كل سنة ياتى من المحلة عدد صغير ويتوجه اليها من عند السلطان عدد كبير ، من سنة مائة والى أن توفى السلطان رحمه الله فى التاريخ الاتى ، فبلغ عدد هذا العسكر البخارى مائة الف وخمسين ألفا ، منها ثمانون الفا مفرقة فى قلاع المغرب لعمارتها وحراسة طرقها

وسبعون ألفا بالمحلة ، وعدد القلاع التى بناها المولى اسمعيل رحمه الله بالمغرب ست وسبعون قلعة لا زالت قائمة العين والاثر بأفاق المغرب يعرفها الخاص والعام الى الآن ، هكذا وجد فى كنانس كاتب الدولتين الرشيدية والاسماعيلية الفقيه أبى الربيع سليمان بن عبد القادر الزرهونى ، المتوفى بتارودانت سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف ، وكان عنده دفتر العسكر كده سواء السواد الاعظم والمتفرق فى قلاع المغرب .

قال صاحب «البيان» : «وأين هذا مما نقله المؤرخون على وجه الغرابة : من ان الخليفة المعتمد بن الرشيد رحمه الله بلغ عدد مماليكه الذين اشتراهم والذين جلبهم من بلاد الترك ثمانية عشر الفا» قال : وهذا العدد الذى جمعه أمير المؤمنين المولى اسمعيل رحمه الله من العبيد لو خاض به البحر الى الاندلس وكانت تلك القلاع سفنا ومراكب جهادية لاستولى عليها والتوفيق من الله» اه قلت : وهو لعمري كلام مقبول لكن الانسان مجبور فى قالب مختار وتصاريح الامور جارية بيد الله لا بيد غيره وما ترك من الجهل شيئا من اراد أن يظهر فى الوقت غير ما أظهره الله فيه . وقال الشاعر :

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصباية الا من يعانيتها
وقال الآخر :

لا تعذل المشتاق فى أشواقه حتى يكون حشاك فى أحشائه
وقال :

واذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا
ومن أمثال العامة : «القاعد على الجرف محسن للسباحة» ، هذا كله بالنظر الى الحقيقة ، فأما الشريعة فقد قال تعالى : «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» الآية وعلى كل حال فلا يسوغ للانسان أن يهمل الاستعداد للمأمور به شرعا ، ويكل الامر الى القدر ، والا فيكون مخطئاً مخالفنا للشرع والطبع قال صلى الله عليه وسلم للاعرابي الذى ترك ناقته مرسلة : «أعقلها وتوكل» وقال الشاعر :

على المرء أن يسمى لما فيه نفعه وليس عليه أن يساعده الدهر
 اللهم انا نسألك العفو والعافية والتوفيق واللفظ فيما جرت به
 المقادير ، يانعم المولى ونعم النصير

فتح العرائش

وفي هذه السنة أعنى سنة مائة وألف فى آخر شوال منها سار القائد
 أبو العباس أحمد بن حدود البطونى فى جماعة من المجاهدين لحصار العرائش
 وكان الاصبول خذله الله قد استولى عليها على يد الشيخ ابن المنصور
 السعدى كما مر ، فنزل القائد أبو العباس المذكور عليها وضيق على الكفار
 الذين بها وحاصروهم نحو من ثلاثة أشهر ونصف كذا فى «التزهة» وقا
 المؤرخ منويل : «ان مدة الحصار كانت خمسة اشهر» قال وكان طاعية
 الفرنسيس ، وهو لويز الرابع عشر ، قد أعان المولى اسمعيل على فتح
 العرائش وحاصرها بحرا بخمس فراقط وقطع عنها المادة مدة ثم أفلع عنها
 ثم بعد ذلك كان الفتح « قال فى «التزهة» : فتحها المسلمون بعد معاناة
 شديدة وذلك أنهم حفروا المينات تحت خندق سورها الموالى للمرسى
 وملأوها بارودا ثم أوقدوها بالنار فنقطت وسقط جانب من السور فاقحم
 المسلمون منه وتسلقوا الى ما كان من النصارى على الاسوار فوقعت ملحمة
 عظيمة ، وفر باقيهم الى حصن القبيبات الذى بناه المنصور السعدى واعتصموا
 به يوما وليلة ، فخامر قلوبهم الجزع وطلبوا الامان ، فأمّنهم القائد أبو
 العباس المذكور على حكم السلطان ، فنزلوا عليه ، فأخذوا أسارى بأجمعهم
 ولم يعتق منهم الا اميرهم وحده ، وتم الفتح وذلك يوم الاربعاء الثامن
 عشر من المحرم سنة احدى ومائة والف . وما فى «الستان» وقلده صاحب
 «الجيش» : ان نصارى العرائش اعتصموا بحصن القبيبات سنة كاملة خطأ لا
 يعول عليه .

وكان عدد نصارى «العرائش» قبل الاستيلاء عليهم ثلاثة آلاف ومائتين ولما طفر بهم المسلمون أسروا منهم نحو الفين ، وقتلوا منهم اثنتى عشرة مائة ، ووجد بها من البارود والعدة ما لا يحصى كثرة ، فمن المدافع نحو مائة وثمانين منها اثنان وعشرون من النحاس والباقي من الحديد ، ومنها مدفع يسمى : الغصاب طوله خمسة وثلاثون قدما بالحساب . ووزن كرتة خمسة وثلاثون رطلا بحيث حلق عليه بقرب خزائنه أربعة رجال . كذا سمع من المشاهدين لذلك بعد السؤال . كذا فى النزهة قال منويل فى كتابه : ان النصارى ما أسلموا أنفسهم حتى شرطوا شروطا معتبرة لكن السلطان نكث . اه قلت : قد حكى القاضى أبو القاسم العميرى فى فهرسته ما حاصله : ان نصارى العرائش ادعوا ان الفتح المذكور انما كان صلحا وتأمينا لا عنوة ، ثم لما طال النزاع فى ذلك أمر السلطان قاضى حضرته المكناسية أبا عبد الله محمد المعروف بأبى مدين ببيان الحكم فى ذلك فأجاب جوابا طويلا حرر فيه حكم الشريعة المحمدية بما لا غاية فوقه ، وحكم على اولئك النصارى بالاسر ، وقد ذكر ذلك بتمامه فى الفهرسة المذكورة فلينظر هنالك . وأمر السلطان رحمه الله باشخاص اولئك النصارى الى مكناسة الزيتون وكانوا ألفا وثمانمائة على ما فى البستان ، فكان يستخدمهم مع غيرهم من المساجين والاسرى فى بناء قصوره بالنهار ، ويبيتون ليلا فى الدهليز ، وهو فى عرف المغاربة هرى تحت الارض ، وأسكن السلطان رحمه الله أهل الريف «العرائش» ، وأمر قائدهم ان يبنى بها مسجدين وحماما ويبنى داره بقلعتها وفى فتح العرائش أنشد الخطيب البليغ أديب فاس ومفتيها أبو محمد عبد الواحد بن محمد الشريف البوعنانى فقال :

ألا أبشر فهذا الفتح نور قد انتظمت بعزكم الامور
وطير السعد نادى حيث غنى قد اشترحت بفتحكم الصدور
وضوء النصر ساعده التهانى ونور الفخر نحوكم يدور
وقد وافقكم الخيرات طرا وطاب العيش واتصل السرور
حميم بيضة الاسلام لما بعين الحق قد حرس الثغور

وجاهدتم وقاتلتم فأتتم
 وأطلعتهم صوارمكم نجومنا
 فأتت البدر يوم السلم حسنا
 وفي ثغر العرائش قد تبدى
 لقد كان الملوك فساوموها
 فلما جثها انقادت وقالت
 ملكت قياد عزتها بذل
 قهرتهم بأبطال ضخام
 فكم رأس من الكفار امسى
 وكم نحر قلادته رماح
 وكم اسرى وكم قلى بأرض
 تمر بها الطيور فستقيها
 واضحى الناس كلهم نشاوى
 فبشراكم بهذا الفتح نور
 به زادت ماتركم علوا
 الا يامعشر الكفار هذا
 ألا يا أهل سبتة قد اتاكم
 اذا ما جاء سبتة فى عشى
 ووهران تنادى كل يوم
 متى يأتى ويفتحها سريعا
 فيهمزهم ويقتلهم ويسبى
 أيامولاي قم وانفض وشم
 وجاهدهم وحاربهم وفرق
 ولا يمنع بفضل الله منها
 لسان الحال ينشد كل يوم
 بقرطة تنال المجد طرا

لدين الله أقمار تثير
 لدى هيجاء صاحبها كفور
 وفي يوم الوغا الاسد الهصور
 لقدركم على الشعرى انظهور
 وراموها وبان لها نفور
 اليك بحق مولانا المصير
 فما أغنى الحصار ولا العبور
 على الهيجاء كلهم جصور
 قطيع الرأس مجرورا يخور
 وسن الرمح مركزه التحور
 وكم جرحى دماؤهم تغور
 وبات الذئب وهو لها شكور
 على طرب وما شربت خمور
 وبشراكم بما من الغفور
 وقد عظمت به لكم الاجور
 يددكم وليس له فتور
 سيف الله سلطان وقور
 تناديه اذا كان البكور
 متى يأتى الامام متى يزور
 ويلحق أهلها منه نبور
 وسيف الحق فى يده ينور
 لاندلس فأتت لها الامير
 جموعهم فربكم النصير
 كما قد قيل بر او بحور
 ومعنى الحال تفهمه الصدور
 ويأتى العز والملك الكبير

وذلكم بعون الله سهل
 أيامولاي اسمعيل هذا
 يناديكم بناديكم ويدعو
 فيارب البرية يا الهى
 أتب هذا الامير بكل خير
 وابق الملك فيه وفى بنيه
 ونحن رعية نرجو هناء
 عليكم من عييدكم سلام
 يعم جنابكم ما قال صب
 وقال فى ذلك الفقيه العالم
 الورع الشهير أبو محمد عبد السلام

ابن حمدون جوس رحمه الله
 رفعت منازل سبتة أقوالها
 مع بادس وبريجة فتعلقوا
 يابن النبى الهاشمى محمد
 فلقد قضيت للعرائش حاجة
 عار عليكم أن تكون أسيرة
 ان لم تكونوا آخذين بنارها
 لا تسمعن من جاهل ومبطل
 ان الذين تقدموا قد جاهدوا
 فملكوا أملاكها وديارها
 فابعث لها أهل الشجاعة عاجلا
 وأمدهم بمؤونة ومعونة
 وارفع لهذا الغرب رأسا انه
 أبقاك ربي للخلافة عدة
 وأقبل هدية من أتى بنصيحة
 وقال فى ذلك الشريف الاديب أبو محمد عبد السلام بن الطيب القادرى :

تشكو اليكم باندى قد هالها
 وتبهوا كى تسمعوا تسألها
 قل يا امير المؤمنين أنا لها
 مع طنجة فاقضوا لذى آمالها
 بجواركم وجنودكم تغزى لها
 من ذا يفك من الوثاق جبالها ؟
 ومصعب من جهله أحوالها
 بنفوسهم وبمالهم أمثالها
 وتقسموا أموالها ورجالها
 حتى تراهم نازلين جبالها
 كيفما تقطع بالعدا أوصالها
 فى الضعف ما دام العدا أنزالها
 تقفو الشريعة موثرا أفعالها
 يبنى الثواب ولا تقل من قالها

علاء عرش دين الله كل العرائش وهـد بنصر الله قصر العرائش وهي طويلة انظرها في نشر المثاني ان شئت ، ثم في الثاني والعشرين من ربيع الاول من هذه السنة نهى السلطان عن لبس النعال السود ونادى بذلك في سائر أمصار المغرب ، وأمر بلبس النعال الصفر مكانها لما قيل : من أن الناس اتخذوا النعال السود منذ استولى النصارى على العرائش عني يد المأمون السعدي كما تقدم ، وفي أوائل ذي الحجة من هذه السنة قتل السلطان ثلاثة وستين رجلا من الطائفة المسمون بالعاكزة

فتح آصيلا



ولما فرغ المجاهدون من أمر العرائش عمدوا الى مدينة آصيلا فنزلوا عليها وحاصروا النصارى الذين بها سنة كاملة ، وأظنهم الاصبنيول ، الى أن بلغ بهم الحصار كل مبلغ ، فطلبوا الامان فامنوهم على حكم السلطان ولما لم يطمئنا لذلك ركبوا من الليل سفنهم ونجوا الى بلادهم ، ودخل المسلمون المدينة فملكوها ، وذلك سنة اثنتين ومائة والـف ، وعمرها أهل الريف أيضا ، وبنى بها قائدهم مسجدين ومدرسة وحماما وبنى داره بقلعتها والله أعلم



حصار سبتة



ثم سار المجاهدون بعد الفراغ من آصيلا الى سبتة فنزلوا عليها وحاصروها واستأنفوا الجـد في مقاتلتها ، وأمدهم السلطان بعسكر من عبيد ، وأمر قبائل الجبل أن تعين كل قبيلة حصتها للمرابطة على سبتة ، وكذلك أمر أهل فاس أن يعثوا بحصتهم اليها ، فكان عدد المرابطين عليها خمسة وعشرين ألفا ، وتقدم السلطان اليهم في الجـد والاجتهاد فكان القتال لا ينقطع عنها صباحا ومساء ، وطال الامد حتى أن السلطان رحمه الله اتهم القواد

الذين كانوا على حصارها بعدم النصح فى افتتاحها لتلايىث بهم بعدها الى حصار البريجة فيعدوا عن بلادهم ، مع أنهم قد سثموا كثرة الاسفار ومشقات الحروب ، واستمر الحال الى ان مات القائد أبو الحسن على بن عبد الله الريفى ، وولى بعده ابنه القائد أبو العباس أحمد بن على ، والقتال لا زال والحال ما حال ، وفى كل سنة يتعاقب الغزاة عليها ، والسلطان مشتغل بتمهيد المغرب ومقاتلة برابرة جبل فازاز وغيرهم ، ولم يهين الله فتحها على يديه ، ودار القائد أحمد بن على ومسجده اللذان بناهما بازاء سبته أيام الحصار لا زالا قائمي العين والانر الى اليوم . وحكى الغزال فى رحلته: أنه رأى باحد ابواب سبته خرقا قديما لم يصلح فسأل أهلها عنه فقالوا انه من أثر الرمى الذى كان يرميه الجيش الاسماعيلى وهو أثر كسرة خرقت الباب ونفذت الى داخل البلد وتركاه على حاله ليعتبر به من يأتى بعدنا ويزداد احتياطا وحزما أو كلاما هذا معناه والله تعالى أعلم .



غزو السلطان المولى اسماعيل برابرة فازاز وابقاعه بهم



كان السلطان المولى اسماعيل رحمه الله فى هذه المدة مشغولا بتمهيد المغرب واستنزال اممه من معاقلهم الى ان فتح أقطاره كلها وبنى قلاعها ورتب حاميتها ، ولم يبق له بالمغرب كله الا قنة جبل فازاز الذى فيه آيت ومالو وآيت يف المال وآيت يسرى ، فعزم على النهوض اليه واقتضاض عذرتة . ولما اراد الخروج اليهم استخلف على فاس الجديد . كبير أولاده المولى أبا العلاء محرزا ، وبعث الى مراکش ابنه المولى أبا اليمن المأمون ، وترك بمكناسة ابنه المولى محمد المدعو زيدان ، وكان فارس أولاده الموجودين يومئذ .

ولما ولى المأمون على مراکش أمر برئيس الحضرة وامام الكتاب الفقيه أبا العباس أحمد اليعمدي أن يعطيه التقليد ويوصيه بما تبغى الوصاية به ،

وكان المولى المأمون منحرفا عن الوزير المذكور فمشى اليه على كره منه وحاز منه التقليد واستمع لوصيته امتثالا لامر والده ، ثم عاد اليه وقال : «يامولانا ان الیحمدي ينقصك ويزعم انه الذى علمك دينك» فى كلام آخر فقال له السلطان رحمه الله : «والله ان كان قد قال ذلك انه لصادق فانه الذى علمنى دينى وعرفنى ربى» نقل هذه الحكاية صاحب «البيستان» وصاحب «الجيش» وكلاهما قال : انه سمعها من السلطان المرحوم المولى سليمان بن محمد رحمه الله ، وهى منقبة فخيمة للمولى اسمعيل فى الخضوع للحق والاعتراف به رحم الله الجميع .

ثم دخلت سنة ثلاث ومائة والـف والـسلطان عازم على النهوض الى فازان وبعث مع ذلك بالراتب والعدة الى أهل فاس وامرهم بالنهوض الى الترك مع ولده المولى زيدان فخرجوا فى رمضان من السنة وبعد العيد أخذ السلطان فى الاستعداد للنهوض الى فازان ثم بدا له فخرج فى اثر المولى زيدان فلحق باطراف المغرب الاوسط وأبرم الصلح مع الترك ورجع الى الحضرة هكذا ساق صاحب البيستان هذا الخبر ، والذى رأيته فى «نشر المائى» هو ما نصه : قد اختار السلطان المولى اسمعيل الفقيه أبا عبد الله محمد الطيب الفاسى لعقد المهادنة مع الترك فى حدود سنة ثلاث ومائة والـف بعد وقعة المشارع معهم لعلمه وفصاحته وبيته ، فذهب نحو الجزائر صجة ولد السلطان وهو مولای عبد الملك ، ومعهم الكاتب أبو عبد الله المدعو الوزير وغيرهم من وجوه الدولة الاسماعيلية ، فلما قاربوا الجزائر خرج صاحبها فى جنده وقتل ونهب حتى انتهى الخبر الى فاس بانهم قتلوا اجمع ، وصادف ذلك يوم عاشوراء فحزن الناس لذلك وأمسكوا عن الاتفاق ، حتى بقى ما عهد أن يشتري فى ذلك اليوم ملقى لما عرا الناس من الغم ، ثم جاء الخبر بانهم قادمون بعافية ، وانهم وصلوا الى تازا ففرح الناس واستأنفوا الاتفاق كيوم عاشوراء ، ومات بايشى القبلى فولى السلطان على زمور وبنى حكم ولده أبا الحسن على بن يشى .

ثم دخلت سنة أربع ومائة وألف وفيها تهيأ السلطان للنهوض الى

البربر أهل فازاز ، فاستفر القبائل وحشد الجيوش واستعد الاستعداد التام
 بالمدافع والمهاريس والمجانيق وسائر آلات الحصار ، فنزل رحمه الله في جند
 العبيد ببسيط آدخسان ، ورتب على البرابر العساكر من كل جهة ، فبعث
 الباشا مساهلا في خمسة وعشرين الفا من الرماة طلع بها من تادلا على وادي
 العبيد حتى نزل خلف آيت يسرى ، وبعث على بن بركات مع آيت يمسو
 وآيت ادراسن فنزلوا بتغالين ، وبعث على بن يشى مع زمور وبنى حكم
 وأمره أن ينزل بعين شوعة ، وبعث الى اهل تدغة وفركلة وغريس والنصاح
 أن يقدموا بجمعهم على على بن يشى ، وبعث اليه مع ذلك بعسكر الطليجية
 بالمدافع والمهاريس وسائر آلات الحرب ، وبعث نصارى العرائش يجرونها
 على طريق آعليل ثم على قصر بنى مطير الى ان اجتمعوا بعلى بن يشى على
 عين شوعة .

وضرب السلطان لامراء الجنود لانشاب الحرب موعدا معلوما . وقال
 لهم : « اذا كان وقت العشاء من ليلة كذا فليأخذ الطليجية فى اخراج المدافع
 والمهاريس بالكور والنبب طوئ ليلتهم ليحصل للبربر الدهش فاذا أصبحتم
 فليقدم كل قائد من ناحيته ، ولينشب الحرب ليكون القتال فى ساعة واحدة
 من جميع الجهات » ففعلوا ما أشار به عليهم .

ولما كانت الليلة المعينة لم يرع البربر الا رعود المدافع والمهاريس
 تصعق فى الجو ونيرانها تنقدح فى ظلمات الليل ، وأصداء الجبال تتجاوب
 من كل ناحية ، فقامت عليهم القيامة وظنوا أن الارض قد زالت بهم ، فقوضوا
 أنبتهم وحملوا عيالاتهم للفرار ، وصاروا لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون
 سبيلا . ولما أصبحوا زحف اليهم السلطان من ناحيته ، وزحفت اليهم العساكر
 من باقى الجهات ، واشتد القتال فانهزموا وتفرقوا فى الشعاب والوديدة
 شذر مدر ، وصار كل من قصد منهم ثنية أو منفذا وجد العساكر مقلعة منها ،
 والمدافع مصوبة نحوها فحل بهم القضاء ، وتصرف فيهم البلاء كيف شاء ،
 فقتلت رجالهم وسبيت نساؤهم واولادهم ، ونهب أنائبهم وحيزت مواشيهم
 وأنعامهم ، واستلبت خيلهم وسلاحهم ، واستحر القتل والنهب فيهم ثلاثة

أيام والعساكر تلتقطهم من الاودية والشعاب ، وتستخرجهم من الكهوف والغيان ، وأمر السلطان قواده مساهلا وعلى بن يشى وعلى بن بركات بجمع رؤوس القتلى وجمع الخيل والسلاح ويوافوه به لآدخسان ، فجمعوا ما عثروا عليه من ذلك فكان عدد الرؤوس ينيف على اثني عشر ألفا ، وعدد الخيل الفحول ينيف على عشرة آلاف ، وعدد المكاحل ينيف على ثلاثين ألفا ، وبلاستيلاء على هؤلاء البربر كمل للسلطان المولى اسمعيل رحمه الله فتح المغرب ، واستولى عليه كله ولم يبق به عرق ينبض ، وكب في الديوان من آيت يبور ألف فارس أنزلهم مع على بن بركات بقلعة تغالين ، وأنزل محلتهم على رأس منزل آيت ومالو ، ولم يترك لقليلة من قبائل المغرب خيلا ولا سلاحا ، وانما كانت الخيل والسلاح عند العيد والودايا وآيت يبور وأهل الريف المجاهدين بسبته .

قال أبو عبد الله أكنسوس رحمه الله : « وكان المولى اسمعيل رحمه الله ارتكب أخف الضررين وادنى المفسدين في اضعاف قبائل المسلمين بسلب الخيل والسلاح مع أن المطلوب هو تقويتهم بذلك لمقاومة العدو الكافر . قال تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » الآية ورأى المولى اسمعيل : أنه لما اعد ذلك العسكر القوي الشديد قام عن المسلمين بواجب وكفاهم كل مؤنة وأراحهم من كلفة القيام بالخيول والسلاح ، مع أن الفساد الذي يظهر منهم عند ملك الخيل والسلاح أعظم وذلك بقطع الطرقات ونهب الاموال وخلع اليد من الطاعة ، قال : وهذا القدر الذي اعتدنا به عن السلطان ظاهر غاية الظهور ولعله خفى على الشيخ اليوسى حتى كتب اليه برسالته المشهورة ، اهـ

قلت : ما فعله السلطان المولى اسمعيل رحمه الله من ذلك ظاهر المصلحة لا يخفى على احد وجه استحسانه ، ولا يتوهم عاقل أن أهل فازاز ومن في معانهم يتخذون الخيل والسلاح للجهاد يوما ما فلا يحتاج السلطان رحمه الله في مثل ذلك الى الاعتذار ، وقوله ان ذلك الاعتذار خفى على اليوسى ليس على ما ينبغي ، لان الشيخ اليوسى رحمه الله ما تكلم مع (الاستقصا - الساج . 5)

السلطان في امر اولئك القبائل ومن في معناهم ، وانما كلامه معه في امور ثلاثة : الاول في جباية المال من وجهه وصرفه في وجهه . الثاني : في اقامة رسم النجهد وشحن الثغور كلها بالمقاتلة والسلاح . الثالث : في الانتصاف من الظالم للمظلوم وكف اليد العادية عن الرعية .

ونص هذه الرسالة : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، قطب المجد ومركزه ومحاز الفخر ومأزده ، وأساس الشرف الباذخ ومنبعه ، ومناط الفضل الشامخ ومجمعه ، السلطان الاعظم الاجل الافخم ، مولانا اسمعيل ابن مولانا الشريف لا زالت أعلامه منصوره ، وأيامه على العز واليمن مقصورة ، سلام على سيدنا ورحمة الله وبركاته ، هذا ولا زائد عندنا سوى المحبة لسيدنا وغاية التعظيم والاجلال ، والدعاء لسيدنا بصالح الاحوال ، وذلك بعض ما اوجبه يده المبسوطة علينا بالبر والاحسان ، والفضل والامتنان والتوقير والاحترام والانعام والاكرام ، مع ما له علينا وعلى غيرنا من الحقوق التي اوجبتها منزلته السلطانية ، ومثابه الطوقية الفاطمية ، فكبتنا هذه البطاقة ، وهي في الوقت منتهى الطاقة ، وكنا كثيرا ما نرى من سيدنا التشوق الى الموعظة والنصح ، والرغبة في استفتاح أبواب الربح والنجح ، فأردنا ان نرسل الى سيدنا ما أن وفق الى النهوض اليه رجونا له ربح الدنيا والآخرة ، والارتقاء الى الدرجات الفاخرة ، ورجونا وان لم تكن أهلا لان نعظ ، أن يكون سيدنا أهلا لان يتعظ ، وان يحتمى من جميع المذام ويحفظ ، فليعلم سيدنا أن الارض وما فيها ملك لله تعالى لا شريك له ، والناس عبيد لله سبحانه واماء له ، وسيدنا واحد من العبيد وقد ملكه الله عبيده ابتلاء وامتحانا ، فان قام عليهم بالعدو والرحمة والانصاف والاصلاح فهو خليفة الله في أرضه وظل الله على عبيده وله الدرجة العالية عند الله تعالى ، وان قام بالجور والعنف والكبرياء والطغيان والافساد فهو متجاسر على مولاه في مملكته ومتسلط ومتكبر في الارض بغير الحق ، ومتعرض لعقوبة مولاه الشديدة وسخطه ، ولا يخفى على سيدنا حال من تسلط على رعيته يروم تملكهم بغير اذنه كيف يفعل به

يوم يتمكن منه ، ثم نقول : ان على السلطان حقوقا كثيرة لا تفى بها البطاقة ، ولتقتصر منها على ثلاثة هي امهاتها ، الاول : جمع المال من حق وتفريقه فى حق . الثانى : اقامة الجهاد لاعلاء كلمة الله وفى معناه تعمير الثغور بما تحتاج اليه من عدد وعدة . الثالث : الانتصاف من الظالم للمظلوم . وفى معناه كف اليد العادية عليهم منهم ومن غيرهم ، وهذه الثلاثة كلها قد اختلفت فى دواة سيدنا فوجب علينا تنبيهه لئلا يعتذر بعدم الاطلاع والغفلة فان تبه وفعل فقد فاز ، وذلك صلاح الوقت وصلاح أهله وسبوغ النعمة وشمول الرحمة والا فقد أدينا الذى علينا ، أما الامر الاول فليعلم سيدنا أن المال الذى يجبى من الرعية قد أعد للمصالح التى ينتظم بها الدين وتصلح الدنيا من اهل البيت والعلماء والقضاة والائمة والمجاهدين والاجناد والمساجد والقناطر وغير ذلك من المصالح ، ومثال هؤلاء كآيتام لهم ديون قد عجزوا عن قبضها الا بوكيل ، ومثال الرعية مثل المديان والسلطان هو الوكيل ، فان استوفى الوكيل الدين بلا زيادة ولا نقصان وأداه الى اليتامى بحسب ما يجب لكل فقد برىء من اللوم ولم تبق عليه تباعة للمديان ولا لليتيم ، وحصل له أجران : أجر القبض وأجر الدفع ، وان هو زاد على الدين الواجب بغير رضى المديان فهو ظالم له ، أو نقص اليتيم من حقه الواجب له فهو ظالم له ، وكذا ان استوفى الديون وأمسكها ولم يدفعه لأربابها فهو ظالم ، فلينظر سيدنا فان جباة مملكته قد جروا ذبول الظلم على الرعية فأكلوا اللحم وشربوا الدم وامتشوا العظم وامتصوا المخ ولم يتركوا للناس دينا ولا دنيا ، أما الدنيا فقد اخذوها وأما الدين فقد فتنوه عنه وهذا شئء شهدناه لا شئء ظنناه ، ثم ان ارباب الحقوق قد ضاعوا ولم تصل اليهم حقوقهم فعلى السلطان أن يتفقد الجباة ويكف أيديهم عن الظلم ولا يغتر بكل من يزين له الوقت فان كثيرا من الدائرين به طلاب الدنيا لا يتقون الله تعالى ولا يتحفظون من المداينة والنفاق والكذب وفى أفضل منهم قال جده أمير المؤمنين مولانا على بن أبى طالب كرم الله وجهه : «المغرور من غررتموه اه وان يتفقد المصالح ويبسط يد الفضل على خواص الناس من

أهل الفضل والدين والخير ليكتسب محبتهم وثناءهم ونصرهم كما قيل :
 أفادتكم النعماء منى ثلاثة يدى ولسانى والضمير المحجبا
 وقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها ولا يهملهم فيتمنوا غيره
 ويتطلبوا دولة اخرى كما قيل :

إذا لم يكن للمرء فى دولة امرئ نصيب ولا حظ تمنى زوالها
 وما ذاك من بغض لها غير أنه يريد سواها فهو يهوى انتقالها
 وليعلم سيدنا ان السلطان اذا أخذ أموال العامة وتثرها فى الخاصة وشيد
 بها المصالح فالعامة يذعنون ، ويعلمون انه سلطان وتطيب قلوبهم بما يرون
 من انفاق أموالهم فى مصالحهم والا فالعكس ، وأيضا السلطان متعرض
 للسهم الراشقة من دعوة المظلومين من الرعية ، فاذا أحسن الى الخاصة دعوا
 له بالخير والسلامة والبقاء ، فيقابل دعاء بدعاء والله الموفق ، واما الامر الثانى
 فقد ضاع أيضا وذلك أنه لم يأت فى الوقت الا عمارة الثغور ، وسيدنا قد
 غفل عنها فقد ضعفت اليوم غاية ، وقد حضرت بمدينة تطلاوين أيام مولانا
 الرشيد رحمه الله ، فكانوا اذا سمعوا الصريخ تهتز الارض خيلا ورماة ،
 وقد بلغنى اليوم أنهم سمعوا صريخا من جانب البحر ذات يوم فخرجوا
 يسعون على أرجلهم بأيديهم العصي والمقاليع ، وهذا وهن فى الدين ، وغرر
 على المسلمين ، وانما جاءهم الضعف من المغارم الثقيلة ، وتكليفهم الحركات
 واعطاء العدة كسائر الناس ، فعلى سيدنا أن يتفقد السواحل كلها من قلعية
 الى ماسة ، ويحرضهم على الجهاد والحراسة بعد أن يحسن اليهم ويعفيهم مما
 يكلف به غيرهم ، ويترك لهم خيلهم وعدتهم ويزيدهم ما يحتاجون اليه ،
 فهم حماة بيضة الاسلام ، ويتحرى فيمن يولى تلك النواحي أن يكون أشد
 للناس رغبة فى الجهاد ، ونجدة فى المضايق وغيره على الاسلام ، ولا يولى
 فيها من همته ملء بطنه والاتكاء على اريكته والله الموفق .

وأما الامر الثالث فقد اختل أيضا لان المشعبين للاتصاف بين الناس فى
 البلدان ، وهم العمال وخدامهم ، هم المشتغلون بظلم الناس ، فكيف يزيل
 الظلم من يفعله ؟ ومن ذهب يشتكى سبقه الى الباب فرادوا عليه فلا يقدر

أحد أن يشتكى فليتك الله سيدنا ، ولتلق دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب ، وليجهد في العدل فإنه قوام الملك وصلاح الدين والدنيا ، قال تعالى : « ان الله يامر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » الآية . وقال تعالى : « ولينصرن الله من ينصره ان الله تقوى عزيز » ثم ذكر تعالى المنصورين وشروط النصر فقال : « الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » فضمن تعالى للملوك النصر وشراط عليهم هذه الامور الاربعة ، فمتى اختل عليهم أمر الرعية وتسلط عليهم من يفسد عليهم الدولة فليعلموا ان ذلك من اخلائهم بهذه الامور ، فكان عليهم الرجوع الى الله تعالى وتفقد ما أمرهم به ورعاية ما استرعاهم اياه ، وقد اتفقت حكماء العرب والعجم على ان الجور لا يثبت معه الملك ولا يستقيم ، وان العدل يستقيم معه الملك ولو مع الكفر ، وقد عاش الملوك من الكفرة المئين من السنين فى الملك المنتظم والكلمة المسموعة والراحة من كل منقص لما كانوا عليه من العدل فى الرعية ، استصلاحا لديانهم فكيف بمن يرجو صلاح الدنيا والدين ، قال بعض الحكماء : « الملك بناء والجند أساسه واذا ضعف الأساس سقط البناء فلا سلطان الا بجند ولا جند الا بمال ولا مال الا بجباية ولا جباية الا بعمارة ولا عمارة الا بالعدل فالعدل أساس الجميع . » وقد صنع أرسطوطاليس الحكيم للملك الاسكندر الشكل المستند عنه وكتب عليه : « العالم بستان سياجه الدولة ، الدولة سلطان تعضده السنة ، السنة سياحة يسوسها الملك ، الملك راع يعضده الجيش ، الجيش أعوان يكفلهم المال ، المال رزق يجمعه الرعية ، الرعية عبيد يفودهم العدل ، العدل مألوف وبه صلاح العالم ، العالم بستان الى آخره : وقال صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكلكم مسئولون عن رعيته » وقال صلى الله عليه وسلم : « ان رجلا يخوضون فى مال الله بغير حق لهم النار يوم القيامة » أو كما قال وقال صلى الله عليه وسلم : « مامن وال بلى ولاية الا جاء يوم القيامة ويداه مغلولتان فاما عدل يفكه واما جور يوبقه . » وعن مولانا على ابن أبى طالب رضى الله عنه قال : « رأيت عمر على قتب يعدو به بعيره بالابطح

فقلت يا أمير المؤمنين « أين تسير ؟ » فقال : « بعير من ابل الصدقة شرد أطلبه »
فقلت : « أذلت الخلفاء من بعدك » فقال : « لا تلمنى ، فوالذى بعث محمد
صلى الله عليه وسلم بالحق لو أن عناقا ضلت بشاطئ الفرات لآخذ بها عمر يوم
القيامة انه لآحرمة لوال ضيع للمسلمين ولا لفاسق روع المؤمنين » وقد رأى
رضى الله عنه شيخا يهوديا يسأل على الابواب فقال : « ما أنصفناك أخذنا منك
الجزية ما دمت شابا ثم ضيعناك اليوم » وأمر أن يجرى عليه قوته من بيت المال.
وليعلم سيدنا أن اول العدل أن يعدل فى نفسه فلا يأخذ لنفسه من المال الا
بحق ، وليسأل العلماء عما يأخذ وما يعطى . وما يأتى وما يذر ، وقد كان بنو
اسرائيل يكون فيهم الامير على يد نبي ، فالتبى يأمر والامير ينفذ لا غير ، ولما
كانت هذه الامة المرحومة انقطعت منها النبوة بنبيها خاتم النبيين صلى الله عليه
وسلم فلم يبق الا العلماء يقتدى بهم قال صلى الله عليه وسلم : « علماء أمتى
كأنبياء بنى اسرائيل » فكان حقا على هذه الامة أن يتبعوا العلماء ويتصرفوا على
أيديهم أخذًا وعطاء ، وقد توفى صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضى
الله عنه وكان قبل ذلك يبيع ويشترى فى السوق على عياله ، فلما بويغ أخذ
ماله الذى للتجارة وذهب للسوق على عادته حتى رده علماء الصحابة ، وقالوا :
« انك فى شغل بأمر الخلافه عن السوق » وفرضوا له ما يكفيه مع عياله ، وجعلوا
المال على يد أمين فكان هو وغيره فيه سواء يأخذ منه بما اقتضته الشريعة
لنفسه ولغيره ، وهكذا سيرة الخلفاء الراشدين من بعده ، فعلى سيدنا أن يقتدى
بهؤلاء الفضلاء ولا يقتدى باهل الاهواء ، وليسأل من معه من الفقهاء الثقات
كسيدى محمد بن الحسن ، وسيدى أحمد بن سعيد ، وغيرهما من العلماء
العاملين الذين يتقون الله ولا يخافون فى الله لومة لائم فما أمروه به مما
ذكرناه ومما لم نذكره فعله ، وما نهوه عنه انتهى ، هذه طريقة النجاة ان شاء
الله تعالى ، نسأل الله تعالى أن يرزق سيدنا توفيقا وتسديدا ، وارشادا وتأيدا
وأن يصلح بوجوده البلاد والعباد ، وان يحسم بسيفه أهل الزيغ والعدا
آمين والحمد لله رب العالمين .

ولما فرغ السلطان رحمه الله من وقعة فازاز وآيت ومالو دعا على بن

يشى وعقد له على عشرة آلاف من الحيل وقال له : « لا أرى وجهك الا اذا أغرت على كروان وأتيتني منهم بعدد هذه الرؤوس التى هنا » لانهم كانوا بوادى نيز يعيشون فى طريق سجلماصة وينهبون الرفاق ، فسار على بن يشى حتى صبحهم وهم عارون فنهب حللهم ومواشيهم وقتل منهم العدد الكثير ، ثم نادى فى تلك القبائل كلها من أتى برأس كروانى فله عشرة منافع ، فصار كل من انجاز اليه أحد منهم يقطع رأسه ويأتى به اليه ، واستمر البحث عنهم فى المدر والوبر الى أن قضى من جماعهم الوطر ، ولما اجتمعت عنده أعطى كل من أتى برأس مثقالا واحدا ، وجاء الى السلطان باثنى عشر ألف رأس كما اقترح عليه ، وفق ما اجتمع منها بأدخسان فشكر له فعله وولاه على قبائل العرب والبربر .

ودخلت سنة خمس ومائة وألف فلم يكن فيها شيء يذكر .
ثم دخلت سنة ست ومائة وألف ففي ربيع منها خرج المولى زيدان ابن السلطان بالعساكر قاصدا ناحية تلمسان بعد أن قتل النائب بفاس أبا العباس أحمد السلاوى فقاتل الترك ونهب ورجع .

ثم دخلت سنة سبع ومائة وألف فلم يكن فيها شيء يذكر .
ثم دخلت سنة ثمان ومائة وألف ففي يوم عرفة منها قدم عشرة رجال من اصطنبول ومعهم كتاب من السلطان مصطفى بن محمد العثمانى صاحب القسطنطينية العظمى الى السلطان المولى اسمعيل يندبه الى الصلح مع أهل الجزائر فاتدب رحمه الله وامتل .



امر السلطان المولى اسماعيل علماء فاس بالكتابة على ديوان العيد وامتناعهم منها وما نشأ عن ذلك



وفى ذى القعدة من هذه السنة أعنى سنة ثمان ومائة وألف ورد كتاب
من حضرة السلطان على القاضى والعلماء بفاس يعاتبهم ويوبخهم على عدم
موافقتهم على تملك العيد المثبتين فى الديوان، ثم ورد كتاب آخر من السلطان
يمدح العامة ويذم العلماء ويأمر بعزل القاضى والشهود كذا فى «البستان» .
قال أبو عبد الله أكنسوس : «هذا الكلام الذى نقله صاحب «البستان»
عن السلطان المولى اسماعيل رحمه الله فيه نظر فانه كلام مجمل، وقضية جمع العيد
مذكورة مفصلة فى الكناش الكبير الاسماعيلي وفيه تمييز الممالك الارقاء
الذين اشتروا بالثمن على الوجه الشرعى بخطوط العدول ، وهؤلاء لا كلام
فيهم ، وأما غيرهم من أهل الديوان المجلوبون من القبائل العديدة فإن السلطان
لم يدع فيهم الملكية ، وإنما الكلام فى جبرهم على الجندية ، ووجه السلطان
الى علماء المشرق والمغرب السؤالات عن ذلك ، فكتبوا اليه الاجوبة المتضمنة
للجواز بخطوطهم ، وكل ذلك فى الكناش المذكور مبسوطا ، وهو شئ
كثير ، وحاشى الله مقام السلطان المولى اسماعيل رحمه الله أن يدعى تملك
الاحرار ، وقد تقدم كلام الشيخ اليوسى وبيان ما أنكر على السلطان ، ولو
كان ما ذكر الصياني متصفا به السلطان المذكور لكان ذلك أول ما ينكره
اليوسى ، ولا يسهو السكوت عليه مع أنه أنكر ما هو أقل من ذلك وأخف
بمراتب ، نعم فى الكناش طوائف معروفة متميزة ثبت عند السلطان المذكور
أنهم كانوا أرقاء للمنصور السعدى ، فلما انقرضت الدولة السعدية تفرقوا فى
الافطار ، وهم الذين تقدم الكلام عليهم فى دفتر عليلش ، وقد وقع البحث
عن رقيتهم وسئل أهل الاسنان من كل قبيلة فعينوا الرقيق من غيره ، فثبت
ذلك كله عند السلطان، ومع ذلك لم يدخلهم فى الارقاء الخالص الذين اشتروا

بالثمن بل ميزهم على حدة فكان ذلك الجند عنده على ثلاث مراتب . المرتبة الاولى : خالص الرقية ، المرتبة الثانية : خالص الحرية ، المرتبة الثالثة : واسطة بينهما ، اه والله تعالى أعلم .

تفريق المولى اسماعيل رحمه الله اعمال المغرب على اولاده وما نشأ عن ذلك

لما كانت سنة احدى عشرة ومائة وألف فرق السلطان المولى اسمعيل رحمه الله أعمال المغرب على أولاده ، فعقد لابنه المولى أحمد على تادلا وأنزله بقصبتها ورتب معه ثلاثة آلاف من العبيد حامية بها ، وأمره أن يزيد في تلك القصة فبنى قصة جديدة ، وبنى بها قصره وبنى مسجدا أعظم من مسجد أبيه بالقصة الاولى ، واستقر بها .

وعقد لابنه المولى عبد الملك على درعة وأعمالها وأنزله بقصبتها ورتب معه ثلاثة آلاف من الخيل .

وعقد لابنه المولى محمد المدعو بالعالم على اقليم السوس ورتب معه ألف فارس .

وعقد لابنه المأمون الكبير الذي كان بمراكش على سجلماسة وأعمالها نقله من مراكش اليها وأنزله بقصته التي بناها له بتيزيمي ورتب معه خمسمائة من الخيل ، وبعد سنتين توفي المولى المأمون فولى السلطان مكانه ابنه المولى يوسف .

وعقد لابنه المولى زيدان على بلاد الشرق فكان يغير على رعايا الترك الى أن شردهم عن نواحي تلمسان ، وانتهى في بعض أيام غاراته الى مدينة معسكر فاقتحمها واتهب دار أميرها عثمان باى واخذ ما فيها من الفرش والخرثى والادام وغير ذلك لمغيب عثمان عنها في بعض غزواته ، فانتهاز المولى

زيدان فيها الفرصة فكان ذلك سبب عزله عن الشرى وتولية أخيه المولى حفيد مكانه ، لان السلطان رحمه الله لم يرض فعله ونهبه لدار الباي للصلح الذي كان انعقد بينه وبين السلطان مصطفى العثماني كما مر .

ثم دخلت سنة اثنتى عشرة ومائة وألف : فيه غزا السلطان بلاد الشرق وحارب الترك بها لا تتقاض الصلح الذي كن بينه وبينهم بسبب غارات المولى زيدان المتقدمة ، ولما قفل السلطان من وجهه هذه هلك من جنده أثناء الطريق عدد كبير من العطش فمن أهل فاس بالخصوص أربعون نفسا سوى من هلك من غيرهم ، وفي هذه السنة قتل القائد عبد الخالق بن عبد الله الروسى صاحب فاس عبدا من عبيد دار السلطان دخل عليه بغير اذنه فقتله ، فبعث السلطان ولده المولى حفيدا من مكناسة الى فاس لياتيه به فاستشفع اليه عبد الخالق بالعلماء والاشراف فلم يقيده المولى حفيد وذهب به مسرعا ، فلما دخل على السلطان بمكناسة عفا عنه ورجع الى فاس سالما .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة وألف فيها استدعى السلطان عبد الخالق الروسى من فاس ، فلما قدم عليه قتله ، وبعث ابنه المولى زيدان الى فاس وبعث معه حمدون بن عبد الله الروسى واليا عليها بدلا من أخيه المقتول والله أعلم .



تنازع اولاد السلطان و ثورة المولى محمد العالم منهم بالسوس ومقتله



لما دخلت سنة أربع عشرة ومائة وألف وصل المولى عبد الملك بن السلطان صاحب درعة الى ضريح المولى ادريس الاكبر بزرهون مهزوما لاستيلاء أخيه المولى ابى النصر على درعة وتغلبه على تلك النواحي ، فبعث السلطان ولده المولى الشريف الى درعة واليا عليها ، فثار المولى محمد العالم ببلاد السوس ودعا لنفسه وزحف الى مراكش ، فحاصرها في رمضان من السنة المذكورة ، وفي العشرين من شوال اقتحمها عنوة بالسيف فقتل

ونهب ، ولما انصل خبره بالسلطان بعث ولده المولى زيدان فى العساكر لقتاله ، فقدم مراکش فصادف المولى محمدا قد خرج عنها وعاد الى تارودانت ، ولما احتل المولى زيدان بمراكش عاثت عساكره فيها ثم تبع أخاه المولى محمدا العالم الى السوس فنزل على تارودانت واتصلت الحرب بينهما الى ان دخلت سنة خمس عشرة ومائة والى فيها قدم المولى حفيد حضرة فاس الجديد ووظف على أهل فاس مغرما ثقيلًا وجاء الزعيم واليا عليها ، ثم عزل وولى مكانه أبو على الروسى فقتل اناسا وصلبهم ، وفى متم شوال من السنة المذكورة مات المولى حفيد بفاس الجديد ، هذا كله والحرب قائمة بين المولى زيدان والمولى محمد العالم .

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة والى ففى ثالث صفر منها ورد أمر السلطان على فاس بأن تعطى كل عتبة عظم سرج ولا يحرر من ذلك أحد كائنا من كان .

وفى الحادى والعشرين من صفر المذكور ورد الخبر باستيلاء المولى زيدان على تارودانت وقبضه على أخيه المولى محمد العالم بعد محاربته له ثلاث سنين هلك فيها امم وقواد ورؤساء واعيان يطول ذكرهم ، ولما دخلها المولى زيدان غنوة قتل جميع من بها حتى النساء والصبيان هكذا فى البستان ، وفى رابع ربيع الاول من السنة وصل المولى محمد العالم مقبوضا عليه الى وادى بهت فبعث السلطان من قطع يده ورجله من خلاف بعقبة بهت ، ولما وصل الى مكناسة خامس عشر الشهر المذكور هلك رحمه الله .

قال أبو عبد الله الكنوسوس : لما توفى المولى محمد العالم صلى عليه القاضى أبو عبد الله محمد العربى بردلة فقم عليه ذلك بعض الحسدة وأوغر قلب السلطان عليه وقال له : «انه يفضك ولولا شدة بغضه لك ما نازع الى الصلاة على عدوك الذى نار عليك ورام نزع الملك من يدك فكتب السلطان الى القاضى بردلة يتهدده ويوبخه فأجابته القاضى : «بان صلاته نظيرة صلاة الحسن البصرى على الحجاج بن يوسف فلما ليم على ذلك قال : استحييت من الله تعالى أن أستعظم ذنب الحجاج فى جنب كرم الله الغفور الرحيم ،

على أننى ما صليت عليه بغير اذن بل خرج الاذن من الدار المولوية وبلغ ذلك مبلغ الشهرة التى لم يبق معها شك وذلك على لسان مترجم ينسب الامر الى الجانب المولوى ، فلا افتيات بعد ذلك، بل الواجب هو القيام بذلك ولو بغير اذن اجلالا وتعظيما لجانب مولانا نصره الله ، ولما قال صلى الله عليه وسلم لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه فى قضية الحديبية : «امح لفظه رسول الله» قال على بن ابى طالب رضى الله عنه : «والله لا امحوه أبدا» فعارض وجوب امتثال أمر الرسول بالمحو ووجوب الاجلال لمقامه الارفع فرجح رضى الله عنه وجوب الاجلال، ثم الصحيح ان الحدود كفارات فى الصحيح عن عبادة ابن الصامت رضى الله عنه ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فى الدنيا فهو كفارة له» اه باختصار .

قال اكسسوس وكانت هذه القضية من الفتن العظيمة بالمغرب عمت أهل القطر السوسى وخست أعيان غيرهم من العلماء الذين كانوا يخالطون المولى محمد العالم لولا لطف الله تعالى ، فان الشيخ أبسا عبد الله المسناوى الدلائى كان من اخص الناس بالمولى محمد ، فوشى به الى السلطان وقيل له : انه من شدة اتصاله به لا يغيب عنه عزمه على القيام عليك فهو اذا موافق له على ذلك ، فبادر بعض اصحاب السلطان ممن كان يجنح للمسناوى بالاعتذار عنه بانه كان ينهاء عن القيام وأنشد للمسناوى فى ذلك :

مهلا فان لكل شىء غاية والدهر يعكس حيلة المحتال

فالبدر ليس بيلوح ساطع نوره والشمس فاهرة السنا فى الحال

فإذا توارت بالحجاب فعند ذا يبدو يبدو تعزز وجمال

فوقع ذلك من السلطان وتحقق براءة الشيخ رحم الله الجميع . قال اكسسوس : «وقولنا عمت اهل القطر السوسى لان ظهوره التام انما كان هنالك ولان جل من ينتسب الى العلم والصلاح منهم كانوا معه موافقين له ومؤيدين فعله» اه قال فى نشر «الثانى» : كان المولى محمد العالم ماهرا فى فنون شتى كالنحو والبيان والمنطق والكلام والاصول ، وكان يفعل للشعر وتأخذ اريحية الادب ، وكتب له أخوه مولاى الشريف فى صدر كتاب

بعث به اليه ما خاطب به سيف الدولة ابن حمدان أخاه ناصر الدولة :
 رضيت لك العليا وإن كنت أهلها وقلت لهم بيني وبين أخى فرق
 أما كنت ترضى أن أكون مصليا إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق
 فاقترح المولى محمد على الشيخ أبى عبد الله المناوى أن ينوب عنه
 فى الجواب لانه كان فى جملة الوافدين عليه حينئذ فقال رحمه الله :
 بلى قد رضيت أن تكون مجليا وتلو نداكم فى العلا من له السبق
 وما لى لا أرضى لك المجد كله وأنت شقيق النفس إن عرف الحق
 ولكن ذوو الضغن انتحوا ذات بيننا فغادرها افسادهم وبها رفو
 وفى هذا التاريخ أعنى سنة سبع عشرة ومائة وألف انتزع النجلير
 جبل طارق من يد الاصبنيول حاصره ثلاثة أيام برا وبحرا فى جند يسير
 فملكه لاشتغال الاصبنيول يومئذ عنه بأمر الفتنة التى حدثت فى ملكه ، ولما
 ملكه النجلير عظم ذلك على أجناس الفرنج خصوصا الاصبنيول والفرنسيس ،
 ورأوا ان النجلير قد ملك عليهم باب أوروبا ولذا حاصروه مرارا فلم يحصلوا
 منه على طائل واستمر فى يده الى الآن .

ولما دخلت سنة تسع عشرة ومائة والى ألف ورد الخبر بموت المولى زيدان
 ابن السلطان بتارودانت وحمل فى تابوت الى مكناسة فدفن ليللا الى جانب
 أخيه المولى محمد العالم .

وفى هذه السنة أمر السلطان بهدم قصر البديع الذى بناه المنصور
 السعدى بقصبة مراکش وقد تقدم الكلام عليه . قال اليفرنى فى « النزهة »
 « ومن العجائب أنه لم يبق بلد من بلاد المغرب الا ودخله شيء من أنقاض
 البديع » اهـ .

ثم دخلت سنة عشرين ومائة والى ألف فيها افتتح الترك مدينة وهران
 وكانت بيد الاصبنيول مدة فردها الله على المسلمين يومئذ ، وفيها أمر السلطان
 بقرأة حديث الانصات يوم الجمعة عند خروج الخطيب وجلوسه على المنبر .

محنة الفقيه ابي محمد عبد السلام بن حمدون بسوس رحمه الله



قد تقدم لنا ما كان من امر السلطان المولى اسمعيل رحمه الله لعلماء عصره بالكتابة على ديوان العيد وامتناعهم من ذلك ، ولما كانت سنة عشرين ومائة وألف تجددت المحنة وألزم الرئيس أبو محمد عبد الله الروسى فقهاء فاس أن يكتبوا على الديوان المذكور فمن كتب نجا ومن أبى قبض عليه ، ثم قبض على اولاد جسوس واستلب أموالهم ، واجلس فقيهم الشيخ أبا محمد عبد السلام بن حمدون جسوس بالسوق مقيدا يتطلب الفداء ثم حمل مسجوناً الى مكناسة .

ودخلت سنة إحدى وعشرين ومائة وألف فعفا السلطان عن الفقيه المذكور وسرّحه وبعث به الى فاس ليزعج الحراطين الذين بها الى مكناسة ، فقدم ولأزعجهم في ربيع الاول من السنة المذكورة ، ثم كان عاقبة الفقيه المذكور أن قتله القائد ابو على الحسن بن عبد الخالق الروسى ، فمن الناس من يقول : ان ذلك كان بأمر السلطان ، ومنهم من يقول بغير أمره له . وقد ووقفت على تقييد بخطط شيخنا الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز محبوبه السلاوى رحمه الله ، وكان واعية ، يقول فيه : ان امتحان الفقيه أبي محمد جسوس كان من أجل امتناعه من الموافقة على ديوان الحراطين الذى اخترعه عليلش المراكشى للسلطان الجليل المولى اسمعيل رحمه الله حسبما هو مشهور ، فهجاه بعض السفهاء وهجا فاساً من اجله ، وحقد عليه السلطان فاستصفى عامة أمواله ، وأجرى عليه أنواع العذاب ، وبيعت دوره واصوله وكتبه وجميع ما يملك هو واولاده ونسأؤه ، ثم صار يطاف به فى الاسواق وينادى عليه : من يقدى هذا الاسير ؟ والناس ترمى عليه بالدراهم والحلى وغير ذلك من النفائس أياها كثيرة ، فيذهب الموكلون به بما يرمى عليه حيث ذهبوا بأمواله ، وبقي على ذلك قريبا من سنة فكان فى ذلك محنة عظيمة له ولعامة المسلمين وخاصتهم ، ولما دنا وقت شهادته رحمه الله

وقد أيس من نفسه ، كتب بخطه رقعة وأذاعها في الناس يقول فيها ما نصه :
 « الحمد لله يشهد الواضع اسمه عقبه على نفسه ويشهد الله تعالى وملائكته
 وجميع خلقه اني ما امتنعت من الموافقة على تملك من ملك من العيد الا
 لانني لم أجد له وجها ولا مسلكا ولا رخصة في الشرع ، وانسى ان وافقت
 عليه طوعا او كرها فقد خنت الله ورسوله والشرع وخفت من الخلود في
 النار بسببه ، وأيضا فاني نظرت في اخبار الائمة المتقدمين حين اكرهوا على
 ما لم يظهر لهم وجهه في الشرع فرأيتهم ما آثروا اموالهم ولا أبدانهم على
 دينهم خوفا منهم على تغيير الشرع واغترار الخلق بهم ، ومن ظن بي غير
 ذلك وافترى على ما لم اقله وما لم افعله فالله الموعد بيني وبينه وحسبنا الله
 ونعم الوكيل والسلام وكتب عبد السلام بن حمدون جسوس غفر الله
 ذنبه وستر في الدارين عيبه صيحة يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع
 الثاني سنة احدى وعشرين ومائة والف » اه .

ثم بعد ذلك بيومين أمر أبو علي الروسي بقتله فقتل رحمه الله خنقا
 بعد أن توطأ وصلى ما شاء الله ، ودعا قرب السحر من ليلة الخميس
 الخامس والعشرين من ربيع الثاني من السنة المذكورة ودفن ليلا على يد
 القائد أبي علي الروسي انتهى ما وجدناه مقيدا .

واعلم أن قضية الفقيه أبي محمد رحمه الله من القضايا الفظيعة في
 الاسلام ، والاسباب التي أثارها أولا وأكدها ثانيا حتى نفذ امر الله فيما
 قضاه وقدره في أزاله بعضها ظاهر وبعضها خفي ، الله أعلم بحقيقته ، غير ان
 المعروف من حال الفقيه المذكور هو الصلابة في الدين والورع التام وناهيك
 بشهادته هذه دليلا على ذلك ، وقضيته قد تعارضت فيها الانقال ، ودخلها
 التعصب فلا يوقف منها على تحقيق ، وغفران الله وراء الجميع فانه تعالى
 أهل التقوى وأهل المغفرة . قال أبو عبد الله أكسوس وقد جرى ذكر
 قضية الفقيه أبو محمد عبد السلام هذا بمجلس السلطان المرحوم المولى
 سليمان بن محمد فقال ما قتله مولانا اسمعيل وانما قتله أهل فاس » قال « ولم
 يمكن ان نسأله عن حقيقة ذلك » اه وفي شعبان من السنة المذكورة عزل

السلطان أبا على الروسى عن فاس وولى مكانه حمدون الروسى ثم بعد مدة يسيرة آخر حمدون واعيد أبو على ، وفيها قدم عبد الله الروسى ومعه أمر السلطان بيع أصول المجاورين بالمشرق يعنى بالخرمين الشريفين .

ثورة المولى ابى النصر ابن السلطان بالسوس ومقتله رحمه الله



ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف فيها ثار أبو النصر ابن السلطان المولى إسماعيل ببلاد السوس وخب فى الفتنة ووضع .

وفى سنة أربع وعشرين ومائة وألف سرح السلطان كاتبه الخياط ابن منصور من السجن وولاه درعة .

وفى سنة خمس وعشرين بعدها قتل السلطان الخياط المذكور وإخاه عبد الرحمن ، وفيها ورد الخبر على السلطان بأن أولاد دليم من عرب السوس قد قتلوا ولده المولى أبا النصر الناصر بها .

وفى سنة ست وعشرين ومائة وألف قتل السلطان القائد أبا الدشيش وثلاثة من القواد معه وسبعة عشر من العبيد بمشرع الرملة ، وفى جمادى الاولى من سنة سبع وعشرين ومائة وألف توفيت الحرة عائشة مباركة زوج السلطان ، وهى ام ولده المولى أبى الحسن على الآتى ذكره .

وفى سنة تسع وعشرين ومائة وألف سافر ولد السلطان وهو المولى أبو مروان بن اسمعيل الى الحجاز بقصد الحج ، وفى رمضان منها بعث والى وجدة الى الحضرة مائة رأس من رؤوس بنى يزناسن .

وفى سنة ثلاثين ومائة وألف ورد كتاب من السلطان الى فاس يتضمن تحرير اهل فاس من الكلف كلها ، ثم ورد عقبه كتاب آخر يوجبهم فيه ويخيرهم بين أن يكونوا جيشا أو نائبة ، فقال رجل منهم يدعى ولد الصحراوى : «انما يكون الكلام أمام السلطان» فقتل واصبح مملوبا ، فبلغ ذلك السلطان فقبض على أبى على الروسى واصحابه ، وولى على فاس

حمدون الروسى ، ثم بعد ذلك عمد حمدون الروسى الى عبد الخالق بن يوسف فقتله ، فقبض السلطان عليه وعلى أخيه مسعود ، وولى على فاس حمو قصارة ، ثم بعد ايام قدم أبو على الروسى واليا على فاس . وفى هذه السنة ورد الخبر بموت المولى أبى مروان بالمشرق ، وفيها عزل السلطان أولاده عن الاعمال كلها ولم يترك الا ولى العهد المولى احمد بتادلا . ثم بعث ولده المولى عبد الملك الى مراكش وولاه قطر السوس ، واستقامت الامور وسكنت الرعية وهدأت البلاد ، واشتغل السلطان ببناء قصوره وغرس بساتينه والبلاد فى أمن وعافية ، تخرج المرأة والذمى من وجدة الى وادى نول فلا يجدان من يسألهما من أين ولا الى أين ، مع الرخاء المفرط فلا قيمة للقمح ولا للماشية ، والعمال تجبى الاموال والرعايا تدفع بلا كلفة ، وصار أهل المغرب كفلاحي مصر يعملون ويدفعون فى كل جمعة أو شهر أو سنة ، ومن نتج فرها رباه حتى اذا بلغ أن يركب دفعه الى العامل وعشرة مثاقيل معه ثمن سرجه ، هذا اذا كان المتزوج ذكرا فاذا كان أنثى ترك له ، ويدفع للعامل مثقالا واحدا ، ولم يبق فى هذه المدة بأرض المغرب سارق ولا قاطع طريق ومن ظهر عليه شيء من ذلك وفر فى القبائل قبض عليه بكل قبيلة مر عليه أو قرية ظهر بها ، فلا تقله أرض حتى يؤتى به أينما كان ، وكلما بات مجهول حال بحلة أو قرية ثقف بها الى أن يعرف حاله ، ومن تركه ولم يحتط فى أمره أخذ بما اجترحه وأدى ما سرقه أو اقترفه من قتل أو غيره .

وكانت أيامه رحمه الله غزيرة الامطار كثيرة البركة فى الحرائة والتجارة وغيرهما من أنواع المعاش مع الامن والحصب والرخاء المحتد بحيث لم يقع غلاء طول أيامه الا مرة واحدة ، فبلغ القمح فى أيامه ست أواق للمد والشعير ثلاث أواق للمد ، ورأس الضأن ثلاث أواق ، ورأس البقر من المثقال الى المثقالين سائر أيام الرخاء ، والسمن والعسل رطلان بالموزونة ، والزيت أربعة أرطال بالموزونة هكذا نقله صاحب البستان وهو مخالف لما سيأتى فى الحوادث من أن الجذب والغلاء قد بلغا مبلغهما أعوام التسعين وألف . ولعل ما ذكره صاحب البستان كان فى آخر دولة السلطان المذكور حسبما عى (الاستقصا - الساج - 6)

عادة الله تعالى فى مثل ذلك غالباً والله تعالى اعلم .



بناء ضريحى الامامين ادريس الاكبر والاصغر رضى الله عنهما



لما كانت سنة اثنتين وثلاثين ومائة والى ألف أمر السلطان رحمه الله بهدم قبة ضريح المولى ادريس الاكبر رضى الله عنه بزواية زرهون وشراء الاصول المجاورة له من جهاته الاربع وهدمها وزيادتها فيه ، فهدمت القبة وجميع ما حولها واعيدت على هيئة بديدة ، واستمر البناء والعمل فى المشهد الشريف الى أن تم سنة أربع وثلاثين ومائة والى ألف هكذا فى «البستان» وغيره وقال فى «نشر المائى» : وفى سنة اثنتين وثلاثين ومائة والى ألف أمر السلطان المظفر المولى اسمعيل بتجديد بناء مقام مولانا ادريس الاصغر بانسى فاس حيث ضريحه بها ، وأمر ببناء قبته التى هى عليه الآن بما اشتملت عليه من المحاسن التى يعز وجودها ، وأمر بتوسعة صحن المسجد على ما هو عليه اليوم من الهيئة التى لا نظير لها بفاس ، وتم تسقيف القبة فى آخر ذى الحجة من العام المذكور ، ثم أمر رحمه الله باقامة الجمعة فيه فهى تقام فيه من يومئذ ، جعل الله ذلك فى ميزان الآمر به والمتولى له آمين .

وفى سنة ثلاث وثلاثين ومائة والى ألف مات القائد عبد الله الروسى بمكناسة ، وفيها غضب السلطان على أهل فاس وبعث اليهم حمدون الروسى وأخاه أبا على ، وامرهما بمصادرتهم ، وقبض المال منهم ، فبعثوا علماءهم وأشرفهم للشفاعة فلم يقبل ، وشرعوا فى دفع المال حتى لم يعرف له عدد ، ولم يسلم من الغرامة أحد ، وتغيب الناس فى تلك المدة وخات المدينة من ذوى اليسار .

وفى هذه السنة ايضا فى المحرم منها خرج عسكر الاصبنيول من سبتة على حين غفلة من المسلمين ، فضربوا فى محلتهم واستولوا عليها وعلى خباء القائد أبى الحسن على بن عبد الله الريفى ، ونهبوا وقتلوا وسلبوا وحازوا

شبارات المسلمين وعساتهم وحازوا قصة آفراك ، واستشهد من المسلمين نحو ألف ، ورجعوا عودهم على بدئهم الى سبتة ، ومنها ركبوا البحر الى جزيرتهم ، ولم يبق بسبتة الا سكانها ، ثم كانت الكرة للمسلمين عليهم بعدها فبقى بأيدي المسلمين منهم نحو ثلاثة آلاف .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائة والف ففى المحرم منها مات الباشا غازى بن شقراء صاحب مراکش بوجدة ، وفى صفر منها مات باعزير بن صدوف صاحب تارودانت ، وفيها انتقل المولى عبد الملك بن السلطان الى تارودانت فاستقر بها الى أن كان من أمره ما نذكره عند التعرض لدوائه ان شاء الله .



وفاة امير المؤمنين المولى اسماعيل رحمه الله



كانت أيام أمير المؤمنين المولى اسماعيل رحمه الله على ما ذكرنا من الامن والعافية وتمام الضبط حتى لم يبق لاهل الذعارة والفساد محل يأوون اليه ويعتصمون به ولم تقلهم أرض ولا أظلمت سماء سائر أيامه ، فقد كان خليفة ونائبا عن أخيه المولى الرشيد سبع سنين ، وسلطانا وملكا مستقلا سبعا وخمسين سنة ، حتى كان جهلة الاعراب يعتقدون أنه لا يموت ، ويقال : ان البعض من اولاده كانوا يستبطنون موته ويعبرون عنه بالحى الدائم ، وهذه المدة التى استوفها المولى اسماعيل فى الملك والسلطان لم يستوفها أحد من خلفاء الاسلام وملوكه سوى المستنصر العيىدى صاحب مصر ، فانه أقام فى الخلافة ستين سنة ، لكن لا سواء ، فان المولى اسماعيل رحمه الله استوفى مدة الخلافة بثمرتها ، وتملاها بكمال لذتها ، لانه وليها فى ابان اقتداره عليها واضطلاعها بها بعد سن العشرين كما مر ، لا فى مدة النيابة ولا فى مدة الاستقلال ، ولم يكن عليه استبداد لاحد ، ولا نفص عليه دولته منقص سوى ما كان من ثورة ابن محرز وابنه المولى محمد العالم ،

ومن سلك سننهم من القرابة ، وكلهم كان يشغب فى الاطراف ، لم يحصل منهم كبير ضرر للدولة ، بخلاف المستنصر العبيدى فإنه ولى وهو ابن سبع سنين فكان فى صدر دولته تحت الاستبداد وحدث فى أيامه الغلاء العظيم قال ابن خلكان : وهو غلاء لم يعهده مثله بمصر منذ زمان يوسف عليه الصلاة والسلام ، واستمر سبع سنين أكل الناس فيها بعضهم بعضا وبيع رغيف واحد بخمسين دينارا ، وكان المستنصر فى هذه الشدة يركب وحده وكل من معه من الخواص مترجلون ليس لهم دواب يركبونها ، وكانوا اذا مشوا يتساقطون فى الطرقات من الجوع ، الى غير ذلك فلذا قلنا لا يستوى حال ملك المولى اسمعيل وملك المستنصر رحمهما الله .

ولما كانت سنة تسع وثلاثين ومائة والى مرض أمير المؤمنين المولى اسمعيل مرض موته قال فى «نشر المثنى» : كان ابتداء مرضه فى ثانى يوم من جمادى الاولى من السنة المذكورة ، ولما أحس بالضعف بعث الى ولده المولى احمد صاحب تادلا يستقدمه فقدم عليه واقام ثلاثا ثم اخترته المنية رحمه الله يوم السبت الثامن والعشرين من رجب سنة تسع وثلاثين ومائة وألف ، وتولى غسله الفقيه أبو العباس احمد بن أبى القاسم العميرى ، وصلى عليه الفقيه العلامة أبو على الحسن بن رجال المعدانى ودفن بضريح الشيخ المجذوب رضى الله عنه من حضرة مكناسة .

قال فى «البستان» : كان السلطان المولى اسمعيل قد عهد بالامر الى ولده المولى أحمد المذكور وكان يعبر عنه بولى العهد ، وأنكر أكنسوس أن يكون السلطان المذكور قد عهد لاحد من أولاده ، قال : كما أخبرنا بذلك السلطان العالم للمولى سليمان بن محمد رحمه الله مرارا وكان يحكى فى ذلك خبرا ، وهو أن المولى اسمعيل لما أيقن بالموت دعا وزيره وعالم حضرته الكاتب أبا العباس اليمحدى وقال له : «انى فى آخر يوم من أيام الدنيا فأحببت أن تشير على بمن أقلده هذا الامر من ولدى لانك أعرف بأحوالهم منى فقال له : «يامولانا لقد كلفتنى أمرا عظيما وأنا أقول الحق : انه لا ولد لك تقلده أمر المسلمين ، كان لك ثلاثة» المولى محرز والمولى

المأمون والمولى محمد فقبضهم الله اليه» فقال له السلطان : «جزاك الله خيرا»
وودعه وانصرف ولم يعهد لاحد وانما العبيد كانوا يقدمون من شاءوا ،
ويؤخرون من شاءوا ، وكان المولى سليمان رحمه الله يحكى ذلك عندما
يعرض له ذكر أولاده هو والله أعلم .



بقية اخبار المولى اسماعيل رحمه الله وما أثره وسيرته



قال اليفرنى فى «النزهة» «لم يزل أمير المؤمنين اسمعيل رحمه الله
فى مقارعة أعدائه الى ان دوخ بلاد المغرب كلها واستولى على سهلها ووعرها ،
واستولى على تخوم السودان واتهى منها الى ما وراء النيل ، وانتشرت دولته
فى عمائرها وبلغ من ذلك ما لم يبلغه المنصور السعدى ، وامتدت مملكته
فى جهة الشرق الى بسكرة من بلاد الجريد ونواحي تلمسان والله أعلم
حيث يجعل رسالاته» اه وقال فى «البستان» كان للمولى اسمعيل من الولد
على ما تواتر به الخبر خمسمائة ولد ذكر ومن البنات مثل ذلك أو قريب
منه ، قال : والذى عقب من اولاده على ما رأيناه عيانا فى دفتر السلطان
المولى محمد بن عبد الله اذ كان يصلهم فى كل سنة ، وكان يعثنى لتفرقة
الصلة عليهم بسجلماسة مائة دار وخمس دور كلها لاولاده لصلبه ، واما
الذين لم يعقبوا أو عقبوا وانقطع نسلهم فليسوا فى الدفتر ، واما الحفدة
والاسباط فكان عددهم فى أيام السلطان المولى محمد بن عبد الله اثنا
وخمسمائة وستين ، وقد زادوا اليوم فى دولة السلطان المولى سليمان بن
محمد ، ولم يزل يصلهم الى الآن على ما فى دفتر والده ومن زاد يزداد له ،
قال : وأما ما أدركناه من أولاد المولى اسمعيل لصلبه فى دولة السلطان
المولى محمد فثمانية وعشرون رجلا نعرفهم بالاسم والعين . ومن بناته
لصلبه مثل ذلك قد أنزلهن السلطان بقصر حمو بن بكة ورتب لهن المؤنة
والكسوة والصلة فى كل سنة ، وأنزل معهن الحوافد اللاتى لا أزواج لهن ،

وكل واحدة من هذه الدور المائة والخمس اتي بسجل مائة لواحد من اولاد صلبه لانه كان رحمه الله اذا رأى احدا من اولاده الذين لم يرد اقامتهم معه بالمغرب قد بلغ أرسله الى سجل مائة وبني له بها قصرا أو دارا وأعطاه نخلا وأرضا للحراسة والفلاحة وممايك يقومون له بخدمة أصله وحرائه أرضه في الشتاء والصيف ، ويعطى كل واحد من ذلك على قدر مرتبته عنده ومنزلة أمه منه ، فتناسلت أولادهم ونمت فروعهم ووفر الله جمعهم وحفظ نظامهم ، وكان رحمه الله سيد النظر في نقل أولاده بأمهاتهم من مكانة الى تافيلالت مع بني عمهم من الاشراف ليتدربوا على معيشتها اتي تدوم لهم فكان ذلك صونا لهم من نكبات الدهر وفضيحة الخصاصة بعد موته وزوال النعمة وانزواء رداء الملك السائر لهم بين العامة ، فنجحوا وأفلحوا بخلاف اخوانهم الذين ربوا بمكناسة واستمروا بها الى أن توفي والدهم وألفوا عوائدهم ومرنوا على شهواتهم فانهم لم ينم لهم نسل كاخوانهم الذين بالصحراء هذا ما يتعلق بنسل السلطان المولى اسمعيل .

وأما مبانيه بقلعة مكناسة وقصوره ومساجده ومدارسه وبساتينه فشيء فوق المعهود بحيث تعجز عنه الدول القديمة والحديثة من الفرس واليونان والروم والعرب والترك ، فلا يلحق ضخامة مصانعه ما شيدته الاكاسرة بالمدائن ، ولا الفراعنة بمصر ، ولا ملوك الروم برومة والقسطنطينية ، ولا اليونان بأنطاكية والاسكندرية ، ولا ملوك الاسلام ودوله العظام كبنى أمية بدمشق ، وبني العباس ببغداد ، والعبيدين بأفريقيا ومصر ، والمرابطين والموحدين وبني مرين والسعديين بالمغرب ، وما بديع المنصور بقصر من قصوره ولا بستان المسرة بأحد بساتينه ، فقد كان عنده بجنان حمرية مائة ألف قعدة من شجر الزيتون وحبه كله على الحرمين الشريفين ، ومرت عليه بعد وفاته العصور وأيام الفترة والفتن والناس يحتطبونه فلم يظهر فيه أثر من ذلك ، ولما بويع السلطان المولى محمد بن عبد الله أحياء وأجرى الماء اليه وأمر بإحصاء ما بقي من شجره فوجدوه ستين ألفا فكان رحمه الله يبعث بثمر غلته الى الحرمين تنفيذا لمراد جده وكذا ابنه المولى سليمان رحمه الله .

قال صاحب « البستان » : « ولقد شاهدت الكثير من آثار الدول فما رأيت أثرا أعظم من آثاره ، ولا بناء أضخم من بنائه ولا أكثر عددا من قصوره ، لان هؤلاء الدول كان من اعتنى منهم بأمر البناء غاية أمره أن يبنى قصرا ويتأنق في تشييده وتنجيده ، وهذا السلطان لم يقتصر على قصر ولا على عشرة ولا عشرين بل جعل مباني العالم كلها في بطن تلك القلعة المكناسية كما قيل : « كل الصيد في جوف الفرا » هذا كلام صاحب البستان رحمه الله . ثم قال .

وكان في سجنونه من الاسارى خمسة وعشرون الفا ونيفا ، كانوا يعملون في بناء قصوره منهم الرخامون والنقاشون والتجارون والحدادون والمنجمون والمهندسون والاطباء ، ولم تسمح نفسه قط بفداء أسير .

وكان في سجنونه من أهل الجرائم كالقاتل والمحارب والسارق نحو الثلاثين ألفا تظل في العمل مع أسرى الكفار ويبيتون في السجون والاهراء تحت الارض ، ومن مات منهم دفن في البناء حتى لم يبق بالمغرب من أهل الفساد عرق ينبض . ومما مدح به المولى اسمعيل رحمه الله قول الفقيه الاديب أبى عبد الله محمد بن عبد الله الجزولى من قصيدة له

مولاي اسمعيل ياشمس الورى يامن جميع الكائنات فدى له
ما أنت الا سيف حق متضى الله من دون البرية سله
من لا يرى لك طاعة فالله قد أعماه عن طرق الهدى وأضله

ولنذكر ما سلف في هذه المدة من الاحداث

ففى سنة احدى وسبعين والى توفى الشيخ أبو عبد الله سيدى محمد المفضل ابن الشيخ أبى العباس أحمد المرسى ابن الشيخ الاكبر أبى عبد الله سيدى محمد الشرقى ، كان رحمه الله صالحا خيرا من فضلاء عصره حافظا للقرآن بالسبع ، قد اشتهر قدره فى الناس كثيرا ، وكان يفر من ذلك واذا سأله أحد أن يتخذة شيئا يقول : « نحن اخوة فى الله والدرهم الكامل ينفق منه » أخذ القراءات عن الفقيه الاستاذ أبى زيد عبد الرحمن بن القاضى وكب له الاجازة بذلك ، وكان له نصيب من العلوم سوى القراآت ، واتسبب فى

الطريق للولى الصالح أبى عبد الله محمد الحفيان الرتبى السجلماسى من أصحاب الشيخ أبى عبيد الشرفى ، وتخرج عليه نجباء من طلبه القراءات و كان رحمه الله كثير الطعام بزاوية جده أبى عبيد الشرفى ، ثم انقل الى ناحية سلا فسكن بأحوازها وبقي هنالك الى ان مات فى التاريخ المذكور وحمل الى المدينة المذكورة ودفن بطالعنها قرب المسجد الاعظم ، و قبره اليوم مزاردة عظيمة ، وكان له كلام كثير على طريق العروبي المدحون خاطب به الرئيس محمد الحاج الدلائى حين مشت الوشاة بينهما فوفعت من اجل ذلك بينهما مكاتبات ومعاتبات رحمهما الله .

وفى سنة اثنتين وسبعين وألف توفى الشيخ الربانى أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد بن عبد الله بن حسين المصلوحى دفين تاملوحت من أعمال مراکش ، وقد تقدم التنبيه على وفاة جده أبى محمد عبد الله بن حسين المذكور ، وكانت له شهرة عظيمة وكان ابتداء أمره أنه تلمذ له طائفة من الفقراء بمراكش ، واجتمع عليه ناس فأنكر ذلك السلطان زبدان بن المنصور وأمره بالقبض عليه فخرج الى قبيلة سكتانة حيث ضريحه اليوم فاستقر بها الى أن توفى ، وكان يقول : « لا ياتينا الا من آمنه الله لان مقامنا هذا مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا » وكان يقول : « دارنا دار سر لا دار علم » وكان اذا دخل شهر المحرم ترك حلق الشعر والزينة فاذا ليم على ذلك قال : « ما فعلنا هذا الا امتعاضا لقتل الحسين رضى الله عنه وأسفا على ما وقع به » وكان يعمل السماع ويجتمع أصحابه على الحضرة على الكيفية المعهودة وربما تواجد فدخل معهم ، وكانت له مشاركة فى العلوم أخذ عن الشيخ المنجور وأبى محمد بن طاهر الحسنى وأبى مهدى السكتانى وغيرهم . وتوفى نبي التاريخ المتقدم عن سن عالية يقال : أناف على المائة وبنيت عليه قبة حافلة وقبره اليوم مزاردة عظيمة .

وفى أواخر سنة ثلاث وسبعين وألف مع السنة التى بعدها حدثت مجاعة عظيمة بالمغرب لاسيما فاس وأعمالها أكل الناس فيها الجيف والدواب والا دمي وخلت الدور وعطلت المساجد ثم تدراك الله عباده بلفظه

وفى سنة خمس وسبعين وألف فى عشر رمضان منها وقعت زلزلة عظيمة بفاس وغيرها من بلاد المغرب . قال الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الهادى الشريف السجلماسى : « وقعت الزلزلة فى التاريخ المذكور ونحن بمجلس البخارى عند شيخ الجماعة الامام ابى محمد عبد اقدار الفاسى رحمه الله ، فقام كل من بالمجلس حتى للشيخ نلنا ما أن السقف سيسقط علينا لان خشبه صوت ، وخرج سرعان الناس يلتمسون الحبر ، فأخبر بها كل من كان راقدا أو جالسا حتى النائم اتبه ، ومن كان ماشيا لم يشعر بها ، فسئل الشيخ عن ذلك وهل هو كما تزعم العامة : من أن الثور الذى عليه الدنيا أو الحوت يتحرك ، فأجاب : بأن ذلك باطل لا أصل له ، وتلا قوله تعالى : « وما نرسل بالآيات الا تخويفا » وقال أيضا « ذكر بعض الحكماء أن ذلك يقع من اختناق الريح فى جوف الارض »

وفى يوم الاثنين الثامن والعشرين من رجب سنة سبع وسبعين وألف توفى بهلول المتبرك به سيدى قاسم بن أحمد بوعسرية المعروف بابن اللوشة دفين ضفة وادى ارض من بلاد آزار ولم يتزوج قط فلم يكن له عقب هكذا فى « نشر المائى » ولعله تصحيف ، والصواب ما يأتى من أنه توفى سنة سبع وتسعين بمشاة بمهملتين والله أعلم

وفى سنة خمس وثمانين وألف توفى شيخ السنة وامام الطريقة أبى عبد الله سيدى محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن ناصر ابن عمرو الدرعى ثم الاغلانى الشهير بابن ناصر ، نسبة الى جده المذكور فى النسب قال تلميذه الشيخ أبو على اليوسى فى فهرسته : كان الشيخ رضى الله عنه مشاركا فى فنون من العلم كالفقه والعربية والكلام والتفسير والحديث والتصوف ، عابدا ناسكا ، ورعا زاهدا ، عارفا قائما بالطريقة ، شاربيا من عين الحقيقة ، وكان رضى الله عنه مع اكبابه على علوم القوم واتهاجه منهج الطريقة لا يخل بعلم الظاهر تدريسا وتأليفا وتقييدا وضبطا ، ذفع الله به الفريقين وصحبه الناس شرقا وغربا . فانتفع به الخلق ، قائما بالتعليم والتربية للمريدين بقوله وفعله ، والترقية بهمة ، عن همة عالية وحالة

مرضية وعلم صحيح وبصيرة ونورانية مع التمكن والرسوخ ، فكان اذا تكلم انتقش كلامه في القلب ، واذا وعظ وضع الهناء مواضع القرب . « ثم أطل الشيخ اليوسى فى ترجمته ، وذكر له كرامات عديدة ، وقد أفصح عن حاله ووصفه فى قصيدته الدالية المشهورة الموضوعة فى مدحه ، وأتى فيها من الاجلال لهذا الشيخ والتعظيم بما كان سبب ربحه . ولهذا الشيخ شيوخ وأتباع معروفون فى كتب الائمة الذين تعرضوا لبيان ذلك وطريقته المتصلة برسول الله صلى الله عليه وسلم معروفة أيضا ، وكان والده سيدى محمد ابن أحمد من أكابر الاولياء كثير الاوراد لا يفتر لسانه عن الاذكار حسبما نقله غير واحد والله تعالى أعلم .

قال مؤلفه عفى الله عنه : وهذا الشيخ هو جدنا واليه تنتسب فانا أحمد ابن خالد بن حماد بن محمد الكبير بن أحمد بن محمد الصغير بفتح الميم بن محمد بن ناصر الشيخ المذكور نفعا الله به وأفاض علينا من مدده ومدد أمثاله ، وأسلافنا يتنسبون بعد الشيخ المذكور الى سيدنا جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، ولست الآن من ذلك على تحقيق ، ولعلنا نحققه فى موضع آخر ان شاء الله

وفى حدود التسعين وألف كان انحباس المطر والغلاء . قال الشريف أبو عبد الله محمد بن الطيب القادري فى « الازهار الندية » : أن القمح قد بلغ فى هذه المدة الى أربعين أوقية للمد بسبب تأخر المطر والمد صاع ونصف . وصلى الناس صلاة الاستسقاء فأول امام خطب فيها القاضى أبو عبد الله محمد العربى بردلة وكررها ثلاث مرات فنزل مطر يسير لم يكف ، ثم أعيدت الصلاة رابعة فكان الخطيب فيها الفقيه أبو عبد الله محمد البوعنائى ، ثم أعيدت خامسة والخطيب القاضى بردلة ، ثم أعيدت سادسة والخطيب أبو عبد الله محمد المرباط الدلائى وفيها بلغ القمح ستين أوقية وهو غلاء لم يسمع بمثله ، ثم أعيدت الصلاة سابعة والخطيب أبو عبد الله البوعنائى ، ثم أعيدت ثامنة والخطيب الشيخ الولى الزاهد ابو عبد الله محمد العربى الفشتالى ، وفى عشة غده نزل المطر مع رعد وبرق ففرح المسلمون وأكثروا من حمد الله

تعالى ، ثم أعيدت الصلاة تاسعة والخطيب القاضي بردلة ، وخرج يومئذ في جملة الناس شيخ الاسلام وبركة الامة الامام أبو محمد سيدى عبد القادر الفاسى راكبا على حمار جاعلا الاشراف من أهل البيت الطاهر أمامه مستشفعا بهم الى الله تعالى ، فنزل عند الرجوع مطر قليل ، ومن الغد نزل المطر الغزير الكافى النافع فانحطت الاسعار ونزل القمح الى خمس وثلاثين أوقية بعدما كررت الصلاة تسع مرات ، وكانت الصلاة التاسعة يوم الاثنين خامس المحرم فاتح سنة احدى وتسعين والف .

وفى سنة تسع وثمانين وألف فى ليلة الجمعة الثانى عشر من شعبان منها توفى الشيخ المولى أبوسو محمد عبد الله الشريف الوزانى الشهر . وكان عمره يوم توفى خمسا وثمانين سنة ، وتوفى ولده الشيخ المولى أبو عبد الله محمد وقت العشاء ليلة الجمعة الثامن والعشرين من المحرم سنة عشرين ومائة وألف ، وعمره يومئذ ثمانون سنة ، وتوفى ابنه الشيخ القطب المولى التهامى بن محمد طلوع شمس يوم الاثنين فاتح المحرم من سنة سبع وعشرين ومائة والف ، وعمره ست وستون سنة ، وتوفى الشيخ مولاي الطيب بن محمد يوم الاحد وقت طلوع الفجر ثامن عشر ربيع الثانى سنة احدى وثمانين ومائة وألف ، وعمره نيف وثمانون سنة ، وتوفى ابنه الشيخ مولاي احمد ضحوة يوم السبت الثامن عشر من صفر سنة ست وتسعين ومائة وألف ، وتوفى ابنه الشيخ مولاي على بن احمد يوم الثلاثاء آخر يوم من ربيع الاول سنة ست وعشرين ومائتين والف وتوفى ابنه الشيخ سيدى الحاج العربى بن على يوم الاربعاء فاتح سنة سبع وستين ومائتين والف . وقد أتينا بوفاة هؤلاء السادة الوزانيين مجموعة هنا لما فى ذلك من المناسبة والتقريب ، ويتصل نسبهم بالمولى يملح بن مشيش أخى المولى عبد الاسلام بن مشيش ثم بالمولى ادريس بن ادريس رضى الله عنهم وأماتنا على محبتهم وحشرنا فى زمريتهم .

وفى سنة تسعين والف وقع الوباء العظيم بالمغرب فكان عييد السلطان يردون الواردين من الآفاق على مكناسة الزيتون كما مر .

وفى سنة احدى وتسعين والى بعد ظهر الاربعاء الثامن من رمضان منها توفى شيخ الجماعة بفاس والمغرب الامام الكبير العالم الشهير الشيخ أبو محمد عبد القادر بن على بن يوسف الفاسى ، ولا يحتاج منه رضى الله عنه الى تعريف فان مآثره اشهر من «فقابك» ، فانوا : ومع غزارة علمه وانتفاع أهل المغرب الثلاثة به لم ينصد لجمع كتاب مخصوص ولا شرح متن من المتون ، وانما كانت تصدر عنه اجوبة يسئل عنها فيجيب وي جيد وجمعها بعض أصحابه فجاءت فى مجلد .

وفى سنة خمس وتسعين وألف توفى الولي القالح أبو محمد عبد الله العونى دفين سلا من اصحاب الشيخ سيدى محمد المفضل

وفى سنة ست وتسعين والى توفى الشيخ العلامة المشارك ابو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى صاحب نظم عمل فاس و «الافنوم فى مبادئ العلوم» وغيرهما من التأليف الحسان .

وفى سنة سبع وتسعين والى توفى الشيخ العارف بالله تعالى زو الاحوال الربانية والمواهب العرفانية أبو القاسم ابن أحمد اللوشة السفيانى المعروف بأبى عسرية ، لانه كان يعمل بشماله أكثر من يمينه . كان من المولاهين فى ذات الله تعالى ومن أهل الاحوال والشطحات ، يقال : انه حمل وهو صبى الى الشيخ أبى عبيد الشرقى فبرك عليه ودعا بقرب من ماء فصبت عليه وقال : لولا انا بردنا هذا الصبى لاحرقته الانوار ، ولذا كان يهنف بأبى عبيد كثيرا وينادى باسمه وينسب جميع ما يظهر على يده له .

وفى سنة احدى ومائة والى أمر السلطان الناس بأن لا يلبسوا الثعال السود ولا يلبسها الا اليهود وتقدم التنبيه على ذلك عقب فتح العرائش .

وفى سنة اثنتين ومائة والى توفى الشيخ الامام علم الاعلام آخر علماء المغرب على الاطلاق ، الذى وقع على علمه وصلاحه الاتفاق ، أبو على الحسن بن مسعود اليوسى نسبة الى آيت يوسى قبيلة من براير ملوية وأصله اليوسى ، كان رضى الله عنه غزالى وقته علما وتحقيقا وزهدا وورعا ، قل فى فهرسته : كانت قراءتى كلها أو جلها فتحا ربانيا ، ورزقت ولله الحمد

قريحة وقادة فكننت بادنى سماع ينفعنى الله ، فقد أسمع بعض الكتاب فيفتح الله على فى جميعه فتجا ظاهرا ، وأبلغ فيه ما لم يبلغه من سمعته منه ، ورب كتاب لم أسمعته أصلا غير أن سماع البعض فى كل فن صار مبدءا للفتح وتتميم الحكمة الله فى سنة الاخذ عن المشايخ ، ولا تستوحش مما ذكرناه فانك منك أن الربح أبدا يكون على قدر رأس المال ، كلا ، فقد يبلغ الدرهم الواحد ألف مثقال وما ذاك على الله بعزير .

وكان معظم قراءته بالزاوية الدلائية لم يزل مقيما بها عاكفا على بث العلم ونشره الى ان استولى عليها المولى الرشيد بن الشريف فنقله الى فاس ، فاقام بها مدة ، ثم خرج الى البادية فاستوطن بقبيلته الى أن مات رحمه الله ، وكان رضى الله عنه متضلعا من العلوم العقلية والنقلية حتى قال فى تأليفه المسمى «بالقول الفصل فى الفرق بين الخاصة والفصل» : «أنه بلغ درجة الشيخ سعد الدين التفتازانى والسيد الجرجانى واضرابهما» وسأله يوما سائل بمجلس درسه فقال له : «اسمع ما لا تسمعه من انسان ، ولا تجده محررا فى ديوان ، ولا تراه مسطرا بينان ، وانما هو من مواعب الرحمن» ولما دخل مراکش تصدر بها لاقراء علم التفسير بجامع الاشراف فمكث فى تفسير الفاتحة قريبا من ثلاثة أشهر ، وهو يبدى كل يوم اسلوبا غربيا ، وتحقيقا عجيبا ، فعجب الناس من غزارة مادته مع انه ربما بات فى ضريح بعض الاولياء والناس معه فلا يطالع كتابا ولا يراجع مؤلفا فاذا أصبح وجلس على الكرسي أطلق لسانه بما يبهز العقول . وكان الشعر عنده أسهل من النفس وشعره كله حكم وأمثال كشعر العرب القدماء ، وقصيده الدالية فى شيخه ابن ناصر دالة على امتداد باعه ورسوخ قدمه فى المعارف والفنون ، ولله در الامام أبى سالم العياشى اذ قال :

من فاته الحسن البصرى يصحبه فليصحب الحسن اليوسى يكفيه
وبالجملة فهو آخر العلماء الراسخين ، بل خاتمة الفحول من الرجال المحققين ، حتى كان بعض الشيوخ يقول هو المجدد على رأس هذه المائة لما اجتمع فيه من العلم والعمل بحيث صار امام وقته وعابد زمانه رحمه الله

ورضى عنه .

وفى سنة ثلاث ومائة والى ألف فى ليلة الاربعاء السابع من شهر ربيع الاول منها توفى الولى الصالح أبو العباس سيدى احمد حجى . قال الشيخ أبو العباس سيدى احمد بن عبد القادر التستائى فى حقه ما نصه : رجل خير صالح ولقد اجتمعت به بمكناسة سنة ست وتسعين والى ألف فما رأيت منه الا خيرا ، اه . ولما توفى خلفه ولده ووارث سره وضجعه فى قبره الولى الصالح سيدى أبو محمد عبد الله حجى المعروف بالجزار وضريحهما مزاره شهيرة بسلا .

وفى سنة تسع او عشر ومائة والى ألف توفى الفقيه العدل النوازلى الفارض الحاسب أبو الحسن على بن محمد المعروف بابى شعرة السلاوى ودفن قرب ضريح الشيخ ابن عاشر رضى الله عنه .

وفى سنة خمس عشرة ومائة والى ألف توفى الامام الفقيه الاديب الناطم النائر أبو القاسم ابن الحسين الغريسي ثم السلاوى المعروف بابى زائدة وذلك فى جمادى الاولى من السنة ودفن قرب ضريح الشيخ ابن عاشر رضى الله عنه .

وفى سنة ثمان عشرة ومائة وألف فى ضحى يوم الاربعاء الثامن والعشرين من المحرم منها كسفت الشمس كسوفاً كلياً وسمى ذلك العام عام الظليماء

وفى سنة تسع عشرة ومائة وألف توفى الشيخ الامام العلامة الهمام ذو التصانيف المفيدة فى كل فن، الحجة المتبرك به حيا وميتا أبو سرحان سيدى مسعود جموع الفاسى ثم السلاوى وذلك يوم الثلاثاء سابع جمادى الاولى من السنة ودفن بزاوية الشيخ سيدى أحمد حجى داخل مدينة سلا

وفى سنة عشرين ومائة وألف توفى الولى الصالح العابد الناصح أبو العباس أحمد بن عبد الله معن الاندلسى نزيل المخفية من فاس حرسها الله . وفى هذه السنة أيضا كان احداث قراءة المسمع الحديث المتضمن لامر الناس بالانصاف وقوله : أنصتوا رحمكم الله ثلاثا عند خروج الامام يوم الجمعة

من المقصورة وجلسه على المنبر

وفى سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف وذلك وقت عصر الثلاثاء الثانى والعشرين من صفر منها توفى الولي الصالح سيدى أبو محمد عبد الله بن سيدى أحمد حجى المعروف بالجزار ودفن بأزاء قبر أبيه كما مر .

وفى يوم الاربعاء العشرين من ربيع الثانى من السنة المذكورة توفى الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد بن الامين الحاج محمد الصيحي السلاوى ورثاه الشيخ أبو العباس سيدى أحمد بن عبد القادر التستاوتى بقوله :

جزعنا وان كنا على العلم أنه اذا ما أراد الله أمرا تعجلا

لفقد الامام المجتبى العالم الرضى الصيحي ومن فى وقته قد تبلا

والا فمختار الاله اختيارنا ونرجو له خيرا عيما مكمل

ورثاه أيضا صديقه الملاطف الشيخ أبو العباس أحمد بن عاشر الحافى

السلاوى رحم الله الجميع

وفى سنة سبع وعشرين ومائة وألف ليلة الاربعاء فاتح رجب منها توفى الولي الصالح العالم العامل العارف الشهير الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد القادر التستاوى من كبار أصحاب الشيخ ابن ناصر ومن حفدة الشيخ أبى عبد الله محمد بن مبارك الزعرى التقدم الذكر ، وماثر هذا الشيخ أشهر من أن تذكر ، وزواياه عيمة النفع والبركة بالمغرب ، وكانت وفاته بمكناسة الزيتون وضريحه بها شهير عند روضة الشيخ سيدى عبد الله بن حام . رضى الله عنهم ونفعنا بهم .

وفى سنة تسع وعشرين ومائة وألف فى الثامن عشر ربيع الاول منها توفى الشيخ القدوة الامام السنى أبو العباس سيدى أحمد بن محمد بن ناصر الدرعى وهو ولد الشيخ ابن ناصر المتقدم وخليفته ووارث سره وفضله رضى الله عنه أشهر من أن ينه عليه ، ومن ذلك ما حكاه الشيخ أبو على الحسن بن محمد المعدانى فى كتابه الروض البائع الفائح فى مناقب الشيخ أبى عبد الله الصالح ، قال : حدث بعض العلماء الاجلة : أنه لما دخل الشيخ أبو العباس أحمد بن ناصر الدرعى المدينة المشرفة فى حجته الاخيرة جلس

تجاه الحجرة النبوية والناس يزدهمون عليه لآخذ العهد وتلقين الاوراد وهو منبسط لذلك فقلت فى نفسى ان هذا الرجل مغرور راض عن نفسه ، كيف يتصدى فى هذا المكان الذى تخضع فيه الملوك وجميع الانس والجن والملائكة واذا طلعت الشمس اختفى السراج » قال : فكاشفنى بما فى نفسى والتفت الى وقال : « والله ما جلست لما ترون حتى أمرنى النبى صلى الله عليه وسلم . وما أذعنت له حتى هددت بالسلب . قال : « فسقطت على يديه أقبلها وقلت له : « ياسيدى أنا نائب الى الله تعالى فدعأ لى وانصرفت » ومما حكاه صاحب الكتاب المذكور قال : « حدث الرجل الصالح البركة الفقيه الناصح سيدى محمد بن ابراهيم المجاصى قال : كان السلطان المولى اسمعيل بن الشريف رحمه الله قد استدعى الشيخ سيدى احمد بن ناصر ، وكان به حنق عظيم عليه ، وعزم اذا وصل اليه أن يفعل به مكروها لا تدري حقيقته غير ان الامر شديد ، فجاء الى الشيخ جماعة من العلماء الاعلام وأصحابه الملازمين له ، وقد تخوفوا عليه وعلى انفسهم غاية ، فكلموا الشيخ فى ذلك واستفهموه ليعلموا ما عنده من عادة الله تعالى مع اوليائه من النصرة لهم والذب عنهم فلم يسمعوا منه كلمة ، ثم راجعوه فى ذلك حتى هابوه وسكوا عنه ، وقدم الشيخ المذكور على السلطان فلما انتهى الى قصة آكرأى قرب مكناسة الزيتون اذا برجل مجاطى يقال له : الحاج عمرو لقيه هنالك ، فلما رآه الشيخ نزل عن فرسه ليسلم عليه فقال الشيخ : « ما الخبر يا ولدى ؟ » فقال الرجل : « ما الخبر ياسيدى : والله لوددت أن سيدى لم يصل الى هنا ولم يخرج من داره » يعنى أن الامر عظيم . فقال له الشيخ رضى الله عنه بلسان العناية الربانية : « ولا ما يشوش » اذا كان فى رقبك شبر وأشار بيده فاعمل فيها ذراعا ومد ذراعه » ففرح العلماء الذين معه وكل من حضر بتلك المقالة ، وتيقنوا الامن على الشيخ وعلى انفسهم لما يعلمون من عادة الله الكريمة معه فكان الامر كما قال ، فان السلطان جاء اليه بنفسه وهو فى روضة الشيخ أبى عثمان سعيد بن أبى بكر ، وتلقاه بالقبول والتعظيم والتبجيل والتكريم . وصافحه بيده ، وجلس معه فى داخل القبة ساعة ، ولما خرج السلطان رحمه

الله من عنده جعل ينادى بلسانه فى أصحابه ويقول : « زوروا سيدى أحمد ابن ناصر يا الناس ، زوروا سيدى أحمد بن ناصر يا الناس » ويكررها من صميم قلبه . قال سيدى محمد بن ابراهيم : « فلما انصرف السلطان من عند الشيخ رضى الله عنه جئت اليه وقلت له : يا سيدى انا نخاف أن ينزلنا السلطان بضريح الشيخ سيدى عبد الرحمن المجذوب ويطول بنا المقام » فقال لى : « لا نبقى الا هنا وبعد غد ننصرف الى بلادنا ان شاء الله » فكان الامر كما قال بعد أن جاء الامر من السلطان يأمره بالنزول بضريح الشيخ المجذوب فقال : « لا أنزل الا هنا » فبقى فى موضعه ثم بعث اليه السلطان يأمره بالتوجه الى بلاده معظما مكرما » اهـ

وفى سنة تسع وعشرين ومائة وألف فى ليلة عيد الفطر منها توفى الفقيه العالم القاضى أبو العباس أحمد بن العلامة أبى الحسن على المراكشى وصلى عليه من الغد ودفن بالموضع المسمى بالعلو من رباط الفتح .

وفى سنة احدى وثلاثين ومائة وألف فى ليلة الاحد ثامن عشر المحرم منها توفى الشيخ الصالح أبو على الحسن بن عبد الله العايدى السجورى ودفن بزاوية من حومة السوق من سلا وفرغ من بناء قبته فى رجب من السنة بعدها .

وفى سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف يوم الاثنين خامس عشر رجب منها توفى الفقيه العلامة خاتمة المحققين وآخر قضاة العدل بفاس الشيخ أبو عبد الله محمد العربى بن أحمد بردلة الفاسى ، وفى التاريخ المذكور توفى الشيخ العلامة المتبرك به أبو العباس أحمد بن سليمان ذو التأليف العديدة فى الحساب وغيره بحضرة مراكش رحمه الله .

وفى سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف كانت جائحة الجراد بالعدوتين سلا ورباط الفتح وأعمالهما وخلفه قبله المسمى فى لسان المغاربة بآمرد فكان كالسيل العام لم يترك ورقة خضراء الا أكلها وكان ذلك فى شوال من السنة المذكورة .

وفى سنة تسع وثلاثين ومائة وألف يوم الاربعاء ثانى عشر صفر منها (الاستقصا - الساج . 7)

توفى الشيخ العارف بالله تعالى سيدى محمد الصالح ابن الشيخ العارف بالله تعالى سيدى محمد المعطى بن سيدى عبد الخالق بن سيدى عبد القادر ابن الشيخ الاكبر سيدى محمد الشرقى ، ومناقبه قد تكفل بها كتاب « الروض الفائح فى مناقب الشيخ أبى عبد الله الصالح » لابى على المعدانى . وفى هذه السنة ضحى يوم السبت ثامن ذى القعدة منها توفى الفقيه العلامة المحقق سيدى أبو بكر بن على الفرجى المراكشى ثم السلوى واحتفل الناس لجنازته وازدحموا على نعشه حتى كادوا يقتلون عليه ودفن قرب داره بزاوية سيدى مغيث من طالعة سلا حرسها الله .



الخبر عن الدولة الاولى لامير المؤمنين المولى ابى العباس احمد بن اسماعيل المعروف بالذهبي رحمه الله



لما توفى امير المؤمنين المولى اسمعيل رحمه الله فى التاريخ المتقدم اجتمع قواد العسكر البخارى وقواد الودايا وأعيان الدولة وكتابها وقضاتها وبايعوا المولى أبا العباس أحمد بن اسمعيل المعروف بالذهبي لسيط يده بالعطاء ، قال أكسسوس : بايعوه باشارة العبيد الشبيهة بالجبر ولهم يكن ذلك عن عهد من أبيه وكتبوا بيعته الى الاتفاق . ولما اتصل بأهل فاس خبر موت السلطان كان أول من بدأوا به أن قتلوا قائدهم أبا على الروسى ، ثم بايعوا السلطان المولى أحمد وكتبوا بيعتهم وتوجه بها أعيانهم الى مكاسة فدخلوا على السلطان المولى أحمد وأدوا البيعة والطاعة فقبلهم ولم يظهر لهم سوء بها ارتكوه من قتل قائدهم ، بل أعطى العلماء والاشراف جائزة البيعة وولى عليهم القائد المحجوب العليج وردهم مكرمين .

ثم قدم عليه قواد القائل والامصار وأعيانها من أهل الحواضر والبوادي مبايعين ومؤدين الطاعة فجلس للوفود وأجاز كلا على قدر مرتبته ، وردهم الى بلادهم ، وتفرغ لشأنه فانتهج عمله بقتل عمال أبيه وأركان دولته ، فقتل

على بن يشى القبلى أمير البربر ، وثنى بأحمد بن على أمير الاعمال الفاسية وما اتصل بها من بلاد الهبط ، والصحيح أن أحمد بن على المذكور كان عند بيعة المولى أحمد فى السجن فدرس اليه على بن يشى من ذبحه فيه فسلط الله عليه السلطان فقتله وكان جزاؤه من جنس عمله ، وقتل السلطان أيضا الباشا ابن الاشقر ومرجان الكبير قائد عيد الدار وصاحب بيوت الاموال ، وكان لنظره ألفان ومائتان من المقاتي ، كلها موزعة على أبواب القصور وكل واحد من هؤلاء الخيصة له عبدان وثلاثة وأكثر يخدمونه .

واعلم أن المولى أحمد رحمه الله كان مستبدا عليه فى كثير من الاحوال يشير العبيد عليه فيفعل وماقتل من قتل من رؤساء الدولة الا باشارتهم ، وقتل جماعة من القواد والكتاب سوى من تقدم ، وطاف على بيوت الاموال ومخازن السلاح والكسي فأمر باخراج ذلك وتفرقة على العبيد وقواد الجيش وأعطى من ذلك نفوف الكفاية وعم العلماء والاشراف والطلبة بالنوال وخص أفرادا من العسكر بالوف فاعتبط الناس به وحمدوه رحمه الله .

اغارة القائد ابى العباس احمد بن على الريفى على تطاوين

وما دار بينه وبين الفقيه ابى حفص عمر الوقاش

كان القائد المجاهد أبو العباس أحمد بن على الريفى بلى رئاسة المجاهدين هو وأبوه من قبله بالثغور الهبطية أيام السلطان المولى اسمعيل رحمه الله وكانت له ولايته اليد البيضاء فى فتح طنجة والعراش وغيرهما حسبما سلف بعضه فكانت له بذلك وجهة كبيرة فى الدولة خصوصا ببلاد الهبط ، وكان بتطاوين يومئذ النقيض الاديب أبو حفص عمر الوقاش من بيوتاتها وأهل الرياسة بها ، كان أولا كتابا مع السلطان المولى اسمعيل رحمه الله . وكانت له المنزلة العالية عنده ، ثم لما ضعف عن الخدمة السلطانية بكبر سنه ولاده على

تطاوين وأعمالها ، فحدثت بينه وبين القائد أبى العباس الريفى منافسة أوجبتها المجاورة والمعاصرة ، فكان يبلغ كل واحد منهما عن صاحبه ما يحفظه ، واستسر الحال على ذلك الى أن توفي السلطان المولى اسمعيل رحمه الله وأفضى الامر الى ابنه المولى أحمد فضيع الحزم وأهمل أمر الجند حتى سقطت هبة السلطان من قلوب الولاة فى النواحي ، فانتهاز أبو العباس الريفى الفرصة فى أهل تطاوين وزحف اليها فى جيش كثيف ، ودخلها على حين غفلة من أهلها وحاول الفتك فيهم ، فبرز اليه الفقيه أبو حفص الوقاش فى أهل تطاوين وحاربه فانتصر عليه ، وأوقع به وقعة أعظم مما كان أضمر له وقتل من اخوانه عددا كثيرا ، ونجا القائد أبو العباس بجريعة الذقن .

ولما اتفق للفقيه أبى حفص هذا الفتح الذى لم يكن له فى حساب استخفه النشاط وغلبت عليه حلاوة الظفر حتى طمع فى الملك وفاه من ذلك بما كان ينبغي له ولكل عاقل كمانه ، فقال قصيدته المشهورة ينعى فيها على أهل الريف فعلتهم وينتقص دولتهم ويفتخر على أهل فاس فمّن دونهم ، ويخبر عن نفسه بما يؤول اليه أمره ، فازرى باده على كبر سنه ، مع أنه كان من أهل الادب البارع والعلم والرياسة والقصيدة المشار اليها هى قوله :

بلغت من العلياء ما كنت أرتجى * وأيامنا طابت وغنى بها الطير
ونادى البشير مفصحا ومصرحا * هلم أبا حفص فأنت لها الصدر
نهضت مجييا للندا راقصا به * وما راعنى اذذاك زيد ولا عمرو
شرعت بحمد الله للملك طالبا * وقلت وللمولى المحامد والشكر
أنا عمر المعروف ان كنت جاهلى * فسل تجد التقديم عندى ولا فخر
أنا عمر الموصوف بالبأس والندى * أنا عمر المذكور فى ورد الجفر
ظهرت لاحيى الدين بعد اندراسه * فطوبى لمن أمسى يساق له الامر
ولم يبق ملك يستب بغربنا * فعندى انتهى العلم المبرح والسر
أنا عمر المشهور فى كل غارة * أنا البطل المقدم والعالم الجبر
ضبطت بلادى وانتدبت لغيرها * وعما قليل يعظم الجاه والقدر
وجئت بعدل للامامين تابعا * أنا الثالث المذكور بعدهما وتر

يعنى أنه ثالث العمرين وقد كان يصرح بذلك ثم قال :
 ففرطوط والرحمون والكوط عصبتى * وراغون كنزى والصغير به القهر
 أولئك أنصارى وارباب دولتى * وأهلى واصهارى هم الانجم انزهر
 وقد دام بالديمان مجدى وسوددى * وفخرى فى الاقطار باد كما الفجر
 هلالى بدا لما هلالى أجابنى * وغيلان اذ لى به عظم الوفير
 ودولة أهل الريف حتما تمزقت * فلم يبق بالتحقيق عندى لها جبر
 أذقتهم لما أنسوا شر بأسنا * فابوا سراعا والصوارم والسمير
 تغلير الاكف والسواعد منهم * هنيئا فحق للانام بنا البشر
 بخفى حين آب عنا كبيرهم * وما فاته منا نكسال ولا خسر
 فمن ذا يباهينى ومالى وافى * وذكرى مغمور به البر والبحر
 الى غير هذا مما لا غرض لنا فى جلوه وقد اجابه الفقيه أبو عبد الله
 محمد بن بجة الريفى ثم العرائشى بقصيدة يقول فيها :
 فى صفحة الدهر قد خطت لنا عبر * منها ادعاء الحمار أنه بشر
 من مر عنه الصبا وما رأى عجا * خبره بعجاب دهره الكبر
 وهى طويلة الا ان قائلها لم يحكم صناعة الشعر فلذا تركناها .
 ولما اتصل خبر هذه الواقعة بامير المؤمنين المولى أحمد رحمه الله
 أعضى عن الفريقين ودخل داره وعكف على لذاته وترك الناس وشأنهم ،
 وثار ببلاد الغرب والقصر واعماله فساد كبير بين القبائل واصحاب المخزن ،
 وهلك فى ذلك بشر كثير وسقطت هبة الخلافة وانحل نظام الدولة بالمسرة
 لاسيما مع ما دهاها من قتل رجالها القائمين بأمورها ، وكان ذلك منتهى مراد
 العبيد ، فقد كان على بن يشى أمير الامراء ورئيس البربر وغيرهم ، وكان
 أحمد بن على أمير جبال مرموشة وبنى وراين وعرب الحياينة وبرابرة غياثة
 والجبال فكان رديف على بن يشى ومباريه فى نصح الدولة وجباية الاموال ،
 وكان ابن الاشقر امير الزراهنة وعلى يديه أعشار القبائل كلها من اهل الغرب
 وبنى حسن وغيرهم رديفا للاولين ، وكان القائد مرجان صاحب ييوت
 الاموال وبيده دفتر الدخل والخرج عارفا بقدر ما يدفعه العمال كل سنة ،

فلما أتى عليهم القتل رحمهم الله خف على الرعية ما كانوا يحملونه من ثقل وطأتهم ، واستراحوا ممن كان يحول بينهم وبين الفساد ويزجرهم عن القبيح ، خصوصا البربر فانهم كانوا في اقماع النحاس فخرجوا منها بمهلك على بن يشى ، وأخذوا في اشتراء الخيل واقتناء السلاح . « وعادت هيف الى اديانها ، وتبعهم على ذلك غيرهم من قبائل العرب فكانما كانوا على ميعاد ، وامتدت ايدي النهب في الطرقات ، وكثرت الشكايات باباب السلطان فما وجدت الناس من يشكيهم هذا حال مكناسة وأعمالها ، فأما فاس فقد كنى الودايا امرها ونابوا عن البربر في العيث باطرافها وعظم الحطب واشتد الامر

ثم دخلت سنة أربعين ومائة وألف ففى المحرم منها اغار الودايا على سوق الخميس من فاس فنهبوا وقتلوا وقبضوا على طائفة من أهل فاس فأودعهم السجن بفاس الجديد ، فبعث أهل فاس جماعة من أشرفهم الى السلطان بمكناسة يشكون اليه ما نالهم من جور الودايا فلما وصلوا اليها وثب عليهم محمد بن على بن يشى قبل أن يجتمعوا بالسلطان فسجنهم أيضا فلما اتصل بأهل فاس ما جرى على اخوانهم بمكناسة أخذهم ما قدم وما حادرت فأغلقوا عليهم أبواب مدينتهم وشمروا لحرب الودايا ، فكتب الودايا الى السلطان يعلمونه بأن أهل فاس قد شقوا العصا وخرجوا عن الطاعة فسرب السلطان اليهم العساكر بكل صارم وذابل ، وتفاقم الامر واختلط الحابل بالنابل ، وركبت المدافع والمهاريس والمجانيق لحصار فاس ، واستمر القتال الى أن بعث السلطان أخاه المولى المستضى في جماعة من أشراف مكناسة ومعهم أشراف فاس الذين سجنهم محمد بن على بن يشى لتلافي الامر وعقد الصلح بين الودايا وأهل فاس ، فانعقد الصلح ونهض عسكر السلطان الى مكناسة ، فما ساروا يوما او يومين حتى انتقض ذلك الصلح وغدا الودايا على حصار فاس ورميها بالكور والنبب ، واستمر الحال على ذلك الى أن أن قدم من جانب السلطان القائد أبو عمران موسى الجرارى ساعيا في الصلح ، فاجتمع أهل فاس وفأوضهم في ذلك فأذعنوا وبعثوا معه جماعة من الاعيان والعلماء والاشراف يفدون على السلطان ليتم لهم ذلك بعد أن أخذوا جماعة من أصحاب أبى

عمران توثقا باخوانهم ، ولما قدم أولئك الوفد مكناسة منعوا من الدخول على السلطان ورجعوا الى فاس مخففين ، واستمر الامر على حاله الى أن كاتبهم عبيد الديوان يطلبون منهم موافقتهم على عزل السلطان المولى أحمد وتولية أخيه المولى عبد الملك صاحب السوس فأجابوهم الى ذلك وطاروا به كل مطير وأكرموا وفدهم وحالفوهم على الوفاء ورجع العبيد الى مكناسة شاكرين ، ففاوضوا منها من قواد الجند وتذاكروا فيما وقع فيه الناس من الفساد وانقطاع السبل وتعذر الاسباب ، وتحققوا بما أتوه من سوء التدبير في تقديم المولى أحمد لكونه كان ضعيف المنة غير مطلع باعباء الخلافة فأجمعوا على عزله واستبدال غيره به ، ولما تم أمرهم على ذلك بعثوا الى أخيه المولى عبد الملك جريدة من الخيل وكتبوا اليه كتابا يستحثونه للقدوم وأعلموه بما أجمع عليه رأيهم فأجاب وأقبل مسرعا نحو مكناسة ، ولما انتهى الى وادي بهت واتصل خبره بالعبيد دخلوا على السلطان المولى أحمد وقبضوا عليه وأخرجوه من دار الملك مخلوعا ، وسجنوه بداره التي كان يسكن بها قبل البيعة خارج القسبة ، وكان ذلك في شعبان سنة أربعين ومائة وألف .



الخبر عن دولة أمير المؤمنين المولى ابي مروان عبد الملك

ابن اسماعيل رحمه الله



لما خلع السلطان المولى أحمد رحمه الله وسجن خارج القسبة كما مر اجتمع من الغر الجيش كله وركبوا لملاقة المولى أبي مروان عبد الملك بن اسمعيل فاجتمعوا به خارج مكناسة وأدوا واجب الطاعة والتفوا عليه ودخوا به الحضرة في زى الملك وأهبة السلطان ، ثم حضر أعيان الدولة وأمرائها وقضاتها وعلمائها وأشرفها فبايعوه ، وكتب بيعته الى الآفاق ، ومن الغد قدم عليه أعيان فاس من العلماء والاشراف وغيرهم بيعتهم فدخلوا عليه وبايعوه ،

ثم قدمت عليه الوفود للتهنئة من حواضر المغرب وبواديه فجلس للافانهم
وقابلهم بما يجب من البشر الى ان فرع من شانهم ، وتفقد اخاه المولى أحمد
المخلوع فأمر به الى فاس كي يسجن بها ثم بداله فأمر بتوجيهه الى
سجلماسة .

قال في « الازهار الندية » لما بعث السلطان المولى أبو مروان بأخيه
المولى أحمد المخلوع الى تافيلالت كتب الى عامله بها أن يَسْمَل عينيه بفور
بلوغه فما ذلك الى المولى أحمد ففر الى زاوية الشيخ أبي عثمان سيدي
سعيد آخضال ، وكان مقدم الزاوية يومئذ السيد يوسف بن الشيخ سعيد
المذكور ، وكان يتكلم في الحدثن فقال للمولى أحمد : « انك سترجع الى
الملك » فكان كما قال ، ورجا الناس أن يكون السلطان المولى أبو مروان
كأبيه ، وأن يسير فيهم بسيرته ويسد مسده ، فخاب الظن وأخفق المسعى

وابن البون اذا! ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس
وأمسك الله يده عن العطاء فلم يسمح للعسكر ولا للوفود بدرهم ،
فكان ذلك من أكبر الاسباب في اختلاف أمره وتفسخ دولته ، فطلب العسكر
البخارى منه جائزة البيعة على العادة فبعث اليهم بأربعة آلاف مثقال ، وكان
راتبهم على عهد السلطان المولى اسمعيل رحمه الله مائة ألف مثقال ، ولما
بوع السلطان المولى أحمد زلادهم في الراتب خمسين ألفا ، فلما وصلت اليهم
جائزة المولى أبي مروان سقط في أيديهم وعلموا أنهم لم يضعوا شيئا في
بيعته ، وتناجوا بعزله واضمروا ذلك وتحينوا وقت الفرصة فيه ، فما الي
ذلك عنهم فاخذ حذره وصار يكتب قبائل العرب ويعددهم ويمنيهم ويحضهم
على اجتماع كلمتهم كي ينفعوه يوما ما ، ظنا منه أنهم يقاومون العبيد ، ثم
كتب الى البربر أيضا يغريهم بالعبيد وأغرى العبيد بالبربر وقال لهم في جملة
من ذلك : « انه لا يستقيم لنا أمر الا بعد الايقاع بهؤلاء البربر » وشغلهم
بالاستعداد لغزوهم ، وكتب الى أهل فاس يأمرهم أن يعثوا رماثهم الى حضرته
لغزو البربر وأخذ في التضريب بين العسكر والبربر ، واطلع العبيد على
خسسته فحاصوا عنه حصة حمر الوحش ، وأصفقوا على عزله ورد أخيه المولى

أحمد لما كنه لسخائه وبسط يده ، وكذبوا ، فان المولى أبى مروان رحمه الله كان أنسب حالا بالخلافة من أخيه المولى أحمد لنجدته وحزمه ، وكان قد عزم على تطهير الحضرة وبسط الدولة من أفتيات العبيد وتحكمهم على أعيانها إلا أنه لم يحكم التدبير فى ذلك فعاجلوه قبل أن يعاجلهم .

ولما تحقق المولى أبو مروان بما عزم عليه العبيد من خلعه بعث إليهم الشيخ البركة مولاى الطيب بن محمد الوزانى وإعطا ومذكرا فأتاهم ووعظهم ووعدهم الخير إن أقبلوا ، ونهاهم عن الخروج على السلطان واتباع سبيل السلطان ، وخوفهم فى ذلك من سخط الله فما زادهم إلا نفورا ، ثم بعثوا بجريدة من الحيل الى سجلماسة ليأتوا بالمولى أحمد ، وفى أثناء ذلك ركب العبيد من الديوان وأغاروا على مكناسة فاكسحوا سرحها ، ثم اقتحموا المدينة فنهبوا واستباحوا حرماتها ، وقتلوا من ظفروا به من أعيانها ، ثم دخلوا دار الملك للقبض على السلطان المولى أبى مروان فلم يجدوه لانه لما سمع بما فعله العبيد بمكناسة ركب فى جماعة من اصحابه وفر الى فاس ، فدخل حرم المولى ادريس رضى الله عنه واستجار به ، وبعث الى أهل فاس فاستجار بهم فوعدوه الدفاع عنه والقيام بأمره .

ولما علم العبيد بموضع المولى أبى مروان من فاس وما وعده به أهلها حبسوا رماثهم الذين كانوا قد قدموا مكناسة بقصد غزو البربر كما تقدمت الإشارة اليه ، وثقفوهم حتى يقدم السلطان المولى أحمد من سجلماسة ويرى فيهم وفى أخيه رأيه ، وكان ذلك فى ذى الحجة سنة أربعين ومائة وألف .



الخبر عن الدولة الثانية لامير المومين المولى ابى العباس أحمد الذهبى

رحمه الله



لما راسل العبيد المولى احمد بن اسمعيل بسجلماسة وأعلموه بما عزموا عليه من عزل أخيه ورد الملك اليه بادر بالقدوم الى مكناسة فدخلها فى التاريخ المتقدم ، وحضر أعيان الدولة من القواد والقضاة والكتاب ، وبايعوه البيعة الثانية وكتبوا بذلك الى الآفاق ، ثم دخل دار الملك وفرق الاموال والكسب فى العسكر والعلماء والاشراف وبالع فى ذلك تفصيا مما نقيه العبيد على أخيه ، وكان فعل أخيه أقرب الى الصواب لو هلك الوسط ، وأحكم أمره ورتبه ترتيب ذو الحزم ، ولكن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .



حصار أمير المومين المولى احمد لفاس والسبب في ذلك



لما بويع المولى أحمد البيعة الثانية قدم عليه الوفود من القبائل والامصار فأكرم وفادتهم ، وتخلف عنه أهل فاس فلم يقدم عليه أحد منهم لانه لما قدم من سجلماسة وأعلم بمكان أخيه منهم وبمكان رماثهم المتقنين بمكناسة أمر بسجنهم والتضييق عليهم فأوجسوا منه سرا وحذروه ، ولأنهم كانوا قد ارتكبوا العظيمة اولا فى قتل أبى على الروسى ونهب داره وماله ومال المخزن الذى كان تحت يده ، فكانوا يتوقعون سطوة السلطان المولى أحمد بهم اول ما بويع ، ثم لم يلتفت اليهم لشغله بنفسه ، فلما عادت الدولة اليه ارتابوا به وحادوا عن طاعته وتقدموا الى المولى عبد الملك وجددوا له البيعة وأعلنوا بنصره والقيام بأمره ، ثم ورد عليهم كتاب السلطان المولى أحمد يأمرهم أن يسلموا اليه أخاه ويدخلوا فيما دخل فيه الناس أو يأذنوا

بحربه ، فجهروا بالخلاف وأغلقوا الابواب ووطنوا انفسهم على الحصار ، ثم بعث اليهم السلطان القائد اليدنى قائد الرماة المسجونين بمكناسة وأمره أن يعرض عليهم الدخول فى الطاعة ويسرح لهم اخوانهم المسجونين ، وحمله كتابا اليهم يتضمن ذلك وغيره ، فلما فرغ القائد المذكور من قراءة كتاب السلطان عليهم وثبوا عليه فقتلوه ثم جروه برجله وصلبوه على التوتة التى بحومة الصفارين ثم وثبوا على الحاج الحياط عدل فقتلوه على باب دابة وخرج الشريف أبو محمد عبد الله بن ادريس الادريسي فى كنية من الخيل والرماة الى زواغة فأغار على سرح الودايا واستاق من البقر والغنم شيئا كثيرا ، فدخل به فاسا وبيع بأبخس ثمن وتوزعته الايدى ، بيعت البقرة بست موزونات والثاة بموزونة على ما قيل ، وهاجت الحرب بين أهل فاس والودايا ، ثم نهض السلطان المولى أحمد فاتح محرم من سنة احدى وأربعين ومائة وألف فى عسكر العييد وودايا مكناسة ، فزحف الى فاس ونزأ عليها ثانى يومه ونصب عليها المدافع والمهاريس وآلات الحصار ، وانشلى العسكر على بسايتها وبحاثرها فاتسفوا ثمارها واجتاحوا غللها ، وأمر الطبيعية بموالة الكور والنب والحجارة عليها ليلا ونهارا ففعلوا ، ودام ذلك الى أن عمها الحراب وتهدم الكثير من دورها وهلك عدد وافر من رجالها ، بعضهم فى القتال وبعضهم بالهدم والحجارة ، واستمر الحصار نحو خمسة أشهر فضاقت بهم الحال وضعفوا عن القتال ، وقلت الاقوات وارتفعت الاسعار ، فاذعنوا للطاعة وصالحو المولى احمد على اسلام اخيه المولى عبد الملك اليه وتمكينه منه على الامان ، فبعث السلطان المولى احمد الى أخيه المولى عبد الملك يخيره بين التغريب الى سجلماسة والمقام بالحرم الادريسي . فاختار المقام بالحرم .

ثم ان السلطان تقدم الى أهل فاس فى أن لا يجتمع أحد منهم بأخيه ولا يجالسه ولا يكلمه ولا يبيع من أحد من أصحابه شيئا ولا يشتري منه ، ومن فعل شيئا من ذلك فانه يعاقب ، فلما رأى المولى عبد الملك ما عامله به أخوه من التصيق بعث ولده الى العييد يطلب منهم ان يؤمنوه ويخرج معهم

الى حيث شاءوا ، فقدم عليه الباشا سالم الدكالى فى خمسين من القواد وعاهدوه بالحرم الادريسى أن لا يصيبه مكروه ، فخرجوا به حتى قدموا به على أخيه ، فلما مثل بين يديه أمر به أن يحمل الى مكناسة مقبوضا عليه ، فوصل الى مكناسة وسجن بدار الباشا مساهل ، ثم رحل السلطان المولى احمد عن فاس قافلا الى مكناسة وعند حلوله بها مرض مرض موته ، ولما أحس من نفسه بالموت أمر بخلق أخيه المولى عبد الملك فخلق ليلة الثلاثاء اول يوم من شعبان ، ثم توفى السلطان المولى أحمد يوم السبت رابع شعبان المذكور سنة احدى واربعين ومائة والف فكان بين وفاتهما ثلاثة أيام رحمهما الله .

واعلم ان ما ذكرناه من هذه الاخبار هو الذى عند صاحب البستان وقلده أبو عبد الله أكسوس حذو النعل بالنعل ، ورايت بخط جدنا من قبل الام وهو الفقيه الاستاذ أبو عبد الله محمد بن قاسم الادريسى اليجوى الجبارى عرف بابن زروق ، وكان حيا فى هذه المدة ما نصه :

«بويح المولى احمد بن اسمعيل المعروف بالذهبي يوم وفاة والده رحمه الله بعد أن ثار بالمغرب والقصر وحوزه فساد كبير بين القبائل واصحاب المخزن ، وهلك فى ذلك بشر كثير ، وبعد مكثه فى الملك سنة واحدة وثمانية أشهر خلع ، وبويح اخوه المولى عبد الملك فى الآخر من رجب سنة احدى واربعين ومائة والف ، وهو بالسوس الاقصى بمدينة تارودانت » ثم ورد على دار المملكة بالحضرة المكناسية ليلة السابع والعشرين من رمضان المعظم من السنة المذكورة ، ثم ثار عليه أخوه المولى احمد المخلوع فى عاشر المحرم فاتح سنة اثنين وأربعين ومائة والف ، واقتحم عليه دار الملك من مكناسة عنوة ، ووقع فساد كبير بالمدينة المذكورة ، وهلك بشر كثير فى الحرب ، ومنهم من قتل صبرا ، وفر المولى عبد الملك ناجيا بنفسه الى فاس ، ثم حاصره بها المولى أحمد نحو من اربعة اشهر حتى خرج اليه على الامان فأمر بسجنه بمكناسة ، ثم قتل المولى عبد الملك صبرا مخنوقا فى أواخر رجب المذكور ايضا اه كلامه والله تعالى أعلم بحقيقة الامر .

قالوا وكان المولى احمد رحمه الله اشبه الناس بالامين بن الرشيد

العباسي في زيه ولهوه واكبابه على شهواته وتضيع الحزم والجد حتى فسدت الاحوال وتراكت الاهوال ، وذكر معاصروه أنه لم يكن شهد حربا قط قبل خلافته وكان مع ذلك جوادا متلافا فألت به الامور الى ما ذكرنا والله الامر من قبل ومن بعد .



الخبر عن دولة امير المومنين المولى عبد الله بن اسماعيل رحمه الله



كان المولى عبد الله بن اسمعيل ، وهو ولد الحرة خثائي بنت بكر المغفري أيام خلافة اخيه المولى احمد منحاشا الى اخيه المولى عبد الملك ومقيما معه ببلاد السوس ، فلما خلع المولى احمد وبويع المولى عبد الملك وقدم مكناسة قدم المولى عبد الله في ركابه ، واستمر مقيما بها الى ان ثار العبيد بالمولى عبد الملك وفر الى الحرم الادريسي ، فخرج المولى عبد الله من مكناسة الى سجلماسة ، واقام بداره بها الى ان توفي السلطان المولى أحمد بن التاريخ المتقدم ، فاجتمع أعيان الدولة من العبيد والودايا وسائر القواد والرؤساء واتفقوا على بيعه المولى عبد الله بن اسمعيل ، وهو يومئذ بسجلماسة ، فنادوا باسمه واعلنوا بنصره في المحلة ومكناسة ، وبعثوا جريدة من الحيل لتأني به وكتبوا مع ذلك الى أهل فاس يعزونهم عن هلك من اخوانهم أيام الحصار ، ويحضونهم على الموافقة على بيعه المولى عبد الله بن اسمعيل .

ولما وصل الكتاب الى فاس قرىء على منبر جامع القرويين فأجابوا بالموافقة ان حضر ، ولما وصلت الحيل الى المولى عبد الله واعلموه بما اتفق عليه الناس في شأنه أقبل مسرعا حتى نزل بظاهر فاس بالموضع المسمى بالمهراس ، فخرج أعيان فاس من العلماء والاشراف وغيرهم لملاقاته فسلموا عليه واستبشروا بقدومه فسر بهم والان لهم القول ووعدهم بالجميل ، وأعلمهم بانه من الفادخل لحضرتهم لزيارة المولى ادريس رضى الله عنه ،

فرجعوا مسرورين مقتبطين . ومن الغد أخذوا زيتهم ولبسوا أسلحتهم ونشروا أنويتهم وخرجوا لميعاده ، فركب السلطان فرسه وركب معه خاصته وأهل موكبته ، وفي جملتهم حمدون الروسي عدو أهل فاس ، وتقدم السلطان فدخل على باب الفتوح وتوسط المدينة ، فرأى بعض سماسرة الفتن من أولاد ابن يوسف ، حمدون الروسي . وكان قد قتل أباهم حسبا مر ، فصمدوا اليه : فلما رآهم تتحى عنهم قليلا فتبعوه ، فعلم أنهم عزموا على اغتياله ، فركض فرسه الى السلطان وهو على قنطرة الرصيف ، واخبره خبر أولاد ابن يوسف ، وخص وعم بالارجاف في حق أهل فاس ، فعذل السلطان عن قصده ، ورجع على طريق جامع الحوت ثم على جزاء ابن عامر وخرج على باب الحديد الى فاس الجديد ولم يزر ، ولم يعلم الناس موجب الرجوع عن الزيارة الى ان شاع الخبر بذلك ، فمشى علماء فاس وأشرافها الى السلطان ورفعوا اليه بيعتهم ، واعتذر اليه بعض الفقهاء بان ما وقع في جانب حمدون انما هو من بعض السفهاء ، فأعرض السلطان عن ذلك وصم عن سماعه .

وكانت البيعة التي رفعها أهل فاس من انشاء الفقيه العالم النوجيه أبي العلاء ادريس بن المهدي المشاط المنافي ، نسبة الى عبد مناف بن قصي ، وهذا الفقيه هو الذي كان السلطان المولى اسمعيل رحمه الله بعثه قاضيا على تادلا مع ابنه المولى أحمد الذهبي حين ولاء عليها كما مر ، ونصها :

الحمد لله الذي جعل العدل صلاحا للملك والرعية والعباد ، كما جعل الجور هلاكا للحرث والماشية والبلاد ، وسدد العادل بعنايته وأعد للجائر مسا هو معلوم له يوم المعاد ، وجعل المقسطين على منابر من نور يوم القيامة كما جعل القاسطين في العذاب والحسرات والانكاد ، فأسعد الملوك يوم القيامة من سلك مع الرعية سبيل السداد ، وأصلح ما أظهره الجائر في الارض من الفساد ، نحمده أن تفضل علينا بامام عادل ، ونشكره ان حكم فينا من لا يرضى في الحق لقول عادل ، فولى علينا الخليفة من نسل الشفيح يوم التناد ، ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له لا يسأل عما يفعل يؤتي الملك

من يشاء وينزع الملك ممن يشاء فى أى وقت شاء وإراد ، ونشهد أن سيدنا
ونبينا ومولانا محمدا عبده ورسوله الشفيع فى أمته يوم لا ينفع الظالمين
معذرتهم ولا يقبل من القاسطين فداء بطريف ولا تلاد ، صلى الله عليه وعلى
آله الذين أظهروا الشريعة ومحووا الظلم محو المداد ، أما بعد حمد الله
الذى أمر بطاعة اولى الامر ، ووعد من نصر دينه بالظفر والنصر ، فقل
عليه السلام : «ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» وفى صحيح
مسلم عنه صلى الله عليه وسلم قال : «من أراد أن يفرق أمر هذه الامة وهو
جميع فاضربوا عنقه بالسيف كائنا من كان» . وفى صحيح مسلم ايضا عن
صلى الله عليه وسلم قال : «من اتاكم وامركم جميع على رجل واحد وأراد
أن يفرق جماعتكم فاقتلوه» . وفى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله
عنه قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كره من أميره شيئا
فليصبر فان من خرج عن السلطان شبرا مات ميتة جاهلية» . وفيه أيضا
عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن أطاع أميرى فقد
أطاعنى ومن عصى أميرى فقد عصانى» . وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضى الله عنه لابن عقبة لعلك لا تلقا: «بى بعد اليوم فعليك بتقوى الله تعالى
والسمع والطاعة للأمير وان عبدا حبشيا» .

واتفق أئمة الدين على أن نصب الامام واجب على المسلمين وان كان
من فروض الكفاية ، كما ان القيام بذلك من الواجبات كما دلت عليه نصوص
الاحاديث والآيات : وقال الشاعر :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا
ولما كان من امر الله سبحانه ما اراده وقدره ، فقبض اليه خليفته
وأقبره ، دهش المسلمون وخافوا من توالى الشرور والفتن فتوجهوا اليه
سبحانه فى أن يغمد عنهم السيوف ، وطلبوا من فضله المعهود ان يصرف عنهم
ضروب المحن والخوف ، فأجاب الكريم الدعوات ونفس الهموم والكربات ،
ونشر رحمته ، وازاح نقمته ، فصارت القلوب ناعمة بعد يؤسها ، والوجوه

ضاحكة بعد عبوسها ، والشروع والفتن قد ادبرت ، وأعلام الامن والعافية قد اقبلت ، فوق الله جيوش المسلمين للاعمال المرضية ، والهمهم لما فيه صلاح الدنيا والدين والراعى والرعية ، فاقضى نظرهم السديد ، ورأيهم الموفق الرشيد بيعة من فى افق السعادة قد طلع ، وظهر فى سماء المعالى بدره وارنفع ، الامام الهمام العلوى الهاشمى العدل فى الاحكام ، الموصوف بالكرم والشجاعة والشهامة ، والحزم والنجدة والزعامة ، المتواضع لله المتوكل فى جميع اموره على الله ، أمير المؤمنين مولانا عبد الله بن الشريف الجليل ، الماجد الاصيل أمير المؤمنين مولانا اسمعيل ، بن مولانا الشريف ، فبايعوه اعزه الله على كتاب الله وسنة الرسول ، واقامة العدل الذى هو غاية المامول ، بيعة التزمتهما القلوب والالسنه ، وسعت اليها الاقدام والرؤوس خاضعة مذعنة ، لا يخرجون له من طاعة ، ولا ينحرفون عن مهيع الجماعة ، أشهدوا على أنفسهم عالم الطويات ، المطلع على جميع الحفيات ، قائلين انا بايعناك وقلدناك لتسير فينا بالعدل والرفق ، والوفاء والصدق ، وتحكم بيننا بالحق ، كما قال تعالى لنبيه فى محكم وحيه : «ياداوود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق» وقال تعالى وقوله الحق : «ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه اجرا عظيما» وقال تعالى : «ولا تكن للخائنين خصيما» وهذه الرعية تطلب من ربها ان يعين مالکها ويساعده ، ويقذف الرعب فى قلب من يريد أن يعانده ، وان يفتح عليه ما عسر على غيره ، ويمده بعزير نصره ، انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ، وبيده القوة والحول ، نعم المولى ونعم النصير ، شهد بذلك على نفسه ومن معه العبد الفقير المذنب الحقير ممليها وكتابتها - ادريس بن المهدي المشاط بمحضر فلان وفلان ، وجمهور الفقهاء والاعيان فى يوم الاثنين سابع رمضان سنة احدى واربعين ومائة والف .

ثم سافر السلطان فى الحين الى مكناسة كما نذكره .



حدوث النفرة بين امير المومنين المولى عبد الله وأهل فاس والسبب في ذلك



قد قدمنا ما كان من وسوسة حمدون الروسى للسلطان المولى عبد الله فى جانب أهل فاس واعتذار بعض الفقهاء لدى السلطان عن ذلك ، ثم ان السلطان أمر أهل فاس ببعث طائفة منهم تكون معه على العادة ، فعينوا الخمسمائة التى كانت تغزو مع الملوك قبله ، فذهبت معه الى مكناسة .

ولما استقر بالخضرة قدم عليه أعيان الديوان وعمال القبائل ووفود الحواضر والبوادي ، ففرق المال ولم يحرم احدا سوى أهل فاس ، فانه لم يعطهم شيئا ، ثم حضر عيد الفطر فقدمت وفود الامصار ليشهدوا العيد مع السلطان على العادة ، وقدم وفد فاس لهذا الغرض وحضروا صلاة العيد مع السلطان بالمصلى ، ولما قدم الناس هداياهم بعد رجوع السلطان الى منزله قدم أهل فاس هديتهم على العادة فاعطى الناس وحرهم ثانيا .

قلت : ولست أشك فى ان شيطانا من شياطين الانس كان موكلا بهذا السلطان يغريه بأهل فاس ، ويوغر صدره عليهم ويفسد ما بينه وبينهم ، والا فكيف تقتضى السياسة أن يعمد ملك كبير الى اخص رعيته ولبها وصميمها : فيفسد ضمائرهما عليه ويزرع بغضه فى قلوبها ، وهب انهم أساءوا الادب أليس التغافل مطلوبا فى مثل هذا ما أمكن ؟ لا سيما فى حق السلطان ، وقد كان النافقون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيحلم عنهم ، وقال له بعض اصحابه : «الا نقتلهم ؟» فقال له صلى الله عليه وسلم «كيف يتحدث الناس أن محمدا يقتل اصحابه» ومن الحكم الماثورة قولهم : «التعامى يدفع شرا كبيرا» وقال الشاعر :

ليس الغنى بسيد فى قومه * لكن سيد قومه المتغابى
ومن الغد أمر السلطان باحضار أهل فاس بالمشور ثم خرج عليهم

فقاموا اليه وأدوا واجب التحية ، فقال لهم : «يا أهل فاس ، كاتبوا اخوانكم
يسلموا لنا البساتين والقصبات فانها للمخزن ومن وظائفه فان أبوا فاني
آتيهم وأهدم عليهم تلك القرية» فأجابوا بالسمع والطاعة وعادوا الى رحالهم.
ولما كان المساء اتخذوا الليل جملا وأسروا ليلتهم كلها ولم يصبحوا الا
بباب فاس ، فاجتمعوا باخوانهم وقرروا لهم مقالة السلطان وما عزم عليه
في حقهم ، فاجتمع اعيانهم وتفاوضوا ففى شأنهم وشأن السلطان وأحضروا
نسخة البيعة وتصفحوا شروطها وقالوا : «انا لم نبايعه على هذا الذي يعاملنا به»
ثم أعلنوا بخلعهم والامر لله وحده .



حصار المولى عبد الله مدينة فاس



لما أعلن أهل فاس بخلع السلطان المولى عبد الله عزموا على الحرب
ووطنوا أنفسهم على الحصار ، ونادوا فى المدينة من أراد الخروج الى بلده
ومامنه من غير أهل البلد فليتها فى ثلاث ، ثم أغلقوا ابواب المدينة واستعدوا
للقال .

ولما سمع السلطان بخبرهم تهيأ لغزوهم فأخذ أهبة وخرج من مكناسة
فى الخامس والعشرين من شوال سنة احدى واربعين ومائة والى فاس ، فنزل
على فاس ووزع الجنود عليها من كل ناحية ، وأطلق يد الجيش بالعث فى
أطرافها من تخريب المصانع وقطع الاشجار وافساد المزارع ، وأمر بطم
الوادى فانجس عنهم مأؤه ، وزحفت العساكر فكان القتال على كل باب
سائر النهار فاذا كان المساء أمر الطبية والاعلاج بارسال الكور والبنب
وحجارة المنجنق ، فكان الناس لا يستريحون بالنهار ولا ينامون بالليل ،
واشتد الكرب وريع السرب ، واستمر الحال الى ان دخلت سنة اثنتين
واربعين ومائة والى فازداد الامر شدة ، وارتفعت الاسعار وانعدمت

الاقوات ، وكثر الهرج ، فبعثوا الى السلطان فى الصلح ، فقال : «على تسليم البساتين والقصاب» فأبوا وتجلدوا ، ثم بعد ذلك وقع الصلح على يد القائد أبى عبد الله محمد السلاوى بضريح المولى ادريس رضى الله عنه ، واستصحب معه جماعة من أشرف فاس وعلمائها الى السلطان وهو بفاس الجديد ، فأكرم مقدمهم ووصلهم بألف دينار وكساهم ، وولى عليهم الحاج أبا الحسن عليا السلاوى ، فدخل الوالى المذكور القصة ثانى ربيع النبوى سنة اثنتين وأربعين ومائة والف ، وشحن البساتين والقصاب بالمقاتلة من أصحابه وافتتح عمله بقتل الشيخ دحمان المنجاد من رؤساء فاس ، ولا اتصل خبره بالسلطان عزله ، وولى على فاس أحد اولاد حمدون الروسى المعروف بالبادسى ، ثم بعد مدة يسيرة عزله وولى عبد النبى بن عبد الله الروسى ، ثم لما عزم على النهوض الى مكناسة عزله أيضا وولى عليهم عدوهم حمدون الروسى ، وارتحل فى العشرين من ربيع الاول من السنة .

وفى هذه السنة بعث السلطان ولده المولى محمدا مع امه السيدة خنثى الى الحجاز بقصد حج البيت ، والمولى محمد يومئذ دون بلوغ ، وفى «نشر الثانى» : «ان هذه الحجة كانت سنة ثلاث بعدها» قال : «ان ام السلطان المولى عبد الله ، وهى السيدة خنثى بنت بكار المغفريه ، التمت من ولدها المذكور السفر الى المشرق بقصد حج بيت الله الحرام فأجابها الى ذلك وهيا لها جميع ما تحتاج اليه ، ووجه معها ولده الذى أيد الله به الدنيا والدين بعده سيدى محمد بن عبد الله فحج معها فى هذه السنة يعنى سنة ثلاث وأربعين ومائة والف .



نهوض السلطان المولى عبد الله الى قتال البربر وابقاعه بهم

لما استقر السلطان المولى عبد الله بمكناسة وتفقد حال البربر وجدها قد عادت الى حالها الاول من ركوب الخيل واقتناء السلاح والعيث في الطرقات ، فأمر العبيد بالاستعداد لغزوهم وتمهيد البلاد والتقشير من بأوهم فخرج الى تادلا وصمد الى آيت يمور الذين كانوا قد نزلوا بها وأضروا بأهلها حين نفثهم آيت ومالو عن رأس ملوية وغلبوهم عليه فنزلوا تادلا وأوقدوها نارا فكثر شاكيتهم بباب السلطان ، فنهض اليهم على ما سبق ، ولما أحسوا بدنوهم منهم فروا أمامه ودخلوا بلاد آيت يسرى فتبعهم الى أن أوقع بهم على وادى العبيد ، وقتل منهم آلافا وانتهبهم وعاد الى تادلا ظافرا . والله غالب على أمره .

ذكر ما صدر من السلطان المولى عبد الله من العسف المخل بالسياسة

والتناقض المغير في وجه الرياسة

لما عاد السلطان المولى عبد الله الى تادلا قتل عشرين رجلا من أعيان رماة أهل فاس ، وكتب الى اخوانهم يعتذر عن قتل من قتل منهم ويأمرهم بتجديد بعث آخر وتوجيهه اليه فعينوا طائفة من رمايتهم وجهوها بعد أن عرضها القائد حمدون الروسى برأس الماء ، ثم من الغد قتل القائد حمدون المذكور عبد الواحد تير ، ومحمد بن الاشهب من أهل فاس بباب السجن وأمر بجرحهما في سكك المدينة ، ثم أصبح غاديا على أبواب فاس فتبعها بالهدم فهدم باب المحروق وباب الفتوح وباب الجيسة وباب بنى مسافر وباب الحديد ، وحمل مصاريحها كلها الى فاس الجديد ، وفي أول يوم من المحرم من سنة ثلاث وأربعين ومائة والف شرع حمدون الروسى في هدم سور

مدينة فاس وجر الانقاض التي بها الى فاس الجديد ، وفي أثناء ذلك ورد كتاب من السلطان يتضمن العفو عن أهل فاس والرضا عنهم ، فارتأى حمدون الروسى وفر الى زرهون ، ثم قفل السلطان من تادلا فاقام بمكناسة مدة يسيرة وخرج غازيا بلاد السوس فقدمها ومهدا وعاد مؤيدا منصورا ، وفي هذه السنة أمر ببناء باب منصور العليج بمكناسة فجاء في غاية الضخامة والفراة وأكمل سوق القصة فجاء على ما ينبغي والله أعلم .

هدم السلطان المولى عبد الله مدينة الرياض من حضرة مكناسة

وما اتصل بذلك



كانت مدينة الرياض زينة مكناسة وبهجتها اذ كان بها آثار اكابر دولة أمير المؤمنين المولى اسمعيل رحمه الله ، وبها دور العمال والقواد والكتاب وسائر أعيان الحضرة الاسماعيلية ، بل كل من كان له وظيف في خدمتها السلطانية بنى داره بها وتنافس الاكابر والرؤساء في تشييد الدور وتجديد القصور ، وتناها في ذلك حتى كان بدار على بن يسي القبلى أربع وعشرون حلقة يجمعها باب واحد ، وكانت دار القائد عبد الله الروسى وأولاده على ذلك المنوال بل أعظم ضخامة وأكمل حضارة حتى كأنها حومة مستقلة ، وكان لامثالهما من القواد مثل ذلك أو قريب منه فخلدوا بها الآثار العظيمة والمعالن الفخيمة ، وبنى كل عامل مسجدا في حومته ، وكان بوسطها المسجد الاعظم الاسماعيلي ومدرسته وحمامه وفنادقه وأسواقه الموقوفة عليه ، وكانت تتفق بها البضائع التي لا تتفق في غيرها فأتى عليها من أيام النحوس يوم ركب السلطان المولى عبد الله عند فجره ، ووقف على تل عال يشرف منه عليها وأمر النصارى والشعابنية بهدمها ، فتسارعوا اليها وشرعوا في هدمها من كل ناحية والناس نيام ، فلم يرعهم الا بيوتهم تتساقط

عليهم ، فمن أسرع وخف بحمل متاعه وأثأه نجا ، ومن لا معين له أو تراخى فى حمل متاعه ضاع تحت التراب ، وكان بها طائفة كبيرة من أخواله للودايا وغيرهم ، فارتحل الودايا الى فاس الجديد وانضموا الى اخوانهم الذين بها ، وتفرق غيرهم بمدينة مكناسة ، ولم تمض عشرة أيام حتى صارت مدينة الرياض كدية من التراب ولم يبق بها الا الاسوار قائمة الاشخاص والجدران مائلة للعيان والاه رلله وحده .

قالوا : وفى هذه السنة بعث السلطان المولى عبد الله بعثا مع القائد أبى عمران موسى الجرارى الى بعض الجهات . وكانوا نحو ثلاثمائة ، فلما قدموا عليه قتله وقتل أصحابه معه ، وقدم عليه أيضا وفد من عند الباشا أحمد بن على الريفى فى مثل هذا العدد من طنجة ومعهم هدية الباشا المذكور فقتلهم ، فكان قتلهم سبب نفرة أحمد بن على عنه وسعيه فى افساد دولته ، وقتل أيضا من قبيلة حجاوة مائتى رجل على دعوى قطع الطريق ببلادهم ، ولما أمر بقتلهم وأخرجوا الى المحل المعد لذلك خرج النظارة والبطالون من أهل البلد للفرجة عليهم بباب البطوى ، فينماهم كذلك اذا بالسلطان قد برز من الباب ، ولما رأى اجتماع الناس قصد نحوهم فلما رأوه فروا الى كهف هناك قريب ، فاختفوا فيه فأتى السلطان حتى وقف على باب الكهف ، وكان من قربه أكوام من حجر أعدت للبناء بها ، فأمر الاعوان من المسخرين بوضع أسلحتهم وردم باب الكهف بذلك الحجر مع التراب ففعلوا ، وهلك ذلك الجمع الكثير غما ، ولم يوقف لهم بعد على خبر ولا عرف لهم عدد ، ولما صدرت منه هذه الافعال الشنيعة عفا الله عنه كتب اليه أهل الديوان من مشرع الرملة ينكرون عليه قتله للمسلمين دون موجب فبعث اليهم بالراتب وأمرهم بالتهيو لغزو أهل فازاز فشغلهم بذلك .

وفى هذه السنة بعث محمد بن على بن يشى الزمورى القبلى واليا على فاس وقال له : « خذ منهم المال واطرحه فى وادى أبى الحارارب ولا تركه لهم ، فما أطاعهم الا المال حتى استخفوا بأمر الملك » فقدم محمد بن على المذكور فاسا ونزل بدار أبى على الروسى بالمعادي وعين من كل حومة

نقيا عارفا بأهل اليسار ، فجمعوه لهم حتى كانوا بين يديه فأمر بسجنهم ، ثم وظف عليهم أولا خمسمائة ألف مثقال وزعها على التجار وأهل اليسار دون غيرهم من العشرة آلاف الى الالف ، ثم شرع فى قبض المال الموزع ومن تراخى منهم فى الدفع ضرب وسجن ، ومن تغيب من أهل اليسار حبس ولده أو أخوه أو زوجته الى أن استوفى العدد المذكور ثم عطف على أهل الصنائع والحرف وأرباب الاصول من الفلاحين وغيرهم فوزع عليهم قدرا وافرا من الالف الى المائة وما دون ذلك حتى لم يبق فى المدينة أحد الا وقد غرم ، ففر الناس الى البوادي والقرى والجبال ، ومنهم من وصل الى السودان وتونس ومصر والشام حتى لم يبق بفاس الا النساء والذرية ومن لا عبرة به من الرجال حتى ان الذين كانوا بالسجن فبنفس خروجهم منه فروا بانفسهم ولم يعرجوا على أهل ولا ولد ، وأقام محمد بن على على هذا العمل بفاس ثلاثة عشر شهرا وكلما اجتنبى مالا بعث به الى السلطان بمكناسة ، وكانت هذه الخطوب كلها فيما بين سنة ثلاث وأربعين الى سنة خمس وأربعين ومائة وألف .



بعث السلطان المولى عبد الله جيش العبيد الى فازاز وايقاع اهله بهم



وفى سنة ست وأربعين ومائة وألف جهز السلطان المولى عبد الله جيشا من العبيد يشتمل على خمسة عشر ألفا من الخيل وعقد عليهم للباشا قاسم بن ويسون ، وأضاف اليهم ثلاثة آلاف من جيش الودايا وعقد عليهم للقائد عبد الملك بن أبى شفرة ووجههم الى جبال آيت ومالو ، فلما عبر الجيش وادى أم الربيع على قطرة البروج ونزلوا ببسيط آدخسان كادهم البربر بأن أظهروا الفرار أمامهم وتوغلوا فى الجبال فتبعهم العبيد الى أن توغلوا فى تلك الجبال ونشبو فى اوعارها ، والبربر تفر منهم فى كل وجه

وهم يتبعونهم الى ان حان وقت المساء فبعث البربر ليلا طائفة منهم لسد الثنايا والانقاب التي دخل منها جيش السلطان ، فأحكموا سدها بشجر الارز والحجارة ، ولما اصبحوا هجموا على الجيش من كل ناحية وصدقوهم القتال الى أن ردوهم على أعقابهم ، فلما انتهى العييد الى الثنايا التي دخلوا منها وألقوها مسدودة دهشوا وخشعت نفوسهم وازدحموا عليها بعد أن ترجلوا وتركوا الخيل والسلاح والابنية فيها من الاثاث ، فنهب البربر جميع ذلك ، ثم جردوا باقى العسكر من الثياب ، ولم يقتلوا أحدا ورجع العييد الى مكناسة راجلين متجردين من المخيط والمحيط فكان ذلك من أقوى الاسباب التي بغضت السلطان المولى عبد الله للعييد ، لان ذلك كان باثارته بزعمهم مع اسرافه فى قتل رؤسائهم كما سيأتى ، ومع ذلك فقد أنعم عليهم بالمال والكسب ووعدهم باخلاف جميع ما ضاع لهم ورجعوا الى مشرع الرملة ممتعنين لتلك الفعلة .



ثورة العييد على السلطان المولى عبد الله وفراره الى وادى نول وما نشأ عن ذلك



لما كانت سنة سبع وأربعين ومائة وألف فسد ما بين السلطان المولى عبد الله رحمه الله وبين العييد لاسرافه فى قتلهم حتى كاد يأتى على عظمائهم ، وكان ذلك منه جزاء لهم على قتلهم لاختيه المولى عبد الملك ، حسبما سبق اذ كان ما بينه وبينه صالحا كما مر ، فقتل منهم كل من سعى فى قتله أو شارك فيه أو وافق عليه ، حتى بلغ عدد من قتل منهم أزيد من عشرة آلاف ، فأجمعوا على خلعه وقلعه ودس اليه بعضهم بما عزموا عليه فى شأنه ، ففر ليلا من مكناسة ولم يصبح الا بحلة آيت أدراسن فاجلسوا مقدمه وتباروا فى اكرامه .

ولما عزم على النهوض عنهم ركبوا معه وصحبوه الى تادلا ثم ودعوه ،

وعادوا الى بلادهم ومضى هو الى مراكش ومنها ذهب الى السوس فنزل بوادى نول على أخواله المغفرة ، وكان معه يومئذ ولداه المولى أحمد فى سن البلوغ والمولى محمد السلطان بعده صغيرا وأقام عند المغفرة نحو ثلاث سنين ، واما الى فاس محمد بن على بن يشى فانه لما اتصل به فرار السلطان من مكناسة فر هو ايضا عن فاس ليلا ولم يصبح الا بزرهون فاطمان بها جنبه وكان ما تذكره .



الخبر عن دولة امير المؤمنين ابى الحسن على بن اسمعيل المعروف بالاعرج رحمه الله



لما فر امير المؤمنين المولى عبد الله بن اسمعيل من مكناسة الى وادى نول اجتمع عبيد الديوان واتفقوا على بيعة المولى أبى الحسن على بن اسمعيل المعروف بالاعرج ، وكان يومئذ بسجلماسة ، فكتبوا اليه بذلك وبعثوا بالكتاب مع جريدة من الخيل لتأتى به فأقبل مسرعا ، ولا وصل الى مدينة صفرو لقيه بها أعيان فاس وأشرفها وعلمائها فبايعوه ففرح بهم وأكرمهم ، وعادوا فى صحبته الى فاس الجديد فولى عليهم مسعودا الروسى وذلك فى ربيع الثانى سنة سبع وأربعين ومائة وألف ، وأمره أن لا يقبض منهم الا الزكوات والاعشار الشرعية وما جرت به العادة من الهدايا الخفيفة .

وكان رحمه الله موصوفا بالحلم والعقل متوقفا فى الدماء فستره الله فى آخر أمره وأجمل خلاصه ثم نهض الى مكناسة ولما قدمها بايعه الجيش بها البيعة العامة هكذا فى « البستان » .

ورأيت بخط جدنا للام الفقيه الاستاذ أبى عبد الله محمد بن قاسم ابن زروق الحسنى الادريسى ما نصه : « وفى اليوم الاول من جمادى الاولى من سنة سبع واربعين ومائة والف ثار عيد الرملة على أمير المؤمنين المولى عبد

الله بن اسمعيل ونقضوا بيعته وأعلنوا بنصر أخيه المولى على ولد عائشة بمباركة ، وخرج لهم المولى عبد الله عن دار الملك بمكناسة بعد أن أخذ ما كان بها مما أعجبه من خيل وعدة ومال من غير قتال ولا محاربة ، ودخل أخوه المولى على دار الملك بمكناسة يوم الجمعة فاتح جمادى الثانية من السنة المذكورة وكتبه في الثاني عشر من الشهر المذكور محمد بن زروق كان الله له بمنه . « اه كلامه بحروفه .

ولما استقر السلطان المولى أبو الحسن بمكناسة قدمت عليه الوفود ببيعانهم وهداياهم من جميع البلدان فأجازهم ، وفرق المال على الجيش الى أن نفذ ما عنده واحتاج فقبض على الحرة خثائي بنت بكار أم السلطان المولى عبد الله فاستصفي ما عندها ثم امتحنها لتقر بما عسى أن تكون قد أخفته فلم يحصل على طائل ، وكانت هذه الفعلة معدودة من هناته عفا الله عنه .

قال أبو عبد الله أكنسوس : « وخثائي هذه هي أم السلاطين أعزهم الله وكانت صالحة عابدة عالمة حصلت العلوم في كفاية والدها الشيخ بكار » وقال : « رأيت خطها على هامش نسخة من الاصابة لابن حجر وعرف به بعضهم فقال : هذا خط السيدة خثائي أم السلطان المولى عبد الله بلا شك » اه



ثورة اهل فاس بعاملهم مسعود الروسى وانتقاضهم على السلطان ابى الحسن رحمه الله



ثم أن مسعودا الروسى عامل فاس عدا على الحاج أحمد بودى رئيس للمطيين فقتله ، وأمر بجره الى باب الفتوح اذ كان هو الذى سعى فى قتل أخيه أبى على الروسى عقب وفاة السلطان المولى اسمعيل كما مر ، فمما ارتكب مسعود هذه الفعلة اجتمع اهل فاس وأخذوا أسلحتهم وتقدموا الى القائد مسعود ليقتلوه بصاحبهم ، ففر مسعود ولم يدركوه فعطفوا على السجن فكسروه وقتلوا الحرس والاعوان الذين به وسرحوا المساجين الى

حال سيئهم . ولما اتصل خبرهم بالسلطان المولى أبى الحسن غض الطرف عنهم وبعث اليهم أخاه المولى المهتدى ومعه القائد غانم الحاجى ، وكب اليهم يقول : انى قد عزلت عنكم مسعودا الروسى ووليت عليكم غانما الحاجى فلم يقبلوه ، ورجع من الغد الى مكناسة ثم رجعوا بصائرهم بإشارة أهل المروءة منهم ، وبعثوا جماعة من العلماء والاشراف بهدية كبيرة مع المولى المهتدى الى السلطان تلافيا لما فرط منهم ، ولما دخلوا على السلطان نهض هديتهم وعدد عليهم ذنوبهم ثم أمر بهم الى السجن . ولما انتهى الخبر الى أهل فاس قامت قيامتهم وأغلقوا أبواب المدينة وأعلنوا بالخلاف ثم عطفوا على أصحاب مسعود الروسى وكل من كان له به اتصال فقتلوهم فى كل وجه ، وأنشبو الحرب مع الودايا فى كل ناحية .

وفى رمضان من السنة المذكورة قدم من عند السلطان القائد أبو محمد عبد الله الحمرى من قواد العبيد فاجتمع بأهل فاس واعتذر اليهم عن السلطان وطلب منهم أن يبعثوا معه جماعة منهم الى السلطان لرتق هذا الفتق فاسعفوه ، وبعثوا طائفة من علمائهم وأشرافهم وأصحابهم هدية نفيسة الى السلطان ، وكب عبد الله الحمرى الى السلطان يعتذر اليه عنهم ويشفع لهم عنده ، فدخلوا على السلطان وعاتبهم ثم عفا عنهم ، وسرح لهم اخوانهم الذين كانوا فى السجن وولى عليهم عبد الله الحمرى . ثم لما دخلت سنة ثمان وأربعين ومائة وألف عزله وولى عليهم عبد الله بن الاشقر وسكنت الهيعة واستقام الامر بعض الشيء .



غزو السلطان ابي الحسن اهل جبل فازاز في جيش العبيد

وهزيمتهم اياه



لما كانت أواخر سنة ثمان وأربعين ومائة وألف أخذ السلطان أبو الحسن في الاستعداد وتجهيز العساكر لآيت ومالو وكان ذلك منه اسعانا للعبيد ليأخذوا بثارهم من البربر في الوقعة السابقة أيام السلطان المولى عبد الله ، فخرج اليهم في المحرم فاتح سنة تسع وأربعين ومائة وألف في جيش كثيف من العبيد فلما نذروا بإقباله اليهم ودنوه منهم أظهروا الفرار أمامهم مثل الفعلة الاولى ، فصاروا يتأخرون ويتبع آثارهم فينزل منازلهم الى أن عبروا وادي أم الربيع ودخلوا في الجبال ، فعبس السلطان خلفهم وتقدم العبيد الى الجبال والاوعار فاقحموها عليهم فلمّا توسطوها كرت البربر عليهم وانقضوا عليهم من الثنايا انقضاض العقبان ، وأحاطوا بهم من كل وجه فولوا منهزمين وازدحموا على الثنايا وسلکوا سبيلهم في المرة الاولى من ترك الحيل والسلاح والابنية والاثاث والنجاة بمجرد أعناقهم ، وسلبهم البربر حتى من الثياب ولم يتعرضوا للسلطان في موكبه وخاصته الى أن عبر وادي أم الربيع فرجعوا عنه ، ولما دخل مكناسة طالبه العبيد بالكسوة والسلاح والراتب فلم يكن عنده ما يعطيهم فشغبوا عليه ومرضوا في طاعته .

EAGLE
عقاب
عقاب
عقاب

وقد أجمل صاحب نشر المثاني هذه الاخبار فقال : وفي هذه السنة يعني سنة تسع وأربعين ومائة وألف أهلك الله كل من خرج على السلطان مولاي عبد الله وقويت الفتنة وارتفعت الاسعار وانجست الامطار وقاسى الناس الشدائد من الغلاء وقل الادام وانقطع اللحم وهلكت رقاب كثيرة ولم يزل الامر في شدة وفر الناس كل فرار .

تحرّك السلطان المولى عبد الله من السوس
وفرار السلطان ابي الحسن الى الاحلاف وما كان من امره الى وفاته



لما كان شهر ذى الحجة من سنة تسع وأربعين ومائة وألف ورد
الحبر بان السلطان المولى عبد الله قد أقبل من وادى نول ووصل الى تادلا
فاهتز العبيد له ، وتحديث فرقة منهم برده الى الملك وخالفهم سالم الدكلى
فى جماعة من شيعته ، وقالوا : « لا نخلع طاعة مولانا على » اذ كان سالم
هذا وأصحابه هم الذين تسبوا فى خلع المولى عبد الله وتولية أخيه المولى
على .

ثم ان شيعه المولى عبد الله قويت وكثروا أصحاب سالم وأعلنوا بيعته
ففر سالم فيمن معه من القواد الى زاوية زرهون مستجيرا بها .
ولما سمع بذلك السلطان المولى أبو الحسن فر من مكناسة الى فاس الجديد
فصده الودايا عن الدخول اليها فعدل الى قنطرة وادى سبو فنزل هنالك
يوما أو بعض يوم الى أن قضى بعض اربه ثم أصبح غاديا الى تازا فاحتلها ،
ثم انتقل عنها الى عرب الاحلاف فأناخ بديارهم ففرحوا به وأكرموه
وصاهروه ، وأقام بين أظهرهم عدة سنين معرضا عن الملك وأسبابه الى أن
رجع الى مكناسة فاستوطنها بإشارة أخيه السلطان المولى عبد الله حين وفد
عليه بدار الديبغ من فاس سنة تسع وستين ومائة وألف ، فأعطاه مالا
وجنات ومزارع مما كان بجانب المخزن بمكناسة وبعثه الى داره بها ، فأقسام
يسيرا ثم وثب عليه العبيد فقبضوا عليه وبعثوا به الى أخيه السلطان المولى
عبد الله وقالوا : « ان هذا قد أفسد علينا بلادنا » فأخذه وسرحه الى
تافيلالت فاستقر بها الى ان مات رحمه الله كما سيأتى .

الخبر عن الدولة الثانية لامير المؤمنين المولى عبد الله بن اسمعيل

رحمه الله



لما فر السلطان المولى أبو الحسن من مكناسة الى الاحلاف اجتمعت كلمة العبيد والودايا على بيعة السلطان المولى عبد الله فبايعوه وهو بتادلا ، وتبعهم على ذلك أهل فاس وسائر القبائل ، ثم ان سالما الدكالى الذى بزروهون كتب الى أهل فاس يقول لهم : « ان الديوان قد اتفق على خلع المولى عبد الله وبيعة سيدى محمد بن اسمعيل المعروف بابن عريبة والمشورة لعلماكم » فأجابوه بأن قالوا : « نحن تبع لكم » فلما سمع أهل الديوان بما فعله سالم الدكالى وما تقوله عليهم خرجوا من المحلة الى زروهون وقبضوا على سالم الدكالى ومن معه من القواد وبعثوا بهم الى السلطان المولى عبد الله بتادلا ، فاستفتى فيهم القاضى أبا عنان ، وكان يومئذ معه ، فافتاه بقتلهم فقتلهم . ثم نمت مقالة سالم الدكالى الى المولى محمد بن عريبة وهو بتافيلات فظن أن الامر صحيح ، فأقبل مسرعا الى أن وصل الى مدينة صفرو ، فوجد الناس بعد بايعوا السلطان المولى عبد الله وراجعوا طاعته فسقط فى يده ، ثم دخل فاسا مستخفيا وأقام بدار الشيخ أبى زيد عبد الرحمن الشامى ، وكان صديقه معتقدا له ، وكان أبو زيد يعده بالملك .

ولما أقبل السلطان المولى عبد الله من تادلا خرج للقائه أهل فاس وفيهم الاشراف والعلماء ، وكذلك أهل مكناسة ، فوافوه بقصة أبى فكران ولما مثلوا بين يديه عاتبهم وعدد ما سلف منهم ثم أمر بأعيانهم فقتلوا ، وفعل مثل ذلك بأعيان مكناسة واستباحهم ، وعزل قاضيهما أبا القاسم العميرى ورجع أشراف فاس وعلماءها مذعورين مما نابهم بعد أن ولى السلطان عليهم محمدا بن على بن يشى ، واستمر هو مقيما بقصة أبى فكران ولم يتقدم الى فاس لعدم ثقته بهم .

الخبر عن دولة امير المومنين المولى محمد بن اسمعيل المعروف بابن عريبة والسبب فيها



لما فعل المولى عبد الله بأعيان فاس ومكناسة ما فعل من القتل والاستباحة وأقام منكمشا بقصة أبي فكران نبغت رؤوس الفتنة من الودايا بفاس الجديد وأخذوا في نهب الطرقات ثم أغاروا في يوم خميس على سرح فاس وأجلب سوقها فاستاقوها حتى لم يتركوا لهم بقرة ولا شاة ولا بهيمة غيرهما .

ولما رأى أهل فاس ما نزل بهم اجتمعوا وتحالفوا على خلع السلطان المولى عبد الله وبيعة أخيه المولى محمد بن عريبة فمشوا اليه وهو بدار الشيخ أبي زيد الشامي فأخرجوه وأخذوا عليه العهود ثم بايعوه في عاشر جمادى الاولى سنة خمسين ومائة والف ، وهياؤا له كل ما يحتاج اليه من خيل وسلاح وآلة حرب وتباروا في طاعته وخدمته ، وكتب بيعته في خامس عشر الشهر المذكور ، وكتب عليها الفقهاء خطوطهم وامتنع بعضهم من ذلك ، وقالوا : « بيعة السلطان المولى عبد الله في أعناقنا فلا نخلعها » فعزلوا عن الخطط وامتنحوا ، ثم كتب أهل فاس الى عبيد الديوان يعرفونهم ما صنعوا ويطلبون منهم موافقتهم فاجابوهم الى ذلك وبايعوا السلطان المولى محمد بن عريبة وتم أمره .

ولما رأى السلطان المولى عبد الله أن أمر أخيه قد تم فر الى جبال البربر وأقام هناك ثم فتحت أبواب فاس وانتقل السلطان المولى محمد الى فاس الجديد ، ومن الغد نهض الى مكناسة فاحتل بها وبايعه العبيد البيعة العامة وقدمت عليه الوفود من سائر الاقطار بهداياهم فاجازهم وفرق ما كان عنده من المال على العبيد وكان ما ذكره .

بدء اختلال امر السلطان المولى محمد بن عريبة وما تسبب عن ذلك



لما فرق السلطان المولى محمد بن عريبة على العبيد ما عنده من المال لم يقنعهم ذلك ، واستزادوه فأطلق عفا الله عنه أيدي النهب في أموال المسلمين ، وأخذ هو في استخراج الحبوب والاقوات من دور أهل مكناسة غصبا ، وبحث عنها في الاهراء والمطامير وكل من ذكر له أن عنده قمحا أو شعيرا قبض عليه ، وصادته الى أن يظهر ما عنده ، وكل من جلب من أهل البادية جبا أخذ منه كرها فكثرت الهرج وعمت الفتنة وفر الناس من مدينتهم وعم النهب خارجها وانقطعت السبل ووقع الناس في حيص بيص والامر لله وحده .



اغارة السلطان المولى عبد الله على الاصطبل من مكناسة

وما نشأ عن ذلك



ثم ان السلطان المولى عبد الله الذى كان مقيما عند البربر قدم ذات ليلة في جماعة من أصحابه حتى دخل الاصطبل وقتل من وجد به من العبيد وحرقت أخصاصهم ورجع عوده على بدئه ، ولما نذر به السلطان المولى محمد ابن عريبة نادى في الناس بالنفير وركب في خيله ورجله وقصد السلطان المولى عبد الله وهو بالموضع المعروف بالحاجب ، ولما رأى العساكر مقبلة اليه والحيل تتعادي خلفه فر بنفسه وترك ابنته بما فيها فانتهبها العبيد وتبعوه الى أن بلغوا وادي ملوية فتوغل في الجبال ولم يقفوا له على أثر ، ولما قفلوا راجعين اعترضهم البربر وتسايلوا عليهم من المخارم والشعاب ، فصدقوهم القتال وهزموهم واستلبوا ما معهم من الاثقال ورجعوا بخفي حنين .

قال في « البستان » : « ولما انتهوا الى أحواز صفرو بعث المولى محمد ابن عريبة جماعة من جيشه الى من هنالك من المستضعفين من أهل المزاوغ

وغيرها من القرى وأمر بقطع رؤوسهم وبعثها الى فاس موهما أنها رؤوس
البربر « اه والله أعلم .



بقية اخبار السلطان المولى محمد بن عريبة وما تخللها من الهرج والشدة



لما قفل السلطان المولى محمد بن عريبة من خرجته في اثر أخيه المولى عبد
الله وكان حيث ذكرنا بعث أخاه المولى الوليد بن اسمعيل الى فاس ، وأمره
بضرب البعث عليهم توصلا الى ما في أيديهم من المال بحيث أن من أعطى
المال منهم يقيم بداره ، ومن أبى يخرج في البعث ، فتحير الناس وقدم
المولى الوليد حضرة فاس وقبض على الحاج أبى جيدة برادة ، وكان مثرىا .
فقتله وأخذ أمواله وباع أصوله ، وقبض على الحاج عبد الخالق عديل
فأخذ أمواله ، ثم تسلط على أهل الزوايا وكل من ذكر له أنه من أهل
اليسار الى ان استوفى غرضه ، ثم سار الى مكاسة ففعل باهلها مثل ذلك حتى
لم يسلم منهم الا القليل ، هذا والناس في محنة عظيمة من المجاعة والفتنة
ونهب الدور بالليل بحيث كان أهل اليسار لا ينامون ، وصار جل الناس
لصوصا ، والودايا يعيشون في الجناح خارج المدينة ويغيرون على القصارين
بوادى فاس ، وبعد أن صار الناس يقصرون كثرتهم بمصودة انتهوه منهم
بها ، بل تناولوا القفل من الفنادق والسلطان معرض عن جميع ذلك لا
يلتفت اليه ، ولقد هلك في هذه المدة من الجوع جم غفير أخبر صاحب
المارستان أنه كفن في رجب وشعبان ورمضان ثمانين ألفا وزيادة سوى
الذين كفنهم أهلهم وعشيرتهم . وبالجملة فقد كانت أيام المولى محمد بن
عريبة هذا أيام نحس ووبال على المسلمين ، وكذا أيام أخيه المولى المستضىء
الذى اليه يساق الحديث ، وكل ذلك والله تعالى أعلم من استيلاء العبيد على
الدولة وشؤم افتياتهم عليها وتحكمهم في أعياصها طوع أهوائهم وحسب

أغراضهم ، اذ معلوم انه لا ينشأ عن كثرة الخلع والتولية الا هذا وشبهه ،
نسأل الله تعالى اللطف والحفظ في الاهل والدين والمال في الحال والمآل .

وقد تكلم صاحب « نشر المثنى » على هذه السنة أغنى سنة خمسين
ومائة وألف فقال : « وفي هذه السنة هزم جيش الثائرين على مولاي عبد
الله يعنى العبيد هزيمة عظيمة بعد أن صدر منهم فساد كبير وذلك على يد
البربر ، وارتفعت الاسعار جدا وجعل اللصوص يهجمون على الناس في
دورهم ليلا ويقتلونهم وهم يستغيثون فلا يغاثون ، وبلغ الخوف الى أبواب
الدور المتطرفة بفاس نهارا فلا يستطيع أحد أن يخرج عن باب مصودة
في العدو ولا عن باب القصة القديمة في الطالعة ولا عن حومة الحفارين
باب عجيسة ، وكثر الهدم في الدور لاخذ خشبها وكثر الحراب وخارت
الحارات فتجد الدرب مشتملا على عشرين دارا وأكثر وكلها خالية . وفي
هذه المدة قتل الفقيه العلامة أبو البقاء يعيش الشاوي بداره بالدوح وقتله
كان سبب خلاه الدوح واقضح أهل المروءة من الناس ومن يظن به الدين ،
وكل من قدر على الفرار فر من فاس ، وقل من سلم منهم بعد خروجه عن
البلد ، وخرج جماعة وافرة من أهل فاس الى تطاوين وما والاها لجلب
الميرة اذ كان الله تعالى قد سخر العدو الكافر بحمل الطعام الى بلاد
المسلمين ، فاشترى أهل فاس منه شيئا كثيرا لكن امتنع الجمالون من حمله
لهم وماطلوهم ، فشكوه لوالى تلك البلاد ورئيسها حينئذ أحمد بن علي
الريفي فأظهر لهم النصح وأبطن الغش لانحرافه عن السلطان ومن يتعلق
به . فنبط الجمالين وهم قبيلة بداوة فازدادوا امتناعا وتعاصيا حتى بقي أهل
فاس معطلين بميرتهم نحو ستة أشهر . فهلك بسبب ذلك خلائق لا يحصون
جوعا . وكلهم في عهدة أحمد بن علي الريفي وما أغنى مال ولا متاع في
طلب القوت ، ولولا أن الله سخر العدو الكافر بجلب الميرة للمغرب لهلك
أهله جميعا فيما أظن ، وذلك كله من شؤم الفتن والخروج على الملوك .

وأما الاصول والسلع فلم يكن شيء منها يبلغ عشر ثمنه المعتاد ، ولم
يقيض الله لهذا المغرب راحة حتى من برجعوا السلطان مولاي عبد الله ،

هذا كلام صاحب « نشر المثنى » وهو الفقيه المؤرخ سيدى محمد بن الطيب ابن عبد السلام القادرى . وقد حكى هذه الاخبار عن معاينة لانه كان يومئذ حاضرها وشاهدها .

ثم دخلت سنة احدى وخمسين ومائة وألف ، والناس فى شدة ، وفى الارباع والعشرين من صفر منها ثار العيد على السلطان المولى محمد بن عربية فقبضوا عليه ، وءلى قائده على فاس الشريف أبى محمد عبد المجيد المشامرى ووضعوا فى رجلى كل واحد منهما قيذا ، وأخرجوا ابن عربية اوعىاله من دار الملك الى داره التى على وادى ويسلن بجنان حمريّة ، ووكلوا به جماعة من العيد يحرسونه ، وكتبوا الى أخيه المولى المستضى ، ابن اسمعيل بتافيلالت يستدعونه للقدوم عليهم ليملكوه .



الخبر عن دولة امير المومنين المولى المستضى بن اسمعيل رحمه الله



لما قبض العيد على السلطان المولى محمد بن عربية أعلنوا بيعة أخيه المولى المستضى بن اسمعيل ، وكتبوا بذلك الى الافاق ، فساعدهم الناس عليها وبعثوا جريدة من الخيل على عادتهم لتأتى به ، فأقبل مسرعا ، ولما انتهى الى مدينة صفرو لقيه أهل فاس بها فى أشرافهم وعلمائهم وأدوا بيعتهم ورجعوا معه الى فاس الجديد . فأراح به ، وولى عليهم القائد أبى العباس أحمد الكعيدى فاستتاب الكعيدى عليهم من قبله شعشوع اليازغى والحال ما حال والظلم ما زال ، ثم ارتحل السلطان المولى المستضى الى مكاسه فأحتل بها وبابعه العيد البيعة العامة ، وقدمت عليه وفود القبائل والامصار بهداياهم فقابلهم بما يجب واستتب أمره .



ذكر ما صدر من السلطان المولى المستضىء من العسف والاضطراب



لما استقر السلطان المولى المستضىء بمكناسة كان أول ما بدأ به أن بعث بأخيه المولى محمد بن عريبة مقيدا الى فاس ، ومنها الى سجلماسة فسجن بها ، وبعث بقائده السيد عبد المجيد المشامري والشيخ أبى زيد عبد الرحمن الشامى يسجنان بفاس الجديد ، ونهبت دار المشامري وصور الى أن مات تحت العذاب ومثل به ، ثم بعث السلطان كتابه الى أهل فاس ولكن رسم أن يقرأ بفاس الجديد ويحضر أعيان أهل فاس لاستماعه فارتابوا وتغيّبوا ولم يحضر منهم الا نحو العشرين فقبض عليهم وسجنوا هنالك ، ثم وظف عليهم مال ثقیل لم يقوموا به .

وافترقت الدواة فى أيام هذا السلطان واحتاج الى المال ليقطع عنه لسان العبيد ، فأخذ فى البحث عما فى المخازن الاسماعيلية التى لم يذنت اليها الملوك قبله ، فوقع على خزين من الحديد فاستخرجه وباعه ، ووقع على الخزين الكبير ، وفيه آلاف من قناطير الكبريت ، فباعها أيضا ، ووجد شيئا كثيرا من ملح البارود والشب والبقام وغير ذلك مما كان يجلب الى الحضرة من غنائم أجناس الفرنج فباع ذلك كله ، ثم اقتلع شراجب القبّة الشطرنجية ، وكانت من نحاس مذهب ، واقتلع الدرايز التى عن يمينها وشمالها من الحديد المنتخب من باب الرخام الى قصر المولى يوسف ودفعها لاهل الذمة . وألزمهم أداء ثمنها فأجحف بهم ، ثم أنزل المدافع النحاسية التى كانت بأبراج الحضرة فكسرها وضربها فلوسا فما أغنى ذلك شيئا ، وقتل فى هذه المدة نيفا وثمانين رجلا من عرب بنى حسن ، وسلط العذاب على مساجين أهل فاس ليغرموا المال فغرموا ما قدروا عليه ، ثم أمر بالقبض على تجار أهل فاس ليشتروا أصول مساجينهم فعذبوا الى أن أدوا بعض المال ، وعجزوا ، وأفنى العلماء أن هذا البيع الواقع فى هذه الاصول صحيح تقديمًا لخلاص الانفس على الاموال .

ثم قبض هذا السلطان على شريف من الاشراف العراقيين من أمس حومة كرنيز اتهمه بان الحرة خثائي بنت بكار استودعته مالا فضرب وامتنحن ثم ولي على فاس المولى أبا حفص عمر المدني وكان رفيقه وجليسه ، فاستتاب المولى ابو حفص على فاس رجلا يقال له ابن زيان الاعور ، وتقدم اليه في مصادرة اشراف فاس واستشفاء أموالهم ، فامثل ابن زيان امره وما قصر ، وكان الحامل لابي حفص على هذا ان داره بفاس كانت قد نهبت أيام المولى محمد بن عربة ولم ينكر ذلك احد من أهل فاس ، فحقدها أبو حفص عليهم الى ان ادالته الايام منهم في هذه المرة ، ففعل ابن زيان ما فعل ، فأمر السلطان المولى المستضيء بالقبض على ابن زيان وأن يطاف به على حمائر والسياط في ظهره وهو يقول : «هذا جزاء من يؤذى الاشراف» فطيف به ثم ازيل رأسه وعلق على باب المحروق ، هذا والاشراف لا زالوا في العذاب ، ثم أمر بمساجين أهل فاس فحملوا اليه في السلاسل والاغلال ثم قتلوا باب القصة عن آخرهم ، وأمر باخراج ولد مامي من الحرم الادريسي فلما وصل اليه قتله ، وأسرف المولى المستضيء في القتل والعسف وأراد أن يتسبه بأخيه المولى عبد الله الذي جرد السيف وبسط الكف فغطى سخاؤه عيبه ، وهيهات ، فقد كان المولى المستضيء مسيكا مهزوم الراية ، على ما قيل ، تعمدنا الله واياه والمسلمين بالرحمة والعفو والغفران ، ثم قتل القائد غانما الحاجي ، ووالى مكناسة القائد سعدون ، وستة من أولاد الزياتي أصحاب السجن .

ثم ان السلطان المولى عبد الله اغرى البربر الذين كان مقيما فيهم بشن الغارات على الودايا والعيث في طرقاتهم ففعلوا ، وانقطعت السبل وتعذر المعاش ، وكان المولى زين العابدين بن اسمعيل محبوسا عند أخيه السلطان المولى المستضيء فأمر باخراجه واحضاره بين يديه فاحصر وضرب ضرب التلف ، وبعث به مقيدا الى تافلات ليسجن مع بعض اشرافها ، فبعث العبيد جماعة منهم فانترعوه من يد حامله وبعثوا به الى القائد أبي العباس أحمد الكعدي بنى يازغة ، وتقدموا اليه في الاحتفاظ به والاعتناء بشأنه .

ايقاع الباشا ابى العباس احمد بن على الريفى بأهل تطاوين



قد قدمنا ما كان من اغارة الباشا أبى العباس أحمد بن على الريفى صاحب طنجة على أهل تطاوين ، وهزيمة أبى حفص الوقاش له وفككه باصحابه فاستحكمت العداوة بين الريفى والوقاش من يومئذ ، وبقي الريفى يتربص به الدوائر ويترصد له الغوائل الى أن بويع السلطان المولى المستضىء فى هذه المدة ، فلم يقدم عليه أحد من أهل تطاوين ولا دخلوا فى بيعته فوجد أبو العباس الريفى السيل بذلك اليهم وأغرى بهم السلطان المذكور ودس اليه أنهم شقوا العصا وخالفوا الامر ، مع ما كان قد نقل عن الفقيه أبى حفص فى تلك القصيدة من التصريح بطلب الملك ، فنجع ذلك فى المولى المستضىء ، وكتب اليه يأمره بالايقاع بأهل تطاوين ، فاغتتمها أبو العباس الريفى واقتحم تطاوين فى جموعه على حين غفلة من اهلها وانتهبها ، وقتل من أعيانها نحو الثمانمائة ووظف على من بقى منهم مالا ثقيلا وهدم أسوارها ونظمها فى سلك ما كان مستوليا عليه وبنى بها دار الامارة الموجودة الآن .



شغب العبيد على السلطان المولى المستضىء وفراره الى مراکش



لما كان منتصف ذى القعدة من سنة اثنتين وخمسين ومائة والف شغب العبيد بمكناسة على السلطان المولى المستضىء وتآمروا فى عزله ومراجعة طاعة أخيه المولى عبد الله ، ولما أحس المولى المستضىء بما أجمعوا عليه خرج من مكناسة فى شيعته وانصاره قاصدا ضريح الشيخ أبى محمد عبد السلام بن ميثش رضى الله عنه ، فتبعه المولى عبد الله فى جمع من العبيد فأدركوه ببعض الطريق فكر عليهم وقتلهم حتى رجعوا عنه ، ومضى لوجهه الى أن

وصل الى طنجة فأقام بها نحو الشهرين عند أحمد بن علي الريفي ، ومنه توجه الى مراكش فانهم كانوا قد بايعوه ، وكان أخوه المولى الناصر نائباً عنه بها ، ولما استقر بمراكش كاتب قبائل الحوز يستصرخهم على أخيه المولى عبد الله ويستنفرهم للخروج معه اليه ، فتقاعدوا عنه لان عبدة والرحامنة وأهل السوس كانوا شيعة للمولى عبد الله ، ولم يبق في حزب المولى المستنضي الا أهل دكالة أخواله وبنو حسن عرب الغرب ، ولما رأى المولى المستنضي تقاعد قبائل الحوز عنه أقام بمراكش يزجي الايام الى سنة خمس وخمسين ومائة والـف ، والباشا أبو العباس للريفي صاحب طنجة يفتن للعبيد في الذروة والغارب الى ان بايعوه ثانية بعد أخيه المولى زين العابدين ، وبعد خلع السلطان المولى عبد الله حسبما نذكره بعد ان شاء الله .



مراجعة العبيد طاعة السلطان المولى عبد الله ودخولهم في دعوته



قد قدما ان السلطان المولى عبد الله كان مقيماً في هذه المدة عند البربر وانه تبع المولى المستنضي عند خروجه من مكناسة ثم رجع عنه ولما بلغه خبر مسيره الى مراكش سار في اعتراضه الى ان بلغ قصبة وادي آلم فلم يقف له على خبر فأقام يتجسس أخباره الى ان اتفق العبيد على بيعته وهو بالآلم ، فبايعوه أوائل سنة ثلاث وخمسين ومائة والـف ، وكتبوا بيعتهم وبعثوا بها اليه مع بعض خاصتهم ، وكتبوا مع ذلك الى أهل فاس والودايا في الموافقة ، فوافقوهم وبايعوا السلطان المولى عبد الله وخطبوا به على منابرهم وزينت فاس ، ولما انتهى الحال الى هذا الحد فر الوزير أبو الحسن علي العميري من مكناسة اذ كان وزير المولى المستنضي ، واحترم أخوه القاضي أبو القاسم العميري بضريح بعض صلحاء مكناسة ، وبعث أهل فاس جماعة من أشرفهم وعلماهم ببيعتهم الى السلطان المولى عبد الله ومعهم جماعة من التجار وحجاج الركب الحجازي

44 1153
A.D. 1740

بهديايم ، هذا كله ، والسلطان لا زال مقيما بقصبة آلزم ، وتولى العبيد
بمكناسة النقض والابرار لتأخر مجيء السلطان ، وظهر منهم الادلال
والاستبداد على الدولة ، وبعثوا من قبلهم لقائد أبا محمد عبد الله الحمري
واليا على فاس وقالوا : عن أمر الديوان ، وكثر القطاع بالطرقات واللصوص
بالمدينة وعادت هيف الى أديانها .



مجيء السلطان المولى عبد الله الىمكناسة وما ارتكبه من اهلها



وفي خامس عشر رجب سنة ثلاث وخمسين ومائة والـ تحرك
السلطان المولى عبد الله من آلزم وقدممكناسة فقبض على قاضيها الفقيه أبي
القاسم العميري ، والسيد أبي العباس احمد الشدادى ، والعباس بن رحال ،
والفقيه الملتى وأزال عائمهم وفضحهم وقال لهم : « كيف تزوجون حرمى
من أخى وأنا حى » ونكل بهم النكال الشديد ، ثم أمر بسحبهم الى السجن ،
وأعطى دار القاضى العميرى أحد العبيد ، وقال لهم : من أراد منكم دارا
بمكناسة فليأخذها » فامتدت أيدي العبيد فى الناس حتى صاروا يقفون
بالابواب ويقول العبد لصاحب الدار : « ان سيدى قد اعطانى دارك أو أعطانى
ابنتك » فيفتدى منه بالمال ، ولحقهم من العبيد فوق ما يوصف ، ومن شكى
منهم عوقب وسجن ، والسلطان مقيم بباب الريح لم يدخل القصبة التى
كان بها المولى المستضى .

وولى فى هذه المدة على فاس شيخ الركب الحاج عبد الخالق عديل ،
وولى على قضائها الفقيه أبا يعقوب يوسف بن أبى عنان ، وتقدم اليه فى أن
يعزل القضاة والخطباء الذين خطبوا بالمولى المستضى فى سائر البلدان .

واما الودايا فانه لم يقدم على المولى عبد الله منهم أحد ولا بايعوه وكذا
الباشا أحمد بن على الريفى واهل الريف والفحص وقبائل الجبل فاغتم
المولى عبد الله لذلك ، ثم شفعت الحرة خثاى أم السلطان فى قومها الودايا
وبعثت اليه جماعة منهم قبلهم وعفا عنهم .

ايقاع ابى العباس احمد بن على الريفى بقباثل الغرب وما تخلل ذلك



وعلى اثر ما تقدم بلغ السلطان المولى عبد الله ابن القائد أبا العباس أحمد بن على الريفى قد أغار على اعمال القصر الكبير ، واتهب أموالا كثيرة لاهل الغرب وشيعتهم ممن ليس على رأيه فى الخروج عن طاعة السلطان ، فبعث المولى عبد الله جيشا كثيفا من عبيد مشرع الرملة ينزلون بالقصر الكبير لحراسته وحراسة أعماله ، فلما سمع بذلك الريفى فرق العطاء على جيشه وتهيأ للنهوض الى العيد ، فوردت عليه شرذمة من الودايا واخرى من عبيد مكناسة واخبروه بان ذلك الجيش قد رجع ، لان ذلك الوقت لم تجتمع فيه كلمة لاحد لا من الرعية ولا من الجيش .

وكان السلطان المولى عبد الله قد وجه عامله القائد أبا العباس أحمد الكعبدى عاملا على عرب الحياينة واهل جبل الزيب لجباية الزكوات والاعشار ، فلما توسط بلاد الحياينة عدوا عليه فقتلوه ، ولما اتصل خبره بالسلطان المولى عبد الله اغتم لذلك غما شديدا لانه كان عماد دولته فانحل نظامها بموته ، وفسدت الطرق وكرر النهب فى كل موضع .

ثم ان السلطان أمر المسخرين الذين معه بنهب زروع أهل مكناسة فوقع من ذلك شر عظيم ، وذلك أوائل سنة أربع وخمسين ومائة والى ، ثم وظف عليهم وظائف كثيرة من دفع المؤنة له ولأصحابه واعطاء العملة للبناء بباب الريح وغير ذلك فتشفعوا اليه مرارا فلم يقبل . والله تعالى أعلم .



شغب العبيد على السلطان المولى عبد الله وفراراً ثانية الى البربر

لما كان شهر ربيع الاول من سنة أربع وخمسين ومائة والـف شغب العبيد على السلطان المولى عبد الله وهموا بخلعهم والايقاع به ، فذرت بذلك امه الحرة خثائي بنت بكار ، ففرت من مكناسة الى فاس الجديد ، ومن الغد تبعها ابنها السلطان المولى عبد الله ونزل برأس الماء ، فخرج اليه الودايـب وأهل فاس واجلوا مقدمه واعتزوا له ، فاستعطفهم السلطان وقال لهم : «أنتم جيشى وعدتى ويمينى وشمالى واريد منكم ان تكونوا معى على كلمة واحدة» وعاهدهم وعاهدوه ورجعوا ، وفى أثناء ذلك بلغه أن احمد بن على الريفى قد كاتب عبيد مشرع الرملة وكاتبوه واتفق معهم على خلع السلطان المولى عبد الله وبيعة اخيه المولى زين العابدين ، وكان يومئذ عنده بطنجة وانهم وإفقوه ، فوجم لها السلطان المولى عبد الله ، ثم استعجل أمر المولى ازين العابدين ففر المولى عبد الله الى بلاد البربر كما سيأتى ان شاء الله .



الخبر عن دولة امير المومنين المولى زين العابدين بن اسمعيل رحمه الله

كان ابتداء أمر السلطان المولى زين العابدين انه قدم مكناسة فى أيام أخيه المولى المستضىء ، فلما سمع به أمر بسجنه قبل أن يجتمع به فسجن مدة ثم أمر يوما باخراجه وضربه فضرب ، وهو فى قيده ، ضربا وجيعا أشرف منه على الموت كما مر ، ومع ذلك فلم ينطق بكلمة ، ثم رده الى السجن ، ثم أمر ببعثه مقيدا الى سجلماسة كى يسجن بها مع بعض الاشراف المسجونين هنالك ، فلما سمع بذلك قواد رؤوسهم من العبيد بعثوا من رده من صفرو الى فاس ومن هنالك بعثوا به الى القائد أبى العباس أحمد الكعبدى بنى يازغة وأمروه أن يحتفظ به مكرماً مجلاً .

ثم لما فر المولى المستضى عن مكناسة وراجع العبيد طاعة السلطان المولى عبد الله دخل المولى زين العابدين مدينة فاس فاطمأن بها ، وسر بولاية المولى عبد الله وخلع المولى المستضى ، ثم ذهب الى مكناسة واقام بها مدة ، ثم سار الى طنجة فقدم على صاحبها الباشا أحمد بن علي الريفى فاكرم وفادته وأحسن مشواه ، واستمر مقيما عنده الى ان كاتب عبيد الديوان فى شأنه ووافقوه فى بيعته ، فبايعه الباشا احمد وبايعه أهل طنجة وتطاوين والفحص والجبال وخطبوا به على منابرهم ، ثم هيا له الباشا احمد كنية من الخيل من عبيد الديوان وغيرهم ، وبعثهم معه الى مكناسة فدخلها فى ربيع سنة اربع وخمسين ومائة والف وبويع بها البيعة العامة وقدمت عليه وفود القبائل والامصار فقابلهم بما يجب ، وتم أمره .

وفر السلطان المولى عبد الله من رأس الماء ودخل بلاد البربر ، ولم يقدم على المولى زين العابدين أحد من الودايا ولا من أهل فاس . وكان فيه أناة وحلم لم يظهر منه عسف ولا امتدت يده الى مال احد الا أنه لقلّة ذات يده نقص العبيد من راتبهم فكان ذلك سبب انحرافهم عنه كما سيأتى .



بقية اخبار المولى زين العابدين وانقراض امره



لما استقر السلطان المولى زين العابدين بحضرة مكناسة وتم أمره أقام بها نحو الشهرين ، ثم نهيا لغزو الودايا واهل فاس الذين تخلفوا عن بيعته ، فنهض اليهم فى جيش العبيد منتصف جمادى الاولى سنة أربع وخمسين ومائة والف . ولما بات جيشهم بسيدي عميرة بقصد حصار فاس اختلفت كلمة العبيد ، ومن الند قوضوا ابنتهم وارتحلوا الى مكناسة وكفى لأله الودايا واهل فاس شرهم . الا انهم حرقوا ببادر الزرع التى كانت للودايا بالخميس ، ولما وصلوا الى مكناسة نهبوا ثمار جناتها وأفسدوا ما قدروا عليه منها ، وانصرف جمهورهم الى مشرع الرملة ، والذين دخلوا مكناسة

مع السلطان طالبوه فى الراتب وشددوا فى اقتضائه ، فلم يكن عنده ما يرضيهم به فشغبوا عليه ومرضوا فى طاعته .

هذا ، والسلطان المولى عبد الله مقيم بجبال البربر مطلق على الحضرة ومتحفز للوثبة ، فلما علم بما المولى زين العابدين فيه من الاضطراب نزل من الجبل وتقدم حتى دخل فاسا الجديد وذلك فى سادس عشر جمادى الآخرة من السنة ، فلقى الودايا واهل فاس واهتزوا لمقدمه وطاروا به سرورا ، ثم خرج من يومه الى دار الديبغ فاحتل بها .

ولما اتصل خبره بأخيه المولى زين العابدين ضاق ذرعه وخشعت نفسه ، واصبح غاديا من مكناسة الى حيث يأمن على نفسه معرضا عن الملك وأسبابه ، فكان ذلك آخر العهد به الى ان توفى رحمه الله .



الحبر عن الدولة الثانية لامير المومنين المولى عبد الله رحمه الله



لما فر السلطان المولى زين العابدين عن مكناسة اجتمع العبيد واتفقوا على ان يراجعوا طاعة السلطان المولى عبد الله ، فبعثوا طائفة من قوادهم ووجهوها اليه فقدموا عليه منتصف رمضان من السنة المذكورة ، وهو بدار الديبغ ، فحيوه ، وأخبروه بان اخوانهم قد خلعوا المولى زين العابدين وبايعوه ، فسر المولى عبد الله بقدمهم وخرج الودايا الى العبيد فاحتلطوا بهم وسروا بمقدمهم ، واجروا الخيل فى ميدان المسابقة واللعب بالبارود ، وزينت مدينة فاس ، وجددت البيعة العامة من الودايا وأهل فاس وقبائل العرب والبربر . واستمر الحال على ذلك الى آخر ذى القعدة من السنة فكان ما نذكره .

مجيء المولى المستضىء من مراکش ومحاربتة لاختيه المولى عبد الله

وما يتبع ذلك

لما اجتمعت كلمة العبيد والودايا وسائر أهل بلاد الغرب على طاعة السلطان المولى عبد الله أقام رحمه الله بدار الديبغ ، واستمر الحال على ذلك الى آخر ذى القعدة من سنة اربع وخمسين ومائة والـف ، فارتاب العبيد بمقامه هنالك ورفضه المقام بين أظهرهم بمكناسة التى هى دار الملك يومئذ ، فقبلوا له ظهر المجن ، على عادتهم ، واستدعوا المولى المستضىء من مراکش ليأيعوه .

واتصل خبرهم بالمولى عبد الله وأنهم قد بعثوا الحيل الى المولى المستضىء لتأتى به ، فأخذ السلطان من ذلك المقعد المقيم ، وشمر عن ساعد الجد وأخذ فى تأليف قبائل العرب والبربر ، ووصل يد بعضهم ببعض ، ثم ألف بينهم وبين الودايا وأهل فاس وأخى بين الجميع فأعطوه صفقة أيمانهم بأنهم يموتون دونه فتم له منهم ما أراد ، وفى أثناء ذلك قدم الخارج أحمد السوسى من مراکش ودخل فاسا فتحدث عنه بأنه قد دس الى أهل فاس فى مراجعة طاعة المولى المستضىء والتمسك بدعوته ، ونمى ذلك الى السلطان المولى عبد الله فامر بقتله فقتل .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة وألف ففى المحرم منها زحف المولى المستضىء من مراکش الى بلاد الغرب ودخل مكناسة فى جيش العبيد وبنى حسن وغيرهم ، وقدم فى ركابه الوزير أبو الحسن العميرى ، وأخوه القاضى أبو القاسم ، وفى آخر المحرم المذكور ورد كتاب من عند القائد أبى العباس أحمد الريفى الى أهل فاس يدعوهم الى بيعة مخدومه المولى المستضىء والدخول فى طاعته ، فصموا عن ذلك ونهذوه .

وفى ربيع الاول من السنة المذكورة زحف المولى المستضىء فى جيش

العبيد الى فاس وعسكر بظهر الزاوية خارجها ففر السلطان المولى عبد الله من دار الدبيغ الى آيت دراسن ، ومن الغد هاجت الحرب بين العبيد وبين الودايا وأهل فاس والحباينة وشراقة وأولاد جامع . وهلك فيها من الفريقين عدد كثير . وفى رابع ربيع الثانى قدم السلطان المولى عبد الله يجر أمم البربر خلفه من زموور وبنى حكم وجروان وآيت ادراسن وآيت ومالو فى عدد لا يحصيهـم الا خالقهم ، وفى شارة من اللباس وشكة من السلاح تسر الصديق وتسوء العدو .

ولما عاين المولى المستضى وعبيده تلك الجموع وعلموا أنهم لا طاقة لهم بحربهم اتخذوا الليل جملا وأسروا الى مأنهم ونجوا بأنفسهم وأصبحت الديار منهم بلاقع ، فسر الناس بذلك وشكروا الله على انتفاض تلك الجموع بلا قتال .

وفى سادس جمادى الاولى من السنة توفيت أم السلطان الحرة خاتني بنت بكار المغفيرة رحمها الله ، وكانت فقيهة أدبية ، ودفنت بقبور الاشراف من فاس الجديد .

وفى جمادى الثانية منها حدثت فتنه بفاس بين الحاج عبد الخالق عديل والشريف المولى أبى عبد الله محمد الغالى الادريسي فشكاه عديل الى السلطان فامر بالقبض عليه فعاذ الشريف بضريح جده رضى الله عنه ، فألزم السلطان أهل فاس اخراجه ، فضيقوا عليه الى أن طلب الامان فأمنوه وساقوه الى السلطان فوبخه ثم ضربه وسجنه ثم أمر أهل فاس بقتل أصحابه فقتلوه .



هدية السلطان المولى عبد الله رحمه الله الى الحرم النبوى على مشرفه افضل الصلاة والسلام

وفى هذه السنة أغنى سنة خمس وخمسين ومائة وألف سافر
الركب المغربى الى الحرمين الشريفين فبعث معه أمير المؤمنين المولى عبد الله
رحمه الله هدية نفيسة فيها ثلاثة وعشرون مصحفاً بين كبير وصغير محتلة
بالذهب مرصعة بالدر والياقوت ، ومن جملتها المصحف الكبير العقبانى الذى
كان الملوك يتوارثونه بعد المصحف العثمانى الذى كان عند بنى أمية
بالاندلس ، وانتقل الى هذه العدو المغربية على يد عبد المؤمن بن على حسبما مر
الكلام عليه مستوفى ، وأما هذا المصحف العقبانى فهو مصحف عقبه ابن
نافع الفهرى الصحابى المشهور فاتح المغرب ، كان نسخه بالقيروان من
المصحف العثمانى على ما قيل ، وبقي متداولاً بين أهل المغرب الى أن وقع
يد الاشراف السعديين ، وأخذ فيه المنصور منهم العهد لولده الشيخ على
اخوته كما مر .

ولما وصل الى هذا السلطان رحمه الله غربه من المغرب الى الحرم
الشريف فعاد به الدر الى وطنه والابريز الى معدنه ، قال الشيخ أبو عبد الله
المسناوى رحمه الله : « قد وقفت على هذا المصحف حين أمر السلطان
المولى عبد الله رحمه الله باخراجه وبعثه الى الحجرة الشريفة فظهر لى أن
تاريخ كتبه بالقيروان فيه نظر بعد ما بينهما » اه وبعث السلطان رحمه
الله معه ألفين وسبعمائة حصة من الياقوت المختلف الالوان للحجرة النبوية
على الحال بها أفضل الصلاة وأزكى التحية وتقبل الله من السلطان عمله
وأجزل ثوابه آمين .

مشايعة الباشا ابى العباس الريفى للمولى المستضى، على المولى عبد الله
وزحفه الى فاس وما يتصل بذلك



لما دخلت سنة ست وخمسين ومائة وألف أقبل الباشا أبو العباس
أحمد بن على الريفى فى جموع الفحص والجبل والريف قاصدا فاسا وأعمالها
حتى نزل بالعسال من مزارع فاس ، وذلك فى الثانى والعشرين من
المحرم منها ، وراود أهل فاس على الانحراف عن طاعة مولاي عبد الله
فأبوا .

وأقبل المولى المستضى فى جموع العبيد ، وعليهم القائد فاتح بن
النوينى ، حتى نزل قريبا منه فى الثانى والعشرين من صفر . ولما زحف
هذان الجيشان الى فاس اضطربت نواحيها ودهش الناس من هول هذا
الريفى لانه جاء فى استعداد لم يعهد مثله ، وأرز الحياينة وشرافة وأولاد
جامع الى أسوار فاس ، ونزلت حللهم داخلها وخارجها وبشروا مزارعها
وجنائها واتهبوا مواشيها ، وهلك الكثير منها جوعا وهزالا ، وماجت الفتنة
موج البحر ، وارتفعت الاسعار ولقى الناس كل شدة ، وفى كل صباح
ومساء ترعد المدافع وتقرع الطبول بمحلتى المولى المستضى ، والريفى ،
فاستعد الناس للحرب . وركب السلطان المولى عبد الله من دار الديبغ فى
نحو عشرة من الحيل ، وأسرع الى آيت ادراسن ، وهم بسهب عشار ، فدخل
حالة عبد الله بن يشى منهم وقلب سرجه وسط جموعهم فالتف عليه من حضر
منهم ، وقالوا : « ما الذى ناب مولانا ؟ » فقال : « جئكم لتصرفونى على
هذا الجبل الذى كان خديمتنا وعبدنا وأطغاه ما جمع من المال فى خدمتنا ثم
أراد أن يفضحنا وجراء علينا أخونا المستضى وأراد الاستيلاء على بلادنا
وهى فى الحقيقة بلادكم وما قصد الا اهاتكم وأتم أحق من ينصر أهل
البيت ولا يتحمل العار وعليكم السلام . » ثم ركب فرسه ورجع عوده على
بدنه فلم يبت الا بدار الديبغ ، ومن الغد زحف أحمد الريفى الى بلاد

الحياينة ظنا منه أنهم لا زالوا مقيمين بها ، فلما لم يجد بها أحدا رجع إلى
 محلّه الذي كان به ، ومن الغد كانت حرب خفيفة بينه وبين الودايا ومن
 لافهم من الحياينة وشرافة وأولاد جامع ، ثم من الغد ركب أحمد الريفى
 فى رماته وتقدم حتى وقف على كديسة تاميزت فوق القنطرة وعبرت
 جموعه لارورات ، ثم عبر المولى المستضى فى جموع العبيد وخلفوا رماثهم
 ومدافعهم وأنقالهم بالمحلة ، وكب المولى المستضى كتابه وحف جنوده
 بذلك البسيط وزحف الودايا وأهل فاس والحياينة وشرافة وأولاد جامع ،
 وجاءت البربر بجموعها فأشرفوا عليهم بالعين المقبوة إلى دار ابن عمرو ،
 ولما وقعت عينهم على جموع المولى المستضى ووزيره الريفى بذلك البسيط
 صاحوا بهم وشدوا عليهم شدة رجل واحد فكانت الهزيمة واستحرف فيهم القتل
 والسلب وازدحموا على القنطرة وتساقطوا فى الوادى فهلك الكثير منهم والبربر
 فى أثرهم يقتلون ويسلبون ، وأما الريفى فإنه لما رأى الهزيمة عليه لم يزد على
 أن ركب فرسه ونجا برأس طمرة ولجام على الحالة التى وصفها أبو الطيب
 إذ قال :

لا يأمن النفس الاقصى فيديكمه فيسرق النفس الادنى ويفتنم
 ولم يعرج هؤلاء ولا أحد من المنهزمة على المحلة حتى انتهى إليها البربر
 فتركوا اتباع المنهزمة واشتغلوا بنهبها فأتوا على ما فيها من الاخية والكرام
 والاثاث الفاخر ، ولم يتركوا بها الا المدافع والمهاريس وآلتها من كور وسب
 وبارود ، فلن القائد أبا عزة صاحب الشربيل وقف على ذلك حتى حازه ،
 وعاد الناس وقد امتلات أيديهم من الغنائم ، فلقبهم طوائف من البربر اسم
 يكونوا قد شهدوا الواقعة فاستلبوا ما بأيديهم .

قال صاحب «الباستان» : حدثني السلطان المرحوم سيدى محمد بن
 عبد الله عن هذه الواقعة ، وكان قد شهدها وهو فى سن البلوغ ، قال :
 « بعنى والدى مع أخواننا الودايا فلما هبت رياح النصر وانهمز العدو فى
 ساعة واحدة وكنت يومئذ فى خمسين فارسا بين ودايا وأصحاب تقدمنا إلى
 المحلة فوقفنا على قبة الباشا أحمد وأحرزناها ، ثم أمرت الحمارة فحملوا

لنا من ضاديق الريا لعل على عشرين بغلة ومن الملف والكتان على ثلاثين جملا لعرب بدواة أصحاب الابل ، وحملوا لنا قبتين احدهما لاحمد الريفي والاخرى اظنها للمولى المستضى ، وأما العرب والبربر والودايا وأهل فاس فقد أخذت كل طائفة بناحية تحمل ما قدرت عليه ، ثم لما انفصلنا عن المحلة قافلين لقيتنا كتائب من البربر الذين لم يحضروا الوقعة وبفس ما خالطونا طاروا بما في أيدينا حتى لم ندر أين البغال ولا الابل ، وانفرد بكل بغاسة وجمل جماعة من الخيل خمسون أو ستون أو أكثر ، ولم يجتمع منا اثنان وعدنا كما جئنا ، وهكذا وقع لكل من انتهب شيئا من حزيننا الا من دخل مع البربر في حصتهم ، ولما فرغ الناس من النهب اشتغل عبيد السلطان بجمع الرؤوس فكان عددها ما بين أبيض وأسود نحو التسعمائة ، فيها رأس الباشا فاتح بن التويني ، ثم بعث السلطان المولى عبد الله البغال لجر تلك المدافع والمهاريس وحمل الكور والبب فسبق ذلك كله الى دار الدبيع ثم بعث بغالا أخرى لحمل البارود وكان ثلاثمائة برميل في كل واحد قنطار من البارود الجيد فادخل ذلك كله لحزين فاس « قال السلطان المرحوم سيدى محمد بن عبد الله في حديثه : « وكان هذا أول بعث بعثى فيه والدى وأول حرب شهدتها وأنا يومئذ فى سن البلوغ وكان لى ولوع باللعب بالرمح والمطاعنة به الى أن مهت فيه » اه كلامه .

ولما اجتاز المنهزمة بجبل الزبيب اعترضهم أهله وقاتلوهم فقتلوا فى جملتهم سيدى محمد بن المستضى يظنونهم من أهل الريف ، ثم خلاص الريفي واصحابه الى طنجة بعد غضب الريق وكان أمر هذه الوقعة فتحا عظيما على أمير المؤمنين المولى عبد الله وشيعته .

قال فى « نشر المثنى » : « فراجع طائفة من العبيد طاعة مولاي عبد الله ، وجاءته قبائل المغرب بالهدايا من كل ناحية فتألفهم وألان لهم القول . وأمر العبيد بالمسير الى طنجة لحرب الريفي فساروا ثم رجعوا ولم يلقوا كيذا » .

معاودة احمد الريفى غزو فاس وما كان من امره مع السلطان المولى عبد الله الى حين مقتله



لما وصل أحمد الريفى الى طنجة أخذ فى اخلاف ما ضاع له ولقومه من خيل وسلاح وأخيه ونحوها وجدد لجيش العبيد من ذلك ما جدد لاهل الريف وأخذ فى الاستعداد لمعاودة غزو فاس ، وأقسم أن لا يأكل لحما ولا يشرب لبنا حتى يدخل فاسا وينهبها كما انتهبوا محلته .

وبعث الى سلطانه المولى المستضى بمائتى فرس ومائتى خباء وألف مكحلة وخمسين ألف منقال يفرقها على العبيد يتقوون بها ، وضرب له موعدا يجتمعون فيه على حرب السلطان المولى عبد الله وشيعته من الوداب وأهل فاس فكان أمر الريفى فيما أنفقه كما قال تعالى : « فسيفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون » .

ولما كان شهر جمادى الاولى من سنة ست وخمسين ومائة وألف خرج أحمد الريفى من طنجة قاصدا حضرة فاس فى أكمل شكة وأحسن استعداد ، ولما انتهى خبره الى السلطان المولى عبد الله لم يسعه التخلف عن لقائه ، فكتب الى عرب الحياينة وشرافة وأولاد جامع ، وكتب الى عرب الغرب من سفيان وبنى مالك وسائر شيعته يستفروهم ويحضهم على نصرته ، وفرق الراتب على العبيد والودايا وزرارة ، وأخرج أهل فاس بعنهم الذى عينوه على العادة ، وكتب السلطان الى آيت أدراسن وجروان يخبرهم بعزمه على مصادمة الريفى وجمعه ، ويقول لهم : « ان أردتم المال والغنيمة فتأهبوا للنهوض الى طنجة » . فخفف ناس منهم وقدم عليه منهم ألفان من الخيل وأكثر منها رماة .

ثم خرج السلطان من فاس أواخر جمادى الاولى ونزل على وادى سبو وأقام به الى ان عرض عساكره ورتبها فجعل رماة عبيده ورماة أهل فاس رحي واحدة وعقد عليهم للقائد أبى عزة صاحب الشربيل ، وجعل

الودايا وزرارة وأهل السوس خيلهم ورماتهم رحي واحدة وعقد عليهم
 حاجبه القائد عبد الوهاب اليمورى ، وسار على هذه التعية فلقبه شرافة
 وأولاد جامع وأولاد عيسى فجعلهم رحي واحدة وعقد عليهم للشيخ أبى
 العباس أحمد بن موسى الشرقى ، ولما عبر وادى ورغة لقيه أهل الغرب
 فى جموعهم ينتظرونه هنالك فباتوا معه تلك الليلة بعين قرواش ومن الغد
 جعل بنى مالك فى رحي وعقد عليهم لقائدهم أبى سلهم الحمادى ، وجعل
 سفيان فى رحي وعقد عليهم لقائدهم عبد الله السفينانى ، وسار على هذه
 التعية فى ظل النصر والسعادة .

وأما المولى المستضى فى العيد وبنى حسن فانه لما بلغه نهوض السلطان
 المولى عبد الله من فاس خالفه الى مكناسة دار الملك فدخلها على حين غفلة
 من أهلها وعاث وانتهب ، وفعل فيها بنو حسن الافاعيل من سبي النساء
 والذرية وغير ذلك ، ثم تدارك أهل مكناسة أمرهم وتجمعوا لحرب عدوهم
 فقاتلوا بنى حسن فى وسط المدينة وردوهم على أعقابهم وقتلوا منهم ما
 يحصى ورجعوا منهزمين ، وأما أحمد الريفى فانه زحف الى القصر فى
 جموع لا تحصى من أهل الريف والفحص والجل وأهل العرائش والقصر
 والخالط وطلق وبدواة وغيرهم ، وأقام ينتظر سلطانه المولى المستضى
 وجمعه .

ولما ابداً عليه واتصل به خبر زحف السلطان المولى عبد الله اليه
 ارتحل من القصر عامدا نحوه فالتقى الجمعان عشية ذلك اليوم بدار العباس
 على وادى لكس . وقال فى « نشر المثنى » : كان اللقاء بالموضع المسمى
 بالمنزه من أحواز القصر فى رابع جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وهداة
 وألف .

ولما تراء الجمعان هم جيش السلطان المولى عبد الله بالنزول ، فقاتل
 السلطان رحمه الله : « لانزول الا على الغنيمة او الهزيمة » ثم عبر اليهم
 فى جنوده وأعجلهم على النزول وصمد اليهم فى كتيبة من أخواله وعبيده
 فخالط مقدمتهم ففضها ، وكان فيها أهل الفحص وبدواة وطلق والخالط

ثم ظهرت كنية أهل الريف التي فيها قلب العسكر وحده ، وفيها الباشا أحمد بن علي ، فحمل عليها السلطان حملة ثانية ألحقها بالمقدمة ، وتقوض جموع الريفي من كل جانب وانهزموا للحين ومروا على وجوههم لا يلوي حميم على حميم ، ومضى جيش السلطان في أثرهم يقتلون ويسلبون الى أن جنهم الليل ، وقتل الريفي في المعركة ، وبقيت الابنية والانتقال بيد السلطان كما هي ، فنزل بها بدار العباس ، وعادت العساكر مساء بالغنائم وبرأس الباشا أحمد بن علي الريفي ، عرفه بعضهم بين القتلى فزال رأسه وأتى به السلطان فسر به ، وبعث به الى فاس فعلق باب المحروق ، وانقضى أمر أحمد الريفي وذهبت أيامه و « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » . وقد خلف هذا الريفي آثارا كثيرة بطنجة وتطاوين وأعمالها من أبنية وغيرها تشهد بعلو همته رحمه الله .



زحف السلطان المولى عبد الله الى طنجة واستيلاؤه عليها



لما فرغ السلطان المولى عبد الله رحمه الله من أمر الريفي أصبح غاديا يؤم طنجة ولما شارفها خرج اليه رجالها يحملون المصاحف على رؤوسهم والصيادين يحملون الألواح بين أيديهم مستشفعين تائبين فعفا عنهم الا من كان من بطانة أحمد الريفي ، ودخل السلطان طنجة واستولى عليها وأمر بالاحتياض على دار الريفي ومتاعه ، ثم أمر الخواجا عديلا في جماعة من تجار فاس باحصاء ما بدار الريفي فدخلوها وتطوفوا خزائنها واستخرجوا ما فيها من مال وسلاح وسروج وكسى وملف وكنان وفرش وخرثى وأثاث يفوف الحصر ، فأحصى ذلك كله وأحصى العبيد والاماء والحيل والبغال وجميع الماشية من ابل وبقر وغنم فجاء من ذلك بشيء كثير فأعطى الماشية كلها للبربر ، ثم أطلق يد الجيش على الامراس فانتشلوا ما فيها من قمح وشعير فأتوا عليه ، ثم تتبع حاشية الريفي من عمال وكاتب وغيرهم ممن كان له

به اتصال فاستصفي ما عندهم من المال والذخيرة الى ان استوفى غرضه .
 وكان هذا الريفي قد رسخ مجده بطنجة وأعمالها ، وعظمت ثروته
 لامتداد الدولة له ولايه بها منذ الفتح ، فكان ظفر السلطان المولى عبد الله
 بخزائنه من باب الظفر بالكنوز القارونية ، وقدمت عليه في أثناء ذلك وفود
 القبائل التي هنالك فعفا عنهم وأمنهم وأقام رحمه الله بطنجة أربعين يوما -
 وانقلب راجعا الى فاس مؤيدا منصورا وبالله التوفيق .



اعتراض المولى المستضيء للسلطان المولى عبد الله

وعود الكرة عليه ومقتل بنى حسن



لما انهزم المولى المستضيء من مكاسة بعد ايقاعه باهلها خرج الى حلة
 بنى حسن وأقام بين أظهرهم فاتصل به خبر مقتل ناصره ووزيره على أمره
 أحمد الريفي ففت ذلك في عضده وهد أركانه ، ثم لما بلغه فتح طنجة
 واستيلاء السلطان عليها استأنف جده وارهف حده وأخذ في تحريض
 العبيد وبنى حسن على تجديد البعث والنهوض لاعتراض اخيه السلطان
 المولى عبد الله مرجعه من طنجة ، فخرج كبير بنى حسن يومئذ ، وهو
 قاسم أبو عريف ، يطوف في أحيائها ويستغفر جموعها ، وخرج المولى
 المستضيء في لمة من وجوه العبيد الى مشرع الرملة فجهز بها عشرة آلاف
 فارس من عبيده ، ووافاه قاسم أبو عريف بمثلها من بنى حسن ، فكان
 مجموع الجيشين عشرين الفا سوى من انضاف اليهم ، ثم ساروا لاعتراض
 السلطان ، ولا علم له بهم .

وقدم المولى المستضيء أمامه الطلائع والعيون فعدوا اليه بخبر السلطان
 وأنه باثت تلك الليلة بدار للعباس فصبحه المولى المستضيء في جموعه على
 حين غفلة منه ، فلم يزع السلطان المولى عبد الله الا نواصي الحيل مقبلة اليه .

فبعاً جيشه على عجل ، وإقام الرماة حوالى المحلة ، ثم صمد اليهم فى الحيل ،
وانشب القتال فلم تكن الا ساعة حتى انهزم بنو حسن وولوا الادبار ،
وكانوا ميمنة الجيش ، وثبت المولى المستضى والعبيد فى الميسرة ، فصمد
اليه السلطان وصدقه القتال فهبت ريح النصر وتمت الهزيمة على المولى
المستضى وعبيده ، ومروا على وجوههم لا يلبون على شيء ، فجرد السلطان
مع القائد أبى عزة صاحب الشربيل كتيبة من الحيل فى أثرهم وتقدم اليهم
أن لا يقتلوا احدا من العبيد وانما يجردونهم لا غير . فلم يقتل أحد من
العبيد فى هذه الواقعة ، واستحر القتل فى بنى حسن فهلك منهم ما ينيف على
الالف ، واتهب منهم أكثر من خمسة آلاف فارس ومن السلاح مثل ذلك ،
وهذه الواقعة هى التى خضت شوكة بنى حسن وفلت من غربهم ، ونجى
المولى المستضى فى فلهم وأقام بحلتهم ينتظر أن تدول له دولة لانهم كانوا
شيعة كأهل دكالة وأهل مراکش ، وكان اخوه المولى الناصر خليفته على
مراكش كما مر .

وقفل السلطان المولى عبد الله الى فاس الجديد فاحتل بها وفرق المال
على أحواله وعبيده واسهم لاهل فاس ، وأقام بدار الديبىخ الى ان دخلت
سنة سبع وخمسين ومائة والف فقدم عليه فى شهر ربيع الثانى منها جماعة
من قواد العبيد تائبين خاضعين متتطين مما فرط منهم ، فعاتبهم وقال لهم :
« لا كلام اليوم بينى وبينكم حتى أقطع دابر بنى حسن ومن معهم من شيعة
المستضى » ثم عفا عنهم واعطاهم الراتب وأمرهم بالقدوم عليه الى مكناسة
بقصد غزو بنى حسن ، فعادوا الى مشرع الرملة عازمين على ذلك ، واخذ
هو فى الاستعداد ايضا ، ونهض من فاس فى جيش للعبيد والودايا وأهل
فاس والحباينة وشرافة واولاد جامع وعرب الغرب ، ولما انتهى الى مكناسة
ولافها بها عبيد مشرع الرملة فى وجوههم وأهل الحل والعقد منهم فجددوا
التوبة واستأنفوا البيعة بمحضر القضاة والعلماء واعطوا صفقة الطاعة من عند
آخرهم ، والله غالب على امره .

نهوض السلطان المولى عبد الله الى بلاد الحوز وتدويخه اياها واجفال المولى المستضى عنها



كان المولى المستضى فى هذه المدة مقيما عند بنى حسن كما قلنا ، ولما بايع العبيد السلطان المولى عبد الله واجتمعت كلمتهم عليه خرج فى طلب وطلب شيعته من بنى حسن ، فسلك طريق الفج ليحول بين بنى حسن والشعاب فصحبهم ببسيط زيدة وهم غارون ، والمولى المستضى بين أظهرهم ، فلم يرعهم الا الحيل تجوس خلال بيوتهم وتسوق أنعامهم وشاءهم وتتهب أنائمهم ومتاعهم ، فانفضوا فى كل وجه وتفرقوا شذر مذر ، وانلت المولى المستضى رحمه الله بجريعة الذقن ، وتوزعت العساكر السبي .

وجاء بنو حسن يهرعون الى السلطان طالين عفوه فامر بالكف عنهم ورد عليهم سبيهم وترك لهم خيلهم ، ومضى الى قبائل دكالة اذ اتصل به ان المولى المستضى قد فر اليها ، فلما نزل قصة ابى الاعوان ونزلت عساكره أمامه بذالك البسيط من دكالة فر أهلها مع المولى المستضى الى الثلول ونزلوا قرب دمنات ، وشرعت عساكر السلطان فى انتشار الجوب من الامراس واستخراج الدفائن من الهميل وتخريب القرى وتقطيع الاشجار ، وكلم فرغت من ناحية انتقلت الى غيرها متقلبة فى ذلك البسيط نحو السنة ، والسلطان مقيم بالقصة الى ان اكتسح أرض دكالة وتركها أنقى من الراحة ليس بها ما يأكله الطائر أو يتظلل الحائر ، ثم انتقل الى بلاد السراغة ولما توسطها قدمت عليه وفودها ووفود سائر قبائل تلك الجبال بمؤناتهم وهداياهم فقبلهم وعفا عنهم ، ثم انتقل الى ناحية دمنات ففر أهل دكالة ، والمولى المستضى أمامه الى جبال مسفيوة فتحصوا بها ، وكانت مسفيوة قد بايعته ودخلت فى دعوته ، فقدم السلطان المولى عبد الله حتى نزل بوادى الزات فقدمت عليه هنالك عرب الرحامنة وزمران وسائر أهل الحوز ، وكانوا متمسكين بطاعته ، فزولوا معه بالوادى المذكور ، وعانت العساكر فى بلاد

مسفوية واوسعوها نهبا وتخريبا ، والحرب فى ذلك كله قائمة مع المولى المستضى على ساق ، الى ان صار وادى الزات أخرب من جوف حمار . ثم لا تنقل السلطان الى وادى كجى فعانت فيه العساكر على عاداتها ، وعجز أهل الدفاع فهدمت حصونهم وحرقت قرأهم وقطعت أشجارهم ، وصار وادى كجى أوحش من وادى الزات ، فطلبوا الامان واعلنوا بالطاعة ، وجاءوا مستشفعين بصيانتهم . فقال لهم السلطان : «على شرط أن تأتوا بالمستضى» . فقالوا : «انه قد فر بالامس ولو كان عندنا لاتيئك به» فقبلهم وعفا عنهم . ثم جاء أهل دكالة بنسائهم وذرايرهم وقالوا : «هذه نساؤنا واولادنا لك ، وأما المال فقد ذهب وما عندنا ما نقتاته فافعل بنا ما بدا لك» فعفا عنهم وأذن لهم فى الرجوع الى بلادهم . وكان ذلك أواخر سنة سبع وخمسين ومائة والف .

ولما دخلت سنة ثمان وخمسين بعدها ارتحل عن بلاد مسفوية ونزل بقصبة آصم بأسمام الصاد زايا وبها قدم عليه وفد مراکش كم يأتى :
واما المولى المستضى فانه لما فر من مسفوية قدم مراکش ، وحاول الدخول اليها فصدّه أهلها عنها ورفضوا دعوته ، وأعلنوا بنصر السلطان المولى عبد الله بمرأى منه ومسمع فلم يبق له حينئذ بمراكش مطمع ، وكان أخوه المولى الناصر قد مات يومئذ فاخرجوا اليه أئامه فسلمه منهم وكر راجعا الى بلاد الفحص ، فلم يزل تلفظه أرض الى أرض الى ان احتل بطنجة قانعا من الغية بسلامة المهجة وسياتى تمام خبره بعد ان شاء الله .



وفادة اهل مراکش على السلطان المولى عبد الله بالصم واستخلافه ولده سيدى محمدا عليهم



لما طرد أهل مراکش المولى المستضى عن بلادهم تأمروا فيما بينهم وأجمعوا الدخول فى طاعة السلطان المولى عبد الله وعينوا جماعة من وجوههم وأوفدوها عليه وهو بقصة الصم فأتوها اليه وقدموا بيعتهم، وأخبروه بما كان من المولى المستضى وما عاملوه به من الصد والابعاد قبلهم وغنا عنهم بعد العتاب ، ثم طلبوا منه هم وقبائل الحوز أجمع ان يطاء بلادهم ويدخل مصرهم فوعدهم بذلك ، ولم يبرح من مكانه الى ان وفدت عليه قبائل الدير كله ، فلما تفقد الجيش الذى خرج به من مكناسة وجد أكثره قد فر ولم يبق معه من العسكر المخزنى الا النصف ، واما القبائل فلم يبق معه منهم الا أعيانهم فى الاخبية لطول الغيبة وكثرة الحروب وقلة الزاد ، فلم يمكنه التقدم الى مراکش على تلك الحال ، وانما تألفهم بأن دفع لهم ولده المولى محمدا رحمه الله وقال لهم : «انى استخلفته عليكم» فرضوا به وقرت أعينهم، فكان ذلك اول ما انغrust شجرة الدولة العلوية بمراكش حتى صارت حضرتها ودار ملكها بعد ان كانوا لا يبنون بمكناسة بدلا .

ثم بعث السلطان ولده المولى احمد وكان اسن من المولى محمد خليفة عنه برباط الفتح ، واطاف اليه قبائل الشاوية وبنى حسن ، ثم أذن السلطان لعامل فاس عبد الخالق عدل فى الرجوع الى فاس فمرض بالطريق ومات بعد ان دخل فاسا ودفن بزواوية سيدى عبد القادر الفاسى .

ثم رجع السلطان الى مكناسة على طريق تادلا بعد ان أقام ببلاد الحوز سنة كاملة فقدمها فى شهر ربيع الثانى سنة ثمان وخمسين ومائة والفس ، ولما شارف مكناسة لم يدخلها ونزل بقصة ابى فكران ، فقدم عليه بها جماعة من المجاهدين أهل الريف من طنجة فوق المائة ومعهم زوجة الباشا أحمد الريفى وولداها منه . فقدمت هدية عظيمة ، فقبض السلطان الهدية وقتل

الولدين ومن معها من أهل الريف ، ثم قتل معهم ثلاثمائة من بني حسن . كانوا قدموا عليه للتهنئة ، فكان ذلك سبب نفرة الناس عنه ، فسألت عنه الاحدوثة وكثرت القالة من الجيش والرعايا حتى فسى الاسواق ، وانقبض الناس عنه حتى أهل فاس فضلا عن غيرهم .

مكر السلطان المولى عبد الله باعيان البربر واخفار ذمة محمد واعزيز فيهم
ثم اطلاقهم بعد ذلك



لما صدر من السلطان المولى عبد الله ما صدر من قتل اهل الريف وبني حسن وانقبض الناس عنه ، انقبض فى جملتهم البربر فلم ياتهم منهم أحد ، وكانوا قد حزنوا باحواز مكثاسة ، فلما ادرك زرعهم امر السلطان العبيد بانتهابه ، فعمدوا اليه وحصدوه ودرسوه وأكلوه ، فازدادت نية البربر فيه فسادا .

ولما رأى انقباضهم عنه كاتب كبيرهم محمدا واعزيز وكانت بينهما خلة ومصافة حتى كان يقول له : «أنت أبى» اذ كان محمد واعزيز هذا هو الذى حشد له جموع البربر وشايعة على عدوه أحمد الريفى حتى قتله ، فكتب اليه يلومه على انقباضه عنه وتخلف قبيله عن الحضور ببابه مع أنهم شيعته ومواليه ، فلما ورد عليه كتاب السلطان لم يسعه التخلف عن اجابته ، واستشار فى ذلك قومه فلم يوافقوه فراجعهم ، فقالوا : «لا ترى الى ما وقع بمن وفد عليه من غيرنا» فقال : «لا ترون الا الخير» ولم يزل بهم حتى غلبهم على رأيهم ، وتفرقوا عنه لجمع الهدية وتعين الوفد فجمعوا من ذلك ما قدروا عليه ثم أتوه فاعادوا عليه القول وحذروه القدر ، فقال : «هذا لا يكون ولستم مثل اولئك» ، فما وسعهم الا اجابته ، واقبلوا معه حتى انتهوا الى قصة ابى فكران حيث هو السلطان ، فاجتمعوا بالحاجب أبى محمد عبد الوهاب اليمورى فلما رأهم بهت ، وتحركت منه الرحم البربرية لكنه لم

يمكنه ردهم بعد بلوغهم الى ذلك المحل ، وكانوا نحو المائة ، كلهم أعيان
 فترجلوا عن خيولهم ووضعوا أسلحتهم ، ثم دخلوا على السلطان المولى عبد
 الله فوجدوه جالسا على كرسيه بوسط القلعة ، فادوا واجب التحية فاجابهم
 وأمرهم بالجلوس فجلسوا بين يديه ، ثم دخل الحرس والزبانية فوقفوا على
 رؤوسهم وأحاطوا بهم ، واخذ السلطان في معابثهم على ما يرتكبونه فى
 الطرقات والغارات على المستضعفين من الاعراب وغيرهم وانتهاج بضائع
 التجار ، وما كانوا يعاملون به عساكر الملوك من النهب والسلب ، وعدد
 عليهم الخسائر القديمة والافعال الذميمة ، ثم أمر الحرس بالقبض عليهم
 فانقضوا عليهم انقضاض العقبان ، ولم يكن بأسرع من ان القوا بين يديه
 مقرنين فى الجبال ، ولم يقبض على محمد واعزيز من بينهم ، فقال له :
 «يامولانا أعذرا بعد أمان ولست من أهله ؟» فقال له : «إن هؤلاء القوم
 قد حادوا عن الدين وحل مالهم ودمهم لخروجهم عن الطاعة وشقهم عصا
 الجماعة وقد أعيانى أمرهم وما عدت الى هذا الامر بعد خروجى منه الا من
 أجلبهم ، أردت أن أقابل هذا التيس الاسود «يعنى العبيد» بهذا الكبش
 الابيض «يعنى البربر» واستريح من غصة من هلك منهما وأتمسك بالآخر ،
 ولولا انك بمنزلة والدى ما أطلعتك على ما فى ضميرى فقم فى حفظ الله
 ولا بأس عليك» فقال محمد واعزيز : «والله لا أقوم ولا أكون الا مع
 اخوانى حيشا كانوا فان هلكوا هلكت معهم ويكون لك غدرك ، وان ساموا
 سلمت معهم ولا يتحدث الناس أنى سقتهم الى الذبح ورجعت أنا سالما ،
 فبأى وجه أسير الى أولادهم ؟ وأى ارض تحمينى من عشيرتهم ؟ والى
 أين أقصد ؟ فإن كان لا بد من القتل فقتلك لى معهم أجمل لى ، ولا ائسم
 عليك فى ذلك ولا عار ، لانى أنا الذى سقتهم اليك وأرحتهم عليك بعد أن
 عرضوا على هذا كله فلم أقبل منهم ، فلما سمع السلطان هذا الكلام العالى
 وتمكنت منه صولته الحققة جعل يتدبره ثم التفت الى الحاجب عبد الوهاب
 وقال : « يا عبد الوهاب لاخير فى الرجل يقول للرجل أبة ثم لا يشفعه فى
 جماعة من قبيله خلوا عنهم » . فسرحوهم وخرجوا كأنما نشروا من القبور

فركبوا خيلهم وساروا الى حلتهم ولسان حالهم يشد ما قاله الاعرابي الذي
بال بواسط فضربه الحجاج وسجنه ثم أطلقه :
إذا نحن جاوزنا مدينة واسط خرئنا وبلنا لا نخاف عقابا



زحف البربر الى السلطان المولى عبد الله بابي فكران وفراره الى مكناسة



لما خلاص جماعة البربر الى حلتهم أقبلوا على محمد واعزيز وعاتبوه
على ما حملهم عليه من الوفاة على السلطان والقرب منه حتى جرى عليهم
ما جرى ، مع أنهم كانوا في غنى عن ذلك كله ، وقالوا له : نحن متعب
وبعضنا ولا بد لنا من الاخذ بالثار « فقال : « شأنكم وما تريدون » فخلصوا
نجيا ، وتفاوضوا في شأنهم الى أن اجمع رأيهم على غزو السلطان لمضى ثلاث
ومن تخلف عنها احرق خيمته ، فقال لهم محمد واعزيز : « إياكم
والطرقات ثم افعلوا ما بدا لكم » ففرقوا لحللهم واستعدوا للحرب ، وأقبلوا
في اليوم الرابع يجرون الشوك والمدرفلم يرع السلطان ، وهوبابي فكران
الا الرايات قد اطلت عليه من الحاجب ، والحيل تسيل بها الاودية والشعاب ،
فلم يسعه الا أن حمل أثقاله وأركب عياله وجعلهم أمامه مع رحي من
رماة المسخرين وأردفهم رحي أخرى من الحيل ، ثم تلاهم هو في موكبه
وردفته رحي ثالثة من خيل العبيد جاءت من خلفه ، وانحدر في بطن
الوادي وتفرق الجند عن يمين الوادي ويساره وسار السلطان على هذه
التعبية ، وكلما دفعت خيل البربر على المسخرين من الجند أطلقوا عليهم
شؤبوبا من الرصاص فيسقط منهم الاربعون والخمسون ، وإذا دفعت خيلهم
على رحي الحيل فكذلك ، وعلى موكب السلطان فكذلك ، وهكذا الى أن
دخل باب القزدير فاحتل بمكناسة ، وهلك من العبيد في هذه الواقعة نحو
الثلاثمائة ، ومن البربر على ما قيل نحو الخمسمائة ، وجمعوا قتلاهم

فكفونهم في أخية العبيد إذ كانت بأيديهم ولم يرجعوا بسوى ذلك ، وكانت هذه الواقعة أواسط سنة تسع وخمسين ومائة وألف .

واعلم أنه قد وقع هنا لفظ الرحى ولفظ المسخرين وغير ذلك ، وهي ألقاب لطوائف من جيش هذه الدولة السعيدة فلا بد من بيان الاصطلاح في ذلك تسيما للفائدة فنقول : ان الجيش السلطاني اليوم بهذه الدولة الشريفة ينقسم أولا الى ثلاثة أقسام : أصحاب ومسخرين وجيش . فأما الاصحاب فهم : طائفة من الجند تلازم السلطان حضرا وسفرا لا يفارقونه بحال ، وهم أرباب الوظائف المخزنية ، منهم الكتاب الذين هم الى نظر الوزير الاعظم ، ومنهم أرباب الفراش ، ومنهم القهارمة القائمون على طعام السلطان وشرابه ، ومنهم أرباب الوضوء ، وغير هؤلاء ممن يطول ذكرهم ، وكل طائفة برئيسها . وأما المسخرون فهم : ملازمون للسلطان حضرا وسفرا أيضا ، وشأنهم أن يكونوا فرسانا في الغالب ، وقد يكون فيهم الرماة ، وهم أهل الشوكة والغناء ، وهم الموجهون في المهمات لان عليهم المدار في الامور المخزنية كما يقتضيه تسميتهم بالمسخرين ، واذا ركب السلطان في سفر أو نحوه انقسموا قسمين ، فالعبيد منهم يكونون خلفه لانهم الموالي ، والواديا وشرافة يكونون أمامه . وأما الجيش فهو : أهل الجميع كما يقتضيه لفظه ومنه تتخبط الطوائف السابقة وهو عسكر السلطان الذي يحويه ديوانه الا أن معظمه يكون متفرقا في حله وبلاده الا اذا أراد السلطان غزوا فيوجه على ما يحتاج اليه منه ، اما الجميع أو البعض ويكون ذلك مناوبة على ما هو معروف عندهم . وأما الرحى فهي : عبارة عن ألف من الجيش خيلا أو رماة وربما زادت أو نقصت بحسب ما يتفق والله أعلم .



شغب العبيد على السلطان المولى عبد الله وانتقاله الى فاس وانتقال عبيد الديوان من مشرع الرملة الى مكناسة



لما وصل العبيد الذين كانوا مع السلطان المولى عبد الله بأبي فكران الى مكناسة واجتمعوا باخوانهم الذين كانوا هنالك تكلموا بما فى أنفسهم على السلطان من الغيظ ونفثوا بما فى صدورهم عليه من الالحنة ، وقالوا انه قد قال لمحمد واعزيز : « أردت أن أصدم هذا التيس الاسود بهذا الكبش الابيض » ودارت بينهم هذه الكلمة وأخذت منهم كل مأخذ ، وقالوا : « لم يبق لنا شك فى أن هذا الرجل لا غرض له الا فى هلاكنا فانظروا لانفسكم أو دعوا » ثم كتبوا الى عبيد الديوان يخبرونهم بما صدر من السلطان فى جانبهم ويستشيرونهم فى أمره ، فجاء بعض عيون السلطان من عبيد مكناسة اليه وأخبروه بما دار بين العبيد ، وبما كتبوا به الى أهل الديوان فطير السلطان بالكتابة الى ودايا فاس الجديد يقول لهم : « ان كانت لكم حاجة بآبن أختكم عبد الله فاقدموا عليه الساعة » ثم أخذ فى جمع أئامه وتنصيده وحمل ماله وشده واسراج خيله وانهاض رجله ، وقال لحاضه : « غدا ان شاء الله نرجع الى أبى فكران » فلما كان وقت العشاء وصل الى باب القزدير من جيش الودايا أربعمائة فارس فاخرج اليهم السلطان أئامه وماله وعياله ، ثم ركب فى خاصته وأسروا ليلتهم ولم يصبحوا الا بفاس الجديد فدخل السلطان داره وأمن على نفسه . وأما عبيد الديوان فانه لما بلغهم كتاب اخوانهم الذين بمكناسة وقرأوه قالوا : « انه لا يجمل بنا المقام فى وسط بنى حسن لا تنفع اخواننا ولا ينفعوننا » فأجمعوا الرحيل والانتقال الى مكناسة ، وبعد ثلاث انتقلوا اليها وأعروا مشرع الرملة ، واستراحت تلك البلاد من عيهم لاسيما سلا وأحوازا فانهم كانوا قد أشجوا أهلها ولاقوا منهم عرق القربة .

ولما وصلوا الى مكناسة نزلوا بالمدينة وبالقصة وبالاصليل وبريمة

وبهدراش وبالرحاب التسعة فملأوها واجتمعوا باخوانهم واطمأن جنبهم
 ولا كان عيد الفطر من سنة تسع وخمسين ومائة وألف قدم نلى
 السلطان بفاس جماعة من قوادهم مع القاضى والفقهاء والاشراف من أهل
 مكناسة فحضرُوا معه العيد على العادة وطلبوا منه أن يرجع الى مكناسة
 وتنصلوا مما بلغه عنهم واعتذروا اليه ، فوعدهم الرجوع وأعطاهم مالا
 وانصرفوا الى منازلهم . ولما كانوا بالجديدة قرب مكناسة اعترضهم البربر
 وجردوهم وأخذوا ما معهم ولم يتركوا الا القاضى أبا القاسم العميرى على
 بغلته ، وأصبح الوفد على باب مكناسة عراة ينظر بعضهم الى بعض .



اجلاب محمد واعزيز على السلطان المولى عبد الله

وانتقاض اهل فاس والقبائل عليه



لما رجع البربر الى بلادهم من وقعة أبى فكران كتب كبيرهم محمد
 واعزيز الى أهل فاس يتظلم من السلطان المولى عبد الله ويخبرهم بما اتفق
 له معه من اخفار ذمته وعزمه على الفتك باخوانه ويدعوهم مع ذلك الى
 أن يكونوا معه يدا واحدة ، فأجابوه الى ذلك ودخلوا فى حزب البربر .
 ثم كتب واعزيز بمثل ذلك الى عرب الغرب من سفيان وبنى مالك ، وكبيرهم
 يومئذ حبيب المالكى ، فقالوا : « نحن لكم تباع وحربنا حربكم وسلمنا
 سلمكم » وانتفضت الفتوق على السلطان من كل جهة وهاجت الحرب بين
 الودايا وأهل فاس ، وبعد أيام ورد الخبر بأن ركب الحاج قد وصل الى
 تازا ، وهو محصور بها ، فاستغاث أهل فاس بالبربر ليأتوهم باخوانهم ،
 فجردوا منهم خمسمائة من الخيل الى تازا ، فمروا فى طريقهم بعرب
 الحياينة فانضموا اليهم ودخلوا فى حزبهم وصاروا بأجمعهم الى تازا
 فخلصوا الركب الذى بها وقدموا بهم الى فاس ، فدخلوا على باب الفتوح

ونزل البربر والحياينة بالزيتون ، ودخل جماعة منهم المدينة لقتلهم ، أغراضهم .

وفى ثناء ذلك أغار عليهم الودايا ففضوهم وقتلوا منهم كثيرا ، فأمرهم السلطان أن يعلقوا رؤوسهم على سور قصبة شراقة ففعلوا ، ثم بدا لأهل فاس في مراجعة طاعة السلطان فبعثوا اليه في ذلك ، فأجابهم بأن يقدموا عليه فخرج اليه العلماء والاشراف والاعيان ، فلما مثلوا بين يديه عند عليهم أفعالهم ووبخهم وشرط عليهم شروطا منها أن يعطوه زرع أهل الغرب المخزون عندهم وأن يهدموا دورهم ويبنوا بأنقاضها دار الديبغ ، ويخاروا احدى خصلتين اما أن يكونوا جيشا واما أن يكونوا نائبة ، فقالوا : « نجتمع على هذا الامر مع اخواننا ويكون الجواب » . ولما رجعوا من عنده أغلقوا أبواب مدينتهم وقالوا : « لا نقبل شيئا من ذلك كله » وعادت الحرب جذعة وارتفعت الاسعار وعظمت الاخطار . وفى سابع ذى الحجة من سنة تسع وخمسين ومائة وألف نهب عامة فاس قضاطين المخزن التى كانت بفندق التجارين على يد الامين الحاج الحياط عدل وأرادوا مصادرته على مال المخزن الذى عنده فاقتدى منهم بثلاثة آلاف مثقال فأطلقوه بعد القبض عليه ، وكانت القضاطين ثلاثة آلاف قفطان فرقوها على رماثهم يعيدوا بهن عيد الاضحى ، واستمرت الحرب بينهم وبين الودايا وسائر شيعة السلطان الى أن دخلت سنة ستين ومائة وألف .

وفى أوائل جمادى الاولى منها قدمت قبائل البربر وقبائل الغرب لمشايعه أهل فاس على حرب السلطان ، فنزل محمد واعزيز في بربره بجبل المقات ، ونزل حبيب المالكى في أهل الغرب وطليق والحلقل بدار الاضياف ، وانجحر الودايا بفاس الحديد والعبيد بقصبة شراقة ، والسلطان بدار الديبغ ، وضاق الحناق على السلطان وشيعته ، ومن الغد ركب حبيب في غربه وزحف الى السلطان بدار الديبغ والبربر على أثره . ولما وصل الى حريمها بلغه أن البربر قد نهبوا محله فرجع منهزما وعبر السوادى وتوجه الى بلاده ، وأما البربر فانهم لما فرغوا من محلة أهل الغرب اجلوا

الى سايس ، ويقال : أن السلطان دس بالليل الى محمد واعزيز بمال على أن يخذل عنه هذه الجموع ويفرقها ، ففرقها بنهب محلّة أهل الغرب وبجبهة العير يفدى حافر الفرس ، ولما انقضت هذه الجموع الى بلادها بقى أهل فاس فى القتال والحصار سنتين وزيادة كما سيأتى ، وبعثوا فى أثناء ذلك الى المولى المستضى المقيم باحواز طنجة ليقدم عليهم فيبايعوه وتجتمع كلمتهم عليه فرد رسلهم بمنح العرقوب ووعد عرقوب .

ذكر السبب الذى هاج بعث السلطان المولى عبد الله الجيوش الى اهل الغرب ومراجعتهم طاعته

وفى سنة ستين ومائة وألف أثناء حرب الودايا لاهل فاس قدم جماعة من عرب بنى حسن على السلطان المولى عبد الله شاكين ايه عرب الغرب ، وانهم لما انقلبوا راجعين بجموعهم الى بلادهم مروا بحلّة بنى حسن فقتلوا عليها واتهبوها ، فحركوا من السلطان ما كان كامنا فى صدره عليهم ، وبعث اليهم جيشا كيفا من العبيد والودايا وأمرهم بالفتك بأهل الغرب ونهب أموالهم وأن لا يبقوا لهم على سب ولا لبد ، فخرج الجيش يوم بلاد الغرب فذروا به وانجفلوا أمامه عن بلادهم وتبعهم طليق والخلط فأرزوا الى مدينة العرائش وتحصنوا بسورها ، فتبع الجيش آثارهم حتى نزل عليهم بها وحاصروهم ثلاثة أشهر هلكت فيها ماشيتهم جوعا ، وبعقب ذلك وردت عليهم جماعة من الودايا بأمان السلطان ومصحفه وسبخته ، فعاهدوهم على ذلك وأفرج الجيش عنهم وخرجوا مع الودايا فقدموا على السلطان بهديتهم فعفا عنهم ، وولى عليهم كبيرهم حيبا المالكي وأضاف اليه قبائل الجبل كلها ، وأما الجيش الذى كان على العرائش فانهم لما قفلوا باتوا بقصر كتامة فضيفهم أهله بما قدروا عليه من الطعام والعلاف ومن الغد

دخلوا القصر فاستباحوه ونهبوا وسبوا وقتلوا وفعلوا الافعال العظيمة ، واستمروا على ذلك ستة أيام ، وكان الحادث عظيما ، وعز ذلك على الناس كلهم وتأسفوا له وكان ذلك فى محرم سنة احدى وستين ومائة وألف .

❦

زحف البربر الى الودايا ومظاهرة اهل فاس لهم عليهم



لما كان جمادى الثانية من سنة احدى وستين ومائة وألف عزم السلطان المولى عبد الله على غزو البربر فخرج من فاس الجديد حتى أتى أبا فكران فسكر به ظنا منه أن العساكر ستقدم عليه هنالك كما هي العادة فلم يأتهم احد ، فبعث الى العبيد يستنفرهم لغزو البربر فقالوا : « حتى يأتى الودايا والقبائل ونأتى نحن أيضا » ولما رأى تناقل الناس عنه عاد الى منزله واعرض عما كان هم به . ولما سمع البربر برجوعه عنهم طعموا فيه وأجمعوا غزوهم فقال لهم محمد واعزيز : «الرأى ان ننزل بسايس ونحول بينه وبين العبيد حتى لا يصل اليهم ولا يصلوا اليه» فقبلوا حتى نزلوا بسايس ، ثم تقدمت جموعهم حتى شاربوا مزارع فاس الجديد وأغاروا على الودايا ونهبوا ماشيتهم وزروعهم وضيقوا عليهم ثم وصلوا ايديهم باهل فاس فدخلوا مدينتهم وتسوقوا بها فباعوا واشتروا عشرة ايام وانقلبوا الى اهلهم فاكهين .

وفى أول رجب من السنة المذكورة ورد الخبر بأن أهل الريف قد قبضوا على المولى المستضى المقيم ببلادهم ونهبوا خيله وأثاثه وماله ، وثقفوه حتى يدفعوه لاختيه المولى عبد الله لانه كان قد اشتغل بظلم الناس بالفحص وطنجة ، وقبض على القائد عبد الكريم بن على الريفى وهو أخو أحمد بن على المتقدم الذكر فاخذ ماله وسمل عينيه ، وأما أهل تطاوين فلم يبايعوه ولا عرجوا عليه ، وفى شعبان احرق الودايا باب المحروق ليلا ففطن لهم الحرس ودافعوهم عن الباب ومن الغد ركبوا به أبوابا جددا .

مراجعة اهل فاس طاعة السلطان المولى عبد الله وانعقاد الصلح بينهم وبين الودايا



لما طال الحصار على أهل فاس وأضررت بهم معاداة جيرانهم من الودايا
وسُموا الحرب راجعوا بصائرهم وجنحوا للسلم وطاعة السلطان فانفق أن
كان عندهم رجل من أشرف تافيلالت فأرسلوه الى السلطان واسطة بينهم
وبينه ، وبعثوا معه كتابا بالاعتذار والتوبة فقبل السلطان ذلك وسر به
ووقع منه الموقع ، وكب اليهم نفى ظنونهم وبسل سخائمهم ويقسم لهم
أنه لم يأمر بحربهم ولا اضرارهم قط ، وانما فعل ذلك الودايا من قبل
أنفسهم ، فلما وصل اليهم كتاب السلطان بذلك طابت نفوسهم وفرحوا وعينوا
جماعة من فقهاءهم وأشرفهم وأهل الخير منهم فأوفدوها على السلطان
بمكناسة في شوال من السنة المذكورة ففرح بهم وأكرمهم ، وصرح لهم
بالغزو والرضا عنهم ، فأغبطوا بذلك ، وانقلبوا الى اهلهم فرحين مستبشرين .
ثم كان الصلح بينهم وبين الودايا بضريح المولى ادريس رضى الله عنه وفتحت
أبواب المدينة بعد الحصار ستين وثلاثة أشهر ، وكان ذلك في ذى القعدة
من سنة احدى وستين ومائة والاف ، ولما حضر العيد قدموا على السلطان
وهو بمكناسة بالخير وعادوا به خوفا من البربر .



خروج العبيد على السلطان المولى عبد الله وبيعتهم لولد سيدي محمد والسبب في ذلك



لما راجع أهل فاس طاعة السلطان المولى عبد الله واصطلحوا مع النودابا
وهدأت الفتنة ساء البربر ذلك وكرهوه ، وبلغهم مع ذلك ان السلطان قد
استنفر العبيد لغزوهم فاحتالوا في تفريق الكلمة على السلطان بأن أخذوا
في شن الغارات على العبيد بمكناسة والتضييق عليهم واخطاف أولادهم
من البحائر والجنات ، فراسل العبيد البربر في المسألة والصلح فقالوا لهم :
« ان السلطان أمرنا بهذا » فلما سمع العبيد ذلك منهم لم يشكوا في صدقهم
بسبب ما كانوا أسلفوه من التقاعد عن السلطان والتناقل عن النهوض معه
لغزو البربر حتى عاد إلى منزله بعد المعسكرة بأبي فكران كما مر ، ثم
اتفق رأى العبيد على الفتك بالسلطان واغتياله ، ونما إليه ذلك منهم فخرج
فارا من مكناسة إلى دار الديبغ فاستقر بها ، وكان ذلك في صفر سنة
اثنين وستين ومائة وألف .

ولما ضاق العبيد ذرعا بفعل البربر كاتبوهم في الصلح فاجابوهم إليه
على شرط أن يبايعوا سيدي محمد بن عبد الله فبايعوه بمكناسة وبعثوا إليه
بيعتهم وهو بمراكش مع جماعة من أعيانهم ، وخطبوا به بمكناسة
وزرهور والسلطان بدار الديبغ لا يملك من أمره شيئا ، ولما قدم وفد
العبيد على سيدي محمد بن عبد الله رد بيعتهم وعاتبهم على ما ارتكبوه في
حق والده وتألفهم بشيء من المال وأعرض عن الخوض في أمر البيعة ،
اذ كان رحمه الله بارا بوالده ساعيا في مرضاته ، وبعث إليه في صفر من
هذه السنة بهدية قدرها على ما قيل ثلاثون ألف مثقال ، فرجع وفد العبيد من
عند سيدي محمد وقد أيسوا من اجابته إياهم ، ومع ذلك استمروا على
الخطبة بمكناسة وزرهور .

ثم ان السلطان المولى عبد الله رحمه الله لما رأى أن القلوب قد
نفرت عنه وان العبيد والبربر قد امتدت عيونهم الى ولده سيدى محمد
وتعلقت آمالهم به تلافى أمره ، واخذ فى استصلاح الرعية وتألفها ، فأمر
فى شعبان من السنة المذكورة بان ينادى بأسواق فاس على العبيد الذين به
من لم يحضر الى دار الديبغ لوقت كذا فلا يلومن الا نفسه ، فحضر العبيد
الذين بفاس كلهم فأعطاهم خمسة دنانير لكل واحد ، وقال لهم : «ابعدوا
الى اخوانكم الذين بمكناسة فمن اتى منهم الى قبض مثل ما قبضتم فكتبوا
اليهم فلم يزددهم ذلك الا نفورا ، وبعثوا الى البربر الذين بسايس يقولون
لهم : «كل من صادفتموه منا متوجها الى فاس فاقتلوه» وأعلنوا بخلع
السلطان .

ثم استدعى السلطان بعد ذلك محمدا واعزيز كبير البربر ووعد
ومناه فقدم عليه فى اخوانه فى رمضان فأعطاهم عشرة آلاف دينار ، وحضر
العبيد فقدموا عليه أيضا فأعطاهم عشرة آلاف اخرى ، واعطى الودايا عشرة
آلاف أيضا ، واعطى أهل فاس مثل ذلك ، ولج العبيد فى نفورهم وركبوا
رأسهم فى جماعهم عن السلطان والقرب منه .

محبى، سيدى محمد بن عبد الله من مراکش الى مكناسة
وتوسطه للعبيد فى الصلح مع والداه رحمهما الله



ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة والى ففى اواخر جمادى الاولى
منها قدم المولى محمد بن السلطان المولى عبد الله من مراکش الى مكناسة
فوجد العبيد لا زالوا يخطبون به فعاتبهم الى ذلك ، وقال لهم : «انى برى
منكم ومن فعلكم هذا وانما انا خديم والدى» فتركوا الخطبة وراجعوا

بضائرهم وجددوا البيعة للسلطان وتلافوا أمرهم فى طاعته ، وكانت هذه هى البيعة السابعة للعيد مع السلطان المولى عبد الله لانهم خلعوه قبلها ست مرات حسبما مر الخبر عن ذلك مستوفى .

ولما تم لسيدى محمد مع العيد ما أراد من مراجعتهم طاعة والده ارتحل من مكناسة فى جيشه الذى قدم به من الحوز ، وكان نحو أربعة آلاف ، واستصحب معه جماعة من أعيان العيد ، وقدم على والده بدار الديبغ فخرج الودايا وأهل فاس لملاقاته وفرحوا بمقدمه ، ولما دخل على والده أدى التحية وأهدى اليه هدية نفيسة وشفع للعيد عنده فشفعه فيهم ، وقال له : « لا تبث هنا » فقال : « نعم ياسيدى » ولم يبت الا برأس الماء وأصبح غاديا الى مراكش ، ثم حضر العيد فقدم على السلطان جماعة من جروان وبنى مطير فأعطاهم عشرين ألف مثقال ، وقسم عليه قواد العيد من مكناسة فلم يعطهم شيئا .

وفى هذه السنة توفى المولى أحمد بن السلطان المولى عبد الله بفاس ودفن بقبور الأسراف رحمه الله .

انحراف العيد ثانية عن السلطان المولى عبد الله

والتجاؤهم الى ابنه سيدى محمد بمراكش والسبب فى ذلك

لما أعطى السلطان المولى عبد الله بنى مطير وجروان عشرين ألف مثقال وحرّم العيد قامت قيامتهم وقلبوا للسلطان ظهر المجن ، واتفقوا على الذهاب الى ابنه سيدى محمد بمراكش فقدموا عليه فى ذى القعدة سنة أربع وستين ومائة والى ألف ، وقالوا له : « اما ان تكون سلطاننا واما أن نباع عمك المولى المستضى » وشكوا اليه اهمال والده جانبهم وقالوا له : « انه أعطى البربر أعداء الدولة وحرمانا فرضخ لهم بشئ من المال طيب به

نفوسهم ، وكتب لهم كتابا الى والده يستعطفه لهم ، وانقلبوا من عنده
مسرورين .

واما السلطان المولى عبد الله فانه لما سمع بذهاب عييد مكناسة الى
مراكش أعطى الودايا عشرة آلاف ريال ، واعطى العييد الذين معه ثلاثة
آلاف ريال ، ولما قدم عييد مكناسة على السلطان بكتاب ابنه سامحه
وأعطاهم عشرين الف ريال وتم الصلح بينهم وبينه وعادوا الى مكناسة
مقبطين .

وفي هذه السنة بعث سيدى محمد من مراكش بهدية الى والده
مع جماعة من اصحابه فأتى عليه خيرا ودعا له به ، وفيها ورد الخبر بأن
أهل تطاوين قتلوا عاملهم أبا عبد الله الحاج محمدا تميم ، ثم قدم جماعة
منهم على السلطان معذرين من قتله ، فقال لهم : « أنتم وليتموه عليكم وأنتم
قتلتموه فاختاروا لانفسكم » فوقع اختيارهم على أبى عبد الله الحاج محمد
ابن عمر الوقاش فولاه عليهم وانصرفوا الى بلدهم .

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة وألف فيها قدم أهل تطاوين
على السلطان المولى عبد الله لحضور عيد المولد الكريم ويدهم هدية مقدارها
ثلاثون ألف مقال ، وقدم بصحبتهم بالشدور الاصنيول ومعه مائة ألف
ريال وما يناسبها من الحرير والملف والكتان وغير ذلك بقصد فكك اسرى
جنسه ، فقبض السلطان المال وقال للباشدور : « حتى تأتوا بأسرى المسلمين »
وأعطى العييد من ذلك المال رباين لكل واحد وأعطى نساءهم مثل ذلك ،
وكانوا الفين ومائتين .

ثم دخلت سنة ست وستين ومائة وألف فيها قدم عييد مكناسة على
السلطان لحضور العيد فأعطاهم عشرة آلاف ريال ، وفيها نهض أهل فاس
لشراء الحبل والعدة والاكار منها .

وفيها انعقدت الشروط بين السلطان وبين جنس الاصطادوس ، وهم
سبع قبائل من الفلامنك ، وهى اثنان وعشرون شرطا مرجعها الى عقد الامان

والصلح بين الايالتين ، وان يجعل جنس الاصطادوس قنصلا أو أكثر بالبلد الذى يختاره من بلادنا ، ويكون يعطى خط يده المسمى بالباصورت لمن يسافر من مراكبنا الى جهة بلادهم ، وكذلك هم ايضا الى غير ذلك .

وفى هذه السنة أو ما يقرب منها أغار نصارى الجديدة على آزمور واقتحموا ضريح الشيخ أبى شعيب ليلا وقتلوا به عددا كثيرا من أهل آزمور نحو الخمسين ، وكانت الليلة ليلة جمعة ، وعادة أهل آزمور أن يبيتوا ليلة الجمعة بضريح الشيخ المذكور ، ففما ذلك الى النصارى الذين بالجديدة فجاءوا مستعدين حتى اقتحموا عليهم على حين غفلة وأطفأوا المصابيح ووقع القتل حتى كان المسلمون يقتل بعضهم بعضا ورجع النصارى عودهم على بدئهم .

وذكره لويز مارية مؤرخ الجديدة فقال ما ملخصه : «وفى ليلة الثمانى عشر من نونبر سنة اثنتين وخمسين وسبع عشرة مائة مسيحية خرج عشرة من برتقال الجديدة وقصدوا آزمور حتى دخلوا ضريح الشيخ أبى شعيب ليلا وقتلوا هنالك اربعين من المسلمين وقامت الهيعة بالبلد وتسايقوا اليهم على الصعب والذلول فرجع النصارى من حينهم وأدركهم المسلمون بالطريقة فجرحوا بعضهم ونجوا بعد مشقة فادحة ، هكذا زعم لويز وان النصارى كانوا عشرة فقط وأهل آزمور يزعمون أنهم كانوا أكثر من ذلك بكثير والله أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة والى فلم يكن فيها حدث فى الدولة . ثم دخلت سنة ثمان وستين بعدها فيها توفى محمد واعزيز كبير آيت ادراسن ووازعها الذى كانت تقف عند اشارته وتجري امورها على مقتضى ادارته .

فتنة آيت ادراسن و كروان مع الودايا والسبب في ذلك



لما مات محمد واعزيز ولم يبق بآيت ادراسن من يقوم فيها مقامه
فهاجت الفتنة بينهم وبين جروان ، فزحفوا الى كروان ووقعوا بهم فانهزم
كروان أمامهم ولجأوا الى دار الديبغ معصمين بها ومستجيرين بالسلطان
الذى بها ، وضاق بهم رحب الفضاء وعدموا المرعى فشرعوا فى بيع مواشيهم
فبلغت البقرة بسوق فاس خمس اواق والشاة أوقية ، فأمر السلطان المولى
عبد الله الودايا بنصرتهم وآخى بينهم وإينهم ، وعقد لهم حلفا مؤكدا معهم
تقاموا لحمايتهم والدفاع عنهم ، وانشبوا القتال فكانت الهزيمة على آيت
ادراسن ، ففرت خيلهم ومقاتلتهم وانكسرت حلتهم وقتلوا فى كل وجه
ومن سلم منهم لجأ الى بلاد شراقة فاستجار بها ، فكان عدد من قتل منهم
بتلك الوقعة نحو الخمسمائة ، وهذا سبب حلف الودايا مع جروان .

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة والف فيها قدم على السلطان المولى
عبد الله عيد مكناسة ورغبوا اليه فى الذهاب معهم اليها اذ هى دار ملكه
وملك ابيه من قبله فقال لهم : « كيف أذهب معكم وفى وسطكم فلان وفلان ؟
لجماعة سماهم منهم كانوا منحرفين عنه فرجع العبيد الى منزلهم ، ولما جن
الليل طرقت اولئك المسمين وأمثالهم فى رحالهم فقتلوه ارضاء لسلطان
وتطيبيا لنفسه . وكان منهم القائد محمد السلاوى ، والقائد سليمان بن
العسرى ، والقائد زعبول وغيرهم .

ولما بلغ السلطان ذلك بعث اليهم باربعين الف مثقال راتبا وصرفهم
الى مكناسة وقال لهم : « اذا فرغت من عملى أتيكم » .

وفى هذه السنة أيضا قدم عليه القائد أبو عبد الله محمد الوقاش ففى
أهل تطاوين بهدية فيها الف ريال وباسارى وسلع من سلع النصارى غنمها
قراصيم ، فأكرمه السلطان وأعطاه جاريتين وانقلب الى اهله مسرورا .
وفىها قدم على السلطان أخوه المولى أبو الحسن المخلوع بدار الديبغ

فأعطاه مالا واثنا قيمته عشرة آلاف مثقال وخيره بين تافيلالت ومكناسة ،
فاختار مكناسة فأعطاه مستفاد مكسها وجنات المخزن التي بها وارضاً للحراثة
فقدم المولى ابو الحسن مكناسة واستوطنها واغبط بها ، ولما جاء وقت ابناء
الحرث وحرث وثب عليه العيد فقبضوا عليه وقيدوه وبعثوا به الى السلطان
مقيدا ، وقالوا له : ان هذا قد افسد علينا بلادنا فحل بيننا وبينه فسرجه
وبعث به الى سجلماسة .

وفى هذه السنة ايضا نهب البربر جميع ماشية الودايا وأفسدوا زروعهم
وبحاثرهم .

ثم دخلت سنة سبعين ومائة وألف فيها كانت بين آيت ادراسن وكروان
حرب غظيمة أعان فيها الودايا كروان فهزموا آيت ادراسن بسيط التخلية
من سايس والله أعلم .



وفاة أمير المؤمنين المولى عبد الله بن اسماعيل رحمه الله



كانت وفاة أمير المؤمنين المولى عبد الله بن اسماعيل رحمه الله بدار
الديبع يوم الخميس فى السابع والعشرين من صفر الخير سنة احدى
وسبعين ومائة وألف ودفن بقبور الاشراف من فاس الجديد حيث دفن ولده
المولى أحمد رحمه الله .

قال صاحب « البستان » : كلن أمير المؤمنين المولى عبد الله فيه شدة
وبطش وبسببهما نفرت قلوب الجند والرعية عنه وبقي مهملا بدار الديبع
سنين لا يأتيه أحد وبيعه فى أعناق الناس وهم فارون منه لكثرة ما سفك
من الدماء بغير سبب ظاهر . واستمرت حاله على ذلك مدة من اثنتى عشرة
سنة من سنة تسع وخمسين الى سنة احدى وسبعين ومائة وألف رحمه الله
وغفر لنا وله ولسائر المسلمين . ومما مدح به هذا السلطان قول بعضهم :

عليك سلام يا ضياء العوالم
ويا من سما غضبا على كل جاهل
وأصبح ظل الله في الارض ناظرا
ويا من كساه الله منه مهابة
ويا من له حزم وعزم وسطوة
كفاك افتخارا ان عزك ظاهر
وكون سجايك التي فاح عرفها
لعمري لقد ألفت اليك زمامها
فقمتم على الملك المشيد ركنه
وأغناك رب الناس عن جمع عسكر
ونفس علت فوق السماكين همة
فجئت وسيل الغرب قد بلغ الزبي
ونار الشرور في الفجاج تأججت
فدوخته من بعدما استسرت به
فأمتنا من كل طار وطارد

ويا بهجة الاشراف من آل هاشم
وأصبح مسرورا به كل عالم
الى كل مسكين بمقلة راحم
تذل لها رغما أنوف الاعاجم
تفتت ارهابا قلوب المضراثم
وجودك منسى به جود حاتم
سجايا الملوك الشم أهل المكارم
ضروب العلا اذ كنت أحزم حازم
تدود لديه بالقنا والصوارم
برأى مصيب للعساكر هازم
وعقل غنى عن هدية عالم
وأسواقه معمورة بالجرائم
فطاب لاهل البغي هك المحارم
بغاث وقد طالعت رعاة البهاشم
وحصنتنا من كل داه وداهم

انعطاف الى سياقة الخبر عن آخر امر المولى المستضى، رحمه الله



قد تقدم لنا أن السلطان المولى عبد الله خرج سنة سبع وخمسين ومائة
وألف في طلب أخيه المولى المستضى ، وأنه دوخ بلاد الحوز لاجله وشرده
عن جبال مسفيوة ، ولجأ الى مراکش فطرده أهلها ولما لم يجد بالحوز مستقرا
رجع أدراجه يقتري البلاد والقري ، ويصل حرارة التهجير ببرك السرى
فاجتاز بلاد دكالة ثم بامسنا ثم بنى حسن فزهدوا فيه فقدم الى طنجة
وأعمالها فاستقر بالفحص منها وطاب له المقام به ، وعسف اناسا في تلك

المدة الى ان عدا على القائد عبد الكريم الريفى فسجنه وسلمه وأخذ ماله كما مر ، فوئب عليه أهل الريف وقبضوا عليه ونهبوا خيله ومضاربه وأنائه وسلبوا أصحابه وامتنحوه وأوثقوه حتى يعثوا به الى أخيه المولى عبد الله ثم بدا لهم فسرحوه ، ولما خلاص من المحنة كتب الى أخيه المولى عبد الله وهو بفاس يعتذر اليه عما سلف منه ويطلب منه محلا يستقر به فأجابته السلطان المولى عبد الله : « بأنك لم تأت الى ذنبا ولم ترتكب فى حقى عيبا انما كنت تطلب ملك أريك كما كنت أطلب ملك أبى والآن فإن أردت الحمول مثلى فأقم بأصيلا واسكن بها فهى أحسن من دار الديبغ التى أنا بها وأرح نفسك كما أرحتها ، وإن كنت انما تطلب الملك فشأنك وإياه فأتى لا انازعك فيه والسلام » . فلما وصل اليه كتاب السلطان انتقل الى آصيلا واستوطنها واعتنى بها وأصلح ما يحتاج الى الاصلاح منها ، وأصلح دار الخضر غيلان التى بقصبتها وسكنها سنة أربع وستين ومائة وألف ، واجتمع عليه بعض أهل الطمع والشره ممن كان هنالك فدلوه على وسق الزرع للكفار وتوسطوا له فى الكلام مع بعض تجار النصارى الذين بطنجة وتعاهدوا معه على وسقه ، فانتقل ذلك التاجر الى آصيلا ، ولما قدم عليه مركبه وسق الزرع وأدى صاكنه أى واجبه فظهر للمولى المستضى الربيع فى ذلك فشرعت نفسه ورغب فى شراء الزرع وبيعه ممن يأتيه من التجار ، وتسامع النصارى بأن الزرع يوسق من مرسى آصيلا ، فلم تمض الا أيام قلائل حتى قدمت مراكبهم من كل وجه وعمرت المرسى وقصد الاعراب البلد بالقمح والشعير من كل فج ، والمولى المستضى يشتري منهم ويبيع للنصارى ، والمراكب تسق ما قدرت عليه ، فكان يحصل له الربيع فى ذلك مضاعفا ربيع الثمن وربيع الصاكة فحسن حاله وأثرى وكثر تابعوه ، وأخذ فى شراء العمدة من تطاوين وتسليح أصحابه وتقويمهم .

واتصل خبره بالسلطان المولى عبد الله فقدم على اذنه له فى المقام هناك وكتب الى القائد أبى محمد عبد الله السفينانى يأمره بالزحف الى المولى المستضى وحصاره بأصيلا حتى ينفية عنها ، وكتب الى ولده سيدى محمد

بمراكش يأمره أن يبعث إليه من يخرج منه ويكون معه القائد عبد الله السفيناني في خمسمائة من الخيل ، فبعث إليه سيدي محمد رفيقه وابن عمه المولى ادريس بن المنتصر في مائة فارس ، وأمره أن يستحب معه في طريقه عبد الله السفيناني في خمسمائة من الخيل كما رسم له والده ويضيقوا على المولى المستضيء بأصيلا حتى يخرجوه منها ، فمضى المولى ادريس والسفيناني حتى نزلا عليه وحاصراه فخرج اليهما وراود ابن اخيه المولى ادريس على الافراج عنه وتركه وشأنه ، واعتذر اليه بأن السلطان اذن له في سكني أصيلا وأعطاه مستفاد مرساها ينتفع به ، فلم يقبل المولى ادريس منه ولم يزل به حتى أخرجه ، واستولى على ما وجد بداره من مال وأثاث وسلاح وبارود وغير ذلك ، فساقه الى عمه السلطان المولى عبد الله .

وأما المولى المستضيء فانه لما خرج من أصيلا سار الى فاس فنزل بضريح الشيخ أبي بكر بن العربي رضى الله عنه ، وقدم ولده الى السلطان المولى عبد الله يشكو له ما فعل به ولده سيدي محمد من تجهيز العساكر اليه ونفيه عن أصيلا ، فكان من جواب السلطان أن قل له : « قل لايبك ذاك لا سبيل لي عليه ، هو أعظم شوكة مني ومنك فسر الى بلاد أبيك وجدك وأرح نفسك من التعب والموت قريب مني ومنك » . فلما بلغه كلام السلطان لم يسعه الا التوجه الى مدينة صفرو بعد أن ترك عياله بدار الشريف المولى التهامي بالجوطيين من فاس ، ونزل هو بدار الامارة من صفرو ، ولما قدم المولى ادريس بن المنتصر على السلطان بمال المولى المستضيء وأثاثه قبض السلطان البارود والسلاح ورد الباقي ، وأرسل الى عامل فاس يأمره أن يكتب الى المولى المستضيء ليعث وكيلا يحوز اليه متاعه ، فكتب اليه فبعث من حاز ماله وأثاثه ودفعه الى عياله بدار المولى التهامي . وكان المولى المستضيء لما اطمانت به الدار بصفرو بعث الى أعيان آيت يوسى على ما قيل تقدموا عليه فندبهم الى نصرته والقيام بدعوته فتخاذلوا عنه وقالوا له : « سر الى آيت ادراسن وكروان فان أجا بوك فنحن معهم ولما لم يتم له أمر بصفرو بعث من حمل اليه عياله وأثاثه من فاس وذهب الى سجلماسة فاستوطنها وذلك

سنة ست وستين ومائة وألف ، وأعرض عن الملك وأسيابه واستمر مقيما بها الى أن توفي سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف رحمه الله وغفر له .

انعطاف الى سياقة الخبر عن هؤلاء العبيد الذين جمعهم السلطان المولى اسماعيل من لدن وفاته الى د ولت السلطان سيدى محمد بن عبدالله



قد تقدم لنا ان السلطان المولى اسمعيل كان قد اعتنى بجمع العبيد وترتيبهم وتهذيبهم الى أن بلغ عددهم مائة وخمسين ألفا ، وبلغوا في أيامه من العز والرفاهية وتشييد الدور والقصور وارتباط الجياد واتخاذ السلاح واقتناء الاموال وحسن الشارة والزي مالم يبلغه غيرهم ، وكان بالمحلة من مشرع الرملة منهم سبعون ألفا ما بين خيل ورماة ، وكان عدد اليكشارية منهم ، وهم أصحاب الباشا مساهل ، خمسة وعشرين ألفا كلهم رماة الا القواد منهم فانهم كانوا أصحاب خيل ، وكان بتانوت ووجه عروس منهم خمسة آلاف يدعون قواد رؤوسهم كلهم أصحاب خيل ، وباقي العدد وهو خمسون ألفا كانوا متفرقين في قلاع المغرب لعمارتها وحراسة الطريق وحماية الثغور ، وكانوا في غاية من الكفاية والسعة لان كل قبيلة من قبائل المغرب كانت تدفع أعشارها في قلعتها المبنية بها لمؤنة جيشها وعلف بخيلها ، واستمر ذلك الى أن توفي السلطان المولى اسمعيل رحمه الله فانقزع بوفاته عن جيش القلاع المدد الذي كان به قوامهم .

ولما ولى بنوه من بعده واتصلت الفتن بينهم أهملوا أمر هؤلاء العبيد ولم يلتفتوا اليهم فضعفت مادتهم وتلاشى أمرهم ، وانتشروا في القبائل التي كانوا مجاورين لها للتكسب على أنفسهم وأولادهم ، ولما أعروا تلك القلاع التي كانوا مقيمين بها امتدت اليها أيدي القبائل من العرب والبربر بالنهب والتخريب واقتلعوا أبوابها وخشبها وما راق منها وتركوها خاوية على

عروشها لم يبق بها الا الجدران قائمة ، وهكذا كان مآل محلة مشرع الرملة فانه لا ارتحل العبيد عنها الى مكناسة أيام السلطان المولى عبد الله خلفهم بنو حسن فيها بالنهب والتخريب ، وكل من عثروا عليه متأخرا بها نهبوه واستلبوا ما معه وأخذوا كل ما تركوه مما ثقل عليهم حتى يرجعوا اليه اذ كان العبيد يظنون انهم سيرجعون الى مشرع الرملة ، ثم تجاوزت بنو حسن ذلك الى تخريب الدور والقصور وحمل أبوابها وخشبها الى سلا فكانت تباع بها بالبخر ، فقد كان بهذه المحلة دور وقصور ليست بالحواضر ، وكان كل قائد منهم يفخر على نظيره ببناء أعظم من بنيه وتشيد فوق تشيده وتميق أحسن من تميقه وتزويق أبداع من تزويقه فأتى بنو حسن على ذلك كله وانتسفوه ، وطمسوا أعلامه فى أسرع من لحس الكلب أنفه ولم يركوا الا الجدران قائمة الا أن خربوها بعد ذلك شيئا فشيئا ، بل صاروا يعثرون الارض على الدفائن التى بها فعثروا من ذلك على شيء كثير .

ثم أن العبيد الذين رحلوا الى مكناسة لم يصل منهم اليها الا دون النصف اذ تفرقوا فى القبائل وقت رحيلهم فكل من كان أصله من قبيلة قصدها وكل من كان له مدشر عاد اليه . ثم الذين وصلوا الى مكناسة لم يستقر بهم قرار لقلة ذات اليد وغلاء الاسعار ، وكان الوقت وقت مجاعات وفن ، فلم يبق بها الا القواد أهل اليسار وأهل الحرف الذين يتعيشون بحرفهم ، ومع ذلك فقد ضاقت بهم السكنى بها من أجل غلبة البربر الذين كانوا يغيرون عليهم ويتخطفون أولادهم من البحائر والجنان المرة بعد المرة ، فسلل جلمهم للمعاش بالقرى والقبائل ونسوا أمر الجندية والتمرس بالقنا والقنابل ، وتفرق منهم ذلك الجمهور . والله عاقبة الامور .

ولما وقعت الزلزلة بمكناسة سنة تسع وستين ومائة وألف حسبما نذكره فى الاحداث هلك من العبيد فحسب نحو خمسة آلاف وهكذا لم يزلوا فى تلاش واضمحلال وتناثر واختلال الى أن كانت دولة السلطان الاعظم المولى محمد بن عبد الله رحمه الله فأدرك منهم صابة يسيرة وعصابة حقيرة ، فاعتنى بهم وجمعهم من القبائل بعد الانتشار ، وأحيا رسمهم بعد

الاندثار ، وأظهرهم بعد الحمول ، وأركبهم المسومة من الخيول ، ورفع لهم الاعلام والبنود ، وصيرهم من أعز الجنود ، وهو الذى جدد هذه الدولة الاسماعيلية بعد تلاشيها ، وأحيائها بعد خمود جمرتها وتمزيق حواشيها ، بحسن سيرته ويمن نقيته رحمه الله تعالى ورضى عنه .

وهنا انتهى بنا الكلام على السادة الاشراف أولاد المولى اسمعيل رحم الله الجميع بمنه . قال أكنسوس : والحق الذى لاشك فيه أن كل من قام منهم بعد بيعة السلطان المولى عبد الله فانما هو نائر عليه لا امامة له وانما يكون خبره مسوقا من جملة اخبار دولة المولى عبد الله .

قلت : ومثله يقال فى السلطان المولى أحمد بن اسمعيل فهو الامام المعتبر والمولى عبد الملك خارج عليه وقد علم من مذهب الاشعرية أن طرو الفسق لا يعزل الامام . والله تعالى اعلم واحكم .



انعطاف الى سياقة الخبر عن خلافة سيدى محمد بن عبد الله بمراكش

من مبتدئها الى منتهاها



قد تقدم لنا ان السلطان المولى عبد الله كان قد خرج سنة سبع وخمسين والف فى طلب أخيه المولى المستضى الى أن شرده عن بلاد مسفيوة وانه قدم عليه هنالك أهل مراكش ورغبوا اليه أن يدخل حضرتهم ولم يساعده الوقت ، فلما عزم على القفول الى بلاد الغرب بعث ولده الاكبر المولى احمد الى رباط الفتح نائباً عنه بها ، وأضاف اليه قبائل الشاوية وبنى حسن ، وما بينهما ، وبعث ولده الاصغر سيدى محمدنا مع أهل مراكش نائباً عنه فيها فكان ذلك اول انفراس شجرة الملك العلوى بمراكش واتخاذها كرسيا لهم ، ولما وحل سيدى محمد رحمه الله الى مراكش نزل بقصبتها وهى يومئذ خراب ليس بها الا آثار السعديين والموحدين قبلهم ، قد أخنى

عليها الدهر وعشش بها الصدا والبوم فضرب بها مضاربه ، ثم شرع رحمه الله في حفر أساس داره بالفضاء البعيد عن القصور الحربية بها من داخل السور ، ولما رأى عرب الرحامنة ذلك اتفقوا على منعه لانهم كانوا قد القوا الغيث في أطراف مراکش فأحبوا ان لا تكون بها دولة تكبحهم عن ذلك ، فاجتمع طائفة من غوغائهم وتقدموا الى الخليفة سيدي محمد وجهوه بالنسح واخرجوه عن القصة به دان شرع في العمل ، فانتقل سيدي محمد رحمه الله عن مراکش الى آسفى .

واما المولى احمد صاحب العدوتين فانه قدم رباط الفتح ونزل بالقصة منها وانضاف اليه عبيد القصة واستمر خليفة بها الى أن سمع أهل العدوتين ما عامل به الرحامنة خليفة مراکش فجرى هؤلاء على سنتهم واتفقوا على طرد المولى أحمد بن عبد الله عن بلادهم فتقدموا اليه بالحرب وحاصروه بالقصة ومعه عبيد فلان الذين كانوا فيها ادالة من عهد السلطان المولى اسمعيل ، وقطعوا الميرة والماء الى أن مسهم الجهد وغضهم الحصار فطلبوا الامان أن يخرجوا بأنفسهم فأمنوهم ، وخرج المولى أحمد فسار الى أخيه سيدي محمد بأسفى فنزل عليه ثم كان آخر امره أن توفى بفاس كما مر سنة أربع وستين ومائة وألف .

ولما خرج المولى احمد الى آسفى عمد أهل رباط الفتح الى عبيد القصة فانزلوهم منها وفرقوهم بالمدينة حتى لا تبقى لهم شوكة ولا عصية . هذا ما كان من خلافة المولى احمد .

واما خلافة سيدي محمد فانه لما خرج من مراکش قاصدا الى آسفى اعترضته قبائل عبدة وأحمر وضيوفه ببلادهم وأهدوا اليه ، وتسابقوا على الخيل ولعبوا بالبارود سرورا بمقدمه وتنوينا بشأنه ، وصحبوه الى آسفى فدخلها ونزل بقصبتها ففرح أهل آسفى بمقدمه واعتبطوا به وكان مبارك الناصية أينما توجه ولما اطمانت به الدار رفع اليه أهل آسفى هداياهم ، وتبعهم على ذلك تجار النصارى واليهود وتباروا في ذلك وتنافسوا فيه وعمر سوقه عرب عبدة برجالاتهم وأعيانهم ، وبذلوا له أولادهم لخدمته وإوصلوه

بكل ما قدروا عليه ، وسرح للتجار وسق السلع بالمرسى فأهرعت اليهم المراكب من بر النصارى بأنواع سلعها ، وقصدها التجار بالبضائع من كل جهة يبيعون بها ويشترون ، وكثرت الخيرات ونمت البركات ، فاستركب واستلحق وعلا امره وطار صيته في البلاد الحوزية ، ودخل الشياظمة وحاجة في طاعته وتباروا في خدمته ، فلم تمض ستة اشهر حتى كان يركب في نحو الالف ، فلما سمع الرحامنة ما صار اليه أمر عبدة وأحمر أقاتلهم من تشرفهم بولائه وتقدمهم في خدمته نفسوا ذلك عليهم وراجعوا بصائرهم فاجتمع طائفة من اعيانهم وقدموا عليه آسفى ، وقدموا بين يديهم هدية استرضوه بها . ولا دخلوا عليه اعتذروا اليه مما فرط منهم ونسبوا ذلك الى السفهاء وانهم لم يأمرؤا بشيء من ذلك ولا رضوه ، واقسموا له ان لا يبرحوا من بابه حتى يسير معهم الى مراكش ولو أقاموا هنالك سنة ، واسعفهم وسار معهم وصحبه من أعيان عبدة نحو ألف فارس ، وكان فى موكبه من أصحابه وحاشيته نحو الخمسمائة كلهم بالخيول المسومة والشابة الحسنة والشكة التامة .

ولما انتهى الى مراكش نزل بالقصبة وجاءه أهل مراكش بهداياهم وكذا قبائل الحوز ، ثم تلاهم قبائل الدير كله بهداياهم أيضا وجاء الرحامنة بأولادهم للخدمة السلطانية منافسة لعبدة وأحمر فى ذلك ، وقفاهم فى ذلك سائر أهل الحوز ، وقدم عليه عبيد دكالة الذين كانوا بسلا فاجتمعوا اليه وحسنت منزلتهم عنده . ولما سمع بذلك عبيد مكناسة تسللوا اليه فراى وأزولجا فاستعملهم فى خدمة البناء فبنوا بيوتهم واصلحوا شؤونهم ، واجتهد هذا الخليفة فى بناء داره الكبرى بقصبة مراكش الى أن اكملها وسكنها ، ثم شرع فى بناء ما تلاشى من اسوار القصبة وركب أبوابها وأفردها عن المدينة ، ثم غرس بستانا عظيما متصلا بداره الكبرى على جهة الغرب سماه النيل ، وأسس قصرا آخر متصلا بغربى هذا البستان سماه القصر الاخضر ، ويسمى أيضا المنصور ، وجعل لهذا البستان أربعة أبواب فى زواياه الاربع كذا قيل والموجود اليوم ثلاثة أبواب فقط وجعل له بابين آخرين أحدهما للدار

الكبرى شرفا والآخر للقصر الاخضر غربا ، وجعل في وسط هذا البستان قبة متخبة يتصل بها من جهاتها الاربع ممشى تمضى الى قباب آخر متخبة أيضا ، وطول هذا البستان ينيف على مائتى خطوة تقريبا وعرضه قريب من ذلك ، وهذا القدر هو مساحة ما بين القصرين أغنى الدار الكبرى والقصر الاخضر ، ثم أصلح هذا الخليفة جامع المنصور الذى بالقصة اذ كان متهدما يومئذ ، ثم أسس مسجدا آخر المخطبة بجوار قصره وهو المعروف اليوم بمسجد بريمة ، وهو مسجد حافل بديع ، وبنى مدرستين لطلبة العلم بالقصة المذكورة ، وبنى حماما ببريمة ، وعمر مساجد غير ذلك للآحرا روالعيد ، وفرق الاموال على من انحاش اليه منهم لعمارة مساكنهم وبناء دورهم بعد أن كانت من الطين والقصب ، وكتب الكتاب وجند الاجناد فاجتمع لديه من العيد ألف وخمسمائة كلهم فارس شاكى السلاح ، ومن عبدة وأحمر مثل ذلك ، ومن الرحامة وأهل الحوز ألف فارس كذلك .

ولما خرج العيد بمكناسة على والده وقدموا عليه بمراكش مبايعين له عاقبهم وقدم مكناسة وأصلح بينهم وبين والده كما مر .

ولما كانت سنة تسع وستين ومائة والف غزا بلاد انوس ودوخها ومهد أنظارها وجبى أموالها وقرر الحامية بتارودانت منها ، ثم سار الى أكادير فقبض على الطالب صالح التائر به والمستبد بمال مرساه فسجنه واستنقى أمواله التى استفادها من المرسى ورتب الحامية فى أكادير أيضا ، ثم إن الطالب صالحا المذكور ذبح نفسه فى السجن وأفضى الى ما قدم بعد أن ترك فى القطر السوسى صينا وذكرى ، وهو الذى يوجد طابعه على السلاح السوسى من مكحلة وسكين وخنجر الى الآن وهو سلاح منتخب عندهم .

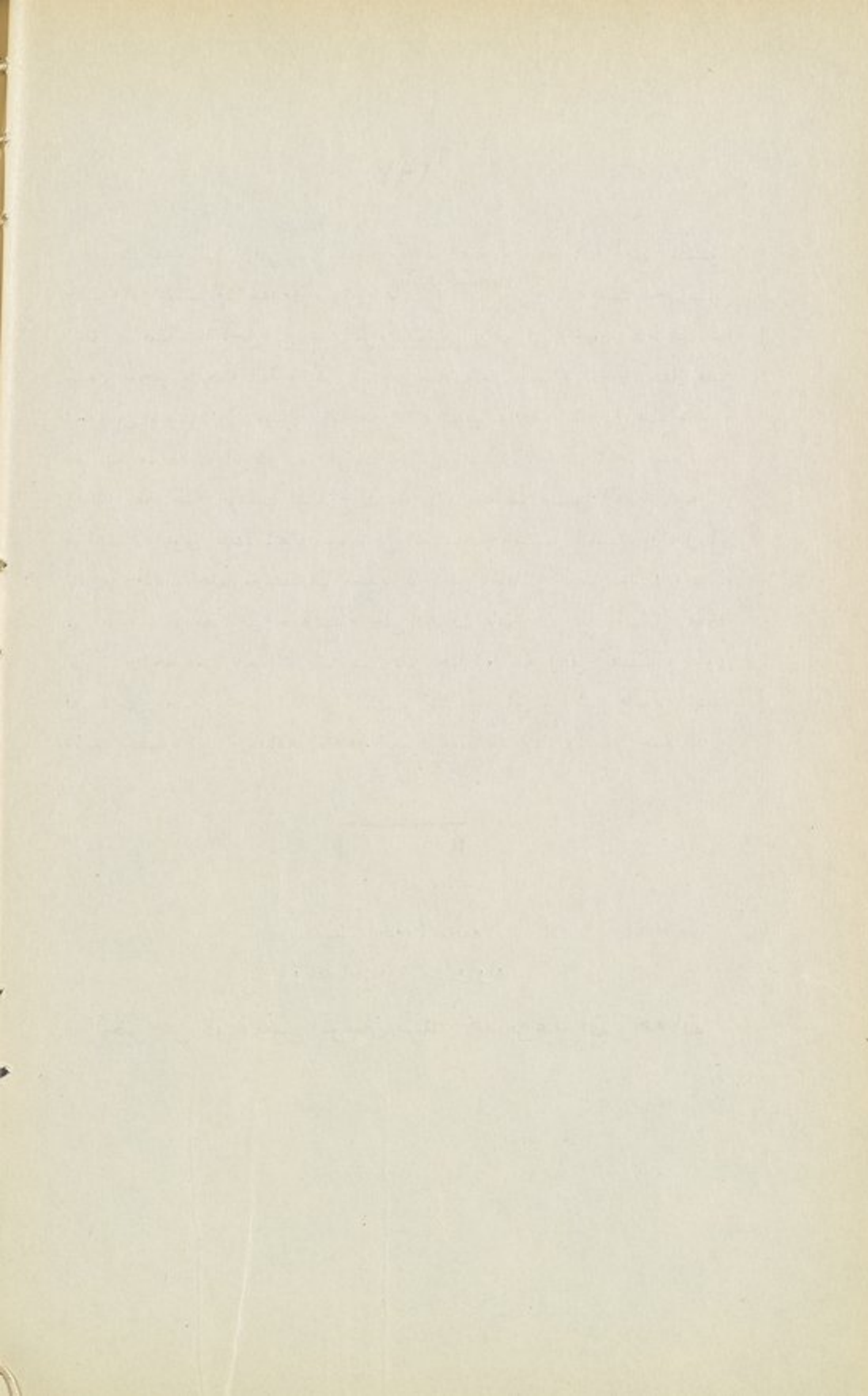
وقفل الخليفة سيدى محمد رحمه الله الى مراكش مؤيدا منصورا فمكث فيها اياما يسيرة ثم خرج غازيا بلاد الشاوية فى السنة نفسها لما ظهر منهم من الفساد وقطع الطرقات ونهب المارة ، فقتل من أعيانهم عددا وبعث الباقي فى السلاسل الى مراكش .

ثم تقدم الى أرض سلا فبات يرباط الفتح وخرج اليه أهلها بالمؤن والهدايا واستبشروا بمقدمه . واما أهل سلا فلم يخرج اليه منهم احد بل أعلق صاحبها عبد الحق بن عبد العزيز فيش أبوابها في وجهه ، فأعرض عنه سيدى محمد رحمه الله وتكب المرور بسلا وعبر مشرع المجاز أسفل من العدوتين ، وسار الى قصر كرامة من بلاد الهبط ، فقدم عليه به عبيد مكناسة مع كبيرهم الباشا الزيانى ، وفى ذلك اليوم قتل العبيد باشاهم المذكور وقتلوا معه القائد يوسف السلاح لانهما كانا يمنعا من القدوم عليه الى مراکش ، فولى عليهم القائد سعيد بن العياشى . ومن الغد ارتحل الى تطاوين فتلقاء أهلها مع قائدهم محمد بن عمر الوقاش فقبض عليه وتهده ثم أطلقه . ثم مضى الى جهة سبتة حتى أشرف عليها ، ثم سار منها الى طنجة ثم كر راجعا فمر بالعرائش ثم بسلا فلم يحفل به عبد الحق أيضا ، فطوى له سيدى محمد رحمه الله على البت . ثم سار الى مراکش فاستقر بها مؤيدا منصورا الى ان وافته الخلافة الكبرى بها بعد وفاة والده رحمه الله .



ثم الجزء السابع
ويليه الجزء الثامن وأوله

الحبر عن دولة امير المومنين سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله



فهرس الموضوعات

صيفة

- ٣ الخبر عن دولة الاشراف السجلمايين من آل على الشريف
وذكر نسبهم وأوليتهم .
- ٤ دخول المولى حسن بن قاسم الى المغرب واستيظانه بسجلماية
والسبب فى ذلك .
- ٧ ذكر ذرية المولى حسن بن قاسم وتناسلها بالمغرب والالمام
بشئ من مناقب المولى على الشريف .
- ١٣ الخبر عن رياسة المولى الشريف بن على وما دار بينه وبين أبى
حسون السملالى المعروف بأبى دميعة .
- ١٥ الخبر عن امارة المولى محمد بن الشريف وبيعته بسجلماية
والسبب فى ذلك .
- ١٦ استيلاء المولى محمد بن الشريف على درعة وطرده أبى
حسون السملالى عنها .
- ١٦ وقعة القاعة بين المولى محمد بن الشريف وأهل زاوية الدلاء
وما نشأ عنها .
- ١٩ استيلاء المولى محمد بن الشريف على فاس ثم رجوعه عنها .
- ٢٠ استيلاء المولى محمد بن الشريف على وجدة وشبهه الغارات
على تلمسان وأعمالها وما نشأ عن ذلك .
- ٢٢ مراسلة عثمان باشا صاحب الجزائر للمولى محمد بن الشريف
وما دار بينهما فى ذلك .
- ٢٧ ثورة المقدم أبى العباس الخضر غيلان الجرفطى ببلاد الهبط .
- ٢٨ وفاة المولى الشريف بن على رحمه الله .

- اغارة المولى محمد بن الشريف على عرب الحياينة من أعمال
 ٢٨ فاس وما يتبع ذلك .
- قيام المولى الرشيد بن الشريف على أخيه المولى محمد ومقتل
 ٢٩ الاخ المذكور رحمه الله .
- الحبر عن دولة أمير المؤمنين المولى الرشيد بسن الشريف
 ٣٢ رحمه الله .
- فتح مدينة تازا ثم سجلماسة وما تخلل ذلك .
 ٣٣ حصار مدينة فاس ثم فتحها والايقاع بشوارها .
- ٣٤ فتح زاوية الدلائي وتغريب أهلها الى فاس وتلمسان وما
 ٣٦ يتبع ذلك .
- فتح مراكش ومقتل الامير أبى بكر الشبانى وشيعته .
 ٣٨ بناء قنطرة وادى سبو خارج فاس .
- ٣٩ فتح تارودانت وايلنج وسائر السوس .
- ٤٠ تأليف جيش شراقة وأوليتهم وشرح لقبهم .
- ٤١ وفاة أمير المؤمنين المولى الرشيد رحمه الله .
- ٤٣ الحبر عن دولة أمير المؤمنين المظفر بالله أبى النصر المولى
 ٤٥ اسمعيل بن الشريف رحمه الله .
- نورة المولى أبى العباس أحمد بن محرز بن الشريف وما
 ٤٦ كان من أمره .
- انتقاض أهل فاس وقتلهم القائد زيدان واعلانهم بدعوة ابن
 ٤٧ محرز وما نشأ عن ذلك من محاصرة السلطان لهم .
- تجديد أمير المؤمنين المولى اسمعيل ببناء مكناسة الزيتون
 ٤٨ واتخاذها اياها دار ملكه .
- مجيء المولى أحمد بن محرز الى مراكش واستيلاؤه عليها
 ٤٩ ونهوض السلطان الى محاصرته بها .
- ٥٠ تأليف جيش الودايا وبيان فرقهم وأوليتهم .

انتفاض البربر شيعة الدلائين والتفافهم على أحمد بن عبد

الله منهم وإيقاع السلطان بهم . ٥٣

عود الكلام الى بناء حضرة مكناسة الزيتون . ٥٤

تأليف جيش عبيد البخارى وذكر أوليتهم وشرح تسميتهم . ٥٦

غزو امير المؤمنين المولى اسمعيل بلاد الشرق وانعقاد الصلح

بينه وبين دولة الترك أهل الجزائر . ٥٩

خروج الاخوة الثلاثة من أولاد المولى الشريف بن علي

بالصحراء وما كان من أمرهم . ٦٠

نفسل زراة والشبانات الى وجدة وبناء القلاع بالتخوم

وما تخلل ذلك . ٦١

فتح المهديّة ومجاربة ابن محرز بالسوس وما تخلل ذلك . ٦٣

امتحان القضاة والسبب فيه . ٦٦

غزو البربر وبناء القلاع بازاء معاقبتهم . ٦٦

فتح طنجة . ٦٧

غزو البربر ثانيا وبناء القلاع في نحرهم . ٦٨

مقتل المولى أحمد بن محرز وفتح تارودانت وما يتصل بذلك . ٦٨

غزو برابرة فازاز وبناء قلعة آدخسان . ٧٠

بيان تربية أولاد عبيد الديوان وكيفية تأديبهم . ٧١

فتح العرائش . ٧٣

فتح آصلا . ٧٧

حصار سبتة . ٧٧

غزو السلطان المولى اسمعيل برابرة فازاز وإيقاعه بهم . ٧٨

أمر السلطان المولى اسمعيل علماء فاس بالكتابة على ديوان

العييد وامتناعهم منها وما نشأ عن ذلك . ٨٨

تفريق المولى اسمعيل رحمه الله أعمال المغرب على أولاده

وه! نشأ عن ذلك . ٨٩

٩٠. تنازع أولاد السلطان وثورة المولى محمد العالم منهم بالسوس ومقتله .
٩١. محنة الفقيه أبى محمد عبد السلام بن حمدون جسوس رحمه الله .
٩٦. ثورة المولى أبى النصر ابن السلطان بالسوس ومقتله رحمه الله .
٩٨. بناء ضريحى الامامين ادريس الاكبر والاصغر رضى الله عنهما .
٩٩. وفاة أمير المؤمنين المولى اسمعيل رحمه الله .
١٠١. بقية أخبار المولى اسمعيل رحمه الله وما أثره وسيرته .
١١٤. الخبر عن الدولة الاولى لأمير المؤمنين المولى أبى العباس أحمد بن اسمعيل المعروف بالذهبي رحمه الله .
١١٥. اغارة القائد أبى العباس أحمد بن على الريفى على تطاوين وما دار بينه وبين الفقيه أبى حفص عمر الوقاش .
١١٩. الخبر عن دولة أمير المؤمنين المولى أبى مروان عبد الملك ابن اسمعيل رحمه الله .
١٢٢. الخبر عن الدولة الثانية لأمير المؤمنين المولى أبى العباس أحمد الذهبي رحمه الله .
١٢٢. حصار أمير المؤمنين المولى أحمد لفاس والسبب فى ذلك .
١٢٥. الخبر عن دولة أمير المؤمنين المولى عبد الله بن اسمعيل رحمه الله .
١٢٩. حدوث النفرة بين أمير المؤمنين المولى عبد الله وأهل فاس والسبب فى ذلك .
١٣٠. حصار المولى عبد الله مدينة فاس .
١٣٢. نهوض السلطان المولى عبد الله الى قتال البربر وإيقاعه بهم .
١٣٣. ذكر ما صدر من السلطان المولى عبد الله من العنف المختل بالسياسة والتناقض المغير فى وجه الرياسة .

- ١٣٣ هدم السلطان المولى عبد الله مدينة الرياض من حضرة مكانة وما اتصل بذلك .
- ١٣٥ بعث السلطان المولى عبد الله جيش العبيد الى فازاز وايقاع أهله بهم .
- ١٣٦ نورة العبيد على السلطان المولى عبد الله وفراره الى وادي نول وما نشأ عن ذلك .
- ١٣٧ الخبر عن دولة أمير المؤمنين أبى الحسن على بن اسمعيل المعروف بالاعرج رحمه الله .
- ١٣٨ نورة أهل فاس بعاملهم مسعود الروسى وانتقاضهم على السلطان أبى الحسن رحمه الله .
- ١٤٠ غزو السلطان أبى الحسن أهل جبل فازاز فسي جيش العبيد وهزيمتهم اياه .
- ١٤١ تحرك السلطان المولى عبد الله من السوس وفرار السلطان أبى الحسن الى الاخلاف وما كان من أمره الى وفاته .
- ١٤٢ الخبر عن الدولة الثانية لأمير المؤمنين المولى عبد الله بن اسمعيل رحمه الله .
- ١٤٣ الخبر عن دولة أمير المؤمنين المولى محمد بن اسمعيل المعروف بأبى عريبة والسبب فيها .
- ١٤٤ بدء اختلاف أمر السلطان المولى محمد بن عريبة وما تسبب عن ذلك .
- ١٤٤ اغارة السلطان المولى عبد الله على الاصطبل من مكانة وما نشأ عن ذلك .
- ١٤٥ بقية أخبار السلطان المولى محمد بن عريبة وما تخللها من الهرج والشدة .
- ١٤٧ الخبر عن دولة أمير المؤمنين المولى المستضىء بن اسمعيل رحمه الله .

- ذكر ما صدر من السلطان المولى المستضىء من العسف والاضطراب . ١٤٨
- ابقاع الباشا أبى العباس أحمد بن على الريفى بأهل تطاوين . ١٥٠
- شغب العبيد على السلطان المولى المستضىء وفراره الى مراکش . ١٥٠
- مراجعة العبيد طاعة السلطان المولى عبد الله ودخولهم فسى دعوته . ١٥١
- مجيء السلطان المولى عبد الله الى مكناسة وما ارتكبه من أهلهما . ١٥٢
- ابقاع أبى العباس أحمد بن على الريفى بقبائل الغرب وما تخلل ذلك . ١٥٣
- شغب العبيد على السلطان المولى عبد الله وفراره ثانية الى البربر . ١٥٤
- الخبر عن دولة أمير المؤمنين المولى زين العابدين بن اسمعيل رحمه الله . ١٥٤
- قيمة أخبار المولى زين العابدين وانقراض أمره . ١٥٥
- الخبر عن الدواة الثالثة لأمير المؤمنين المولى عبد الله رحمه الله . ١٥٦
- مجيء المولى المستضىء من مراکش ومحاربته لآخيه المولى عبد الله وما يتبع ذلك . ١٥٧
- هدية السلطان المولى عبد الله رحمه الله الى الحرم النبوى على مشرفه أفضل الصلاة والسلام . ١٥٩
- مشايعة الباشا أبى العباس الريفى للمولى المستضىء على المولى عبد الله وزحفه الى فاس وما يتصل بذلك . ١٦٠
- معاودة أحمد الريفى غزو فاس وما كان من أمره مع السلطان المولى عبد الله الى حين مقتله . ١٦٣
- زحف السلطان المولى عبد الله الى طنجة واستيلاؤه عليها . ١٦٥

- ١٦٦ اعتراض المولى المستضىء السلطان المولى عبد الله وعود الكرة عليه ومقتل بنى حسن .
- ١٦٨ نهوض السلطان المولى عبد الله الى بلاد الحوز وتدويخه اياها واجفال المولى المستضىء عنها .
- ١٧٠ وفادة أهل مراکش على السلطان المولى عبد الله بالصمص واستخلافه ولده سيدى محمدا عليهم
- ١٧١ مكر السلطان المولى عبد الله بأعيان البربر واخفار ذمة محمد راعيز فيهم ثم اطلاقهم بعد ذلك .
- ١٧٣ زحف البربر الى السلطان المولى عبد الله بأبى فكران وفراره الى مكناسة .
- ١٧٥ شغب العبيد على السلطان المولى عبد الله وانتقاله الى فاس وانتقال عبيد الديوان من مشرع الرملة الى مكناسة .
- ١٧٦ اجلاب محمد واعزيز على السلطان المولى عبد الله وانتقاض أهل فاس والقبائل عليه .
- ١٧٨ ذكر السبب الذى هاج بعث السلطان المولى عبد الله الجيوش الى أهل الغرب ومراجعتهم طاعته .
- ١٧٩ زحف البربر الى الودايا ومظاهرة أهل فاس لهم عليهم .
- ١٨٠ مراجعة أهل فاس طاعة السلطان المولى عبد الله وانعقاد العليخ بينهم وبين الودايا .
- ١٨١ خروج العبيد على السلطان المولى عبد الله وبيعتهم لولده سيدى محمد والسبب فى ذلك .
- ١٨٢ مجيء سيدى محمد بن عبد الله من مراکش الى مكناسة وتوسطه للعبيد فى العليخ مع والده رحمهما الله .
- ١٨٣ انحراف العبيد ثانية عن السلطان المولى عبد الله والتجاؤهم الى ابنه سيدى محمد بمراكش والسبب فى ذلك .
- ١٨٦ فتنة آيت ادراسن وكروان مع الودايا والسبب فى ذلك .

- ١٨٧ وفاة أمير المؤمنين المولى عبد الله بن اسمعيل رحمه الله .
- ١٨٨ انعطاف الى سياقة الحبر عن آخر أمر المولى المستضىء رحمه الله .
- انعطاف الى سياقة الحبر عن هؤلاء العبيد الذين جمعهم السلطان المولى اسمعيل من لدن وفاته الى دولة السلطان سيدى محمد
- ١٩١ ابن عبد الله .
- انعطاف الى سياقة الحبر عن خلافة سيدى محمد بن عبد الله
- ١٩٣ بمراكش من مبتدئها الى منتهاها .

فهرس الاعلام والقبائل

ابراهيم عليه السلام ١٠٤	حرف (١)
ابن الاشقر - ١١٥ - ١١٧ -	آل ادريس ٦
ابن حرزم ٤٦	آل البيت ٦
ابن الخطيب ٤٨	آل على الشريف ٣
ابن خلكان ١٠٠	آيت ادراسن - ٦٧ - ٨٠ - ١٣٦ -
ابن رشد ٨	١٥٨ - ١٦٠ - ١٦٣ -
ابن زيان الاعور ١٤٩	آيت أيوب - ٦٨ -
ابن شداد ٣٧	آيت حيون - ٦٨ -
ابن الصغير ٣٥	آيت شغروشن - ٦٨ -
ابن عقبة ١٢٧	آيت عطاء - ٦٠ -
ابن غازي ٨	آيت علاهم - ٦٨ -
ابن مشعل ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٦٤	آيت عياش - ٣٩ -
ابن ناصر ١٠٩	آيت قادم - ٦٨ -
ابن عاشر ١١٠	آيت ومالو - ٧٠ - ٧٨ - ٨١ - ٨٦ -
أبو ابراهيم ٦	١٣٢ - ١٣٥ - ١٤٠ - ١٥٨ -
أبو اسحق ابن ابراهيم المصلوحى ١٠٤	آيت واللال ٣٥
أبو اسحق ابراهيم بن هلال ٥	آيت يسرى ٧٨ - ٨٠ - ١٣٢
أبو البقاء العياشى ٦١	آيت يف المال ٧٨
أبو البقاء يعىش الشاوى ١٤٦	آيت يبور - ٨٠ - ٨١ - ١٣٢
أبو بكر بن عبد الكريم الشباني ٣٨	آيت يوسى ٦٨
أبو بكر بن على الفرجى ١١٤	

أبو بكر التاملى ١٩	أبو الدشيش ٩٦
أبو بكر الدلائى ٣٧	أبو الربيع سليمان الزرهونى ٤٧ -
أبو الحسن أبو الشفرة ٥٢	٧٢
أبو الحسن على بن ابراهيم ٧٠	أبو زكرياء بن على الشريف ١٢
أبو الحسن على بن ادريس الجوطى ١٩	أبو زيد عبد الرحمن بن القاضى ١٠٣
أبو الحسن على بن اسمعيل ٩٦ -	أبو زيد عبد الرحمن الروسى ٦٩
١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١	أبو زيد عبد الرحمن الرقى ٨
١٤٢ - ١٨٦ - ١٨٧	أبو زيد عبد الرحمن الشامى ١٤٢ -
أبو الحسن على بن حرزهم ٣٩ - ٤٣	١٤٣ - ١٤٨
أبو الحسن على بن عبد الله الريفى -	أبو زيد عبد الرحمن المنزارى ٤٨ -
٥٧ - ٦٤ - ٦٧ - ٧٨ - ٩٨	٦١
أبو الحسن على بن محمد أبو شعرة	أبو زيد الفاسى ٤٥ - ١٠٨
السلامى ١١٠	أبو سرحان مسعود ١١٠
أبو الحسن على بن يسى ٧٩ - ١١٥	أبو سالم العيانى ٥ - ١٠٩
- ١١٧ - ١١٨	أبو سعيد التمسانى ٣١
أبو الحسن على السلامى ١٣١	أبو سلام بن كدار ٢٧
أبو الحسن على الشريف ٧ - ٨ -	أبو سلام الحمادى ١٦٤
٩ - ١١ - ١٢	أبو شعيب ١٨٥
أبو الحسن على العميرى ١٥١ - ١٥٧	أبو الصون المحجوب الحضرى ٢٢
أبو حسون السمالى ١٣ - ١٤ - ١٥ -	أبو الطيب المتبى ١٨ - ٤٤ - ١٦١
١٦ - ٢٨ - ٤٠	أبو العباس أحمد بن أبى الحسن
أبو حفص عمر بن قاسم المراكشى	على المراكشى ١١٣
- عليلش ٥٦	أبو العباس أحمد بن أبى القاسم
أبو حفص عمر الوقاش ١١٥ - ١١٦	العميرى ١٠٠
- ١٥٠	أبو العباس أحمد بن أبى القاسم
أبو حفص عمر المدنى ١٤٩	الصومعى ٣

أبو العباس أحمد بن اسمعيل الذهبي ٩٧	أبو العباس أحمد حجي ٦٤
- ١١٤ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٩ -	أبو العباس أحمد السلاوي ٨٧ - ١١٠
- ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣ -	أبو العباس أحمد الشدادى ١٥٢
١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦	أبو العباس أحمد الكعيدى ١٤٧ -
أبو العباس أحمد بن حدود البطونى ٧٣	١٤٩ - ١٥٣ - ١٥٤
أبو العباس أحمد بن سعيد المكيلى	أبو العباس أحمد اليمىدى ٥٦ -
٤٥	٦٥ - ٧٨ - ١٠٠
أبو العباس أحمد بن سليمان ١١٣	أبو العباس الحضر غيلان ٢٧
أبو العباس أحمد بن عاشر الحافى	أبو العباس زين العابدين بن اسمعيل
السلاوي ١١١	١٤٩ - ١٥١ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦
أبو العباس أحمد بن عبد الله معن	أبو العباس النقيس ٣٦
الاندلسى ٤ - ١١٠	أبو عبد الله أبو مدين ٧٤
أبو العباس أحمد بن على الريفى	أبو عبد الله أكنسوس ٦٥ - ٦٦ -
٧٨ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١٣٤	٨١ - ٨٨ - ٩١ - ٩٢ - ٩٥ - ١٠٠
- ١٤٦ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ -	- ١١٤ - ١٢٤ - ١٣٨
- ١٥٤ - ١٥٧ - ١٦٠ - ١٦٢ - ١٦٣ -	أبو عبد الله البوعنانى ٤٨
١٦٤ - ١٦٦ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٩	أبو عبد الله الحاج محمد تميم ١٨٤
أبو العباس أحمد بن الهادى	أبو عبد الله الحفيان الرتبى ١٠٤
السجلماسى ١٠٥	أبو عبد الله الخراز ٧
أبو العباس أحمد بن مجرز ٤٧ - ٤٩	أبو عبد الله الدريدى ٢٠ - ٢٩ -
٥٠ - ٥١ - ٥٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٨ - ٦٩	٣٤ - ٥١
أبو العباس أحمد بن محمد بن	أبو عبد الله الصالح ١١١
ماواس ٨ - ٤٦	أبو عبد الله العكرمى ٨
أبو العباس بن موسى الشرقى ١٦٤	أبو عبد الله القاسى ٣٨
أبو العباس أحمد التستوتى ١١١	أبو عبد الله المواتى ٣٠
أبو العباس أحمد التلمسانى ٤٨	أبو عبد الله محمد بن ابراهيم

٤٣ - ١٠٥ - ١٠٦	العمري ٩
أبو عبد الله محمد بن أبي حسون ٤٠	أبو عبد الله محمد بن أبي العباس
١٠٦	المرسی ١٠٣
أبو عبد الله محمد الحاج الدلائلي	أبو عبد الله محمد بن أحمد الفاسي
١٦ - ١٧ - ١٩ - ٢٠ - ٣٤ - ٣٥	٣٦
٣٦ - ٣٧ - ٣٩	أبو عبد الله محمد بن بجة الريفي
أبو عبد الله محمد الهلاوي ١٣٠	١١٧
أبو عبد الله محمد الطيب الفاسي ٧٩	أبو عبد الله محمد بن الحسن المجاصي
أبو عبد الله محمد العربي بردلة ٥٤ -	٣٨ - ٣٩ - ٤٨ - ٥٤ - ٦٩
٩١ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١١٣	أبو عبد الله محمد بن سراج ٨
أبو عبد الله محمد العربي الفاسي ٣	أبو عبد الله محمد بن سعيد المرغيشي ٤
أبو عبد الله محمد العياشي ١٦ - ١٩	أبو عبد الله محمد بن الصيحي ١١١
٢٧ - ٦٣	أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز ٩٤
أبو عبد الله محمد الغالي الادريسي	أبو عبد الله محمد بن عبد القادر
١٥٨	الفاسي ٤٥
أبو عبد الله محمد الفشتالي ١٠٦	أبو عبد الله محمد بن عبد الله
أبو عبد الله محمد المراتب بن محمد	الحسني ٢٨
ابن أبي بكر الدلائلي ٤٣ - ٤٤ -	أبو عبد الله محمد بن عطية ٥٢
١٠٦	أبو عبد الله محمد بن علي الفيلاي ٤٥
أبو عبد الله محمد الوزاني ١٠٧	أبو عبد الله محمد بن العياشي ٥٧ -
أبو عبد الله محمد الوقاش ١٨٦	٦٢
أبو عبد الله المنظري ٢٧	أبو عبد الله محمد بن قاسم الادريسي
أبو عبد الله المساوي ٩٢ - ٩٣ - ١٥٩	- ابن زروق - ١٢٤ - ١٣٧ -
أبو عبد الله الوزير ٧٩	١٣٨
أبو عبد الله اليفرنئي ٧ - ٨ - ١٣ - ٤٠	أبو عبد الله محمد بن ناصر الدرعي
٩٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٩٣	

١٥١ - ١٥٢ - ١٥٧ - ١٧٦	أبو عبيد الشرقى ١٠٤ - ١٠٨
أبو المحاسن يوسف بن علي الشريف	أبو عثمان آحنطال ١٢٠
١١	أبو عثمان سعيد بن أبي بكر ١١٢
أبو محمد بن عبد الله بن حمدون	أبو عزة ١٦١ - ١٦٣ - ١٦٧
جسوس ٧٦	أبو العلاء ادريس بن المهدي المشاط
أبو محمد بن عبد الواحد البوغثاني	١٢٦
٧٤	أبو العلاء محرز بن اسمعيل ٧٨
أبو محمد السفيناني ١٨٩	أبو علي الحسن بن رحال المعداني
أبو محمد عبد السلام القادري ٣	١٠٠ - ١١١
أبو محمد عبد السلام بن ميثش ١٥٠	أبو علي الحسن بن عبد الله العايدى
أبو محمد عبد القادر بن علي الفاسي	١١٣ - ١١٤
٤ - ٤٥ - ١٠٥ - ١٠٨	أبو علي الحسن اليوسى ٤ - ٣٦ -
أبو محمد عبد الله أعراس ٣٤ -	٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٤ - ٤٥ - ١٠٥
٤٢	١٠٨
أبو محمد عبد الله بن ادريس	أبو علي الروسي ٩١ - ٩٤ - ٩٥ -
الادريسي ١٢٣	٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ١١٤ - ١٢٢ - ١٣٤ -
أبو محمد عبد الله بن طاهر الحسنى	١٣٨ -
٤ - ٥ - ١٣ - ١٠٤	أبو عمران موسى الجراوى ١١٨ -
أبو محمد عبد الله حجي ١١٠ - ١١١	١٣٤
أبو محمد عبد الله الحمري ١٣٩ -	أبو عميرة ١٤٢
١٥٢	أبو غنان ١٤٢
أبو محمد عبد الله الروسي ٩٤ -	أبو فارس بن الربيع الفرناطى ٩
١٣٣	أبو القاسم بن أحمد الوشة السفيناني
أبو محمد عبد الله الشريف الوزاني	١٠٨
١٠٧	أبو القاسم بن الحسين الغريسي ١١٠
أبو محمد عبد الله العونى ١٠٨	أبو القاسم العميرى ٧٤ - ١٤٢ -

أهل تلمسان ٢٤ - ٤١	١١٢ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦
أهل الحوز ١٦٨ - ١٩٥ - ١٩٦	١١٩ - ١٢٠ - ١٢٦ - ١٣٣ - ١٣٨
أهل جبل فازان ٧٠ - ٨٠ - ٨١	١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤
أهل ١٣٤ - ٧٤٠	أشجع ٤٦
أهل الجزائر ٨٧	الإشراف السجلماسيون ٣
أهل الدلاء ١٧ - ٢٨ - ٣١ - ٣٤	الإشراف السعديون ١٥٨
أهل ٣٧ - ٣٩	الإشراف العرافيون ١٤٩
أهل دكالة ١٥١ - ١٦٧ - ١٦٨	الأشعرية ١٩٣
أهل ١٦٩	الاصنيول ٣٩ - ٦٣ - ٧٧ - ٩٣
أهل رباط الفتح ١٩٠٤	٩٨
أهل الرشف ٦٩ - ٧٤ - ٨١	الاصطادوس ١٨٤ - ١٨٥
أهل ١١٦ - ١٥٢ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٥	الأعراب ٢٥
أهل ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٩ - ١٨٨	أعراب الشرق ٣٠
أهل زاوية الدلاء ١٣ - ١٦	الأكاسرة ١٠٢
أهل زاوية الممراني ١٢	أكسوس ١٩٣
أهل الساحل ٥٨	الأمين بن الرشيد العباسي ١٢٤
أهل سبتة ٢٤ - ٦٧	أهل آزموور ١٨٥
أهل سجلماسة ٥ - ٤٦	أهل آسفي ١٩٤
أهل سلا ٦٤ - ١٩٧	أهل الأندلس ٨ - ٩
أهل السوس ١٦ - ٤٢ - ٥٠ - ٥١	أهل بلاد الغرب ٤٥
أهل ١٥١ - ١٦٤	أهل تابوعصامت ١٤ - ١٥
أهل صفرو ٣٣	أهل تارودانت ٦٩
أهل طنجة ١٥٥	أهل تدغة ٨٠
أهل عدوة الأندلس ٣٤	أهل تافيلالت ٦٤
أهل العدوتين ١٩٤	أهل تطاوين ٥٤ - ١١٦ - ١٥٠
أهل الغرب ٩ - ١١٧ - ١٦٤	١٧٩ - ١٨٤ - ١٨٦

أولاد البشير ٥	١٧٧ - ١٧٨
أولاد بن عاقلة ٥	أهل فاس ١٩ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ -
أولاد جامع ٤١ - ١٥٨ - ١٦٠ -	٤٧ - ٦٧ - ٦٩ - ٧٧ - ٧٩ - ٩٠ -
١٦١ ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٧	٩١ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٨ - ١١٤ -
أولاد جرار ٥٠	١١٦ - ١١٨ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣ -
أولاد جرير ٥٩	- ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٩ - ١٣٠ -
أولاد جسوس ٩٤	١٣٧ - ١٣٣ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٢ -
أولاد دليم ٩٦	- ١٤٣ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ -
أولاد الريفى ٦٤	١٤٩ - ١٥١ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ -
أولاد زكرى ٢٠	- ١٥٧ - ١٥٨ - ١٦٠ - ١٦١ -
أولاد طلحة ٢٣	١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٧ - ١٧١ - ١٧٦ -
أولاد على ٢٠	- ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ -
أولاد عيسى ١٧ - ١٦٤	١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ -
أولاد محمد ١١	أهل الفحص ٦٤ - ١٦٤
أولاد المعصم ٥ - ٥٩	أهل القطر السوسى ٩٢
أولاد مطاع ٥٠	أهل قلعة ايلنج ٤٠
أولاد المنزاري ٥	أهل مراكنس ٤٦ - ١٦٧ - ١٧٠
أولاد النقيس ٤٧ - ٦٤ - ٦٩ -	١٩٣ - ١٩٥
حرف « ب »	أهل المغرب ٤ - ١٧ - ٣٣ - ٥٤ -
الباشا أحمد ١٦١	٥٨ - ٩٧ - ١٥٩
الباشا الزباني ١٩٧	أهل المغرب الأقصى ٤١
الباشا سالم الدكالى ١٢٤	أهل مكناسة ١٤٢ - ١٤٤ - ١٧٦
الباشا عزوز ٤١	أهل وجدة ٢٤
الباشا غازى بن شقراء ٩٩	أولاد أبى حميد ٧
	أولاد أبى الليف ٦٤
	أولاد اسمعيل ٥٨

١٧٠ - ١٧١ - ١٧٥ - ١٧٨ - ١٩٢

- ١٩٣

بنو حكم ٧٠ - ٧٩ - ٨٠ - ١٥٨

بنو الزبير ١٣ - ٢٨

بنو زروال ٣٦

بنو سنوس ٢٠ - ٢٤ - ٤١

بنو عامر ٢١ - ٤١ - ٥٩ - ٦٤

بنو العباس ١٠٢

بنو مالك بن زغبة ٢١ - ١٦٣ - ١٦٤

- ١٧٦

بنو مريم ٤٨ - ٥١ - ١٠٢

بنو مطير ٦٨ - ١٨٣

بنو وراين ١١٧

بنو يازغة ١٥٤

بنو يزناسن ٢٠ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ -

٦١ - ٦٢ - ٦٤ - ٩٦

بنو يزيد بن زغبة ٢١

بنو يعقوب ٢٣

بنو يطفان ٢٣

البهاليل ٣٣

البهلول ١٠٥

حرف «الاء»

تابوت بنى اسرائيل ٥٨

الترك ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٤ - ٤١

٥٦ - ٥٩ - ٦١ - ٦٤ - ٤٥ - ٧٩

الباشا مساهل ٨٠ ١٩١

باغزين بن صدوق ٩٩

بايشى القبلى ٧٠ - ٧٩

باى معسكر ٢١

برابرة جبل فازاز ٧٨

برابرة ضهاجة ٣٩

برابرة ملوية ١٠٨

البربر ١٧ - ١٨ - ٢٥ - ٢٦ -

٣٢ - ٣٥ - ٣٦ - ٤١ - ٤٢ - ٥٣

- ٦٣ - ٦٦ - ٦٨ - ٨٠ - ٨١ -

٨٧ ١١٥ - ١١٧ - ١١٨ - ١٢٠ -

١٢١ - ١٣٢ ١٣٥ - ١٣٦ - ١٤٠

١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٨

- ١٥١ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ -

١٥٧ - ١٥٨ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٥

- ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ -

البرتقال ٢٩ - ٣٩ - ٦٤ - ٦٧ -

برتقال الجديدة ١٨٥

بكار المغفري ٥٨

البلغيشون ١١

بنو ابراهيم ٥

بنو اسرائيل ٨٦

بنو امية ١٥٩

بنو جروان ١٥٨

بنو حسن ٥٧ - ١١٧ - ١٤٨ -

١٥١ - ١٦٤ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ -

- ٨٧ - ٨٩ - ٩٠ - ٩٣ - ١٠٢
 التهامي بن محمد الوزاني ١٠٧ -
 ١٩٠
- ٦٠ - ٦٨ - ٦٩
 حرون بن علي الشريف ١٢
 الخرطاني ٥٨ ٩٤
 الحسن البصري ٩١
 الحسن بن قاسم ٤ - ٥ - ٦ - ٧
 الحسن بن يوسف بن علي الشريف -
 ١٢
 الحسن بن محمد ١١
 الحسن الداخل ٦
 الحسن الداخل ٦
 الحسن اليوسي ١٠٩
 الحسن بن يوسف بن علي الشريف ١٢
 الحسين رضي الله عنه ١٠٤
 الحسينيون ٤
 الحشم ٥٩
 حصين ٢١
 حفيد بن ادريس ٤٧
 الحفيد بن علي الشريف ١٢ - ٩٠ -
 ٩١
 حليلة المرينية ١١
 حماد بن الشريف ١٢
 حمادة ٥٣
 حمدان ٦٩
 حمدون بن عبد الله الرواسي ٥٤ -
 ٩٠ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ١٢٦ -
 ١٢٩ - ١٣١ - ١٣٢
- ٨٧ - ٨٩ - ٩٠ - ٩٣ - ١٠٢
 التهامي بن محمد الوزاني ١٠٧ -
 ١٩٠
- حرف «الجيم»
 الجرجاني ١٠٩
 جرون ١٦٣ - ١٨٣ - ١٨٦
 الجزولي ١٠٣
 جرار ٥٨
 الجعافرة ٢١
 جعفر بن أبي طالب ١٠٦
 جيش العبيد ١٤٠
 جيش الودايا ١٣٥
 الجوطيون ٤ - ١٩٠
 حرف «الحاء»
 الحاج أبو جيدة برادة ١٤٥
 الحاج أحمد بودي ١٣٨
 الحاج أحمد السوسي ١٥٧
 الحاج الحياط عدل ١٢٣ - ١٧٧
 الحاج العربي بن علي الوزاني ١٠٧
 الحاج عمرو ١١٢
 الحاج محمد بن علي الحصري ٢٥
 حبيب المالكي ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨
 الحجاج ٩١ - ١٧٣
 حجاج بن علي الشريف ١٢
 الحران بن الشريف ١٢ - ٥٣ - ٥٤

الدولة السعدية ٥١ - ٥٢ - ٥٩ -

٨٨

الدولة العلوية ١٧٠

الدولة المرينية ٥ - ٦

حرف « ذ »

ذوى منيع ٥٩

حرف « ر »

داشد ٢٣

الرحامنة ١٥١ - ١٩٥ - ١٩٦

الرشيد بن الشريف ١٢ - ٢٧ -

٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤

٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠

٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٩ -

٦٠ - ٦٣ - ٨٣ - ٩٩ - ١٠٩

الروم ٢٤ - ٥٦ - ١٠٢

حرف « ز »

زرازة ٥٠ - ٥٢ - ٦٨ - ١٦٣ -

١٦٤

الزراة ١١٧

زعبول ١٨٦

زمران ١٦٨

زمر ٧٠ - ٧٩ - ٨٠ - ١٥٨

زواغة ١٢٣

حمدون المزوار ٣٥

حمو قفارة ٩٧

حمو بن مبارك ١٨

حمان ٥٩ - ٦٢

الحوز ٥٢

الحياينة ٣٣ - ١٥٨ - ١٦٠ - ١٦١ -

١٦٧ - ١٧٧

حياة الطويرى ٥٠

حرف « خ »

الحضر غيلان ٣٥ - ٣٨ - ٤٧ -

٦٩ - ١٨٩

الحلط ٥١ - ٥٢ - ١٧٧ - ١٧٨

٦٩ - ١٨٩

حناتي بنت بكار ٥٨ - ١٢٥ - ١٣١

١٣٨ - ١٤٨ - ١٥٢ - ١٥٤ - ١٥٨

الحياط بن منصور ٩٦

حرف « د »

دحمان المنجاد ١٣١

دخيسة ٢١ - ٥٩

دكالة ٥٧

الدلائيون ٢٧ - ٢٨

دليم ٥٨

دولة آل عثمان ٢٦

الدولة الاسماعلية ٥٦ - ٦٣ - ١٩٣

دولة بنى مرين ١١

الزبنون ٦٩

زيدان ٥١ - ١٠٤

زيدان بن اسمعيل ٧٩ - ٨٧ - ٨٩ -

٩٠ - ٩١ - ٩٣

زيدان بن منصور السعدى ١٣

زيدان العامرى ٤٢ - ٤٧

حرف « س »

سالم الدكالى ١٤١ - ١٤٢

السجلماسيون ٤

سعد الدين التفتزاني ١٠٩

سعدون الزياتى ١٤٩

السعديون ٣ - ٤٠ - ٨١ - ١٠٢ -

سعيد بن الشريف ١٢

سعيد بن على الشريف ١٢

سعيد بن العباس ١٩٧

سفيان ٥١ - ١٦٣ - ١٧٦

سقونة ٥٩ - ٦٢

سليمان بن العسرى ١٨٦

سليمان بن محمد بن عبد الله ٥٣ -

٧٩ - ٩٥ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ -

سويد ٢١ - ٢٣

السنوسى الامام ٣٧

سيف الدولة بن حمدان ٩٣

حرف « ش »

الشبنانات ٣٨ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ -

٦١

شراقه ٤١ - ٤٢ - ٦٣ - ١٥٨ -

١٦٠ - ١٦١ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٧ -

١٧٤

شرفاء تافيلات ٤

الشريف بن على الشريف ١٢ -

١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ٩٠ -

شعشوع اليازغى ١٤٧

السياظمة ١٩٥

الشيخ بن المنصور السعدى ٧٣

الشيخ المجذوب ٤٩ - ١٠٠ -

حرف « ص »

الصباح ٨٠

صحيح البخارى ٥٨

صديقه ٤٢

الصقليون ٤

صهاجة ٦٦

الصياني ٨٨

حرف « ط »

طاغية البرتقال ٢٩

طاغية النجلير ٢٩

- الطالب الصالح ١٩٦
 طاهرة المريثة ١٢
 طليق ١٧٧ - ١٧٨
 الطيب بن محمد الوزاني ١٠٧ - ١٢١
 الطيب بن يوسف بن علي الشريف -
 ١١
 حرف ' ع '
- عائشة مباركة ٢٦ - ١٣٨
 العباس بن الشريف ١٢
 العباس بن رحال - ١٥٢
 عبادة بن الصامت - ٩٢
 عبادة - ١٥١ - ١٩٥ - ١٩٦
 عبد الحق بن أبي سعيد المريثي ٢٤
 عبد الحق بن عبد العزيز فيش ١٩٧
 عبد الخالق بن عبد الله الروسي ٩٠
 عبد الخالق بن يوسف - ٩٧
 عبد الخالق عدیل - ١٤٥ - ١٥٢ -
 - ١٥٨ - ١٧٠ -
 عبد الرحمن ابو البركات ٧
 عبد الرحمن بن هشام ٥٣
 عبد الرحمن بن يوسف الشريف ١٢
 عبد الرحمن الحياط ٩٦
 عبد الرحمن المجذوب ١١٣
 عبد السلام بن مشيش ١٠٧
 عبد السلام بن حمدون جسوس ٩٥
- عبد الكريم الريفی - ١٧٩ - ١٨٨
 عبد الكريم اللايرینی ١٩
 عبد الله آعراس ٥٠
 عبد الله الاشر ٣
 عبد الله بن اسمعيل - ٥٨ - ١٢٥ -
 - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ -
 - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٤٠ -
 - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ -
 - ١٤٦ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ -
 - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ -
 ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٥ -
 - ١٦٦ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ -
 ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٨ -
 - ١٧٩ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ -
 ١٨٤ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ -
 - ١٩٢ - ١٩٣ -
 عبد الله بن الاشقر ١٣٩
 عبد الله بن حامد ١١١
 عبد الله بن حمدون الروسي ٥٣ -
 ٥٤ - ٩٦ - ٩٨
 عبد الله بن محمد بن علي الشريف ١١
 عبد الله السفیانی ١٦٤ - ١٩٠ -
 عبد الله النفزی ٢٥
 عبد الملك بن أبي شفرة ١٣٥
 عبد القادر الفاسی ١٠٧ - ١٧٠
 عبد المومن بن علي ١٥٩

عبيد مكناسة ١٧٥ - ١٨٢ - ١٩٥	عبد مناف بن قصى ١٢٦
العبيديون ١٠٢	عبد النبي بن عبد الله الروسى ١٣١
عثمان باشا ٢٢	عبد الواحد بن يوسف بن علي
عثمان باي ٨٩	الشريف ١١
العراقيون ٤١	عبد الواحد أبو الغيث ١١
العرب ١٨ - ٢٥ - ٢٦ - ٣٢	عبد الواحد تير ١٣٢
٤٢ - ٥٨ - ٥٩ - ٨٧ - ١٠٢ - ١٠٩	عبد الوهاب اليمورى ١٦٤ - ٢٧١
١٥٦ - ١٥٧ - ١٦٢ - ١٩١	١٧٢
عرب انكاد ٤١	العبيد ٦٢ - ٦٣ - ٦٨ - ٧٢ - ٧٣
عرب بادية تلمسان ٤١	٨١ - ٨٩ - ٩٤ - ٩٦ - ٩٠١
عرب الاحلاف ٢٩ - ١٤١	١١٤ - ١١٧ - ١١٩ - ١٢١ - ١٢٣
عرب جشم ٥٢	١٢٣ - ١٢٥ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٤٠
عرب الحارث ٢١	١٤١ - ١٤٣ - ١٤٣ - ١٤٧ - ١٤٨
عرب الحياث ٢٨ - ٣٣ - ١١٧	١٥٠ - ١٥٢ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦
١٥٣ - ١٦٣ - ١٧٦	١٥٧ - ١٥٨ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٣
عرب الخلط ١٩	١٦٣ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٧١
عرب الرحامنة ١٦٨ - ١٩٤	١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٧
عرب زرارعة ٦٩	١٧٨ - ١٧٩ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣
عرب السوس ٤٦ - ٩٦	١٩١ - ١٩٢ - ١٩٦
عرب عبدة ١٢٤	عبيد أهل دكالة ١٧٠ - ١٩٥
عرب الغرب ١٦٣ - ١٦٧ - ١٧٦	عبيد البخارى ٥٨ - ٧١
١٧٨	عبيد الديوان ١١٩ - ١٢٥
عرب معقل ٢٠ - ٥٠ - ٥١ - ٥٣	عبيد السوس ٦٤
العسكر البخارى ٥٨ - ٧١ - ١١٤	عبيد الشاوية ٧٠
١٢٠	عبيد القصة ١٩٤
عسكر العبيد ١٢٣	عبيد المخزن ٥٧

حرف « ف »

فانح بن النوي ١٦٠ - ١٦٢

الفراغة ١٠٢

انفرس ١٠٢

المرنج ١٤٨

فركلة ٨٠

الفرنسيس ٩٣

نستالة ٤٢

فضيل بن علي الشريف ١٢

الغلاميك ١٨٤

حرف « ق »

القادري ٦٦

قاسم أبو عريف ١٦٦

قاسم بن أحمد بوعسيرة - ابن

اللوشة ١٠٥

قاسم بن محمد ٦٠

قاسم بن محمد بن علي الشريف ١١

قاسم بن ويسون ١٣٥

قبائل الاحلاف ٦٢

قبائل البربر ٣٥ - ٦٠ - ٦٨

قبائل تامسنا ٥٧

قبيلة بداوة ١٤٦

قبائل الحون ٥٣ - ٥٦ - ١٥١ - ١٩٥

قبائل الدير ٥٦ - ١٩٥

عقبة بن نافع ١٥٩

العقيد ٣٦

العكاكوة ٧٧

علي بن أبي طالب ٤ - ٨٣ - ٨٥ -

٩٢

علي بن أحمد الوزاني ٦٩٧

علي بن بركات ٨٠ - ٨١

علي بن طاهر الجسني ٥

علي بن محمد المغيرف ١١

علي بن يحيى ٨٠ - ٨١ - ٨٦ -

٨٧ - ٧٣٣

علي الشريف ٧ - ١٥٤

علي المثنى ١٢

عليش ٥٧ - ٩٤

العمارية ٢٨

عمر بن جندو الجلوئي ٥٠ - ٦٤

عمر بن الخطاب ٥٠ - ٨٥ - ١٢٧

انعمون ٥٩

عياض القاضي ١٢

٥١ - ٥٢ - ٥٣

الحرف « غ »

غريس ٨٠

غانم الحاجي ١٣٩ - ١٤٩

الغناطي ٦٩

الغزال ٧٨

- محرز بن الشريف ١٢ - ١٠٠
 محرز بن علي المتني ١٢ - ٥٣
 محمد بن ابراهيم المجاصي ١١٢ -
 ١١٣
 محمد بن اسمعيل ٦٩ - ٩١ - ١٠١
 ١٤٢ - ١٤٣
 محمد الاشهب ١٣٣
 محمد بن الحسن ٨٦
 محمد بن سليمان ١٩
 محمد بن الشريف ٧ - ١١ - ١٢ -
 ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٩ - ٢٠ -
 ٢١ - ٢٢ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٨ -
 ٢٩ - ٣١ - ٣٣
 محمد بن الطيب القادري ١٤٧
 محمد بن عبد الله ٥٢ - ٥٩ - ١٠١
 ١٠٢ - ١٣١ - ١٣٧ - ١٦١ - ١٧٠
 ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٩
 ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٧
 محمد بن عربي ١٤٤ - ١٤٥ -
 ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩
 محمد بن علي بن يشي الزموري -
 ١١٨ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٧ - ١٤٢
 محمد بن علي المتني ١٢
 محمد بن عمر الوقاش ١٩٧
 محمد بن المستفي ١٦٢
 محمد بن الفضل ١٠٨
- قبائل دكالة ١٦٨
 قبائل الشاوية ١٧٠ - ١٩٣
 قبائل عبدة ١٩٤
 قبائل الغرب ٥٣ - ٥٧ - ١٥٣ -
 ١٧٧
 قبائل معقل ٥٨
 قبائل المغرب ٤٩ - ٥٢ - ١٦٢
 قبيلة حجاوة ١٣٤
 حرف « ك »
 كارلوس السادس ٢٩
 انكير بن الشريف ١٢
 كروم الحاج ٦١
 الكناش الكبير الاسماعيلي ٨٨
 حرف « ل »
 الممطيون ٣٥ - ١٣٨
 لويز الرابع عشر ٧٣
 لويز مارية ١٨٥
 حرف « م »
 مالك الامام ٤٤
 المأمون السعدي ٧٧ - ٧٩ - ١٠٧
 المأمون الكبير ٨٩
 مبارك بن علي الشريف ١٢
 المجذوب العلي ١١٤

١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٤	محمد بن يوسف بن علي الشريف
١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٦٠ - ١٦١	١٢
١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٦ - ١٦٧	محمد الحاج الدلائي ١٠٤
١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧٨ - ١٧٩	محمد الشيخ السعدي ٥١
١٨٣ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠	محمد الشريف ٣
١٣٨ - ١٣٧ - ٩٧ مسعود الروسي	محمد زيدان بن اسمعيل ٧٨
١٣٩	محمد السلاوي ١٨٦ -
٩٠ - ٨٧ مصطفى بن محمد العثماني	محمد الصالح الشرقي ١١٤
المعظم بن الرشيد ٧٢	محمد الصغير بن محمد الشريف -
مطاع ٥٨	٣١ - ٣٣ - ٣٨ - ٤٢ - ٦٠
معقل ٥١	محمد العالم بن اسمعيل ٨٩ - ٩٠ -
مغفر الشيخ ١٧	٩٢ - ٩٣ - ٩٩
المغفرة ١٤ - ٥٠ - ٥١ - ٥٨ - ١٣٧	محمود شيخ حميان ٢١ - ٢٣
مكناسة - ١٢٣ -	محمد واعزيز ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣
المليشي ١٥٢	١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ -
المنجور - ١٠٤ -	١٨٥ - ١٨٦
المنتصر السعدي - ٩٩ - ١٠٠ -	المحمديون ٤
المنصور السعدي - ٥١ - ٥٢ - ٥٦ -	المخزن ١١٧ - ١٢٢ - ١٧٧
٨٨ - ٩٣ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٥٩	مديونة ٦٨
منويل القشتيلي ٩٩	المرباطون ١١ - ١٢ - ١٠٢
المهاية - ٥٩ - ٦٢ -	المرانيون ١٢
المهدي بن اسمعيل ١٣٩	مرجان ١١٧
المهدي بن الشريف - ١٢ - ١٤ -	مرموشة ١١٧
الموحدون - ٤٨ - ١٠٢ - ١٩٣ -	المزوار ٣٨
موسى بن يوسف ٦٠	مساهل ٨١
	المستضيء ١١٨ - ١٤٧ - ١٤٨ -

حرف النون

ودي - ٥١ - ٥٨ -

الوطاسيون ٦٤

وقعة فازاز ٨٦

ولد الصحراوي ٩٦

ولد مامي ١٤٩

الوليد بن اسمعيل ١٤٥

حرف « ي »

اليحمدي ٧٩

يخلف ٥٣

البيدني ١٢٣

يزيد بن محمد بن عبد الله ٥٩

يعقوب بن عبد الحق المريني ٥

يملح بن مشيش ١٠٧

يوسف عليه السلام ١٠٠

يوسف بن ابي عثمان آخضال ١٢٠

يوسف بن تاسفين ٧٠

يوسف بن الشريف - ١٢ - ٨٩ -

١٤٨

يوسف بن يعقوب بن عبد الحق

المريني ٦٢

اليوسى - ٨١ - ٨٨ - ١٠٦ -

اليونان ١٠٢

الناصر بن اسمعيل - ١٥١ - ١٦٧ -

١٦٩

التجليز - ٦٧ - ٩٣ -

النصارى - ٥٥ - ٦٣ - ٦٥ - ٦٧ -

٧٣ - ٧٤ - ٧٧ - ١٨٥ - ١٨٩ -

نصارى الجديدة - ١٨٥ -

نصارى طنجة ٦١

نصارى العرائش ٧٣

حرف « ه »

هاشم بن الشريف - ١٢ - ٦٠ -

هاشم بن علي المثنى ١٢

هواره ٤١

حرف « و »

الودايا - ١٤ - ٥١ - ٨١ - ١١٤ -

١١٨ - ١٢٣ - ١٢٥ - ١٣٤ - ١٣٩ -

١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٥ - ١٤٨ -

١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ -

١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٦١ - ١٦٢ -

١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٧ - ١٧٤ - ١٧٦ -

١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ -

١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٦ - ١٨٧ -

ودايا فاس الجديد ١٧٥

فهرس الاماكن

أقصى السوس ٩	حرف « أ »
اكادير ١٩٦	آبار السلطان ٤٣
الاندلس ٩ - ٧٢ - ١٥٨	آزغار ٥٢
انطاكية ١٠٢	آزمور ١٨٥
حرف « ب »	آركو ٧٠
باب البطيوى ١٣٤	آسير ١٧
باب بنى مسافر ١٣٢	آسفى ١٩٤ - ١٩٥
باب الجيسة ١٣٢ - ١٤٦	آيت ادراسن ١٩٠
باب الحديد ١٢٦ - ١٣٢	آيت يوسى ١٩٠
باب الربيع ١٥٢ - ١٥٣	آعليل ٦٨ - ٨٠
باب الفتوح ٣٣ - ١٢٦ - ١٣٢ -	أبو فكران ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٩ - ١٨١
١٣٨ - ١٧٦	أبو مزورة ٣٦
باب القزدير ١٧٥	أدخسان ٥٨ - ٧٠ - ٨١ - ٨٧
باب القصبة ١٤٨	أرض الحجاز ٤
باب المحروق ١٣٢ - ١٤٩ - ١٦٥	أرض سلا ١٩٧
١٧٩	أرض الغرب ٢٤
باب مصودة ١٤٦	أرض المغرب ٤٨ - ٩٧
باب منصور الملح ١٣٣	أروبا ٩٣
البحيرة ٥١	الاسكندرية ١٠٢
البرج الجديد ٤١	انشونة ٣٩
بريمة ٣٤ - ١٧٥	اصطنبول ٨٧
البديع ١٠٢	اصيلا ٢٧ - ٣٥ - ٣٨ - ٧٧ -
البريجة ٧٨	١٨٩ - ١٩٠
بسكرة ١٠١	افريقيا ١٠٢

١٥٧ - ١٧٨	بسيط ادخسان ٧٠ - ٨٠ - ١٣٥
بلاد الفحص ١٦٩	بسيط ازغار ٥١ - ١٠٥
بلاد القبلة ٥١	بستان المسرة ٤٣ - ١٠٢
بلاد مسفيوة ١٦٩ - ١٩٣	بستيون باب النجيسة ٣٥
بلاد المغرب ٦٠ - ٩٣ - ١٠١ - ١٠٥	بسيط انكاد ٢٠ - ٣١ - ٦١ - ٦٢
بلاد ملوية ٦٨	بسيط تريفة ٦٢
بلاد الهبط ٢٧ - ٥٧ - ١١٥ - ١٩٧	بسيط زبيدة ١٦٨
بيد قسطينية ٢٣	بسيط سائس ٦٦ - ١٧٩
بوطواط ٦٨	بسيط النخيلة ١٨٧
حرف « ت »	بطن الرمان ٣٦
تابوعصامت ٢٨ - ٣١	بغداد ١٠٢
تادلا ٥٠ - ٥١ - ٥٣ - ٨٠ - ٨٩	بلاد البربر ٥٨
٩٧ - ١٠٠ - ١٢٦ - ١٣٣ - ١٣٦	بلاد آيت زينب ٦٤
١٤١ - ١٤٢ - ١٧٠	بلاد الجريد ١٠٢
تارودانت ٤٠ - ٦٥ - ٦٨ - ٦٩	بلاد دكالة ١٨٨
٩١ - ٩٣ - ٩٩ - ١٢٤ - ١٩٦	بلاد الحجاز ٦
تازا ٢٩ - ٣٠ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٦	بلاد الحوز ١٧٠ - ١٨٨
٤٠ - ٤٧ - ٦٢ - ٧٩ - ١٤١	بلاد السودان ١١
١٧٦	بلاد السوس ٤٠ - ٩٦ - ١٢٥
تافرطاست ٤٢	١٣٣ - ١٩٦
تافياللت ٢١ - ٣٨ - ٤٢ - ١٠٢	بلاد الشاوية ٣٩ - ١٩٦
١٢٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٧ - ١٤٩	بلاد شراقة ١٨٦
١٧٠ - ١٨٧	بلاد الشرق ٢٠ - ٥٩ - ٦٤
تامسنا ١٨٨	بلاد السراغنة ١٦٨
تامطلوحت ١٠٤	بلاد الصحراء ٤٧
تامكورت ١٩١	بلاد الظهراء ٤٣
تاويرت ٦٢	بلاد الغرب ٣٥ - ٤٥ - ١١٧

جبل راشد ٢١	تدغة ٢٩
جبل الزبيب ١٥٣ - ١٦٢	تطاوين ٣٦ - ٤٧ - ٥٧ - ٦٩
جبل ساغور ٦٠	٨٤ - ١١٥ - ١١٦ - ١٤٦ - ١٥٠
جبل طارق ٩٣	١٥٥ - ١٦٥ - ١٨٩ - ١٩٧
جبل العياشي ٦٦ - ٦٨	تغالين ٨٠
الجديدة ٦٣ - ١٧٦ - ١٨٥ - ٢٨١	تلمسان ٢٠ - ٢١ - ٢٣ - ٢٥
الجزائر ٢١ - ٢٢ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧	٣٨ - ٣٩ - ٥٩ - ٦٥ - ٨٧ - ٨٩
٣٨ - ٥٩ - ٧٩	١٠١
حزاء بن عامر ١٢٦	تونس ١٣٥
جلق ٣٨	تيزيمي ٨٩
جنان حمرية ١٠٢ - ١٤٧	تيشيت ٥٨
حرف « ح »	حرف « ث »
الحاجب ١٤٤	الثغور الهبطية ١١٥
حارة اليهود ٦٤	ثنية الكلاوى ٦٠
الحجاز ٥ - ٩٦	حرف « ج »
الحديثة ٩٢	الجامع الاخضر ٥٤
الحرم الادريسي ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥	جامع الاشراف ١٠٩
١٤٩	جامع الحوت ١٢٦
الحرمان الشريفان ٩٦ - ١٠٢	جامع القرويين ٣٩ - ١٢٠
حصن تابوعصامت ١٣	جامع المنصور ١٩٦
حصن القبيبات ٧٣	جبال طرارة ٢٤
الحوز ٦١ - ١٨٣	جبال فازاز ٦٦ - ٧٨
حومة الخفارين ١٤٦	جبال مسفيوة ١٦٨
حومة الصفارين ١٢٣	الجليل ١٦٠
حومة كرنيز ١٤٩	جبل آصرو ٢٩
حرف « د »	جبل بنى عياش ١٧
دار ابن شقراء ٣٥ - ٤٠	جبل درن ٦٠ - ٦٨

زبيدة ٥١	دار الباشا مسايل ١٢٤
زرمون ٩٠ - ١٣٣ - ١٣٧ - ١٤٢ -	دار الباي ٩٠
١٨١	دار العباس ١٨٥
حرف « س »	دار الديبغ ١٤١ - ١٥٦ - ١٥٧ -
سايس ٦١ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٢ -	١٥٨ - ١٦٠ - ١٦٢ - ١٧٧ - ١٨١ -
١٨٧	١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٩ -
سبنة ٣٩ - ٦٩ - ٧٧ - ٧٨ - ٨١ -	دار القيطون ٤٧
٩٨ - ٩٩ - ١٩٧	دمشق ١٠٢
سبو ٤٢ - ٦١	درعة ١٣ - ١٦ - ٢٧ - ٨٩ -
سجلماسة ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٩ -	٩٠ - ٩٦
١١ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧ -	دمنات ٢٩ - ١٦٨
١٩ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٦ - ٢٧ -	الدوح ١٤٦
٢٨ - ٣١ - ٣٣ - ٣٤ - ٦٠ - ٨٧ -	حرف « ر »
٨٩ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٢٠ - ١٢١ -	رأس الماء ١٥٤ - ١٥٥
١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٥ - ١٢٧ - ١٥٤ -	رباط الفتح ١١٣ - ١٧٠ - ١٩٣ -
١٨٧ - ١٩٠	١٩٤ - ١٩٧
سلا ١٦ - ٤٢ - ٥٧ - ١٠٨ - ١١٠ -	رفادة ٦٢
١١٣ - ١٧٥ - ١٩٢ - ١٩٥ - ١٩٧ -	رومة ١٠٢
السودان ٥٨ - ١٠١ - ١٣٥	الرياض ٥٢
السوس ١٤ - ١٥ - ٢٨ - ٤١ - ٤٢ -	الريف ٣٢ - ٣٤ - ٦٤ - ١٦٠
٥١ - ٥٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٩ - ٨٩ -	الزاوية ٣٧ - ٣٨
٩٠ - ٩١ - ١١٩ - ١٣٧ - ١٤١	زاوية أهل الدلاء ٢٩ - ٣٦ - ٥٧ - ٧٠
السوس الاقصى ١٢٧	زاوية أهل المخفية ١٩
سوق الخميس ١١٨	الزاوية الدلائية ١٠٩
السويقة ١١٣	زاوية زرمون ٩٨ - ١٤١
حرف « ش »	زاوية سيدى مغيث ١١٤
الشام ١٣٥	زاوية الشيخ رحال الكوش ٦٠

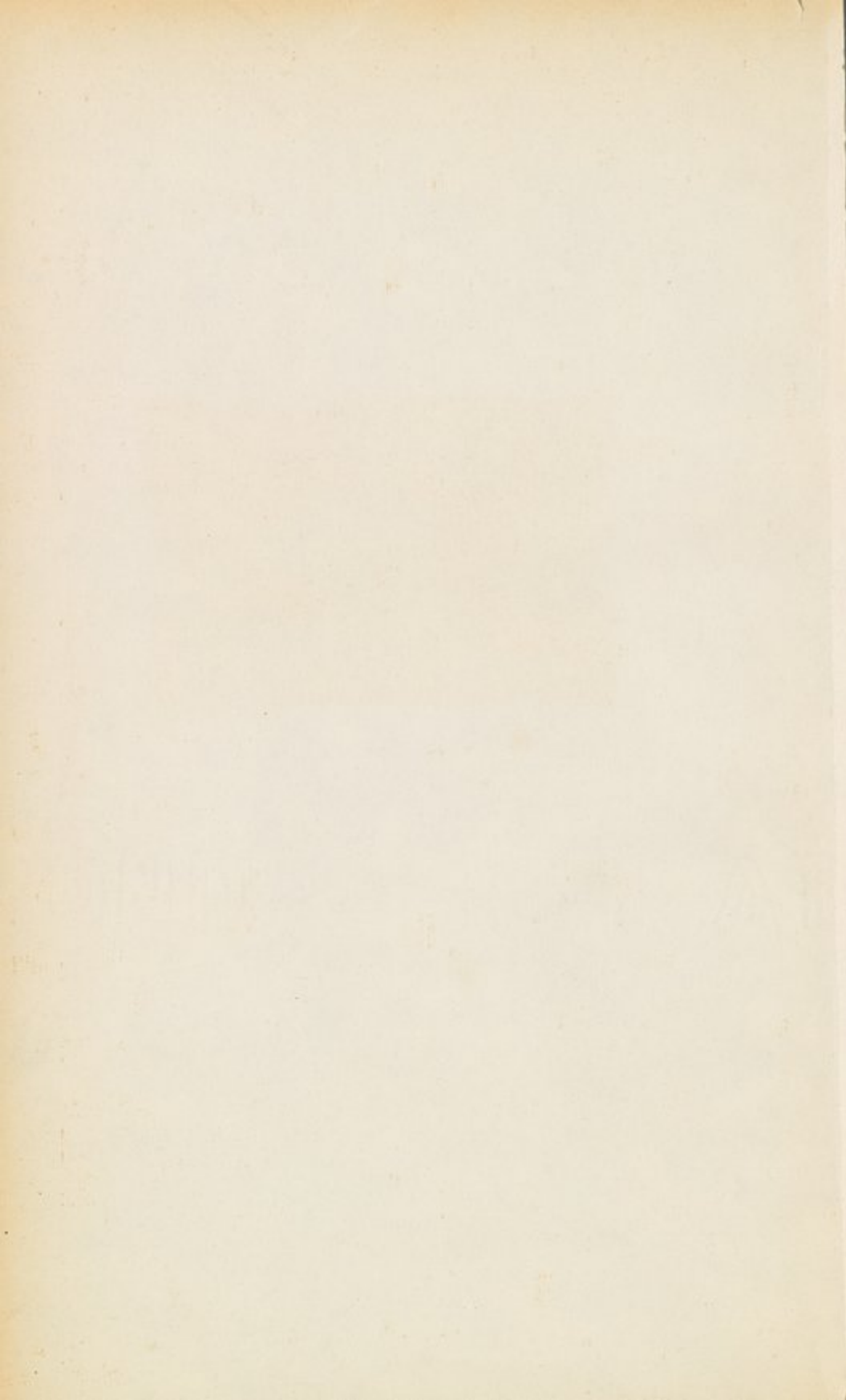
عدوة القرويين ٧	شرشال ٦٥
العرائش ٧٣ - ٧٤ - ٧٧ - ٨٠ -	الشرق ٢٧ - ٨٩ - ٩٠ - ١٠١
١٠٢ - ١١٥ - ١٧٨ - ١٩٧	النسط ٤٣
عرصة ابن صالح ٤١	تنكيط ٥٨
العسال ١٦٠	حرف « ص »
عقبة بهت ٩١	الصحراء ١٦ - ١٧ - ٢٠ - ٥١ - ٥٣
العلو ١١٣	٥٤ - ٦٠ - ١٠٢
عين آصرو ٦٦	صحراء السوس ٥٨
عين شوعة ٨٠	صفرو ٧ - ٦٨ - ١٣٧ - ١٤٢ - ١٤٤
عين قرواش ١٦٤	١٤٧ - ١٥٤ - ١٩٠
عين اللوح ٦٦	حرف « ض »
عين ماضي ٢١ - ٢٣	صريح أبي بكر بن العربي ١٩٠
العيون ٦٢	صريح الشيخ أبي شعيب ١٨٥
حرف « غ »	حرف « ط »
الغاسول ٢١ - ٢٣	طاطا ٥٨
الغرب ١٠ - ١٦ - ١٧ - ١٨ - ٣٦	الطالعة بسلا ١١٤
غرناطة ٨ - ١٠	طريق الفايجة ٦٠
حرف « ف »	لمنجة ٩ - ١١ - ٢٩ - ٤٢ - ٦١
فازاز ٣٦ - ٧٩ - ١٣٥	١١٥ - ١٣٤ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٤
فاس ٧ - ٨ - ١٦ - ١٩ - ٢٠ -	١٥٥ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٥ - ١٦٦
٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣٣ - ٣٤ -	١٦٩ - ١٧٠ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٨
٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤١	١٨٩ - ١٩٧
٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٧ - ٤٨ -	حرف « ظ »
٥٠ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٧ - ٦٠ -	ظهر الرمكة ١٩
٦١ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٩ - ٧٩ - ٨٧ -	حرف « ع »
٨٨ - ٩٠ - ٩١ - ٩٤ - ٩٦ - ٩٨ -	عدوة الاندلس ٧ - ٣٥
١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١٣ -	العدوتان ١١٣ - ١٩٤ - ١٩٧

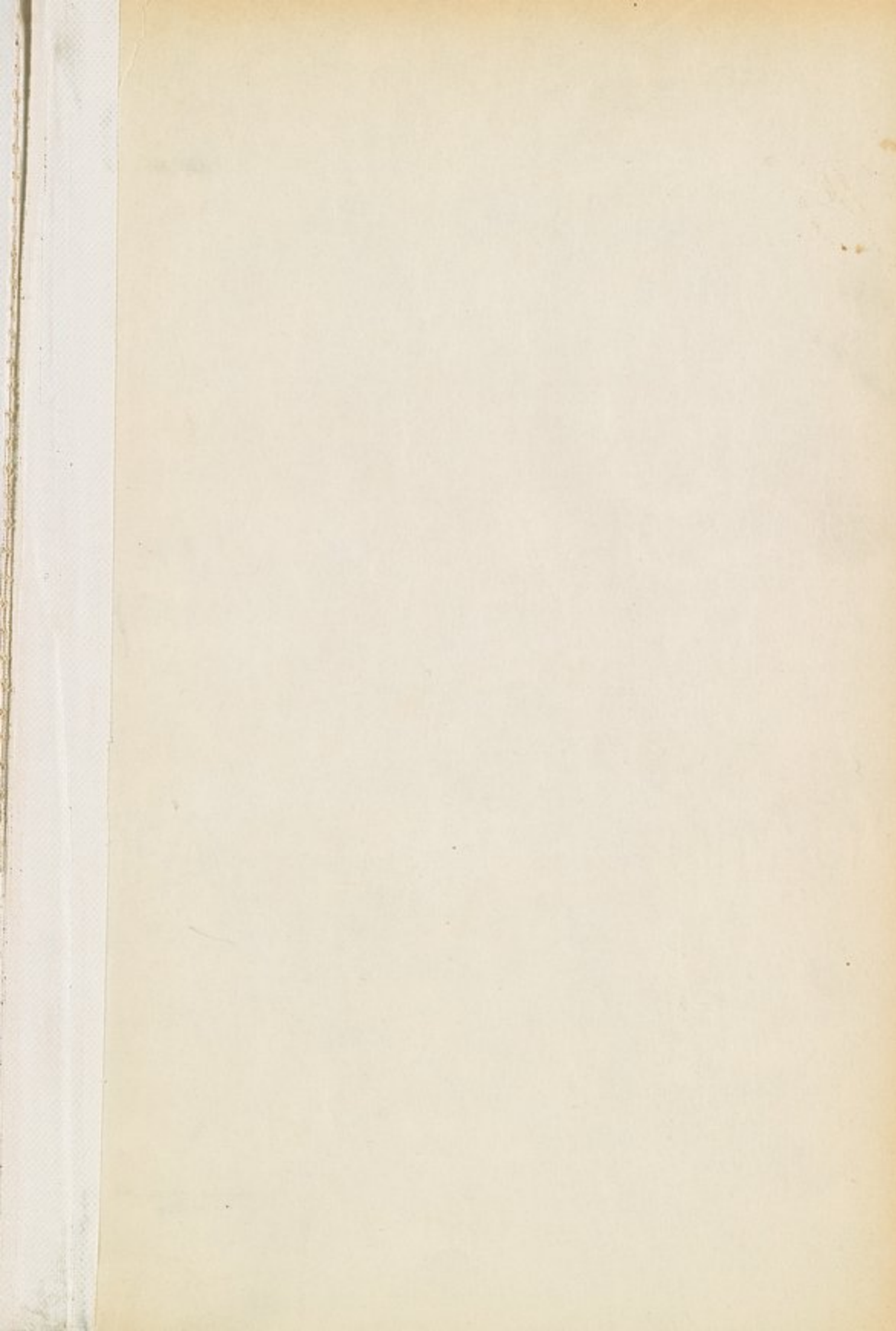
القصة الجديدة ٤١	١١٦ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ -
قصة الخميس ٤٢ - ٦٣	١٢٢ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٧ - ١٣٠ -
القصة القديمة ٤٩ - ١٤٦	١٣٣ - ١٣٧ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ -
قصة مراکش ١٩٥	١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ -
قصة وادي الزم ١٥١ - ١٥٢	١٥١ - ١٥٢ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ -
القصر ٦١ - ١١٧ - ١٢٤ - ١٥٣ -	١٥٧
١٧٨ - ١٧٩ - ١٩٧	فلس الجديد ١٩ - ٢٠ - ٢٧ - ٣٤ -
القصر الاخضر ١٩٥ - ١٩٦	٣٥ - ٤٠ - ٤٥ - ٤٨ - ٥١ - ٥٢ -
قصر البديع ٩٣	٧٨ - ٩١ - ١١٨ - ١٢٦ - ١٣١ -
قصر بني عثمان ١٧	١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٧ - ١٤١ -
قصر بني مطير ٨٠	١٤٣ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٥٤ - ١٥٦ -
القصر الجديد ٧	١٥٨ - ١٧٥ - ١٧٧ - ١٧٩ - ١٨٧ -
قصر حليلة ١٧	فركلة ١٧
قصر حمو بن بكة ١٠١	فزارة ٤٢
قصر السوق ١٧	فندق النجارين ١٧٧
قصر كناسة ٢٧	حرف « ق »
قطر السوس ٩٧	القبلة ٥٢ - ٥٨ - ٥٩
القطر السوسي ١٣ - ١٩٦	القرويين ٤٤ - ٤٨
قلعة آصرو ٦٦	القسطنطينية ٨٧ - ١٠٢
قلعة تابوست ٦٨	قصة آلم ١٦٩ - ١٧٠
قلعة تغالين ٨١	القصة ٤٢ - ٤٩ - ٥٤ - ١١٩
قلعة القصابي ٦٨	قصة أبي الاعوان ١٦٨
قلعة عين اللوح ٦٦	قصة أبي فكران ١٤٢ - ١٤٣ -
قلعة مكناسة ٥٥	١٧٠ - ١٧١
قلعة المهدومة ٦٣	قصة آدخسان ٥٧
منطرة البروج ١٣٥	قصة آكرار ١١٢
منطرة الرصيف ٤٠ - ١٢٦	قصة أمراك ٩٩

انشرق ٨٨ - ٩٦ - ٩٧
 مشرع الرملة ٥٧ - ٥٨ - ٧١ - ٩٦
 - ١٣٤ - ١٣٦ - ١٥٣ - ١٥٤ -
 ١٥٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٧٥ - ١٩١ -
 - ١٩٢ -
 مشرع المجاز ١٩٧
 متسور فاس الجديد ٦٦
 مصر ٩٧ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠٢ - ١٣٥
 المعادى ١٣٤
 معسكر ٨٩
 المعمورة ٦٣
 المغرب - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ١٢
 - ١٣ - ١٥ - ١٨ - ٢٠ - ٣٢ - ٣٤ -
 - ٣٨ - ٤٩ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٩ - ٦٣ -
 ٧١ - ٧٢ - ٧٧ - ٧٨ - ٨١ - ٨٨ -
 - ٨٩ - ٩٢ - ٩٧ - ١٠٢ - ١٠٣ -
 ١٠٤ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١٢٠ - ١٢٤ -
 ١٤٦ - ١٥٩ - ١٩١
 المغرب الأقصى ٢٩ - ٤١ -
 المغرب الاوسط ٢١ - ٧٩
 مكناسة الجديدة (تاكراوت) ٤٨
 مكناسة الزيتون ٥ - ١٦ - ٣٥ - ٣٦ -
 - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٢ -
 - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٦٠ -
 - ٦١ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ -
 - ٦٩ - ٧٠ - ٧٤ - ٧٨ - ٩٠ - ٩٤ -

فنطرة نهر سبو ٣٤ - ٣٩
 القويعة ٥٩
 القيروان ١٥٩
 حرف « ك »
 كدية تامزيزت ١٦١
 انكور ٦٢
 حرف « م »
 المحلة ١٠١
 المدائن ١٠٢
 مدرسة الشراطين ٤١
 مدشر بنى ابراهيم ٥
 مدينة الرباط ١٣٣
 مراکش ٣٨ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ -
 - ٤٥ - ٤٦ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ -
 - ٥٣ - ٥٧ - ٥٨ - ٦٥ - ٧٨ - ٨٩ -
 ٩٠ - ٩١ - ٩٣ - ٩٧ - ٩٩ - ١٠٤ - ١٠٩ -
 - ١١٣ - ١٣٧ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٦٩ -
 ١٧٠ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ -
 ١٨٨ - ١٩٠ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ -
 ١٩٦ - ١٩٧
 مرسى آصلا ١٨٩
 مستغانم ٢٣
 المسجد الاعظم ٤٩
 مسجد بريمة ١٩٦
 مسجد الشيخ ابي عبد الله محمد
 ابن صالح ٤١
 مسجد القصبة ٥٤

وادی ام الربیع ۱۳۵ - ۱۴۰	۹۸ - ۱۰۲ - ۱۰۴ - ۱۰۷ - ۱۱۲
وادی بهت ۹۱ - ۱۱۹	۱۱۴ - ۱۱۸ - ۱۱۹ - ۱۲۱ - ۱۲۲
وادی تاشکرات ۶۸	۱۲۳ - ۱۲۴ - ۱۲۵ - ۱۲۹ - ۱۳۰
وادی تافنا ۶۰	۱۳۱ - ۱۳۳ - ۱۳۴ - ۱۳۵ - ۱۳۶
وادی زیز ۸۷	۱۳۷ - ۱۳۸ - ۱۳۹ - ۱۴۰ - ۱۴۱
وادی سبو ۱۴۱ - ۱۶۳	۱۴۲ - ۱۴۳ - ۱۴۴ - ۱۴۵ - ۱۴۷
وادی سکورة ۶۸	۱۴۸ - ۱۴۹ - ۱۵۰ - ۱۵۱ - ۱۵۲
وادی شلف ۵۹	۱۵۳ - ۱۵۴ - ۱۵۵ - ۱۵۶ - ۱۵۷
وادی صا ۵۹ - ۶۲	۱۶۴ - ۱۶۶ - ۱۶۷ - ۱۷۰ - ۱۷۳
وادی الصید ۵۰ - ۸۰	۱۸۰ - ۱۸۱ - ۱۸۲ - ۱۸۳ - ۱۸۴
وادی عروس ۷۰	۱۸۶ - ۱۸۷ - ۱۹۲
وادی فاس ۳۶ - ۴۲ - ۱۴۵	الملاح ۳۴
وادی کجی ۱۶۹	ملویة ۳۳ - ۴۷ - ۶۲ - ۶۸
وادی کیکو ۶۸	المنزل ۱۶۴
وادی مسون ۶۲	المنصور ۵۵ - ۱۹۵
وادی ملویة ۳۲ - ۱۴۴	المهدية ۶۴
وادی نول ۹۴ - ۱۳۶ - ۱۳۷ - ۱۴۱	المحراس ۱۲۵
وادی ورغة ۱۶۴	حرف « ن »
وادی ویسلن ۱۴۷	ناحية اکدم ۱۱
واسط ۱۷۳	نجد ۲۴
وجدة ۲۰ - ۲۱ - ۲۳ - ۳۱ - ۵۱	نهر ملویة ۱۶ - ۶۸ -
۶۰ - ۶۱ - ۶۲ - ۹۶ - ۹۷ - ۹۹	النیل ۱۰۱ - ۱۹۵ -
وجه عروس ۵۷ - ۱۹۱	حرف « هـ »
ورغة ۴۲	هدراشن ۱۷۶
وطن غریس ۱۷	حرف « و »
حرف « ی »	واد ارضم ۱۰۵
ینبع النخل ۴ - ۵	وادی الزاب ۱۶۸ - ۱۶۹





LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

